

مِثْلُ الرِّمَانِ فِي فَوَائِدِ الْأَعْيَانِ

تصنيف

شمس الدين أبي القاسم يوسف بن قزويني به عون الله
المعروف بسبط الدين الجوزي في

٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء العشرون

٥٠٠ - ٥٥٣ هـ

حقوه هذا الجزء وعلوه عليه

إبراهيم التيمي

الرسالة العالمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م / ١٤٢٤ هـ



دار الرسالة العالمية

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق
الطبع والتطوير والنقل والترجمة والتسجيل الفيزيائي
والسمعي والحسوبي وغيرها إلا بإذن خطي من:

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Risalah Al-'Alamiyyah m.
Publishers

الإدارة العامة

Head Office

دمشق - المجرى

شارع مسلم البارودي

بناء حولي وسلاحي

2625

(963) 11-2212773

(963) 11-2234305

الجمهورية العربية السورية

Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com

http://www.resalahonline.com

فرع بيروت

BEIRUT/LEBANON

TELEFAX: 815112-319039-818615

P.O. BOX: 117460

مرآة الزمان من كتب التاريخ التي كان يتطلع كثير من الباحثين لتحقيقه ونشره، لوفرة مادته العلمية، وشهرة مؤلفه سبط ابن الجوزي، وخاصة أنه لم يكن متاحاً منه بين أيديهم إلا تلك الشذرات التي نشرت مخطوطة في شيكاغو سنة ١٩٠٧م.

ولذلك حين طُلب مني المشاركة في تحقيقه قبلت على الفور، واخترت منه العصر الذي أمضيت عمراً من سني حياتي في تحقيق أخباره ودراساتها، وأعني بذلك تلك السنين التي تمتد ما بين سنة (٥٠٠هـ) وحتى سنة (٦٥٤هـ)، وهي آخر سني هذا الكتاب.

واعتمدت في تحقيقها على النسخ الآتية:

١- نسخة خزائية كانت برسم خزانة محب الدين أحمد بن أحمد بن ينال العلائي الداوداري الحنفي، وهي برقم (٢١٣٣)، وقد رمزت لها بالحرف (ع)، ورمز لها بسائر الكتاب بـ (خ)، وهي تنتهي عندي في آخر حوادث سنة (٥٦٠هـ).

٢- نسخة أحمد الثالث برقم (٢٩٠٧)، ورمزت لها بالحرف (ح)، وتبدأ من حوادث سنة (٥٢١هـ)، وتنتهي بخرم في أثناء حوادث سنة (٦٣٦هـ).

٣- نسخة باريس، ومنها نسخة مصورة في مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق، ورمزت لها بالحرف (ب)، فيها خَرْمٌ يبدأ من حوادث سنة (٥١٧هـ)، ويأتي على بقية الكتاب.

٤- وثمة قطعة تبدأ من سنة (٦٢٠هـ)، وتنتهي مع آخر الكتاب، رقمها (٢١٣٨)، ورمزت لها بالحرف (ت).

هذه النسخ الأربع هي النسخ التامة للكتاب باختصار المؤرخ قطب الدين اليونيني.

وثمة نسختان مختصرتان مختصاراً موجزاً عن أصل المؤلف، لم نقع على اسم

المختصر، وهما

- نسخة شيكاغو، وقد صورت في شيكاغو سنة ١٩٠٧م، ورمزت لها بالحرف (ش).

- نسخة إبراهيم بن عبد العزيز الناسخ، وكان فرغ من نسخها سنة (٧٣٥هـ)، ورمزت لها بالحرف (م).

فما كان من نسختي (ش) و(م)، أو من إحداهما وضعته بين حاصرتين في متن الكتاب، رغبة مني في إخراج نص من «المرآة» أقرب ما يكون إلى الأصل الذي تركه مؤلفه سبط ابن الجوزي، ولذلك آثرت تسميته «مرآة الزمان» لأنه لا يمكن نسبة هذا النص إلى قطب الدين اليونيني، للزيادة التي أضفتها من غيره... والحمد لله رب العالمين.

إبراهيم الزيق

دمشق في

١٠ رجب ١٤٣٢ هـ

١١ حزيران ٢٠١١ م

السنة الخمس مئة

فيها قُتِلَ فخرُ المُلْك بن نظام الملك بنيسابور.

وقُتِلَ سعد الملك وزير السلطان محمد.

وقُتِلَ ابنُ عَطَّاش مقدَّم الباطنية.

وغرق قَلِيج رسلان بن سليمان بن قُتْلُمِش.

وصُرف الوزير أبو القاسم علي ابن جَهِير من وزارة الخليفة^(١) في رابع عشرة صَفَر
بينما هو جالسٌ في الدِّيوان جاءه أبو الفرج بن رئيس الرؤساء، فشافه بالعزل،
فأنصرف.

وكان سيفُ الدولة^(٢) قد قرَّر أمره مع الخليفة أنه متى تَغَيَّر رأيه فيه يُعزَل مَضُوناً،
فَقَصَدَ دارَ سيفِ الدولة - وكانت حِمَى - وهو يقول في طريقه: أَمَّنكَ الله يا سيف الدولة
يوم الفَرَج الأكبر كما أَمَّتني.

وأقام بدار سيف الدولة إلى أن أنفذ إليه من الحِلَّة قوماً؛ فخرجوا به وبأهله وولده
وأصحابه، فكانت [مدة]^(٣) وزارته ثلاث سنين وخمسة أشهر وأياماً.
وكان قد استفسد في وزارته [هذه]^(٣) قلوب جماعة، منهم أبو الحسن قاضي القضاة
الدامغاني^(٤)، وصاحب المخزن أبو القاسم بن الفقيه.

(١) هو المستظهر بالله، وقد توفي سنة (٥١٢هـ)، وسترده ترجمته في حوادثها.

(٢) هو صدقة بن منصور بن دُبَيْس الأسدي، صاحب حِلَّة بني مزيد، وكان صدقة قد عمرها بين الكوفة وبغداد
سنة (٤٩٥هـ). وكانت من قبل أجمة تأوي إليها السباع، وداره ببغداد كانت ملجأ للخائفين، قتل سنة
(٥٠١هـ)، وسيأتي خبره في حوادثها. وانظر «معجم البلدان» ٢/٢٩٤.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) هو علي بن محمد بن علي بن الدامغاني، توفي سنة (٥١٣هـ)، وسترده ترجمته في حوادثها.

وأمر الخليفة بنقض داره التي بباب العامة^(١)، وكان [أبو نصر] فخر الدولة ابن جَهير^(٢) بناها بأنقاض دور الناس [من الجانب الغربي على يدي صاحب الشرطة أبي الغنائم ابن إسماعيل، وكان هذا الشرطي يأخذ أكثر الأنقاض لنفسه ويحتج بعمارة هذه الدار، ولا يقدر أحد من الضعفاء أرباب الأنقاض على الكلام]^(٣)، فكانت عاقبة الظلم والغضب الخراب^(٤) [وذهاب الأموال، والعزل بعد العز، وتغير الأحوال]^(٥).

قال المصنف - رحمه الله^(٦) -: كذا جرى في دار السلطنة ببغداد [في سنة خمس عشرة وخمس مئة]^(٧)، وكذا جرى في زماننا، فإن سامة الجيلي^(٨) بنى داراً بدمشق على هذا الوجه، فأخربها الله تعالى على يدي أيوب بن الكامل^(٩) سنة سبع وأربعين وست مئة، وكان سامة قد غرم عليها أموالاً عظيمة، وأخذ أراضى الناس والآلات^(١٠) بدون الطيف^(١١) وصح فيه قول القائل: الحَجَرُ المغصوبُ في البناءِ أساسُ الخراب.

(١) في (ب): عمورية، وهو تحريف، وانظر «خطط بغداد» ص ٤٨.

(٢) هو فخر الدولة محمد بن جَهير والد أبي القاسم المذكور، وقد توفي سنة (٤٨٣هـ)، وسلفت ترجمته في حوادثها، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ع) و(ب) إلى الخراب، والمثبت من (م) و(ش).

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم» ١٤٩/٩.

(٦) في (م) و(ش): قلت..

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وسيأتي الخبر في حوادثها.

(٨) في النسخ الخطية: أسامة، وإنما مر، والصواب «سامة» دون ألف كما جاء في النسخ المجودة من «كتاب الروضتين» بتحقيقي، وهو من أمراء صلاح الدين، وأخباره مبثوثة ثمة، وداره التي بناها بدمشق ذكرها أبو شامة في «المذيل على «الروضتين»» بتحقيقي كذلك في حوادث سنة (٦٠١هـ). وقد عمر البادرائي في مكانها بعد خرابها مدرسة عرفت بالبادرائية. وكان سبط ابن الجوزي يلتمس العذر لصاحبه الملك المعظم في نقمته على سامة حين يعزو ذلك إلى هذه الدار، والصحيح أن وراء نقمته عليه ما حدث في البيت الأيوبي عقب وفاة صلاح الدين من منازعات، وميل سامة هذا إلى الملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب، وسيذكر ذلك سبط ابن الجوزي نفسه في حوادث سنة (٦٠٩هـ)، وانظر «الدارس في تاريخ المدارس»: ٢٠٥/١، و«مناداة الأطلال»: ٨٨.

(٩) هو الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٦٤٧هـ).

(١٠) في (م): والأبواب.

(١١) أي بأقل القليل من الثمن.

[ليت الحلال سَلِمَ، فكيف الحرام؟ وكانت هذه الدار سببَ هلاكِ سامة، فإن المُعَظَّم عيسى رحمه الله اعتقل سامةً وأخذ قلاعَه وأمواله وضياعه وأنشابه^(١)، ومن جُمَلَتِها قلعتان: كوكب وعَجَلُون، ومات في حَبْسِه بالكرك، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣] ﴿إِنَّ أَخَذَهُ آلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] ^(٢).

ولما عُزِلَ ابنُ جَهِير عن الوِزَارَةِ، استتاب الخليفةُ أبا الحسن ابن الدَّامَغَانِي [قاضي القضاة في الديوان]^(٣) ومعه أبو الحسين بن رِضْوَان، ثم استوزَرَ هبةَ الله بنَ محمد بن المُطَّلَب، وقيل: نابَ في الوِزَارَةِ^(٤).

وفيها وَلَّى الخليفةُ أبا جعفر عبد الله بن الدَّامَغَانِي أخا قاضي القضاة حِجْبَةَ الباب، وَخَلَعَ عليه، فرمى الطَّيْلَسَان^(٥)، فَشَقَّ على أخيه، وقد كان ينوبُ عنه في القضاء^(٦).

[وأما ما يتعلقُ بأخبارِ الشَّام، فإن في هذه السنةَ كَثُرَ فسادُ الفرنج]^(٧) في أعمال السَّوَاد، وهوران وجبل عَوْف، فجمعَ طُغْتِكِينَ العساكر من التُّرْكَمان وغيرهم، وَخَيَّم بالسَّوَاد، وكان الأميرُ عِزُّ المُلْك والي صور قد نَهَضَ إلى حِصْن تَبْنِين [من عمل الفرنج]^(٨)، فَهَجَم رِبْضَه، وَقَتَلَ مَنْ فِيهِ، وَنَهَبَ [وَعَنِمَ]^(٩)، وبلغَ بغدوين^(٨) ملكَ الفرنج، فرحَلَ من طبرية قاصداً صور، وعاد طُغْتِكِينَ إلى دمشق^(٩).

(١) النَّسَب: المال والعقار، وأكثر استعماله في الأشياء الثابتة كالدار والضياع. «معجم متن اللغة» ٤٥٦/٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) انظر «المنتظم»: ١٤٩/٩.

(٥) الطيلسان نوع من الخمار يطرح على الرأس والكتفين، أو يلقي أحياناً على الكتفين فقط، وهو خاص بالقضاة، وقد رماه أبو جعفر كما في هذا الخبر، ولبس خِلْعَةَ الحِجْبَةِ، انظر «المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب» لدوزي: ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٦) انظر «المنتظم»: ١٥٠/٩.

(٧) في (ع) و(ب): وفيها كثر فساد الفرنج في أعمال السواد، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٨) هو بلدوين الأول Baldwin I.

(٩) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٤٣ - ٢٤٤.

وفيها^(١) بَعَثَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ شَاهُ بِرَأْسِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَطَّاشٍ مُقَدِّمَ الْبَاطِنِيَّةِ وَرَأْسَ وَلَدِهِ، وَكَانَ ابْنُ عَطَّاشٍ بِقَلْعَةٍ عَظِيمَةٍ بِأَصْبَهَانَ، بَنَاهَا السُّلْطَانُ مَلِكُ شَاهِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ؛ وَسَبَبُ بِنَائِهَا أَنَّ بَعْضَ رُسُلِ الرُّومِ وَرَدَ عَلَيْهِ فِي رِسَالَةٍ وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، فَخَرَجَ مَعَهُ ذَاتَ يَوْمٍ لِلصَّيْدِ، فَهَرَبَ مِنْهُ كَلْبٌ صَيُودٌ [شَدِيدُ الْعَدُوِّ]^(٢)، فَصَعِدَ الْجَبَلَ، وَصَعِدَ السُّلْطَانُ وَرَاءَهُ وَمَعَهُ الرُّومِيُّ، فَقَالَ لَهُ [الرُّومِيُّ]^(٣): يَا سُلْطَانُ، لَوْ كَانَ هَذَا الْجَبَلُ عِنْدَنَا لَبْنَيْنَا عَلَيْهِ قَلْعَةً نَنْتَفِعُ بِهَا، وَيَبْقَى ذِكْرُهَا. فَثَبَّتَ هَذَا الْكَلَامَ فِي قَلْبِ السُّلْطَانِ، فَبَنَاهَا، وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا [أَمْوَالًا عَظِيمَةً]^(٤)؛ أَلْفِي أَلْفِ دِينَارٍ وَمِئَتِي أَلْفِ دِينَارٍ، فَاحْتَالَ عَلَيْهَا ابْنُ عَطَّاشٍ حَتَّى مَلَكَهَا، فَكَانَ أَهْلُ أَصْبَهَانَ يَقُولُونَ: انْظُرُوا إِلَى هَذِهِ الْقَلْعَةِ؛ كَانَ الدَّلِيلُ عَلَى مَوْضِعِهَا كَلْبٌ، وَالْمُشِيرُ بِبِنَائِهَا كَافِرٌ، وَخَاتِمَةُ أَمْرِهَا هَذَا الْمُلْحَدُ.

وَكَانَ الرُّومِيُّ لَمَّا عَادَ إِلَى بَلَدِهِ يَقُولُ: إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى أَصْبَهَانَ، وَهُوَ بَلَدٌ عَظِيمٌ وَالْإِسْلَامُ بِهِ ظَاهِرٌ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَشْتَتُ بِهِ جَمُوعَهُمْ، وَأُنْفِذُ بِهِ أَمْوَالَهُمْ غَيْرَ بِنَاءِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ.

وَلَمَّا مَاتَ مَلِكُ شَاهٍ تَحِيلَ عَلَيْهَا ابْنُ عَطَّاشٍ وَمَلَكَهَا^(٥)، وَأَقَامَ بِهَا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَلَمَّا آلَ الْأَمْرُ إِلَى مُحَمَّدِ شَاهٍ، أَهْتَمَّ بِهَا^(٦)، وَنَزَلَ عَلَيْهَا، وَأَقَامَ عَلَى حِصَارِهَا سَنَةً، ثُمَّ فَتَحَهَا غَنَوَةً وَهَدَمَهَا، وَقَتَلَ ابْنَ عَطَّاشٍ وَوَلَدَهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَسَلَخَ ابْنَ عَطَّاشٍ، وَمَثَلَ بِأَصْحَابِهِ، وَأَلْقَتْ زَوْجَتُهُ نَفْسَهَا مِنْ أَعْلَى الْقَلْعَةِ، وَمَعَهَا جَوْهَرٌ نَفِيسٌ، فَهَلَكَتْ وَمَا مَعَهَا.

(١) فِي (ب): فَصْلٌ، وَفِيهَا.

(٢) مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (م) وَ(ش).

(٣) مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (م) وَ(ش).

(٤) مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (م) وَ(ش).

(٥) فِي (م) وَ(ش): وَكَانَ ابْنُ عَطَّاشٍ لَمَّا مَاتَ مَلِكُ شَاهٍ قَدْ تَحِيلَ عَلَيْهَا وَمَلَكَهَا.

(٦) فِي (م)، (ش): أَهْتَمَّ بِهَذِهِ الْقَلْعَةِ.

وكان [أبو]^(١) ابن عطاش في أول أمره طبيباً، فأخذه السلطان طغرل بك، وأراد قتله لأجل مذهبه، فأظهر التوبة، ومضى إلى الرّي، وصاحب أبا عليّ النّيسابوري، وكان مقدّمهم بالرّي، وصاهره، وجمع رسالة في الدّعاء إلى هذا المذهب سمّاها العقيقة، ومات ببعض بلاد الرّي، وجاء ابنه أحمد فملك القلعة، واسمها شاه دز.

[قلت: وهذا الذي ذكره أرباب السّير بالعراق من حديث هذه القلعة وابن عطاش، حكاها^(٢) جدّي في «المنتظم»^(٣)].

ووقعت في تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي، فذكرها^(٤)، وقال: وفي سنة خمس مئة وردت الأخبار متواترة باهتمام السلطان غياث الدّنيا والدّين محمد بن ملك شاه بمحاصرة قلعة الباطنية وهدمها، وأراح العالم منها، ومن الشّر المتّصل بها^(٥)، وأنشأ كتاب الفتح^(٦) بوصف الحال، وهو كتاب طويل^(٧)، منه: وفتحنا قلعة شاه دز الذي شمع بها الباطل وبذخ^(٨)، وباض الشّيطان فيها وأفرخ، وكانت قذى في عيون الممالك، وسبباً^(٩) إلى التّورط بالمسلمين في المهاوي والمهالك، وكان بها ابن عطاش الذي طار عقله في مدرج الضّلال وطاش، فكان يستبيح دماء المسلمين ويراهها هدرأ، ويستحلّ أموالهم غرراً، فكم من دماء سفكت، وحرّم انتهكت، وأموال استهلكت، وشرقات^(١٠) تجرعها النفوس فما استدركت.

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) في (م) و(ش): وحكاها، والصواب ما هو مثبت.

(٣) انظر «المنتظم»: ١٥٠/٩ - ١٥١، و«الكامل» لابن الأثير: ٤٣٠/١٠ - ٤٣٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٦٧/١٩.

(٤) في (م) و(ش): وذكرها، والصواب ما هو مثبت.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في (ع): الفصيح، وهو تحريف. وفي (م) و(ش)، وأنشأ كتاب الفتح بوصف الحال فيها إلى سائر أعماله ليقراً على المنابر، ومن جملة ما كتب: وكانت هذه القلعة من أمهات القلاع...

(٧) انظر الكتاب بتمامه في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٤٥ - ٢٥٠.

(٨) شمع وبذخ: كلاهما بمعنى تكبر وعلا، انظر «معجم متن اللغة» ٢٥٨/١، ٣٦٥/٣.

(٩) في (ب): وسبيلاً.

(١٠) من الشّرّ: وهو دخول الماء الحلق حتى يغصّ به. «اللسان» (شرق).

وكانت هذه القلعة من أمّهات القلاع التي تمتنع على من رامها أشدّ امتناع، وكانت تُبَثُّ الحبائل^(١) منها إلى سائر الجهات والأقطار، وترجع إليها نتائج الفساد رجوع الطير إلى الأوكار، وهي في العزّة والمنعة مثل مناط الشمس، التي تنال منها حاسة البصر دون حاسة اللمس، وكأنها وهي في أعلى شاهق، نزلت على الجبل من حالق، فنسفناها نسفاً، وخسفناها خسفاً، وصيرنا سفلاً علواً، وعلوها خلواً، إذ لم يفلت منها صاحب ولا مصحوب، إن الشقاء على الأشقيين مصبوب، وأمرنا بهدمها وتعفية أثرها ورذمها، وأسر ابن عطاءش رأس الجالوت، وولي الطاغوت الذي كان من قوم قال الله فيهم: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ﴾ [القصص: ٤١] فجعلناه وولده عبرة للنظار، ولأولي الأبصار ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥] على هذا الفتح المبين، الذي هو غرة الدهر على دوام السنين^(٢).

جعفر بن أحمد

ابن الحسين بن أحمد، أبو^(٣) محمد السراج القارئ البغدادي^(٤).

ولد سنة ست عشرة وأربع مئة^(٥)، وقرأ القرآن بالروايات، وأقرأ سنين، وسافر إلى الشام ومصر، وسمع الحديث الكثير، وصنف المصنفات الحسان، منها: [كتاب]^(٦) «مصارع العشاق»^(٧)، وغيره. [وسمع بدمشق وطرابلس، وأخرج له الخطيب فوائد في خمسة أجزاء، وتكلم على الأحاديث]^(٦).

(١) حبائل جمع، مفردها الحبال: وهي ما يصاد بها من أي شيء كان. «اللسان» (حبيل).

(٢) «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٤٦ - ٢٤٩.

(٣) في (ش): بن، وهو تحريف، والمثبت من (م) و(ب).

(٤) ترجمته في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق. مج ١/٣ ج ٢٨٣ - ٢٨٩، و«المنتظم»: ١٥١/٩ - ١٥٢،

و«معجم الأدباء»: ١٥٣/٧ - ١٦٢، و«وفيات الأعيان»: ٣٥٧/١ - ٣٥٨، و«سير أعلام النبلاء»:

٢٢٨/١٩ - ٢٣١، وانظر تمة مصادر ترجمته فيه.

(٥) انظر الخلاف في سنة مولده في «وفيات الأعيان»: ٣٥٨/١.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) طبع الكتاب غير ما طبعة، أولها في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠١هـ - ١٨٨٣م، وآخرها في بيروت عن دار

بيروت سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، وهو كتاب مشهور متداول.

وكان أديباً شاعراً، فاضلاً، لطيفاً، صدوقاً، ثقة، ونظم [كُتُباً كثيرة]^(١): «المبتدأ»، و«مناسك الحج»، وكتاب «التَّنبِيه»، وغير ذلك، ولم يمرض في عُمُرِه غير مَرَضِ المَوْتِ، وتوفي في صَفَر، ودفن بالمقبرة المعروفة بالأجمة من باب أبرز، [سمع أبا الحسين بن القزويني وغيره]^(٢).

وله «ديوان شعر»، فمنه^(٣): [من مجزوء الكامل]

وَجَدَا عَلَيْهِمْ تَسْتَهْلُ	بَانَ الْخَلِيْطُ ^(٤) فَأَذْمُعِي
قِي عَنِ الْمَنَازِلِ فَاسْتَقْلُوا ^(٥)	وَحَدَا بِهِمْ حَادِي الْفِرَا
عَنْ نَاطِرِي وَالْقَلْبَ حَلُّوا	قُلْ لِلَّذِينَ تَرَحَّلُوا
تُ غَدَاةَ بَيْنِهِمْ اسْتَحَلُّوا	وَدَمِي بِلَا جُزْمٍ أَتَيْ-
مِنْ مَاءٍ وَصَلِيهِمْ وَعَلُّوا ^(٦)	مَا ضَرَّهُمْ لَوْ أَنَّهُلُوا

وقال يمدح أصحاب الحديث: [من مجزوء الكامل]

أَضَحُوا يَعْيُبُونَ الْمُحَابِرَ	قُلْ لِلَّذِينَ بَجَّهْلِهِمْ
أَيْدِي بِمُجْتَمَعِ الْأَسَاوِرِ	وَالْحَامِلِينَ لَهَا مِنَ الْ-
لَمْ وَالصَّحَائِفُ وَالذَّفَاتِرُ	لَوْلَا الْمُحَابِرُ وَالْمَقَا
مَبْعُوثٌ مِنْ خَيْرِ الْعَشَائِرِ	وَالْحَافِظُونَ شَرِيعَةَ الْ-
عَنْ كَابِرٍ ثُبَّتْ لِكَابِرِ	وَالنَّاقِلُونَ حَدِيثَهُ
لِ عَسَاكِرٍ تَتْلُو عَسَاكِرَ	لِرَأَيْتَ مِنْ شَيْعِ الضَّلَا
وَاللَّهُ لِلْمَظْلُومِ نَاصِرُ	كُلُّ يَقُولُ بِجَهْلِهِ
تِ أُولِي النُّهَى وَأُولِي الْبَصَائِرِ	سَمَّيْتُمْ أَهْلَ الْحَدِيدِ

(١) في (ع): ونظم كتاب المبتدأ، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) فمن قوله: والمثبت من (ب).

(٤) الخليط: المعاصر المخالط.

(٥) استقلوا: ارتحلوا ومضوا.

(٦) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء العراق مج ١/ج ٣/٢٨٧، و«المنتظم»: ١٥١/٩ - ١٥٢، و«وفيات

الأعيان»: ٣٥٧/١.

حَشَوِيَّةٌ^(١) فَعَلِيكُمْ
هُمْ حَشَو جَنَّاتِ النَّعِيمِ
رُفَقَاءُ أَحْمَدَ كُلُّهُمْ
وَقَالَ فِي أَصْحَابِ الْحَدِيثِ أَيْضاً: [من المتقارب]

إِذَا كُنْتُمْ تَكْتَبُونَ الْحَدِيدَ
وَأَفْنَيْتُمْ فِيهِ أَعْمَارَكُمْ
وَقَالَ: [من السريع]

يَا سَاكِنِي الدَّيْرَ حُلُولاً بِهِ
قَيِّسُوا لَنَا الْقُرْبَ وَكَمْ بَيْنَهُ
وَقَالَ: [من البسيط]

يَا هِنْدُ قَدْ عَنَّ لِي عَنْ دَارِكُمْ سَفَرٌ
فَإِنِّي لَأَرَى فَرَضاً حَوَائِجَكُمْ
[وله: [من المتقارب]

إِذَا كَانَ يُوْذِيكَ حَرُّ الْمَصِيفِ
وَيُلْهِيكَ طَيْبُ زَمَانِ الرَّبِيعِ
رَحِمَهُ اللَّهُ^(٥).

(١) الحشوية، بسكون الشين وفتحها: نسبة إلى الحشو، وهو الجسم، وهم طائفة تمسكوا بظواهر النصوص. فأفضى بهم ذلك إلى التجسيم، ويقال لهم المجسمة كذلك، انظر «كشاف مصطلحات الفنون» للتهانوي: ١٦٦/٢ - ١٦٧.

(٢) الأبيات في «المنتظم»: ١٥٢/٩.

(٣) البيتان في «الخريدة» قسم شعراء العراق مج ١/ج ٣/٢٨٩.

(٤) البيتان في المصدر السالف.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). والبيتان لأحمد بن فارس بن زكريا النحوي صاحب «المجمل»، نسبهما إليه ابن عساكر في «تاريخه» (خ) (س) ١٧٣/١٨ وفي مختصره لابن منظور ٢٨٧/٢٧، وأوردتهما له الثعالبي في «يتيمة الدهر» ٤٧٠/٣، وياقوت في «معجم الأدباء» ٨٨/٤، والقفطي في «إنباه الرواة» ٩٥/١، والذهبي في «السير» ١٠٦/١٧ وغيرهم.

سعد بن محمد أبو المحاسن^(١)

وزير السلطان محمد شاه، بلغه عنه أنه قد دبر عليه هو وجماعة [من الكتاب]^(٢)، وكاتبوا أخاه سنجر، فصلب وزيره، وصلبهم على باب أصبهان، واستوزر أبا نصر أحمد بن نظام الملك.

علي بن نظام الملك^(٣)

أبو المظفر، فخر الملك. كان أكبر ولد النظام، استوزره بركياروق، ثم توجه إلى نيسابور، فوزر للسلطان سنجر [شاه بن ملك شاه]^(٤)، وكان قد رأى ليلة عاشوراء [في المنام في هذه السنة]^(٥) الحسين بن علي عليهما السلام في المنام وهو يقول له: عجل إلينا وأفطر الليلة عندنا. فانتبه مشفقاً من ذلك، فشجعه أصحابه، وقالوا له: لا تخرج [الليلة ولا]^(٥) اليوم من دارك. وأصبح صائماً، فلما كان وقت العصر خرج من حجرة كان فيها إلى دور بعض نساءه، فسمع صوت متظلم يقول: مات المسلمون، ما بقي أحد يكشف ظلامه أحد، ولا من يأخذ بيد أحد، ولا من يغيث ملهوفاً. فوقف، وقال: أبصروا من هذا، فقد عمل^(٦) كلامه في قلبي. فأدنوه منه^(٧)، وإذا رجل في زي الصوفية، فقال: ما الذي بك؟ فقال: حاجتي في هذه الورقة، فأخذها منه، ووقف يقرؤها، فضربه بسكين في مقتل، فقتل عليه، وحمل القاتل إلى سنجر فقرره، فأقر على جماعة من أصحاب سنجر، وكذب، وإنما بعثه مقدم الباطنية [على عادتهم في

(١) في النسخ الخطية: أبو المعالي، وهو وهم، والمثبت من «المنتظم» ٩/ ١٥٠، و«الكامل» لابن الأثير: ٤٣٧/ ١٠، وانظر خبره ثمة.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (م) و(ش) فصل، وفيها توفي علي بن نظام الملك.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) ما بين حاصرتين من (م).

(٦) في (م) و(ش): وقع.

(٧) في (ب): مني.

السعي بالرووساء ليفنوا الناس^(١)، ففُصِّلَ الباطنيُّ عضواً عضواً على [قبر ابن نظام الملك]^(٢)، وكان له يوم قتل سِتٍّ وستون [سنة]^(٣)، رحمه الله^(٤).

ويقال: [إنَّ الباطنية لما قتلوا فخر المُلْك]^(٥) كتب سنجر إلى أخيه محمد: إنَّ هؤلاء لا يبقون عليَّ ولا عليك، والواجبُ قَلْعُهُم من الأرض وإبادتهم. فسار إلى قلعة ابن عَظَّاش، وفَعَلَ ما فعل.

قَلِيح رسلان بن قُتْلُمِش^(٥)

قال أبو يعلى ابن القلانسي: في سنة خمس مئة تابعتِ المكاتباتُ إلى السُلطان محمد شاه من أتابك طُغْتِكِين، وفخر الملك بن عَمَّار صاحب طَرَابُلُسٍ بعظيم ما ارتكبه الفرنج من الفساد في البلاد، وتَمَلَّك الحُصُون والقلاع بالشَّام والسَّاحل، فَنَدَبَ السُلطان الأمير جاولي سقاوة وأميراً من مُقَدَّمي عسكره في عَسْكَرٍ كثيف من الأتراك، وكتبَ إلى صَدَقَة، وإلى جكرمش صاحب المَوْصِل بتقويته بالمال والرَّجال، وأقطعه الرُّحبة، وما على الفُرات، فَثَقُلَ ذلك على المُكَاتِبِينَ، ودافَعَهُ صَدَقَة، فسار إلى المَوْصِل، وبعث إلى جكرمش يطلبُ منه ما أَمَرَ به السُلطان، فتوقف، فنزل جاولي قلعة السن^(٦)، ونهبها، وخرَجَ إلى جكرمش، فقاتله، فَظَفِرَ به جاولي، واستباح عسكره، وهرب ولده إلى المَوْصِل، وقَتَلَ جاولي جكرمش، وبعَثَ برأسه إلى المَوْصِل، فكتبَ ابنُه إلى قَلِيح رسلان يستمده، ويبدلُ له تسليم المَوْصِل.

وكان جكرمش قد جَمَعَ مالا عظيماً من الجزيرة والمَوْصِل، وكان جميل السَّيرة، عادلاً في الرَّعية، مشهوراً بالإنصاف، فسار قَلِيح رسلان في عسكره، فنَزَلَ نَصِيبِينَ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ب): على قبره، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) انظر «المنتظم»: ١٤٨/٩ - ١٤٩، و«الكامل» لابن الأثير: ٤١٨/١٠ - ٤١٩.

(٤) في (ع) و(ب): لما قتل كتب، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (م) و(ش): وفيها غرق قَلِيح أرسلان بن سليمان بن قتلُمِش؛ سقط من الحَابُور، فغرق، ووجد بعد أيام ميتاً.

(٦) السن: بليدة على دجلة فوق تكريت. «معجم البلدان»: ٢٦٨/٣.

ودخلها، لأنه كان في قل^(١) من عسكره، وباقيه في بلاد الروم لإنجاد صاحب القسطنطينية على الفرنج.

وجاء جاولي إلى نصيبين، والتقت الطلائع، فظفر قوم من أصحاب [قليج بقوم من أصحاب]^(٢) جاولي، فقتلوا بعضاً، وأسروا بعضاً، فسار جاولي إلى الخابور، وقد علم أن قليج رسلان قد بعث يطلب عسكره، فجاء إلى الرحبة، ونزل عليها، وبها نائب دقاق، وعنده أرتاش^(٣) الهارب من طغتكين، ووصل إيل غازي بن أرتق في جماعة من التركمان، وجاءه رضوان صاحب حلب، فأقام جاولي على الرحبة من أول رجب إلى الثاني والعشرين من شهر رمضان، فافتتحها عنوة بمواطاة من بعض أهلها، ونهبوا البلد، واستخرجوا الذخائر، فأمن جاولي الناس، وتسلم القلعة وأرتاش في قبضته.

وكان محمد والي الرحبة قد بعث يستصرخ بقليج رسلان، فجاء لينجده وقد فتحت، فنزل على الشمسانية^(٤)، وقبض جاولي على محمد وحبسه، ورحل، فنزل ماكسين^(٥) يريد الموصل ومعه إيل غازي ورضوان، وقصدوا عسكر قليج، والتقى الفريقان يوم الخميس تاسع شوال، وكان الزمان صيفاً، فاشتد الحر، ومات أكثر خيل الفريقين عطشاً، فحمل عسكر قليج على عسكر جاولي، وقصد جاولي قليج رسلان، وضربه بالسيف عدة ضربات، فلم تؤثر فيه، وانهزم عسكر قليج، وفصل عنه وقت الحرب صاحب آمد وصاحب ميافارقين، ووقع السيف في أصحابه، فانهزم قليج، فسقط في الخابور، فغرق، ووجد بعد أيام ميتاً.

وعاد جاولي إلى الموصل ورضوان إلى حلب خوفاً من جاولي، وأما أصحاب قليج الذين سيرهم لإنجاد صاحب القسطنطينية، فنصروا على الفرنج ونهبوهم، ووصلوا إلى أماكنهم بعد أن خلع عليهم ملك الروم، وأحسن إليهم.

(١) أي قلة. «اللسان» (قل).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) أرتاش هو ابن تاج الدولة تئش أخو دقاق، وقد هرب من دمشق بعد وفاة أخيه دقاق ملك دمشق، انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٤) بليدة بالخابور. «معجم البلدان» ٣/ ٣٦٢.

(٥) بلد بالخابور قريب من رحبة مالك بن طوق. «معجم البلدان»: ٤٣/٥.

ولما وصل جاولي إلى المَوْصِل وَجَدَ وَلَدَ قَلِيحٍ رِسْلَانٍ قَدْ دَخَلَهَا، فَحَاصَرَهَا، فَسَلَّمُوهَا إِلَيْهِ بِالْأَمَانِ، فَقَبَضَ عَلَى وَلَدِ قَلِيحٍ، وَسَيَّرَهُ إِلَى السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ، فَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا عِنْدَهُ إِلَى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسٍ مِائَةٍ، فَهَرَبَ وَعَادَ إِلَى مَمْلَكَةِ أَبِيهِ بِلَادِ الرُّومِ.

وقيل: إِنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا عَمِلَ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ، فَقَتَلَهُ، وَاسْتَقَامَ لَهُ أَمْرُ الْمَمْلَكَةِ^(١).

وقال صاحبُ «تاريخ مَيَّافَارِقِينَ»^(٢): إِنَّ السُّلْطَانَ مُحَمَّدَ بْنَ جَاوَلِيٍّ لِحَرْبِ الْفَرَنْجِ، وَكَتَبَ إِلَى أُمَرَاءِ الْبِلَادِ بِطَاعَتِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ الْمَوْصِلَ أَنْفَ جَكْرَمَشَ أَنْ يَتَأَمَّرَ عَلَيْهِ جَاوَلِيٌّ، فَحَارَبَهُ، فَهَزَمَهُ جَاوَلِيٌّ، فَدَخَلَ الْمَوْصِلَ مُجْرُوحًا، فَأَقَامَ يَوْمَيْنِ، وَمَاتَ، وَاسْتَنْجَدَ وَلَدُهُ بِقَلِيحٍ رِسْلَانَ - وَقِيلَ: اسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُكْمَانَ - [و]^(٣) صَاحِبِ أَمْدٍ، وَسَارَ جَاوَلِيٌّ إِلَى حَلَبٍ لِيَنْجِدَ رِضْوَانَ عَلَى الْفَرَنْجِ، وَجَاءَ قَلِيحٌ فَدَخَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا، وَخَطَبَ لِنَفْسِهِ بَعْدَ الْخَلِيفَةِ، وَأَسْقَطَ خُطْبَةَ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ شَاهٍ، وَبَلَغَ جَاوَلِيٌّ وَهُوَ عَلَى حَلَبٍ، فَعَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ قَلِيحٌ، فَاقْتَتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَأُحِيطَ بِقَلِيحٍ وَبِأَصْحَابِهِ، فَأُلْقِيَ نَفْسُهُ فِي الْمَاءِ، فَغَرِقَ، وَدَخَلَ جَاوَلِيٌّ الْمَوْصِلَ، وَكَانَ بِهَا مَسْعُودُ بْنُ قَلِيحٍ رِسْلَانٌ، وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ، فَاعْتَقَلَهُ مُدَّةً، ثُمَّ أَفْلَتَ، فَأَتَى مَلَطِيَّةَ وَبِهَا بَعْضُ مَمَالِكِ أَبِيهِ، فَأَطَاعَهُ، وَتَقَرَّرَتْ لَهُ الْمَمْلَكَةُ بِبِلَادِ الرُّومِ، فَمَسْعُودُ هَذَا جَدُّ مَلُوكِ الرُّومِ.

وقيل: إِنَّ قَلِيحَ رِسْلَانَ اسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُكْمَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ قُتْلُمِشَ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ مِنْ أَوْلَادِ الدَّانِشْمَنْدِ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ^(٤).

(١) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٥٠ - ٢٥٤.

(٢) ثمة كتاب مطبوع عن تاريخ ميافارقين لأحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي، لا تتفق أخباره مع ما يحيل عليه سبط ابن الجوزي من «تاريخ ميافارقين»، ويبدو أن المؤلف قد كتب كتابه غير مرة، مما جعل نسخه يختلف بعضها عن بعض زيادةً ونقصاً، والله أعلم.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق، لأن صاحب أمد حينئذ هو إبراهيم بن ينال، وكان في جملة عسكر قليح رسلان، انظر «تاريخ الفارقي»: ١٠٦، و«الكامل»: ٤٢٧/١٠.

(٤) وهم سبط ابن الجوزي في ذلك، فقد قيل: إن اسم قليح رسلان هو داود فيما ذكر زامباور في «معجم =

محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الأسدي^(١)

ولد بمكة سنة إحدى وأربع مئة^(٢)، وسافر إلى البلاد، ولقي العلماء، وخدم الوزير
أبا القاسم بن المغربي^(٣)، وأقام بغزنة، فتوفي يوم عاشوراء.

من بديع شعره: [من الخفيف]

قلت: ثقلت إذ أتيت مراراً قال: ثقلت كاهلي بالأيادي
قلت: طوئت، قال: لا بل تطوئت ت، وأبرمت، قال: حبل الوداد^(٤)

محمد بن الحسن بن خداداد، أبو غالب^(٥)

ولد سنة إحدى وأربع مئة، وكان رجلاً صالحاً، ثقةً، كثير البكاء من خشية الله
تعالى، توفي في ربيع الآخر، ودُفن بباب حرب.

= الأنساب: ٢١٦، وذهب ستانلي لين بول في كتابه «الدول الإسلامية» ٣١٣/١ (سلسلة النسب العامة) إلى
أن داود هو أخو قليج، ولم يذكر أحد من المؤرخين ما ذكره سبط ابن الجوزي من أن قليج رسلان اسمه
إبراهيم بن سكرمان بن سليمان.

ثم إن ما يجمع سلاجقة الروم مع الدانشمند هي صلة قرابة من قبل الأمهات، انظر عن الدانشمنديين «معجم
الأنساب» للزامباور: ٢٢٠ - ٢٢١، «الدول الإسلامية» ٣٢٨ - ٣٣١، وكتاب «الدانشمنديين وجهادهم في
بلاد الأناضول» للدكتور علي بن صالح المحميد: ٢١ - ٢٢ - ١٠٣.

(١) ترجمته في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢٣/٣ - ٢٥، و«المنتظم»: ١٥٣/٩، و«المحمدون من
الشعراء» للقفطي: ١٣٨ - ١٤٣، و«الوافي بالوفيات»: ٣٥٦/١ - ٣٥٧، و«العقد الثمين»: ٣٩٨/١،
و«النجوم الزاهرة»: ١٩٥/٥، و«معاهد التنصيص»: ٢٠١/٣.

(٢) في النسخ الخطية ومصادر ترجمته ما خلا «الخريدة» و«المحمدون من الشعراء» أنه ولد سنة (٤٤١هـ)، وهو
وهم، صوابه ما ذكره العماد في «الخريدة» وتابعه القفطي في «المحمدون»، وقد أثبتته، إذ ذكر في ترجمته هنا أنه
خدم الوزير أبا القاسم، ووفاة الوزير المذكور سنة (٤١٨هـ)، وذكر العماد وتابعه القفطي أنه لقي في صباه
أبا الحسن التهامي الشاعر، ومقتل التهامي سنة (٤١٦هـ)، وورد غزنة سنة (٤٤٦هـ)، وعمر إلى حد المئة.

(٣) هو الحسين بن علي بن الحسين المغربي، وقد توفي سنة (٤١٨هـ)، وقد سلفت ترجمته في حوادثها.

(٤) أوردهما ابن حجة الحموي في «خزانته»: ١١٦ في أنواع البديع الذي يسميه أرباب البلاغة القول بالموجب،
ونسبهما إلى ابن حجاج، وقد نبه على ذلك ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ١٩٥/٥.

(٥) ترجمته في «المنتظم» ١٥٣/٩ - ١٥٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٣٥ - ٢٣٦، وانظر تنمة مصادر ترجمته فيه.

وخداداد: كلمة فارسية تعني هبة الله.

المبارك بن عبد الجبار^(١)

ابن أحمد بن القاسم، أبو الحسين بن الطُّيوري الصَّيرفي، ويعرف بابن الحَمَامي. ولد في ربيع الأول سنة إحدى عشرة وأربع مئة، وسَمِعَ الكثير، ومَتَّعَهُ الله بذلك، حتى انتشرت عنه الرِّوَاية، وكان حَسَنَ السَّمْتِ، وَرِعاً، صَالِحاً، أَمِيناً، صَدُوقاً مُكْثِراً، كثيرَ العبادة، كَتَبَ بِخَطِّهِ شيئاً كثيراً، وتوفي في ذي القعدة، ودُفِنَ بِبَابِ حَرْبٍ.

يوسف ابن تاشفين^(٢)

والي الأندلس، وقد ذكرناه^(٣)، وقام مقامه ولده عليُّ بن يوسف^(٤). وفي أيام عليٍّ ظَهَرَ محمد بن عبد الله بن تُوْمَرْت المَصْمُودي، ويلقَّب بالمهدي، وكان يزعمُ أنه من سُلالة الحسن بن علي عليه السلام، وقبيلته في المصامدة تعرف بهرْغَة في جبال السُّوس من بلد المغرب، فأظهر الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنقَّلَ في البلاد، فلما صار إلى قرية ملالة بقُرب بِجَاية لقي عبد المؤمن بن عليٍّ، فصَحَبَهُ، وأشهرَ أمره في سنة خمس عشرة وخمس مئة^(٥)، وسمَّى أصحابه الموحِّدين، وبايعوه على أنه المهديُّ الذي بَشَّرَ به النبيُّ ﷺ، وبلغ خبره عليُّ بن يوسف بن تاشفين، فجهَّزَ إليه جيشاً بعد جيشٍ، وابن تُوْمَرْت يُنْصَرُّ عليهم إلى سنة أربع وعشرين، فسار إلى مَرَّاكُش، ومعه عبد المؤمن في أربع وعشرين ألفاً، فخرَجَ إليه عليُّ بن يوسف، فظَهَرَ على ابن تُوْمَرْت [وقتل من أصحابه ثلاثة عشرة ألفاً، وانهزم ابن تومرت]^(٦)، وقال لأصحابه: عبد المؤمن في

(١) ترجمته في «الأنساب»: ٢٠٩/٤، و«المنتظم»: ١٥٤/٩، و«الكامل»: ٤٣٩/١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١٣/١٩، وتتممة مصادر ترجمته فيه.

(٢) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٥٢/١٩ - ٢٥٤، وانظر مصادر ترجمته فيه.

(٣) ذكر ذلك في حوادث سنة (٤٩٨هـ).

(٤) ترجمته في «المعجب»: ٢٥٢ - ٢٦١، و«وفيات الأعيان»: ٤٩/٥، ١٢٣/٧ - ١٢٦، و«سير أعلام النبلاء»: ١٢٤/٢٠ - ١٢٥، وتتممة مصادر ترجمته فيه.

(٥) ذكر ابن الأثير في «كامله»: ٥٦٩/١٠ ابتداء أمره في حوادث سنة (٥١٤هـ)، وكذلك قال ابن خلكان في «وفياته»: ٥٣/٥.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب)، والصحيح أن ابن تومرت لم يكن بالجيش وقتئذٍ، انظر «المعجب»: ٢٨٣، و«الكامل»: ٥٧٧/١٠ - ٥٧٨، و«وفيات الأعيان»: ٥٣/٥.

عافية؟ قالوا: نعم، فقال: ما مات أحد. فعقد له الولاية بعده، وسمّاه أمير المؤمنين في سنة ثمان وعشرين، وقال: به يفتح الله البلاد ويصلح العباد، فأطيعوه. ثم مات ابن تومرت سنة ثمان وعشرين^(١).

وفتح عبد المؤمن أماكن في الجبال، فجهّز إليه علي بن يوسف ولده تاشفين، وكان وليّ عهده، فصار يمشي بجيشه في السهل، وعبد المؤمن مقابله في الجبل، ثم مات علي بن يوسف سنة خمس وثلاثين^(٢) بمراكش، ومات ابنه تاشفين بظاهر وهران سنة تسع وثلاثين، ولم ينزل عبد المؤمن إلى الوطاء^(٣) حتى مات تاشفين.

ثم افتتح عبد المؤمن البلاد، ومات في سنة ثمان وخمسين، وسنذكر [تفصيل هذا الإجمال،] إن شاء الله تعالى^(٤).

يوسف بن علي أبو القاسم الزنجاني^(٥)

تفقه على أبي إسحاق الشيرازي، وبرع في الفقه والمناظرة، وسمع الحديث [من أبي إسحاق وغيره]^(٦)، وكان ديناً ورعاً، صدوقاً، وتوفي في صفر، ودفن عند أبي حامد الإسفراييني^(٧).

[وكان أبو إسحاق يثني عليه]^(٨).

(١) الصحيح أن وفاته سنة (٥٢٤هـ)، انظر «المعجب»: ٢٨٤، و«وفيات الأعيان»: ٥٣/٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٥٠/١٩.

(٢) ذكر المراكشي في «المعجب»: ٢٩٥، وابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ١٢٥/٧، والذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ١٢٥/٢٠ وفاته سنة (٥٣٧هـ).

(٣) الوطاء: السهل. «اللسان» (وطأ).

(٤) في (ع): وسنذكره، وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) ترجمته في «المنتظم»: ١٥٤/٩ - ١٥٥، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ٦/٢، وذكره السبكي في «طبقاته»: ٣٦٢/٥ ولم يسق ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) توفي أبو حامد الإسفراييني سنة (٤٠٦هـ)، وسلفت ترجمته في وفياتها، وكان قد دفن بباب حرب.

(٨) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[حكاية عجيبة رواها الزنجاني عن أبي إسحاق الشيرازي] حكى لي القاضي^(١) أبو الطيب الطبري، قال: كنا في حلقة النظر يوم الجمعة بجامع المنصور، فجاء شابٌ خراسانيٌّ، فسأل مسألة المَصْرَاة وطلب الدليل، فاحتجَّ المُسْتَدِلُّ بحديث أبي هريرة، فقال الشابُّ وكان حنفياً: أبو هريرة غيرُ مقبولِ الحديث، قال: فما اسْتَمَّ كلامه حتى سَقَطَتْ عليه حيةٌ عظيمة من سَقَفِ الجامع، فوثبَ النَّاسُ من أجلها، وهَرَبَ الشابُّ منها وهي تَتَبَّعُهُ، فقليل له: تُب، تُب. فقال: تُبْتُ. فغابتِ الحيةُ، فلم يُر لها أثر!

[قلت: ولا بد من ذكر مسألة المَصْرَاة، فأقول: إذا صُرَّ ضَرْعُ شاةٍ حتى اجتمعَ لَبَنُهَا، فظنَّها المشتري غزيرة اللَّبن، ثم ظَهَرَتْ بخلافه لا يستحقُّ رَدَّها عند أبي حنيفة، وعند الشافعي وأحمد يردُّها ويردُّ معها صاعاً من تمر، ويمسك لَبَنُهَا، واحتجَّ الشافعي بما روى أبو هريرة^(٢): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنْ اشْتَرَى مُصْرَاةً فهو بخير النَّظَرَيْنِ بعد أن يَحْلُبَهَا، إِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا وصاعاً من تَمْر» متفق عليه^(٣) [وقياساً على سائر العيوب، ولأبي حنيفة: إِنْ فَسَخَ الْعَقْدَ [فيه]^(٤) تفويتُ حَقِّ البائع من غيرِ رضاه، والنُّصوص والأصول تأباه. وأما حديثُ أبي هريرة، فأبو هريرة لم يكن من فُقهَاء الصَّحَابَةِ، وقد أنكر عليه عمرُ بنُ الخطَّاب كثرةَ الرِّوَاية، ونهاه عن الحديث، وقال: لئن عُدْتُ فَعَلْتُ وفَعَلْتُ، وكذا أنكر عليه ابنُ عباس وعائشةُ أشياء^(٥)].

السَّنة الحادية والخمس مئة

فيها في المُحَرَّم جَدَّدَ الخليفةُ الخَلْعَ على وزيره أبي المعالي هبة الله بن محمد بن المُطَّلَب، وشافهه بالوزارة^(٦).

(١) في (ع) و(ب): وروى عن أبي إسحاق الشيرازي، قال: حكى لي القاضي. وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ب): والمصرة أن يصر ضرع الشاة حتى يجتمع لبنها، فيظنها المشتري غزيرة اللبن، ثم يظهر بخلاف ما ظن، وحديث أبي هريرة... وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٥١)، ومسلم (١٥٢٤) (٢٦)، وهو عند أحمد في «المسند» (٧٣٨٠) طبعة مؤسسة الرسالة.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش). قلت: والخلاف في هذه المسألة قديم، وقد قبل الأئمة حديث أبي هريرة، وليس هذا الموضع مكان بيان ذلك.

(٦) انظر «المنتظم»: ١٥٥/٩.

و[فيها]^(١) في ربيع الآخر، دَخَلَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ شَاهِ بَغْدَادَ، وَاصْطَادَ فِي طَرِيقِهِ صَيْدًا كَثِيرًا، وَبَعَثَ إِلَى الْخَلِيفَةِ أَرْبَعِينَ ظِيًّا عَلَى أَرْبَعِ جَمَّازَاتٍ^(٢)، وَكَانَ [عَلَى]^(٣) الطُّبَاءِ وَسَمِ السُّلْطَانِ مَلِكُ شَاهٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَصِيدُ الْغَزْلَانَ، فَيَسِمُهَا وَيُطْلِقُهَا^(٤).

وَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ وَزِيرَهُ أَبَا الْمَعَالِي إِلَى مُحَمَّدِ شَاهٍ يَهْنُتُهُ بِقُدُومِهِ، وَحَمَلَ مَعَهُ شَيْئًا مِنْ مَلَابِسِ الْخَلِيفَةِ، وَمَجْلَدًا بِخَطِّ الْخَلِيفَةِ يَشْتَمِلُ عَلَى أَدْعِيَةٍ عَنْ جَدِّهِ الْعَبَّاسِ، فَقَامَ السُّلْطَانُ، وَدَعَا لِلْخَلِيفَةِ وَشَكَرَهُ.

وَخَرَجَ السُّلْطَانُ مِنْ دَارِهِ، وَمَضَى إِلَى مَشْهَدِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَاجْتَمَعَ الْفُقَهَاءُ وَالْعُلَمَاءُ عَلَى بَابِ الْمَشْهَدِ، فَقَالَ لِلْحَاجِبِ: قُلْ لَهُمْ: هَذَا يَوْمٌ قَدْ عَزَمْتُ فِيهِ عَلَى الْإِنْفِرَادِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، فَخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَهُ. وَأَمَرَ بِغَلْقِ الْأَبْوَابِ وَمَنْعِ الْأَمْوَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الدُّخُولِ، وَأَقَامَ يَصَلِّي وَيَدْعُو وَيَخْشَعُ، وَأَعْطَاهُمْ خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ، وَقَالَ: اصْرَفُوهَا فِي مَصَالِحِهِمْ.

وَسَلَكَ الطَّرِيقَ [السَّلِيمَ، وَالصَّرَاطَ]^(٥) الْمُسْتَقِيمَ؛ فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ مَرَضَ عَشْرَةً مِنْ غِلْمَانِهِ الصُّغَارِ، فَبَعَثَ بِهِمُ الْمُتَوَلَّى لِأُمُورِهِمْ إِلَى الْمَارِسْتَانِ الْعَضْدِيِّ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَبَعَثَ بِمِائَةِ دِينَارٍ، وَقَالَ: تُصْرَفُ فِي مَصَالِحِ الْمَارِسْتَانِ^(٦).

وَمِنْهَا أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا فَرَأَى عَلَى بَابِهِ أَرْبَعَ مِائَةٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ، فَأَمَرَ بِكِسْوَتِهِمْ جَمِيعًا. وَمِنْهَا أَنَّهُ أَمَرَ مُنَادِيَهُ، فَنَادَى: لَا يَظْلِمَنَّ أَحَدٌ أَحَدًا، وَلَا يَنْزِلَنَّ أَحَدٌ فِي دَارِ أَحَدٍ. وَلَقَدْ جَاءَ بَعْضُ غِلْمَانِ الْأَتْرَاكِ إِلَى بَيْتِ لِبَعْضِ الضِّيَاعِ فِيهِ تِبْنٌ، فَقَالَ: يَبْعُونِي عِلَاقَةَ تِبْنٍ. فَقَالُوا: التِّبْنُ مَا يَبَاعُ، هُوَ مَبْذُولٌ لِلصَّادِرِ وَالْوَارِدِ، فَخُذْ مِنْهُ مَا أَحْبَبْتَ. فَأَبَى، وَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَبِيعَ رَأْسِي بِمِخْلَاةِ تِبْنٍ، فَإِنْ أَخَذْتُمْ ثَمَنَهُ، وَإِلَّا انْصَرَفْتُ. فَبَاعُوهُ بِمَا طَلَبَ^(٧).

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) الجمازات جمع، مفردها جمازة، وهي مركب سريع يتخذه الناس، شبه العجلة التي تجرها الخيل، ويقال للناقة كذلك جمازة. انظر «المعجم الوسيط»: ١/ ١٣٥.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٤) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٥.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في هامش (ب) ما نصه: «كان السلطان محمد شاه رحمه الله عادلاً عابداً، عالماً خيراً ديناً، رؤوفاً رحيماً، متمسكاً بأحكام الشريعة غير أنه كان غضوباً سيئ الخلق مع هذه الخلال الحسنة، رحمه الله».

(٧) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٥ - ١٥٦.

[فصل : وفيها قتل صدقة ابن مزيد صاحب الحلة، وسنذكره]^(١)

وفيها ولّى الخليفة القاضي أبا العباس ابن الرّطبي^(٢) حِسبة بغداد، وعزّل عنها أبا سعد ابن الحُلواني^(٣).

وفي رمضان عزّل الوزير ابن المُطلب، ثم أعيد.

وعزّل أبو جعفر ابنُ الدّامغاني عن حِجبة الباب، واستُئيب أبو العزّ المؤيّد^(٤).

وفيها ظهّرت ببغداد صبيّة عمياء تتكلّم على أسرار النّاس، فكانت تُسأل عن نقوش الخواتيم وما عليها، وألوان الفصوص، وصفات الأشخاص إلى غير ذلك. [فأشكل هذا على العلماء والفُقهاء والخواصّ والعوام حتى قال عليّ بن عَقيل^(٥) الحنبلي : ليس في هذا إلا أنه خصيصة من الله سبحانه كخواص النّبات والأحجار، فَخُصّت هذه بإجراء ما يجرى على لسانها من غير اطلاع على البواطن^(٦)].

قلت : وأين ما يدّعيه ابنُ عَقيل من الغوص على الدّقائق، والوقوف على الحقائق، فإنّا قد رأينا مثل هذا كثيراً، يَقِفُ إنسانٌ من بعيد، ويوقف صبيّاً بعيداً عنه، فإذا جاء إنسانٌ إلى الرّجل، فَيُسِرُّ إليه بِسِرٍّ، فيصيح الرّجل بالصّبي : يا بيان، فيقول : نعم، فيقول : ما تقول في كذا وكذا؟ فتارة يصيبُ، وتارة يخطئ، وإنما يدرك الصّبيّ ما يدرك بمطابقة بينه وبين الرّجل بإشاراتٍ وحروف معروفة، والدّليلُ عليه أنّهم لما ذكروا هذه الصّبيّة قالوا في أثناء قِصّتها : قد ثَبَتَ بالتّواتر أنّ جميع ما تتكلّم به لا بُدَّ من مشاركة

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) سترد ترجمته في وفيات سنة (٥٢٧هـ).

(٣) في النسخ الخطية : «أبا سعيد»، وهو تحريف، وأبو سعد هو يحيى بن علي بن الحسن الحلواني، كان من أئمة الفقهاء الشافعية، ولد سنة (٤٥٠ أو ٤٥١هـ)، وأرسله المسترشد إلى الخاقان محمد بن سليمان صاحب ما وراء النهر، فتوفي بسمرقند سنة (٥٢٠هـ). انظر ترجمته في «الأنساب» للسمعاني : ١٩٢/٤، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق مج ١ / ج ٣ / ٥٥ - ٥٧، و«سير أعلام النبلاء» : ٥١٧/١٩، و«طبقات الشافعية» للسبكي : ٣٣٣ / ٧ - ٣٣٤.

(٤) انظر «المنتظم» : ١٥٧/٩.

(٥) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥١٣هـ).

(٦) انظر «المنتظم» : ١٥٧/٩ - ١٥٨.

أبيها في ذلك، فيقول: ما تقولين في يد فلان؟ وما الذي قد جاءه فلان، أو هذا الرجل؟ فتجيبُ على مقدار ما اتَّفقا عليه من التَّراجُم، أو يكون من باب السُّخر، وليس من باب الكرامات، لأنَّ شرائط الكرامات معروفة^(١).

وفيها^(٢) سار بغدوين إلى ظاهر صور، ونزل قريباً منها، وشرعَ في بناء حصن على تلِّ المعشوقة، وأقام شهراً، فقاطعه والي صور على سبعة آلاف دينار، فأخذها ورَحَلَ^(٣).

وفي شعبان اشتدَّ الأمرُ بفخر المُلْك صاحبِ طرابُلُس من مجيء الفرنج وتمادي العساكر إليه^(٤)، فخرَج من طرابُلُس في خمس مئة فارس وراجل، ومعه هدايا وتُحف أعدّها للخليفة والسُّلطان، فجاء إلى دمشق، ونزل بظاهرها، والتقاء طُغتكين، وأكرمه وخدمه، وحَمَلَ إليه الهدايا والألطف، وكذا جميع الأمراء، وكان لَمَّا خَرَج من طرابُلُس استتاب ابنُ عمِّه أبا المناقب ووجوه أصحابه في حفظها، وأطلقَ لهم واجبَ سِتَّة أشهر، واستخلفهم وتوثق منهم، فعصاه ابنُ عمه، وأظهر شعار الأفضل^(٥)، وعَلِمَ فخرُ المُلْك، فكتبَ إلى أصحابه يأمرهم بالقَبْض عليه، وحَمَلَهُ إلى حصن الخوابي، ففعلوا به ذلك.

وسار فخرُ المُلْك إلى بغداد ومعه تاجُ الملوك بُوري بن طُغتكين، وكان جماعةً ممن يَحْسُدُ طُغتكين قد سَعَوْا به إلى السُّلطان ليُفْسِدُوا حاله عنده، فأصَحَبَ ولده من الهدايا والتُّحف والخيول والثياب وغير ذلك مما يحسن إنفاذه، واستوزَرَ له أبا النُّجم هبة الله ابن محمد بن بديع الذي كان مستوفياً لتاج الدَّولة^(٦)، وجَعَلَهُ مُدَبِّراً لأمره، وسفيراً بينه وبين مَنْ أنفذ إليه، وتوجَّها في رمضان، فلما وصلا بغداد لقي فخر المُلْك من السُّلطان من الإكرام والاحترام ما زاد على أمله، وتقدَّم إلى جماعةٍ من أكابر الأمراء بالمسير معه لمعونته وإنجاده، وأمرهم بالإلمام بالمَوْصِل، وانتزاعها من يد جاولي سقاوة، ثُمَّ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (م): فصل وفيها.

(٣) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٥٥، و«الكامل» لابن الأثير: ٤٥٥/١٠ - ٤٥٦.

(٤) كذا في النسخ (ع) و(ب)، وعند ابن القلانسي: «وتمادي الترقب لوصول الإنجاد، وتمادي تأخر الإسعاد».

(٥) هو أمير الجيوش بمصر أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الجمالي، وسترده ترجمته في وفيات سنة (٥١٦هـ).

(٦) يعني تاج الدولة تُش بن ألب أرسلان، وقد قتل سنة (٤٨٨هـ)، وسلفت أخباره ثمة.

المسير إلى طرابُلُس، وطال مقام فخر المُلك طولاً ضَجِرَ معه، وعاد إلى دمشق في المحرم سنة اثنتين وخمسة مئة.

وأما تاج الملوك بُوري، فإنه لقي من السُلطان كل ما يَسُرُّه، وخَلَعَ الخليفة والسُلطان عليه، وعاد إلى دمشق [في آخر ذي الحجة].

ولما عاد ابنُ عمار إلى دمشق^(١)، وأقام بها أياماً سار إلى جبلة، فدَخَلها وأطاعه أهلها، وأنفذ أهل طرابُلُس إلى الأفضل بمصر يلتمسون إنفاذَ والٍ يَصِلُ إليهم في البحر ومعه الغلَّة والميرة ويتسلَّم البلد، فبعث إليهم شَرَف الدولة بن أبي الطَّيِّب، فلما حَصَلَ بها؛ قبضَ على جماعة فخر الملك ابن عَمَّار وأصحابه وذخائره وأمواله، وبعث بها إلى مصر^(٢).

وفيها خَرَجَ بغدوين من القُدس، فنَزَلَ على صيدا وضايقها، وجاء الأسطول من مصر، فدَفَعَه عنها، فعاد إلى القُدس^(٣).

وفيها أغار طُغْتِكِين على طبرية، وكان بها جرفاس مقدَّم الفرنجية، وكان من أكبر الملوك، فخرج من طبرية، والتقوا، فقتَلَ أتابكُ منهم مَقْتَلَةً عظيمة، وأسر جرفاس وخواصه، فبَذَلَ في نفسه أموالاً عظيمة، فلم يَقْبَل منه، وبعث به وبأصحابه هديةً إلى السُلطان^(٤). وفيها توفي

الحسين بن أحمد بن النِّقَّار، أبو الطَّاهر^(٥)

ولد بالكوفة، ونشأ ببغداد، وقرأ الأدب، ثُمَّ انتقلَ إلى دمشق، ومات بها، وكان فاضلاً شاعراً، ومن شِعره: [من السريع]

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٥٧-٢٥٨، و«الكامل»: ٤٢/١٠ - ٤٤.

(٣) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٦٠، و«الكامل»: ٤٥٦/١٠.

(٤) في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٥٨-٢٥٩ أن طُغْتِكِين قتل جرفاس، وبعث بعض أصحابه الأسرى هديةً للسُلطان.

(٥) لم أقف على من ترجم له سوى ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ١٩٦/٥، وقد استقى ترجمته من كتابنا «مرآة الزمان».

وزائرٍ زارَ على غفلةٍ وقد أَمَاطَ الصُّبْحُ ثوبَ الظَّلامِ
راحَ وقد سَهَّلَتِ الرَّاحُ مِنْ أخلاقِهِ ما كان صَعْبَ المَرَامِ

حَيْدَرَةُ بْنُ أَبِي الْغَنَائِمِ^(١) الْمُعَمَّرُ^(٢)، أَبُو الْفُتُوحِ الْعَلَوِي

نقيبُ الطَّالِبِينَ ببغداد، كان عفيفاً، دَيِّناً، غَزِيرَ الأدب، حَسَنَ الصُّورَةِ، أقام نقيباً اثنتي عشرة سنة، وعاش نيافاً وثلاثين سنة، وقام بعده أخوه أبو الحسن عليُّ بن أبي الغنائم.

صَدَقَةُ^(٣) بْنُ مَنْصُورِ بْنِ دُبَيْسٍ

ابن مَزِيد، أبو الحسن، سَيْفُ الدَّوْلَةِ، الأمير^(٤)، صاحبُ الحِلَّةِ^(٥). كان كريماً، عفيفاً عن الفواحش، كأن عليه رقيباً من الصِّيَانَةِ؛ لم يتزوَّج على زوجته قَطُّ، ولا تَسَرَّى، ولم يشرب مُسْكراً قَطُّ، ولا سَمِعَ غِنَاءً، ولا قَصَدَ التَّنَوُّقَ^(٦) في طعام، ولا صادرَ أحدًا، وكان تاريخَ العَرَبِ والأماجد، وكانت دارُهُ ببغداد حَرَمًا للخائفين، وملجأً لللائذين.

ذِكْرُ مَقْتَلِهِ:

كان سُرْخَابُ الدَّيْلَمِيِّ الْحَاجِبِ قد خاف من السُّلْطَانِ [فاستجارَ به، فطلبه السُّلْطَانُ]^(٧)، فامتنع من تسليمه، فحاربه، وكان مع صَدَقَةِ عَشْرُونَ أَلْفًا، وسار إليه عَسْكَرُ السُّلْطَانِ، والتقوا

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٥٨/٩ - ١٥٩، و«الوافي بالوفيات»: ٢٢٨/١٣ وفيه وفاته سنة (٥٠٢هـ) - و«الجواهر المضية»: ١٦٠/٢.

(٢) في (ع) و(ب): بن المعمر، بزيادة «ابن»، والصواب حذفها، لأن أبا الغنائم هي كنية أبيه معمر.

(٣) في (م) و(ش): وفيها قتل صدقة.

(٤) في (م) و(ش): الأمير أبو الحسن الأسدي الملقب بسيف الدولة صاحب الحِلَّة.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٥٩/٩، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق ج ٤/م ١٦٣ - ١٦٩، و«أخبار الدولة

السلجوقية»: ٨٠ - ٨١، و«الكامل»: ٤٤٠/١٠ - ٤٤٩، و«وفيات الأعيان»: ٤٩٠/٢ - ٤٩١، و«سير أعلام

النبلاء»: ٢٦٤/١٩ - ٢٦٥، وفيه تنمة مصادر ترجمته، وانظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٥ من هذا الجزء.

وقد وهم العلامة محمد بهجة الأثري في وفاته، فجعلها سنة ٥٥١هـ انظر «الخريدة» ص ١٦٥.

(٦) أي لم يجود ويبالغ فيه، من تنوَّق في الأمر بمعنى تأنَّق فيه، انظر «اللسان» (نوق).

(٧) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

بعد صلاة الجمعة سادس رجب، فجعل صدقة ابنه دُبَيْس في الميمنة، ومعه سعيد بن حُميد في بني خَفَاجَة وجماعة من الأكراد، وفي مقابلهم من عسكر السلطان البرُسُقي والسَّعدية، وفي مَيْسرة صدقة ابنه بَذْران، ومعه عبادة بأسرها، وفي مقابلتهم [من عسكر السُّلطان]^(١) أحمديل وجماعة من الأمراء، ووقف [سيف الدولة]^(١) صدقة في القلب، ومعه سرخاب الدَّيْلَمي، فَحَمَلَ البرُسُقي، وَثَبَّتْ مَيْمَنَتُهُ وَمَيْسَرَتُهُ في أماكنها، وأما صدقة فوقعت خيله في الوَحْل [والماء والطين]^(١) وكان [قد]^(١) بَثَقَ^(٢) البثوق [في موضع يقال له ريفانيا]^(١) وتقاعد جماعة من العَرَب عنه، فكشَفَ [صدقة]^(١) رأسه وصاح: يا آل خُزَيْمة، يا آل نَاشِرة، يا آل عَوْف، أنا حاج^(٣) الملوك، أنا ملك العرب، النار ولا العار، وقاتل قتالاً شديداً، فَرَشَقَتُهُ الْعَجَمُ رَشَقَةً واحدة، فَخَرَجَ منهم عشرة آلاف نُشَابَة، فجاءه سَهْمٌ فوق في ظَهْرِهِ، وسقط إلى الأرض، فنزل غلامٌ من السَّعدية، فَحَزَّ رأسه ولم يَعْرِفه، وانهزم أصحابُه وأسر ابنه دُبَيْس وسُرخاب الدَّيْلَمي [الذي كان سبب الفتنة]^(١) وكانت القتلى من الفريقين ثلاثة آلاف وزيادة، وأخذ من خيمة صدقة خمس مئة ألف دينار، وجواهر لها قيمة، وكان عمره ستاً وخمسين سنة، وإمارته اثنتي عشرة سنة، وَحُمِلَ، فَدُفِنَ في مشهد الحسين عليه السَّلام^(٤).

وقال ابنُ القَلانسي في سنة إحدى وخميس مئة: وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ بوصول عسكر السُّلطان محمد إلى بغداد في آخر شهر ربيع الآخر، وأعلنَ صدقةً بالعِصيان خوفاً منه لِمَا بَلَغَهُ من إفساد شِخْنَةِ بغداد وعميدها حاله معه، ولم يَزَلِ السُّلطان مقيماً ببغداد إلى العشرين من شهر رجب، فاجتمع تقدير ثلاثين ألف فارس، واجتمع مع صدقة مقدار

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) البثق: كسرك شط النهر لينشق الماء، «اللسان» (بثق)، ريفانيا هكذا استظهرتها، وفي «الوافي بالوفيات»:

٢٩٨/١٦ زرفيمياء، ولعله محرف عن زرفانية، وهي قرية كبيرة غربي دجلة قرب النعمانية، ويقال لها

زرفامية، انظر «معجم البلدان» ٣/ ١٢٤، ١٣٧.

(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي «المنتظم» أنا تاج الملوك.

(٤) انظر «المنتظم»: ١٥٦/٩ - ١٥٧.

وفي (م) و(ش): وروي أن صدقة كان بينه وبينهما - يعني عسكر أحمديل - أنهار وسواحل (كذا) قلت:

وسياتي نحو هذه العبارة في الأسطر التالية نقلاً عن ابن القلانسي.

عشرين ألفاً في الحِلَّة، وبينهما أنهارٌ ومواحل^(١)، فأثر السلطان مصالحته، والصَّفَح عنه، وإيقاع موادعته، فأبى ذلك كافةُ الأمراء والمُقَدِّمين، ونهضُوا إليه، فلما عَرَفَ ذلك قَطَعَ الأنهار، ووَصَلَ في جَمْعِهِ حتى صار بإزائهم، وكان منزله كثيرَ الوَحَلِ، عَسِرَ المجال، فترَجَّل الأتراك عن خيولهم، وجَثُوا على رُكَبِهِمْ، وأطلقوا السَّهام، فانهزم أصحابُ صَدَقَةٍ، وركب التُّرك أكتافهم، وقتلوا منهم خَلْقاً كثيراً، وقَتَلَ صَدَقَةٍ في الجُمْلَةِ، ووجوه رجاله، ولم يُقَلتْ منهم إلا اليسير، وكان السلطان قد اعتمد في ترتيب الجيش على الأمير مودود المستشهد بيد الباطنية بجامع دمشق، ووصل السلطان من غَدِ يوم الوقعة، ونَزَلَ الحِلَّة.

ولم يكن في العرب مثلُ صَدَقَةٍ في البيت والتَّقَدُّم والإحسان، وحُسْنِ السَّيرَةِ، والإنصاف والكَرَم، وجزيلِ العطاء، وشِدَّةِ الوفاء، والصَّفَح عن الكبائر، والتَّعَفُّفِ عن أموال الرِّعية، إلا أنه كان مع هذه المآثر مُطَرِّحاً لفرائض الشريعة، متغافلاً عن ارتكاب المحارم الشنيعة، مُسْتَحْسِناً لِسَبِّ الصَّحابة رضي الله عنهم، فكان ما نَزَلَ به عاقبة ذلك^(٢). ثم إنَّ السلطان أَطْلَقَ ولده دُيُّسًا، واستخْلَفَه على الإخلاص والطَّاعة.

السنة الثانية وخمس مئة

[و]^(٣) فيها فَوَّضَ السلطان محمد إلى بهروز الخادم عِمارة العراق، فشرَعَ في تَتْمَةِ جامع السلطان، وحَفَرَ الأنهار، وِكْرَاءِ^(٤) السَّواقِي، فَعَمَّ الرُّخْصُ [العراق]^(٥)، وبنى [بهروز الخادم]^(٥) رِبَاطاً للصُّوفية قريباً من النُّظامية، وهو قائمٌ إلى الآن^(٦). وبعَثَ الخليفةُ إلى أصبهان، فاستدعى أبا القاسم عليَّ بنَ جَهِير، وولَّاه الوِزارة، وعَزَلَ ابنَ المُطَّلِب في شعبان^(٧).

(١) في النسخ الخطية: وسواحل، وهو تحريف، والمثبت من «ذيل تاريخ دمشق».

(٢) «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٥٥ - ٢٥٦، وانظر «الكامل»: ١٠/٤٤٠ - ٤٤٩.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) أي حفرها وإخراج طينها. «اللسان» (كري).

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) انظر «المنتظم»: ١٥٩/٩.

(٧) انظر المصدر السالف.

وتزوَّج الخليفةُ بنتَ السُّلطانِ مَلِكِ شاهِ أُخْتِ محمد شاه، وتولَّى العَقْد من ناحية محمد [شاه]^(١) وزيره سعيد بن نظام المُلْك^(٢)، ومن ناحية الخليفة الوزير نظام الدين أحمد بن نظام المُلْك، وخطَبَ أبو العلاء صاعد بن محمد الفقيه الحنفي.

وفيهما أخذت الفرنج طرابُلس - وقيل في السَّنة الآتية^(٣) - اجتمع عليها ملوكهم ريمند ابن صنجيل في ستين مركباً في البحر مشحونة بالمقاتلة، وطنكري صاحب أنطاكية، وبغدوين صاحب القُدس، وشرعوا في قتالها، وضايقوها منذ أول شعبان إلى حادي عشر ذي الحِجَّة، وأسندوا أبراجهم إلى السُّور، فلما رأى مَنْ بها من العسكر وأهل البلد ذلك سَقَطَ في أيديهم، وأيقنوا بالهلاك مع تأخُّر أسطول مصر عنهم، وكان كلما سار الأسطول نحوهم رَدَّتْهُ الرِّيح إلى مصر، فلمَّا كان يوم الاثنين هَجَمَها الفرنج ونهبوها، وأسروا رجالها، وسَبَوْا نساءها، وأخذوا أموالها وذخائرها مما لا يُحصى ولا يُحصَر، واقتسموها بينهم، وساروا إلى جَبَلَة^(٤)، وبها فخرُ المُلْك بن عَمَّار، فتَسَلَّموها بالأمان في ثاني عشري ذي الحِجَّة، وخرَجَ منها ابنُ عَمَّار سالماً، ووصل حينئذٍ الأسطول المصري، ولم يخرج فيما تقدَّم من مصر مثله، فوجدوا البلد قد أخذ، فعادوا إلى مصر، وجاء ابنُ عمار إلى شِيزَر، فأكرمه صاحبُها سُلطان بن علي ابن مُنْقِذ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) لم أجد في أولاد نظام الملك من اسمه سعيد، ولا من ولي الوزارة للسُّلطان محمد من تسمَّى بهذا الاسم، وقد جاء الخبر في «الكامل»: ٤٧١/١٠ على النحو التالي «وفيهما في شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله ابنة السُّلطان مَلِك شاه، وهي أخت السُّلطان محمد، وكان الذي خطب خطبة النكاح القاضي أبو العلاء صاعد ابن محمد النيسابوري الحنفي، وكان المتولي لقبول العقد نظام الملك أحمد بن نظام الملك وزير السُّلطان بوكالة من الخليفة، وكان الصداق مئة ألف دينار، ونثرت الجواهر والدنانير، وكان العقد بأصبهان».

قلت: انظر عن أولاد نظام الملك، «معجم الأنساب» لزمامبور: ٣٣٦، وانظر كذلك «المنتظم»: ١٥٩/٩ - ١٦٠.

(٣) وهو ما اعتمده ابن الأثير في «كامله»: ٤٧٥/١٠.

(٤) في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦٢، ٢٦٤: «والكامل»: ٤٧٦/١٠: جُبيل، وهو وهم، صوابه جَبَلَة كما ورد هنا، إذ إن جُبيل قرب بيروت، وأما جبلة فقرب اللاذقية، ومن المعروف أن ابن عمار استولى على جبلة سنة (٤٩٤هـ)، وسار إليها عقب عودته من بغداد سنة (٥٠٢هـ) - وقد سلف ذلك في حوادثهما - واستيلاء الفرنج على جُبيل إنما كان سنة (٤٩٧هـ)، وقد ذكر ذلك ابن الأثير في «كامله»: ٣٧٢/١٠، وانظر «تاريخ الحروب الصليبية» لرنسيما (الترجمة العربية): ١٠٦/٢.

واحترمه، وعَرَضَ عليه المُقَام عنده، فأبى، وتوجَّه إلى دمشق، فأكرمه طُغْتِكِين، وأنزله في دارٍ، وأقطعهُ الزَّبداني^(١) وأعماله^(٢).

ووقعت مهادنة [بين]^(٣) بغدوين صاحب القُدس، وبين طُغْتِكِين [صاحب دمشق]^(٣) على أن يكون السَّواد وجبل عوف مثالثة، الثُّلث للفرنج، والباقي للمُسلمين^(٤). وفيها توفي

إسماعيل بن إبراهيم بن العَبَّاس^(٥)

ابن الحسن، أبو الفضل الحُسَيْنِي، ابن أبي الجَنِّ، ولي القضاء بدمشق، وكان فاضلاً صدوقاً.

تميم بن المُعِزِّ بن باديس^(٦)

أبو يحيى، صاحب إفريقية، وينتهي نَسَبُهُ إلى يَعْرُب بن قَحْطَان^(٧).

ولد سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة، وعاش ثمانين سنة، وأقام والياً ستاً وأربعين سنة، وخلف مئة وستين ولداً لصلبه لأنه كان مُغرًى بالجواري مع اهتمامه بالملك، وقيل: مات له خمسون ولداً، وكان مقامه بالمَهْدِيَّة، وكان عظيم القَدْرِ، شاعراً، فصيحاً، [وله ديوان بالمغرب، وكان جَوَاداً مُمدَّحاً^(٨)، مدحه خَلْقٌ كثير، منهم حُميد

(١) تبعذ الزبداني عن دمشق ٤٤ كم باتجاه الشمال الغربي، وهي مصيف جميل.

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦١ - ٢٦٤، و«الكامل»: ١٠ / ٤٧٥ - ٤٧٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٣١١ / ١٩.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٤) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٥) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٨٢٥ / ٢ - وفيه وفاته سنة (٥٠٣ هـ)، وولد سنة (٤٢٠ هـ) - و«الوفيات»: ٦٣ / ٩، و«النجوم الزاهرة»: ١٩٨ / ٥.

(٦) له ترجمة في «الخريدة» قسم شعراء المغرب: ١٤١ / ١ - ١٦٠، و«الكامل»: ١٠ / ٤٤٩ - ٤٥١، و«الحلّة السَّيِّراء»: ٢١ / ٢ - ٢٦، و«وفيات الأعيان»: ٣٠٤ / ١ - ٣٠٦، و«البيان المغرب»: ١ / ٢٨٨ - ٢٩٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٦٣ / ١٩ - ٢٦٤، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٧) ساق العماد الأصبهاني في «الخريدة» نسبه بتمامه، ونقله عنه ابن خلكان في «وفياته»: ٣٠٤ / ١.

(٨) في (ع) و(ب): جواداً مُمدَّحاً، مدحه خلق كثير، وله «ديوان» بالمغرب، فمنه يقول، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ابن سعيد^(١)، وهو الذي جمع شعر تميم وبينه وشرحه ودونه، وقد وصل من شعره إلى الشام، فمنه: [من الوافر]

أَتَسْقِينِي وَتُسَكِّرُنِي بِلَحْظِ فلي سُكْرانٍ مِنْ هذا وهذا
فإنَّ كانَ المُرَادُ بِذاكَ قَتْلِي على حُبِّيكِ صَبْرًا كانَ ماذا
وقد فَنِيَتْ دُمُوعِي مِنْ جُفُونِي فأَمْسَى وَبَلُّ أَجْفَانِي رَذاذاً^(٢)

وقال حميد بن سعيد: جلستُ بين يديه يوماً، فقال: قد عملت أبياتاً، وأنشد: [من

البسيط]

عَاهَدْتَنِي عَهْدَ مَنْ لِلْعَهْدِ^(٣) يَنْكُثُهُ فَصِرْتُ تَأْخُذُ فِي طُرُقِ المَناكِثِ^(٤)
حَدَّثْتَنِي بِأَحاديثٍ مُنَمِّمةٍ^(٥) فما حَصَلْتُ على غير الأحاديثِ
فالوَعْدَ يَنْشُرُنِي والخُلْفُ يَقْتُلُنِي فَصِرْتُ ما بَيْنَ مَقْتُولٍ وَمَبْعُوثٍ^(٦)

[ثم قال آخر، فقال حميد: فقلتُ]^(٧): [من البسيط]

يا مَنْ حُرِمْتُ وِصالاً مِنْهُ يُنْعِشُنِي وصرتُ أَقْنَعُ مِنْهُ بالأحاديثِ
إِنِّي تَشَبَّثْتُ لَمَّا أَنْ هُجِرْتُ فما بغيرِ طُولِ الأَسَى والهَجْرِ تَشْبِيثِي^(٨)
اللهَ في هَجْرِ مَقْتُولٍ أَضَرَّ بِهِ^(٩) وَجَدُّ عَلَيْكَ وَمَيِّتٍ غيرِ مَبْعُوثٍ^(١٠)

وقيل: إنه مات سنة إحدى وخمسة مئة، وقام مقامه ولده يحيى.

(١) ترجم له العماد في «الخريدة» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٦٠ - ١٦٤، وأورد له مقتطفات من شعره.

(٢) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٤٧.

(٣) في (ع) و(ب) للعقد، والمثبت من (م) و(ش).

(٤) طرق جمع، مفردا طريق، وسكنت الراء لضرورة الشعر، والمناكث جمع تكسير لناكث، وكأنه جمعه كذلك لضرورة الشعر، إذ الجادة فيه الجمع السالم.

(٥) في «الخريدة» منمقة.

(٦) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٦٠.

(٧) في (ع) و(ب): ثم قال آخر، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٨) في (ع) جاء هذا البيت أول الأبيات.

(٩) في (ش): الله في قتل مهجور أضرب به.

(١٠) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٦١ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

الحسن العلوي^(١)

أبو هاشم، رئيس هَمَذَان، كان جَوَاداً، مَمُولاً، شجاعاً، صاحب صدقات وصِلات، نُقِلَ إلى محمد شاه عنه شيءٌ، فصَادَرَه على تسع مئة ألف دينار أَدَاها في نِيْفٍ وعشرين يوماً، ولم يَبِعْ فيها عَقاراً ولا مِلْكَاً.

صاعد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو العلاء^(٢)

القاضي الحَنَفِي، مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ، وَقِيلَ: مِنْ بُخَارَى، وَلَدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَع مِئَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ [بِأَصْبَهَانَ وَبَغْدَادَ وَمَكَّةَ]^(٣)، وَبَرَعَ فِي الْفِقْهِ [عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ حَتَّى صَارَ مَفْتِيَّ أَهْلِ أَصْبَهَانَ]^(٣)، وَكَانَ صَالِحاً مُتَدِيناً [وَهُوَ الَّذِي خُطِبَ فِي عَقْدِ الْخَلِيفَةِ عَلَى أُخْتِ^(٤) مُحَمَّدٍ شَاهٍ]^(٣). قَتَلَتْهُ الْبَاطِنِيَّةُ يَوْمَ الْفِطْرِ بِجَامِعِ أَصْبَهَانَ.

عبد الواحد بن إسماعيل^(٥)

ابن أحمد بن محمد^(٦)، أبو المحاسن [الرُّوْيَانِي]^(٧)، مِنْ أَهْلِ طَبْرِسْتَانَ. وَلَدَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَأَرْبَع مِئَةٍ، وَرَحَلَ إِلَى الْأَمْصَارِ، وَعَبَرَ النَّهْرَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَتَفَقَّهَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَكَانَ يَقُولُ: لَوْ احْتَرَقَتْ كُتُبُ الشَّافِعِيِّ لَأُمْلِئْتُهَا مِنْ حِفْظِي. وَلَهُ الْكُتُبُ الْحَسَنَةُ [الْمَشْهُورَةُ]^(٣)، قُتِلَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ بِأَمْلٍ^(٨) شَهِيداً.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٦٠/٩، و«الكامل»: ٤٧٢/١٠، و«النجوم الزاهرة»: ١٩٩/٥.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٦٠/٩، و«الكامل»: ٤٧٢/١٠، و«العبر» للذهبي: ٤/٤، و«الجواهر المضية»: ٢٦٧/٢ - ٢٦٨، و«شذرات الذهب»: ٤/٤، و«الفوائد البهية»: ٨٣ - ٨٤.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (م) و(ش): بنت، وهو تحريف، وانظر ص ٢٧ من هذا الجزء.

(٥) له ترجمة في «المنتخب من السياق» للصريفيني: ٥٢٠، و«الأنساب»: ١٨٩/٦ - ١٩٠، و«المنتظم»: ١٦٠/٩، و«معجم البلدان»: ١٠٤/٣، و«الكامل»: ٤٧٣/١٠، و«وفيات الأعيان»: ١٩٨/٣ - ١٩٩، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ١٩٣/٧ - ٢٠٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٦٠/١٩ - ٢٦٢، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٦) في «المنتخب» و«معجم البلدان»: عبد الواحد بن إسماعيل بن محمد بن أحمد.

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش). والرويان نسبة إلى رويان: وهي مدينة كبيرة من جبال طبرستان. انظر «معجم البلدان»: ١٠٤/٣.

(٨) آمل: هي أكبر مدينة بطبرستان، وبين آمل والرويان اثنا عشر فرسخاً. انظر «معجم البلدان»: ٥٧/١.

علي بن الحسين بن عبد الله [بن عُرَيْبَةَ] ^(١)، أبو القاسم الرَّبَّعي ^(٢)

[البغدادي، الفقيه، الشَّاعر] ^(٣).

ولد سنة أربع عشرة وأربع مئة، وتفقه [على أفضى القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، وأبي الطَّيب الطبري على مذهب الشَّافعي، وصحب ابن الوليد وغيره من شيوخ المعتزلة، فنسب إليهم، وكان شاعراً فصيحاً، وتوفي في رجب. وأنشد أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزاز، قال: أنشدنا الرَّبَّعي لنفسه هذه الأبيات] ^(٤): [من الكامل]

إِنْ كُنْتَ نِلْتَ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا مَعَ حُسْنِ وَجْهِكَ عِفَّةً وَشَبَاباً
فَاخْذَرْ لِنَفْسِكَ أَنْ تُرَى مُتَمَنِّياً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ تَكُونَ ^(٥) تُرَاباً ^(٦)
[وقد ذكره العماد الكاتب في «الخريدة»، وأبو سعد ابن السَّمْعاني في «الذيل»،
والحمد لله وحده] ^(٧).

هبةُ الله بنُ محمد بنِ البديع الهَمْدَانِي ^(٨)

وزير رضوان صاحب حلب، ثم استوزره طُغْتِكِين، ثم اتَّهمه، وكان في قلبه منه من أيام تاج الدولة، لأنه كان مستوفياً على البلاد، ونُقِلَ إلى طُغْتِكِين أَنَّهُ [كان] ^(٣) يكاتب

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «توضيح المشتبه»: ٢٥٥/٦.

(٢) له ترجمة في «الخريدة» قسم شعراء العراق: مج ١/٣ ج ٣/٣٠٣ - ٣٠٥، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٢٢٣/٧ - ٢٢٤، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩٤/١٩ - ١٩٥، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ع) و(ب): وتفقه على الماوردي والطبري، وصحب شيوخ المعتزلة، فنسب إليهم، ومن شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (م) و(ش): أن تصير.

(٦) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء العراق: مج ١/٣ ج ٣/٣٠٤، والبيت الثاني فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ سورة النبأ، الآية: ٤٠.

(٧) ما بين حاصرتين من (م)، وبنحوه في (ش).

(٨) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦١، و«مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور: ٦٨/٢٧، و«التاريخ العربي والمؤرخون» لشاكر مصطفى: ٢٨٤/٢.

رضوان، فقبض عليه واستأصله، وأقام أياماً في الاعتقال، ثم أمر بخنقه [فخنق]^(١) وأزمى في جب، ثم أخرج، فدُفِنَ بالمقابر.

يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام^(٢)

أبو زكريا الشيباني، الخطيب^(٣) التبريزي، أحد أئمة اللغة، وله التصانيف الحسان، شرح «الحماسة» في عدة نسخ: بسيط ووسيط ومختصر، وشرح المتنبي وغيره^(٤)، وكان عارفاً بالنحو واللغة، والأنساب، وأيام العرب، وكان نظام الملك يعظمه، وشغل أولاده بالأدب عليه، ورثب له الجامكية^(٥) بالنظامية يدرس بها العربية، وسمع الحديث زماناً، وتوفي لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة فجأة ببغداد، وصلى عليه أبو طالب الزينبي، ودُفِنَ إلى جانب أبي إسحاق الشيرازي بباب أبرز.

ورآه ابن الجواليقي في المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بتصنيف «كتاب إعراب القرآن».

وقال ابن ناصر: كان ثقةً فيما يرويه. وقال ابن خيرون: ما كان بمرضي الطريقة^(٦).

وقال أبو زكريا: كتب إلي العميد بن الفيّاض: [من مجزوء الرمل]

قُلْ لِيَحْيَى بِنِ عَلِيٍّ	وَالْأَقَاوِيلُ فَنُونُ
غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ مَنْ يَكُ	لِذِبْ فِيهَا وَيَخُونُ
أَنْتَ عَيْنُ الْفَضْلِ إِنْ مُدَّ	تُ إِلَى الْفَضْلِ عِيُونُ
أَنْتَ مَنْ عَزَّ بِهِ الْفَضْلُ	لُ وَقَدْ كَادَ يَهُونُ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٢١/٣، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٨/١٧٢ - ١٧٣، و«مختصره لابن منظور»: ٢٧/٢٨٧ - ٢٨٨، و«نزهة الألباء»: ٣٧٢ - ٣٧٤، و«المنتظم»: ٩/١٦١ - ١٦٣، و«معجم الأدباء»: ٢٥/٢٦ - ٢٦، و«إنباه الرواة»: ٤/٢٢ - ٢٤، و«وفيات الأعيان»: ٦/١٩١ - ١٩٦، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/٢٦٩ - ٢٧١، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٣) قال ياقوت في «معجم الأدباء»: ٢٥/٢٠: ابن الخطيب، وربما يقال له الخطيب، وهو وهم.

(٤) انظر ما طبع من آثاره في «المعجم الشامل»: ١/٢٣٧ - ٢٤٠.

(٥) الجامكية: الراتب، انظر «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى»: ٨٢.

(٦) انظر ما أخذ عليه في «معجم الأدباء»: ٢٧/٢٠.

فُقُتَ مَنْ كَانَ وَأَتَعَبَ
وَإِذَا قِيَسَ بِكَ الْكُلُّ
وَإِذَا فُتِّشَ عَنْهُمْ
قَدْ سَمِعْنَا وَرَأَيْنَا
إِنَّكَ الْأَصْلُ وَمَنْ دُو
إِنَّكَ الْبَخْرُ وَأَغْيَا
لَيْسَ كَالسَّيْفِ وَإِنْ حُلَّ
لَيْسَ كَالْقَدِّ الْمُعَلَّى
لَيْسَ كَالْجَدِّ وَإِنْ آ
لَيْسَ فِي الْحُسْنِ سَوَاءٌ
لَيْسَ كَالْأَبْكَارِ فِي اللَّظ
إِنَّ وَدِّي لَكَ عَمَّامَا
لَيْسَ لِي مِنْهُ ظَهْرٌ
غَلِقَ الرَّهْنُ^(٤) وَقَدْ تَغْ
وَمِنْ النَّاسِ أُمَيِّنُ
[فكتب إليه]^(٦): [من الكامل]

قُلْ لِلْعَمِيدِ أَخِي الْعُلا الْفَيَاضِ
شَرَّفْتَنِي وَرَفَعْتَ ذِكْرِي بِالَّذِي
إِنِّي أَتَيْتُكَ بِالْحَصَى عَنْ لَوْلُو

تَ لَعَمْرِي مَنْ يَكُونُ
فَصَّخْرُو وَدُجُونُ^(١)
فَالْأَحَادِيثُ شُجُونُ
فَسُسُهُوْلُ وَخُزُونُ
نَكَ فِي الْعِلْمِ غُضُونُ
نُ ذَوِي الْفَضْلِ عُيُونُ
يَ فِي الْحَكْمِ الْجَفُونُ
لَيْسَ كَالْبَيْتِ الْحَجُونُ
نَسَ هَزْلُ وَمَجُونُ
أَبْدَأُ بِبَيْضٍ وَجُونُ^(٢)
فَ وَإِنْ رَاقَتْكَ عُونُ^(٣)
يَصِمُ الْوَدَّ مَضُونُ
تَتَنَافَى وَبَطُونُ
لَمَقُ فِي الْحُبِّ الرُّهُونُ
فِي هَوَاهُ وَخَوُونُ^(٥)

أَنَا قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِكَ الْفَيَاضِ
أَلْبَسْتَنِيهِ مِنَ الثَّنَا الْقَضْفَاضِ
أَبْرَزْتَهُ عَنْ خَاطِرِ مُرْتَااضِ

(١) دجون جمع، مفردا الدَّجْن: وهو ظل الغيم في اليوم المطير. «اللسان» (دجن).

(٢) جُون جمع، مفردا جَوْن: وهو الأسود المُشْرَبُ مُخْمَرًا، والجون: الأبيض كذلك، وهو من الأضداد. انظر «اللسان» (جون).

(٣) عُون جمع، مفردا الْعَوَان، وهي من النساء الثَّيِّب، يعني التي كان لها زوج. انظر «اللسان» (عون).

(٤) غلق الرهن: أي بقي في يد المرتهن، ولم يقدر رآهته على تخليصه، انظر «اللسان» (غلق).

(٥) الأبيات في «المنتظم»: ١٦١/٩ - ١٦٢، و«وفيات الأعيان»: ١٩٤/٦ - ١٩٥.

(٦) في (ع)، وقال، والمثبت ما بين حاصرتين من (ب).

أيعارضُ البحرَ العُطامِطَ^(١) جَدُولُ
يا فارسَ النُّظَمِ المُرَصَّعِ جَوْهَرًا
لا تلزمني من ثنائِكَ موجباً
ولقد عَجَزْتُ عن القريضِ وربما
أنعم عليَّ ببسطِ عُذري إنني
أم دُرُّه يَفْتَسُ بِالرَّضْرَاضِ^(٢)
والنَّثْرِ يَكشِفُ غُمَّةَ الأُمراضِ
حقاً فلستُ لحقِّهِ بالقاضي
أغرَضْتُ عنه أيّما إعراضِ
أقررتُ عند نَدَاكَ بالإنفاضِ^(٣) ^(٤)

السَّنة الثالثة وخمس مئة

فيها هرب الوزير أبو المعالي ابن المُطَّلِب من دار الخليفة إلى دار المملكة هو
وولده، تَزَيًّا بزيِّ النِّساء، واستجارَ بدار السُّلطان^(٥).

وفي ربيع الآخر دخل السُّلطان محمد بغداد، ووثبَ [باطني] ^(٦) على وزيره نظام
الدين أحمد بن نظام المُلك، وهو في سمارية^(٧)، فضربه في عنقه بسكين، فجرَّحه،
وأخذ الباطني وسقي الخمر، فلمَّا سَكِرَ أَقَرَّ على جماعةٍ بمسجدٍ في المأمونية من
الباطنية، فأخذوا، وقتلوا، وقتلَ معهم، وأقام ابنُ نظام المُلك مُدَّةً وبرئ^(٨).

وفيها نزل الأمير سُكَّمان صاحب خِلاط على مَيَّافارقين، فأقام عليها سبعة أشهر،
وبها أتابك خُمرَ تاش، فسَلَّمها إليه، فدخلها، وأحسَنَ إلى أهلها، وأسَقَطَ عنهم
المكوس والضرائب، وعَمَرها، وولَّى بها مملوكه قُزْغلي^(٩)، وجعل معه خواجا
أثير الدَّولة أبا الفتوح، ثم عاد سُكَّمان إلى خِلاط، ومات سنة أربع وخمس مئة^(١٠).

(١) بحر عُطامِط: عظيم، كثير الموج. «اللسان» (غطمط).

(٢) الرضراض: الحصى الصُّغار. «اللسان» (رضض).

(٣) الإنفاض: الإفلاس، من أنفض القوم: هلكت أموالهم، والإنفاض المجاعة والحاجة. انظر «اللسان» (نفض).

(٤) الأبيات في «المنتظم»: ١٦٢/٩ - ١٦٣، و«وفيات الأعيان»: ١٩٦/٦.

(٥) انظر «المنتظم»: ١٦٣/٩، و«الكامل»: ٤٧٨/١٠.

(٦) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٧) ضرب من السفن. «تكملة المعاجم العربية» لدوزي: ١٤٢/٦.

(٨) انظر «المنتظم»: ١٦٣/٩، و«الكامل»: ٤٧٨/١٠.

(٩) كذا في (ع) و(م). وفي «تاريخ الفارقي» ١٠٨ غزغلي.

(١٠) ساق الفارقي وابن الأثير هذا الخبر في حوادث (٥٠٢هـ)، انظر «تاريخ الفارقي» ص ١٠٧ - ١٠٨،

و«الكامل» لابن الأثير: ٤٧١/١٠.

وفيها نهضت الفرنج على رَفْنِيَّة^(١)، وعَرَفَ طُغْتِكِينَ، فسار [بالعسكر]^(٢)، وخيَّم بإزائهم بِحِمَص، فلم يَقْدِرُوا على منازلة رَفْنِيَّة، وترددت بينهم مُراسلاتُ أَفْضَتْ إلى تقريرِ المِوَادعة، على أن يكون للفرنج ثُلثُ مُغَلِّ البِقَاع، وَيُسَلَّمُ إليهم حِصْنُ المُنَيَّطِرة^(٣) وحِصْنُ عَكَار^(٤)، وأن لا يتعرَّضوا لِحصنِ مصياث^(٥)، وحِصْنِ الأكراد^(٦)، وأن يَحْمِلَ إليهم عنهما وعن حِصْنِ الطُوفان^(٧) مَالاً، فأقاموا مُدَّةَ يسيرة، ثم عاد الفرنج إلى الفساد [في البلاد]^(٨).

وفيها عَزَمَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ شَاهٍ على غَزْوِ الفرنج، وَكَتَبَ في جُمَادَى الأولى إلى الأطراف يُخبرهم بعزمه [والاستعداد للجهاد، وَكَتَبَ إلى أتابك]^(٩) طُغْتِكِينَ أن يقيم مكانه بالعساكر حتى يَأْتِيهِ الإمداد [ويدبر أمور العساكر]^(٩)، فَعَرَضَتْ موانعُ [وعوائقُ] عاقته^(٩) عن ذلك.

فلَمَّا رَأَى طُغْتِكِينَ تأخُرَ العساكر سار إلى ناحية بغداد على طريق السَّماوة، ومعه فخر المُلْكِ بَنُ عَمَّار، ومعه من الهدايا والتَّحَفِ ما يَصْلُحُ للخليفة والسُّلْطَان، وكان قَصْدُهُ أن يُنْهِيَ إليهما ما يجري بالشَّام من الفرنج، ويحرِّضَ السُّلْطَان على الجهاد، فلَمَّا وَصَلَ وادي المِياه بلغه أَنَّ السُّلْطَان قَلَدَ الشَّامَ غَيْرَهُ، فَعَزَمَ على العُودِ إلى دمشق، وسَلَّمَ الهدايا إلى ابنِ عمار، وقال: توجَّه إلى بغداد، وأخبرهم بما أنا فيه، وما قد بلغني. فسار إلى بغداد، فالتقاء الخواصِّ، وسُرُّوا بقدومه، وظَهَرَ بُظْلَانُ ما قيل^(١٠).

(١) كورة من أعمال حمص. انظر «معجم البلدان»: ٥٥/٣.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٣) حصن قريب من طرابلس. «معجم البلدان»: ٢١٧/٥.

(٤) في (ع) و(ب) حصن ابن عكار، بزيادة ابن، والمثبت من (م) و(ش)، وهو يقع إلى الشمال الشرقي من طرابلس. انظر «القلاع في أيام الحروب الصليبية»: ٦٠.

(٥) ويقال مصياف، وهو حصن يقع قرب طرابلس، انظر «معجم البلدان»: ١٤٤/٥، و«القلاع في أيام الحروب الصليبية»: ٨٨ - ٨٩.

(٦) يعرف الآن بقلعة الحصن، وهو إلى الغرب من حمص. انظر «القلاع»: ٧٦.

(٧) لم أقع على من ذكره وعَيْنُ موضعه.

(٨) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٩) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(١٠) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦٥ - ٢٦٦.

وبلغ طُغْتِكِينَ أَنَّ كُؤْمُشْتِكِينَ الخادم الوالي بِيَعْلَبَكَّ قد صافى الفرنج، وأمرهم بالغارات على أطراف المسلمين، فكتبَ أتابك من الطريق إلى ولده تاج الملوك بإنفاذ العساكر إلى بَعْلَبَك. فسار من وقته، ونَزَلَ عليها على حين غَفْلَةٍ من أهلها، ثم راسل الخادمَ المذكور بالدُّخول في الطَّاعة وتسليم البلد، فلم يلتفت. وجاء أتابك ومعه الرَّجَّالة، فنصب عليها المجانيق، وَزَحَفَ، فاستسلم أهلُ البلد والخادم، واقترح أشياء، فأجابه أتابك، وَخَرَجَ إلى خِدْمَتِهِ، فَأَحْسَنَ إليه، وَخَلَعَ عليه، وَعَوَّضَهُ حِصْنَ صَرُخْد^(١)، وأعاد إليه ما كان قَبْضَ عليه من ضياعه وإقطاعه بدمشق، وَتَسَلَّمَ طُغْتِكِينَ بَعْلَبَكَّ، وَسَلَّمَهَا إلى ولده تاج الملوك بوري، وكان ذلك في رمضان، وأمرَ أتابك طُغْتِكِينَ بَرَفْعِ المظالم عنها، وَحَطَّ بعضَ الخَراج، وَرَدَّ أَمْلاكاً كانت غُصِبَتْ، فارتفعت له الأدعية، وَكَثُرَتْ عليه الأثنية^(٢).

وفيهما خرج طنكري من أنطاكية، فأخذ طَرَسُوسَ، وقرر على شَيْزَر عشرة آلاف دينار وتسَلَّمَ حِصْنَ الأكراد، وعاد إلى أنطاكية^(٣).

ونزل بغدوين صاحب القُدس، وابن صنجيل على بيروت، وسار إليهم جوسلين صاحب تل باشر لمعاونتهم، واستنجدهم على [الأمير]^(٤) مودود، وكان [مودود]^(٤) قد طَرَدَ جاولي عن المَوْصِل، وَمَلَكَ الجزيرةَ بأمر السُّلطان، وجاء فنزل على الرُّها، وجاء الأسطول المصري وفيه الرِّجال والمِيرة، فدخلوا بيروت، فقويت نفوسُ أهلها، فَبَعَثَ بغدوين إلى الجَنَوِيَّة، فجاءوا في أربعين مركباً، فزحفوا إلى بيروت براً وبحراً، فدخلوها قَهْراً بالسَّيف، فقتلوا ونهبوا وسَبَوْا، وفعلوا كما فعلوا بطرابُلُس، واستَصَفُّوا الأموال والذَّخائر^(٥).

ثم رحل بغدوين، فنزل على صيدا، وراسل أهلها بتسليم البلد، فاستمهلوه مُدَّة عَيْنُوهَا، فأجابهم، وأخذ منهم مالاً، وعاد إلى القُدس بسبب الحَجِّ^(٦).

(١) صرخد: قلعة حصينة ملاصقة لبلاد حوران، وتعرف الآن بصلخد، انظر «معجم البلدان»: ٤٠١/٣.

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦٦ - ٢٦٨.

(٣) انظر المصدر السالف.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٦) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٦٩.

وفيهما ظهر قومٌ من كافر تُرك، ووصلوا إلى جيحون، فقتلوا وسبّوا وأفسدوا، فبعث إليهم السلطان [أبو الحارث سنجرشاه بن ملك شاه]^(١) العساكر، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة، وعادوا مفلولين^(٢).

وفيهما ظهر كوكب الذنب، فأقام من ذي القعدة إلى آخر ذي الحجة وغاب، وكانت ذؤابته من المشرق إلى القبلة^(٣).

وفيهما كاتب محمد شاه سُكمان صاحب أزمينية وخلاط وميافارقين، وشرف الدين مودود صاحب الموصل، ونجم الدين إيل غازي صاحب ماردين بالاجتماع على جهاد الفرنج، فاجتمعوا في خلقٍ كثير، وقالوا: نبدأ بالرّها، فإذا فرغنا منها سِرنا إلى الشام، فنزلوا عليها في شتّال، وضيّقوا على أهلها، ومنعواهم الميرة، وبلغ الفرنج، فاجتمع طنكري صاحب أنطاكية وابن صنجيل صاحب طرابلس وبغديوين صاحب القدس، وتحالفوا على المسير إلى الرّها، والذّب عنها، والصبر على الحرب، ورَحَلُوا بأسرهم إلى ناحية الرّها، وعَلِمَ طُغْتِكِين، فسار في العسكر إلى ناحية الرّقة وقلعة جَعْبَر، فوجدَ الفرنج على الفُرات قد أحجموا عن عبورها خوفاً من المسلمين. وبلغ المسلمين [خبرهم]^(٣) فرحلوا عن الرّها طالبين الفرات يريدون الفرنج، فوجدوا سرعان الخيل^(٤) قد قطعوا الفرات، ومعهم بعض أثقالهم، فمالوا عليهم قتلاً [وأسراً]^(٥) وتغريقاً في الفرات، وامتلاّت الأيدي من الغنائم والسبي والدواب، وعاد الفرنج إلى مراكزهم.

وكان طُغْتِكِين على عزمٍ أن يلقاهم مع المسلمين، فلما رجعوا عاد إلى دمشق خوفاً عليها، وعاد المسلمون إلى الرّها، فطال عليهم منازلتها، ففترّقوا إلى بلادهم.

ولما عاد بغديوين جعل طريقه على البقاع، فأسرَ وقتل، ثم عاد إلى صيدا، ونازلها، ونصب عليها الأبراج، فأيقنوا بأخذها، فأخرجوا إليه قاضيتها وجماعةً من شهودها،

(١) في (ع) و(ب): السلطان سنجرشاه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٧٠.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٤) سرعان الخيل: أوائلها. «اللسان» (سرع).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

فطلبوا منه الأمان، فأمنهم، وخرج الوالي والعسكر وأهل البلد إلى دمشق، ولم يتعرض^(١) لأحد منهم، وعاد إلى القدس. وقيل: إنما فتحت صيدا سنة أربع وخمسة مئة^(٢).

وفيهما توفي

أحمد بن علي بن أحمد^(٣)

أبو بكر، العلبي^(٤)، البغدادي، الزاهد، قرأ القرآن، وتفقه على [القاضي]^(٥) أبي يعلى ابن الفراء، وكان يقرئ الناس [القرآن]^(٥)، ويؤم بهم، ولا يقبل من أحد شيئاً^(٦)، ويعمل بيده، ويأكل ويذهب كل ليلة إلى دجلة، فيأخذ ماءً في كوز، فيفطر عليه، ويمشي في قضاء حوائج الناس، ويؤثر بما في يده.

وكان إذا حجَّ خرج، فزار المعلى، ووقف عند قبر الفضيل بن عياض، ويخط بعصاه، ويقول: يا رب هاهنا، يا رب هاهنا، فحج في هذه السنة، فشهد عرفة، وسقط من الجمل آخر النهار، فحمل وطيف به بالبيت، ودفن يوم النحر إلى جانب الفضيل [ابن عياض].

سمع القاضي أبا يعلى وغيره^(٥)، وكان صالحاً ثقةً.

(١) في (ع) يعترض، والمثبت من (ب).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق» ٢٧٠ - ٢٧٤، وقد ذكر ابن الأثير في «كامله» ٤٧٩/١ استيلاء الفرنج على صيدا في حوادث سنة (٥٠٤هـ).

(٣) له ترجمة في «طبقات الحنابلة»: ٢/٢٥٥ - ٢٥٧، و«المنتظم»: ٩/١٦٣ - ١٦٤، و«مناقب الإمام أحمد» ص ٦٣٣ - ٦٣٤ - وفيه وفاته سنة (٥٠٥هـ) - و«صفة الصفوة»: ٢/٤٩٥ - ٤٩٦، «تكملة الإكمال» لابن نقطة: ٤/٣٣٨، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ١/١٠٤ - ١٠٦، و«العقد الثمين»: ٣/١٠٠، و«توضيح المشتبه»: ٦/٣١٧ - ٣١٨، و«المقصد الأرشد»: ١/١٤٣ - ١٤٤، و«شذرات الذهب»: ٤/٦ - ٧.

(٤) في (ع) و(ب) الحلبي، وهو تحريف، وتصحف في بعض المصادر إلى «العلبي» - بالثاء المثناة - والمثبت من (م) و(ش)، وهي نسبة إلى عُلبة. ومن ضبطها بفتح اللام فقد نسبه إلى عُلَب جمع عُلبة. انظر «تكملة الإكمال» لابن نقطة: ٤/٣٣٨، و«توضيح المشتبه»: ٦/٣١٧.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في (ع): ولا يقبل لأحد، والمثبت من (ب) و(م) و(ش).

[وفيها توفي]^(١)

عمر بن عبد الكريم بن سعدويه^(٢)

أبو الفثيان الدهستاني^(٣)، الحافظ، محدث مشهور، سافر إلى البلاد، وكتب [وذكره أبو الحسن عبد الغافر، وأثنى عليه، وقال]^(٤): قَدِمَ نَيْسابورَ مراراً، وخرج إلى طوس، فأنزله أبو حامد الغزالي وأكرمه، وصَحَّحَ عليه «الصَّحِيحِينَ».

واستقدمه أبو بكر محمد بن منصور السَّمْعَانِي إلى خُرَاسَانَ، فأدرَّكه أَجَلُهُ بِسَرُخْسَ قبل وصوله إليه.

سمع خَلْقاً كثيراً [ذكرناهم في التراجم، منهم مشايخ بغداد، وسمع بدمشق أبا محمد ابن الأكفاني، وأبا الحسن بن أبي الحديد وغيرهما، وروى عنه أبو بكر الخطيب؛ سمع منه بصور، ونَصَرَ المَقْدِسِي وغيرهما]^(٥)، وَاتَّفَقُوا عَلَى صِدْقِهِ، وَثِقَتِهِ، وَدِينِهِ.

[وذكره الحافظ ابن عساكر، وقال: سَمِعَ فَأَوْسَعَ، وَكَتَبَ فَأَكْثَرَ، وَقَدِمَ دِمَشْقَ، فَسَمِعَ بِهَا عَبْدَ الدَّائِمِ بنَ الحسن، وأبا محمد الكَتَّانِي، وذكر ابن أبي الحديد، قال: وَسَمِعَ بِبَغْدَادَ أبا الغنائم بن المأمون، وبِمَرْوَ أبا نصر محمد بن بكر بن الخلال، وبِهَرَاةَ أبا الفضل زياد بن محمد بن زياد، وبنيسابور أبا عثمان الصَّابُونِي وغيرهم. وروى عنه الخطيب بصور، وأبو محمد الكَتَّانِي، ونَصَرَ بن إبراهيم المَقْدِسِي، وهم من شيوخه]^(٦).

وروى عنه الحافظ ابن عساكر أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أبا بكر محمد بن إِسْحَاقَ بن خُزَيْمَةَ يَقُولُ: مَنْ لَمْ يُقَرَّرْ بِأَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ قَدْ اسْتَوَى فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ فَهُوَ كَافِرٌ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنْ ذَلِكَ فِي سَبْعِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ^(٦).

(١) ما بين حاصرتين من (ش)، وفي (م) فصل: وفيها توفي..

(٢) له ترجمة في «منتخب السياق» للصريفيني: ٥٦٠، و«الأنساب»: ١٧٣/٦، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٣٣١/١٣ - ٣٣٤، و«المنتظم»: ١٦٤/٩، و«التدوين في أخبار قزوين»: ٤٤٩/٣ - ٤٥١، و«طبقات علماء الحديث»: ٩/٤ - ١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٣١٧/١٩ - ٣٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٣) نسبة إلى دهستان، بلدة مشهورة عند مازندان وجرجان، بناها عبد الله بن طاهر في خلافة المهدي. «الأنساب»: ٣٧٨/٥ - ٣٧٩.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ع) و(ب): سمع خلقاً كثيراً، وروى عنه أبو بكر الخطيب وغيره، واتفقوا على صدقه... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (خ) (س): ٣٣١/١٣.

[وذكر ابن عساكر أنه أنشد أبياتاً لغيره^(١): [من البسيط]

إني لما أنا فيه من مُنافستي فيما شُغِفْتُ به من هذه الكُتُبِ
لقد عَلِمْتُ بأنَّ الموتَ يُدرِكُني من قَبْلِ أنْ يَنْقُضي مِنْ جَمْعِها أَرْبِي
وليس يَنْفَعُني مِمَّا حَوَّثه يدي شيءٌ من الفِضَّةِ البيضاء والذَّهَبِ
ولا أومِّلُ زاداً للمَعَادِ سوى عِلْمِ عَمَلْتُ به أو رَأُفَتي بأبي
وذكره أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي، وأثنى عليه، وقال: طاف الدنيا شرقاً
وغرباً، وكان على سيرة السلف، وذكر أنه خرج من نيسابور إلى طوس، وأن الغزالي
قرأ عليه «الصحيحين»، ثم شرحهما، فخرج إلى مرو، فتوفي بسرَّخس في ربيع الأول]

وجيه بن عبد الله بن نصر^(٢)

أبو المقْدَام، التَّنُوخي، شاعر فصيح، [ذكره الحافظ ابن عساكر، وقال: ^(٣) لَمَّا
فَعَلَتِ الفَرَنْجُ بِالْمَعَرَّةِ مَا فَعَلَتْ دَخَلَهَا يَبْكِي، وقال: [من الخفيف]

هذه بَلَدَةٌ قَضَى الله يا صا ح عليها كما تَرى بِالْخَرَابِ
فَقِفِ العِيسَ وَقِفَةً وابْكِ مَنْ كا نَ بها مِنْ شُيُوخِها والشُّبابِ
واغْتَبِرْ إِنْ دَخَلْتَ يوماً إليها فَهِيَ كَانَتْ مَنَازِلَ الأَحْبَابِ^(٤)
وقال أيضاً: [من الوافر]

أُراني والبقاءُ لَهُ نَفَادُ على سَفَرٍ وليس لَدَيَّ زَادُ
وقد بان الشَّبابُ الغَضُّ مَنِّي وجاء الشَّيْبُ ليس له ارتِدادُ

(١) في (ع) و(ب): وتوفي في ربيع الأول، وكان على سيرة السلف، وأنشد لغيره يقول. قلت: والمثبت ما بين
حاصرتين من (م) و(ش)، وهو سياق أتم.

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٧٣٣/١٧، و«مختصره لابن منظور»: ٢٥٨/٢٦ - ٢٥٩،
و«النجوم الزاهرة»: ٢٠٠/٥.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»، ولحمود بن علي المعري الآتية ترجمته في وفيات سنة (٥٠٥هـ) قصيدة لها
مطلع يشابه مطلع هذه القصيدة، فهل تمثل وجيه في تلك القصيدة، أم أنه أنشأ قصيدة جديدة اتكأ في مطلعها
على قصيدة محمود؟ الذي ذهب إليه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٢٠٠/٥، ٢٠٣ أن القصيدة
لحمود، والذي أراه أنهما قصيدتان تشابه مطلعهما، والله أعلم.

إذا ما الزَّرعُ أُسْبِلَ واشْتَبَانَتْ سَنَابِلُهُ فقد قَرُبَ الحَصَادُ^(١)
وتوفي بدمشق، وقد جاوز السبعين.

هبة الله بن محمد بن علي^(٢)

أبو المَعَالِي ابن المُطَّلِب، الكِرْمَانِي، وزير المُسْتَظْهَر.
ولد سنة أربعين وأربع مئة، ووزر للخليفة مُدَّةَ يسيرة، واعتقله فَهَرَبَ إلى دار
المملكة، فتوفي في شَوَّال، ودُفِنَ بباب أبرد. سَمِعَ أبا الحسين بن المهدي، وغيره.

السنة الرابعة وخمس مئة

فيها قدمت خاتون بنت ملك شاه زوجة [الخليفة]^(٣) المستظهر [أخت السلطان
محمد شاه]^(٣)، فنزلت بدار المملكة في رجب عند أخيها السلطان محمد شاه، ثم نُقِلَ
جهازها في رمضان على مئة واثنتين وثلاثين جملاً وسبعة وعشرين بغلاً، وبين يديه
الجنائب، والجواري المُزَيَّنَات بين يدي المَحْفَةِ، وزُيِّنَت الأسواق، ونُصِبَت القباب،
ودُخِلَ بها في عاشر رمضان^(٤).

وفيها دَرَسَ أبو بكر الشافعي الشَّاشِي بالنَّظَامِيَّة، وحَضَرَ عنده وزيرُ السلطان وأربابُ
الدَّوْلَةِ^(٥).

وفيها قَدِمَ تُجَّارٌ من الشَّام إلى بغداد، وكسروا المِنْبَر، ومنَعُوا الخطيبَ من الخُطْبَةِ
يوم الجمعة بجامع السلطان، واستغاثوا، فقال السلطان: ما لهم؟ فقالوا: قد استولى
الفرنَج على الشَّام، وقتلوا وأسرُوا وسَبَّوْا. فقال السلطان: نُسَيِّرُ العساكر إليهم^(٦).

(١) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»، ومختصره لابن منظور، وقد تكلف محققاه معنى غريباً للشطر الأول من البيت الأول.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٦٥/٩، و«الفخري في الآداب السلطانية»: ٣٠٠-٣٠١، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٨٤/١٩، وفيه وفاته سنة (٥٠٩هـ).

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

(٤) انظر «المنتظم»: ١٦٥/٩ - ١٦٦، و«ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٧٧.

(٥) انظر «المنتظم»: ١٦٦/٩، و«وفيات الأعيان»: ٢٢٠/٤، وستراد ترجمة أبي بكر الشاشي في وفيات سنة (٥٠٧هـ).

(٦) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٧٦ - ٢٧٧، و«المنتظم»: ١٦٥/٩، و«الكامل»: ٤٨٢/١٠ - ٤٨٣.

وفيهما قَصَدَ بغدوين عَسْقِلَانَ، وكان واليها [يقال له]^(١) شمس الخلافة، فراسل بغدوين، واتَّفَقَا على مالٍ، وقرَّرَ على صُور سبعة آلاف دينار، [وكان شمس الخلافة أرغب في التجارة من الحرب]^(٢)، وبلغ الأفضل ذلك، [فلم يرض]^(٣) وأَسْرَهُ^(٢) في نفسه، وبعَثَ جيشاً إلى عَسْقِلَانَ [عوض شمس الخلافة]^(٤)، فعصى واليها عليه^(٣)، وأَخْرَجَ من كان معه في البلد من العَسْكَرِ خوفاً منهم، وراسلَ بغدوين يستمُدُّه، ووعدَه إنْ غَلِبَ سَلَّمَ إليه عسقلان، ويعوِّضه عنها، وعَلِمَ الأفضل، [فخاف على البلد]^(٤) فكاتبه وطَيَّبَ قلبه، وأقطعَه عَسْقِلَانَ، وأقرَّ عليه إقطاعه بمصر، فاستدعى [شمسُ الخلافة]^(٥) جماعةً من الأَرَمَنَ، فَأَسْكَنَهُمَ البَلَدَ، فَأَنكَرَ أَهْلُ البَلَدِ ذلك، ووثبوا عليه، فقتلوه، ونهبوا دارَهُ، وبعثوا برأسِهِ إلى مصر^(٤).

وفيهما هَبَّتْ رِيحٌ سوداء بمصر، وطلَّعَ سحابٌ أسودٌ أَخَذَ بالأنفاس، وأظلمت الدنيا، وظَهَرَتِ الكواكبُ نهاراً، وسَفَتِ الرِّيحُ الرَّمْلَ على النَّاسِ، [وظنُّوا أن القيامة قد قامت، وخَرَجَ النَّاسُ]^(٥) من منازلهم، وكان ذلك من صلاة العصر إلى المغرب، ثم لطف الله، وزالتِ الظُّلْمَةُ^(٦).

وفيهما غَدَرَ بغدوين [صاحب القدس]^(١) ونزل على طبرية، وخرج طُغْتِكِينَ، فنزل رأسَ الماء^(٧)، ثم استقرَّ [على]^(١) أن يكون ما كان من البلاد مُثَالَّةً، ومُنَاصِفَةً^(٨).

وفيهما جَهَّزَ محمد شاه العساكرَ إلى الشَّامِ لقتال الفرنج، منهم شَرَفُ الدِّينِ مودود صاحب المَوْصِلِ، [وأحمديل]^(١)، وقطب الدين سُكْمَانُ صاحب ديار بكر، واجتمعوا

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ب) فأسرَه، والمثبت من (م) و(ش).

(٣) في (م) و(ش) فعصى على الأفضل.

(٤) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٧٥، و«الكامل» ١٠/٤٨٠ - ٤٨١.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

(٦) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٧٦، و«الكامل»: ١٠/٤٨٤.

(٧) يسمى الآن نبع الثريا، وهو قرب قرية فقيع بحوران، بين جاسم ونوى.

(٨) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٧٧ - ٢٧٨.

في حرّان، وكتب إليهم سلطان [بن علي]^(١) بن منقذ صاحب شيزر يعرفهم أنّ طنكري [قد]^(١) نزل أرض شيزر، وشرع في بناء تل مبشّر حصناً بمقابلة شيزر. فقطعوا الفرات، ونزلوا على تل باشر ينتظرون البرسقي صاحب همذان، فوصل وهو مريض، واختلفت آراؤهم، ومرض سكرمان صاحب أزمينية وخلاط وديار بكر، وطمع أحمدل في بلاده، وراسله صاحب الحصن وهاداه، فقصر، فعادوا إلى حلب، وعاثوا في أعمالها، وفعلوا أقبح من فعل الفرنج، وتوقعوا خروج رضوان إليهم وخدمتهم، فما التفت، وأغلق أبواب حلب، وأخذ رهائن أهلها إلى القلعة، واستعد للقتال. وقد كانوا لما قطعوا الفرات كاتبوا [أتابك]^(١) طغتكين [في دمشق]^(١) بالوصول إليهم [ليدبروا الأمور]^(١)، وكتب إليه السلطان بمثل ذلك، فجمع [وحشد]^(١) رجاله، ورجال حمص [وحماة]^(١) ورَفْنِيَّة، وسار في جمع كثيف طالباً للجهاد.

فوصل إليهم على حلب، فسروا بوصوله، وقويت نفوسهم، فلم يرَ منهم عزيمة صادقة في جهاد، ولا حماية بلاد. وأما سكرمان القطبي، فإنه عاد إلى بلاده، وقد أشفى، ومات [في طريقه]^(١) قبل وصوله إلى الفرات. وأما البرسقي فكان به نقرس، ويحمل في محفة، ولا قول له ولا فعل.

[وأما أحمدل فإن عزمه] قوي^(٢) على العود [لأجل بلاد سكرمان، وطمعه في إقطاعها من السلطان]^(٣). فقال [أتابك]^(١) طغتكين: ارحلوا إلى المعرة. فرحلوا على كره، فقال: انزلوا طرابلس. فتوقفوا، ثم تسللوا وتفرقوا أيدي سبأ، ولم يبقَ منهم سوى [شرف الدين]^(١) مودود، وكان مصافياً لأتابك؛ صديق صدق، ونزلاً على العاصي، وكان الفرنج قد تفرقوا إلى مواضعهم، فلما تفرق المسلمون ورجعوا اتفق الإفرنج، وصاروا يداً واحدة على الإسلام، ونزل سلطان بن علي بن منقذ من شيزر إلى [أتابك]^(١) طغتكين، ومودود، وخدمهما، وحمل إليهما.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ب): وأحمدل فعزمه قوي، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ب): لطمعه في بلاد سكرمان، وإقطاعها من السلطان، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وجاء الفرنج، فنزلوا على تل مُبَشَّرٍ مقابل شَيْزَرٍ لِينُوا عليه حصناً، فنازلهم طُغْتِكِين ومودود، وطمع بهم التُّرك، وتخطَّفوهم، ومنعوا أحداً منهم أن يخرج من خيمته، وقتلوا وأسرُوا، فلما رأوا أحوالهم ناقصة انكفؤوا راجعين إلى أنطاكية وطرابُلُس، والتُّرك في آثارهم قتلاً وأسراً، واستحكمت المَوَدَّةُ بين [أتابك]^(١) طغتكين [وشرف الدين]^(٢) مودود^(٣).

[فصل]^(١) وفيها توفي [الأمير]^(١)

سُكْمَانُ بْنُ أُرْتُقٍ^(٣)

صاحب خِلاط، وديار بكر. قد ذكرنا أنه جاء إلى الرُّها، ومَرَضَ، فَحُمِلَ فِي مِحْفَةٍ، فمات بمِيفَارِقِينَ، وَحُمِلَ تابوته إلى خِلاط، فَدُفِنَ بها، وكان عادلاً مجاهداً. وأبوه أُرْتُق مات بالْقُدْس، وكان قد دخل الرَّمْلَ خوفاً من مَلِك شاه، ولمَّا عاد ملك شاه عن الشَّام، رَجَعَ أُرْتُق إلى القُدْس، ومات به.

ونجم الدِّين إيل غازي بن أُرْتُق، أخو سُكْمَان مَضَى إلى السُّلْطَان محمد شاه، فولاه شِخْنِكِيَّةَ العراق، ثم أَخَذَ مَارِدِينَ فِي سنة ثمانٍ وخمس مئة، وميفارقين في سنة اثنتي

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٧٨ - ٢٨٣.

(٣) سلفت أخباره باسم سَكْمَان القُطْبِي، ونُسِبَ القُطْبِي لأنه كان مملوك قطب الدين إسماعيل بن الياقوتي بن جغري بك السلجوقي أمير أذربيجان، وقد استولى سَكْمَان على خِلاط سنة (٤٩٣هـ)، وتوفي سنة (٥٠٤هـ) كما هو مذكور، وتدل نسبته إلى مولاه إلى أن اسم أبيه لا يعرف، ومن ثَمَّ فَإِنَّ قول سبط ابن الجوزي هنا إنه ابن أُرْتُق لا يصح، وقد أوقعه هذا بأوهام كما سيأتي، فذهب إلى أن أباه هو أُرْتُق الذي مات بالقدس، وأن أخاه هو إيل غازي صاحب مَارِدِينَ وغيرها ظناً منه أن سَكْمَان هذا هو سَكْمَان (أو سَقْمَان) بن أُرْتُق، اختلط عليه الاسم، فظنهما واحداً، ومعروف أن سَكْمَان بن أُرْتُق توفي سنة (٤٩٨هـ) وهو أخو إيلغازي، ووالدهما هو أُرْتُق المتوفى ببيت المقدس سنة (٤٨٤هـ)، وهم أصحاب حصن كيفا وآمد ومَارِدِينَ، ولم يتولَّ خِلاط أحدٌ منهم، وقد تابعه في ذلك ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٢٠١/٥، إلا أنه قد أساء النقل عن سبط ابن الجوزي فوق بأوهام أخرى، انظر «وفيات الأعيان»: ١٩١/١، و«تلخيص مجمع الآداب» لابن الفوطي: ق ٤ ج ٤/٦١٨ - ٦١٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٣٤/١٩ - ٢٣٥، ٤٣٥، و«معجم الأنساب» لزماور: ٣٤٦ - ٣٤٨، و«الدول الإسلامية»: ٣٥١ - ٣٥٩.

عشرة [وخمسة مئة]^(١)، ثم أخذ حلب، وله وقائع مع الفرنج، وسنذكرها إن شاء الله تعالى فيما بعد.

[فصل : وفيها توفي

عبد الوهاب بن هبة الله ابن السَّيْبِي^(٢)

أبو الفَرَج، مؤدَّبٌ ولد الخليفة المقتفي^(٣).

حَجَّ في هذه السنة، ومضى إلى المدينة، فمات في الطريق، فَحُمِلَ إلى البقيع، فُدِّنَ به.

روى عنه المقتفي^(٤)، وأشياخ أسيافنا، وكان ثِقَّةً^(١).

[فصل : وفيها توفي]^(٥)

علي بن محمد بن علي^(٦)

أبو الحسن، الطَّبري، عرف بِالْكِيَا^(٧) الهَرَّاسِي.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٦٧/٩، و«توضيح المشتبه»: ٢٣/٥، والسَّيْبِي نسبة إلى السَّيْب بلد على الفرات بقرب الحِلَّة.

(٣) المقتفي هو والد الخليفة المستظهر.

(٤) اختلف فيمن هو مؤدَّب ولد المقتفي وشيخه، هل هو عبد الوهاب هذا أو ابنه أحمد أبو البركات؟ فذهب السمعاني في «تاريخه» - فيما نقله عنه ابن نقطة في «الاستدراك»، وعنه ابن ناصر الدين في «التوضيح» ٢٣/٥ - وابن الجوزي في «المنتظم»، وتابعه سبطه كما هنا إلى أنه عبد الوهاب. وذكر ابن نقطة في «الاستدراك» (خ) «باب السَّيْبِي» أن شيخ المقتفي ابنه أحمد، وتابعه الذهبي في «المشتبه»: ٣٤٧، فقال: وقد وهم من جعل شيخ المقتفي عبد الوهاب، وتابعه كذلك ابن ناصر الدين في «التوضيح».

(٥) ما بين حاصرتين (م).

(٦) له ترجمة في «منتخب السياق» للصريفيني: ٥٩٨، و«تبيين كذب المفتري»: ٢٨٨، و«المنتظم»: ١٦٧/٩، و«الكامل»: ٤٨٤/١٠، و«وفيات الأعيان»: ٢٨٦/٣ - ٢٩٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٥٠ - ٣٥٢، وفيه تمة مصادر ترجمته.

(٧) إلكيا: لقب فارسي، معناه: الكبير القدر المقدم بين الناس، انظر «وفيات الأعيان»: ٢٨٩/٣.

ولد سنة خمسين وأربع مئة، وتفقه على أبي المعالي الجويني، فكان يعيد الدرس بمدرسة نيسابور على كل مرقاة سبعين مرة، وكانت المراقي سبعين مرقاة.

قدم بغداد، ودرس بالنظامية، ووعظ، وذكر مذهب الأشعري فرجم، وثاربت الفتن، واتهم بمذهب الباطنية، فأراد السلطان قتله، فمنعه المستظهر، وشهد له بالبراءة منه جماعة، وتوفي يوم الخميس غرة المحرم، ودُفن عند أبي إسحاق الشيرازي.

السنة الخامسة وخمس مئة

فيها عزل السلطان محمد وزيره أحمد بن نظام الملك في رمضان، فكانت وزارته أربع سنين وأحد عشر شهراً^(١).

وولد للخليفة ولد من بنت السلطان محمد، فجلس الناس للهناء بباب الفردوس، وتوفي أخ للخليفة، فجلس في عزائه بباب الفردوس^(١).

وفيها جمع بغدوين وحشد لقصد صور، فكتب إليها [وأهلها]^(٢) إلى طغتكين [يستجدوا به و]^(٣) يسألونه أن يسلموها إليه قبل مجيء الفرنج، لأنهم يؤسوا من نصرة مصر، فبعث إليهم [أتابك]^(٣) الفرسان والرّجالة، وجاءهم من جبل عاملة، وسار إليها بغدوين في الخامس والعشرين من جمادى الأولى فقطع أشجارها، وقتلها أياماً، ويعود خاسراً.

وخرج طغتكين من دمشق، وخيم بانياس، وجّهز الخيالة والرّجال إلى صور نجدة، فلم يقدروا على الدّخول، فسار إلى السّواد، فنزل على الحبّيس^(٤)، وهو حصن عظيم، وحاصره، ففتحته عنوة، وقتل كل من فيه، وشرع بغدوين في عمل الأبراج والزّحف على صور، وزحف إليهم^(٥) أتابك ليشغلهم [عن صور]^(٣) فخذقوا عليهم، وهجم الشتاء، ولم يبال الفرنج لأنهم كانوا في أرض رملية، [والمسلمون في أرض وغرة،

(١) انظر «المنتظم»: ١٦٨/٩.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) هو حبّيس جلدك، وهو حصن بالسّواد كما ذكر هنا، وقد جاء ذكره في «كتاب الروضتين»: ١٠٦/٣ بتحقيقي.

(٥) في (ع) عليهم، والمثبت من (ب) و(م) و(ش).

وكانت المادة تصل إلى الفرنج^(١) من صيدا في المراكب، فسار إليها أتابك طُغْتِكِين، وقتل جماعة من البحرية وغرق المراكب، وواصل المكاتبه إلى أهل صور يقوي قلوبهم. وعمل الفرنج بُرْجَيْن عَظِيمَيْن، [وزحفوا بهما إلى السُّور، وكان]^(٢) طول الكبير منهما زيادة على خمسين ذراعاً، وطول الصَّغِير نيفاً وأربعين ذراعاً، وزحفوا بهما أول يوم من شهر رمضان، وخرج أهل صور بالنَّفْط والقَطْران، [لحريق البرجين]^(٣)، ورموا النار، فهبَّت الرِّيحُ، فأحرقَت البُرْجَ الصَّغِير بعد المحاربة العظيمة، ونُهِبَ منه زَرْدِيَّات وطوارق^(٤) وغير ذلك، ولَعِبَتِ النَّارُ في البُرْج الكبير، فأطفأها الفرنج، وطمَّأوا الخندق، وواتروا الزَّحف طول شهر رمضان، وأشرف أهل البلد على الهلاك، فتحيل واحد من المسلمين له خِبرَةٌ بالحرب، فعمل كباشاً في أخشاب تدفع البُرْج الذي يلصقونه بالسُّور، ثم تحيل في حريق البُرْج الكبير، فاحترق، وخرَج المسلمون، فأخذوا منه آلات وأسلحة [لا توصف]^(٥)، فحينئذ يئس الفرنج، ورحلوا، وأحرقوا جميع ما كان لهم من المراكب على السَّاحل، والأخشاب والعمائر والعلوفات وغيرها. وجاءهم طُغْتِكِين، فما سلَّموا إليه البلد [ولا وفوا له]^(٦)، فقال: أنا ما فعلتُ ما فعلتُ إلا لله تعالى لا لرغبة في حصن ولا مال، ومتى دَهِمَكُمُ عدوٌّ جِئْتُكم بنفسي ورجالي. ورحل عنهم^(٧). [وكان من سعادته أنهم لم يُسلِّموا إليه، لأنه كان عاجزاً عن حفظ صور ودمشق، وصور ما كان لهم بُدٌّ من أخذها]^(٨).

وفيهما نزل [شرف الدولة] مودود [صاحب الموصل]^(٩) على الرُّها ورعى زرعها، ورحل إلى سروج، ففعل بها كذلك^(١٠).

(١) في (ع) و(ب) لأنهم كانوا في أرض رملة، والمادة تصل إليهم من صيدا، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) الزرديات جمع، مفردها الزردية وهي الدرع، والطوارق جمع كذلك، مفردها طارقة وهي الترس. انظر «تكملة المعاجم العربية» لدوزي: ٥٨٥/١، ٤١/٢.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(م).

(٥) ما بين حاصرتين من (م).

(٦) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٨٤ - ٢٨٨، و«الكامل» ٤٨٨/١٠ - ٤٩٠.

(٧) ما بين حاصرتين من (م)، وجاء بها معترضاً بين قوله: ورجالي. ورحل عنهم، وما أثبتناه استظهاراً هو الأشبه.

(٨) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٨٩.

وفيهما^(١) توفيالحسن بن أحمد^(٢)

أبو محمد بن حَكِينَا^(٣)، كان فصيحاً ظريفاً، ومن شِعْره في قاضٍ: [من السريع]
وبارِدِ التَّنْمِيسِ^(٤) بين الوري
يَصِيدُ أَمْوَالَ الْوَرَى كُلَّهَا
وقال: [من الطويل]

أتاني بنو الحاجاتِ من كلِّ جهةٍ
فقلتُ لهم فوق المَجَرَّةِ دارُهُ
فإن شئْتُمْ ألا تَضِلُّوا فيمَّمُوا
وقال: [من المنسرح]

وَمُظْهِرٍ وَدَّةٍ لِقَاصِدِهِ
يَكْفُ عَنْهُ الْأَظْمَاعُ بِالْيَاسِ

(١) اضطرب سبط ابن الجوزي في تاريخ وفاته، فذكره هنا في وفيات سنة (٥٠٥هـ)، وأعاد ترجمته في وفيات سنة (٦٠٦هـ)، وكلاهما وهم، وقد تابعه عليه أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ٢٠٨/١، وابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ١٩٧/٦، فترجما له في وفيات سنة (٦٠٦هـ)، والصحيح وفاته سنة (٥٢٨هـ) فيما ذكر أغلب من ترجم له، وتردد ابن العماد في «شذرات الذهب»: ٨٨/٤ بين سنة (٥٢٨هـ) و(٥٢٩هـ).

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ١ / ٢٣٠ - ٢٤٨، و«المختصر المحتاج إليه»: ٢٧٥/١، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: ٩٨ - ٩٩، و«وفات الوفيات»: ٣١٩/١ - ٣٢١، و«الوافي بالوفيات»: ٣٨٧/١١ - ٣٩١، و«شذرات الذهب»: ٨٨/٤ - ٨٩.

(٣) في (ع) و(ب) كنجينا، وهو تحريف، وقد اضطربت مصادر ترجمته في رسمه بين جكينا وحكينا، بالجيم أو الحاء، وقد قيده بالجيم ابن خلكان، ذكر ذلك الدكتور إحسان عباس في حاشيته على «وفيات الأعيان»: ٢٢٤/٧، وقيده بالحاء المهملة الزبيدي في مستدركاته في «تاج العروس» مادة (حكن)، فقال: حكينا بكسرتين مشددة الكاف لقب، وابن حكينا شاعر معروف. قلت: وهو ما مال إليه العلامة محمد بهجة الأثري في تعليقه على «الخريدة».

(٤) التتميس: التليس والتدليس، يقال: تمس عليه الأمر تنميساً.

(٥) في هامش (ب)، أراد بالطرحة الطيلسان، وفي اصطلاح الصيادين هي الشبكة.

(٦) البيتان في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢٣٣/١.

(٧) في (ب) و(ع): حين، والمثبت من «الخريدة».

(٨) الأبيات في «الخريدة»: ٢٣٨/١.

يَقُومُ لِلنَّاسِ مُكْرِمًا فَإِذَا رَامُوا نَدَاهُ يَقُومُ لِلنَّاسِ^(١)

عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْحَسَنِ الْمَعَرِّي^(٢)

كتب إلى الأفضل ابن أمير الجيوش يقول: [من الطويل]

وَهَبْنِي أَسَاءَتْ فِكْرَتِي أَوْ تَعَذَّرَتْ عَلَيَّ الْقَوَافِي أَوْ جَفَنَتْنِي الْمَقَاصِدُ
أَمَّا كَانَ فِي حُكْمِ التَّنَاصُفِ بَيْنَنَا تَرَاضٍ وَلِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ عَاضِدٌ^(٣)

محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي^(٤)

[ذكره الأئمة وأرباب السير، منهم جدِّي، وعبد الغافر في «ذيل نيسابور»، وابن السَّمْعَانِي، والحافظ ابن عساكر.

فأما جدِّي، فإنه قال: ^(٥) ولد سنة خمسين وأربع مئة، وتفقه على أبي المعالي الجويني، وبرع في النظر في مُدَّةٍ قَرِيبَةٍ، وقاوم الأقران، وتوحد، وصنف الكتب الحسان في الأصول والفروع، التي تفرَّد بحُسنِ وضعها وترتيبها، وتحقيق الكلام فيها، حتى إنه صنف في حياة أستاذه ابن الجويني، فنظر في كتابه المسمَّى بـ«المنحول»، فقال: دَفَنْتَنِي وَأَنَا حَيٌّ، هَلَّا صَبَرْتُ حَتَّى أَمُوتَ. وأراد أن كتابك قد غَطَّى عَلَى كِتَابِي.

ووقع له القبول من نظام الملوك، فرسم له بالتدريس بمدرسته ببغداد، فدخل بغداد سنة أربع وثمانين وأربع مئة، ودرَّس بها، وحضره الأئمة الكبار كابن عقيل، وأبي الخطَّاب^(٦)، وتعجبوا من كلامه، واعتقدوه فائدة، ونقلوه في مُصَنَّفَاتِهِمْ، ثم إنه ترك

(١) البيتان في «الخريدة» قسم شعراء العراق: ٢٣١/١.

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٨٨٥/١١، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١٢١/٢ - ١٢٤.

(٣) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ٨٨٥/١١.

(٤) له ترجمة في «منتخب السياق» للصريفيني: ٨٣ - ٨٥، و«تبيين كذب المفتري»: ٢٩١ - ٣٠٦، و«تاريخ

دمشق» (خ) و(س): ٩١٩/١٥ - ٩٢٢، و«الكامل»: ٤٩١/١٠، و«وفيات الأعيان»: ٢١٦/٤٠ - ٢١٩،

و«طبقات الشافعية» للسبكي: ١٩١/٦ - ٢٨٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٢٢/١٩ - ٣٤٦، وفيه تنمة

مصادر ترجمته، والدراسات المعاصرة عنه كثيرة تكاد تعز على الحصر.

(٥) ما بين حاصرتين من (م).

(٦) أبو الخطاب: هو شيخ الحنابلة محفوظ بن أحمد بن حسن الكلواذاني، المتوفى سنة (٥١٠هـ)، وستأتي ترجمته

في وفياتها.

التدريس، والرياسة، ولبس الخام الغليظ، ولازم الصوم، وكان لا يأكل إلا من أُجرة النسخ،، وحج وعاد.

ثم رحل إلى الشام، وأقام ببيت المقدس ودمشق مدة يطوف المشاهد، وأخذ في تصنيف كتاب «الإحياء» في القدس، ثم تممه بدمشق، إلا أنه وضعه على مذهب الصوفية وترك فيه قانون الفقه؛ مثل أنه ذكر في محو الجاه ومجاهدة النفس: أن رجلاً أراد محو جاهه، فدخل الحمام، فلبس ثياب غيره، ثم لبس ثيابه فوقها، وخرج يمشي على مهل حتى لحقوه، فأخذوها منه، فسَمي سارق الحمام^(١).

وذكر مثل هذا على سبيل التعليم للمريدين قبيح^(٢)، لأنه متى كان للحمام حافظ وسرق منه سارق قطع، ثم لا يحل لمسلم أن يتعرض لأمر يائث الناس به في حقه. وذكر فيه أن رجلاً اشترى لحماً، فرأى في نفسه أنه يستحي من حمله إلى بيته، فعلقه في عنقه ومشى، وهذا في غاية القبح، ومثله كثير^(٣).

قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي، رحمه الله: وقد جمعت أغلاط الكتاب «إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء» وأشارت إلى بعض ذلك في كتابي المسمى بـ«تلبيس إبليس»، وذكر في كتاب «النكاح»: أن عائشة رضي الله عنها قالت لرسول الله ﷺ أنت الذي تزعم أنك رسول الله^(٤)؟ وهذا محال^(٥).

وإنما كان سبب إعراضه فيما وضعه عن مقتضى الفقه أنه صحب الصوفية، فرأى حالاتهم الغاية. وقال: إني أخذت الطريقة من أبي علي الفارمذي^(٦)، وامثلت ما كان

(١) انظر «إحياء علوم الدين»: ٢٨٨/٣ طبعة دار المعرفة - بيروت.

(٢) في (ع) و(ب): وهذا قبيح، والمثبت من «المنتظم».

(٣) «المنتظم»: ١٦٨/٩ - ١٦٩.

(٤) انظر «إحياء علوم الدين»: ٤٣/٢، وذكر العراقي أن أبا يعلى أخرجه في «مسنده»، وأبا الشيخ أخرجه في «الأمثال» من حديث عائشة وفيه ابن إسحاق وقد عنعنه. قلت: ولم أجده في مطبوعيهما.

(٥) «المنتظم»: ١٦٩/٩.

(٦) نسبة إلى فارمد، هي من قرى طوس، وأبو علي هو الفضل بن محمد، كان شيخ خراسان، وصاحب الطريقة في تربية المريدين، والأصحاب، وقد توفي سنة (٤٧٧هـ)، انظر ترجمته في «الأنساب»: ٢١٩/٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٦٥/١٩.

يشير به من وظائف العبادات، واستدامة الذكر إلى أن جُزئت تلك العقاب، وتكلفت تلك المشاق، وما حصّلت على ما كنت أطلبه. ثمّ إنّه نظر في كتاب أبي طالب المكي، يعني «القوت» وكلام المتصوفة القدماء، فاجتذبه ذلك بمرّة عن الفقه.

وذكر في كتاب «الإحياء» من الأحاديث الموضوعة وما لا يصحّ غير قليل، وسببه قلة معرفته بالنقل، فليته عرّض تلك الأحاديث على من يعرف، وإنما نقل نقل حاطب ليل^(١). وذكر في آخر «مواعظ الخلفاء» فقال: روي أنّ سليمان بن عبد الملك بعث إلى أبي حازم: ابعث إليّ من إفطارك. فبعث إليه نخالة مقلّوة، فبقي سليمان ثلاثة أيام لا يفطر، ثم أفطر عليها، وجامع زوجته، فجاءت بعبد العزيز فلما بلغ، ولّد له عمر بن عبد العزيز.

وهذا من أقبح الأشياء، لأنّ عمر ابن عمّ سليمان، وهو الذي ولاه الخلافة، فقد جعله ابن ابنه، فما هذا حديث من يعرف [من] النقل [شيئاً]^(٢) أصلاً^(٣). وكان بعض الناس قد شغف بكتاب «الإحياء»، فأعلمته بعيوبه، ثم كتبه [له]^(٢)، وأسقط ما يصلح إسقاطه، وزدّ ما يصلح أن يُزاد^(٣). وأحرق كتاب «الإحياء» في المغرب مرّتين.

ثم إنّ أبا حامد عاد إلى وطنه مشغولاً بتعبده، فلما صارت الوزارة إلى فخر المُلْك أحضره وسمِع كلامه، وأخرجه إلى نيسابور، فخرج، ودرّس، وعاد إلى وطنه، واتخذ في جواره مدرسة، ورباطاً للصّوفية، وبنى داراً حسنة، وعرّس فيها بُستاناً، وتشاغل بحفظ القرآن، وسماع الحديث.

وحكي عن أبي منصور الرّزاز الفقيه، قال: دخل أبو حامد بغداد، فقومنا ملبوسه ومركوبه بخمس مئة دينار، فلما ترهّد وسافر عاد إلى بغداد، فقومنا ملبوسه بخمسة عشر قيراطاً^(٣).

(١) «المنتظم»: ١٦٩/٩.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) «المنتظم»: ١٧٠/٩.

وحدّث بعضُ الفقهاء عن أنوشروان الوزير أنّه زار أبا حامد، فقال له: زمانك محسوبٌ، وأنت كالمُستأجر، فتوفّرْكَ على ذلك أولى من زيارتي. فخرَجَ أنوشروان وهو يقول: لا إله إلا الله، هذا الذي كان في أول عُمره يستزيدني فضّل لقبٍ في ألقابه، وكان يلبس الحرير والذهب آل أمره إلى هذا الحال!

وتوفي [أبو حامد]^(١) يوم الاثنين رابع عشرة جمادى الآخرة بطوس^(٢)، ودفن بها، وسأله بعضُ أصحابه قبيل الموت، فقال [له]^(١): أوْصني. فقال له: عليك بالإخلاص. ولم يزل يكرّرها حتى مات [هذا صورة ما ذكر جدّي في «المنتظم»^(٣) في ترجمة الغزالي.

وذكر جدّي في كتاب «الثبات عند الممات» عن أحمد بن محمد أخي أبي حامد الغزالي، قال:^(١) لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصَلَّى، وقال: عليّ بأكفاني. فأخذها وقبّلها، وتركها على عينيه، وقال: سَمِعاً وطاعة للدُّخول على المَلِك، ثم مَدَّ رجليه، واستقبل القبلة، ومات قبل الإسفار^(٤).

والغزالي هو القائل: ويكره الاستجمار بورق المُصحف^(٥). هذا خلاصة ما ذكر أبو الفرج ابن الجوزي، رحمه الله.

وقال عبدُ الغافر بن إسماعيل في كتاب «ذيل نيسابور»: أبو حامد الغزالي حُجّة الإسلام، لم ترَ العيونُ مثله لساناً وبياناً، ونطقاً وخاطراً، وطبعاً وذكاءً، قَدِمَ نيسابور مختلفاً إلى درس إمام الحَرَمين، واجتهد، وبذَّ^(٦) الأقران، وكان الطَّلبة في أيام إمام

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) طوس: كانت ثاني مدينة في خراسان بعد نيسابور، وفيها قبر الإمام الرضا، وقبر هارون الرشيد إلى جواره، وقد دمرها المغول سنة (٦١٧هـ)، ولم تقم لها قائمة من بعد، وقد نشأ حول مشهد الرضا عمارة اتسعت فيما بعد حتى ظهرت مدينة مشهد منذ القرن الثامن تحيط بها قبور من بينها قبر الغزالي إلى شرقي ضريح الإمام الرضا، وهناك كذلك قبر الفردوسي الشاعر المشهور. انظر «بلدان الخلافة الشرقية» كي لسترنج: ٤٣٠ - ٤٣١.

(٣) «المنتظم»: ١٦٨ - ١٧٠.

(٤) «الثبات عند الممات»: ١٧٨ - ١٧٩.

(٥) لم أهتم إلى موطن هذه الجملة في كتب الغزالي، وما إخالها تصدر عنه.

(٦) بَذَّ القوم يبذهم: سبقهم وغلبهم. «اللسان» (بذذ).

الحرمين يستفيدون منه، وصنف الكُتُب، فكان إمام الحرمين لا يؤثر ذلك لما لا يخفى من طباع البشر، وإنما كان يُظهر خلاف ذلك.

ثم خرج أبو حامد من نيسابور، وقدم على نظام المُلْك، فأقبل عليه أحسن قَبُول، وأمره بالتدريس بالنظامية ببغداد، فدرّس بها - وذكر تصانيفه - ثم تزهد، وسلك طريق التَّأَلُّه^(١)، وترك الحُشْمَة^(٢)، وحجَّ، وورد الشَّام، وسكن المنارة الغربية من جامع دمشق، وتمَّ فيها «الإحياء»، ثم عاد إلى وطنه بعد أن أقام بالشَّام عشر سنين^(٣).

[وأما الحافظ ابن عساكر فقال]^(٤): قَدِمَ الشَّام سنة تسع وثمانين [وأربع مئة]^(٥)، وكان إماماً في عِلْم الفقه مذهباً وخلاقاً، وسَمِعَ «صحيح البخاري» [من أبي سهل محمد ابن عبد الله الحَفْصِي^(٦) - وذكر بمعنى ما ذكرنا -، قال: ^(٧)، وكانت وفاته في جُمادى الأولى بطُوس^(٨)].

وله [من]^(٩) المصنفات: «البيسط»، و«الوسيط» و«الوجيز»، و«تهافت الفلاسفة» و«[بداية]^(١٠) الهداية»، و«شرح أحوال الباطنية» و«المستصفى» في أصول الفقه، ويقال: إنَّه صنف ثلاثين كتاباً^(١١).

وذكره ابنُ السَّمْعَانِي في «الذَّيل»، وقال: ومن شِعره: [من الكامل]

(١) التَّأَلُّه: التَّعَبُّد. «معجم متن اللغة»: ١/١٩٩.

(٢) الحُشْمَة: الأتباع، من الحَشْم والحَشْمَة والحُشْمَة: خاصة الرجل عبيداً كانوا أو أهلاً أو جيرة، ويجمع على أحشام. «معجم متن اللغة»: ٢/٩٨.

(٣) انظر «المنتخب من السياق» للصريفيني: ٨٣ - ٨٥.

(٤) في (ع) و(ب)، وقال ابن عساكر، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٥) في النسخ الخطية: سبع وثمانين، وهو تصحيف، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٩/٩١٩، وما بين حاصرتين منه.

(٦) شيخ صحيح السماع، توفي سنة (٤٦٦هـ)، انظر «الأنساب»: ٤/١٧٥.

(٧) ما بين حاصرتين من (م).

(٨) «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٩/٩١٩ - ٩٢٢.

(٩) ما بين حاصرتين من (ب).

(١٠) ما بين حاصرتين من «مؤلفات الغزالي» لعبد الرحمن بدوي: ١٣٨.

(١١) انظر «مؤلفات الغزالي» فهو كتاب نفيس في بابيه.

حَلَّتْ عَقَارُبُ صُدْغِهِ فِي خَدِّهِ قَمَرًا يَجِلُّ بِهَا عَنِ التَّشْبِيهِ
وَلَقَدْ عَهْدُنَاهُ يَحُلُّ بِبُرْجِهَا وَمِنَ الْعَجَائِبِ كَيْفَ حَلَّتْ فِيهِ

محمود بن علي^(١) بن المهنا^(٢)

أبو سلامة المَعَرِّي، القائل لما هَجَمَ [الفرنج] ^(٣) المعرّة: [من الخفيف]

أَنَا مِنْ بَلَدَةٍ قَضَى اللَّهُ يَا صَا حِ عَلَيْهَا كَمَا تَرَى بِالْخَرَابِ
قَتَلُوا أَهْلَهَا فَبَادُوا جَمِيعًا مِنْ شِيُوخٍ وَصِيبِيَّةٍ وَشَبَابِ^(٤)

وجده أبو المكارم الفضل بن عبد القاهر المَعَرِّي^(٥) هو القائل: [من البسيط]

لَيْلِي وَلَيْلَى نَفَى نَوْمِي اخْتِلَافُهُمَا حَتَّى لَقَدْ صَيَّرَانِي فِي الْهَوَى مَثَلَا
يَجُودُ بِالطُّوْلِ لَيْلِي كُلَّمَا بَخِلْتُ بِالطُّوْلِ^(٦) لَيْلَى وَإِنْ جَادَتْ بِهِ بَخِلَا

مُقَاتِل بن عَطِيَّة بن مقاتل^(٧)

أبو الهَيْجَاء، شِبْلُ الدَّوْلَةِ، الأمير البَكْرِي؛ مِنْ وَلَدِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ
شُجَاعًا شَاعِرًا [فصيحاً]^(٨)، وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ خَتَنَ^(٩) نِظَامِ الْمُلْكِ، وَهُوَ الَّذِي رَثَى نِظَامَ
الْمُلْكِ، فَقَالَ: [من البسيط]

كَانَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمُلْكِ لَوْلُوَّةَ نَفِيسَةً صَاغَهَا الرَّحْمَنُ مِنْ شَرْفِ
أَضَحَتْ وَلَا تَعْرِفُ الْأَيَّامُ قِيَمَتَهَا فَرَدَّهَا غَيْرَةً مِنْهُ إِلَى الصَّدَفِ^(٩)

(١) في «الخريدة»: علوي.

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١٠٠/٢، و«النجوم الزاهرة»: ٢٠٣/٥.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) البيتان في «الخريدة»، وانظر حاشيتنا رقم ٤ ص ٤١ من هذا الجزء.

(٥) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١٠٢/٢ - ١٠٣.

(٦) من معاني الطول: الغنى والسعة، انظر «اللسان» (طول)، وكأن الشاعر عني بها هنا الوصال.

(٧) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٢٥٧/٥ - ٢٦٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٧١/١٩، و«النجوم الزاهرة»: ٢٠٤/٥.

(٨) الختن: الصُّهْر. «اللسان» (ختن).

(٩) في «كتاب الروضتين»: ١٠٠/١ بتحقيقي، و«وفيات الأعيان»: ١٣٠/٢، وفيهما: عَزَّتْ وَلَمْ تَعْرِفْ الْأَيَّامَ

قيمتها.

وقال العماد الكاتب: كان شِبلُ الدَّولة من أولاد العَرَب، وقعَ بينه وبين إخوته خشونة، ففارقهم، وصار إلى خُراسان وغَزَنَة، ومدَحَ أعيانها، واختصَّ بنظام المُلْك، ودخل كَرْمَان، وقصد كريمها مُكرَم بن العلاء، ومدَحَه فأجازَه، وعادَ إلى خُراسان، ونزل هَرَاة، وشَبَّ بامرأة، وعادَ إلى مَرُو، فأقام بها، وغَلَبَتْ عليه السَّوداءُ إلى آخر عُمره، وحُمِلَ إلى مارِسْتانها، فتوفِّي به في حدود سنة خمس وخمس مئة؛ إما بعدها وإما قبلها.

وقال ابنُ السَّمْعاني: قال يمدح البرهان عبد العزيز بن مازه^(١): [من الكامل]

أما الديارُ فقد نأتُ سَكَّانُها
سارتُ حُدُوجُ^(٢) المالكيَّةِ غُدُوَّة
وغَدَتُ ديارُ الظَّاعنين مَحَلَّة
أهدى نسيمُ الرُّوضِ أنفاسَ الصِّبا
تدعو أئمةَ شَرعٍ دينٍ محمدي
برهانها المذكور بل إنسانها
نَسَخَتْ إمامتُك الأئمةَ مثَلما
وأنا ابنُ صديقِ النَّبيِّ محمدي
فعلامَ يَنعَبُ للنَّوى غُرْبانُها!
بالأمسِ تُعرفُ بالقبابِ قِيانُها
ترعى خلالَ فروعِها صنوانُها
وغَدَتُ تُخالُ نوافجاً^(٣) كُثبانُها
حتَّى أجابَ دعاءَها بُرْهانُها
بل سَيْفُها القِرْضابُ^(٤) بل سُلطانُها
نُسِخَتْ بدينٍ محمدي أديانُها
شَهِدَتْ بأنسابي لكم عَدنانُها

وكتَبَ إلى نظامِ المُلْك، وقد سارَ إلى العراق: [من البسيط]

إن كنتُ مُرتحلاً عنكم فديتُكم
وإن رأيتم سنا بَرَقَ يَلُوحُ دُجى
وإن تلاطمَ جيحونٌ بَمَزَجِ دَمٍ
نَحْوَ العِراقِ فَقَلْبِي عِنْدُكُمْ باقٍ
فإنَّه شُغْلَةٌ من نارٍ أشواقِي
فإنَّه قَطْرَةٌ من ماءٍ آماقِي

(١) هو عبد العزيز بن عمر المعروف ببرهان الأئمة من فقهاء الحنفية، له ترجمة في «الجواهر المضية»: ٤٣٧/٢، و«الفوائد البهية»: ٩٨، ولم يذكر له سنة ولادة ولا وفاة، وستأتي ترجمة ابنه عمر في وفيات سنة (٥٣٦هـ).

(٢) حدود جمع، مفردُها الحُدُج: مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمحفَّة. «اللسان» (حدج).

(٣) النوافج جمع، مفردُها نافجة: وعاء المسك. «معجم متن اللغة»: ٥٠٨/٥.

(٤) السيف القرضاب: القاطع، يقطع العظام. «اللسان» (قرضب).

وإن سَقَتُكُمْ غَوادي المَزَنِ رائحةً
وإن كَتَبْتُ كتاباً نحو سَيِّدُكُمْ
شمسِ الكُفَاةِ نظامِ المُلْكِ أَكْرَمِ مَنْ
أَقْلَامُهُ أَبداً في كَفِّ دَوْلَتِهِ
هذي سَحَائِبُ كَفِّهِ نَدَى وَرَدَى
فإن دَمَعِي الذي يَهْمِي بِكُمْ سَاقِي
فإنَّهُ في جَنَابِ ابنِ إِسْحاقِ
سَاسَ البَسيطةِ مِنْ ماضٍ وَمِنْ باقٍ
لِلنَّاسِ تَجْري بِأَجالٍ وَأَرْزاقٍ
على الوري ذاتُ إِرْعادٍ وإِبراقٍ

السَّنة السادسة وخمس مئة

فيها قَدِمَ يوسُفُ بنُ أيوبَ الهَمْداني الواعظ بغداد^(١)، وكان قدمها بعد الستين وأربع مئة، وتفقه على أبي إسحاق الشيرازي، وبرع في الفقه، وعاد إلى مرو، وجلس في رباط يتعبّد، واجتمع إليه جماعة من المنقطعين إلى الله تعالى، ثم عاد إلى بغداد في هذه السنة، ووعظ بها، ولم يتعرّض لمذهب الأشعري، فوقع له القبول، فقام إليه ابنا أبي بكر الشاشي، فقالا له: إن كنت تتكلّم على مذهب الأشعري، وإلا فلا تتكلم. فقال: اجلسا، لا متعكما الله بشبابكما. فماتا شائين.

وقام إليه [رجل يقال له]^(٢) ابن السَّقاء، فأذاه في مسألة في الأصول، فقال له: اجلس، فإني أجِدُ مِنْ كلامك ريحَ الكُفْرِ، ولعلك تموتُ على غير دين الإسلام. فاتفق بعد مُدَّة أن ابنَ السَّقاء خَرَجَ إلى بلادِ الرُّوم، وتنصّر^(٣)، ومات كافراً^(٤).

وكان يوسف الهَمْداني من الأبدال، قال: دخلتُ جَبَلَ زَرْزَر لزيارة عبد الله الجوني، فوجدتُ ذلكَ الجبلَ كثيرَ المياه والأشجار، معموراً بالأولياء، على رأس كلِّ عينٍ واحدٌ من الرُّجال مشغولٌ بالعبادة، فطُفْتُ عليهم، ولا أعلمُ حَجَراً في ذلكَ الجبل لم تُصبه دمعتي^(٥).

(١) سترد ترجمته في وفيات سنة (٥٣٥هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) نقل ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٧٩/٧ عن ابن النجار قال: كان ابن السقاء قارئاً للقرآن الكريم، مجوداً في تلاوته... نعوذ بالله من سوء القضاء. وزوال نعمته، وحلول نقمته، ونسأله الثبات على دين

الإسلام، آمين آمين آمين.

(٤) انظر «المنتظم»: ١٧١/٩.

(٥) انظر «المنتظم»: ٩٤/١٠ - ٩٥.

وفيهما اشتدَّ خوفُ أهلِ صور من نزولِ الفرنج [عليها مرّةً ثانية]^(١)، فاتفقوا مع واليها عزَّ الملك أنوشتيكين الأفضلي على تسليمها إلى ظهير الدّين طُغتيكين، بحُكمٍ ما سبقَ من نُصرته لهم، وما عانى من الشّدّة في دَفْعِ العدوِّ عنهم، فراسلوا طُغتيكين في هذا المعنى، فجاء الرّسولُ إلى بانياس، وواليها سيف الدولة مسعود، فأخبره، فسار مسعود معه إلى دمشق، فوجد أتابك قد مضى إلى ناحية حماة ليتّفق مع رضوان صاحب حلب على أمرٍ، فخافَ مسعود أن يتأخّر الأمر إلى حينِ عودِ أتابك من حماة، فيسبق بغدوين فينزل على صور، فيَقوُتُ الغرض، فتحدّث مع تاج الملوك بُوري بالمشير معه إلى بانياس [وانتهاز الفرصة في تسليم صور]^(٢)، فأجابه، وسار معه إلى بانياس، وتَمَّ مسعود إلى صور، ومعه من يُعتمد عليه من العسّكر، وبلغ أتابك فبعث قطعةً من الأتراك إلى تقوية صور، فساروا إليها ودخلوها، وأنفق فيهم أتابك، وطابَتْ [نفوسُ أهلِ صور]^(٣)، وأجروا في الرّسم على الخطبة والسّكّة لصاحب مصر، [ولم يغيّر عليهم شيئاً]^(٤) وكتبَ أتابك إلى الأفضل: إنّ الفرنج نزلوا على صور وشارفوا أخذها، وبعثَ أهلها إلَيَّ يستنجدوا بي، وإنني أنجدتهم بنفسي ومالي ورجالي، وسألوني بعد ذلك إنفاذَ عسّكرٍ إليهم، فبعثتُ [إليهم]^(٥) رجالي، ومتى وصل إليها من مصر من يذبُّ عنها سلّمُها إليه، فلا تهمل حالَ الأسطول، وإنفاذَ الغلّة والقوّة^(٥).

وجاء بغدوين إلى عكا، فبلغه الخبر، فتوقف، وفاتَ غرضه، ولما فاتَ غرضه شرَعَ في الغارات على حوران، والسّواد، وكثُرَ فسادُه، فكتبَ أتابك إلى مودود [صاحب الموصِل]^(٤) يخبره ويطلبُ نجدة، وكانا قد اتفقا وتصادقا، [وتحايبا محبةً عظيمةً]^(٤)، فسار مودود بعساكره، فقطعَ الفرات، وخرَجَ إليه أتابك، فالتقيا على سلّمية، واتفق رأيهما على قَصْدِ بغدوين، وساروا من حمص بعساكر الشرق وحمص،

(١) في (ع) عليهم في ثاني مرة، والمثبت ما بين حاصرتين من (ب) و(م).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) نفوسهم، والمثبت ما بين حاصرتين من (ب) و(م).

(٤) ما بين حاصرتين من (م).

(٥) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٩٠ - ٢٩١.

وحماة ودمشق وأعمالها، وجازوا على البقاع، فنزلوا الغور على [القحاوين]^(١)، وجمع بغدوين، ونزل على جسر الصنبرة^(٢)، فتقدم بعض الغلمان، وقطع الجسر للعلوفة، فالتقوا الفرنج، ونشب القتال، وجاء أتابك، وقطع الجسر، واقتلوا، فانهزم الفرنج، وقتل منهم نحو ألفي فارس من الشجعان والأبطال، وغنموا أثقالهم، وأفلت بغدوين بعدما قبض وأخذ سلاحه، وغرق أكثرهم في البحيرة بحيث صارت دماً، وامتنع الناس من الشرب منها أياماً [حتى صفت]^(٣).

وبعث أتابك ومودود إلى السلطان محمد يخبرانه بهذا الفتح، وبعثا بالأسارى والهدايا، ورؤوس الفرنج وخيولهم وسلاحهم^(٤).

ثم أغار المسلمون على الضياع التي بين القدس وعكا، وأخربوا ونهبوا وقتلوا، وعادوا إلى دمشق، فنزل مودود في حجرة الميدان الأخضر، وبذل أتابك المجهود في خدمته [وكل ما يقدر عليه]^(٥)، وخدمه بنفسه، وواصل الصلاة في جامع دمشق، والتبرك بنظر المصحف.

قال [أبو يعلى]^(٥) ابن القلانسي: وهذا المصحف حمله عثمان بن عفان رضي الله عنه من المدينة إلى طبرية، وحمله أتابك طغتكين من طبرية إلى دمشق^(٦).

[فصل وفيها توفي]

أحمد بن الفرج بن عمر^(٧)

أبو نصر الدينوري، والد شهدة بنت أحمد الكاتبة، شيخة شيوخنا.

(١) في (ع): النجادين، والمثبت ما بين حاصرتين من (ب) و(م)، والمراد به الأقحوانة كما جاء مصرحاً به عند ابن القلانسي وابن الأثير، والأقحوانة موضع على شاطئ بحيرة طبرية. انظر «معجم البلدان»: ٢٣٤/١.
(٢) الصنبرة: موضع بالأردن مقابل لقصة أفيق، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال. «معجم البلدان»: ٤٢٥/٣.
(٣) ما بين حاصرتين من (م)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٩٣ - ٢٩٥، و«الكامل» ٤٩٥/١٠ - ٤٩٦.

(٤) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٩٦.

(٥) ما بين حاصرتين من (م).

(٦) «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٧) له ترجمة في «الأنساب»: ١١٨/١، و«المنتظم»: ١٧٢/٩، و«الكامل»: ٤٩٣/١٠ - ٤٩٤، و«وفيات الأعيان»: ٤٧٨/٢، و«الوافي بالوفيات»: ٢٨٥/٧ - ٢٨٦.

كان زاهداً عابداً، حسن السيرة، وكانت وفاته في جمادى الأولى، ودفن بباب أبرز.

سمع القاضي أبا يعلى، وابن المأمون، وابن المهدي، وابن النُّور، وابن المسلمة، والخطيب، وغيرهم. وروى عنه جماعة، منهم ابنته شهدة، وكان صدوقاً ثقةً. وفيها توفي

محمد بن محمد بن أيوب^(١)

أبو محمد القَطَوَانِي السَّمَرْقَنْدِي، وقَطَوَان على خمسة فراسخ من سمرقند. سافر الكثير، ولقي الشيوخ، وكان يعظ، وله القبول التام بين الخواص والعوام، وكان يلقي الملوك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير محاباة، سقط من الفرس، فتوفي في رجب، سمع أصحاب الأصم وغيرهم، وكان ثقةً. وفيها توفي

اللامشي الحنفي^(٢)

أبو عبد الله، واسمه^(٣) محمد بن موسى بن عبد الله اللامشي التركي، مصنف أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة، كان إماماً فاضلاً عارفاً بفنون القضاء والعلوم، وذكره الحافظ ابن عساكر، وقال: ^(٣) «ولي القضاء بالبيت المقدس مدة، فشكى إلى واليها سُكَّمان بن أرتُق، فعزله، فنزل دمشق، فولاه تاج الدولة القضاء بها، وكان غالباً

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ١٩٨/١٠، و«المنتظم»: ١٧٢/٩ - ١٧٣، و«معجم البلدان»: ٣٧٥/٤، و«اللباب»: ٤٧/٣، و«الجواهر المضية»: ٣١٩/٣، و«طبقات المفسرين» للداودي: ٢٣٤/٢، و«الفوائد البهية»: ١٨٦.

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٣٥١/٢ - ٣٥٢، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٣٦/١٦ - ٣٧، و«معجم البلدان»: ٤٧٦/١، و«اللباب»: ١٩٤/١، و«ميزان الاعتدال»: ٥١/٤ - ٥٢، و«الوافي بالوفيات»: ٨٨ - ٨٧/٥، و«الجواهر المضية»: ٣٧٥/٣ - ٣٧٦، و«اللسان الميزان»: ٤٠٢/٥، و«تاج التراجم»: ٢٠٢ - ٢٠٣، و«قضاة دمشق» للنعمي: ٤٣.

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

في مذهب أبي حنيفة، وأراد أن ينقل محراب الشافعية من [جامع]^(١) دمشق إلى الحنفية، فثار العوام، وصلُّوا بدار الخيل، موضع المدرسة الأمانية اليوم، فلم يلتفت، وجعل الإمامة للحنفية، [وهو أول من فعل ذلك]^(٢)، ورتَّب الإقامة مثنى مثنى^(٣).

وبقي الأمر على حاله إلى سنة سبعين وخمس مئة، فلما ملك صلاح الدين يوسف ابنُ أيوب - رحمه الله - أعاد المحراب إلى الشافعية. [وقال ابن عساكر:]^(٢) وكان اللامشي يقول: لو كان إليَّ أمرٌ لأخذتُ [الجزية]^(٢) من الشافعية. [قلت: إن ثبت عنه هذا فقد أخطأ، ولعلَّهم شنعوا عليه]^(٢). وكانت وفاته بدمشق يوم الجمعة ثالث عشرة جمادى الآخرة [قال ابن عساكر: شهدت جنازته وأنا صغير، قال:]^(٢) ولم تكن سيرته في القضاء محموداً، [سمع ببغداد القاضي أبا عبد الله بن الدامغاني - وعليه تفقه - وأبا الفضل بن خيرون وغيرهما، وروى عنه أبو محمد بن صابر، وأبو البركات بن عبد شيخ ابن عساكر]^(٤).

[قلت: وفي الفقهاء آخر يقال له اللامشي اسمه الحسن بن علي، نذكره في سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مئة^(٥)] ^(٦).

المُعَمَّر بنُ علي بن المُعَمَّر^(٧)

أبو سعد بن أبي عِمامة، البغدادي.

-
- (١) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).
 (٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
 (٣) انظر «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٣٦/١٦.
 (٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، ثم ذكر فيهما قول ابن عساكر: ولي القضاء بالبيت المقدس إلى قوله: وكان غالباً في مذهب أبي حنيفة. قلت: وقد سلف، فأغنى عن إثباته هنا.
 (٥) لم ترد ترجمته في نسخنا الخطية، وهذا يؤكد ما ذهبْتُ إليه من أن ما بين أيدينا من مرآة الزمان هو مختصره.
 (٦) جاء عقب هذا في (م) و(ش)، وفيها توفي هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن طائوس المقرئ الشافعي، إمام جامع دمشق، سمع الحديث الكثير، وأم بالناس مدة طويلة، وتوفي بدمشق، سمع أباه والشيخ بمصر مع أبيه ونصر المقدسي وغيره، وكان ثقة صدوقاً.
 قلت: وورود الترجمة هذه في وفيات سنة (٥٠٦هـ) خطأ، إذ إن وفاته على الصحيح هي سنة (٥٣٦هـ)، وسترد ترجمته في وفياتها.
 (٧) له ترجمة في «المنتظم»: ١٧٣/٩ - ١٧٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٥١/١٩ - ٤٥٢، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

ولد سنة تسع وعشرين وأربع مئة. وسَمِعَ الحديثَ وَوَعَظَ، وَجُمُهورٌ وَعَظُهُ حكاياتُ السَّلفِ، وكان له خاطرٌ حادٌ وذهنٌ حاضرٌ، ومجونٌ سائرٌ، وكان يحاضر المستظهر.

ولما دخل السُّلطانُ ملكُ شاهِ بغدادَ ومعه نظامُ المُلْكِ، قام ابنُ أبي عِمامةٍ في الجامعِ بحيثُ يسمعُ النُّظامَ، وقال: الحمد لله وليّ الإنعام، وصَلَّى الله على مَنْ هو للأنبياء خِتامٌ، وعلى آله سُرُجُ الظَّلامِ، وعلى [أصحابه]^(١) الغُرِّ الكِرامِ، والسَّلام على صَدْرِ الإسلامِ، ورَضِيِّ الإمامِ، زَيْنَةِ الله بالتَّقوى، وخَتَمَ عملَهُ بالحُسنى. وَجَمَعَ له بين خَيْرِي الآخرةِ والدُّنيا. يا صَدَرَ الإسلامِ، معلومٌ أَنَّ مَنْ هو أميرٌ فهو في الحقيقة أجيرٌ، قد باعَ زمنَهُ [و]^(٢) أخذَ ثمنَهُ، فلم يبقَ له من نهارِهِ ما يتصرف فيه على حسب إثارِهِ واختيارِهِ، وليس له أن يُصَلِّيَ نافلةً، ولا يَدْخُلَ مُعْتَكِفاً دون التَّبَتُّلِ لتدبيرِهِم، والنَّظَرِ في أمورِهِم، لأنَّ ذلك فَضْلٌ، وهذا فَرَضٌ.

يا صَدَرَ الإسلامِ، استأجرك جلالُ الدَّولةِ بالأجرةِ [الوافرة]^(٣)، لتَنوبَ عنه في الدُّنيا والآخرةِ، فأما في الدُّنيا ففي مصالحِ المُسلمين، وأما في الآخرةِ فلتجيبَ عنه رَبَّ العالمين، فإنه [سيوقفه]^(٤) بين يديه، ويقول له: مَلَكْتُكَ البلادَ والعبادَ، فما صنعتَ في إقامةِ البَدَلِ وإفاضةِ العدلِ؟ فلعلَّه يقول: يا رَبَّ اخترتُ رجلاً عاقلاً، حازماً فاضلاً، وسَمَّيْتُهُ نظامَ المُلْكِ، وَبَسَطْتُ يَدَهُ في السَّيفِ والقلمِ، ومَكَّنْتُهُ من الدِّينارِ والدَّرهمِ، فسَلِّه يا رَبَّ ماذا صنعَ في عبادِكَ وبلادِكَ؟ أفَتُحْسِنُ أن تقول في الجواب: نَعَمْ، تَقَلَّدْتُ أمورَ البلادِ، ومَلَكْتُ أزمَةَ العِبادِ، فبَثْتُ النُّوالَ، وأَعْطَيْتُ الإفضالَ، حتى إذا قَرُبْتُ من لقاءِكَ ودَنَوْتُ من تلقائك اتخذتُ الأبوابَ والحُجَّابَ، ليصدُّوا عني القاصدَ، ويردُّوا عني الوافدَ.

(١) في النسخ الخطية: وعلى آله، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم».

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ع): الوافية، والمثبت ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (ع) و(ب): فإنه سيوقفك سلطانك بين يديه، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٧٣/٩.

فاغمر قبرك كما قد عمرت قصرك، وانتهر الفرصة ما دام الدهر يقبل^(١) أمرك، ولا تعتذر فما ثم من يقبل عذرَكَ. هذا ملك الهند وهو عابد صنم، ذهب سمعه، فدخل عليه أهل مملكته يعزونه في سمعه، فقال: والله ما حزني لذهاب هذه الجارحة، ولكن لصوت المظلوم كيف لا أسمعه فأغيثه. ثم قال: إن كان ذهب سمعي فما ذهب بصري. ثم نادى في مملكته: لا يلبس ثوباً أحمر إلا متظلم.

ولما دخل رسول ملك الروم على كسرى أنوشروان، قال له: قد أقدرت عدوك عليك بتسهيل الوصول إليك. فقال: إنما أجلس هذا المجلس لأكشف ظلامه وأقضي حاجة.

وأنت يا صدر الإسلام أحق بهذه المأثرة، وأولى بهذه المعدلة، وأحرى من أعد جواباً لتلك المسألة، فإن الله الذي تكاد السماوات يتفطرن منه في موقف ما فيه إلا خاشع أو خاضع أو مُقنع^(٢)، ينخلع فيه القلب، ويحكم فيه الرب، ويعظم فيه الكرب، ويشيب الصغير، [ويعزل]^(٣) الملك والوزير، يوم ﴿يَذَكِّرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّهُ لَهُ الْذِكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣] ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] فقد محضت لك النصيحة مع براءتي من التهمة، فليس لي في الأرض ضيعة، ولا بيني وبين أحد حُكومة، ولا بي - بحمد الله - فقر ولا فاقة.

فلما سمع نظام الملك الموعظة بكى بكاءً طويلاً، وأمر له بمئة دينار، فأبى أن يأخذها. وقال: أنا في ضيافة أمير المؤمنين، ومن كان في ضيافته يقبُح به أن يأخذ عطاء غيره. فقال له: فضها على الفقراء. فقال: الفقراء ببابك أكثر منهم على بابي. ولم يأخذ شيئاً.

(١) في (ب) يقبل.

(٢) المقنع: الذي يرفع رأسه ينظر في ذل. «معجم متن اللغة»: ٦٦٢/٤.

قلت: وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ سورة إبراهيم، الآية: ٤٣.

(٣) في (ع) و(ب) يقل، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم».

وكانت وفاته في ربيع الأول، ودُفِنَ بباب حرب، وكان ثقةً^(١).

السنة السابعة وخمس مئة

فيها استوزر المستظهر أبا منصور الحسين بن الوزير أبي شجاع، وخَلَعَ عليه خَلَعَ الوزارة وأوصله إليه. وولّى محمد شاه بهروز الخادم شحنة بغداد، فقامت الهيئة^(٢).

[وفيها استشهد الأمير مودود بجامع دمشق، وسنذكره]^(٣).

وفيها عاد جواب الأفضل إلى طغتكين يتضمن الشكر له في حديث صور، ويقول: إن هذا الأمر وقع منا أجمل موقع وأحسن موضع. وبعث الأسطول فيه الميرة، ومال النفقة للعساكر والغلات، وكان مقدمه شرف الدولة بدر بن أبي الطيب الدمشقي الوالي - كان - بطرابلس عند تملك الفرنج لها، فرخصت الأسعار، واستقامت الأمور، [وزال طمع الفرنج عن صور]^(٣)، وكان معه خلع فاخرة من صاحب مصر لطغتكين، وولده تاج الملوك بُوري، ولخواصه، ولمسعود والي صور^(٤).

وراسل بغدوين مسعود يسأله المودعة [والمسالمة ليحسم أسباب الأذى من الجانبين]^(٣) فأجابه [إلى ذلك]^(٣)، وانعقد الأمر بينهما على السداد، [وصلح الفتيين]^(٣)، واستقامت الأمور، وأمنت السبل، ودب التجار من جميع الأقطار.

وكان ابن السلطان تكش بن ألب أرسلان قد هرب من محمد شاه إلى الشام، فلم يقبله رضوان [صاحب حلب]^(٣) ولا [أتاك]^(٣) طغتكين، فتوجه إلى مصر، فلقى من الأفضل ما أحب من الإحسان والإكرام، فأقام عنده^(٥).

(١) انظر «المنتظم»: ١٧٣/٩ - ١٧٤.

(٢) انظر «المنتظم»: ١٧٥/٩، و«الكامل» ٤٩٨/١٠.

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

(٤) انظر «ذيل تاريخ دمشق»، لابن القلانسي: ٣٠٠-٣٠١.

(٥) كان ابن تكش قد توجه أولاً إلى طنكري صاحب أنطاكية، ثم بعد وفاته توجه إلى مصر، انظر «ذيل تاريخ

دمشق»: ٢٩٢، ٣٠١.

[وفيها توفي رضوان صاحب حلب، وسنذكره]^(١).

وفيها عامل جماعة من الباطنية من أهل فامية ومعرة النعمان، ومعرة مصرين على حصن شيزر في فصيح النصاري، فوثب فيه مئة راجل على حين غفلة من أهله، فملكوا الحصن وأخرجوهم منه، وأغلقوا أبوابه.

وكان بنو منقذ قد خرجوا لمشاهدة عيد النصاري، وبلغهم الأمر، فجاؤوا. [وكانوا قد أحسنوا إلى هؤلاء الذين وثبوا، وإنما رتبوا ذلك في المدة الطويلة]^(١) - ودلى الحرم الحبال من القلعة، واستقوا الرجال، وفتحوا [الأبواب]^(٢)، وصعد الأمراء بنو منقذ فقاتلوهم فذلوا، فقتلوهم عن آخرهم، وقتلوا كل من كان على رأيهم في البلد من الباطنية، ووقع الاحتراز في مثل ذلك.

وقيل: إن بني منقذ كانوا يخرجون إلى الصيد، فقالت الباطنية: الصواب أن يتخاصم منا اثنان، ونصعد إلى القلعة ولنا بها جماعة، فلما صعدا فطن الناس، فغلقوا الأبواب وقتلوهم، ثم احترز بنو منقذ فما كان يغيب واحد إلا ويحضر آخر^(٣).
وحج بالناس زنكي أخو البرسقي^(٤).

وفي ذي الحجة جهز السلطان محمد شاه ولده مسعود إلى الشام لقتال الفرنج، وكتب إلى ملوك الأطراف، ثم عرض أمر من ذلك.
وفيها توفي

إسماعيل بن أحمد بن الحسين^(٥)

ابن علي بن موسى، أبو علي البيهقي، ووالده^(٦) الإمام أبو بكر أحمد صاحب التصانيف.

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) في (ع) و(ب) الباب، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٣) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٤) انظر «المنتظم»: ١٧٥/٩.

(٥) له ترجمة في «التحبير» للسمعاني: ٨٣/١ - ٨٥، و«المنتظم»: ١٧٥/٩ - ١٧٩، و«سير أعلام النبلاء»:

٣١٣/١٩ - ٣١٤، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٦) في (ع) و(ب): وولده، وهو تصحيف، والصواب ما هو مثبت من «المنتظم»: ١٧٥/٩، وقد سلفت ترجمة والده أبي بكر في وفيات سنة (٤٥٨هـ).

ولد إسماعيل سنة ثمانٍ وعشرين وأربع مئة، وسافر الكثير، ولقي الشيوخ، وسكن خوارزم قريباً من عشرين سنة، ودرّس بها، ثم مضى إلى بلخ، فأقام بها مدة، وورد بغداد، وورد نيسابور في هذه السنة، ثم خرج إلى بيهق فتوفي بها، وكان إماماً فاضلاً حسنَ الطريقة، صدوقاً، ثقة^(١).

[فصل وفيها توفي]^(٢)

رضوان بن تاج الدولة تُتش

صاحب حلب، ويلقب بفخر الملك [وقد ذكرنا سيرته في السنين]^(٢)، وكان ملكه بحلب سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مئة بعد قتل أبيه، وكان المستولي على أمره جناح الدولة حسين، ففارقه، وكان رضوان غير محمود السيرة، وهو أول من بنى بحلب دار الدعوة وقتل أخويه: أبا طالب، وبهرام [ابني تاج الدولة تُتش]^(٣)، وقتل خواصّ أبيه واحداً بعد واحد.

وكان ظالماً، بخيلاً شحيحاً، قبيح السيرة، ليس في قلبه رحمة ولا شفقة على المسلمين، وكانت الفرنج تغار^(٤) وتسبي، وتأخذ من باب حلب ولا يخرج إليهم، ومريضاً أمراضاً مُزمنة، ورأى العبر في نفسه، وتوفي في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة.

وترك [ولداً صغيراً اسمه]^(٥) ألب أرسلان وعمره ست عشرة سنة، وكان أخرس في كفالة لؤلؤ الخادم، [والغالب على ملك حلب مثل هذا؛ أن يموت صاحبها ويتولّى أمر

(١) انظر «المنتظم»: ١٧٥/٩ - ١٧٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (م)، وقد سلفت أخباره في أثناء هذا الجزء، وانظر ترجمته في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٢٥٧/٦، و«بغية الطلب» لابن العديم: ٣٦٥٩/٨ - ٣٦٦٧، و«سير أعلام النبلاء» ٣١٥/١٩ - ٣١٦، وانظر ترجمة ابنه ألب أرسلان في «تاريخ ابن عساكر» ٢٨٠/٣ - ٢٨١، و«بغية الطلب» ١٩٨٤ - ١٩٨٧.

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

(٤) كذا في (ع) و(ب) و(م): ولم أر من استعمل هذا الفعل، وصوابه تغير.

(٥) في (ع) و(ب): وترك ولده ألب أرسلان، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

ولده الصغير بعضُ مماليكه من زمن سيف الدولة إلى هلم جرا. وكان رضوان قد بنى دار الدَّعوة، وأطمعهم في حلب، فلما مات أشار البديعُ رئيسُ حلب على لؤلؤ والصبي بقتل كل مَنْ في حلب منهم، وأغلق^(١) باب دار الدَّعوة، فخاف لؤلؤ والصبي، وجسَرَ عليهم البديع، فقتَلَ منهم خَلْقاً كثيراً، فخاف الصبيُّ، فسارَ في خواصّه [وغلمانَه]^(٢) إلى دمشق، فأكرمه طُغتكين، وأجلسه على تَحْتِ عمّه دُقاق بقلعة دمشق، وأقام عنده مُدَّة، فأحسن ضيافته، وقَدَّم له الطافاً كثيرة، وسأل طُغتكين أن يمضي معه إلى حلب [ليدبر]^(٣) أموره. فمضى معه، ودبرَ أموره، وعاد إلى دمشق، فكثُر فسادُ الصبيِّ، ودسَّ إلى أخويه مَنْ قَتَلَهُما بعدما حَبَسَهُما، وأساء السيرة، [وأفسد]^(٤) واغتال الناس يقتلهم^(٥)، فاستوحشَ منه لؤلؤ، وخاف أن يقتله، فامتنع من الاجتماع معه^(٥).

[وقد ذكره أبو يعلى ابن القلانسي، فقال: وفي سنة سبع وخمسة مئة في جمادى الآخرة وردت الأخبار بمرضٍ عَرَضَ لرضوان صاحبها]^(٦) ومات في التاريخ المذكور، [وقال:]^(٧) وخلف في خزانته من العين والعروض والأواني ما تقديره ست مئة ألف دينار، وتقرَّر الأمرُ بعده لولده ألب أرسلان [وعمره ست عشرة سنة]^(٧) وفي كلامه حُبسة وتمتمة، وأمه بنت الأمير يغي سغان، صاحب أنطاكية، فقبض على جماعةٍ من خواصِّ أبيه، فقتَلَ بعضاً، وأخذ مالَ بعض، ودبر الأمرَ معه خادمُ أبيه لؤلؤ، فأساء كلُّ واحدٍ منهما التدبير، وقبَضَ على أخويه مَلِك شاه من أمّه وأبيه، ومبارك من جارية، وقتلَهُما.

(١) في (ع) و(ب): وكان أخرس في كفالة لؤلؤ الخادم، فأشار البديع رئيس حلب بقتل الباطنية وغلق باب دار الدعوة، وما بين حاصرتين من (م).

(٢) ما بين حاصرتين من (م).

(٣) في (ع) و(ب): يدبر، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٤) في (م) و(ش): فقتلهم.

(٥) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٦) في (ع) و(ب): وقال ابن القلانسي: عرض لرضوان مرض، ومات في التاريخ المذكور، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[وقد كان أبوه رضوان في مبدأ أمره فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ؛ قَتَلَ إِخْوَتَهُ مِنْ تَاجِ الدَّوْلَةِ أَبَا طَالِبٍ وَبَهْرَامَ شَاهٍ، وَكَانَا عَلَى غَايَةٍ مِنْ حُسْنِ الصُّورَةِ، قَالَ: فَفَعَلَ وَلَدُهُ بَوْلَدِيهِ مَكَافَأَةً عَمَّا فَعَلَ فِي إِخْوَتِهِ] ^(١).

وكان أمر الباطنية قد قوي بحلب، [واشتدَّتْ شوكته، وخاف البديع رئيس الأحداث بحلب، وأعيان البلد منهم] ^(١)، وكان الحكيم المنجم [و] ^(١) أبو طاهر الصائغ أول مَنْ أظْهَرَ هَذَا الْمَذْهَبَ بِالشَّامِ فِي أَيَّامِ رِضْوَانَ، فَمَالَ إِلَيْهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، مِنْ جَبَلِ السَّمَاقِ وَسَرْمِينِ ^(٢) وَالْمَعْرَةِ وَتِلْكَ النَّوَاحِي، فَقَرَّرَ الْبَدِيعُ رَئِيسُ الْأَحْدَاثِ بِحَلَبٍ مَعَ أَلْبِ أَرْسَلَانَ الْإِيقَاعِ بِهِمْ، فَقَبِضَ عَلَى أَبِي طَاهِرِ الصَّائِغِ، وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُ، وَهُمْ زُهَاءُ مِثْلِي نَفْسٍ، وَقَتَلَ فِي الْحَالِ أَبَا طَاهِرٍ [الصائغ] ^(١) وَإِسْمَاعِيلَ الدَّاعِي، وَأَخَا الْحَكِيمِ الْمُنْجِمِ وَأَعْيَانَهُمْ، وَحَبَسَ بَعْضَهُمْ، وَاسْتَصْفَيْتُ أَمْوَالَهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ رُمِيَ مِنْ أَعْلَى الْقَلْعَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ خُنِقَ وَقَتَلَ، وَهَرَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْفَرَنْجِ، وَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ، وَدَعَتْ أَلْبِ أَرْسَلَانَ الْحَاجَّةُ إِلَى مَنْ يَدْبِرُهُ، فَرَأْسُ طُغْتَكِينَ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَخَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى دِمَشْقٍ فِي رَمَضَانَ، فَخَدَمَهُ أَتَابِكُ، [وَقَامَ فِي خِدْمَتِهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا] ^(١)، وَسَارَ مَعَهُ إِلَى حَلَبٍ، فَأَقَامَ يُدَبِّرُ أُمُورَهُ، فَحَبَسَ الصَّبِيَّ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْهُمْ وَزِيرُ أَبِيهِ الْفَضْلُ بْنُ الْمَوْصُولِ - وَكَانَ مُحَمَّدُ السَّيِّدَةِ مَشْهُورًا بِفِعْلِ الْخَيْرِ - وَقَبِضَ أَعْيَانَ عَسْكَرِ أَبِيهِ، فَحِينَ رَأَى أَتَابِكُ أُمُورَهُ عَلَى غَيْرِ السَّدَادِ، [وَبَانَ لَهُ اخْتِلَالُ التَّدْبِيرِ وَفَسَادُ الْحَالِ] ^(١)، عَادَ إِلَى دِمَشْقٍ وَمَعَهُ وَالِدَةُ [الملك رضوان بسؤالها ورغبتها في ذلك] ^(٣).

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)

(٢) جبل السماق: هو جبل من أعمال حلب الغربية، وسرمين: بلدة مشهورة من أعمال حلب، انظر «معجم البلدان»: ١٠٢/٢، ٢١٥/٣.

(٣) في (ع) و(ب): ومعه والدته رضوان بسؤالها، والمثبت ما بين حاصرتين من (م)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠١-٣٠٣.

شُجاع بن أبي شجاع فارس بن الحسين^(١)

أبو غالب الذُّهلي.

ولد في رمضان سنة ثلاثين، وسمِعَ الحديث الكثير، وكان مفيداً أهل بغداد والمرجوع إليه في سماع الشيوخ، وتوفي في جمادى الأولى، ودُفِنَ ببابِ حَرْبٍ، وكان ثقةً، مأموناً، ثبَتاً، عارفاً بالحديث، ويورِّق للناس.

قال عبد الوهَّاب الأنماطي: دخلتُ عليه، فقال: توبني. فقلتُ: من أيِّ شيء؟ قال: كتبتُ شِعْرَ ابنِ الحَجَّاج^(٢) سبعَ مرَّاتٍ.

محمد بن أحمد بن الحسين^(٣)

أبو بكر الشَّاشي، الفقيه الشَّافعي.

ولد سنة سبعٍ وعشرين^(٤)، وأربع مئة، وتفقه على جماعة، وقرأ على ابن الصَّبَّاح كتابه «الشَّامل»، ودَرَّسَ بالنُّظامية، وتوفي في شوال، ودُفِنَ عند أبي إسحاق الشَّيرازي.

وكان ينشد: [من الوافر]

تَعَلَّمْ يا فتى والعُودُ رَظْبٌ وَطَيْنُكَ لَيْنٌ وَالطَّبْعُ قَابِلٌ
فَحَسْبُكَ يا فتى شَرَفًا وفَخْرًا سَكُوتُ الحاضرينَ وأنتَ قَائِلٌ

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ١٩٨/٧، و«المنتظم»: ١٧٦/٩، و«الكامل» لابن الأثير: ٥٠٠/١٠، و«طبقات علماء الحديث»: ١١/٤ - ١٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٥٥/١٩ - ٣٥٧، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) ابن الحجَّاج: هو حسين بن أحمد بن محمد البغدادي، شاعر ماجن، توفي سنة (٣٩١هـ)، وقد سلفت ترجمته في وفياتها.

(٣) له ترجمة في «تبيين كذب المفتري»: ٣٠٦ - ٣٠٧، و«المنتظم»: ١٧٩/٩، و«الكامل»: ٥٠٠/١٠، و«وفيات الأعيان»: ٤٤٤/٤ - ٤٤٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٨٣/١٩ - ٢٩٢.

(٤) كذا في (ب) و(ع)، و«المنتظم»، و«الكامل»، وعند ابن خلكان والذهبي وغيرهما سنة تسع وعشرين، وهو الصواب، يؤيده ما نص عليه ابن عبد الهادي في «طبقات علماء الحديث»: ١٣/٤، ذلك أنه قال: توفي وله ثمان وسبعون سنة.

محمد بن أحمد بن محمد^(١)

أبو الْمُظَفَّر الأيُّورُدي، [من]^(٢) ولد معاوية بن محمد بن عثمان ابن عُثْبَة ابن عُنْبَسَة ابن أبي سُفْيَان صَخْر بن حرب^(٣).

كان عالماً بالأنساب وفنون اللغة والآداب، وسَمِعَ الحديث، ورواه، وصنف «تاريخ أيُّورْد» و«المختلف والمؤتلف في أنساب العرب»، وغير ذلك.

وكان له الشُّعْر الرَّاثِق، [غير أنه]^(٤) كان فيه كِبَرٌ وتِيَه [عظيم] ^(٤) بحيث إنه كان إذا صَلَّى يقول: اللهم مَلِكُنِي مشارق الأرض ومغاربها.

وكتب [مرّة]^(٤) قصّة إلى الخليفة، وعلى رأسها: الخادمُ المعاوي؛ يريد معاوية بن محمد بن عثمان، [فكره الخليفة النُّسْبَة إلى معاوية، وأمرَ بقشط]^(٥) الميم وردَّ القِصَّة، فبقيت: الخادم العاوي.

وتوفي بأصبهان، وكان ثِقَّةً، ومن شِعْره: [من الطويل]

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَذِرْ أَنَّنِي أَعِزُّ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَهُونُ
وظَلَّ يُرِينِي الْخَطْبَ كَيْفَ اعْتَدَاؤُهُ وَبِتُّ أُرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ^(٦)

(١) له ترجمة في «الأنساب المتفقة»: ١٥١ - ١٥٢، و«الأنساب»: ٣٨٦/١١ - ٣٨٧، و«المنتظم»: ١٧٦/٩، و«معجم الأدباء»: ٢٣٤/١٧ - ٢٦٦، و«معجم البلدان»: ٨٦/١، و«الكامل»: ٥٠٠/١٠، و«إنباء الرواة»: ٤٩/٣ - ٥٢، و«وفيات الأعيان»: ٤٤٤/٤ - ٤٤٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٨٣/١٩ - ٢٩٢، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٣) انظر نسبه في «الأنساب المتفقة» لابن طاهر القيسراني: ١٥١.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقد طبع ديوانه بتحقيق الدكتور عمر الأسعد ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ثم أعادت نشره مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٧، وهو صاحب القصيدة التي يقال إنه رث بها القدس حين استولى الفرنج عليها سنة (٤٩٢هـ)، ومطلعها:

مزجنا دماء بالدموع السواجم فلم يبق منا عرضة للمراحم
وهي في «ديوانه»: ١٥٦/٢ - ١٥٧.

(٥) في (ع) و(ب) بن عثمان، فأمر الخليفة بقشط الميم، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) «ديوان الأيُّوردي»: ٥٥/٢.

[سمع إسماعيل بن مسعدة، وأبا بكر بن خلف، وأبا محمد السمرقندي، وأبا الفضل بن خيرون، وغيرهم]^(١).

محمد بن طاهر بن علي بن أحمد^(٢)

أبو الفضل المقدسي، الحافظ، [وذكره جدي في «المنتظم» وابن السمعاني في «الذيل»، والحافظ ابن عساكر.

فأما جدي، فقال:] ولد سنة ثمان وأربعين وأربع مئة.

وأول ما سمع وكتب سنة ستين، وسافر، وسمع الكثير، وكان يحفظ الحديث، وله به معرفة، وصنف فيه وفي غيره، إلا أنه كثير الوهم، وصنف كتاباً سماه: «صفوة التصوف»، يضحك منه من [يراه]^(٣)، ويعجب من [استشهاده على مذاهب الصوفية بالأحاديث التي لا تناسب ما يحتج لمن نصره]^(٤)، وكان داوودي المذهب، فمن أثنى عليه فلحفظه الحديث، وإلا فالجرح أولى به.

وقال محمد بن ناصر: لا يحتج به، كان يذهب مذاهب أهل الإباحة.

وذكره الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الدقاق، فأساء الثناء عليه جداً، ونسبه إلى أشياء، وكذلك أساء الثناء عليه الحافظ إسماعيل بن أحمد الطلحي، وكان سيئ الرأي فيه.

وقال أبو معمر بن أحمد الأنصاري: أنشدنا لنفسه: [من البسيط]

دَعِ التَّصَوُّفَ وَالزُّهْدَ الَّذِي اشْتَغَلْتُ بِهِ جَوَارِحُ أَقْوَامٍ مِنَ النَّاسِ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وفيهما: وكانت وفاته بأصبهان، وكان ثقة. قلت: وقد سلف ذلك في سياق ترجمته، فأغنى عن تكراره، وانظر «المنتظم»: ١٧٦/٩ - ١٧٧.

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٤٨١/١٥ - ٤٨٣، و«المنتظم» ١٧٧/٩ - ١٧٩، و«وفيات الأعيان»: ٢٨٧/٤ - ٢٨٨، و«طبقات علماء الحديث»: ١٣/٤ - ١٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٦١/١٩ - ٣٧١، وفيه تمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ب) و(ع): رآه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ب) و(ع): ويعجب من استشاداته بالأحاديث التي لا تناسب، وكان داوودي.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وَعُجَّ عَلَى دَيْرٍ^(١) دَارِيًّا فَإِنَّ بِهِ
وَأَشْرَبَ مُعَتَّقَةً مِنْ كَفِّ كَافِرَةٍ
ثُمَّ اسْتَمِعَ رَنَّةَ الْأَوْتَارِ مِنْ رَشَاءٍ
غَنَّى بِشِعْرِ امْرِئٍ فِي النَّاسِ مُشْتَهَرٍ
لَوْلَا نَسِيمٌ بِذِكْرَاكُمْ يُرَوِّحُنِي
[وكانت^(٢) وفاته في ربيع الأول، ودفن بمقبرة العقبة^(٣) بالجانب الغربي عند رباط

البسطامي، ولما احتضر جعل يردد هذا البيت: [من المتقارب]

وَمَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ^(٤) الْجَفَا فَمَنْ تَرَى قَدْ تَعْلَمْتُمْ
هذا صورة ما ذكره جدي في «المنتظم»^(٥) عن محمد بن طاهر.

وذكره الحافظ ابن عساكر في «تاريخه»، فقال: كان ابن طاهر يُعَرَّفُ بابن
القيسراني، طاف الدنيا في طلب الحديث، وسمع بالعراق والشام ومصر وخراسان
والجبل، وقدم دمشق في سنة إحدى وسبعين وأربع مئة، فسمع أبا القاسم بن أبي
العلاء، وبمصر إبراهيم بن سعيد الحبال، وأبا الحسن الخلعي وغيرهم، وله مصنفات
كثيرة إلا أنه كثير الوهم، وله شعر حسن مع أنه ما كان يُحَسِّنُ النحو.

(١) في (ع) دار، والمثبت من (ب).

(٢) جاء في (ع) و(ب) في آخر الترجمة:

توفي ابن طاهر في ربيع الأول، ودفن بمقبرة العقبة بالجانب الغربي عند رباط البسطامي، ولما احتضر جعل
يردد هذا البيت:

وَمَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ الْجَفَا فَمَنْ تَرَى قَدْ تَعْلَمْتُمْ

وكان يعرف بابن القيسراني، وطاف الدنيا في طلب الحديث، وسمع بالعراق والشام ومصر وخراسان
والجبل، وقدم دمشق، وما كان يحسن النحو، وله شعر حسن.

قلت: وفي هذا تداخل بين ما ذكره ابن الجوزي في «المنتظم»، وما ذكره ابن عساكر في «تاريخه»، وقد أثرت
تقديم ما بين حاصرتين من (م) هنا لتستقيم الترجمة مع ما ورد في المصدرين اللذين أُلْعِ إليهما سبط ابن
الجوزي في صدر الترجمة، وليكون بناء الترجمة أقرب إلى ما كتبه السبط، وفي ذلك دليل أيضاً إلى أن ما بين
أيدينا من مرآة الزمان هو المختصر منه.

(٣) كذا في النسخ الخطية ومطبوع «المنتظم»، وفي «تاريخ ابن عساكر» و«وفيات الأعيان»: في المقبرة العتيقة،
وهو الصواب.

(٤) في (م) تعلمون، والمثبت من (ع) و(ب).

(٥) انظر «المنتظم»: ١٧٧/٩ - ١٧٩.

قال: وأنشدني أبو جعفر حنبل بن علي البخاري الصوفي، قال: أنشدنا أبو الفضل محمد بن طاهر لنفسه: [من الطويل]

إلى كم أمني النفس بالقرب واللقاء
وحتام لا أحظى بوصول أحبتي
فلو كان قلبي من حديد أذابه
ولما رأيت البين يزداذ والنوى
متى يستريح القلب والقلب متهعب
[قال الحافظ: وأنشدنا أيضاً لابن طاهر]^(١): [من المتقارب]

خلعت العذار بلا منة
على من خلعت عليه العذارا
وأصبحت حيران لا أرتجي
جناناً ولا أتقي فيه نارا
وقال [الحافظ]^(٢) ابن عساكر: سمعت أبا العلاء الحسن بن أحمد الهمداني يقول:
ابتلي محمد بن طاهر بهوى امرأة من أهل الرسداق، وكانت تسكن قرية على ستة
فراسخ من همدان، فكان كل يوم يذهب إلى قريتها فيراها تغزل في ضوء السراج، ثم
يرجع إلى همدان، فكان يمشي في كل يوم ليلة اثني عشر فرسخاً^(٣).

المؤتمن بن أحمد بن علي^(٤) بن الحسن^(٥)

أبو نصر الساجي، المقدسي.

(١) في (ع) وقال أيضاً من شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٢) ما بين حاصرتين من (م).

(٣) انظر «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٤٨١/١٥ - ٤٨٣.

قلت: وجاء في (ع) و(ب) عقب هذا ما ذكرته في الحاشية رقم ٢ من الصفحة السالفة.

(٤) له ترجمة في «تاريخ دمشق» لابن عساكر (خ) و(س): ٢٥٣/١٧ - ٢٥٤، و«المنتظم»: ١٧٩/٩ - ١٨٠،

و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢٨٦/١ - ٢٨٧، و«طبقات علماء الحديث»: ١٨/٤ - ٢٠، و«سير

أعلام النبلاء»: ٣٠٨/١٩ - ٣١١، وفيهما تنمة مصادر ترجمته.

(٥) كذا في النسخ الخطية و«المنتظم»، وفي «تاريخ ابن عساكر» و«الخريدة» و«طبقات علماء الحديث» و«السير»:

الحسين، وهو الأشبه.

ولد سنة خمس وأربعين وأربع مئة. وسَمِعَ الحديث، وتفقه على أبي إسحاق الشيرازي، ورحل إلى أصبهان والشَّام وخُراسان والجبّال، وما زال يسمع ويستفيد إلى أن مات ببغداد في صَفَر، ودُفِنَ بباب حَرْب.

وكان حافظاً، ثقة، صدوقاً، عارفاً بالحديث معرفةً جيدة^(١)، حَسَنَ القراءة، صحيح النقل مع شَرَفِ نَفْسٍ، وقناعة، وصبرٍ على الفقر^(٢).

وكان الإمام أبو عبد الله الأنصاري إذا رآه يقول: لا يمكن أحد أن يكذبَ على رسولِ الله ﷺ وهذا حيٌّ^(٣).

[فصل: وفيها توفي]

الأمير مودود^(٤) صاحب المَوْصِل

قد ذكرنا أنه جاء إلى الشَّام لمساعدة أتابك طُغْتِكِين، وكَسَرَ الفرنج، وعاد مع أتابك إلى دمشق، ونَزَلَ في المَيْدَانِ الأخضر، وكان يدخل كل جُمُعَةٍ إلى دمشق، فيصلِّي بالجامع، ويتبرَّك بمُصْحَفِ عثمان رضوان الله عليه، فدخل الجامع على عادته، ومعه أتابك، والغلمان حوله بالسُّيُوف المُسَلَّلَة، وأنواع السِّلَاح، وأتابك بين يديه خدمةً له، فلما حَصَلَ في صَحْنِ الجامع وثَبَّ رجلٌ من بين النَّاسِ لا يُؤْبَهُ له، ولا يُحْفَلُ به، فَقَرَّبَ من مودود كأنه يدعو له ويتصدَّق منه، فلزم بَنَدَ قَبَائِهِ، وضربَه بخنجر أسفل سُرَّتِهِ ضربتين إحداهما نَفَذَتْ إلى خاصرته، والأخرى إلى فَخِذِهِ، والسُّيُوف تأخذه من كل ناحية، وقَطَعَ رأسُه ليعرف شخصه، فما عُرِفَ وأُحْرِقَ، وعدا أتابك خُطُوات وقت الكائنة، وأحاط به أصحابه، وَرَجَعَ إلى مودود وهو يمشي، فتماسك ووقع عند الباب الشمالي من الجامع، وحُمِلَ إلى دار أتابك، وخِيْطَ جُرْحُهُ، فعاش ساعاتٍ يسيرةً، ومات من يومه، فَقَلِقَ أتابك لوفاته على هذا الوجه، وحَزِنَ حُزْنًا شديداً، وكذا سائر النَّاسِ، ودُفِنَ بمشهدٍ داخل باب الفرديس، وشرَعَ أصحابُه في العُودِ إلى المَوْصِلِ

(١) في (ع): له معرفة جيدة، والمثبت من (ب).

(٢) انظر «المنتظم»: ١٧٩/٩ - ١٨٠.

(٣) انظر «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٢٥٣/١٧.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وغيرها من البلاد، وأمر لهم أتابك بإطلاق ما يستدعونه لسفرهم، واستصحبوا معهم أمواله وجواريه، وأسبابه، ولم يزل مدفوناً حتى بعثت زوجته وولده من الموصل في شهر رمضان من حمله في تابوت إلى الموصل، وشيَّعه أتابك إلى الثَّيَّة^(١). وكان سألَه أتابك يوم جرح أن يُفطر وكان صائماً، فلم يفعل، وقال: والله لا لقيتُ الله إلا صائماً.

وكتبَ بغدوين ملك الفرنج إلى طُغْتِكِين: إنَّ أمةً قتلتَ عَمِيدَها في يوم عيدها في بيتٍ معبودها لحقيقٍ على الله أن يبيدها^(٢).

وقيل: إنَّ هذه الواقعة كانت سنة خمسٍ وخمس مئة، وذكر بعضهم أن أتابك خاف منه فوضع عليه من قتله، وليس بصحيح، فإنَّه كان أحبَّ النَّاسِ له، وحزنَ عليه حُزناً عظيماً، وشقَّ ثوبه عليه، وجلسَ في عزائه سبعة أيام، وتصدَّق عنه بمالٍ جزيل.

وبلغ السلطان [محمد شاه]^(٣) ما جرى، فأقطع الموصل والجزيرة لآق سنقر البرسقي، وأمره بتقديم عماد الدين زنكي [والد نور الدين محمود رحمة الله عليه]^(٣) والرجوع إلى إشارته لما ظهر منه من النهضة والكفاية ويؤمن النُّقِيبَة^(٤).

السَّنة الثَّامَنَةُ وَخَمْسُ مِئَةٍ

فيها كانت زلزلة عظيمة بالجزيرة، هدمتْ مُعْظَمَ أسوار الرُّها وحرَّان، ووقعتْ دورٌ كثيرة، وحرقتْ الفرات، فهدمت في بالس مئة دار، وقلبت بنصف القلعة، وخسفت بسُمَيْسَاط وغيرها^(٥).

(١) هي ثنية العقاب: وهي في طريق القاصد من دمشق إلى حمص، انظر «معجم البلدان»: ٢/٢٨٥، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٢) انظر «الباهر»: ١٩، و«الكامل»: ١٠/٤٩٧، و«كتاب الروضتين»: ١/١٠٥ - ١٠٦.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) وهم سبط ابن الجوزي في قوله: فأقطع الموصل والجزيرة لآق سنقر البرسقي، وقال نحو ذلك ابن الأثير في «الكامل» ١٠/٥٠١، أما في «الباهر»: ١٩ - ٢٤ فقد ذكر أن الذي ولاه السلطان الموصل بعد مقتل مودود هو جيوش بك، وسير معه ولده الملك مسعود، ثم إنه جهز آق سنقر في العساكر، وسيره إلى قتال الفرنج، وكتب إلى عساكر الموصل وغيرها يأمرهم بالمسير معه، فساروا وفيهم عماد الدين زنكي، ثم لما توفي السلطان محمد سنة (٥١١هـ)، وولي ابنه السلطان محمود ولي آق سنقر الموصل وأعمالها سنة (٥١٥هـ)، وأمره بحفظ عماد الدين زنكي، والوقوف عند إشارته، وانظر تفصيل ذلك أيضاً في «كتاب الروضتين»: ١/١٠٦ - ١١٣ بتحقيقي.

(٥) انظر «المنتظم»: ٩/١٨٠ - ١٨١.

وفيها واطأ لؤلؤ خادم [الملك]^(١) رضوان [بن تاج الدولة]^(١) على قتل ألب أرسلان [ابن رضوان]^(١) جماعة، ففتكوا به في قلعة حلب، واضطربت الأمور بعده، وكان سيئ السيرة مع عسكره ورعيته، [فلم يتأسفوا عليه، ولم]^(١) يحزنوا لفقده^(٢).

وفيها نزل نجم الدين إيل غازي بن أرثق على حمص، وفيها خيرخان بن قراجا، وكان عادة نجم الدين إذا شرب الخمر وتمكّن منه أقام أياماً مخموراً، لا يفيق لتدبير ولا يستأمر في أمر، وعرف منه خيرخان هذه العادة، فتركه حتى سكر، وهجم عليه برجاله وهو في خيمته، وقبض عليه، وحمله إلى قلعة حمص، وعرف طغتكين، فشق عليه، وكاتب خيرخان يوبّخه ويلومه ويأمره بإطلاقه، وأقام أياماً ثم أطلقه^(٣).

وفيها مات بغدوين صاحب القدس بجرح أصابه في الوقعة المتقدمة على طبرية، فأقاموا من اختاروه من أصحابه^(٤).

وفيها كانت وقعة عظيمة بالجزيرة والشام؛ لما ولي السلطان البرسقي إمرة الموصل والجزيرة^(٥) أمره بجمع العساكر لجهاد الفرنج، فكتب إلى أمراء الأطراف، فمنهم من جاء بنفسه، ومنهم من بعث عسكره، فبعث إيل غازي ابن أرثق ولده بعسكر ضعيف، فلم يرض به البرسقي، ونهب العسكر، وقبض على ولده. وكان مسعود بن السلطان محمد مع البرسقي، وبلغ إيل غازي، فنزل من ماردين، والتقى البرسقي على الخابور، وكان البرسقي أرجل ومعه خلق كثير، ومع إيل غازي نفر يسير إلا أنه كان شجاعاً، فحمل بنفسه فكسر البرسقي، وقتل من رجاله جماعة، وبلغ محمد شاه فغضب، وجهز عسكراً لقتال إيل غازي، وعلم إيل غازي، فسار إلى دمشق مستنجداً بطغتكين، وكانا قد اتفقا؛ لأن طغتكين خاف من مجيء مسعود إلى الشام فتؤخذ دمشق منه، فاتفقا

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠٤.

(٣) المصدر السالف: ٣٠٥.

(٤) تابع سبط ابن الجوزي ابن القلانسي في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠٥ في ذكر وفاته في هذه السنة، وقد وهما في ذلك، والصحيح أن وفاته كانت سنة (٥١٢هـ)، وهو ما ذكره ابن الأثير في «كامله»: ٥٤٣/١٠، وانظر «الحروب الصليبية» لوليم الصوري: ٢/٣٢٨ - ٣٣٠ (ترجمة حسن حبشي) و«تاريخ الحروب الصليبية» لرنسيان: ٢/٢٢٩.

(٥) انظر حاشيتنا رقم ٤ ص ٧٥ من هذا الجزء.

وتحالفا، وعاد إيل غازي إلى ماردين، ونزل في طريقه الرّستن^(١)، وقعد يشرب، وبات على حاله، وبلغ ابن قراجا، فسار إليه في اللَّيْل، وكَبَسَه وقت السَّحر وهو نائم سكران، فأطلعه إلى قلعة حمص هو وولده، وكتبَ إلى السُّلطان محمد يخبره، وأرسل مسعود بن السُّلطان من الرِّقَّة يَطلبُه.

وكان البُرسُقي ومسعود قد نزلا الرِّقَّة ينتظران العساكر [فقال ابن قراجا: قد كاتبُ فيه السُّلطان]^(٢) وأنا منتظرٌ جوابُه. وأبطأ الجوابُ عليه، فأرسل طُغْتِكين يتوعَّده، فأطلقه، وأخذَ ابنه رهينةً، وعاد إيل غازي إلى ماردين، وعَبَرَ البُرسُقي الفُرات، ونزل على حلب، فنزل إليه لؤلؤ، وساروا بالعساكر إلى أنطاكية، فخرج إليهم طنكري في عددٍ يسير، فتأخروا إلى سَرْمِين، فتبعهم طنكري، والتقوا، وكان ابن قراجا قد أعطى ولد إيل غازي للبُرسُقي، فَوَكَّلَ به جماعةً، واشتغل بالقتال مع الفرنج، فكسره طنكري وهزمه، وقتلَ طنكري ابنَ إيل غازي، وبلغ السُّلطان، فقال: قد علمتُ أنَّ مصافاً فيه البُرسُقي لا يُفلح. ورَدَّه إلى هَمْدان.

وقيل: إنَّ السُّلطان جَهَّز البُرسُقي وابنه منكلي صاحب همدان وأخاه زُنكي، ودَفَعَ ولده مسعود إلى البُرسُقي، وقال له: اقْصِدْ صاحبَ ماردين، ثُمَّ طُغْتِكِين. وجَهَّز معه أعيانَ الأمراء، فسارَ في عشرة آلاف، فعيّدوا عيد الأضحى على الرِّقَّة، وعبروا الفرات، وخلفوا إيل غازي وراءهم، وقالوا: إذا فَرَغْنَا مِنَ الشَّامِ رَجَعْنَا إِلَيْهِ. فنزلوا الناعورة على فرسخين من حلب، وراسلوا لؤلؤاً، وطلبوا منه تسليم حلب، فقال: أمهلوني أياماً. ولمَّا قَطَعُوا الفرات من بَالِس، جاء إيل غازي فَقَطَعَهَا مِنَ النهر، ووصل دمشق، واتَّفَقَ مع طُغْتِكِين، وساروا في ألفي فارس للقاء البُرسُقي، فراسل منكلي بنُ البُرسُقي طُغْتِكِين، وقَبَّحَ عليه مخالفةَ السُّلطان، وأشار عليه أن يكون مع الجماعة، فوعدهم بذلك، وساروا عن حلب إلى حماة، وبها ثَقُلُ طُغْتِكِين، فنهبوه.

وكان السُّلطان قد وصَّاهم كلما فتحوا بلداً سلَّموه خير خان بن قراجا، وكان بقلعة حماة نصر ولودان شاه ابنا علي الكردي في طاعة طُغْتِكِين، فلم ينزلا إليهم، واستأذَنهم

(١) الرستن: بلدة تقع شمالي مدينة حمص، وتبعد عنها ٢٠ كم.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

خيرخان في الماضي إلى حمص ليقيم لهم الضيافة، وسلّم إليهم [ابن]^(١) إيل غازي، وكان إيل غازي قد اتفق مع طنكري ومع طغتكين ومع صاحب طرابلس وملوك الفرنج على قتال أصحاب السلطان، واجتمع الكلّ على فامية، ونزل طغتكين وإيل غازي في جبالها، والفرنج ناحية عنهم، فأقاموا شهرين وبينهم وبين عسكر السلطان ثلاثة فراسخ، فضجروا، وعاد طغتكين إلى دمشق خوفاً عليها، وعاد إيل غازي إلى ماردین، وعاد عسكر حلب إلى حلب.

وضجّر عسكر السلطان، فرحلوا إلى كفرطاب، وكانت الفرنج [فيها]^(٢)، فقتلوا فيها ثلاثة آلاف، ثم وقع التخاذل، وقالوا: أيّ فائدة لنا كوننا كلّما فتحنا بلداً سلّمناه إلى خيرخان فتفرّقوا، ورحل بعضهم إلى بُزاعة، وبعضهم قطع الفرات، وسار معظمهم إلى حلب، وطنكري مقيمٌ بجبال فامية لا يخطر للمسلمين ببال، فسار في خمس مئة فارس وألفي راجل طول الليل، وكَمَنَ في النهار، ثم [صَبَّحَهُم]^(٣) في اليوم الثاني، فركب البرُسُقي والعسكر، وقاتلوا ساعةً، ثمّ اندفعوا على حَمِيَّةٍ، فوقعت الفرنج في السُّوقَة، ومنْ تَخَلَّفَ من العسكر، فقتلوا ثلاثة آلاف، وقالوا: هؤلاء عِوَضُ مَنْ قُتِلَ بكفر طاب. ونهبوا أموال التُّجَّار وسَبَوْا الحريم، وكان أياز بن إيل غازي، قد وَكَّلَ به البرُسُقي، فقتله الموكل به وهرب.

وأضرمَ الفرنج في الصّناديق والخيام النّار، وأحرقوا^(٤) ثلاثة آلاف أسير ما بين شاب، وشيخ وامرأة، وبعثوا بالأسارى إلى دمشق [وماردين وحلب].

وبلغ أتابك بدمشق، فعزّ عليه ما جرى^(٢)، وسار إلى رَفْنِيَّة بَغتَة وهي للفرنج، فقتل أهلها، وغنمَ أموالها، وأسرَ، وعاد إلى دمشق، فبعث برؤوسهم وخيلهم وأسلحتهم، وهدايا وألطافاً إلى الخليفة والسلطان، واعتذر، فلم يُقبل عُذْره، وكان بباب السلطان من يَحْسُدُهُ، فكثّروا عليه، فرأى أن يمضي بنفسه إلى بغداد، فسار، فأمر الخليفة

(١) ما بين حاصرتين ليس في (ع) و(ب)، والسياق يقتضيه.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ع) أصبح، والمثبت ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (ع): وأحرقوا ثلاثة آلاف، وقال: هؤلاء عوض من قتل بكفرطاب، وقتلوا ثلاثة آلاف أسير. قلت: وفي العبارة تكرار، والمثبت من (ب).

والسُّلطان الموكبين وأرباب الدولتين بلقائه، فلم يتخلف عنه أحد، وأكرمه الخليفة والسلطان، وأقام ببغداد أياماً، واعتذر بالفرنج، فخلع عليه الخليفة والسلطان، وكتباً له منشوراً بالشَّام، فعاد إلى دمشق، وقد تبدَّلت تلك الوحشة أنساً. وقيل: إنما دخل بغداد سنة تسع وخمسة مئة^(١).

وفيهما توفي

الأمير أحمدل^(٢)

صاحب مراغة، كان في خدمته خمسة آلاف فارس، وإقطاعه أربع مئة ألف دينار، وكان شجاعاً جواداً، ولما قدِم طُغتكين ببغداد كان يحضر كلَّ يوم إلى دار السلطان مع الأمراء إلى الخدمة، فيينا هو جالس ذات يوم في الدار، وإلى جانبه أحمدل الروادي^(٣) تقدَّم رجلٌ ومعه قصَّة، فسأل أحمدل إيصالها إلى السلطان، فمدَّ يده ليأخذها، فضربه بسكين، فأخذه أحمدل وتركه تحته، وجاء آخر فضرَب أحمدل، وقال: شاباش^(٤). كأنَّه استحسن فعل الأوَّل، وجاء ثالث وصاح: شاباش، وضربَه، وقتلوا، وظنَّ الحاضرون أنَّ المراد طُغتكين، وكان أحمدل قد أنكى في الباطنية [فقتل]^(٥) وتفرَّق الناس، وهذا إقدام من الباطنية لم يقدموا [على]^(٥) مثله في دار السلطان.

(١) وهو ما ذكره ابن القلانسي، وسيأتي ص ٨٢ من هذا الجزء.

(٢) وهم سبط ابن الجوزي في ذكر وفاته في هذه السنة، وتابعه على ذلك ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٢٠٨/٥، وابن العماد في «شذرات الذهب»: ٢١/٤.

وذكر ابن القلانسي في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣١٥، وابن الجوزي في «المنتظم»: ١٨٥/٩، وابن الأثير في «كامله»: ٥١٦/١٠، وابن شاکر في «عيون التواريخ» (خ) ٣٢٥/١٣ - ٣٢٦ وفاته سنة (٥١٠هـ)، وهو الصواب.

واختلف فيه قول الذهبي، فذكر وفاته سنة (٥٠٨هـ) في «العبر»: ١٥/٢، وفي «دول الإسلام»: ٣٦/٢، وذكره في «تاريخ الإسلام» ١٩/١١ في سنة (٥٠٨هـ) وقال: وقيل بعد ذلك، فليحرر، ثم أعاد ذكره في حوادث سنة (٥١٠هـ)، وقال: الأصح أن أحمدل صاحب مراغة قتل في أول سنة عشر ببغداد بدار السلطنة. قلت: وهو ما اعتمده في «سير أعلام النبلاء»: ٣٨٣/١٩.

(٣) ذكر السمعاني هذه النسبة في كتاب «الأنساب»: ١٧١/٦، وقال: هذه النسبة إلى رواد، وهو اسم رجل من أجداد المنتسب إليه.

(٤) شاباش: كلمة فارسية معربة تقال في التهئة والفرح. انظر «المعجم الذهبي»: ٣٦٠ - ٣٦١، و«معجم عطية»: ٩٢.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وعاد طغتكين إلى الرملة^(١) غربي بغداد، فنزل في مخيمه، وبكى الناس على أحمديل، وأحرق غلمانُه رحله وخيامه.

وطلب طغتكين دُستوراً إلى دمشق، فأعطى، فسار بالخلع ومراكب الذهب والفضة، ووعد السُلطان أن يُنفذ إليه عسكرياً، وكتب السُلطان إلى البرُسقي إلى همدان ليحضر، فحضر في عساكره، وسار إلى الشام، فتلّقاه طغتكين وأكرمه.

وكان ابنُ صنجيل صاحب طرابلس قد خرج، فنزل عين الجَر^(٢)، وأخرب البقاع، فخرجوا إليه، فبيّناه ليلاً، وقتلوا من أصحابه ثلاثة آلاف، وأسروا مثلهم، وعاد إلى دمشق، وانهزم ابنُ صنجيل في نَقْرِيسير، وعاد البرُسقي إلى العراق بعد أن خدمه أتابك وأكرمه، وتأكدت الصداقة بينهما والموّدة.

[وذكر أبو يعلى] ابن القلانسي أن هذه الواقعة كانت سنة عشر وخمس مئة، [وأن البرُسقي كانت له الموصِل، وسنذكره هناك]^(٣).

[فصل: وفيها توفي]

[ابن] قيراط الدمشقي^(٤)

واسمه سُبَيْع بن المُسَلَّم بن علي، أبو الوَحْش^(٥)، الضّرير المقرئ.

ولد سنة تسع عشرة وأربع مئة، وقرأ القرآن بحرف ابن عامر على رشأ بن نظيف، وأبي علي الأهوازي، وسمع الحديث منهما ومن غيرهما، وروى عن الخطيب أيضاً، ولم يزل ملازماً للجامع إلى أن توفي، ودُفِنَ بالبَاب الصَّغِير.

(١) قال ياقوت في «معجم البلدان»: ٦٩/٣: محلة خربت نحو شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد.

(٢) يقال لها الآن عنجر.

(٣) في (ع) و(ب): وقال، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص ٩٤ من هذا الجزء.

(٤) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٠٦، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٦٧/٧ - ٦٨،

و«معركة القراء» للذهبي: ٨٨٨/٢، و«العبر» ١٦/٤، و«عيون التواريخ» (خ) ٣٠٩/١٣، و«غاية النهاية»:

٣٠١/١، و«توضيح المشتبه»: ١٧٧/٩، و«شذرات الذهب»: ٢٣/٤، وما بين حاصرتين منها.

(٥) في (م) و(ش) أبو الحسن، وهو تحريف، والمثبت من مصادر ترجمته.

وفيهما توفي

الشریف ابن أبي الجن^(١)

واسمه علي بن إبراهيم بن العباس بن الحسن بن العباس بن الحسن بن الحسين،
والحسين هو أبو الجن - وقد تقدّم نسبه - وكنية عليّ أبو القاسم، العلوي
الحسيني^(٢) [٣] ويعرف بالنسب.

ولد يوم الجمعة لأربع بقين من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وأربع مئة، وقرأ
القرآن بحرف أبي عمرو بن العلاء، وكان خطيب دمشق في أيام المصريين، وكان سنياً
حسن السيرة، مرضي الأمر، ممدوحاً بكل لسان.

قال ابن عساكر: لما ولدتُ سأل الشَّريفُ أبي، فقال: ما سَمَّيْتَهُ؟ فقال: علياً، قال:
وما كُنَّيْتَهُ؟ قال: أبا القاسم، فقال: أَخَذْتَ اسْمِي وَكُنَّيْتِي، قال: وما رأينا أحداً تسمي
بهذا الاسم، وتكني بهذه الكنية إلا وكان طويل العمر.

[قال]: وصلى على جنازة بجامع دمشق، وكبر أربعاً، فكتب صاحب مصر إلى أبيه
يعاتبه، فقال [له]: لا تصل [بعدها]^(٤) على جنازة^(٥).

ولما قدّم بغداد جاء إلى دار النقيب بالكُرخ فدخل، وجلس معه في الدُّست، فأنكروا
عليه، وسأله النقيب عن نسبه، فانتسب له، فقال: مَوْضِعُكَ قَعْدَت. وأكرمه غاية الإكرام.

وسمع من أبيه^(٦) [وجده أبي البركات، وأبي الحسين بن أبي نصر، وأبي عبد الله
ابن سلوان، وأبي علي الأهوازي، ورشاً بن نظيف، والقاضي محمد بن سلامة
القُضاعي، وأبي بكر الخطيب وغيرهم، وكريمة بنت أحمد.

(١) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠٥، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٨٥٨/١١ - ٨٦٠، و«سير أعلام
النبلأ»: ٣٥٨/١٩ - ٣٦٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع) و(ب): علي بن إبراهيم بن العباس بن الحسن بن الحسن بن أبي الجن، أبو القاسم الحسيني، والمثبت
من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ع) و(ب) بعد هذا، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) «تاريخ ابن عساكر» ٨٥٩/١١.

(٦) في (ع) و(ب) بعد هذا: وغيره، وخرج له الخطيب فوائد عن شيوخه في عشرين جزءاً، وروى عنه الحافظ
ابن عساكر وغيره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وأخرج له الخطيب فوائد عن شيوخه في عشرين جزءاً، وروى عنه شيخه أبو محمد عبد العزيز الكتّاني، وأبو محمد بن صابر، وأبو الحسن السّلمي، وأبو محمد بن طاوس، والحافظ ابن عساكر.

وذكره أبو سعد السّمعاني في «الذيل»، وأثنى عليه، وقال: كان حسن السّيرة، ممدوحاً بكل لسان، سمع من الخطيب الكثير، وخطّه وسماعته على أكثر مصنفات الخطيب.

وتوفي يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر بدمشق، وأوصى أن يصلي عليه أبو الحسن السّلمي، وأن يُسنّم قبره، وكانت له جنازة عظيمة، ودُفِنَ بالبَاب الصّغير، رحمة الله عليه^(١).

عليّ بن محمد بن محمد بن جَهِير^(٢)

أبو القاسم، زعيم الدّين، الوزير ابن الوزير ابن الوزير.

كان في أيام القائم، وبعض أيام المقتدي يتولى كتابة ديوان الزّمام، ووزر للمستظهر مرّتين: ففي الأولى أقام ثلاث سنين وخمسة أشهر وأياماً، ثم عُزِلَ [وولي بعده ابن المطلب، ثم عُزِلَ]^(٣)، وأعيد ابن جَهِير، فأقام خمس سنين وخمسة أشهر، وتوفي في سابع عشرين ربيع الأول، ولم [يزل]^(٤) يتدرّج في المراتب والولايات خمسين سنة. وكان عاقلاً حليماً، سديد الرّأي، حسن التّدبير والثّبات^(٥).

السنة التاسعة وخمس مئة

[وفي هذه السنة على رأي أبي يعلى القلانسي]^(٤) دخل طُغْتِكِين بغداد؛ لأنه قال، وفي سنة تسع وخمس مئة قويت شوكة الفرنج في رَفْنِية، وبالغوا في تحصينها، وشَحَنُوها بالرّجال، وشرّعوا في الفساد، فأظهر طُغْتِكِين أنّه قاصدٌ إلى بعض الجهات، وسار إليها مُغْذّاً، فَبَغَتْهُمْ، وأحاط بهم، وقتل وأسر، وغنم أصحابه منه ما امتلأت به الأيدي، وذلك في جمادى الآخرة، ثم عاد إلى دمشق ومعه الأسرى، ورؤوس القتلى.

(١) انظر «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٨٥٩/١١ - ٨٦٠.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٨٢/٩، و«الفخري في الآداب السلطانية»: ٣٠٠.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٥) انظر «المنتظم»: ١٨٢/٩.

ولما شاع [عنه]^(١) ما رزقه الله من الجهاد والعدل والإحسان إلى الرعية، حسده أقوامٌ على باب السلطان وطعنوا عليه، وراموا فساد حاله، وكتب إليه بذلك [من أصدقائه]^(٢) من يؤثر إصلاح حاله، فاقترض الحال أن سار بنفسه إلى بغداد، ومعه من الهدايا والتحف ما يليق بالخليفة والسلطان، فبُوع في إكرامه واحترامه، [وفعل في حقه ما قدمناه]^(٣)، وشرف بالخلع الخليفة، والسلطانية، وكتب له المنشور السلطاني بولاية الشام حرباً وخراجاً، وإطلاق يده في ارتفاعه^(٤) على حسب اختياره، من إنشاء أبي إسماعيل الأصفهاني الطغراني، فكان منه بعد البسملة:

هذا منشور أمر بإنشائه السلطان المعظم غياث الدنيا والدين أطل الله [بقائه]^(٥) وأعز أوليائه، ونصر لواءه، وخذل أعداءه، وحمى حوباءه^(٦)، الأمير الأجل الإسفهيلاً^(٧) الكبير ظهير الدين أتابك، أدام الله تأييده، لما بان تمسكه من الطاعة بأحكام علائقها، واعتصامه من الخدمة بأوكد وثائقها، ولما أجلت التجارب منه عين الناصح الأريب، والمهذب اللبيب، المندرج في مراقي الرتب السنية بالمساعي الرضية، والذب عن حوزة الإسلام، ومواقفه المشهودة العظام، ومقارعة الأعداء، والاستقلال بعظيم الأعباء، فرأيناه أحق بملابس الإنعام، وبما حبي به من الكرامة بأوفر الأقسام، ففوضنا إليه أمور الشام. وذكر ما جرت به العادة في العهود^(٨).

وفيها صالح بردويل صاحب القدس الأفضل بن أمير الجيوش، وكان قد أخذ في السبحة المعروفة اليوم به^(٩) قافلة عظيمة جاءت من مصر، فرأى الأفضل مهادنته، وأمن الناس.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص ٧٨ من هذا الجزء.

(٣) أي إيراده وخراجه، انظر «معجم متن اللغة»: ٦٢١/٢.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) الحوباء: النفس، «معجم متن اللغة»: ١٨٦/٢.

(٦) لقب كان يطلق على مقدم العسكر، انظر «معجم متن اللغة»: ١٧٥/١.

(٧) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٠٦ - ٣١٣.

(٨) في (م) و(ش): المعروفة بسبحة بردويل، قلت: قال محمد رمزي: ويقال لها بحيرة بردويل، واقعة على شاطئ البحر المتوسط، شرقي بور سعيد، وعلى بعد ٩٠ كم منها، وهي لم تنزل موجودة إلى اليوم. انظر «النجوم الزاهرة»: ١٧١/٥ حاشية رقم ٤.

وفيها تكاملت عمارة دار السلطان ببغداد التي تولّى عمارتها بهروز الخادم، وحملَ إليها أعيان الدولة أنواع الفرش والبسط والأواني، وأمر السلطان أن يحضرها القضاة والأشراف والصوفية والقراء، فحضروا، وقرأوا القرآن فيها ثلاثة أيام متوالية^(١). وفيها توفي^(٢)

علي بن جعفر ابن القطّاع^(٣)

أبو القاسم السعدي، الصّقليّ، من كبار علماء صِقْلِيّة، صنف كتاباً سمّاه: «الدُّرّة الخطيرة في ذكر شعراء الجزيرة»^(٤)، يعني جزيرة صِقْلِيّة، قَدِمَ مصر، ومدّح الأفضل [ابن أمير الجيوش]^(٥)، ومن شِعره في الزُّهد: [من الوافر]

تَنَبَّهْ أَيُّهَا الرَّجُلُ النَّوْمُ فَقَدْ نَجَمَتْ بِعَارِضِكَ النُّجُومُ
وقد أبدى ضياءُ الصُّبْحِ عَمَّا أَجَنَ ظِلَامُهُ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ
فلا تَغْرُزْكَ يا مغرورُ دنيا غرورٌ لا يدومُ لها نعيمُ

وقيل: إنه مات سنة ثمان وخمس مئة، وقيل: عاش إلى آخر زمانٍ الأفضل.

وذكر في كتاب: «الدُّرّة الخطيرة»، جماعة من الفضلاء، منهم أبو الحسن عليّ بن عبد الرحمن بن أبي البشر الكاتب الأنصاري، له بيتان جمَعَ فيهما حروف المعجم، وهما: [من البسيط]

(١) انظر «المنتظم»: ١٨٢/٩.

(٢) لم يضبط سبط ابن الجوزي سنة وفاته، فذكرها في هذه السنة (٥٠٩هـ) وتابعه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٢٠٩/٥، وقال السبط - كما سيأتي في الترجمة - وقيل: إنه مات سنة ثمان وخمس مئة، وقيل: عاش إلى آخر زمانٍ الأفضل. قلت: يعني إلى سنة (٥١٥هـ) - وهذا القول الأخير هو الصحيح في تاريخ وفاته كما ذكر ذلك جمهور من ترجم له - وذكر ياقوت في «معجم الأدباء» أنه توفي سنة (٥١٤هـ).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب: ٥١/١ - ٥٥، و«معجم الأدباء»: ٢٧٩/١ - ٢٨٣، و«إنباه الرواة»: ٢٣٦/٢ - ٢٣٩، و«وفيات الأعيان»: ٣٢٢/٣ - ٣٢٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٣٣ - ٤٣٥.

(٤) وهو كذلك صاحب كتاب «الأفعال»، وهو مطبوع، مشهور، متداول.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

مُزْرَفَنُ^(١) الصَّدْغِ يَسْطُو لَحْظُهُ عَبَثًا
لا تَغْرِضَنَّ لِوَرْدٍ فَوْقَ وَجْنَتِهِ
وقال أيضاً: [من الطويل]

بِالْخَلْقِ جَذْلَانِ إِنْ تَشْكُو الْهَوَى ضَحِكَا
فَإِنَّمَا نَصَبْتُهُ عَيْنُهُ شَرَكَا

أَلَا فَلْيُوطِّنْ نَفْسَهُ كُلَّ عَاشِقٍ
رَقِيبٍ وَوَاشٍ كَاشِحٍ وَمُفَنِّدٍ
ومنهم: محمد بن عيسى، ومن شِعره: [من المجتث]

عَلَى سَبْعَةٍ مُحْفُوفَةٍ بِغَرَامٍ
مُلِيحٍ وَدَمْعٍ وَإِكْفٍ وَسَقَامٍ

مَوْلَايَ يَا نَوْرَ قَلْبِي
أَمَّا تَرَى مَا بِجِشْمِي
فَلِمَ بَخِلْتُ بِوَصْلٍ
فَإِنْ يَكُنْ لِي ذَنْبٌ
وَمَحِنَتِي فَيْكَ جَلَّتْ
[وَمَا لِدَائِي دَوَاءٌ
بَرْدٌ غَلِيلٌ فَوَّادِي
ومنهم: أبو حفص عمر بن خَلَف^(٣) بن مكي، [كان] من كبار الفضلاء، وله خُطْبٌ
[من جنس خطب ابنِ نُبَاتة، وهو شاعرٌ فصيح، وله الشُّعْرُ المُلِيحُ]^(٤)، ومن شِعره:

وَنَوْرَ كُلِّ الْقُلُوبِ
مِنْ رِقَّةٍ وَشُحُوبِ
وَلَيْسَ لِي مِنْ ذُنُوبِ
فَأَنْتَ فِيهِ حَسِيبِي
عَنْ فَهْمٍ كُلِّ طَبِيبِ
إِلَّا وَصَالَ الْحَبِيبِ^(٢)
بِزُورَةٍ عَنْ قَرِيبِ

[من الخفيف]

لَا تُبَادِرْ بِالرَّأْيِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسْـ
أَحْمَقُ النَّاسَ مَنْ أَشَارَ عَلَى النَّاسِ
أَلْ عَنَّهُ وَإِنْ رَأَيْتَ عَوَارَا
سَ بَرَأِي مِنْ قَبْلِ أَنْ يُسْتَشَارَا^(٥)

(١) من الزُرفين: حلقة الباب، ومنها: زرفن صدغه، جعلها كالزرفين، وهي كلمة مولدة، انظر «معجم متن اللغة»: ٢٨/٣.

(٢) في (ع) و(ب):

وَمَا أَرَى لِي دَوَاءً إِلَّا وَصَالَ الطَّبِيبِ

والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب: ١٠٦/١ - ١٠٩.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) البيتان في «الخريدة» قسم شعراء المغرب: ١٠٧/١.

ومنهم: [أبو علي] الحسن بن عبد الله^(١) [وهو القائل]^(٢) في الشَّيب: [من الطويل]
وزائرة للشَّيبِ حَلَّتْ بعارضي
فقالَتْ على ضَعْفِي اسْتَطَلَّتْ ووَحَدْتِي
ومنهم: السُّوسي^(٥) [من مدينة سوسة]^(٦) قال يمدح جبارة العلوي معارضاً مهيار في
قوله^(٧): [من الرَّمْلِ]

بَكَّرَ العَارِضُ^(٨) تحدوه النُّعامي^(٩)
طَلَعَتْ رايثُهُ خافقَةً
باتَ بالأَبْرِقِ بَرَقٌ يتسامي
أيُّهَا البَارِقُ قد هَجَّتْ إلى
وأذْغَتِ السَّرَّ بالدَّمْعِ الذي
بذمام الحبِّ يا بَرَقُ عسى
استمالوني بوَصْلٍ في الهوى
وإذا هَبَّتْ صَباً قَلْتُ لها

وسَقَاكَ الرِّيَّ يا دارَ أَمَامَا^(١٠)
خَفَقَانَ القَلْبِ أَمْسَى مُسْتَهَامَا
فَجَفَا الجَفْنُ لمرآة المَنَامَا
ساكنِ الأَبْرِقِ شَوْقاً وَغَرَامَا
لم أُطِقْ إذْ فاضَ للحبِّ اكْتِيَامَا
لكِ عِلْمٌ حَيْثُهم أينَ أقَامَا
فكما ملتُ رأوا وَصِلِي حَرَامَا
بَلِّغِي يا رِيحُ مَنْ نهوى السَّلَامَا

ومنها في المديح:

- (١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب: ١٠٩/١ - ١١٠، وفيه: أبو الحسن بن عبد الله، والمثبت في «المرآة» هو في إحدى نسخ «الخريدة»، وقد أشار المحقق إلى ذلك في الحاشية.
- (٢) في (ع) و(ب): وقال في الشيب، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).
- (٣) في (م) و(ش): فبادرتها.
- (٤) في (م) و(ش): رويدك حتى يقدم الجيش من خلفي. والبيتان في «الخريدة»: ١٠٩/١.
- (٥) هو التراب السوسي، له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء المغرب: ١٣٠/١ - ١٣٧، و«رحلة التجاني»: ٤٣ - ٥٢.
- (٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
- (٧) في (ع) عارضاً في قوله: ، وفي (ب): عارض قال يمدح جبارة العلوي مهيار في قوله، والعبارة هذه والأبيات التي بعدها ليست في (م) و(ش)، والمثبت هو ما استظهرناه، وجبارة العلوي كان صاحب سوسة.
- (٨) العارض: السحاب الذي يعترض في أفق السماء. «اللسان» (عرض).
- (٩) النعامي: بضم النون: من أسماء ريح الجنوب، لأنها أبل الريح وأرطبها. «اللسان» (نعم).
- (١٠) «ديوان مهيار»: ٣٢٧/٣.

خَلَّ أَوْصَافَ التَّصَابِي والصُّبَا
وَانْقُلِ الْهَزْلَ إِلَى الْجِدِّ وَلَا
وَإِذَا اسْتَصْرَخْتَهُ فِي حَادِثٍ
مُقْبِلُ الْقَلْبِ عَلَى سُبُلِ الْهُدَى
لَيْسَ يَدْرِي مَا الْمَزَامِيرُ وَلَا
لَا وَلَا تَحْمِلُهُ الْأَطْمَاعُ أَنْ
بَيْتُهُ كَعَبَةٍ جُودٍ نُصِبَتْ
رُكْنُهَا إِحْدَى يَدَيْهِ فَاجْعَلُوا
لذَوِي الْحَاجِ زِحَامٌ حَوْلَهَا
كُلُّ وَرْدٍ هَكَذَا مُسْتَعْدَبٌ
من أبيات^(١).

قال المصنف رحمه الله : لم أقف على تاريخ وفاة هؤلاء المذكورين سوى [صاحب
هذه الترجمة وهو]^(٢) علي السَّعْدِي ، والله أعلم.

غَيْثُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ^(٣)

أبو الفرج ، الكاتب الأرمنازي ، خطيبٌ صُور.

ولد سنة ثلاثٍ وأربعين وأربع مئة ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ ، وَجَمَعَ تَارِيخَ صُورَ ، وَلَمْ يَتِمَّهْ ،
وَكَانَ فَاضِلاً ، ثِقَةً ، صَدُوقاً ، ثَبَتاً ، عَارِفاً بِالْحَدِيثِ ، تَوَفِّيَ فِي صَفَرٍ بِدَمَشَقَ ، وَدُفِنَ
بِالْبَابِ الصَّغِيرِ - وَأَرْمَنَازَ : قَرْيَةً مِنْ قُرَى أَنْطَاكِيَةِ - وَكَتَبَ الْكَثِيرَ ، وَخَطَّهُ مَلِيحاً.

[فصل : وفيها توفي ابن الهَبَّارِيَّة البَغْدَادِي ، واسمه]^(٢) :

(١) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب : ١/ ١٣٤ - ١٣٧.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الأنساب» : ١/ ١٨٩ ، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س) : ١٤/ ١٥٣ - ١٥٤ ، و«سير أعلام النبلاء» : ١٩/ ٣٨٩ ، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

محمد بن علي، وقيل: محمد بن محمد بن صالح^(١)

أبو يعلى، العبّاسي، ابن الهَبَّارية، الشَّاعر البغدادي، كان فيه إقدامٌ بالهَجْوِ على أرباب المناصب، [فحكى أبو المعالي الكتبي في كتاب «زينة الدهر في فضلاء أهل العصر» أن ابن الهَبَّارية]^(٢)، خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ، وَقَدِمَ أَصْبَهَانَ، وَبِهَا السُّلْطَانُ مَلِكُ شَاه [ابن ألب رسلان]^(٣)، وَوَزِيرُهُ نِظَامُ الْمُلْكِ، فَدَخَلَ عَلَى النَّظَامِ، وَمَعَهُ رُقْعَتَانِ رُقْعَةٌ فِيهَا هَجْوُهُ، وَالْأُخْرَى مَذْحُهُ، فَأَعْطَاهُ الَّتِي فِيهَا هَجْوُهُ، [فقرأها النَّظَامُ، فَإِذَا فِيهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ]^(٤): [من مجزوء الكامل]

لَا غُرُوَ إِنْ مَلَكَ ابْنُ إِسْمَ حَقِ وَسَاعَدَهُ الْقَدَرُ
وَصَفَا لِدَوْلَتِهِ وَخَصَّ (م) أَبَا الْمُحَاسَنِ بِالْكَدَرِ
فَالْدَّهْرُ كَالدُّوْلَابِ لِي سَ يَدُورُ إِلَّا بِالْبَقَرِ
يعني بقرطوس. فَكَتَبَ النَّظَامُ عَلَى رَأْسِهَا: يَطْلُقُ لَدَى الْقَوَادِ رَسْمُهُ مَضَاعِفًا.

وَأَبُو الْمُحَاسَنِ صِهْرُ نِظَامِ الْمُلْكِ، وَيُقَالُ لَهُ: أَبُو الْغَنَائِمِ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّظَامِ مَنَافَرَةٌ، وَكَانَ ابْنُ الْهَبَّارِيَّةِ يَمِيلُ إِلَى أَبِي الْمُحَاسَنِ، فَتَقَمَّ عَلَيْهِ النَّظَامُ بِهَذَا السَّبَبِ.

[وذكره العماد الكاتب في «الخريدة»، وقال]^(٥): إِنَّ أَبَا الْغَنَائِمِ يَلْقُبُ بِتَاجِ الْمُلْكِ وَهُوَ ابْنُ دَارِسْتِ، قَالَ لِابْنِ الْهَبَّارِيَّةِ: أَهْجُ النَّظَامَ. فَقَالَ: كَيْفَ أَهْجُوهُ، وَهُوَ مُنْعِمٌ عَلَيَّ؟ - فَحَمَلَهُ عَلَى أَنْ سَأَلَهُ شَيْئًا يَصْعُبُ إِجَابَتَهُ [إِلَيْهِ]^(٦)، فَسَأَلَهُ فَمَنْعَهُ، فَعَمِلَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى النَّظَامِ، قَالَ: جَعَلَنِي مِنْ بَقَرُطُوسٍ. ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ. فَقَالَ [ابْنُ الْهَبَّارِيَّةِ]^(٧) لَتَاجِ الْمُلْكِ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنِّي مَا أَهْجُوهُ، وَهَذَا فِعْلُهُ فِي حَقِّي؟^(٨).

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٣٠٦/١٣ - وذكر أن وفاته سنة (٤٩٠هـ) - و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٧٠/١ - ١٤٠، و«وفيات الأعيان»: ٤٥٣/٤ - ٤٥٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٩٢/١٩، و«الوفاي بالوفيات»: ١٣٠/١ - ١٣٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ب): التي فيها هجوه النظام، ومنها، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ع) و(ب) قال العماد الكاتب، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٦) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٧٧/١ - ٧٨.

ويقال: إِنَّ سَبَبَ غَضَبِ نِظَامِ الْمَلِكِ عَلِيَّ بْنِ الْهَبَّارِيَّةِ قَوْلُهُ، وَكُتِبَ بِهَا إِلَيْهِ: [من الوافر]

أَيْجُمْلُ يَا نِظَامَ الْمُلْكِ أَنِّي
وَأَصْدُرُ عَنْ حِيَاظِكَ وَهِيَ نَهْبٌ
يَدُلُّ عَلَى فِعَالِكَ سُوءُ حَالِي
إِذَا اسْتُخْبِرْتُ مَاذَا نِلْتَ مِنْهُ
وَمَا فِي الْوَافِدِينَ عَلَيْكَ شَخْصٌ
هُمْ دُونِي إِذَا اخْتَبِرُوا جَمِيعاً
وَلِي أَصْلٌ وَفَضْلٌ غَيْرُ خَافٍ
إِذَا مَا ضَعْتُ عِنْدَ بَنِي جَهِيرٍ
فَأَيْنَ الْفَرْقُ بَيْنَكُمْ وَمَاذَا
وَهَا أَنَا سَاكِتٌ فَإِنْ اصْطَلَحْنَا
وَبَلَغَ النِّظَامُ، فَأَهْدَرَ دَمَهُ.

[وقال عبيد الله بن علي المعروف بابن المارستانية في «ذيل تاريخ بغداد»: لما أهدَرَ
نِظَامُ الْمَلِكِ دَمَ ابْنِ الْهَبَّارِيَّةِ] ^(١) استجار بصدر الدين محمد الخجندي، وكان يمضي في
كل يوم [اثنين] ^(٢) إلى دار النِّظَامِ بأصبهان ومعه الفقهاء للمناظرة. فقال لابن الهبارية:
ادخل معنا في جُمْلَةِ الْفُقَهَاءِ مُتَنَكِّراً، فَإِذَا فَرَعَتِ الْمُنَازَرَةُ، فَقُمْ فِي الْمَجْلِسِ مُسْتَغْفِراً.
فَفَعَلَ، فَقَالَ الْخَجَنْدِيُّ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]
وقال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ [الفرقان: ٧٠]، وَالْخَادِمُ يَسْأَلُ الْعَفْوَ عَنِ الشَّرِيفِ بِقَبُولِ
شَفَاعَتِهِ خَاصَّةً وَشَفَاعَةِ الْفُقَهَاءِ عَامَّةً، فَقَالَ النِّظَامُ ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفٌ﴾ [المائدة: ٩٥]،
ثُمَّ أَذِنَ لَهُ فِي الْإِنْشَادِ، فَقَامَ، وَقَالَ: [من المتقارب]

لِعِزَّةِ أَمْرِكَ دَارَ الْفَلَكَ حَنَانِيكَ فَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ لَكَ
فَقَالَ النِّظَامُ: كَذَبْتَ، ذَاكَ اللَّهُ تَعَالَى: فقال:

(١) في (ع) و(ب): وقال ابن المارستانية: لما أهدر دمه، وما بين حاصرتين من (م) و(ش). وترجمة ابن
المارستانية ستردي في وفيات سنة (٥٩٩هـ) من هذا الكتاب.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

رَفَعْتَ الشَّرِيعَةَ بَعْدَ الْخُمُولِ فَلَوْ تَسْتَطِيعُ لِبَاسَتْ يَدَكَ
 وَلَوْ كُنْتَ فِي زَمَنِ الْمُصْطَفَى لَنَصَّ عَلَيْكَ وَمَا أَهْمَكَ
 وَلَوْ رَدَّ مُوسَى إِلَيْكَ الْأُمُورَ رَدَدْتَ عَلَى السَّامِرِيِّ مَا أَفَكَ
 فَلَمْ يَخْتَلِفْ قَوْمُهُ بَعْدَهُ وَلَا قِيلَ إِذْ جَاءَ: مَا أَعْجَلَكَ
 وَكَمْ نِعْمَةً لَكَ عِنْدَ الْجَلَا ل^(١) لَيْسَ بِكَافِرِهَا إِنْ نَسَكَ
 أَلَمْ تَكُ رَبِّيَّتَهُ مُرْضِعاً وَقُدَّتْ لَهُ الْجَيْشَ حَتَّى مَلَكَ
 وَرَبُّكَ وَلَاكَ لَا غَيْرُهُ فَمَنْ ذَا يَحَاوِلُ أَنْ يَغْزَلَكَ
 وقال العماد الكاتب: كان ابنُ الهَبَّارِيَّةِ من شُعراءِ نظام الملك، غَلَبَ على شِعْره
 الهجاءُ والهَزْلُ والسُّخْفُ، وَسَبَّكَ في قالبِ ابنِ الْحَجَّاجِ^(٢)، وفاقه في الخلاعة
 والمجون، والنَّظِيف من شِعْره [في]^(٣) غايةِ الحُسْنِ.

ومن شِعْره: [من الكامل]

وَإِذَا الْبَيَازِقُ فِي الدُّسُوتِ تَفَرَّزَتْ فَالرَّأْيُ أَنْ تَتَبَيَّذَ الْفِرْزَانُ^(٤)
 وَإِذَا النُّفُوسُ مَعَ الدُّنُوتِ تَبَاعَدَتْ فَالْحَزْمُ أَنْ تَتَبَاعَدَ الْأَبْدَانُ
 خُذْ جَمْلَةَ الْبَلَوَى وَدَعْ تَفْصِيلَهَا مَا فِي الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا إِنْسَانُ^(٥)
 وقال في نظام الملك: [من الكامل]
 وَإِذَا سَخِطْتُ عَلَى الْقَوَافِي صُغْتُهَا فِي غَيْرِهِ لِأُذِلَّهَا وَأُهِنَّهَا
 وَإِذَا رَضِيتُ نَظْمُتُهَا لَجَلَالِهِ كَيْمَا أَشَرَّفُهَا بِهِ وَأَزِينَهَا^(٦)

(١) الجلال هو جلال الدولة لقب السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، انظر «وفيات الأعيان»: ٢٨٣/٥.

(٢) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٦٩ من هذا الجزء.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر «خريدة القصر» قسم شعراء العراق ٧٠/١ - ٧١.

(٤) البياذق جمع، مفردا بيذق، معرب بيذه، وهم الرِّجَالَة في الحرب، والفرزان: هو ما يلي البيذق في اصطلاح

الشطرنج، وهو الملك، والدسوت جمع، مفردا الدست، يعني صدر المجلس، وهي دخيلة عباسية، انظر «المعرب»

للجواليقي: ١٣٠، ٢٨٥، و«معجم الألفاظ الفارسية»: ٣٢، ١١٨، و«معجم متن اللغة»: ٤٠٨/٢.

(٥) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٧٢/١ - ٧٣.

(٦) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٧٣/١ - ٧٤.

وقال [في]^(١) ابن جَهِير لما اسْتُوزِرَ ثانياً بسبب مصاهرته لنظام الملك [على]^(١)
ابنته: [من البسيط]

قُلْ لِلوَزِيرِ وَلَا تُفْزِعْكَ هَيْبَتُهُ وَإِنْ تَعَاظَمَ وَاسْتَوْلَى لِمَنْصِبِهِ
لَوْلَا ابْنَةُ الشَّيْخِ مَا اسْتُوزِرْتَ ثَانِيَةً فَاشْكُرْ حِرّاً صَرْتَ مَوْلَانَا الْوَزِيرَ بِهِ^(٢)
وقال: [من مجزوء الكامل]

قَدْ قُلْتُ لِلشَّيْخِ الرَّئِيسِ سِ أَخِي السَّمَّاحِ أَبِي الْمُظَفَّرِ
ذَكَرْتُ مَعِينَ الْمُلْكِ بِي قَالَ الْمَوْئِثُ مَا يُذَكِّرُ^(٣)
وقال [في ابن جَهِير هذه الأبيات]^(٤): [من الطويل]

وَلَوْ أَنَّي اسْتَمَدَدْتُ مِنْ مَاءٍ مُقْلَتِي لَجَاءَتْكَ كُثْبِي وَهِيَ حُمْرٌ سَطُورُهَا
وَكَيْفَ تَلَامُ الْعَيْنُ إِنْ قَطَرَتْ دَمًا وَقَدْ غَابَ عَنْهَا نُورُهَا وَسُرُورُهَا^(٥)
وقال: [من الكامل]

أَهْدَى لَنَا نَفْسُ الصَّبَا أَنْفَاسَكُمْ سَحَرًا فَقُلْتُ عَسَى الصَّبَا عَطَّارُ
وَتَمَايَلْتُ لِلشُّكْرِ بَانَاتُ الْحِمَى حَتَّى كَأَنَّ نَسِيمَهُ خَمَّارُ^(٦)

[قلت]^(٧): وكان ابنُ الهَبَّارِية من الفضلاء، وله كتابُ سَمَاه: «فلك المعاني» جمع

فيه [أخباراً و]^(٧) طُرَفًا، فمنه لبعضهم: [من المنسرح]

أَعْتَقَنِي سُوءٌ مَا صَنَعْتَ مِنَ الرَّ قٌ فَيَا بَرْدَهَا عَلَى كَبِدِي
فَصَرْتُ عَبْدًا لِلْسُّوءِ مِنْكَ وَمَا أَحْسَنَ قَبْلِي سُوءٌ إِلَى أَحَدٍ
قال: وقال رجلٌ لابنِ عباس: سَلِ اللَّهَ أَنْ يَغْنِيَنِي عَنِ النَّاسِ، فقال: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْنِي
[الناس]^(٧) عَنِ النَّاسِ، وَلَكِنْ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ لُثَامِ النَّاسِ.

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٨٧/١.

(٣) المصدر السالف: ٨٨/١.

(٤) ما بين حاصرتين من (م).

(٥) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١٠١/١.

(٦) المصدر السالف: ١٠٣/١.

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

قال: وقال الشريف ابن البيّاضي: [من الكامل]

ليس الشريف من الشّرافُ جُدوده مَنْ نَفْسُهُ شَرُفَتْ فذاك شريفُ
وقال [آخر]^(١): [من البسيط]

قالوا حَبِيبُكَ مِمْرَاضٌ فَقُلْتُ لَهُمْ نفسي الفداء له مِنْ كُلِّ مُحْذُورِ
يا لَيْتَ عِلَّتَهُ بِي غَيْرَ أَنَّ لَهُ أَجَرَ الْمَرِيضِ وَأَنِي غَيْرُ مَاجُورِ
وقال جَحْظَةُ: [من الكامل]

يا مَنْ بَعُدْتُ عَنِ الْكَرَى لِبِعَادِهِ وَالصَّبْرُ مُذْ غُيِّبَتْ عَنِّي غَائِبُ
أَصْبَحْتُ أَجْحَدُ أَنَّنِي لَكَ عَاشِقُ وَالْعَيْنُ مُخْبِرَةٌ بَأْنِي كَاذِبُ
وقال: حَجَّ الكافي أبو الفضل زيدُ بنُ الحسين، فلما عاد، قال: [من الكامل]

يا رَبِّ أَيُّ فَضِيلَةٍ فِي مَكَّةِ حَتَّى فَرَضْتَ عَلَى عِبَادِكَ بِرَهَا
الْخَصْبَهَا أَحَبَّتْهَا الطَّيْبَهَا اخْتَرْتُهَا أَمْ لَيْسَ تَعْرِفُ حَرَهَا^(٢)
قال: وقال الرّشيد لجعفر: اعزّل أخاك الفضل عن الخاتم عزلاً لطيفاً.

فكتب إلى الفضل: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ رَأَى أَنَّ يَنْقَلَ خَاتَمَ الْخِلافةِ مِنْ يَمِينِكَ إِلَى
يسارك. فكتبَ إليه الفضلُ: ما انتقلت عني نعمةٌ صارت إليك.

قال: وقال أبو العلاء المَعَرِّي: [من الوافر]

أَرَى جَيْلَ التَّصَوُّفِ شَرَّ جَيْلٍ لَقَدْ جِئْتُمْ بِشَيْءٍ مُسْتَحِيلِ
أَقَالَ اللَّهُ حِينَ عَشِقْتُمُوهُ كُلُّوا أَكْلَ الْبَهَائِمِ وَارْقُصُوا لِي!
قال: وقال المُبَرِّد: حَاجِبُ الْمَلِكِ نِصْفُهُ، وَكَاتِبُهُ كُلُّهُ.

قال: وقال عليُّ عليه السَّلامُ لبعضِ الْحَرُورِيَّةِ: نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ عَلَى شَكٍّ.
قال: وكان المنصور يتعرف أخبار العُمَّالِ وظُلْمِهِمْ مِنَ السَّوَادِ، فَيَسْأَلُ عَنِ الْبَيْضِ
وَالدَّجَاجِ، وَيَسْتَدِلُّ بِكَثْرَتِهِ عَلَى الْعَدْلِ، وَبِقِلَّتِهِ عَلَى الظُّلْمِ.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) أعجب حقاً لسبط ابن الجوزي كيف اختار هذين البيتين، وفيهما من سوء الأدب ما لا يليق بمسلم أن يتلفظ بهما.

وقال: كان الأمين يُعَيِّر المأمونَ بأُمِّه مراجل، وأنها أُمَّةٌ، ويفتخر بأُمِّه زُبَيْدَة، فكتبَ

إليه المأمون: [من البسيط]

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ الْأَمْثَالِ^(١) أَكْفَاءُ أَبُوهُمُ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ أَصْلِهِمْ نَسَبٌ يَفَاخِرُونَ بِهِ فَالْطَّيْنُ وَالْمَاءُ
وَرُبَّ مُعْرِبَةٍ^(٢) لَيْسَتْ بِمَنْجَبَةٍ وَرَبَّمَا أَنْجَبْتُ لِلْفَحْلِ عَجْمَاءُ
وَإِنَّمَا أُمَهَاتُ النَّاسِ أَوْعِيَةٌ مُسْتَوْدَعَاتٌ وَلِلْأَحْسَابِ آبَاءُ

وقال: قال سعيد بن العاص لبنيه: يا بني، لم أَظْلِمُكُمْ في أمهاتكم فلا تظلموا أبناءكم في أمهاتهم، فيعيرونهن، فإنَّ فسادَ مَنْ فسدَ لعرقِ سوءٍ من أُمِّ سوءٍ، وما أنجبت دَنِيَّةً، ولا أخلفت سُرِّيَّةً، وكلُّ وعاءٍ يَرُدُّ إليك ما أودعته إلا الأرحام، فإنَّها تحيل المياه.

وقال [عبد الله بن المبارك]^(٣): [من مجزوء الرمل]

قَدْ أَرَحْنَا وَاشْتَرَحْنَا مِنْ غُذُوٍّ وَرَوَاحٍ
وَأَتَّصَّالٍ بِأَمِيرٍ وَوَزِيرٍ ذِي سَمَاحٍ
بَعَفَفَافٍ وَكَفَفَافٍ وَقُنُوعٍ وَصَلَاحٍ
وَجَعَلْنَا الْيَأْسَ مِفْتَاحَ حَالِ أَبْوَابِ النَّجَاحِ

وقال ابن المعتز: [من المتقارب]

وَإِنْ فُرْصَةٌ أَمَكَنْتَ فِي الْعَدُوِّ فَلَا تَبْدِ فِعْلَكَ إِلَّا بِهَا
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهَا مُسْرِعاً أَتَاكَ عَدُوُّكَ مِنْ بَابِهَا

وقال آخر: [من الطويل]

وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا: إِنَّنِي لَكَ عَاشِقُ
نَعَمْ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتَ حَبِيبَةٌ إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ تَصِفْ مِنْكَ خَلَائِقُ

وقال أبو نواس: [من السريع]

(١) في (م) و(ش): التمثيل.

(٢) المعرب من الخيل: الذي ليس فيه عرق هجين، والأنثى معربة، «اللسان» (عرب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

ما حَطَّكَ الوَاشُونَ عَنْ رُتْبَةٍ عِنْدِي وَلَا ضَرَّكَ مُغْتَابُ
كَأَنَّمَا أَثْنَوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا
وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ الْهَبَّارِيَةِ بِكَرْمَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، [وَقَالَ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ: فِي] ^(١) سَنَةِ
أَرْبَعٍ وَخَمْسٍ مِائَةٍ ^(٢)، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. [وَابْنُ الْهَبَّارِيَةِ هُوَ الَّذِي رَثَى الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ] ^(٣).

هبة الله ^(٤) بَنُ الْمُبَارَكِ بْنِ مُوسَى بْنِ عَلِي ^(٥)

أَبُو الْبَرَكَاتِ السَّقَطِيُّ.

سَافَرَ إِلَى الْأَمْصَارِ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ، وَجَمَعَ وَأَرَّخَ، وَكَانَ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِاللُّغَةِ، وَتَعَبَ
فِي جَمْعِ الْحَدِيثِ، لَكِنَّهُ أَفْسَدَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ ادَّعَى سَمَاعاً مِمَّنْ لَمْ يَرَهُ، مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ
الْجَوْهَرِيُّ، فَإِنَّهُ لَا يَحْمِلُ سِنُّهُ السَّمَاعَ مِنْهُ، وَسُئِلَ ابْنُ نَاصِرٍ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَثَقَّةٌ هُوَ؟
[فَقَالَ] ^(٦): لَا وَاللَّهِ، حَدَّثَ بَوَاسِطَ عَنْ شُيُوخٍ لَمْ يَرَهُمْ، فَظَهَرَ كَذِبُهُ عَنْهُمْ.

تَوَفَّى فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبُو الْخَطَّابِ الْكَلُودَانِيُّ، وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ مَنْصُورِ بْنِ
عِمَارٍ بِيَابِ حَرْبٍ.

قَالَ الْمَصْنِفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا السَّقَطِيُّ احْتَجَّ بِهِ الْخَطِيبُ فِي مَوَاضِعَ فِي مِثَالِ
الْعُلَمَاءِ، وَلَمْ يَبَيِّنْ ضَعْفَهُ.

(١) فِي (ع) وَ(ب): وَقِيلَ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَخَمْسٍ مِائَةٍ، وَالْمُثَبَّتُ مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (م) وَ(ش). قُلْتُ: وَذَكَرَ السَّمْعَانِيُّ
فِي «الْأَنْسَابِ»: ٣٠٦/١٢ أَنَّ وَفَاتَهُ بَعْدَ سَنَةِ (٤٩٠هـ)، وَالصَّحِيحُ مَا ذَكَرَهُ السَّبْطُ، وَصَحَّحَهُ كَذَلِكَ
الْصَفْدِيُّ فِي «الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ»: ١٣٢/١.

(٢) «خَرِيدَةُ الْقَصْرِ» قِسْمُ شُعْرَاءِ الْعِرَاقِ: ٧٢/١.

(٣) مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (م) وَ(ش).

(٤) فِي (ب) بِيَاضٍ، وَفِي (ع) عَبْدُ اللَّهِ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ.

(٥) لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «الْأَنْسَابِ»: ٩٢/٧، وَ«الْمُنْتَظَمُ»: ١٨٣/٩، وَ«مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ»: ٢٩٢/٤، وَ«لِسَانُ الْمِيزَانِ»:

١٨٩/٦ - ١٩٠، وَ«سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ»: ٢٨٢/١٩ - ٢٨٣، وَفِيهِ تَمَّةٌ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ.

(٦) مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ «الْمُنْتَظَمِ»: ١٨٣/٩.

السنة العاشرة وخمس مئة

[وفيها ولد جدي رحمه الله على وجه الاستنباط لا على وجه التحقيق.

و^(١)] فيها احترقت بغداد من الجانب الشرقي حريقاً لم يُر مثله بحيث أكلت النار جذوع النخل، ودور الخليفة والنظامية، وسَلِمَت الكتب. واحترقت الدور الشاطئية ورباط بهروز وغيره، وكان في ذلك عبرة وموعظة^(٢).

وأقام السلطان محمد ببغداد هذه الصيفية، وكان من عادته أن يصيف بهمدان، ثم رحل إلى همدان، وبعث للخليفة من النهروان خيلاً وطياً، وطلب من [الخليفة شيئاً من] ملبوسه ومصحفاً ولواء، فبعث بذلك إليه^(٣).

قال ابن القلانسي: وفيها ورد الخبر بأن بدران بن صنجيل^(٤) صاحب طرابلس قد جمع [وحشد]^(١) ونهض إلى ناحية البقاع، وكان سيف الدين [آق]^(٥) سُقُر البُرسُقي صاحب المؤصل قد وصل دمشق في بعض عسكره لمعونة طغتكين [فالتقاه وسُرَّ به]^(١)، واتفقا على تبیت الفرنج ليلاً، فأغذا السير [ليلاً ونهاراً]^(١) حتى هجموا على خيامهم وهم غارون، فوضعوا فيهم السيف قتلاً وأسرأ، وهرب بدران، وغنم المسلمون خيولهم، وسلاحهم وأموالهم، وعادا إلى دمشق، وتوجه البُرسُقي إلى بلده بعد استحكام المودة بينه وبين أتابك^(٦).

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (م) و(ش): وكان ذلك عبرة لمن اعتبر، وموعظة لمن افتكر.

(٣) انظر «المنتظم»: ١٨٤/٩ وما بين حاصرتين منه.

(٤) هذا من أوهام ابن القلانسي، وتابعه عليه السبط، إذ إن بدران - وهو تعريب برتراند - قد مات سنة

(٥٠٥هـ) (١١١٢م)، وخلفه ابنه بونز، وهو المراد هنا.

وصنجيل هو ريموند كونت تولوز، وقد بنى قلعة قرب طرابلس أطلق عليها جبل الحاج، غير أنها اشتهرت عند

المسلمين بقلعة صنجيل، أي سان جيل، انظر «تاريخ الحروب الصليبية» لرنسيما: ٩٩/٢ - ١٠٠، ٢٠٢.

(٥) زيادة من عندنا إتماماً لاسمه.

(٦) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣١٤ - ٣١٥.

وفيهما قُتِلَ لؤلؤ الذي قَتَلَ ألب أرسلان بن رضوان بحلب، كان قد استولى [على الحاشية] ^(١)، وشرع في قتل غلمان أستاذه، فاتفقوا [على قتله، فقتلوه، وهذا قول ابن القلانسي] ^(٢) والصحيح أنه قُتِلَ في السنة الآتية.

وحجَّ بالنَّاس أمير الجيوش الحبشي المُستَظْهري، ودَخَلَ مَكَّةَ وعلى رأسه الأعلام، وخلفه الكُوسات والبُوقات، والسيوفُ في ركابه، وإنما قَصَدَ إِذْلالَ أمير مَكَّة والسُّودان. [قلتُ: وقد أنكرَ عليه ابنُ عقيل هذا الحال، فقال: حكى لي أمير الجيوش أنه دخل إلى مَكَّة على الوجه المذكور لِيَذِلَّ أمير مَكَّة والسُّودان، قال ابن عقيل: حكاها لي متبجحاً بذلك، ذاهلاً عن حُرمة المكان، فقلتُ في نفسي: أما كان مع هذا الحبشي من ينبئه على حرمة المكان؟ فإنَّ ناقة رسولِ الله ﷺ لما خَلَّاتْ، قال رسولُ الله ﷺ: «حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ» ^(٣)، فلما أعطاهم ما أرادوا أَطْلَقَتْ، وقد صَيَّنَ المسجدُ عن إنشاد الضَّالَّةِ حتى قيل لطالبتها: لا وَجَدَتْ ^(٤)، فكيف يجيء هذا الحبشي بدبادبه، فيدخلها معظماً لنفسه!

قلتُ: لا وَجَهَ لإنكار ابنِ عقيل، لأنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هو عن دخولها محارباً، هاتكاً لحرمة البيت والحَرَم، وهذا الحبشي إنما دَخَلَها معظماً، لأنَّ أميرها والسُّودان كانوا عصاةً على بني العباس، لا يَرَوْنَ إمامتهم، ويخطبون لغيرهم، فَقَصَدَ بذلك الطَّاعة، والإذعان لا الهوان والعصيان، وليس في الحكاية أَنَّهُ دَخَلَ المسجد الحرام الذي فيه كعبةُ الإجلال والإعظام، وإنما دَخَلَ البلد على ذلك الوصف الذي فيه إرهابُ الخاصِّ والعام.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ب): فاتفقوا عليه وقتلوه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣١٥.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣١) (٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، وينحوه عن أحمد في «المسند» (١٨٩١٠) (طبعة مؤسسة الرسالة)، وخلَّاتْ: الخلاء للإبل كالحرث للخيول.

(٤) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سمع رجلاً ينشد في المسجد ضالة، فليقل له: لا أداها الله إليك، فإن المساجد لم تُبْنَ لهذا»، وقد أخرجه مسلم (٥٦٨)، وهو عند أحمد في «المسند» (٨٥٨٨).

فصل وفيها : توفي

إبراهيم بن أحمد، أبو الفضل المخرمي^(١)

سمع الحديث ورواه، وكان رجلاً صالحاً، نَزَلَ إلى دجلة ليتوضأ، فزَلَّت قدمه، فغرق، فحُمِلَ إلى بيته فمات، ودُفِنَ بباب حَرْبٍ في ربيع الآخر. سمع أبا محمد الصريفي وغيره، وروى عنه أشياخ أشياخنا. وقال أبو الفضل بن ناصر: كان شيخاً مستوراً، كثير تلاوة القرآن، محافظاً على الجماعات، وحَضَرَتْ غسله، فرأيت النورَ على وجهه، فقبَلْتُ بين عينيه^(٢). وفيها توفي

عَقِيلُ بْنُ عَلِيٍّ [بن عقيل]^(٣) بن محمد بن عقيل^(٤)

أبو الحسن [بن أبي الوفاء]^(٣) الحنبلي.

ولد في رمضان سنة إحدى وثمانين وأربع مئة، [وتفقه]^(٣)، وقرأ القرآن وسمع الحديث، وشهدَ عند قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغانى، وتوفي في منتصف مُحَرَّم عن تسع وعشرين سنة، ودُفِنَ بالظفرية في دار أبيه، فلما مات أبوه نُقِلَ فدفن في دُكَّة الإمام أحمد رحمة الله عليه.

وظهر من أبيه صبرٌ جميل؛ دَخَلَ عليه بعض أصحابه وهو مسجى، وعليُّ والدُّه يروحه [بمروحة]^(٣) بعد موته، فكأنَّه أَحَسَّ من الدَّاخل بإنكارِ ذلك، فقال [له]^(٥): يا هذا، إنها جُثَّةٌ عليَّ كريمة، فما دامت بين يديَّ لم تَطْبُ نفسي إلا بتعاهدِها، فإذا غابَتْ عَنِّي فهي في استرعاءٍ مَنْ هو خيرٌ لها مني. [قلتُ: وهذا يحملُ على غَلَبَةِ الحُزن والشفقة، وإلا فأَيُّ فائدةٍ في ترويح الميت]^(٢).

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٨٥/٩.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٤) انظر ترجمة ولديه: أبي الحسن وأبي منصور في «المنتظم»: ١٨٦/٩ - ١٨٨، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن

النجار: ٢٨٨/٢ - ٢٩٤، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ١٦٣/١ - ١٦٤، و«المنهج الأحمد»: ٩٧/٣ - ٩٩،

و«شذرات الذهب»: ٣٩/٤ - ٤٠.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(م).

ولما أرادوا غَسْلَهُ خَرَجَ أبوه إلى المسجد، فجلسَ وعنده الناس، فقرأ قارئ: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف: ٧٨] فَضَجَّ النَّاسُ بالبكاء، فقال له ابنُ عَقِيل: إن كان قَصْدُكَ بهذا تهيجَ الأحزانِ فهو نِجَاحٌ، والقرآن ما نَزَلَ للنِّجَاحِ، وإنما نزل لتسكينِ الأحزان. فسكت القارئ، [وإنما قصد ترقيق القلوب، فيكي كل من حضر، لأن كل واحد لا يخلو من شَجَن، فإذا وقع التَّساوي في البكاء حَسُنَ التَّأْسِي. وفيه أيضاً تخجيل للقارئ وتبكيته، وليس ذلك من مكارم الأخلاق، ولا من باب التودد، وفي الجملة فالجَزَعُ أحسنُ من هذا التَّجَلُّد، وقد بكى النبي ﷺ عند موت ولده إبراهيم.. الحديث] ^(١) ^(٢).

وكان لابن عقيل ولدٌ آخر كُنِيَته أبو منصور، مات سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مئة، وحزنَ عليه. قال: فتعزيتُ عنه بِقِصَّةِ عمرو بن عبد ودٍ [العامري] ^(١) الذي قتله عليٌّ عليه السَّلام يوم الخندق، فقالت أخته [ترثيه] ^(١) [من البسيط]

لو كان قاتِلُ عمرو غيرَ قاتِلِهِ لَطال حُزني عليه آخرَ الأبدِ
لكنَّ قاتِلَهُ مَنْ لا يُقَادُّ به مَنْ كان يُدعى أبوه بيضةَ البلدِ ^(٣)
قال: فقلتُ سبحان الله!

[من الطويل]

كَذَبْتُ وَبَيَّتُ الله لو كنتُ صادقاً لما سَبَقْتَنِي بالبكاءِ الحمائمُ
وذلك لأن أخت عمرو سَلَّاهَا وَعَزَّاهَا جلالَةُ القاتِلِ، والافتخار بأنَّ أخاها مقتولُهُ، فَهَلَّا نَظَرْتُ إلى قاتِلِ ولدي، وهو الأبدِيُّ القديم، فهانَ عليَّ الأمرُ ^(٤).

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) فيما أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٠٣) من حديث أنس بن مالك، قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين - وكان ظمراً لإبراهيم عليه السلام - فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبَّله وشَّمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك - وإبراهيم يجود بنفسه - فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله! فقال: يا ابن عوف، إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: «إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

(٣) البيتان بنحو هذا اللفظ في «الأضداد» لابن الأنباري: ٧٧، «شرح المَرْزُوقِي لحَمَاسَةِ أَبِي تَمَامٍ»: ٨٠٤ / ٢، و«أمالي المرتضى»: ٧ / ٢ - ٨، و«اللسان» (بيض)، وقيل: إن الأبيات لامرأة من العرب غير أخته.

(٤) انظر «المنتظم»: ١٨٦ / ٩ - ١٨٨.

محمد بن علي بن ميمون^(١)

أبو الغنائم، ابن النُّرسي، الكوفي.

محدث مشهور، ويُعرف بأبي؛ لأنه كان جيّد القراءة [في أول زمانه، فلقبوه أبيعاً]^(٢).

ولد سنة أربع وعشرين وأربع مئة في شَوَّال، وسمِعَ الحديث الكثير، وسافر إلى الشَّام والسَّواحِل، وخُتِمَ به عِلْمُ الحديث بالكوفة، وكان يقول: توفي بالكوفة ثلاث مئة وثلاثة عشرة من الصَّحابة لا يُعرف قَبْرُ أحدٍ منهم إلا قبر علي عليه السَّلام.

وقال محمد بن ناصر: ما رأيتُ مثل أبي الغنائم ابن النُّرسي في ثِقَتِهِ وحِفْظِهِ، ما كان أحد يقدر أن يُدْخَلَ في حديثه ما ليس منه، [وكان]^(٣) من قَوَّام اللَّيْلِ، مَرَضَ ببغداد، فأنحدر إلى الكوفة، فمات بِحِلَّةِ ابنِ مَزِيد يوم السَّبْتِ سادس عشرة شعبان، فحمل إلى الكوفة [فدفن بها]. وقال محمد بن عبد الباقي البرَّاز: ما كان بالكوفة]^(٣) من أهل السُّنَّة والحديث سواه [سمع ببغداد أبا محمد الجَوْهَري، والتَّنُوخي والعُشَّاري وغيرهم، وقرأ القرآن بالروايات فبرع فيه، ورحل إلى الشَّام والقدس، فروى عنه الفقيه نصر وهو من شيوخه]^(٢)، وكان فاضلاً ثِقَةً، عاش سِتّاً وثمانين سنة مُمتِعاً بجوارحه.

محفوظ بن أحمد بن الحسن^(٤)

أبو الخطَّاب الكلَّوْذاني^(٥)، الحنبلي.

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٧٠ / ١٢ - وفيه وفاته سنة (٥٠٧هـ) وهو خطأ، تابعه عليه ابن الأثير في «اللباب»: ٣٠٦ / ٣ - و«المنتظم»: ١٨٩ / ٩، و«معجم البلدان»: ٢٨٠ / ٥، و«طبقات علماء الحديث»: ٣٣ / ٤ - ٣٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٧٤ / ١٩ - ٢٧٦، وفيهما تنمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٤) له ترجمة في «طبقات الحنابلة»: ٢٥٨ / ٢، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٣٨ / ٣، و«الأنساب»: ٤٦١ / ١٠ - ٤٦٢، و«المنتظم»: ١٩٠ / ٩ - ١٩٣، و«اللباب»: ١٠٧ / ٣ - ١٠٨، و«الكامل»: ٥٢٤ / ١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٤٨ / ١٩ - ٣٥٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٥) يقال الكلَّوْذاني والكلَّوْاذاني، وهي نسبة إلى كلَّوْذان: قرية من قرى بغداد على بعد خمسة فراسخ منها، انظر «الأنساب»: ٤٦٠ / ١٠.

ولد في شوال سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة، وتفقه على القاضي أبي يعلى بن الفراء، وسمع الحديث وحدث، وأفتى ودرّس، وصنف «الهداية» وغيرها، وشهد عند قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني، وكان [عاقلاً]^(١) فاضلاً شاعراً، وله قصيدة من جنس العقيدة، أولها: [من الكامل]

دَعْ عَنْكَ تَذْكَارَ الْخَلِيطِ الْمُنْجِدِ
وَالنُّوْحَ فِي أَطْلَالِ سُعْدِي إِنَّمَا
وَاسْمَعْ مِقَالِي إِنْ أَرَدْتَ تَخْلُصاً
قَالُوا بِمَ عَرَفَ الْمَكْلَفُ رَبَّهُ؟
قَالُوا فَهَلْ رَبُّ الْخَلَائِقِ وَاحِدٌ؟
قَالُوا فَهَلْ لِلَّهِ عِنْدَكَ مُشَبِّهٌ؟
قَالُوا فَهَلْ تَصِفُ الْإِلَهَ، ابْنُ لَنَا؟
قَالُوا فَهَلْ تِلْكَ الصِّفَاتُ قَدِيمَةٌ
قَالُوا فَأَنْتَ تَرَاهُ جِسْماً، قُلْ لَنَا؟
قَالُوا فَهَلْ هُوَ فِي الْأَمَاكِنِ كُلِّهَا؟
قَالُوا أَتَزْعُمُ أَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى؟
قَالُوا فَمَا مَعْنَى اسْتَوَاهُ، ابْنُ لَنَا؟
قَالُوا النُّزُولُ؟ فَقُلْتُ نَاقِلُهُ لَنَا^(٥)
قَالُوا فَكَيْفَ نَزُولُهُ؟ فَأَجَبْتُهُمْ
قَالُوا فَيُنْظَرُ بِالْعَيُونِ، ابْنُ لَنَا
قَالُوا فَهَلْ لِلَّهِ عِلْمٌ؟ قُلْتُ مَا
قَالُوا فَيَوْصَفُ بِالْكَلَامِ، ابْنُ لَنَا

وَالشُّوقَ نَحْوَ الْآنَسَاتِ الْخُرْدِ^(٢)
تَذْكَارُ سُعْدِي شُغْلُ مَنْ لَمْ يُسْعَدْ
يَوْمَ الْحِسَابِ وَخُذْ بِهَيْدِي تَهْتَدِي
فَأَجَبْتُ بِالنَّظَرِ الصَّحِيحِ الْمُرْشِدِ
قُلْتُ الْكَمَالُ لِرَبِّنَا الْمُتَفَرِّدِ
قُلْتُ الْمُشَبِّهُ فِي الْجَحِيمِ الْمُؤَصَّدِ
قُلْتُ الصِّفَاتُ لَذِي الْجَلَالِ السَّرْمَدِي
كَالذَّاتِ؟ قُلْتُ كَذَاكَ لَمْ تَتَجَدَّدِ
قُلْتُ الْمُجَسَّمُ عِنْدَنَا كَالْمُلْجِدِ
فَأَجَبْتُ بَلْ فِي الْعُلُوِّ مَذْهَبُ أَحْمَدِ^(٣)
قُلْتُ الصَّوَابُ كَذَاكَ خَبَرٌ^(٤) سَيِّدِي
فَأَجَبْتُهُمْ هَذَا سَوَالُ الْمُعْتَدِي
قَوْمٌ تَمَسُّكُهُمْ بِشَرْعِ مُحَمَّدٍ
لَمْ يُنْقَلِ التَّكْيِيفُ لِي فِي مُسْنَدِي
فَأَجَبْتُ رُؤْيَيْتُهُ لِمَنْ هُوَ مُهْتَدِي
مِنْ عَالِمٍ إِلَّا بِعِلْمِ مُرْتَدِي
قُلْتُ السَّكُوتُ نَقِيصَةُ الْمُتَوَحِّدِ

(١) ما بين حاصرتين من (م)، وفي (ش): وكان عاقلاً شاعراً، فاضلاً لبيباً ماهراً.

(٢) خُرْد، جمع نادر، مفردة خريدة وخريد وخُرُود، وهي من النساء البكر التي لم تمس قط. «اللسان» (خرد).

(٣) في (م): فأجبت علواً ذاك مذهب أحمد.

(٤) في (ع) و(ب) يخبر، والمثبت من (م) و(ش).

(٥) في (ع) و(ب): له، والمثبت من (م) و(ش).

قالوا فما القرآن؟ قلتُ كلامُهُ
قالوا الذي نتلوهُ؟ قلتُ كلامُهُ
قالوا فأفعالُ العبادِ؟ فقلتُ ما
قالوا فهل فعلُ القبيحِ مُرادُهُ؟
من أبيات طويلة^(١).

[ومما يعزى إلى أبي الخطّاب أنه]^(٢) بات ليلةً بجامع المنصور، فسمع يوماً تصيح
طول الليل [فقال]: [من البسيط]

يا بومة القُبّة الخُضراءِ قد أنسَتْ
زهْدَتِ في زُخْرَفِ الدُّنيا فأسْكَنَكَ [الرُّ
ويا مثيرةً أحرّاني بأنّيها
وقد هَوَيْتُكَ من بين الطُّيورِ فَمَنْ
وكتّبَ إليه فتوى: [من البسيط]

قُلْ للإمام أبي الخطّابِ مسألة
ماذا على رجلٍ رامٍ الصَّلَاةَ فإذا
فكتّبَ في الجواب: [من البسيط]

قُلْ للأديبِ الذي وافى بمسألة
إنّ الذي فتنّته عن عبادته
إن تاب ثم قضى عنه عبادته

رُوحِي بروحك إذ تُستَبشِعُ البُومُ
هدُ]^(٢) الخرابَ فمن يذمُّكَ مذمومٌ^(٣)
حاشاك ما بك تشويهٌ ولا شُومُ
يلُومني بعد هذا لومُهُ لُومٌ^(٤)

جاءت إليك وما شخصٌ سواك لها
لاحت لناظره ذاتُ الجمالِ لها^(٥) ^(٦)

سرّت فؤادي لَمّا أن أصحّتُ لها
خريدةً ذاتُ حُسنٍ فأنثنى ولها^(٧)
فرحمةُ الله تغشى من عصي ولها^(٨) ^(٩)

(١) انظر القصيدة في «المنتظم»: ١٩١/٩ - ١٩٣، و«الوافي بالوفيات»: ١٨٣/٢٥ - ١٨٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ب): فسكنك الخراب، والمثبت من (م) و(ش).

(٤) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٤٥/٣.

(٥) لها عن الشيء: سلا عنه وترك ذكره.

(٦) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٤٠/٣.

(٧) من الوله: ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد.

(٨) لها: سلا عن الشيء.

(٩) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٤٠/٣.

[وأنشد السَّمْعَانِي لِأَبِي الْخَطَّابِ] ^(١): [من الوافر]

لئن جَارَ الزَّمَانُ عَلَيَّ حَتَّى رَمَانِي مِنْهُ فِي ضَنْكَ وَضِيقِ
فإنِّي قَدْ خَبَرْتُ لَهُ صُرُوفاً عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي ^(٢)
[وكانت وفاة أبي الخطاب في جُمَادَى الآخِرَةِ، وصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُ الْفَاعُوسِ بِجَامِعِ
الْقَصْرِ، وصَلَّى عَلَيْهِ أَيْضاً بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ] ^(٣)، وَدُفِنَ فِي دَكَةِ الْإِمَامِ أَحْمَد - رَحِمَهُ اللَّهُ
عَلَيْهِ - إِلَى جَانِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيِّ.

سَمِعَ [شَيْخَهُ الْقَاضِي أَبَا يَعْلَى بْنِ الْفَرَّاءِ، وَأَبَا مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيَّ وَالْعُشَارِيَّ] ^(٤)،
وَابْنَ الْمُسْلِمَةِ وَغَيْرَهُمْ، وَكَانَ فَاضِلاً وَرِعاً صَدُوقاً ثِقَةً.

السَّنةُ الْحَادِيَةُ عَشَرَ وَخَمْسُ مِائَةٍ

فِيهَا زُلْزِلَتْ بَغْدَادُ يَوْمَ عَرَفَةَ زَلْزَلَةً ارْتَجَّتْ لَهَا الدُّنْيَا، فَكَانَتْ الْحَيَاطَانُ تَذْهَبُ
وَتَجِيءُ، وَوَقَعَتِ الدُّوَرُ عَلَى أَهْلِهَا، فَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ كَانَ عَقِبُهَا مَوْتُ السُّلْطَانِ
مُحَمَّدٍ، ثُمَّ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَظْهَرُ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ، وَلَوْلَوْ صَاحِبُ حَلَبٍ. وَحَارَبَ دُبَيْسُ بْنُ
مَزِيدٍ الْمُسْتَرْشِدَ، وَغَلَّتِ الْأَسْعَارُ حَتَّى بَلَغَ الْكُرُّ ^(٥) ثَلَاثَ مِائَةِ دِينَارٍ، وَفُقِدَ أَصْلًا، وَمَاتَ
النَّاسُ جَوْعاً، وَأَكَلُوا الْكَلَابَ وَالسَّنَانِيرَ [وَجَرَى بِالْعِرَاقِ مَا لَمْ يَأْتِ تَفَاصِيلُهُ] ^(٦)، وَجَاءَ
سَيْلٌ عَظِيمٌ فَأَخْرَبَ سِنْجَارَ ^(٧).

وَفِيهَا خَرَجَ آقُ سُنْقُرِ الْبُرْسُوقِيِّ مِنَ الرَّحْبَةِ، فَأَتَى حَلَبَ، وَبِهَا يَارِقْتَاشُ الْخَادِمُ بَعْدَ
لَوْلُو، فَتَزَلَّ [الْبُرْسُوقِيُّ] ^(٨) عَلَيْهَا فَلَمْ يَظْفَرْ بِطَائِلٍ، وَعَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ ^(٩).

(١) فِي (ع) وَ(ب): وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضاً، وَالْمَثْبُتُ مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (م)، وَيَنْحَوُّ فِي (ش).

(٢) «الْخَرِيدَةُ»: ٤٤ / ٣.

(٣) فِي (ع) وَ(ب): تَوَفَّى فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ بِجَامِعِ الْقَصْرِ وَجَامِعِ الْمَنْصُورِ، وَالْمَثْبُتُ مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ
مِنْ (م) وَ(ش).

(٤) فِي (ع) وَ(ب): سَمِعَ الْجَوْهَرِيَّ وَالْعُشَارِيَّ وَابْنَ الْمُسْلِمَةِ، وَالْمَثْبُتُ مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (م) وَ(ش).

(٥) الْكُرُّ: مَكْيَالٌ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ يَبْلُغُ بِالْوِزْنِ الْعَشْرِيِّ الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ، وَأَسَاسُهُ الْغَرَامُ ٩٥٦، ٦٦٨، ١ كِيلَاً
تَقْرِيباً، أَوْ نَحْوَ طَنْ وَثَلْثِي الطَّنِ تَقْرِيباً. انْظُرْ «مَعْجَمُ مَتْنِ اللُّغَةِ»: ٤٦ / ٥.

(٦) مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (م) وَ(ش).

(٧) انْظُرْ «الْمُنْتَظَمُ»: ١٩٣ / ٩.

(٨) انْظُرْ «ذِيلُ تَارِيخِ دِمَشْقَ» لِابْنِ الْقَلَانِسِيِّ: ٣١٦، وَ«تَارِيخُ حَلَبٍ» لِلْعَظِيمِيِّ: ٣٦٨.

وفيها هجمت الفرنج على رَيْضِ حماة في ليلة خُسُوف القمر، وقتلوا مِنْ أَهْلِهَا نحواً من مئة وعشرين رجلاً^(١).

وفيها وصل [الأمير نجم الدين]^(٢) إيل غاري بن أرتق إلى حلب في عسكره، وتولّى تدبير أمرها مُدَّة شهر، وفَسَدَ عليه ما أَرَادَهُ، فَخَرَجَ مِنْهَا، وبقي ولده تمرتاش حسام الدين فيها، وكان أمرها مردودٌ إلى أبي المعالي بن المِلْحي الدَّمَشْقِي^(٣).

وفيها توفي بختيار السَّلَّار شِخْنَة دمشق ونائب طُغْتِكِينَ، كان نَزْهاً عَفِيفاً، وَرِعاً عادِلاً، سائساً مُدَبِّراً، صاحب عَزْمٍ وهِيئة، يَنْصُرُ الضَّعِيفَ على القويِّ، ويَأْمُرُ بالمعروف وينهى عن المنكر، توفّي في ليلة نصف شعبان بأمراض مختلفة، فَحَزِنَ عليه طُغْتِكِينَ وأهلُ البلد لإحسانه إليهم، وأقيم ولده السَّلَّار عمر في منصبه، فاقتفى آثاره^(٤).

[الْوَلُؤُ]^(٥) الخادم

متولي قلعة حلب، مملوك رضوان، قتله ممالك سيّده رضوان حسداً [له]^(٥)، وكان قد خرج نحو قلعة حَغْبَر ليجتمع بالأمير سالم بن مالك، فلَمَّا وَصَلَ قُلَيْعة نادر، قال له بعضُ غُلَمَانِهِ: أرى جماعة الممالك قد تَشَوَّشُوا وأنا خَائِفٌ عليك، فاحْتَرِزْ، فلم يلتفت، فصاحوا: أرنب، أرنب. وأوهموا الباقين ورموا بالنُّشَّاب، وقصّده واحدٌ بسهم، فَقَتَلَهُ، ونهبوا خزانته وهربوا، وكان أرقطاش الأرمني نائبه بقلعة حلب، فكاتبَ الفرنج، وأعطاهم حصن القُبَّة^(٦)، فكره الأمراء ذلك، وكاتبوا إيل غازي بن أرتق، فجاء من ماردين، ففتحوا له بابَ البلد، واختلفوا فيه، قال قوم: لم يستقم له حالٌ، وقال آخرون: أعطى أرقطاش إقطاعاً، وأنزله من القلعة، وملكها^(٧).

(١) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣١٧.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣١٧، و«الكامل» لابن الأثير: ٥٣١/١٠.

(٤) في (ع) أثره، والمثبت من (ب)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣١٦.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

(٦) لم أقف على موقعها.

(٧) انظر «الكامل»: ٥٣١/١ - ٥٣٢، وذكر ابن القلانسي في «ذيل تاريخ دمشق» ٣١٥، والعظيمي في «تاريخ

حلب»: ٣٦٧ قتله سنة (٥١٠هـ).

محمد بن سعيد بن إبراهيم بن نبهان^(١)

أبو علي الكاتب، سبط هلال بن المُحَسِّن الصَّابِي.

ولد سنة إحدى عشرة وأربع مئة، وتوفي في شَوَّال، ودُفِنَ بداره بالكرخ، وكان فاضلاً فصيحاً، شاعراً، يتشيع، وتغيّر في آخر عُمره.

ومن شِعْره: [من السريع]

لي أَجَلٌ قَدَّرَهُ خالقي نَعَمَ ورزقي أَتَوَفَّاهُ
حتى إذا استوفيتُ منه الذي قُدِّرَ لي لم أَتَعَدَّاهُ
وقال مَنْ قد كنتُ ألقاه في مجلسٍ قد كنتُ أغشاهُ
صار ابنُ نَبْهانَ إلى رَبِّه يَرْحَمُنِي اللهُ وإيَّاهُ^(٢)
[وفيهما توفي]

السُّلْطَانُ^(٣) محمد شاه بن ملك شاه^(٤)

ابن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق.

قد ذكرنا سيرته وعدله وهيبته في السنين، وأنه خَرَجَ في السنة الماضية إلى أصبهان، فَمَرِضَ مرضاً طالَ به، وتوفي في الحادي عشر من ذي الحِجَّة، وعمره سبعٌ وثلاثون سنة، ومُدَّةُ ملكه بعد وفاة أخيه بَرْكْيَارُوق اثنتا عشرة سنة، وكان له خمسة أولاد: مسعود، ومحمود، وطُغْريل، وسليمان، وسلجوق، وكلُّهم خُوطِبَ بالسُّلْطَنَةِ سوى سلجوق، وقام بالأمر بعده ولده محمود، وكان محمد قد خَلَفَ من المال [عشرة آلاف]^(٥) ألف دينار وأكثر، ففَرَّقَهَا محمود في العساكر سوى العَروض^(٦) والخيال والأمتعة ونحوها.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٩٥/٩، و«الكامل»: ٥٣٢/١٠، و«المحمدون من الشعراء»: ٤٨٥ - ٤٨٧، و«ميزان الاعتدال»: ٥٦٦/٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٥٥/١٩ - ٢٥٧، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) انظر القصيدة في «المحمدون من الشعراء» للقفطي: ٤٨٥ - ٤٨٧.

(٣) ما بين حاصرتين من (م)، وبنحوه في (ش).

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٩٦/٩، و«الكامل»: ٥٢٥/١٠ - ٥٢٧. و«وفيات الأعيان»: ٧١/٥ - ٧٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٠٦/١٩ - ٥٠٧، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٥) في (ع) و(ب): ألف ألف دينار، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) العروض من المتاع: ما لا يدخله كيل ولا وزن، ولا يكون حيواناً ولا عقاراً. «معجم متن اللغة»: ٧٤/٤.

[فصل : وفيها توفي]^(١)

يُثْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(٢)

الخادم، أبو الخير الحَبْشي الجيوشي [المُسْتَظْهري]^(١).

خادم المستظهر الخاص، كان مهيباً، جَوَاداً، حَسَنَ التَّدْبِيرِ، ذَا رَأْيٍ وَفِطْنَةٍ، تَقَلَّبَتْ بِهِ الْأُمُورُ حَتَّى صَارَ سَفِيرًا بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَالسُّلْطَانِ، وَبُعِثَ أَمِيرَ الْحَاجِّ فِي السَّنةِ الْمَاضِيَةِ [وَدَخَلَ مَكَّةَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الطُّبُولُ وَالْبُوقَاتُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ وَإِنْكَارَ ابْنِ عَقِيلَ عَلَيْهِ]^(٣)، وَتَوَفَّى بِأَصْبَهَانَ؛ قَدِمَهَا رَسُولاً، [سَمِعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طَلْحَةَ النَّعَالِي، وَحَدَّثَ عَنْهُ بِأَصْبَهَانَ]^(١)، وَكَانَ أَمِيناً ثِقَةً، صَدُوقاً.

السَّنة الثَّانِيَّة عشر وخمس مئة

فِيهَا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَلَاثَ عَشْرِينَ مُحَرَّمٍ، خُطِبَ بِبَغْدَادَ لِمَحْمُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ شَاهٍ عَلَى الْمَنَابِرِ. وَفِي رَبِيعِ الْآخِرِ احْتَرَقَتْ بِغْدَادُ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ حَرِيقاً أَتَى عَلَى مُعْظَمِ أَسْوَاقِهَا، وَدُورِهَا [وِخَانَاتِهَا]^(١) وَحَمَّامَاتِهَا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا شَيْءٌ يَسِيرٌ. وَمَاتَ الْمُسْتَظْهَرُ فِي هَذَا الشَّهْرِ.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٩٦/٩، و«توضيح المشتبه»: ٢٥٣/٩.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص ٩٦ من هذا الجزء.

الباب التاسع والعشرون

في خلافة المسترشد بالله

الفضل بن أحمد المستظهر، وكُنِيَّتُهُ أبو منصور، وُلِدَ ليلة الأربعاء رابع ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربع مئة، وقيل: سنة خمس - أو سِتْ - وثمانين، وأُمُّهُ لُبَابَةٌ - ويقال لها طُرْفَةٌ - أُمٌ وَلَدَتْ، وبُويِعَ بالخلافة يوم الخميس الرَّابِعَ والعشرين من ربيع الآخر، فبايعه إخوته، وعُموَّمته، والقُضاة والفُقهَاء، وأربابُ الدولة، وتولَّى أخذَ البيعة له قاضي القُضاة أبو الحسن عليُّ بن محمد الدَّامَغَانِي، وكان يَنُوبُ في الوِزَارَةِ.

ويقال: إِنَّ سَبْعَةً من أولاد الخلفاء سَلَّمُوا عليه بالخلافة، وكان أبوه قد نَصَّ عليه. وسِنُّهُ يوم بُويِعَ ثلاثون سنة على الاختلاف في مولده.

وطلب المُستَرشد عليُّ بنَ عَقِيلٍ لِيَايَعَهُ، فجاء، فقال: أبايُعُ سَيِّدَنَا ومولانا أمير المؤمنين على كتابِ الله وسُنَّةِ نبيه [محمد] ^(١) ﷺ، وسُنَّةِ الخلفاء الرَّاشِدِينَ ما أطاق واستطاع، وعلى الطَّاعة مني، فقال [المُستَرشد] ^(١): نَعَمْ، وبَسَطَ يده، فقبَّلَهَا وتركَهَا على عينه، وقال [ابن عَقِيلٍ]: و[^(٢) هذه زيادة على ما فعلتُ في بيعة المستظهر تعظيماً له وحده من دون سائر الخلفاء لما نَشَأَ عليه من الخير والصَّلاح، وتركه اللُّهُو، وسلوكه طريقَ جدِّه القادر. وكان [المُستَرشد] ^(٢) قد قرأ القرآن، وسمع الحديث.

ثم أبرز تابوتَ المستظهر يوم البيعة بين الصَّلَاتَيْنِ، فَصَلَّى عليه المُستَرشد، وكَبَّرَ أربعاً، وجَلَسَ قاضي القُضاة بباب الفردوس للعزاء ثلاثة أيام.

وفي أيام العزاء نَزَلَ الأمير أبو الحسن بن المستظهر في الليل من التَّاج، وأخذَ معه رجلاً هاشمياً من الحُماة الذين يبيتون تحت التَّاج، ومضى إلى حِلَّةِ دُبَيْسَ بن صَدَقَةَ، فالتقاه، وقبَّلَ الأرضَ بين يديه، وأنزله في دار الذهب، وخدمه، وأكرمه، وكان كل يوم يدخل عليه، فيقبِّلُ الأرضَ بين يديه، ويستعرض حوائجه.

وبعث المُستَرشد نقيب النُقباء أبا القاسم علي بن طَرَادَ ليأخذ البيعة على دُبَيْسَ، ويستعيد أخاه، فأعطى البيعة، وامتنعَ مِنْ تسليم أبي الحسن، وقال: هذا عندي

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ضيف، ولا يمكن إكراهه على الخروج. فدخل النقيب على أبي الحسن، وأدى رسالة الخليفة ومعها خط الخليفة بالإيمان على ما يجب وخاتمه ليعود، فلم يجب، فرجع.

وفيها استوزر الخليفة أبا شجاع محمد بن أبي منصور بن أبي شجاع، وكان عمره عشرين سنة، وإنما فعل ذلك لأجل أبيه وزير السلطان محمود، واشتب له علي بن طراد، فكتب الحريري صاحب المقامات إليه: [من المتقارب]

هنيئاً لك الفخر فافخر هنيئاً كما قد رزقت مكاناً علياً
خلقت كآبائك الأكرمين لدست الوزارة كفواً رضيّاً
فقلت أعباءها يافعاً كما أوتي الحكم يحيى صبيّاً

وكتب جماعة إلى أبي الحسن إلى الحلة بأن لا يطيع، منهم صاحب المخزن ابن الخريزي^(١)، والقاضي ابن غيلان^(٢) وابن كمونة^(٣)، فاستأصلهم الخليفة، وقيل: إن ابن الخريزي كان يهين المسترشد في أيام أبيه، ولا يلتفت عليه، فأخذ من داره أربع مئة ألف دينار، ثم أمر الخليفة بقتله، فقتل.

وفيها أخذ المسترشد دار ديبس، وأضافها إلى جامع القصر، فكتب ديبس فتوى: ما تقول السادة الفقهاء في رجل اشترى داراً، فغصبها منه رجل وجعلها مسجداً، فهل يجوز ذلك؟ وهل يلزم الغاصب إعادتها إلى صاحبها؟ فكتب قاضي القضاة والفقهاء: لا يجوز ذلك، ويجب ردّها، ولا يصح وقفها. وبعث الفتوى، وكتب الدار إلى الخليفة، وأن أباه صدقة اشتراها من وكيل المستظهر بخمسة عشر ألف دينار، وأنفق عليها عشرة آلاف دينار، فلم يردها عليه المسترشد.

وفي رجب بعث الخليفة إلى ديبس جبة وفرجية وعمامة وطوقاً وفرساً بمركب ذهب، وسيفاً، ومنطقة، ولواء مع نقيب النقباء وابن السبكي ونجاح.

وفي ذي القعدة خلع المسترشد على نظر^(٤)، ولقبه أمير الجيوش والحرمين، وأعطى الأعلام والكوسات، وسار إلى الحج.

(١) هو أبو طاهر يوسف بن أحمد الخريزي، له ترجمة في «المنتظم»: ٢٠٣/٩.

(٢) لم أهتم إلى ترجمته.

(٣) ابن كمونة لم أقف على اسمه، وقد كان في فقهاء بغداد من يسمى هذا الاسم، ولكن لا استفاد من ترجمته أنه هو، انظر «الأنساب»: ٤٧١/١٠، و«توضيح المشتبه»: ٣٣٩/٧.

(٤) ضبطه من «توضيح المشتبه»: ٩٨/٩.

وفيها خرجت والدَةُ السُّلْطَانِ محمود شاه من أصفهان إلى السُّلْطَانِ سنجر، فلقبها ببلخ، وأكرمها، فقالت له: أدرك ابن أخيك وإلا تَلَفَ، فإنَّ الأموالَ قد تمزَّقت، والبلادُ قد أشرَفَتْ على الأخذ، وهو صبيٌّ وحوله من يلعب بالملك. فقال لها: سَمْعاً وطاعة. وكان وزيرُ محمود ومدبِّرُ دولته أبو القاسم^(١) سيِّئ التَّدبير، ظالماً، وكان خائفاً من مجيء سنجر إلى البلاد، فأنفق ما كان في خزائن محمد في أربعة أشهر، وباع الجواهر والأثاث [وأنفقه]^(٢) في العساكر فلم يُفِده، وشرَّع سنجر في التجهيز إلى العراق، وبلغ الوزير [أبا القاسم]^(٣) فكتبَ عن لسان الأمراء إلى سنجر: إنَّ محموداً ابنُ أخيك وولدك وتحت كفالتك. ويعث هدايا وألطافاً وخمسين ألف دينار، وكان ذلك خديعةً منه، فقابل سنجر الخداع بمثله، وقال: الجواب عند وصولنا إلى همدان.

وكان من سوء تدبير الوزير أنه أشار على محمود بولاية دُبَيْس واسطاً والبصرة مضافاً إلى الحِلَّة، وكان سنجر لما بلغه موثُ أخيه محمد كتبَ إلى الخليفة، ويعث بالهدايا مع رجلٍ عاقل، فقرر أمره، وبعث الخليفةُ إليه بخلع السُّلْطَنَةِ الكاملة، وجعل غزنة وسمرقند وما وراء النهر مضافاً إليه.

وفيها كثرَ فساد الفرنج في بلاد المسلمين، فجاء [الأمير نجم الدين]^(٣) إيل غازي إلى دمشق، فاتفقَ مع طُغْتَكِين على جهادهم، وتحالفا [وتعاقدا]^(٣) وأنَّ إيل غازي يمضي إلى ماردين ويجمع التُّركمان، ويكون اللقاءُ في صفر سنة ثلاث عشرة [وخمس مئة]^(٣) على حلب^(٤).

(١) أبو القاسم هو علي بن القاسم الأنساباذي الدركيني، ولم يكن وقتذاك وزيراً للسلطان محمود، إذ كان وزيره وقتئذٍ ربيب الدولة أبا منصور بن الوزير أبي شجاع، وكان أبو القاسم في أوليته وزيراً لحاجبه الكبير علي بن عمر، ومن خلاله كان يسيط نفوذه في الدولة، ولم يل الوزارة للسلطان محمود إلا في سنة (٥١٨هـ)، ثم عزل عنها سنة (٥٢١هـ) ليعود إليها سنة (٥٢٣هـ) حتى مقتله سنة (٥٢٧هـ)، انظر أخباره في «تاريخ دولة آل سلجوق»: ١١٢، ١١٤ - ١١٥ وما بعدها، ١٢٣، ١٣٥ وما بعدها، و«الكامل»: ١٠/٦٤٢، ٦٥٢، ٦٦٩، ٦٧٨، ٦٨٧، و«معجم الأنساب»: لزمايور: ٣٣٩.

(٢) ما بين حاصرتين من (م)، وفي (ش): وأنفقها.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣١٨ - ٣١٩.

وفيهما توفي

أحمد بن عبد الله أبو العباس المستظهر بالله^(١)

كان كريم الأخلاق، لَيِّن الجانب، جَوَاداً، سَمَحاً، حافظاً للقرآن، مُحِبّاً للعلماء والصَّالحين، مُنْكَراً لِلظُّلْم، فصيح اللسان، وله شِعْرٌ، فمنه قوله: [من البسيط]

أَذَابَ حَرُّ الهوى في القلب ما جَمَدَا يوماً^(٢) مَدَدْتُ إلى رَسْمِ الوداعِ يدا
وكيف أَسْلُكُ نَهْجَ الإصطبارِ وقد أرى طرائقَ في مهوى الهوى قَدَدَا
إن كنتُ أَنْقُضُ عَهْدَ الحُبِّ يا سَكَنِي مِنْ بعد حُبِّي فلا عاينتُكُمْ أبدا^(٣)

وكان شِبْل الدولة مقاتل بن عَطِيَّة البكري^(٤) من كبار الأمراء، مُقَدِّماً في العرب، فاضلاً، عَزَمَ على الرِّحْلة من بغداد إلى كَرْمان متجعاً مُكْرَم ابن العلاء، فكتبَ قِصَّةَ بخطه: يا أبا الهيجاء، أبعثت النُّجعة، أَسْرَعَ اللهُ بك الرُّجعة، وفي ابنِ العلاء مَقْنَع، وطريقه في الخير مَهْيَع، وما يسديه إليك تستحلي ثمرة شُكْره، وتَسْتَعِذُّ بِمُشاربِ بَرِّه. فلما وَصَلَ إلى مُكْرَم عَرَضَ عليه الرُّقعة، فقامَ من دَسْتِهِ إجلالاً وتعظيماً لخط الخليفة، واستدعى في الحال بدست من ثيابه، وألف دينار وفرسٍ من مراكبه، فدفعه إليه، ثم عاد إلى مكانه، فأنشده: [من المتقارب]

دَعِ العَيْسَ تَذَرُغُ عُرْضَ الفَلا إلى ابنِ العلاءِ وإلا فلا
فأعطاه ألفاً أخرى، وألفاً أخرى، وثياباً وخيلاً وتُحَفاً وطُرفاً، وأغناه غناء الأبد، وقال له: دُعَاءُ أمير المؤمنين مستجاب متقبَّلٌ، وقد دعا لك بسرعة الرُّجعة، فازجِعْ، ولولا ذلك لأقمتَ عندي سنةً، فرجع، وكان ذلك في سنة خمس وخمس مئة^(٥).

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢٦/٢ - ٢٩، و«المنتظم»: ٢٠٠/٩، و«الكامل»: ١٠/٥٣٤ - ٥٣٦، و«النبراس»: ١٤٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٩٦/١٩ - ٤١٢، وفيه تنمة مصادر ترجمته، وقد سلفت أخباره على السنين في هذا الكتاب.

(٢) في «الكامل»: ١٠/٥٣٦: لما.

(٣) الأبيات في «الخريدة» ٢٧/٢ - ٢٨ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) سلفت ترجمته ص ٥٥ من هذا الجزء.

(٥) انظر «وفيات الأعيان»: ٥/٢٥٧ - ٢٥٨.

ذكر وفاته: مَرَضَ بِعِلَّةِ التَّرَاقِي، وَهِيَ دُمْلٌ تَطْلُعُ فِي الْحَلَقِ، فَأَقَامَ مَرِيضاً ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْماً، وَتُوفِيَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ سَادِسَ عَشْرِينَ رَبِيعَ الْآخِرِ، وَقِيلَ: لَيْلَةُ الْأَحَدِ سَابِعَ عَشْرِينَ مِنْهُ، وَعَمَرَهُ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعاً وَعَشْرِينَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّاماً، وَلَمْ تَصِفْ لَهُ الْخِلَافَةُ، فَكَانَتْ أَيَّامُهُ مَضْطَرِبَةً، وَغَسَّلهُ عَلِيُّ بْنُ عَقِيلِ الْحَنْبَلِيِّ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْمُسْتَرَشِدُ، وَدُفِنَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ، ثُمَّ أُخْرِجَ تَابُوتُهُ فِي رَمَضَانَ إِلَى الرُّصَافَةِ، وَسَبَبَ [ذَلِكَ مَا حَكَاهُ جَدِّي فِي «الْمُنْتَظَمِ» عَنْ شَيْخِهِ أَبِي الْحَسَنِ ابْنِ الزَّاعُونِي، قَالَ: إِنَّمَا عَجَّلَ الْمُسْتَرَشِدُ بِإِخْرَاجِهِ لِأَنَّهُ^(١) رَأَاهُ فِي مَنَامِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَخْرِجْنِي مِنْ عِنْدِكَ، وَإِلَّا أَخَذْتُكَ إِلَى عِنْدِي، فَأَخْرَجَهُ^(٢)].

وكان له من الولد: أبو منصور الفضل المسترشد بالله، وأبو عبد الله محمد المقتفي - وليا الخلافة - وأبو الحسن علي، وأبو طالب، وإبراهيم، وعيسى، وإسماعيل.

أرجوان جارية الدَّخِيرَةِ أم المقتدي^(٣)

وَتُدْعَى قَرَّةَ الْعَيْنِ، [وَكَانَتْ]^(٤) أُمٌ وَلَدَتْ أَرْمَنِيَّةً، [و]^(٥) كَانَتْ صَالِحَةً كَثِيرَةَ الصَّدَقَاتِ، حَجَّتْ ثَلَاثَ حَجَجٍ، وَعَمَّرَتْ طَوِيلًا؛ أَدْرَكَتْ خِلَافَةَ ابْنِهَا الْمُقْتَدِي وَخِلَافَةَ ابْنِهِ الْمُسْتَظْهَرِ، وَخِلَافَةَ ابْنِهِ الْمُسْتَرَشِدِ، وَرَأَتْ لِلْمُسْتَرَشِدِ وَلَدًا، وَدُفِنَتْ بِالرُّصَافَةِ.

بكر بن محمد بن علي^(٥)

ابن الفضل بن الحسن بن أحمد بن إبراهيم ابن إسحاق بن عثمان بن جعفر بن عبد الله بن جعفر بن جابر بن عبد الله، أبو الفضل، الأنصاري الزرَّنَجَرِي، وَزَرَّنَجَرٌ^(٦): قَرْيَةٌ عَلَى خَمْسَةِ فَرَاسَخٍ مِنْ بُخَارَى.

(١) في (ع) و(ب): وسبب إخراجه أن المسترشد رآه في منامه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) «المنتظم»: ٢٥/٩.

(٣) لها ترجمة في «المنتظم»: ٢٠٠/٩.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) له ترجمة في «الأنساب»: ٢٧٠/٦ - ٢٧١، و«التحبير»: ١٣٦/١ - ١٣٩، و«المنتظم»: ٢٠٠/٩ - ٢٠١،

و«معجم البلدان»: ١٣٨/٣، و«الكامل»: ٥٤٥/١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٤١٥/١٩ - ٤١٧،

و«الجواهر المضية»: ٤٦٥/١ - ٤٦٧، وفيهما تنمة مصادر ترجمته.

(٦) هكذا في النسخ الخطية، و«المنتظم» و«السير»، أما في «الأنساب» و«معجم البلدان»: زرَّنَجَرِي، آخره ألف مقصورة.

[ذكره جدي في «المنتظم»، وأثنى عليه، وقال]^(١): سَمِعَ الحديثَ الكثيرَ من جماعةٍ يكثرُ عددهم، وتفرَّدَ بالرواية عن جماعةٍ منهم لم يحدث عنهم غيره، [وتفقه على أبي محمد عبد العزيز بن أحمد الحلواني]^(١)، وبرَّعَ في الفقه، فكان يُضرب به المثل، [وحفظ مذهب أبي حنيفة، وكانوا]^(١) يقولون: هو أبو حنيفة الصَّغير، وكان إذا طَلَبَ منه أحدٌ من المتفقهة الدَّرسَ ألقى عليه من أيِّ موضعٍ أراد من غير مطالعة، ولا نظَرٍ في كتاب، وإذا أشكلَ على الفقهاء شيءٌ رَجَعُوا إلى قوله ونقله.

وسُئِلَ يوماً عن مسألة، فقال: كَرَّرْتُ عَلَيَّ هذه المسألة في ليلةٍ في بُرجٍ [من]^(١) حصن بخارى أربع مئة مرة، وكانت وفاته ببخارى في شعبان^(٢).

الحسين بن محمد بن علي بن الحسن^(٣)

أبو طالب، الزَّينبي، الحَنفي.

ولد سنة عشرين وأربع مئة، وقرأ القرآن، وسَمِعَ الحديث، وبرَّعَ في الفقه، وأفتى، ودرَّس، وانتهت إليه رئاسة أبي حنيفة ببغداد، ولُقِّبَ بنور الهدى، وترسَّلَ إلى ملوك الأطراف من قِبَلِ الخليفة، وولي نقابة الطَّالبيين والعباسيين. وكان شريفَ النَّفس، كثير العلم، عزيز الدين، ثم استعفى من النَّقابة، وسببه: أَنَّهُ حُمِلَ إليه شابٌ هاشمي قد جنى جنايةً تقتضي معاقبته، فقال: ما يحملني قلبي أن أسمع صوته ولا أراه، فأعفاه [الخليفة، واستحضر أخاه طراداً من الكوفة، وكان نقيبها، فولي]^(٤) النَّقابة على العباسيين.

توفي الحسين يوم الاثنين حادي عشر صَفَر، وصَلَّى عليه ابنُه القاسم عليّ، وحضره الأعيان، وأربابُ الدَّولة والعلماء، وحُمِلَ إلى قُبَّة أبي حنيفة، فدفن داخل القُبَّة،

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) «المنتظم»: ٢٠٠/٩ - ٢٠١، وكانت ولادته سنة (٤٢٧هـ).

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ٣٤٦/٦، و«المنتظم»: ٢٠١/٩، و«الكامل»: ٥٤٥/١٠ - ٥٤٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٥٣/١٩ - ٣٥٥، و«الجواهر المضية»: ١٣٣/٢ - ١٣٤، وفيهما تمة مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

ومات عن اثنتين وتسعين سنة، سمع ابن غيلان^(١) وغيره، وانفرد ببغداد برواية «صحيح البخاري» عن كريمة بنت أحمد.

رابعة بنت [أبي حكيم الخبزي]^(٢) عبد الله^(٣) بن إبراهيم^(٤)

ووالدة أبي الفضل ابن ناصر^(٥).

كانت صالحة زاهدة، تسمى رابعة بغداد، سمعت الحديث وروته، وتوفيت يوم الأحد حادي عشر ذي القعدة، ودفنت بباب أبرز [وسمعت الجوهري، وابن النُّقور وابن المسلمة وغيرهم]^(٦)، وروى عنها ولدها محمد بن ناصر، وغيره.

محمد بن الحسين بن محمد البخاري [الحنفي]^{(٦)(٧)}

تفقه [على أصحاب أبي زيد]^(٧)، وبرع في النظر، وولي القضاء، وكان متواضعاً جواداً، حسن الأخلاق، وتوفي ببخارى، وكتب على قبره، [من الكامل]
مَنْ كَانَ مُعْتَبِراً ففِينَا مُعْتَبَرٌ أَوْ شَامِتاً فَالشَّامِتُونَ عَلَى الْأَثَرِ
[قَدِمَ بَغْدَادَ، فَرَوَى عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيِّ وَغَيْرِهِ]^(٨)، وكان فيه تساهلٌ، يقول: مَنْ
صَنَفَ شَيْئاً فَقَدْ أَجَازَ لِكُلِّ مَنْ يَرَوِي عَنْهُ ذَلِكَ.

(١) هو الشيخ المعمر المسند محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان الهمداني البغدادي، صاحب الغيلانيات، وهي أحد عشر جزءاً حديثياً، تفرد في الدنيا بعلو إسنادها، توفي سنة (٤٤٠هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٥٩٨/١٧ - ٦٠٠.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في النسخ الخطية: إبراهيم بن عبد الله، وهو قلب، صوابه ما هو مثبت، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٥٥٨/١٨ - ٥٥٩، و«توضيح المشتبه»: ٤٨٦/٢ - ٤٨٧.

(٤) لها ترجمة في «الأنساب»: ٣٩/٥، و«المنتظم»: ٢٠١/٩، و«توضيح المشتبه»: ٤٨٧/٢.

(٥) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٥٠هـ) من هذا الكتاب.

(٦) له ترجمة في «الأنساب»: ١٨٤/١، و«المنتظم»: ٢٠٢/٩، و«معجم البلدان»: ١٥١/١، و«الوافي بالوفيات»: ١٧/٣، و«الجواهر المضية»: ١٤٥/٣، و«الفوائد البهية»: ١٦٤ - ١٦٦.

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وهو عبد الله - أو عبيد الله - بن عمر بن عيسى الدبوسي البخاري، عالم ما وراء النهر، وأول من وضع علم الخلاف وأبرزه، وكان من أذكى الأئمة، مات ببخارى سنة (٤٣٠هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٥٢١/١٧.

محمد بن عتيق بن محمد التميمي^(١)

القيرواني [ويعرف بابن أبي كُدَيَّْة. قرأ الأصول بالقيروان، و]^(٢) قدم الشام مجتازاً إلى العراق، [وكان يذكر أنه سمع القُضاعي بمصر، وقرأ عليه نصر الله بن محمد بصور، وقدم بغداد]^(٣)، وكان يقرئ علم الكلام بالنظامية، ويحفظ كتاب سيبويه، [وذكره الحافظ ابن عساكر، وقال:]^(٢) سمع يوماً قائلاً ينشد أبي العلاء المَعْرِي [من الطويل]

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهةً وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
وتحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يُعاد لنا سبك
فقال: [من الطويل]

كذبت وبيت الله حلفة صادق سيسكننا بعد الثوي^(٤) من له الملك
ونرجع أجساماً صحاحاً سليمةً تعارف في الفردوس ما عندنا شك^(٥)
وتوفي ببغداد، ودفن عند قبر الأشعري، وكان يزعم أنه على مذهبه وقال: [من
الطويل]

كلام إلهي ثابت لا نفارقه وما دون رب العرش فالله خالقه
ومن لم يقل هذا فقد صار ملحداً وصار إلى قول النصارى يوافق
قوله: كلام إلهي ثابت لا نفارقه: مذهب الأشعري، وقوله: وما دون رب العرش
فالله خالقه: مذهب المعتزلة.

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٦٥١/١٥ - ٦٥٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٤١٧/١٩ - ٤١٨، و«معرفه القراء»: ٨٩٦/٢ - ٨٩٧، و«فوات الوفيات»: ٤٢٩/٣ - ٤٣٠، و«الوافي بالوفيات»: ٧٩/٤ - ٨٠، و«غاية النهاية»: ١٩٥/٢ - ١٩٦، و«النجوم الزاهرة»: ٢١٧/٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وفيهما: نصر الله بن محمود، وهو تحريف، وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١١٨/٢٠ - ١١٩.

(٤) في بعض المصادر: النوى.

(٥) انظر «تاريخ ابن عساكر»: ٦٥٢/١٥.

مُحَسِّن بن سليمان بن محمد بن الحسن^(١)

أبو البركات [الفارسي المؤدّب البعلبكي، ذكره الحافظ ابن عساكر، وقال: ^(٢)]:
قدم دمشق سنة خمس وثمانين وأربع مئة، وسمع بها [سهل بن بشر الإسفراييني،
وأجاز لأبي محمد بن صابر، ولابنه أبي المعالي. وقال ابن عساكر: [أنشدنا أبو الكرم
وهب بن المُحَسِّن بدمشق] ^(٣) أنشدني أبي لنفسه ^(٢)، وقد عوتب على انتقاله من
بَعْلَبَك: [من البسيط]

رَحْلُ قُلُوصِكَ ^(٤) عن أرضِ تُهَانٍ ^(٥) بها
وَارْحَلْ وَإِنْ كَانَتْ الْأُوطَانُ شَاسِعَةً
وَجَانِبِ الدُّلِّ إِنَّ الدُّلَّ يُجْتَنَبُ
فَالْمَنْدَلُ الرَّطْبُ فِي أُوطَانِهِ حَطْبُ
وقال أيضاً: [من البسيط]

وبي من الشُّوق ^(٦) ما لو أَنَّ أَيْسَرَهُ
فَإِنْ تَرَزُّرُ تُظْفِ نَاراً فِي جَوَانِحِهِ
يُلْقَى عَلَى الصَّخْرِ كَانَ الشُّوقُ يُقْلِقُهُ
وَإِنْ بَعُدَتْ فَحَرُّ الشُّوقِ يَحْرِقُهُ ^(٧)

يحيى بن عبد الوهَّاب^(٨)

ابن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم مَنَدَه ^(٩)، أبو زكريا.

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٢٨٠ / ١٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين ساقطة من (م) و(ش)، وقد استدركتها من «تاريخ ابن عساكر».

(٤) القلوص: الفتية من الإبل. «اللسان» (قلص).

(٥) في (م) و(ش): ظلمت، وهي رواية ابن عساكر.

(٦) في (م) و(ش): الوجد.

(٧) انظر تنمة الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ٢٨٠ / ١٦.

(٨) له ترجمة في «منتخب السياق» للصريفيني: ٧٤٧، و«التحبير»: ٣٧٨ / ٢ - ٣٨٢، و«المنتظم»: ٢٠٤ / ٩،

و«وفيات الأعيان»: ١٦٨ / ٦ - ١٧١، و«طبقات علماء الحديث»: ٢٢ / ٤ - ٢٣، و«سير أعلام النبلاء»:

٣٩٥ / ١٩ - ٣٩٦، وفيهما تنمة مصادر ترجمته، وذكر عبد الغافر في «السياق»، ونقل ابن خلكان عن ابن

نقطة أن وفاته كانت سنة (٥١١هـ)، وتابعهما غير واحد ممن ترجم له.

(٩) في (ع) و(ب) إبراهيم بن منده، وهو وهم، وقد ذكره ابن خلكان في «وفياته»: ١٦٨ / ٦، والذهبي في

«السير»: ١٨٨ / ١٤، أن منده لقب إبراهيم، وهو ما ذكره كذلك ابن حجر في «نزهة الألباب في الألقاب»:

٢٠٢ / ٢، وهو ما أثبتناه.

ولد سنة أربع وثلاثين وأربع مئة^(١)، وهو محدّث ابن محدّث ابن محدّث ابن محدّث ابن محدّث ابن محدّث، سَمِعَ الكثيرَ، وصنّف وجمَعَ، وتوفي في ذي الحِجَّة، ولم يخلّف في بيت ابن منّده مثله علماً وزهداً، وصديقاً وورعاً.

أبو الفضل بن الخازن^(٢)

كان أديباً شاعراً ظريفاً، [سافر إلى أصفهان في سنة ست وخمس مئة، أنبأنا غير واحد عن أحد مشايخنا، عن أبي عبد الله محمد بن علي الحرّاني، قال: حكى لي]^(٣) أبو الفتح ابن زهمونه^(٤) [قال]^(٥): سافرتُ إلى أصفهان [في السنة المذكورة]^(٥) ومعني أبو الفضل ابن الخازن، فقصدنا يوماً دار شمس الحكماء أبي القاسم الطّبيب الأهوازي لزيارته، وكان بيننا مودةٌ، ولم يكن حاضراً، فقال الغلمان: ادخلوا. فدخلنا إلى حَمّام في الدّار، وخرجنا إلى بُستانٍ، فجلسنا فيه، فارتجل ابنُ الخازن بديهاً، وقال: [من الكامل]

وافيتُ مَنْزِلَه فلم أرَ صاحِباً^(٦) إلا تلقّاني بوجهِ ضاحِك
والبِشْرُ في وَجهِ الغُلام نتيْجَةٌ لمُقدِّماتِ ضياءِ وَجهِ المالكِ
ودَخَلْتُ جَنَّتَه وزُرْتُ جحيْمَه فشكرتُ رِضواناً ورأفةَ مالِك^(٧)

(١) في (ع) و(ب): ولد سنة أربع وثمانين وأربع مئة، وهو خطأ قديم تابع فيه السبط جده ابن الجوزي في «المنتظم»: ٢٠٤/٩، والمثبت من مصادره.

(٢) واسمه أحمد بن محمد بن الفضل، وله ترجمة في «المنتظم»: ٢٠٤/٩، و«الكامل»: ٥٤٦/١٠، و«وفيات الأعيان»: ١٤٩/١ - ١٥١، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٨٢/١٩، و«المستفاد من تاريخ بغداد»: ٧٩ - ٨٠، و«الوافي بالوفيات»: ٧٨/٨ - ٨٠، و«النجوم الزاهرة»: ٢١٨/٥، و«شذرات الذهب»: ٥٧/٤ - ٥٨، وذكر ابن خلكان والدمياطي والذهبي والصفدي وابن العماد أن وفاته سنة (٥١٨هـ)، وستكرر ترجمته ثمة.

(٣) في (ع) و(ب): قال أبو الفتح، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) لم أهند إلى ترجمته، ولعله الآتي كذلك ص ١١٦ من هذا الجزء.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في «وفيات الأعيان»: حاجباً، وهو الأشبه.

(٧) الأبيات في «المنتظم»: ٢٠٤/٩، و«وفيات الأعيان»: ١٥٠/١ مع اختلاف في بعض الألفاظ، وقال ابن خلكان: ثم إنني وجدت هذه الأبيات للحكيم أبي القاسم هبة الله بن الحسين بن علي الأهوازي الطبيب الأصفهاني، ذكرها العماد الكاتب في «الخريدة» له. وقال: توفي سنة نيف وخمسين وخمس مئة، وذكرها في ترجمة أبي الفضل بن الخازن المذكور، والله أعلم لمن هي منهما.

السنة الثالثة عشر وخمس مئة

فيها انفصل الأمير أبو الحسن بن المستظهر عن الرحلة في صَفَر، ومضى إلى واسط، ودعا إلى نفسه، واجتمع معه جماعة، وملك واسطاً، وهرب العُمّال، وجبى السّواد، فسَقَّ ذلك على الخليفة، وبعث ابن الأنباري كاتب الإنشاء إلى دُيَّس، وقال: أنا مُعَوَّل في هذا الأمر عليك. فقال: سَمْعاً وطاعة. وأنفذ صاحب جيشه عنان في جَمْع كثير، فلما بلغ أبا الحسن، رَحَلَ مِنْ واسط منهزماً في عسكره في الليل، فَضَلُّوا عن الطَّرِيق، وساروا ليلَهُمْ أجمع، ثُمَّ أَصْبَحُوا عند واسط، فلاحَ لهم عسكر دُيَّس، فانحرف أبو الحسن عن الطَّرِيق، وتاه في البرية في عددٍ من خواصّه، وكان في تموز، ولم يكن معهم ماء، وبينهم وبينه فراسخ، فأشرف على الهلاك، فأدركه نصر بن سعد الكردي، فسقاه ماءً، ونَهَبَ ما كان معه، وَحَمَلَهُ إلى دُيَّس، وكان نازلاً بالنُّعمانية^(١)، فأصعد به إلى بغداد، وَخَيَّم بالرقّة، وبعث به إلى المسترشد بعد تسليم عشرين ألف دينار إلى دُيَّس، فكانت مُدَّة خروجه إلى أن أعيد أحدَ عَشَرَ شهراً، وكان مُدَبَّرُهُ ابن زهمونه، فَشَهَرَ ببغداد على جَمَلٍ، وعليه قميص أحمر، وفي رقبته مخانق فيها خَرَزٌ وَوَدَعٌ، ووراءه إنسانٌ يَضْرِبُهُ بالدِّرَّة، ثُمَّ حُسِسَ، وَقَتِلَ في الحَبْس^(٢).

ولما دخل أبو الحسن على أخيه المُسترشد قَبْلَ قَدَمِهِ وبكى، فبكى المُسترشدُ وَرَقَّ له، وقال: يا أخي، ما حملك على ما صنعتَ، فضحت نَفْسَكَ وبيتك، وباعوك يَبَعَ العبيد، ثم أسكَنَهُ في الدَّار التي كان فيها المُسترشد وهو ولي العهد، ووسَّعَ عليه، وبعث إليه ثياباً جميلة، وَطَيَّبَ قلبه^(٣)، ثم بلغه أَنَّهُ يريدُ الهرب، فَضَيَّقَ عليه، وسَدَّ الأبواب إلا موضعاً يدخل إليه ما يأكله منه^(٤).

(١) النعمانية: بلدة كانت بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة. انظر «معجم البلدان»: ٢٩٤/٥.

(٢) انظر «المنتظم»: ٢٠٤/٩ - ٢٠٥.

(٣) انظر «الكامل»: ٥٣٧/١٠ - ٥٣٩.

(٤) انظر «المنتظم»: ٢٠٧/٩.

وفيها استوزر الخليفة جلال الدين الحسن بن صدقة، وكان سيّداً جواداً فاضلاً، وولده شرف الدين أبو الحسن عليّ صاحب الخطّ المليح، وصرف الخليفة ابن أبي منصور.

وفي ربيع الأول خطب الخليفة لولده أبي جعفر منصور الراشد بالله، فكان يقال على المنابر بعد الدعاء للخليفة: اللهم، وأنله من الأمل أبعد، وأنجز له موعده في سلالة الظاهرة، مولانا عدّة الدنيا والدين، المخصوص بولاية العهد في العالمين أبي [جعفر]^(١) منصور بن أمير المؤمنين^(٢).

وفيها قدّم السلطان سنجر الرّبيّ، فملكها، وكانت بينه وبين ابن أخيه محمود بن محمد شاه وقعة عظيمة بصحراء ساوة، وكان مع سنجر خمسة ملوك على خمسة أسيرة، منهم: ملك غزنة، ومعه أربعون فيلاً، عليها المقاتلة وألوف من الباطنية وألوف من الكفار، فيقال: إنه كان في مئة ألف، وكان محمود في ثلاثين ألفاً، فاستظهر محمود عليه، لأنّه سبقه إلى الماء، فملكه، والتقى الجمعان، وهبت ريح سوداء، وأظلمت الدنيا، وظهر في السماء حُمرة وآثار مُزعجة، فاشتغل الفريقان عن القتال بذلك، واشتدّت الأهوال إلى أن زالت الشمس، وانكشفت الظلمة، فاقتتلوا، فانكسرت ميمنة سنجر وميسرته، وثبت في القلب والفيلة معه، وتفرّق معظم أصحاب محمود في النهب، وبقي [محمود]^(٣) في القلب بإزاء سنجر، فزحف سنجر بالفيلة، وعليها البركسطوانات^(٤)، وفيها المرايا اللامعة، وعليها المقاتلة، فلما رأتها الخيول ولّت هاربة، وحمل سنجر، فكسر محموداً، وقتل جماعة من أمرائه، فتأخّر [محمود]^(٣) على حمية لا تأخّر هزيمة، فلم يتبعه سنجر، وأقام مكانه، ونظر [سنجر]^(٣) فإذا ميمته وميسرته قد انهزموا وأبعدوا، وأثقاله نُهبت، ووزيره شهاب الدين عبد الرزاق قد أُسر، وسأل عن معظم أمرائه، فقليل: قُتلوا، فخاف، وما كان يظن أن محموداً يقف بين يديه

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) انظر «المنتظم»: ٢٠٥/٩.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) بركسطوانات جمع، مفردا بركسطوان، ويقال: برْكُستوان: وهو جل مزركش كان يوضع على الفيلة، انظر «تكملة المعاجم» لدوزي: ٣٠٨/١، وانظر «النجوم الزاهرة»: ٢٦٢/١٢.

[لأن عسكره كان أضعاف عسكر محمود، وإنما الله نصر محموداً لضعفه]^(١)، فأرسل إلى محمود يقول: أنت ابن أخي وولدي، وما أواخذك لأنك محمولٌ على ما صنعت، ولا أواخذ أحداً من أصحابك، لأنهم لم يَطْلِعُوا على حُسن نيتي فيهم، وجميل مقاصدي. فقابل محمود رسالته بالسَّمع والطَّاعة، وسأله أن يجعله مثل بعض مماليكه أو أولاده، وجاء [محمود إلى سنجر]^(١) بنفسه، وسنجر جالسٌ على سريرهِ، فقبل الأرض [بين يديه]^(١)، ووقف إلى جانب السرير، فقام إليه سنجر وأعتقه، وقبل ما بين عينيه، وأجلسه إلى جانبه، وخَلَعَ عليه خِلَع السُّلْطَنَةِ. وكان على سرج الفرس الذي أعطاه جواهر قيمتها عشرون ألف دينار، وناولهُ سنجر بيده من الطَّعام أَكْلَةً^(٢)، وهي عادةُ التُّرك في صفاء المودَّة وإزالة الوحشة، وخَلَعَ على أصحابه، وأحسنَ إليهم، وأفردَ لمحمود أصبهان يكون شحنةً فيها، وخيَّره بين بلاد فارس وخوزستان، وجعله وليَّ عهده، وأقام سنجر أياماً، وعاد إلى خراسان، وشيَّعه محمود فراسخ، ثم رجع إلى أصبهان^(٣).

[فصل: وفيها عُزِلَ القاضي أبو علي الحسن بن إبراهيم الفارقي عن قضاء واسط، وولي أبو المكارم علي بن أحمد البخاري]^(٤).

وفي شَوَّال وصل القاضي الهَرَوِيُّ رسولاً من سنجر، وتلقاه الوزير وأربابُ الدَّولة، وحَضَرَ في الدِّيوان، ومعه للخليفة تخوتٌ من الثَّياب وممالك وهدايا^(٥).

وفيها بَعَثَ دُبَيْسٌ إلى الخليفة يقول: إنَّه كان مِن شُرطي أَنَّنِي متى شِئْتُ أن أرى الأمير أبا الحسن أَعِيدَ إِلَيَّ لأراه، وقد بلغني أنه في ضائقة. فقال الخليفة: إنَّ أحببتَ أن تراه فادْخُلْ إليه، أو ابعث مَنْ تُثِقُ به ليراه، أما أن يخرجَ إليك فلا.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) الأكلة: اللقمة. «معجم متن اللغة»: ١٩٢/١.

(٣) انظر «الكامل»: ٥٤٨/١٠ - ٥٥٣.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ٢٠٥/٩ - ٢٠٦ وبعد هذا الخبر في (ع) و(ب) قال ابن

القلانسي: وفيها وردت الأخبار من العراق.. إلى قوله: إلى أصفهان، وقد ورد هذا الخبر في (م) و(ش) بعد

قوله: وفيها حضر المسترشد أخاه، وقد آثرنا إيراد الأخبار كما وردت في (م) و(ش) ليتصل النقل عن ابن

الجوزي، ثم عن ابن القلانسي.

(٥) انظر «المنتظم»: ٢٠٦/٩.

وكان دُبَيْسٌ قد نَدِمَ على تسليمه، لأنَّه أراد أن يَشْغَبَ به، فلما مُنِعَ مضى إلى مشهد الحسين عليه السَّلام، فكسر المنبر، وفَعَلَ ذلك بمشهد أمير المؤمنين عليٍّ عليه السَّلام، وقال: لا يقام هاهنا خطبة لأحد. وقَطَعَ الخطبة.

وفيها أحضر المسترشد أخاه أبا الحسن، وقال له: أنت قد عزمْتَ على الهرب، وتريد أن تشعث علينا. فحلف أنه لم يفعل، فأُعيد إلى مكانه، وضُيِّقَ عليه^(١).

وقال ابنُ القلانسي: وفيها وردت الأخبار من العراق بأن السلطان محمود بن محمد توجَّه إلى عمه سنجر إلى خراسان، ووطئ بساطه بعدما جرى بينهما من الحروب [والوقائع ما جرى]^(٢) فأكرمه وخدمه وزوَّجه ابنته، وأقرَّه على ملكه، وعاد [سالمًا]^(٣) ظافراً بما أراد إلى أصفهان^(٤).

وفيها اجتمع طُغْتِكِين وإيلغازي على حلب للموعد الذي كان بينهما، ومعهما من التُّركمان خَلْقٌ كثير، وخرج صاحبُ أنطاكية في عشرين ألفاً، والتقوا في ربيع الأول، فهزم الله الكُفَّار، وتبعهم المسلمون قَتْلًا وأُسْراً بحيث أَتَوْا على مُعْظَمِهِمْ، ولم يبق بأنطاكية من يحميها، فوقع التغافل عنها.

وقيل إنَّ طُغْتِكِين لم يحضُرْ هذه الواقعة، لأنَّ التركمان تسارعوا إلى القتال قبل مجيئه، وقيل: بل أدركها في آخر الأمر^(٥).

وعاد إلى دمشق، فصادف خاتون صفوة [الملك]^(٦)، أمَّ دُقاق مريضة، فأوصَتْ إليه، [فقبل وصيتها]^(٧)، وتوفيت يوم الأحد سَلَخَ جُمادى الأولى، ودُفِنَتْ عند ولدها دُقاق في القُبَّة التي بَنَتْها على القلعة المُطَلَّة على المَيدان الأخضر، وكانت كثيرة الصَّدقات، غزيرة الخيرات، وحَزَنَ طُغْتِكِين عليها، وأنفذ وصيتها^(٨).

(١) انظر «المنتظم»: ٢٠٦/٩ - ٢٠٧.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٢١، وانظر حاشيتنا رقم ٤، ص ١١٨ من هذا الجزء.

(٤) «ذيل تاريخ دمشق»: ٣١٩ - ٣٢٠.

(٥) «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٢٠ - ٣٢١، وبعد هذا الخبر جاء في (م) و(ش) خبر ظهور قبور الأنبياء الآتي

ص ١٢١ من هذا الجزء.

[وذكر غيرُ ابنِ القلانسي من أهل الشام أنَّ^(١) في هذه السنة مات بردويل صاحبُ القدس، فضبط برشان الرُّهاوي الأمر إلى أن وصلَ الملك كندهري من قبل الباب خليفة الفرنج [في القدس]^(٢)، فأغار على أذرعات وأطراف الشام. وكان طُغتكين بالبشيَّة^(٣)، فبعث بولده بوري مع عسكرٍ، وأقام هو موضعه رِداءً لهم، والتقوا، فظهر الفرنج على بوري، فعاد إلى أبيه ودخلا دمشق، ومضى طُغتكين إلى حلب مستصرخاً بإيلغازي - وكان أول ما ملكها - فأقام أتابك عنده، وشرَّع بجمع العساكر، واغتنمت الفرنج غيبته، فقصدوا الشام، ووصلوا إلى حوران، فالتجأ أهله إلى اللُّجاة.

وكان بين أهل قرية شُقراء وأهل قرية بُسر عداوةٌ، فحمل أهلُ شُقراء ذلك على أن دُلُّوا الفرنج على طريق سهلة، فجاؤوا، وقتلوا أهل بُسر، ودخلوا اللُّجاة، فقتلوا وأسروا، وعادوا إلى القدس.

ولما بلغ أصحاب أنطاكية [هذا]^(٤) جمعوا [وحشدوا]^(٥)، وقصدوا بلد حلب، ونزلوا على [مكان يقال له]^(٤) أرتاح^(٥) في خمسة آلاف فارس، وثمانية آلاف راجل، وأشاع إيلغازي أنَّ طُغتكين واصل من دمشق، وما كان إلا جريدةً عنده، فخرج إيلغازي وعَمِلَ كميناً، فلما التقى الفريقان ظهر الكمينُ، وضربوا البوقات والطُّبول، فظنَّوه طُغتكين، فانهزموا، وعَمِلَ فيهم السيف قتلاً وأسراً، وأُفلت برجار بن طنكري^(٦) ملك الفرنج مجروحاً، فقال الحَصَكفي يخاطبُ طُغتكين: [من الخفيف]

بات بُرجارٌ مِنْ أعزِّ الموالِي فاغتدى وَهُوَ مِنْ أَذَلِّ العبيدِ

(١) في (ع) و(ب) وقيل: إن في هذه السنة مات بردويل، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م).

(٣) البشيَّة، ويقال: البشة، قرية بين دمشق وأذرعات، انظر «معجم البلدان»: ٣٣٨/١.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ع) و(ب) أرتات، وفي (م) و(ش) أريان، وهو تحريف عن أرتاح كما جاء مصرحاً به في «الحروب الصليبية» لوليم الصوري: ٣٤٩/٢ (ترجمة د. حسن حبشي)، وهو ما أثبتته، وأرتاح هو حصن منيع كان من أعمال حلب، انظر «معجم البلدان»: ١٤٠/١.

(٦) برجار هو تعريب روجر صاحب أنطاكية، وهو ابن أخت تانكرد لا ابنه، وقد قتل في هذه المعركة، والأبيات التالية تدل على ذلك، وانظر «الحروب الصليبية» لوليم الصوري: ٣٤٨/٢ - ٣٥٢، و«تاريخ الحروب الصليبية» لرنسيومان: ٢٠٣/٢، ٢٣٨ - ٣٣٩.

ثم أفضى إلى الجحيم وقد أحـ رَزَتْ في إثره جِنَانُ الْخُلُودِ
بك هُزَّتْ دَعَائِمُ الشُّرْكِ فَأَنهَدَ (م) ث وشِيدَتْ قَوَاعِدُ التَّوْحِيدِ
وفيها وقعت المباينة بين الأفضل ابن أمير الجيوش والآخر صاحب مصر، واحتجب
الأمير عنه وتعلل بمرض، واجتهد الأفضل أن يغتاله فلم يقدر، ودس إليه السم مراراً
فلم يصل إليه، وكان للآخر قهرمانه كاتبة فاضلة [قد]^(١) عرفت أنواع العلوم والطب
والنجوم والموسيقى حتى كانت تعمل التحويلات وتحكم على الحوادث، فاختَرَزَتْ
على الأمر، ولم تزل تدبّر على أمير الجيوش حتى قُتِلَ، [وسنذكره]^(٢).

وقال ابن القلانسي: وفيها ظهرت قبور^(٣) الأنبياء عليهم السلام: الخليل وولديه
إسحاق ويعقوب عليهم السلام، وهم مجتمعون في مغارة بأرض بيت المقدس وكانهم
أحياء لم يبُلْ لهم جسدٌ، ولا رَمَّ لهم عظمٌ، وعليهم قناديلٌ من ذهب وفضة معلقة،
فَسَدُّوا باب المغارة، وأبقوهم على حالهم^(٤).

وفيها توفي

علي بن محمد بن علي^(٥)

ابن محمد بن الحسن بن عبد الملك بن حمويه، أبو الحسن الدامغاني، قاضي
القضاة.

ولد في رجب سنة تسع وأربعين وأربع مئة، [وشهد عند أبيه [أبي] عبد الله في سنة
ست وستين وأربع مئة]^(٦)، وفُوض إليه القضاء بباب الطاق، وما كان إلى جدّه لأمه

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (م) و(ش): قد قرأت أنواع العلوم..

(٢) ما بين حاصرتين من (م)، وسيأتي ذكره في حوادث سنة (٥١٦هـ)، انظر ص ١٥٩ من هذا الجزء.

(٣) في (ع) و(ب): صور، والمثبت من (م).

(٤) «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٢١، وقال ابن القلانسي: هذه صورة ما حكاه الحاكي، والله أعلم بالصحيح من غيره.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٠٨/٩ - ٢١٢، و«الكامل»: ٥٦١/١٠، و«العبر» للذهبي: ٣٠/٤، و«الوافي
بالوفيات»: ٨٦/٢٢، و«الجواهر المضية»: ٥٩٩/٢ - ٦٠٠، و«النجوم الزاهرة»: ٢١٩/٥، و«شذرات
الذهب»: ٤٠/٤.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وزيادة لفظ أبي من «المنتظم»: ٢٠٨/٩.

القاضي أبي الحسين^(١) [أحمد بن أبي جعفر]^(٢) السَّمْنَانِي من القضاء، وكان يوم عُدْلٍ وتَقَلَّد القضاء ابن ست عشرة سنة، ولم يُر قاضياً [تولى]^(٣) أصغر من هذا. وولي القضاء لأربعة خُلفاء: القائم، والمقتدي إلى أن مات أبوه، ثم ولي الشَّامي^(٤) فَعَزَلَ نفسه، فبعث إليه الشَّاميُّ يقول: أنتَ على عدالتك وقضائك. فأرسل إليه: أما الشَّهادةُ فإنَّها استُشهدت، وأما القضاءُ فقُضي عليه. وانقطع عن الولاية، واشتغل بالعلم، فقلَّده المستظهر قضاء القضاة [وهو معزول]^(٥)، ثم ولي المسترشد، فأقرَّه على قضاء القضاء، ولا يعرف قاضياً تولى لأربعة خلفاء غيره، وغير شَرِيح إلا أبا طاهر محمد بن أحمد الكَرْخي^(٥)، فإنه ولي لخمسة خلفاء - وإن كان مستناباً فيه - المستظهر والمسترشد والراشد والمُقتفي [والمستنجد]^(٦).

وناب الدَّامَغَانِي عن الوزارة [في أيام المستظهر والمسترشد]^(٦) مراتٍ بمشاركة غيره، وتفرَّد بأخذ البيعة للمسترشد.

وكان فقيهاً متديناً عفيفاً، ذا مروءةٍ وصدقاتٍ وإحسان، ومعرفةٍ بالقضاء والشُّروط. وكان المستظهر قد تقدَّم إليه بسماعٍ قولٍ بعض الناس، [فلم يره أهلاً لذلك]^(٦) فلم يسمع قوله، فَحَضَرَ الموكِبُ بباب الحُجْرة، فخرج الخادم، فقال: انصرفوا إلا قاضي القضاة. فلما انصرفوا، قال الخادم: إِنَّ أمير المؤمنين بحيث يسمع كلامك، ويقول لك: أنحن بحكمك أم أنت بحكمنا؟ فقال: بل أنا بحكم أمير المؤمنين، قال: أليس قد تقدَّم إليك بسماعٍ قول فلان، فلم تسمع؟ فبكى، ثم قال: قل لأمر المؤمنين: إذا

(١) في (ع) و(ب) أبو الحسن، والمثبت من (م) و(ش)، وانظر ترجمته في «تاريخ بغداد»: ٣٨٢/٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٦٥٢/١٧، و«الجواهر المضية»: ٢٥٤/١ - ٢٥٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) الشامي هو شيخ الشافعية أبو بكر محمد بن المظفر بن بكران الشامي الحموي، ولد سنة (٤٠٠هـ)، وقدم بغداد سنة (٤٢٠هـ)، وتوفي سنة (٤٨٨هـ)، وقد سلفت ترجمته ثمة.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش). قلت: يعني في حكم المعزول، وقد جاءت العبارة عند ابن الجوزي بأوضح من هذا، فقال في «المنتظم»: ٢٨/٩: فقلَّده المستظهر قضاء القضاة في سنة ثمانٍ وثمانين، وكان عليه اسم قاضي القضاة وهو معزول في المعنى بالسَّيْبِي والهروي، ولم يكن إليه إلا سماع البيعة في الجانب الغربي.

(٥) في النسخ الخطية: الكوفي، وهو تحريف، والمثبت من «المنتظم»: ٢٠٨/٩، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٥٦هـ).

كان يوم القيامة جيء بديوان ديوان، فُتْسأل عنه، فإذا جيء بديوان القضاء [لتسأل عنه]^(١) فتقول: وَلَيْتَهُ لَذاكَ الْمُذْبِرُ ابن الدَّامَغَانِي - فَتَسَلِّمُ أَنْتَ وَأَقْعُ أَنَا. فبكى الخليفة، وقال: افعل ما تريد.

وفي رواية: [أَنَّ ابن الدَّامَغَانِي]^(٢) قال للخادم: قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِذَا قِيلَ لِي غَدًا: [لَمْ]^(٣) قَبِلْتَ قَوْلَ فُلَانٍ، وَقَدْ عَلِمْتَ مِنْهُ مَا لَا يَجُوزُ قَبُولَ قَوْلِهِ مَعَهُ، أَقُولُ: قَالَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: لَا لَا، وَبَكَى.

وقال ابنُ السَّمْعَانِي: وَدَخَلَ الشَّاشِيُّ^(٣) عَلَيْهِ زَائِرًا لَهُ، فَمَا قَامَ لَهُ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَقْعُدْ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ نَيْفٍ وَثَمَانِينَ، فَمَا اجْتَمَعَا إِلَّا بَعْدَ سَنَةِ خَمْسِ مِئَةٍ فِي عِزَاءٍ، فَسَبَقَ الشَّاشِي فَجَلَسَ، فَلَمَّا دَخَلَ الدَّامَغَانِي قَامَ الْكُلُّ إِلَّا الشَّاشِي فَإِنَّهُ مَا تَرَحَّزَ، فَكَتَبَ إِلَى الْمُسْتَظْهَرِ يَشْكُوهُ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ مَا أَحْتَرَمَ نَائِبَ الشَّرْعِ. فَكَتَبَ الْمُسْتَظْهَرُ: مَاذَا أَقُولُ، الشَّاشِي أَكْبَرُ سِنًا مِنْكَ، وَأَفْضَلُ وَأَوْرَعُ، وَلَوْ قَمْتُ لَهُ قَامَ لَكَ. وَكَتَبَ الشَّاشِي إِلَى الْخَلِيفَةِ يَشْكُو الدَّامَغَانِي، وَيَقُولُ: [مِنَ الطَّوِيلِ]

حِجَابٌ وَإِعْجَابٌ وَفَرْطٌ تَصَلُّفٌ وَمُدُّ يَدٍ نَحْوُ الْعُلَا بِتَكَلُّفٍ
فَلَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وَرَاءِ كَفَايَةٍ لَهَانَ وَلَكِنْ مِنْ وَرَاءِ تَكَلُّفٍ
فَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الشَّاشِي: تَمْشِي إِلَى الدَّامَغَانِي، وَتَعْتَذِرُ إِلَيْهِ. فَقَامَ، وَمَشَى إِلَيْهِ امْتِثَالًا لِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ، فَقَامَ لَهُ الدَّامَغَانِي وَعَانَقَهُ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَجَلَسَا يَتَحَادَّثَانِ، فَقَالَ الْقَاضِي: تَكَلَّمْ وَالِدِي فِي الْمَسْأَلَةِ الْفُلَانِيَّةِ وَاعْتَاضْ عَلَيْهِ فُلَانٌ، وَتَكَلَّمْ فُلَانٌ فِي مَسْأَلَةِ كَذَا، وَاعْتَاضْ عَلَيْهِ وَالِدِي، وَذَكَرَ مَسَائِلَ عِدَّةٍ، فَقَالَ لَهُ الشَّاشِي: مَا أَحْسَنَ مَا قَدْ حَفِظْتَ أَسْمَاءَ الْمَسَائِلِ^(٤).

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٣) هو أبو بكر الشاشي، شيخ الشافعية، توفي بهراة سنة (٤٨٥هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٥٢٦-٥٢٥/١٨.

(٤) انظر «المنتظم»: ٢٠٨/٩ - ٢٠٩.

وجرى له [مع]^(١) ابن عقيل من جنس هذا، فكتب إليه فصلاً يُعْتَبَرُ فيها، وذكرها في كتابه المسمى بالفنون، فمنها أنه قال: هذه مكاتبة إلى أبي الحسن بن الدَّامَغَانِي تتضمنُ تنبيهاً له على خلالٍ قد سَوَّلَتْ له نَفْسُهُ استعمالها، فهدمت من مجدٍ منصبه ما لا يتلافاه على طول الوقت في مستقبل عمره، عَذِيرِي^(٢) ممن نشأ في ظلِّ والدٍ مُشْفِقٍ عليه، قد حَلَبَ الدَّهْرَ شَطْرِيهِ^(٣)، وأتلف في طلب العلم أَطْيَبِيهِ^(٤)، أجمع أهل عصره على كمال عقله - يعني: أبا عبد الله - كما أجمع الفقهاء والعلماء على غزارة علمه، تقدّم في الدولة التركية المعظمة لمذهبه، وفي عصره مَنْ هو أفضل منه بفنون العلوم، كأبي الطَّيِّبِ الطَّبْرِي، والماورِدي، وأبي إسحاق الشَّيرَازي، وابن الصباغ ونحوهم، فقدّمه الزَّمانُ على أمثاله، فكان أشكرَ النَّاسِ لِنِعَمِ الله، فاصطنع مَنْ دونه من العلماء، وأكرم مَنْ فوقه من الفقهاء حين أراه الله في نفسه فوق ما تمنّاه مِنْ رَبِّهِ، وعساه رأى من السَّعادة ما لم يخطر بباله؛ حيث رأى أبا الطَّيِّبِ الطَّبْرِي نظير أستاذه الصَّيْمَرِي شاهداً بين يديه، وتعجرف عليه أبو محمد التَّمِيمِي، فكان يغشاه في مجالسه ويستميله بجهد، ولما عَرَضَ عليه القائم الوزارة أبا أن يتعدّى رُتَبَةَ القضاء.

فلما ولي ولده أبو الحسن سلك طريقةً عجيبةً خَرَجَ بها عن سَمَتِ أبيه، فقدّم أولاد السُّوقَةِ وَحَرَمَ أولاد العلماء حقوقهم، وقبِلَ شهادة أرباب المِهَن، وانتصب قائماً للفساق الذين شهد بفسقهم في لبس الحرير، والتختم بالذهب، وصاح في المجلس بأعلى صوته: إنه لم يبق في الأرض مجتهد، وهو لا يعلم ما تحت هذا الكلام من الفساد، وهو إبطال الإجماع الذي هو آكدُ أدلّة الشَّرْع، وليس لنا دليلٌ معصوم سواه، وذكر كلاماً طويلاً، وقال في آخره: أصلحه الله لنفسه، فما أغنانا عنه.

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) عذيري من فلان: أي من يعذرني. «اللسان» (عذر).

(٣) في (ع) و(ب) أشطريه، وهو خطأ، وأشطر جمع شطر، وللناقة شطران قادمان وآخران، فكل خلفين شطر، ويقال في المثل: حَلَبَ فلان الدهر أشطره: أي خَبَرَ ضروبه، يعني أنه مرَّ به خيرُه وشره وشدته ورخاؤه، تشبيهاً بجلب جميع أخلاف الناقة، انظر «اللسان» (شطر)، و«مجمع الأمثال»: ١/ ١٩٥.

(٤) الأَطْيَان: الطعام والنكاح. «اللسان» (طيب).

ذِكْرُ وفاته :

توفي ليلة الأحد رابع عشر مُحَرَّم، وَحَضَرَ أربابُ الدَّولة والخواص والأشراف على طبقاتهم، [وصلى عليه ولده أبو عبد الله محمد، ووراءه النقيبان والأكابر، ودفن في داره بنهر القلائن في الموضع الذي كان دفن فيه أبوه]^(١) ثم نقل^(٢) إلى مشهد أبي حنيفة، وعاش ثلاثاً وستين سنة وستة أشهر، ولي القضاء منها تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وأياماً.

سمع الحديث من القاضي أبي يعلى ابن الفراء والخطيب وغيرهما، وكان صدوقاً ثَقَّةً.

علي بن عَقِيل بن محمد بن عقيل^(٣)

أبو الوفاء الحنبلي.

ولد في جُمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة، وَحَفِظَ القرآن، وقرأه بالقراءات [على أبي الفتح بن شيطا وغيره]^(١)، وكان يفتخر ويقول: شَيْخِي فِي الْقِرَاءَاتِ ابْنُ شَيْطَا، وَفِي الْآدَابِ وَالنَّحْوِ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ بَرْهَانَ، وَفِي الزُّهْدِ أَبُو بَكْرٍ الدِّينُورِيُّ وَأَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الْقَزْوِينِيِّ، وَفِي الْحَدِيثِ ابْنُ بِشْرَانَ، وَالْعُشَارِيُّ، وَالْجَوْهَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ، وَفِي الشُّعْرِ وَالتَّرْسُلِ: ابْنُ شَيْبَلٍ وَابْنُ الْفَضْلِ، وَفِي الْفَرَائِضِ أَبُو الْفَضْلِ الْهَمْدَانِيُّ، وَفِي الْوَعظِ أَبُو طَاهِرٍ ابْنُ الْعَلَّافِ صَاحِبُ ابْنِ سَمْعُونٍ، وَفِي الْفِقْهِ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى، وَفِي الْأُصُولِ ابْنُ الْوَلِيدِ.

[قلت: وهذا ابن الوليد هو الذي قرأ عليه ابن عقيل المنطق والفلسفة والاعتزال، وثارَتِ الحنابلة عليه بسببه، وأرادوا قتله حتى حضر ابن عقيل في الديوان، وقاب وتبرأ منه، وقد ذكرناه]^(١). وكان جَدِّي لَأُمِّي الزُّهْرِيِّ رَئِيسُ أَصْحَابِ بَنِي حَنِيفَةَ.

[قال]^(١): وَمِنْ مَشَايِخِي: أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْرَازِيُّ إِمَامُ الدُّنْيَا وَزَاهِدُهَا وَفَارِسُ الْمَنَازِرَةِ وَوَاحِدُهَا، وَأَبُو نَصْرٍ ابْنُ الصَّبَاغِ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّامَغَانِيُّ، وَقَاضِي الْقُضَاةِ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في «المنتظم»: ٢١٢/٩: ثم نقل الأب إلى مشهد أبي حنيفة.

(٣) له ترجمة في «طبقات الحنابلة»: ٢٥٩/٢، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢٩/٣ - ٣٢، و«مناقب الإمام أحمد»: ٦٣٤ - ٦٣٥، و«المنتظم»: ٢١٢/٩ - ٢١٥، و«الكامل»: ٥٦١/١٠، و«ميزان الاعتدال»: ١٤٦/٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٤٣/١٩ - ٤٥١، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

الشَّامي، وأبو الفضل الهمداني، وأبو الطَّيِّب الطَّبري، وأبو محمد التميمي حسنة العالم وماشطة بغداد، وأبو بكر الخطيب حافظ وقته^(١).

وكان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء، وكان ذلك يحرمني علماً نافعاً.

[قلت: ما منعه إلا من صُحبة الفلاسفة والمعتزلة مثل ابن الوليد وغيره.

قال]^(٢): وعانيت من الفقر والنَّسخ بالأجرة شدة شديدة، وآذاني أصحابي حتى طلبوا إراقة دمي. [وذكر كلاماً طويلاً]^(٣).

[وقال جدِّي في «المنتظم»: وكان]^(٣) فريد دهره وإمام عصره، أفتى ودرَّس وناظر، وجمع الكتب في الأصول والفروع، ووعظ، فجرت فتنة بين الحنابلة والأشاعرة فترك الوعظ.

وصنف كتاب: «كفاية المفتي» على مذهب الإمام أحمد رحمة الله عليه، وكتاب «الفنون»^(٤)، وهو مئتا مجلد جمعه طول عمره [قلت: واختصر منه جدِّي عشر مجلدات فرَّقها في تصانيفه، وقد طالعت منه في بغداد في وقف المأمونية نحواً من سبعين مجلداً]^(٢) فيه حكايات ومناظرات، وغرائب وعجائب وأشعار، فمنها أنه قال: اجتاز رجلٌ بالمأمونية وعلى رأسه قفص فيه زُجاج، وكان يوماً مطيراً، فزلق، فوقع القفص، فتكسَّر كلُّ ما كان فيه، فقعد يبكي، ويقول: يا مسلمين، هذا القفص والله جميع بضاعتي، وما أقلُّ بختي، ولقد جرى عليَّ بمكة ما هو أعظم من هذا، فقال له بعض المجتازين: وما الذي جرى لك؟ فقال: دخلتُ زمزم لأغتسل، وخلعتُ ثيابي،

(١) سلفت تراجم شيوخ ابن عقيل على حسب سني وفياتهم في هذا الكتاب.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ب): وكان ابن عقيل، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ٢١٢/٩، ٢١٤.

(٤) لما يصل إلينا منه إلا قطعة حققها الدكتور جورج مقدسي، ونشرها في جزأين في المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩٧٠، وفيه تحريفات فاحشة.

وكان في كَنَفِي^(١) دُمْلَج^(٢) فيه ثمانون ديناراً، فنزعت من عَضْدِي، وتركته إلى جانب ثيابي، ولما اغتسلت لَبِسْتُ ثيابي، وخرجتُ وأنسيتُهُ، فذكرته، فرجعت أطلبه فما وجدته، فقال له السائل: وما علامته؟ قال: كذا وكذا، قال: في أيِّ سنة كان هذا؟ قال: في سنة كذا وكذا، فأخرج الرجل الدُمْلَج من كَنَفِهِ، وناوله إياه، وقال: حَجَجْتُ تلك السنة، ودخلتُ زَمَزَمَ لأغتسل، فوجدته هناك، ولي مُدَّة أطلبُ صاحبه ولم أجده، والحمد لله على وصوله إليك. فتعجبَ النَّاس من جَبْرِ مصيبة الرجل^(٣).

ومنها أَنَّ رجلاً بنهر مُعَلَّى لَقِيَ خِرْقَةً زرقاء، فَحَلَّهَا، فوجدَ فيها ستين ديناراً، فجعلها في كُمِّهِ، وإذا بصبي يبكي ويقول: والله ما هي لي، وضياؤها سببُ هلاكي. فقال له الرجل: ما الذي بك؟ فقال: أنا مملوك لرجلٍ [قد] أعطاني صُرَّةً فيها ستون ديناراً لأحملها إلى داره، فوقعتُ مني. فقال الرجل في نفسه: أرُدُّها عليه أم لا؟ وتردَّدَ في خاطره، ثم تَرَجَّح رَدُّها عليه، وقال: يعوِّضني الله خيراً منها، فأنا واثقُ به، فقال: ما علامتها؟ فوصفها له، فأعطاه إياها، فَحَلَّهَا وأخرج منها ديناراً، وقال: هذا لي، والباقي لسيدي، [خُذِ الدينار. فأخذته، وأخذ الصَّبِيُّ الدَّنانيرَ ومضى]^(٤). ومَرَّ الرَّجُلُ بالسُّوق، وإذا برجل ينادي على سَيْفٍ ويقول: دينار دينار. فاشتري السَّيْفَ بالدينار، وكان صَدِئاً، فجاء به إلى صَيِّقَل. وقال: امسَحْه. فَمَسَحَ، فظهر له جوهرٌ عظيم، فَبِهَتَ الصَّيِّقَل، وقال للرجل: أتبيعه؟ قال: نعم. قال: بكم؟ قال: بستين ديناراً. فقال: قُمْ معي. وأتى به إلى دارٍ، فَطَرَقَ بابها، فَأُذِنَ له، فَدَخَلَ والرَّجُلُ معه، وإذا بصاحب الدَّارِ جالسٌ وعليه هبة وله حشمة، فقال له: هذا السَّيْفُ الذي كنت تطلبه منذ زمان وقد وَجَدْتُهُ مع هذا الرجل. فأخذه وسَلَّه، فأعجبه، فقال: بكم هو؟ قال: لا أنقصه عن ستين ديناراً [شيئاً]^(٥). فقال: بخمسين. فقال: لا أبيعُه إلا بستين. فصاح الرجل: يا غلام،

(١) كنف الرجل: حضنه، يعني العضدين والصدر. «اللسان» (كنف).

(٢) الدملج: حلية تحيط بالعضد. «المعجم الوسيط»: ٢٩٦/١ قلت: وكأنه استعملها هنا بمعنى حافظة نقود تحيط بالعضد.

(٣) في (ع): من جبر مصيبته، والمثبت من (ب) و(ش) و(م)، وانظر ص ١٥١ من هذا الجزء.

(٤) في (ع) و(ب): والباقي لسيدي، وأخذها ومضى، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

هات تلك الصُّرَّة. فخرج الغلام، ويده الخِرْقَة التي لقيها الرَّجل مع المملوك، فلما رآه المملوك بكى، فقال له سيِّدُه: ما يبكيك؟ فَقَصَّ عليه القِصَّة، فبكى سيده، وقال: صَدَقَ رسولُ الله ﷺ «مَنْ تَرَكَ شَيْئاً [لله]»^(١) عَوَّضَهُ اللهُ خَيْراً مِنْهُ»^(٢).

ومنها ما حكاه ابنُ عَقِيل عن نَفْسِهِ، قال: حججتُ في بعض السَّنِين، فينا أنا بِالْحَرَمِ، إِذَا بِشَيْءٍ يَلُوحُ وله شُعَاعٌ، فأخذته، وَإِذَا بِعَقْدٍ لَوْلُو له قِيَمَة، وهو منظومٌ في خِيْطٍ من حريرٍ أَحْمَر، فينا أنا أَقْلَبُه وَإِذَا بِشَيْخٍ أَعْمَى يقول: مَنْ رَأَى لَنَا عِقْداً مِنْ لَوْلُو وَرَدَّه فَلَهُ مِئَةُ دِينَارٍ، قال: فَقُلْتُ لَهُ: فما علامته؟ فقال: هو في خِيْطٍ أَحْمَر. فَقُلْتُ: خُذْ عِقْدَكَ. فقال: خُذِ الدَّنَانِيرَ، فَقُلْتُ: لا والله. وَاتَّفَقَ أَنِّي خَرَجْتُ إِلَى الشَّامِ، وَزَرْتُ الْبَيْتَ الْمُقَدَّسَ، وَنَزَلْتُ إِلَى دِمَشْقَ، وَقَصَدْتُ بَغْدَادَ، وَكَانَتْ أُمِّي بَاقِيَةً، فَاجْتَرْتُ بِحَلَبَ، فَدَخَلْتُهَا آخِرَ النَّهَارِ، فَأَوَيْتُ إِلَى مَسْجِدٍ، وَأَنَا جَائِعٌ بَرْدَانٍ، فَقَالَ لِي زَبُونُ الْمَسْجِدِ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ بِنَا. فَصَلَّيْتُ بِهِمْ، فَعَشُّونِي، وَكَانَتْ لَيْلَةُ رَمَضَانَ، فَقَالُوا: إِمَامُنَا قَدْ تَوَفَّى مِنْذُ أَيَّامٍ، وَكَانَ شَيْخاً صَالِحاً مَكْفُوفاً، وَنَسَأْلُكَ أَنْ تَقِيمَ عِنْدَنَا هَذَا الشَّهْرَ. فَأَقَمْتُ أَصْلِي بِهِمْ، فَقَالُوا: لِلشَّيْخِ الَّذِي كَانَ إِمَامَنَا بِنْتُ نَزْوَجِكَ إِيَّاهَا. فَزَوَّجُونِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا سَنَةً، وَأَوْلَدَتْهَا وَلِداً ذَكَراً، ثُمَّ مَرِضَتْ فِي نَفَاسِهَا، فَتَأَمَّلْتُهَا ذَاتَ يَوْمٍ، وَإِذَا بِخِيْطٍ أَحْمَرٍ فِي عُقَّتِهَا، وَإِذَا بِهِ الْعِقْدُ الَّذِي لَقِيْتُهُ بَعِينَهُ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا هَذِهِ، إِنَّ هَذَا الْعِقْدَ قَضِيَّتُهُ كَذَا وَكَذَا. فَبَكَتْ، وَقَالَتْ: أَنْتَ هُوَ؟ وَاللهُ لَقَدْ كَانَ أَبِي يَبْكِي، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْ ابْنَتِي مِثْلَ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ الْعِقْدَ، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ مِنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ صَالِحاً. ثُمَّ مَاتَتْ، فَأَخَذْتُ الْعِقْدَ وَالْمِيرَاثَ، وَعَدْتُ إِلَى بَغْدَادَ.

ومنها ما حكاه [أَيْضاً عَنْ نَفْسِهِ]^(٣) قال: كَانَ عِنْدَنَا فِي دَرَبِ الشَّيْخِ بِالظَّفَرِيَّةِ^(٤) دَارٌ كُلَّمَا سَكَنَهَا نَاسٌ أَصْبَحُوا مَوْتَى، فَجَاءَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ رَجُلٌ مَقْرئٌ، فَقَالَ: أَكْرُونِي إِيَّاهَا، فَقَالُوا: قَدْ عَرَفْتَ حَالَهَا. قَالَ: [قَدْ]^(١) رَضِيْتُ، فَأَخَذَ الْمِفْتَاحَ، وَدَخَلَ فَبَاتَ

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٢) لم أقف له على إسناد بهذا اللفظ، وهو مما اشتهر على الألسنة. وقد روى الإمام أحمد في «مسنده» (٢٠٧٣٩) نحوه بإسناد صحيح بلفظ «إنك لن تدع شيئاً اتقاء الله إلا أعطاك الله خيراً منه»، وانظر أحاديث الباب ثمة.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) الظفرية: محلة بشرقي بغداد كبيرة، وإلى جانبها أخرى كبيرة يقال لها قراح ظفر، قال ياقوت: أظنهما منسوبتين إلى ظفر أحد خدام دار الخلافة. «معجم البلدان»: ٦١/٤.

بها، وأصبح سالماً، فعجِبَ الجيرانُ من ذلك، فأقام مدة، [فلما كان في بعض الأيام رَدَّ المفتاح على أصحابها]^(١) ومضى.

فُسِّلَ عن ذلك، فقال: لما دَخَلْتُ إليها أوَّلَ ليلة صَلَّيْتُ العِشاءَ الآخرة، وقرأتُ جزوي من القرآن، وإذا بشابٌّ قد صَعِدَ من البئر، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، فَبُهِتْتُ، فقال: لا بأسَ عليك. وجَلَسَ بين يديّ، وقال: عَلَّمَنِي شيئاً من القرآن. فشرعتُ أُعَلِّمُهُ، فلما فَرَعْتُ، قلتُ له: هذه الدار، كيف حديثها؟ فقال: نحن قومٌ من الجِنِّ مسلمون، نقرأ القرآن، ونصلي، ونحبُّ الصّالحين، وهذه الدار ما يكثرُ فيها إلا الفُسَّاق وشُرَّاب الخمر، ويجمعون على الشرب والفساد، فنخفُّهم، [وأما أنت فجئتِ قرأتِ القرآن]^(٢)، وصَلَّيتِ أحبيناك. قال: فقلتُ: ففي الليل أخافُ منك، فاجعل مجيئكَ إليّ في النهار، فقال: نَعَمْ. فكان يصعد من البئر في النهار، فألقَّنه القرآن، فأقام على ذلك مُدَّةً إلى هذه الأيام، بينا هو قاعد عندي يتلقَّن وإذا بمُعَزِّمٍ يقول في الدَّرب: المُعَزِّمُ المُرقي من الدَّيب ومن العَيْن ومن الجِن. فقال لي: أيش هذا؟ قلتُ: هذا مُعَزِّمٌ يعرفُ أسامي الله تعالى، يفعل ما قد سَمِعْتَ. فقال: قُمْ واستدعيه ولا تَخَفْ. فقمْتُ، وصحْتُ به ودخلت، وإذا بالجنِّي قد صار ثعباناً في السَّقْفِ كأنه النخلة [قال]^(٣): فَضَرَبَ المُعَزِّمُ المَنْدَل، وقرأ وذكرَ أسامي الله تعالى، فما زال الثعبان يتدلَّى حتى سَقَطَ في وسط المندل، فقام ليأخذه، ويدعه في الزَّيْبِل^(٤)، فَمَنَعْتُهُ، فقال: هذا صيدي تمنعني منه! فأعطيته ديناراً وأخرجته، فانتفضَّ الثُّعبان وخَرَجَ الجنِّي، وقد ضَعُفَ واصْفَرَّ وذاب، قلتُ: مالك؟ قال: قتلني هذا الرجل بهذه الأسامي، وما أظنني أفلح، فاجعلُ بالك الليلة وقتَ المغرب، متى سمعت من البئر صُراخاً فاخْرُجْ، ولا تقعد فتهلك. ثم ودَّعني، ونزلَ البئر، فلما كان وقتُ المغرب سمعتُ من البئر صراخاً وامرأة تقول: وَيَه، وَيَه. فانهزمتُ إلى باب الدَّار. قال ابنُ عقيل: وامتنع أحدُ أن يسكن تلك الدار.

وكان ابن عقيل يتقرَّب إلى أهل مذهبه ولا يقبلونه، ويتلَطَّفُ بهم ويؤذونه لصحبته الفلاسفة

(١) في (ع) و(ب) فأقام مدة، ثم رد المفتاح ومضى، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ب): وأنت جئتِ فقرأتِ وصليت، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) الزنبيل، ويقال الزَّيْبِل والزَّيْبِل: القُفَّة. «معجم متن اللغة»: ١٤/٣، ٦٢.

والمعتزلة مثل ابن الوليد وغيره، [فحكى لي أبو عبد الله بن الحباري من أهل البصرة، عن أبيه عن جده قال: اجتاز ابن عقيل^(١) بباب البصرة وهي مَحَلَّةُ السُّنَّةِ، فوجد إنساناً من أهل المحلة يبول قائماً، والبول يجري [على]^(٢) ساقيه، فقال له: اقعد قاعداً فقد أتلقت ثيابك ورجليك، وقد نهى النبي ﷺ أن يبول الرجل قائماً^(٣). [قال: فعرفه]^(٤)، فنظر الرجل إليه طويلاً، وقال: امشِ امشِ، المقدَّم أبو بكر. [يعني أنهم]^(٥) كانوا يتهمونهم بالتَّشيع.

ذِكْرُ وفاته:

لما اخْتُصِرَ بكي عنده النساء، فقال: لا تبكين عندي، قد وَقَعْتُ عنه خمسين سنة، فدعوني أتهنأ ببلقائه.

وكان يقول: قد رأينا في أول أعمارنا أناساً طابَ العيشُ معهم كالدينوري، والقزويني، والطبري، والشيرازي - [وذكر مَنْ سبق اسمه]^(٤) - وقد دخلتُ في عَشْرِ التَّسعين، وفقدت مَنْ رأيتُ من السَّادات ولم يبق إلا أقوامٌ كأنهم المسوخُ صُوراً، فحمدتُ ربي إذ لم يخرجني من دارِ جامعةٍ المسارِّ، وإنَّما أخرجني، ولم يبق مرغوب فيه، فكفاني محنةُ التَّأسفِ على ما يفوت، لأنَّ التَّخلفَ مع غير الأمثال عَذَابٌ.

[قلت: فلو رأى هذا الزمان لترحَّم على ابن المَرْزُبان الذي فَضَّلَ الكلاب على كثير ممن لبس الثياب]^(٦).

وكانت وفاته يوم الجمعة ثاني عشر جُمادى الأولى، وصُلِّيَ عليه بجامع القصر والمنصور، وقال ابنُ ناصر: حَزَرْتُ الجَمْعَ الذين صَلُّوا عليه، فكانوا نحو ثلاث مئة ألف، ودُفِنَ في دُكَّةِ الإمام أحمد ابن حنبل، رحمة الله عليه.

(١) في (ع) و(ب): واجتاز يوماً بباب البصرة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٠٨) من حديث ابن عمر، وكذلك (٣٠٩) من حديث جابر بن عبد الله، وفي إسنادهما ضَعْفٌ.

وقد صَحَّحَ عنه ﷺ البول قائماً من حديث حذيفة، وقد أخرجه البخاري (٢٢٤) ومسلم (٢٧٣) (٧٣).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ع) لأنهم، والمثبت ما بين حاصرتين من (ب).

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش). وكتاب «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» لابن المَرْزُبان، وقد

طبع غير ما طبعة.

[فصل : وفيها توفي]

المبارك بن علي بن الحسين بن يوسف^(١) المخرمي^(٢)

ولد في رجب سنة ست وأربعين وأربع مئة، وسمع الكثير، وتفقه على القاضي أبي يعلى وغيره، وصنف وجمع ودرّس، وتوفي في المخرم، ودُفن إلى جانب أبي بكر الخلال عند رجلّي أحمد ابن حنبل.

سمع أبا الحسين بن المهدي، وابن المسلمة وغيرهم، وناب في القضاء عن ابن السّبي وغيره، وكان حسن الطريقة، وبني مدرسة بباب الأزج^(٣)، وكان ثقة صدوقاً^(٤).

السنة الرابعة عشر وخمسة مئة

فيها خُطبَ ببغداد لسنجر بن ملك شاه وابن أخيه محمود بن محمد شاه جميعاً في المخرم، ولُقّب سنجر بعُضد الدولة، ومحمود بجلال الدولة، وكان دُيُوس بن صدقة قد بعث [القاضي]^(٤) أبا جعفر عبد الواحد بن أحمد الثّقفي، قاضي الحلة والكوفة إلى نجم الدين إيلغازي بن أرتُق يخطبُ ابنته، فزوَّجه بها، وحملها إليه في هذه السنة مع القاضي المذكور إلى الحلة.

وفي ربيع الأول قامت الحرب بين محمود وأخيه مسعود، وكان مسعود هو الباغي [عليه]^(٤)، فتلطفه محمود فلم يلتفت، والتقى بباب همدان، وكان البرسقي مع مسعود، فأنحاز إلى محمود، وانهزم مسعود وعسكره، واستولى محمود على أموالهم، وأخفى مسعود نفسه في جبل بينه وبين مكان الوقعة اثنا عشر فرسخاً، وبعث بركابيّ إلى أخيه [محمود]^(٤)

(١) كذا في (م) و(ش). وفي مصادر ترجمته: بندار.

(٢) له ترجمة في «طبقات الحنابلة»: ٢/٢٥٨ - ٢٥٩، و«المنتظم»: ٩/٢١٥ - ٢١٦، و«مناقب الإمام أحمد»: ٦٣٥، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/٤٢٨، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

والمخرمي نسبة إلى المخرم: محلة كانت شرقي بغداد بين الرصافة ونهر المعلى، انظر «الأنساب»: ١١/١٧٩، و«معجم البلدان»: ٥/٧١، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ١/١٦٦.

(٣) قال ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة»: ١/١٦٦ - ١٦٧: والمدرسة المذكورة التي بناها هي المنسوبة الآن إلى تلميذه الشيخ عبد القادر الجيلي لأنه وسعها وسكن بها، فعرفت به.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

يطلب منه الأمان، فجاء إلى محمود وقال له: يا سُلطانَ العالم، إنَّ من السَّعادة أنَّ أخاك لم يجد مهرباً عنك، وقد بعث يطلبُ الأمان، وعاطفتُك أجلُّ متوسِّلٍ به إليك. فقال: أين هو؟ قال: في المكان الفلاني. فقال: ما نويت غير العفو والإحسان، فقال للبرسقي: امضِ إليه، وأت به، وله الأمان.

واتفق أن بعد انفصال الركابي عن مسعود أنَّ يونس بن داود البلخي ظفِرَ بمسعود، فقليل له: إنَّ حملته إلى أخيه، فربما أعطاك ألف دينار أو أقلَّ، وإنَّ حملته إلى دُيَّس أو إلى المَوْصِل وصلت إلى ما شئت. فعَوَّل على ذلك. وجاء البرسقي، فلم يرَه، فسار خلفه ثلاثين فرسخاً، وعَرَّفَه أمان أخيه. وأخذه، [ورجع إلى عسكر محمود]^(١)، فأمر محمود باستقباله، وأَخْرَجَ إليه الأعيان، ونزل عند أمِّه، ثم جلس [السلطان]^(٢) محمود، فدخل إليه، وقبَّل الأرض [بين يديه]^(٣)، فضمه إليه، وقبَّل [ما]^(٢) بين عينيه، وبكى كلُّ واحدٍ منهما، [وكان هذا من محاسن أفعال محمود]^(٢).

وقيل: إنَّ محموداً جَلَسَ على سريرِه، فلَمَّا دخل عليه مسعود قام ونَزَلَ منه، وعانقه، وبكى، وأجلسه إلى جانبه، وكتب إلى عمِّه سنجر يخبره بما فعل. فوقع ذلك من سنجر أحسنَ موقع، وأكرمَ رسوله.

وكان سنجر قد فَوَّضَ إلى محمود ولاية أصفهان وهمدان وأذربيجان والعراق وديار بكر، والشَّام إلى العريش، وكان الطُّغرائي وزيرُ مسعود قد هرب يوم الواقعة، فأخذه غُلَّمان الوزير أبي طالب السُّمَيْرِي^(٣)، فبادر السُّمَيْرِي، وضَرَبَ عُنُقَه، وسنذكره إن شاء الله تعالى^(٤).

وفيها عاث دُيَّس بن صَدَقَة في البلاد، وكان يؤثر عصيان مسعود على أخيه محمود، ليتمكن من نهبِ أعمال بغداد، فلما وقعت الحرب [بينهما]^(٢) شَرَعَ دُيَّس في الفساد،

(١) في (ع) و(ب): فرجع، وما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ٢١٦/٩ - ٢١٧.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) نسبة إلى سُمَيْرِم: بلدة بين أصفهان وشيراز في منتصف الطريق، وهي آخر حد أصفهان. «الأنساب»: ١٥٢/٧.

(٤) انظر ص ١٣٥ - ١٤٠ من هذا الجزء.

فنهَب نهر عيسى ونهر الملك والمدائن وأعمال بغداد، ووَصَلَ عسكرُه إلى بَعْقُوبَا^(١)، وسبى الدَّراري، ونهبَ الأموال، وهتَكَ الحريم، وافتَرَشَ النساء، وكان يعتقد ما دام الخلاف قائماً بين السُّلْطَانين أنه يتمكن من غَرَضِهِ، ويستقيم أمرُه كما استقام أمرُ أبيه صَدَقَة عند اختلاف الملوك، فلما بلغه كسرُ مسعود خاف مجيء محمود إلى البلاد، فأحرقَ الغلال والأتبان، وبعثَ إليه الخليفة أبا الحسن علي بن المُعَمَّر نقيب الطَّالبيين يخوِّفُه ويُنذِرُه، فلم يلتفت، وجاء إلى بغداد في جُمَادَى الآخِرَة، وَضَرَبَ سُرَادِقَه بالجانب الغربي بإزاء دار الخلافة، وباتَ أهلُ بغداد على وَجَلٍ، وبعثَ يتهدَّدُ الخليفة، ويقول: أنتَ بعثتَ إلى السُّلْطَان ليقدمَ بغداد، فإن صرفته وإلا فعلتُ وفعلتُ. فقال الخليفة: إنَّ السُّلْطَان لا يمكن رَدُّه، بل نسعى لك معه في الصُّلح. فرحَلَ.

ودخل السُّلْطَان محمود بغداد في رجب، وتلقاه الوزير ابنُ صَدَقَة والموكب، ونثرَ أهلُ باب الأَزَج عليه الدَّنَانير، وولَّى شحَنكية بغداد يرنقش الزَّكوي^(٢).

وفي شعبان جاءت زوجة دُبَيْس [بن صَدَقَة]^(٣)، وهي شرف خاتون بنت عميد الدولة ابن جَهِير إلى السُّلْطَان، ومعها عشرون ألف دينار وثلاثة عشر رأساً من الخيل، فلم يقع الرِّضَى عن دُبَيْس، ورَدَّ الجميع، فبعثَ يطلب من السُّلْطَان الأمان، فبعثَ إليه بخاتمه، فدخل البرِّيَّة، فقصده السُّلْطَان، ونَزَلَ الحِلَّة، فبات بها ليلة، فنهبها، وقتل رجالة دُبَيْس وشرَدَهم، ولَجَجَ^(٤) دُبَيْس في البرِّيَّة.

[وذكر أبو يعلى بن القلانسي في «تاريخ دمشق»، أن السلطان لما نزل الحِلَّة نهبها وانهزم دُبَيْس إلى]^(٥) قلعة جَعْبَر مستجيراً بصاحبها شهاب الدين مالك بن سالم، فأجاره وأكرمه. وقيل: وقع بينهما مصاهرة^(٦).

(١) بعقوبا: قرية كبيرة، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، وهي اليوم مدينة تقع على بعد ٥٠ كم شمال شرقي بغداد. انظر «معجم البلدان»: ٤٥٣/١.

(٢) انظر «المنتظم»: ٢١٧/٩ - ٢١٨.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) أي أوغل فيها، من لَجَجَتِ السفينة: أي خاضت اللُّجَّة، انظر «اللسان». (لجج).

(٥) في (ع) و(ب): وقيل: إنه قصد قلعة جعبر، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٢٣.

وعاد السلطان إلى بغداد، وشفَعَ إلى الخليفة في أخيه أبي الحسن، فقال: في إخراجه فُتِحَ بابُ الفِتنِ، ويعث للسلطان ثلاث مئة ألف دينار على أن يسكت، فسكت.

وفيها أعاد أبو طالب وزير محمود المكوس والضرائب، وكان محمد قد أبطلها سنة إحدى وخمس مئة.

وفيها رفع [نجم الدين]^(١) إيلغازي عن أهل حلب المكوس [والمؤن والمظالم]^(٢)، وما جدده الظَّلمة، ووادَعَ الفرنج، [وسالمهم]^(٣).

وفيها توفي

أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله^(٢)

أبو البركات، ابن السَّيِّبِ.

كان يعلم أولاد المستظهر، فأنسَ به المسترشد، فلما ولي الخِلافة، ولَّاه المخزن بعد هلاك ابن الخَرَزِي، وكان كثير الصَّدقة، واسعَ المعروف، معتقداً في أهل العلم. أقام على المخزن سنةً وثمانية أشهر، وتوفي عن ستِّ وخمسين سنة، وصلى عليه الوزير ابنُ صدقة وأربابُ الدَّولة في مقصورة جامع القصر، ودُفِنَ [عنده جدُّه أبي الحسن القاضي]^(١) بباب حَرْب، وخلف مئة ألف دينار، وأوصى بثُلثها صدقةً على أهل الحرمين، وأوقف وقوفاً كثيرة.

[وسمع أبا الحسن ابن النُّقور، وأبا محمد الصريفيني، وأبا القاسم ابن البُشري وغيرهم]^(٣)، وروى عنه الخليفة المقتفي، وكان سيِّداً فاضلاً، نبيلاً، صدوقاً ثِقَةً.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «نزهة الألباء»: ٣٨٥، و«المنتظم»: ٢١٩/٩، و«معجم الأدباء»: ٢٢٧/٣، و«الكامل»: ٥٨٧/١٠، و«الوافي بالوفيات»: ١٦٢/٧، و«توضيح المشتبه»: ٢٣/٥، والسَّيِّبِ نسبة إلى سيب. قال السمعاني في «الأنساب»: ٢١٥/٧، وظني أنها قرية بنواحي قصر ابن هُبيرة.

(٣) في (ع) و(ب): سمع الصَّريفيني وغيره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الحسين بن علي بن محمد^(١)أبو إسماعيل، مؤيد الدين، الطغرائي^(٢).

الكاتب الوزير، ويقال: هو من ولد أبي الأسود الدِّلي، [والطُّغرائي من أجداد محمد بن الحسين الملقب بالنظام وزير الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين، صاحب حلب رحمه الله، لأنَّ نظام الدِّين وزير الظاهر اسمه محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد، والحسين بن علي هو المقتول]^(٣)، وكان السلطان محمود قد نسبَ خروجَ أخيه مسعود عليه إلى الطُّغرائي.

[وحكى ابن السَّمْعاني أبو سَعْد في «الذيل» أنَّ السلطان محمود بن محمد شاه جلسَ]^(٤) يوماً في بهوٍ فيه عصافير فقال: آذتنا هذه العصافير، فقال له بعضُ خواصِّه: يأمر السلطان بعضَ الفَرَّاشين يصعد إليها بسُلَّم، فيرمي أعشاشها، أو يأمر بعضَ الغُلَّمان بأن يرميها بالبُنْدُق، فقال: ما أَسْتَحِلُّ ذلك، فقل له: فكيف استحللتَ قَتْلَ مُؤَيَّد الدين الطُّغرائي مع شيخوخته وفَضْلِهِ؟ فقال: ما مع الفَضْل فُضُولٌ. يعني أنه أوقع بينه وبين أخيه.

[قلت: ما أحسنَ هذا الجوابَ الذي يهدي العقلاءَ إلى طريق الصَّواب، وقد ذكرنا أنَّ الطُّغرائي كان في عسكر مسعود، وأن الوزير أبا طالب السَّميرمي وزير محمود عاجله بالقتل، وكان قد]^(٥) أقام أقواماً، فشهدوا عند السلطان محمود أنَّ الطُّغرائي زنديق، وأنه لا يدين بدين الإسلام، وكان الطُّغرائي يحتقر السَّميرمي ويستصغره.

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٤٩٦/١١ - ٤٩٧، و«معجم الأدباء»: ٥٦/١٠ - ٧٩، و«اللباب»: ٢٦٢/٣ - ٢٦٣، و«كتاب الروضتين»: ١١١/١ - ١١٢ - وسماء متابعة لابن الأثير في «الباهر»: ٢٣ الحسين بن إسماعيل، ثم ذكره على الصواب نقلاً عن السمعاني في تاريخه - و«وفيات الأعيان»: ١٨٥/٢ - ١٩٠، و«الوفيات بالوفيات»: ٤٣١/١٤ - ٤٣٩، ومقدمة «الغيث المسجم»: ١٦/١ وما بعدها، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٥٤/١٩ - ٤٥٥ وفيه تنمة مصادر ترجمته، وللأستاذ علي جواد طاهر كتاب في سيرته طبع في بغداد سنة ١٩٦٣ م.

(٢) الطغرائي: نسبة إلى من يكتب الطغراء، وهي الطرة التي تكتب في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الجلي، تتضمن اسم الملك وألقابه، وهي كلمة أعجمية محرفة من الطرة. انظر «معجم الأدباء»: ٥٧/١٠، و«وفيات الأعيان»: ١٩٠/٢.

(٣) في (ع) و(ب): وهو جد وزير الظاهر غازي بن صلاح الدين رحمه الله، واسمه محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الطغرائي، ولقبه نظام الدين، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ع) و(ب): جلس السلطان يوماً في بهو.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ع) و(ب): وقد ذكرنا أن السمرمي عاجله بالقتل وأقام أقواماً، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقيل: إِنَّ السَّمِيرِي قَتَلَهُ بَعْضُ غُلَّامِ الطُّغْرَائِي وَسَنَدَكَرَهُ [في سنة ست عشرة وخمس مئة]^(١)، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

[قلت]^(٢): وَكَانَ الطُّغْرَائِي مِنْ أَفْصَحِ الْفُصَحَاءِ، وَأَفْضَلَ الْفُضَلَاءِ، وَأَمْثَلَ الْعُلَمَاءِ. [وله منظوم ومنثور]^(٣)، وديوانه مشهور^(٤) [وقد اخترتُ منه هاهنا ما يبهج القلوب ويشرح الصدور، وذكره العماد الكاتب في «الخريدة»، وجعله من أعيان الجريدة؛ فمن شعره]^(٥) يمدح الوزير نظام الملك على قافيتين^(٥): [من مجزوء الكامل]

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي اصْـ	طَنَعَ الْوَرَى، شَرْقاً وَغَرْباً
وَالْمُسْتَعَانُ عَلَى الزَّمَانِ	إِذَا اعْتَرَى، وَأَجَدَّ حَرْباً
وَتَرَكْتَ دِينَ اللَّهَ مَشْـ	دَوْدَ الْعُرَى، بُعْداً وَقَرْباً
وَضَمِنْتَ لِلدُّنْيَا وَمَنْ	فِيهَا الْقِرَى، وَكَشَفْتَ جَذْباً
مَنْ قَالَ غَيْرُكَ لِلْعُلَا	فَقَدْ افْتَرَى، مَيْناً وَكِذْباً ^(٦)

وقال في مقابلة القمر للشمس المنيرة: [من الكامل]

وَكَأَنَّمَا الشَّمْسُ الْمَنِيرَةُ إِذْ بَدَتْ	وَالْبَدْرُ يَجْنَحُ لِلْمَغِيبِ وَمَا غَرَبَتْ
مَتَحَارِبَانِ لَذَا مِجَنٌّ صَاغَهُ	مِنْ فِضَّةٍ وَلَذَا مِجَنٌّ مِنْ ذَهَبٍ ^(٧)

وقال يمدح السلطان محمود في أيام أبيه: [من الطويل]

أَيَا جِئْرَةَ شَطَطَتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى	فَلَا عَهْدُهُمْ يُنْسَى وَلَا الْوُدُّ يُفْسَخُ
--	--

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش) وانظر ص ١٦٤ من هذا الجزء.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) طبع ديوانه في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة (١٣٠٠هـ)، ثم حققه الدكتوران علي جواد الطاهر ويحيى الجبوري، وطبع في بغداد سنة (١٩٦٧م)، وعلى هذه الطبعة كانت إحالتنا على أشعاره.

(٤) في (ع) و(ب): وديوانه مشهور، فمنه يمدح.. وما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وهو في «الخريدة» قسم شعراء أصفهان، ١/ ٦٢-١٣٣، وقد طبع في طهران سنة ١٩٩٩.

(٥) القافيتان: هما الألف والباء.

(٦) «ديوانه»: ٤٤.

(٧) «ديوانه»: ٧٨ مع اختلاف في اللفظ.

لكم في جنوب الأرضِ مَسْرَى وَمَسْرَحٌ^(١)
وَحَظِّي من الأيامِ مُلْكٌ بِعِزِّهِ^(٢)
سَلَالَةُ ظِلِّ الله في الأرضِ إنْ جَرَتْ
يتوق إليه المُلْكُ وَهُوَ له ابْنُ^(٤)

وقال أيضاً: [من الكامل]

إني لأذكركم وقد بَلَغَ الظُّمَأُ
وأقول ليت أَحِبَّتِي عَايَنَتْهُمْ
مازلتُ أَزْهَدُ في مودَّةٍ رَاغِبٍ
ولربِّما نال المرادَ مُرَفَّةً
هذا هو الدَّاءُ الذي ضاقت به

وقال أيضاً: [من الطويل]

أيا حادي الأظعانِ غرَّدَ فقد بدا
لقد طال عهدي بالحمى وأهيله
أسأِلُ عنه مَنْ لَقِيتُ وعنه
هل اخضرَّ واديهم فعاشوا بغبطةٍ
أقول لأصحابي غداةً تزاَفَروا^(١٠)

وللحُبِّ في جَنْبِي مَرْسَى وَمَرْسَخٌ
تُقَامُ مُواقيتُ العُلا وتُورَّخُ
له ذُكْرَةٌ عند السَّلاطينِ بَخْبُخُوا^(٣)
ويصبو إليه التَّاجُ وَهُوَ له أَخٌ^(٥)

مني فأشرقُ بالزُّلالِ الباردِ
قبل المماتِ ولو بيومٍ واحدٍ^(٦)
حتى ابْتُلِيتُ برغبةٍ في زاهدٍ
لم يسعَ فيه وخاب سَعْيُ الجاهِدِ
حِيلُ الطَّبيبِ وطالَ يَأْسُ العائِدِ^(٧)

لنا حَضَنٌ^(٨) واستقبلتنا صبا نَجِدِ
ولولا شَقَائِي^(٩) لم يَظُلْ بهم عَهْدِي
متى جادهم غَيْثٌ وما فعلوا بعدي
أم استبدلوا الصَّمَّانَ بالأَجْرَعِ الفَرْدِ
رُوَيْدُكُمْ إِنَّ الهوى داؤه يُعدي

(١) في (ع) و(ب): ومنسخ، والمثبت من الديوان.

(٢) في (ب): وحظي من أيام ملك بعزه.

(٣) أي قالوا: بخ بخ، يعني تعظيماً لأمره وتفخيماً. انظر «اللسان» (بخخ).

(٤) ابنم هي ابن زيدت فيه الميم. «اللسان» (بني).

(٥) «ديوانه»: ١١٥ - ١٢٢.

(٦) هذا البيت ليس في ديوانه المطبوع، وهو في «الخريدة»: ٩٩/١.

(٧) «ديوانه»: ١٤١.

(٨) حضن اسم جبل في أعالي نجد، وفي المثل السائر: أنجد من رأى حضناً، أي من عاين هذا الجبل فقد دخل في ناحية نجد. «اللسان» (حضن)، و«معجم البلدان»: ٢٧١/٢.

(٩) في (ب) سقامي.

(١٠) من الزَّفر، والزَّفير: وهو أن يملأ الرجل صدره غماً، ثم هو يزفر به. انظر «اللسان» (زفر).

إذا ما قَدْ حُتُّمَ نارَ وَجِدٍ فَإِنَّمَا شرارتُها فيكم وجَمَرْتُها عندي^(١)
وقال وقد جاءه ولد [ذَكَرُ]^(٢) على كِبَرٍ: [من البسيط]

هذا الصَّغِيرُ الذي وافى على كِبَرِي هذا الصَّغِيرُ الذي وافى على كِبَرِي
وافى وقد أَبَقَتِ الأَيَّامُ في جسدي وافى وقد أَبَقَتِ الأَيَّامُ في جسدي
سَبْعٌ وخمسون لو مرَّتْ على حَجَرٍ سَبْعٌ وخمسون لو مرَّتْ على حَجَرٍ
وقال^(٤): [من الوافر]

إذا [ما]^(٥) لم تكن مَلِكاً مُطاعاً إذا [ما]^(٥) لم تكن مَلِكاً مُطاعاً
وإن لم تملكِ الدُّنْيَا جميعاً وإن لم تملكِ الدُّنْيَا جميعاً
هُما سببان^(٦) مِنْ مُلْكٍ ونُسكِ هُما سببان^(٦) مِنْ مُلْكٍ ونُسكِ
وَمَنْ يَقْنَعُ مِنَ الدُّنْيَا بشيءٍ وَمَنْ يَقْنَعُ مِنَ الدُّنْيَا بشيءٍ
فَدَعُ عَنْكَ التَّوَسُّطَ^(٧) فالْمَعَالِي فَدَعُ عَنْكَ التَّوَسُّطَ^(٧) فالْمَعَالِي
وَهَمَّكَ فِي التَّزَهُدِ فَهُوَ خَيْرٌ وَهَمَّكَ فِي التَّزَهُدِ فَهُوَ خَيْرٌ
وقال أيضاً: [من الكامل]

مِنْ أَيْنَ أَطْمَعُ فِي السَّلَامَةِ بعدما مِنْ أَيْنَ أَطْمَعُ فِي السَّلَامَةِ بعدما
أَمْ كَيْفَ آنَسُ بالصُّحَابِ وقد رَأَتْ أَمْ كَيْفَ آنَسُ بالصُّحَابِ وقد رَأَتْ
إِنَّ الأَلَى نازِغَتُهُمْ كَأَسَ الهوى إِنَّ الأَلَى نازِغَتُهُمْ كَأَسَ الهوى
قالوا وفي رأسي بقايا نَشْوَةٍ قالوا وفي رأسي بقايا نَشْوَةٍ

(١) «ديوانه»: ١٣٨ - ١٤٠.

(٢) ما بين حاصرتين من (م)، وفي (ش): على كبر منه تعجباً من ذلك، وفي «ديوانه»: وقال في ابنه الأصغر علي.

(٣) «ديوانه»: ١٦٣ - ١٦٤.

(٤) هذه الأبيات ليست في (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من «ديوانه».

(٦) في «ديوانه»: سَيَّان، وانظر «الروضتين»: ١/١١٢، و«وفيات الأعيان»: ٤٩/٦.

(٧) في (ع) التوسع، والمثبت من ديوانه.

(٨) «ديوانه»: ٢٤٥.

(٩) «ديوانه»: ٢٥٨ - ٢٦٠.

وقال [في سنة خمس وخمس مئة]^(١): [من البسيط]

أصالة الرأي صانتني عن الخطل
مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع
فيم الإقامة بالزوراء لا سكاني
فلا صديق إليه مشتكى حزني
وضج من لغب نضوي وعج لما
أريد بسطة كف أستعين بها
والدهر يعكس آمالي ويقنعني
أغلل النفس بالآمال أرقبها
حب السلامة يثنني هم صاحبه
فإن جنحت إليها فاتخذ نفقا
إن العلاء حدثتني وهي صادقة
لو أن في شرف المأوى بلوغ مني
ما كنت أؤثر أن يمتد بي زمني
تقدمتني رجال كان شوطهم
هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا
وإن علاني من دوني فلا عجب
فاصبر لها غير محتال ولا ضجير
أعدى عدوك أدنى من وثقت به
وإنما رجل الدنيا وواحد لها
من أبيات^(٤).

وحلية الفضل زانتني لدى العطل
والشمس رآد الضحى كالشمس في الظل
بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
ولا أنيس إليه منتهى جذلي
يلقى ركابي ولج الركب في عذلي
على قضاء حقوق للعلاء قبلي
من الغنيمة بعد الكد بالقفل
ما أضيّق العيش لولا فسحة الأمل^(٢)
عن المعالي ويغري المرء بالكسل
في الأرض أو مصعداً^(٣) في الجو فاعتزل
فيما تحدث أن العز في النقل
لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل
حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
وراء خطوي إذ أمشي على مهل
من قبله فتمنى فسحة الأجل
لي أسوة في انحطاط الشمس عن زحل
في حادث الدهر ما يغني عن الحيل
فحاذر الناس واصحبهم على دحل
من لا يعول في الدنيا على رجل

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) هذا البيت يأتي في ديوانه وغيره من المصادر بعد أبيات من قوله:

ولو أن في شرف المأوى بلوغ مني

(٣) في رواية: أو سلماً.

(٤) القصيدة بتمامها في ديوانه: ٣٠١ - ٣٠٩، و«معجم الأدباء»: ١٠ / ٦٠ - ٦٨، و«وفيات الأعيان»: =

ويقال إنَّ السُّميرمي إنما قتله لهذه الأبيات لأنه عرّض به، وقال: [من الطويل]

فلم أنتفع من وزده ببلال
وليس حديث النفس غير محال^(٢)
مواعيد دهر مؤعد^(٣) بمطال
يزجون^(٤) عيساً قيّدت بگلال^(٥)
لأخيسهم عن سيرهم بمقال
أريدكم من بينهم بسؤال
لساني بكم حتى ينم بحالي
وأظهر للعذال أنني سالي
فؤادي ما مرّ السُّلُو ببالِي
ولكن دَمعي في الحوادث غالي^(٦)

ذكرتكم عند الزُّلال على الظما
وحدّثت نفسي بالأمانِي عنكم^(١)
أواعدها قُرب اللقاء ودُونه
يقرُّ بعيني الرُّكب من نحو أرضكم
أطارحهم جدّ الحديث وهزله
أسائل عمّن لا أريد وإنّما
ويغثر ما بين السُّؤال ورَجعه
وأطوي على ما تعلمون جوانحي
فلا والذي عافاكم وابتلى بكم
وقد كنت أولى الناس بالدمع مُقلّة
وقال أيضاً: [من الطويل]

نحيل وطرّفي بالسُّهاد كحيل
فخان وخنّتم والوفاء قليل
مطلّتم وشرّ الغارمين مطول
تمنّعت إلا أن يُقام كفيل^(٨)

فيا جيرتي بالجزع جسمي بعدكم
عهّدت بكم عصر^(٧) الشَّيبة ناعماً
وأودعْتُكم قلبي فلما طلبتُه
فإنّ عُدّتُم يوماً تريدون مُهْجتي
وقال يمدح نظام المُلْك: [من الكامل]

بين الأنام فمُحسِنٌ أو مُنعمٌ

إنَّ البرامكة الألى بثوا النّدى

= ١٨٥ / ٢ - ١٨٨ ، و«الوافي بالوفيات»: ٤٣٦ / ١٢ - ٤٣٩ ، وقد شرحها الصفدي في كتابه «الغيث المسجم في شرح لامية العجم» فأوعب، وقد طبع غير ما طبعة.

(١) في «الديوان»: ضلّة.

(٢) في «الديوان»: ضلال.

(٣) في «الديوان»: مولع.

(٤) زجّ الشيء وأزجاه: ساقه ودفعه، ومنه: أزجيت الإبل: سقتها. انظر «اللسان» (زجا).

(٥) الكلال: الإعياء من المشي. انظر «اللسان» (كلل).

(٦) هذا البيت ليس في ديوانه ٣١٧ - ٣١٨.

(٧) في «ديوانه»: غصن.

(٨) «ديوانه»: ٢٧٧ - ٢٧٨.

يشكون^(١) أنك قد نسخت فعالهم
فتك الرشيد بهم فخلد ذكرهم
فأرفق بهم واستبق بعض ثنائهم
وقال: [من الطويل]

أجیرتنا بالجزع كيف خلصتم
لقد سمعت أذناي نجوى فراقكم
وقال: [من الطويل]

هناك الكرى يراقد الليل إنني
طردت سوام النوم عني تشوقاً
ضمنت لصحبي الصبر عنهم وقد أثبت
فيا صاحبي سري وجهرى أسعداً^(٤)
خذا خبري عن نار قلبي واسألا
فإن قلتما والقول ما تريانه
هو النصيح إلا أنه غير نافع
وقال يتشوق إلى جي؛ مكان بأصبهان: [من البسيط]

يا حادي الظعن^(٧) رفقا إنك الجاني
بالله رفقا بقلبي لا يمث كمداً
ويا نسيم الصبا في الطيب منغمساً

حتى تنوسي ما تقدم منهم
ومحوته محواً فهم لك ألوم
كرماً فقد دانوا بأنك أكرم^(٢)

نجياً وأخفيتهم مسيركم عني
فلا أبصر عيناى ما سمعت أذني^(٣)

ألفت شهاداً لذلي وهناني
لخفقة برقي بالعذيب يمانى
ضمانة قلبي أن تفي بضماني
فلم يبق مني غير ما تريان
تحلب شاني^(٥) عن تقلب شاني
تداو بصبر فاذهباً ودعاني
إذا لم يكن لي بالسؤل يدان^(٦)

قتلي إذا زلت عن جي بأظعان
وبالهوى لا يبخ ما بين خلاني
أنفاسه ونسيم المسك والبان

(١) في (ع) و(ب): يشكوك، والمثبت من «الديوان».

(٢) «ديوانه»: ٣٤٠.

(٣) «ديوانه»: ٣٩٠ - ٣٩٢.

(٤) من الإسعاد: المعونة، وساعده مساعدة وسعاداً وأسعده: أعانه، ومنه إسعاد النساء في المناحات؛ تقوم المرأة فتقوم معها أخرى من جاراتها فتساعدنها على النياحة. «اللسان». (سعد).

(٥) تحلبت عينه: سال دمعها، والشأن: مجرى الدمع إلى العين. «معجم متن اللغة»: ١٤٢/٢، ٢٦٣/٣.

(٦) «ديوانه»: ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٧) في (م) و(ش): العيس.

امرر على الرّوضة الغنّاء مُرتكضاً
والثّم ثرى جى إن وافيتّها سَحراً
وقلّ لهم إن طيّب العيش بعدكم
أبيت مُستنجداً عَوْنِي^(١) على زَمَنِي
أشتاقُ مِنْ شِعب بَوّانٍ إلى وَطَنِي
وقال أيضاً: [من الطويل]

هوى ليس يُسلي القُربُ عنه ولا النّوى
فأسرّ ولا فلكٌ ووَجْدٌ ولا أسى
ولولا الهوى ما شاقني لَمْعُ بارقٍ
وشجوّ قديمٌ ليس يُشبهُهُ شَجو
وسُقْمٌ ولا بُرءٌ وسُكْرٌ ولا صَحو
ولا هدّني شَجو ولا هَزّني شَدو^(٣)

الحسين بن محمد بن فيثُرَه^(٤)

ابن حيّون بن سُكّرة، أبو علي الصّدي

سكن مُرسيّة، وسمع الحديث الكثير، وسافر إلى الشام والمشرق، ولقي شيوخ
الدّنيا، ورَحَلَ إليه النَّاس من الأمصار لسماع الحديث، وكان عارفاً به.

وأكرهه عليّ بن يوسف بن تاشفين على قضاء مُرسيّة، فامتنع لُزْهده وورّعه.

وخرج في غَزاة^(٥)، فانهزم المسلمون وثبت، فاستشهد يوم الخميس لثلاث بقين من
رجب^(٦) - وقيل: كان في سنة ثلاث عشرة - وعمره ستون سنة، واتفقوا على فضله
ودينه، وصِدقته وثِقته.

(١) في «الديوان»: عوناً.

(٢) «ديوانه»: ٣٩٧ - ٤٠٣.

(٣) «ديوانه»: ٤١٠ - ٤١١.

(٤) له ترجمة في «فهرس ابن عطية»: ٧٤ - ٧٦، و«الغنية»: ١٢٩ - ١٣١، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٢٥/٥،

و«مختصره» لابن منظور: ١٧٣/٧، و«الصلة»: ١٤٤/١ - ١٤٦، و«بغية الملتبس»: ٢٦٩، و«معجم البلدان»: ٣١٠/٤،

و«طبقات علماء الحديث»: ٢٥/٤ - ٢٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٧٦/١٩ - ٣٧٨، وفيهما تنمة مصادر ترجمته، وقد

صنف ابن الأبار معجماً في تراجم أصحابه سماه «المعجم في أصحاب أبي علي الصّدي»، طبع بالقاهرة سنة ١٩٦٧م.

(٥) هي وقعة قُتْنة. انظر «معجم البلدان»: ٣١٠/٤، و«الكامل»: ٥٨٦/١٠.

(٦) كذا، وهو وهم، صوابه: لست بقين من ربيع الأول كما ورد في مصادر ترجمته.

عبيد الله^(١) بن نصر بن السريأبو محمد الزاغوني^(٢).

قرأ القرآن، وسمع الحديث، وتوفي يوم الاثنين عاشر صفر، ودُفِنَ بباب حَرْب، وكان من أهل السُّر والصِّيَّانة، والصَّلاح والأمانة.

عبد الله بن عبد الكريم بن الحسين^(٣)

أبو المعالي الدَّمَشْقِي الجَوْهَرِي، ويعرف بابن الطَّويل.

كان صالحاً ديناً، وقف كُتُبَه بجامع دمشق في الزَّاوِيَةِ الغُربِيَّة، ومات بدمشق، [سمع الفقيه نصر وغيره، وروى عنه الحافظ ابن عساكر]^(٤)، وكان ثقةً.

عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن^(٥)

أبو نصر القُشَيْرِي

قرأ على أبيه وغيره، وسمِعَ الحديث، وكان فصيحاً ذكياً، شاعراً، واعظاً، قدم بغداد في أيام نظام المُلْك، ونَصَرَ مذهب الأشعري، فأُخرج منها لإطفاء الفِتنَةِ^(٦)، فَرَجَعَ إلى وطنه، فأقام بنيسابور حتى توفي في جُمادى الآخرة.

(١) في (ع) و(ب) عبد الله، وهو خطأ، والمثبت من «المنتظم»: ٢٢٠/٩. وقد ترجم له، وهو والد أبي الحسن علي شيخ الحنابلة المتوفى سنة (٥٢٧هـ)، وأبي بكر محمد، وكان مسنداً كبيراً، وقد توفي سنة (٥٥٢هـ)، وستأتي ترجمتهما في وفيات الستين المذكورتين.

(٢) الزاغوني نسبة إلى زاغوني، قال ياقوت: قرية ما أظنها إلا من قرى بغداد، انظر «معجم البلدان»: ١٢٦/٣ - ١٢٧.

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٣٥-٣٦/٥٤.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش) ولم أجده في مشيخته.

(٥) له ترجمة في «منتخب السياق» للصريفيني: ٤٩٨ - ٤٩٩، و«تبين كذب المفترى»: ٣٠٨ - ٣١٧، و«المنتظم»: ٢٢٠/٩ - ٢٢١، و«الكامل»: ٥٨٧/١٠، و«وفيات الأعيان»: ٢٠٧/٣ - ٢٠٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٢٤/١٩ - ٤٢٦، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٦) كان ذلك سنة (٤٦٩هـ)، انظر أخبار هذه الفتنة فيما سلف في حوادث تلك السنة، وانظر «المنتظم»: ٣٠٥/٨ - ٣٠٧، و«الكامل»: ١٠٤/١٠ - ١٠٥، وقد وهم من ظنها سنة (٤٧٥هـ) فتلك فتنة أخرى بين البكري والحنابلة، وستأتي الإشارة إليها.

ومن شِعره في ولده فضل الله بن عبد الرحيم: [من مجزوء الرجز]

كم حسرة لي في الحشا من ولدي وقد نشأ
كنتُ أشاء رُشدَه فما نشأ كما أشأ^(١)

ومن شعره: [من المتقارب]

ولم أنسَ مَوقِفنا للوداع أدورُ حوالِيهم كالفرّاشِ
أمرُغُ خَدَي فوق التُّرابِ فمنهُ لحافي ومنهُ فرّاشي
وظنّني أني لهم صاحبٌ أسايرهم مثل بعض المواشي
فلما استقلتُ بهم عيسُهم تَنادوا ألا لا يجيئنَ ماشي
وقدم البكري بغداد [عوضه]^(٢)، وكان من لا خلاق له، فأخذ يسبُ الحنابلة،
فأخذه الله تعالى^(٣).

عبد العزيز بن علي بن عمر^(٤)

أبو حامد الدينوري، كان كثيرَ الخيرات، غزيرَ الصّدقات، له جاه عظيم عند الخليفة
و[عند]^(٥) الناس، [وتوفي بهمذان]^(٥)، وكان تاجراً له مالٌ عظيم، [سمع أبا محمد
الجوهري وغيره، [و]^(٥) روى عنه أبو المعمر^(٦) [الأنصاري]^(٥) وغيره، وكان ثقةً.

(١) البيتان نسبهما ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٣٢٣/٥، إلى علي بن الحسين أبي الحسن الغزنوي
الملقب بالبرهان، المتوفى سنة (٥٥١هـ)، وأوردهما ابن الجوزي في «المنتظم»، ١٦٧/١٠، ونقلهما عنه
السيط في ترجمته على أنهما من إنشاده، ولا يخفى الفرق بينهما.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) كان ذلك سنة (٤٧٥هـ)، وانظر ما سلف في الحاشية رقم ٦ ص ١٤٣ وانظر كذلك «المنتظم»: ٣/٩ - ٤،
والبكري هو الشريف أبو القاسم المغربي الواعظ، وكان أشعري المذهب، قصد نظام الملك فأحبه ومال
إليه، فسيره إلى بغداد، وأجرى عليه الجراية الوافرة، فوعظ بالمدرسة النظامية، وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم،
فجرى ما جرى، انظر «الكامل»: ١٢٤/١٠ - ١٢٥.

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٢١/٩.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) هو المبارك بن أحمد بن عبد العزيز بن المعمر، وقد توفي سنة (٥٤٩هـ)، انظر «توضيح المشتبه»: ٢٢٤/٨.

محمد بن محمد بن علي^(١)أبو الفتح، الحزيمي^(٢) الواعظ.

كان مليح الإيراد، قديم بغداد سنة تسع وخمس مئة، حدث على المنبر عن القشيري، قال: تزوج النبي ﷺ امرأة، فرأى بكشجها^(٣) بياضاً، فردّها، وقال: «الحقي بأهلك». وزاد في الحديث: فنزل جبريل، فقال: العلي الأعلى يقرئك السلام، ويقول [لك]^(٤): بنقطة واحدة من العيب رددت عقد النكاح، ونحن بعيوب كثيرة لا نفسخ عقد الإيمان مع أمّتك، لك نسوة نمسكهن لأجلك، أمسك هذه لأجلي.

[قال جدي رحمه الله: وهذا كذب فاحش على الله تعالى وعلى جبريل، فإنه لم يوح إليه شيء من ذلك، ولا عوتب في فراقها، قال: والعجب من نفاق هذا الكذاب في بغداد، ولكن على الفساق والجّهال، وكذلك مجالس أبي الفتوح الغزالي ومجالس ابن العبادي فيها العجائب المتخرصة، والمعاني التي لا توافق الشريعة، وسببه بعدهم وبعد أبناء جنسهم عن معرفة الصحيح، واختيارهم ما يتفق على العوام]^(٥).

توفي الحزيمي بالرّي، واشتدّ جزعه عند الموت، ف قيل له في ذلك، فقال: القدوم على الله شديد. ودفن إلى جانب إبراهيم الخوّاص. حدث عن أبي القاسم القشيري ونظائره، [وقد تكلموا فيه]^(٤).

السنة الخامسة عشرة وخمس مئة

فيها عزّم السلطان على الخروج من بغداد، فأرسل إليه الخليفة يقول: تقيم عندنا هذه الصّيفية - خوفاً من دُيُس - فقال: معي من العساكر ما قد [علمت]^(٦)، وأحتاج إلى

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٢١/٩ - ٢٢٢، و«الوافي بالوفيات»: ١٢٧/١.

(٢) الضبط من «تبصير المنتبه»: ٤٩٩/٢.

(٣) الكشح: هو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، وهو من لدن السرة إلى المتن. «اللسان» (كشح).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ٢٢٢/٩.

(٦) في (ع) و(ب): ما قد علم، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

نفقات كثيرة، فقال الخليفة: عليّ ما تحتاجون إليه، فأقام أربعة أشهر، ففرغت الخزائن، فأخذوا من دور الحريم، وجبوا ثلاثة أيام، فكثرت الشكايات، فرُفِعَ ذلك عنهم، وأدّى الأمر إلى القرض من أصحاب الأموال^(١).

وفيها عُزِلَ عليّ بن طراد من النُّقابة، وكانت ابنته مُتَّصِلَةً بِالْأَمِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُسْتَظْهَرِ وَهُوَ الْمُقْتَفِي، وَكَانَ ابْنُ صَدَقَةَ يَكْرَهُهُ وَلَا يُوْفِيهِ حَقَّهُ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ، فَلَمَّا عُزِلَ فِي ربيع الأول عَبَرَ إِلَى دَارِ الْوَزِيرِ السَّمِيرِيِّ، وَكَانَ يَتَعْصَبُ لَهُ، فَخَاطَبَ فِي حَقِّهِ، فَرَضِيَ عَنْهُ، وَأُعِيدَ إِلَى النُّقَابَةِ^(٢).

وفيه خلع السُّلْطَانُ عَلَى الْقَاضِي أَبِي سَعْدِ الْهَرَوِيِّ، وَوَلَاهُ الْقَضَاءُ إِلَّا فِي الْعِرَاقِ مِرَاعَاةً لِقَاضِي الْقَضَاةِ أَبِي الْقَاسِمِ الزَّيْنَبِيِّ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ مَيْلِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ. وَخَرَجَ الْهَرَوِيُّ إِلَى سَنَجَرِ بِرِسَالَةٍ مِنَ الْخَلِيفَةِ وَمِنْ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ، وَمَعَهُ خِلْعَةُ الْخَلِيفَةِ وَهَدَايَا، وَسَارَ فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ^(٣).

وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ وَقَعَ حَرِيقٌ فِي دَارِ السُّلْطَانِ، فَاحْتَرَقَتِ الدَّارُ الَّتِي اسْتَجَدَّهَا بِهَرُوزِ الْخَادِمِ. وَكَانَ سَبَبُ حَرِيقِهَا أَنَّ جَارِيَةً كَانَتْ تَخْتَضِبُ بِالْحِنَّاءِ فِي اللَّيْلِ، وَقَدْ أَسْنَدَتِ الشَّمْعَةَ إِلَى خَيْشٍ^(٤)، فَعَلِقَتْ بِهِ النَّارَ، فَمَا تَجَاسَرَتْ أَنْ تَنْطِقَ، فَاحْتَرَقَتِ الدَّارُ، وَهَرَبَ السُّلْطَانُ إِلَى سَفِينَةٍ، فَوَقَفَ فِي وَسْطِهَا فِي دِجْلَةٍ، وَاحْتَرَقَ مِنَ الْفُرُشِ وَالْآلَاتِ وَالْأَوَانِي وَالْبُسُطِ وَالْجَوَاهِرِ وَاللُّؤْلُؤِ وَغَيْرِهِ مَا قِيَمَتْهُ أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنَ الدَّارِ [وَلَا]^(٥) خَشْبَةً وَاحِدَةً.

وَقَالَ السُّلْطَانُ: لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى بِنَاءِ هَذِهِ الدَّارِ الَّتِي لَمْ يُمَتِّعْ بِهَا أَبِي، وَلَا طَالَ بَقَاؤُهُ، وَذَهَبَتْ أَمْوَالُنَا وَأَرْزَاقُنَا فِيهَا، وَتَكْفِينَا دَارَ الْمَمْلَكَةِ الْعَتِيقَةِ^(٦).

(١) انظر «المنتظم»: ٢٢٢/٩ - ٢٢٣.

(٢) المصدر السالف: ٢٢٣/٩.

(٣) «المنتظم»: ٢٢٣/٩.

(٤) الخيش: ثياب رفاق النسيج، غلاظ الخيوط، تتخذ من مشاقة الكتان ومن أردئه، وهو المعروف بالشام بالجنفيص، انظر «اللسان» (خيش) و«قاموس رد العامي إلى الفصح»: ١٠٨، و«تكملة المعاجم» لدوزي (الترجمة العربية) ٢٥٦/٤.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) انظر «المنتظم»: ٢٢٣/٩ - ٢٢٤، و«الكامل»: ١٠/٥٩٤ - ٥٩٥.

[قلتُ: وهذه الدار بناها بهروز الخادم من أنقاض الناس، واستعمل في عمارتها أهل بغداد حتى القضاة والأشراف والأعيان، وكانوا ينقلون الأنقاض في طيالسهم^(١)، ولما كملت أمرهم بهروز أن يحملوا إليها الفرش والبسط والآنية وغيرها، فحمل الناس إليه أنواع الفرش والأواني والثياب، لا جرم أن مالها كان إلى الحريق والخراب، وقد رأينا في الشاهد أن كل دار بُنيت على وجه الاغتصاب سيكون مالها إلى الانداس والتباب]^(٢).

والعجب أن الخبر وصل بعد يومين من حريقها أن جامع أصبهان احترق [في هذا الأوان]^(٣). وذهب منه من الأخشاب ما ثمنه ألف ألف دينار، واحترق فيه خمس مئة مصحف، عليها صفائح الذهب والفضة، ومن جملتها مصحف بخط أبي بن كعب، ويقال: إنه كان بين الحريقين ثمانية أيام^(٤).

[وقدم من أصبهان القاضي أبو القاسم إسماعيل بن أبي العلاء صاعد بن محمد البخاري الحنفي، ويصرف بابن الدانشمند مدرّس الحنفية، وجلس في دار السلطان، ووعظ، وحضر السلطان وجميع أصحابه]^(٥).

وفيها خلع الخليفة على السلطان بعد أن بعث إليه قاضي القضاة الزيني وابن الأنباري وإقبال ونظر والأماثل، فاستحلفوه على الطاعة والمناصحة^(٦).

فلما كان يوم الاثنين رابع شعبان جلس المسترشد في مجلس الخلافة [على عادته]^(٧)، وبينه وبين الناس ستارة على الشباك، والخليفة على السدة، وجاء وزير السلطان [أبو طالب]^(٨) السّميرمي، فوقف عن يمين السدة، ووزير الخليفة ابن صدقة عن يسارها، والأعيان وقوف بين يديها، واستدعي السلطان [محمود]^(٩) من داره، فجاء، ودخل إلى صحن السلام، ويده في يد أخيه مسعود، ورُفعت الستارة، وخدم [السلطان]^(١٠) محمود وأخوه مراراً، وقبل الأَرْض، وحمل محمود إلى مكان تفاض فيه

(١) انظر حاشيتنا رقم ٥ ص ٧ من هذا الجزء.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) انظر «المنتظم»: ٢٢٤/٩.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر المصدر السالف.

(٥) «المنتظم»: ٢٢٤/٩ - ٢٢٥.

الخَلَع، وتولَّى ذلك إقبال ونَظَر، وخُلِعَ عليه الخِلْعَةُ الكاملة والتَّاج والطَّوق والسَّواران، وقرئَ صَدْرٌ من عهده، وخَرَجَ وقد قُدِّمَتْ له أربعةُ أفراسٍ بمراكب الذهب. وخُلِعَ على أخيه مسعود^(١).

وفيها سقط ببغداد ثلجٌ عظيم لم يقع مثله، أقام خمسة عشر يوماً فقال الشاعر^(٢):

[من الخفيف]

يا صدورَ الزَّمانِ ليس بوفٍرٍ^(٣) ما رأيناه في نواحي العراقِ
إنما عَمَّ ظُلْمُكُمْ سائرَ الخَلِ قِ فشابتْ ذوائبُ الآفاقِ^(٤)

وفيها كتب الخليفةُ والسُّلطانُ إلى إيلغازي يأمرانه بإبعاد دُبَيْس، وفَسَخَ النِّكاحَ الذي عَقَدَهُ له على ابنته، وقد كان [لها]^(٥) زوجٌ قبل دُبَيْس ورَدَ بغداد شاكياً على إيلغازي، وادَّعى أنَّ نكاحه ثابتٌ، فتوقف الحال، وادَّعى إيلغازي أنَّ النِّكاحَ صحيح، ثم حَلَفَ للخليفة والسُّلطان.

[وفيها]^(٦) عاد دُبَيْس إلى الحِلَّة، فندبَ السُّلطانُ إليه العساكر، فهرب إلى الأزيز، وهو نهر سِنْدَاد الذي يقول فيه الأسودُ بنُ يَعْفَر^(٧):

(١) انظر «المنتظم»: ٢٢٥/٩ - ٢٢٦.

(٢) هو البديع الأسطُرلابي هبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادي، وقد ذكرهما ياقوت في «معجم الأدباء»: ٢٧٥/١٩.

(٣) الوَفَر: الثلج بلغة أهل العراق، قاله ياقوت.

(٤) انظر «المنتظم»: ٢٢٦/٩ - ٢٢٧.

(٥) انظر «المنتظم»: ٢٢٧/٩، وما بين حاصرتين منه.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) شاعر جاهلي، من الفحول، لقب أعشى أشهل، وكان ينادم النعمان بن المنذر، انظر أخباره في «طبقات

فحول الشعراء»: ١٤٧/١ - ١٤٨، و«الأغاني»: ١٣/١٥ - ٢٨.

وقوله: والقصر ذي الشرفات من سِنْدَاد، هو عجز بيت، صدره:

أهل الخورنق والسَّدير وبارق

وهو بيت من قصيدة اختارها الضبي في «مفضلياته»: ٢١٥ - ٢٢٠، مطلعها:

نام الخليُّ وما أحسُّ رُقادي والهَمُّ مُحْتَضِرٌ لديّ وسادي

من غير ما سَقِمَ ولكن شَفَّنِي هَمُّ أراه قد أصاب فؤادي

وانظر شرحها لابن الأنباري: ٤١٥ - ٤٥٧، وللتبريزي في «شرح اختيارات المفضل»: ٩٦٤/٢ - ٩٨٤.

والقصر ذي الشُّرفَات من سِنْدَاد

وكان مقدّم عسكر السُّلطان یرنقش الجندار، فراسل دُيَّسًا، وأشار عليه بطاعة السُّلطان، فبعث دُيَّس ابنه منصور إليه، فدخل به یرنقش إلى بغداد، وأحضره بين يدي السُّلطان، فبعث به إلى خدمة الخليفة.

ومنها دخلت العربُ فيد^(١)، وكسروا أبوابها ونهبوها، فأرسل موفق الخادم لها الأبواب الحديد، ونُصبت على الحصن، وعَزَل^(٢) مَصْنَعَهَا وَعَيْنَهَا، فيقال: إِنَّ الأبوابَ باقيةً على حالها إلى الآن.

وفيهما كسر أتابك طُغْتِكِين الفرنج على رحو^(٣) العَقَبَة، فقتل، وسبى وغنم، وكانت كسرة عظيمة.

وحجَّ بالنَّاسَ نَظَر الخادم، وأقام على فيد أياماً حتى رُكِبَتْ أبوابها، وقال: هذه مَعْقِلُ أزواد الحُجَّاح، إن لم نَعْمُرْها وإلاَّ بَطَلَ الحج. وفيها توفي

الحسن بن أحمد^(٤)

ابن الحسن، الحدَّاد الأصبهاني بأصبهان، في ذي الحِجَّة، سمع أبا نُعَيْم الأصبهاني، وانتهى إلى الحديث. وكان ثقةً.

(١) فيد: بليدة في منتصف طريق مكة من الكوفة، يودع الحاج فيها أزوداهم وما يثقل من أمتعتهم عند أهلها، فإذا رجعوا أخذوا أزوداهم ووهبوا لمن أودعوها شيئاً من ذلك، وهم مغوثة للحاج في مثل ذلك الموضع المنقطع، انظر «معجم البلدان»: ٢٨٢/٤.

(٢) في النسخ: وعدل، وما استظهرته هو الصواب إن شاء الله، من عزل بمعنى تنحى، واستعارته العامة بمعنى كنس ونظف، وهو المراد هنا، يؤيده ما قاله ابن الجوزي في «المنتظم»: ٢٢٨/٩: وأنفذ الصنائع لتنقية المعين والمصنع، وكانت العرب طموها، واغترم على ذلك ما لا كثيراً. انظر «معجم متن اللغة»: ٩٥/٤.

(٣) في (ع) رخو، وفي (ب) زجر، وفي (م) رحر، وفي (ش) زحر، ولم أقف عليها، وفي مطبوع «تاريخ العظيمي»: ٣٧١: كفر رحو.

(٤) له ترجمة في «التحبير»: ١٧٧/١ - ١٩٢ - وفيه ثبت سماعاته - و«المنتظم»: ٢٢٨/٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٠٣/١٩ - ٣٠٧، وفيه تنمة مصادر ترجمته. ولم يترجم ابن عبد الهادي له في «طبقات علماء الحديث» كما ذكر في حاشيته، وإنما ترجم لابنه عبيد الله المتوفى سنة (٥١٧هـ).

خاتون السَّفرية حَظِيَّة ملك شاه^(١)

ولدت له محمداً وسنجر، [وهي جدَّة محمود ومسعود ابني محمد شاه]^(٢)، وكانت صالحةً، كثيرة الصَّدقات، تبعثُ الأموالَ إلى الحرمين، والجَمالَ إلى طريق مَكَّة، وتُعِين الحاجَّ، ولما حَصَلَتْ عند ملك شاه، بعثت إلى الثُّرك من يبحث عن أهلها، حتى عَرَفَتْ مكان أمها وأخواتها، فبذلت الأموالَ في شرائهن، فلما وصلت أمها إليها وقد كانت فارقتها منذ أربعين سنة، فجلست خاتون بين جوارٍ يقاربونها في الشبه، حتى تنظر هل تعرفها أم لا، فلما سمعت الأم كلام ابنتها عَرَفَتْها، فجاءت إليها فقبَّلَتْها، فقامت خاتون واعتنقا وتباكيا، وأسلمت الأم.

ولا تُعرف امرأةٌ ولدت ملكين إلا هذه، ولدت محمداً، وسنجر من ملك شاه، وكلاهما ولي السُّلطنة، [فأما امرأة ولدت خليفتين فولادة بنت العباس ولدت لعبد الملك بن مروان الوليد وسليمان، وشاهفريد ولدت للوليد بن عبد الملك: يزيد وإبراهيم وليا الخلافة، والخيزران ولدت الهادي والرَّشيد، وقد ذكرنا هذا فيما تقدَّم]^(٢) ولما جاء خبرُها إلى بغداد جلس السُّلطان في دار المملكة للعزَّاء، وأربابُ الدَّولة، ووزير الخليفة [ابن صدقة]^(٢) ثلاثة أيام، ووعظ أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي، وأبو سعد إسماعيل بن أحمد [الطوسيَّان]^(٢)، وجاء توقيع الخليفة في اليوم الثالث، فأقام السُّلطان من العزَّاء، وخَلَعَ عليه.

عبد الرزاق بن عبد الله^(٣)

ابن علي بن إسحاق الطوسي، ابن أخي نظام المُلْك، [كان قد]^(٢) تفقَّه على أبي المعالي الجويني وأفتى وناظر، ثم وزر للسُّلطان سنجر، فترك ذلك، واشتغل بالجنديَّة وتدبير الممالك، ومات بنيسابور.

(١) لها ترجمة في «المنتظم»: ٢٢٨/٩ - ٢٢٩، و«الكامل»: ١٠/٥٩٣ - ٥٩٤، و«البداية والنهاية» وفيات سنة (٥١٥هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «التحبير»: ٤٤٢/١ - ٤٤٣، و«المنتظم»: ٩/٢٢٩، و«الكامل»: ١٠/٥٩٤، و«الوافي بالوفيات»: ١٨/٤٠٧، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/١٦٨، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ٢/٤٢٠، و«البداية والنهاية» وفيات سنة (٥١٥هـ)، و«النجوم الزاهرة»: ٥/٢٢٢.

[^(١) وفيها توفي

علي بن يلدرك^(٢)

أبو الشاء، الكاتب التركي، كان شاعراً ظريفاً، مترسلاً، وكانت وفاته في صفر، ودفن بباب حرب، وهو الذي حكى ابن عقال عنه في «الفنون» أنه رأى صاحب القفص الزجاج قد زلق فانكسر، وأنه بكى، وقال: دخلت زمزم ونسيت الدملج، وقد ذكرنا الحكاية في ترجمة عقيل^(٣).

فصل: وفيها توفي

محمد بن صالح بن جعفر^(٤)

ويعرف بابن ميسرة القاضي الرازي، ولد سنة أربع وثلاثين وأربع مئة، وسمع الحديث ورواه، وأسند إلى ابن مسعود في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَخْ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] قال: هو بلعام بن أبر^(٥).

محمد بن محمد بن عبد العزيز^(٦)

أبو^(٧) علي ابن المهدي^(٨)، الخطيب.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ٣/ق ٢/٣٩٥، و«المنتظم»: ٢٢٩/٩، و«معجم الألقاب» لابن الفوطي: ج ٤/ق ١/٢٦٩، و«الوافي بالوفيات»: ٣٣٤/٢٢.

(٣) انظر ص ١٢٦-١٢٧ من هذا الجزء.

(٤) لم أهند إلى مظان ترجمته.

(٥) في (م) و(ش) أدبر، وهو خطأ. وهذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ج ١/ق ٢/٢٤٣ عن الثوري، عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى، عن مسروق، به.

وكذلك أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٣/٢٥٣ من طرق عن أبي الضحى، عن مسروق، به. واستقصى السيوطي في عزوه إلى مظانه في «الدر المنثور»: ٣/١٤٥، فانظره لزماً.

(٦) له ترجمة في «المنتظم»: ٩/٢٣٠-٢٣١، و«الوافي بالوفيات»: ١/١٦٦، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/٤٣٠-٤٣١، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٧) في (ع) و(ش) ابن، وهو خطأ، والمثبت من (ب).

(٨) في بعض المصادر: ابن المهدي.

ولد في جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة، وشهد عند أبي عبد الله بن الدائماني، وهو آخر من بقي من شهود القائم، وكان ظريفاً، صالحاً، ديناً. توفي في شوال، ودفن بباب حرب، وحضر جنازته النقيان والأعيان، واتفقوا على عدالته وفضله.

السنة السادسة عشر وخمس مئة

فيها في خامس المحرم، استدعى الخليفة السُميرمي وزير السلطان، وخاطبه في معنى دُبَيْس، وقُرْبَه من بغداد، وأنها على خطر، وأوثر إذا راح السلطان أن يكون البرُسُقي مقيماً حوالي بغداد، فأجاب السلطان واستدعى البرُسُقي. وفي المحرم قصد يرنقش دار الخلافة ومعه منصور أخو دُبَيْس، فنزل عند باب النوبي، وطولع بأن السلطان يسأل الرضى عنه، فخرج الجواب عنه: ما دام منصور تحت الرايات المغشية^(١)، فهو مشمول بالرعاية.

وفي صفر تقدّم السلطان بالاستظهار على منصور، ونقله إلى مكان ضيق يوثق عليه فيه. وفي غرة ربيع الأول خرج السلطان من بغداد، وكان مقامه بها سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوماً بعد أن أزال المكوس والضرائب والمظالم. واستدعى البرُسُقي إلى باب الحجرة، وخلع عليه وفوض إليه أمر دُبَيْس، فخرج بالعساكر إلى صرصر^(٢)، ومعه سيد الدولة محمد بن عبد الكريم الأنباري، وجاء دُبَيْس في جموعه، والتقوا يوم الخميس سلخ ربيع الأول، فأنجلت الواقعة عن هزيمة البرُسُقي. وكان في خمسة آلاف فارس، بعضهم لابس^(٣)، ودُبَيْس في أربعة آلاف ورجالة كثيرة.

(١) في (ع) و(ب) الغياثية، والمثبت من «المنتظم»: ٢٣٢/٩ : والمغشية نسبة إلى مغيث الدين، وهو لقب السلطان محمود، انظر «وفيات الأعيان»: ١٨٢/٥.

(٢) صرصر: قريتان من سواد بغداد، صرصر العليا وصرصر السفلى، وهما على ضفة نهر عيسى، وربما قيل نهر صرصر فنسب إليهما، وبين السفلى وبغداد نحو فرسخين، ولعلها المقصودة هنا، انظر «معجم البلدان» ٤٠١/٣.

(٣) أي لابساً الدرع، من اللبوس، وهي الدرع تلبس في الحرب، واللبوس كذلك الثياب والسلاح، انظر «اللسان» (لبس).

وكان سبُّ الهزيمة، أنَّ البرُسُقي رأى في ميسرته خللاً، فأمر بحطِ خيمته وأنْ تُحمل فتصب في الميسرة؛ يشجعهم بذلك، وكان من سوءِ الرأي، لأنَّ أصحابه لما رأوا الخيمة قد حُطَّت، انهزموا، وكان الحرُّ شديداً، فهلكت الخيل من العطش.

ثم إنَّ دُيساً كاتبَ الخليفة يسأله الصُّلح، فأجابه، وتقرَّرت قواعد الصُّلح، وندبَ قاضي القضاة الزَّينبي للخروج إلى دُيس، فعَلِمَ بعد الصُّلح^(١)، فاستعفى فأعفى، ونصَّ على ابنِ الرُّطبي، فخرج مع ناصح الدولة ابنِ جَهير، وتبعهما إقبال الخادم، وعادوا من الحِلَّة، فقصدوا دار الوزير ابنِ صدقة ليوهموه خلافَ ما هم عليه من تقررِ الأحوال على عزله، فلم يَخَفْ عليه، وعلم أنَّ التدبير استقرَّ على عزله، وكان دُيس وابنُ صدقة عدوين مُعلنين بالعداوة، وأصبح ابنُ صدقة فجلس في الدِّيوان على عادته، فأقيم إلى مكانٍ، ووكلَ به، ونُهبت داره بباب العامة، ودُور أصحابه وحواشيه، واستناب الخليفة في الدِّيوان عليَّ بن طراد الزَّينبي، وخَلَعَ عليه من ملابس الخاص، وكان في توقيعه: محلُّك يا نقيبَ الثُّقباء من شريف الآراء، وموضعك الحال بالاختصاص والاختيار ما يقتضيه التعويلُ عليك في تنفيذ المهام، والمرجوع إلى استقرارك في النيابة التي تُحسنُ بها القيام، وجماعةُ الأولياءِ مأمورون بمتابعتك، وامثال ما تصرفهم فيه من الخدم في إبدائك وإعادتك، فاحفظ نظامَ الدِّيوان، وتقدَّم إلى من جرَّث عادته بملازمة الخدم من سائر الأعوان، وتوفَّر على مراعاة الأحوال بانسراحِ صدرٍ وفراغِ بال، فإنَّ الإنعام لك شامل، وبَنيلِ آمالك كافِلٌ، إن شاء الله تعالى.

ثم تقدَّم الخليفة بعد مُدَّة من عزْلِ ابنِ صدقة بإطلاقه إلى دارِ يُمْن الخادم، وجمَعَ بينه وبين أهله [وولده]^(٢).

وفيها قدِمَ أبو سعد الهروي من عند سنجر بهدايا ومال، وأخبر أنَّ السُّلطان محموداً قد استوزر عثمان بن نظام المُلك، وسأل الخليفة أن يستوزر أخاه أحمد بن نظام

(١) في (ع) الصلاح، والمثبت من (ب)، وفي «المنتظم»: ٢٣٣/٩؛ واستقر إنفاذ قاضي القضاة الزينبي ليحلف سيف الدولة على المستقر فعله بعد الصلاح، فاستعفى فأعفى.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر «المنتظم»: ٢٣١/٩ - ٢٣٤.

المُلك، وأنه لا تستقيم له وزارة وابن صدقة بدار الخليفة، فقال للخليفة^(١): يتخير أي مكان شاء^(٢). فاختار^(٣) حديثة عانة^(٤) عند سليمان بن مَهَارِش. فحُمِلَ إلى الحديثة محقراً، واجتهد دُبَيْس في أخذه، وكتب إلى ابن مَهَارِش يبذل له مالاً في تسليمه إليه، فلم يجبه. واستوزر الخليفة أحمد بن نظام المُلك، وخلع عليه.

وفيها عاث دُبَيْس في نواحي بغداد، ووصل إلى نهر الملك، فأرسل الخليفة إليه عفيفاً الخادم يقبض له ما فعل، فلما أدى الرسالة أظهر دُبَيْس ما كان في نفسه، وقال: أنتم ضمتُم لي هلاك ابن صدقة عدوي وماوفيتم، بل أخرجتموه من الضيق إلى السعة، واستوزرتم ابن نظام الملك ولم تشاوروني، وسألتكم في إبعاد البرسقي عن بغداد وإطلاق أخي منصور، وما أجبتُموني، وقد أجَلتكم خمسة أيام، فإن أجبتُم وإلا جئتكم محارباً. وتوعد وتهدد، وأبرق وأرعد. ففارقه عفيف، فأرسل رجالاته فنهبوا نهر الملك، وافترشوا النساء في نهار رمضان، وشربوا الخمر، وعاد عفيف، فحكى للخليفة ما سمع ورأى.

وفي ذي الحجة أمر الخليفة بإخراج سُرادقه إلى الجانب الغربي، ونودي: الجهاد الجهاد، النَّفير النفير. وعبر الخليفة يوم الجمعة، الرابع والعشرين من ذي الحجة إلى الجانب الغربي، والناس بين يديه، وعليه البردة، والقضيب، وعليه القباء والعِمامة، وبين يديه وزيره ابن نظام المُلك، والنَّقيبان وقاضي القضاة وبنو هاشم وبنو علي، فنزل في سُرادقه عند رقة ابن دحروج^(٥) مقابل داره، فأقام فيه حتى انقضت هذه السنة، وبعث [إليه الخليفة مع القاضي أبي بكر الشهرزوري]^(٦) ينذره ويحذره إراقة الدماء. فما ازداد إلا طغياناً [وخلافاً]^(٧).

(١) أي «أبو سغد الهروي»، وفي (ب): فقال الخليفة.

(٢) في (ع): شئت، والمثبت من (ب).

(٣) أي ابن صدقة، وانظر «المنتظم»: ٢٣٤/٩.

(٤) حديثة عانة يعني حديثة النورة، وهي على فراسخ من الأنبار، وعانة بلد مشهور، وهي قربها، وقد أضافها إليها ليميزها من حديثة الموصل، والحديثة التي من قرى غوطة دمشق، انظر «معجم البلدان»: ٢٣٠/٢ - ٢٣٢، ٧٢/٤.

(٥) الرقة هو البستان المقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد، وهي بالجانب الغربي، انظر «معجم البلدان»: ٦٠/٣.

(٦) في (ع) و(ب): وبعث إلى دبيس ينذره.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ٢٣٥/٩ - ٢٣٨.

وفيهما كانت وقعة عظيمة بين إيلغازي والكفار على تفلّيس، وسببها أنّه كان قومٌ من أهل تفلّيس، يقال لهم بنو جعفر، وقد ملكوها، فأقاموا مئتي سنة، ثم انقرض كبارهم وبقي شُبَّانُهم، فولّوها الشُّبَّان كلُّ واحدٍ شهراً، فأقاموا على ذلك أربعين سنة. وكان داود ملك الأبخاز والكرج قد ضايقها [مضايقةً شديدة] ^(١)، فأرسلوا إلى طغريل بن محمد شاه، وهو صاحب أرّان، فبعث إليهم شحنةً فما نفع، فكتبوا إلى إيلغازي، فسار إليهم في عسكره ومعه دُيُيس.

كذا وقعت هذه الرواية، فيحتمل أنّ الواقعة كانت في أول هذه السنة ^(٢)، قبل عود دُيُيس إلى بغداد - قالوا: وسار إيلغازي [إلى بغداد ومعه دُيُيس بن صدقة ملك العرب] ^(٣)، وكان صهره على ابنته كهارخاتون [بنت نجم الدين إيل غازي] ^(١) وكاتب إيلغازي الأطراف: شمس الدولة طغان صاحب أرزن، وبذليس والسُلطان طغريل وغيرهما، وكان الموعد باب تفلّيس، فتخلف بعضهم عن الميعاد، ووصل إيلغازي قريباً من تفلّيس، فنزل على أقل من نصف يوم، ولم يكن وصل أحد من عساكر الأطراف، فتحدّر عليهم الملك داود من الجبل في عساكر عظيمة، فهزمهم، وغنم أموالهم، وأخذ شيئاً عظيماً، وهرب إيلغازي ودُيُيس، ثم نازل داود تفلّيس وفتحها بالسيف عنوةً، وأحرقها، ونهبها، ثم طيّب قلوب أهلها، وسألوه أشياء فأبقاها عليهم، وهي جاريةٌ إلى هلمّ جرّاً؛ [منها أن لا يتعرض لدين الإسلام بمكروه] ^(٤) منها أنه لا يذبح فيها خنزير، وأن يضرب على الدّراهم والدّنانير اسم الله ورسوله والخليفة، وأن تقام الجماعات بالأذان، والخطبة يوم الجمعة، وأن لا يدخل الكرج الحمّام مع المسلمين، وأن لا يؤذي كافرٌ مسلماً، فالتزم لهم جميع ذلك.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ذكر هذه الواقعة باختصار ابن القلانسي في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٢٦ في حوادث سنة (٥١٥هـ)، وكذلك ذكرها مطولاً الفارقي كما ذكر محققه في حاشيته، وذكرها ابن الأثير في «كامله» ٥٦٧/١٠ في حوادث سنة

(٥١٤هـ)، وذكر أن استيلاء الكرج على تفلّيس كان سنة (٥١٥هـ)، وانظر «معجم البلدان»: ٣٦/٢.

(٣) في (ع) و(ب): وسار إيلغازي ودُيُيس، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) ما بين حاصرتين من (م).

وكان داود يدخل يوم الجمعة الجامع، ومعه ولده دنكري، ويسمع الخطبة، والقراءة، ويعطي الخطيب والمؤذنين الذهب الكثير، وعمر الرُّبُط للضيوف^(١)، والمنازل للوعاظ والصوفية والشعراء، وأقام لهم الضيافات، وكانوا إذا أرادوا الانفصال عن تفليس أجازهم وزودهم بالمال الكثير، وكان يحترم المسلمون أكثر مما يحترمون ملوك الإسلام.

وفيها بلغ الخليفة أن دُيِّساً سُبُّ الصَّحابة، ويترك الصَّلوات، وليس في بلاده مؤذن ولا جُمعة، وأنه يشرب الخمر في نهار رمضان، ويسفك الدماء، فاستفتى الفقهاء، فأفتوا بقتاله، وبطل الحج في هذه السنة بسببه، وكتب الخليفة إليه ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] فما أجاب بشيء^(٢).

[وقال جدي رحمه الله في «مشيخته»^(٣): أول ما سمعت الحديث في سنة ست عشرة وخمس مئة على أبي عبد الله بن خُسرو البلخي، وسنذكره]^(٤).

وفيما تزلزلت مدينة جَنزة - ويقال كَنجة^(٥) - وانخسف طرف منها، وانهدم سورها، فسار إليها ملك الأبخاز والكُرج بعساكره، فدخلها، وساق أهلها سبايا إلى تفليس بحيث حملوهم على العَجَل، وسيق المسلمون مثل قطعان الغنم، فاشترى أهل تفليس منهم خلقاً عظيماً، وأعتقوهم، فكان أهل تفليس يقولون: ما أفقرنا غير تلك السنة.

(١) في (ب) للصوفية، والمثبت من (ع)، وانظر «تاريخ الإسلام» للذهبي (خ) حوادث سنة (٥١٦هـ).

(٢) انظر ما ذكره ابن الجوزي في «المنتظم»: ٢٣٥ / ٩ - ٢٣٧ عن أولية بيت دبب وما كان منهم.

(٣) «مشيخة ابن الجوزي» ص ١٨٣.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وتوفي البلخي سنة (٥٢٦هـ)، ولم يترجم له ابن الجوزي في «المنتظم»، وترجمته ليست فيما بين يدي من نسخ «المرآة»، فلعل المختصر قد أسقطها، والله أعلم، وترجم له الذهبي في «السير»: ٥٩٢ / ١٩ - ٥٩٣.

(٥) جنزة، بالفتح: اسم أعظم مدينة بأران، وهي بين شروان وأذربيجان، وهي التي تسميها العامة كَنجة، قال كي لسترنج في «بلدان الخلافة الشرقية»: ص ٢١٣: والأشهر في تسميتها اليوم اليزابيت Elizabeth pol وخرابتها ما زالت موجودة.

وفيهما توفي

إيل غازي بن أرتق نجم الدين^(١)

صاحب ماردین وديار بكر وحلب.

كان شجاعاً، جَوَاداً، له غزوات عديدة [وقد ذكرناها مفرقة في السنين]^(٢) وكانت وفاته عند عَوْدِهِ من تفلّيس بظاهر مَيّافارقين [في شهر رمضان، وكان عنده ولده شمس الدولة، فاستولى على مَيّافارقين، واستولى ولده حسام الدين تمرتاش على ماردین.

وقيل: إنما مات إيلغازي في سنة خمس عشرة وخمس مئة، نزل بظاهر مَيّافارقين]^(٣) ومعه زوجته الخاتون بنت طُغتكين صاحب دمشق، فمرض وتوفي يوم الخميس سابع عشر رمضان في قرية تعرف بالفحول، فحُمِلَ ليلاً إلى مَيّافارقين، وطرقوا باب البلد، ومعه ولده شمس الدولة، ففُتِحَ لهم، وقالوا: السُّلطان مريض، وُغُسل وُكُفّن، وُصِّلَ عليه، ودُفِنَ بالسندلي^(٤)، ثم نقل إلى قُبّة السُّلطان، فدفن بها.

واستقرَّ ولده شمس الدولة سليمان بمَيّافارقين، واستوزر عبد الملك بن ثابت [وفوض الأمور إليه، وخطب سليمان]^(٥) ابنة السلطان قليج رسلان بن سليمان بن قُتلمش، ومضى القاضي تاج الدين أبو سالم^(٦) بن بُبَاة، فأحضرها من مَلطية.

وكان حسام الدين تمرتاش بن إيلغازي بماردین، فملكها، وكان معه شمس الحُجّاب محمد أكديس^(٧)، وكان زوج أم تمرتاش، قد زوّجه بها إيلغازي، فأحسن التدبير، ومات شمس الدولة [سليمان في] سنة ثمانى عشرة وخمس مئة، فاستولى تمرتاش على ديار بكر.

(١) سلفت أخباره منجمة على السنين، وانظر ترجمته كذلك في «الأعلاق الخطيرة» لابن شداد: ج ٣/ ق ٢/ ٤٢٨ - ٤٣٣، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٤٣٥ - ٤٣٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ب) بالسدل، والمثبت من (م) و(ش)، وهو الموافق لما في «تاريخ الفارقي»، وقد ذكر في حاشية «ذيل تاريخ دمشق» ٣٣١.

(٤) في (ع) و(ب): واستوزر عبد الملك بن ثابت، وخطب ابنة السلطان، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (م) و(ش): ابن سالم، ولم أقف على ترجمته.

(٦) في (ع) الرئيس، وفي (ب) سَقَطَ ذهب ببعض الخبر وباسمه، والمثبت من (م) و(ش)، ولم أقف على ترجمته.

توفيق بن محمد بن الحسين^(١)

ابن عبد الله^(٢) بن محمد بن زريق، أبو محمد النحوي الطرابلسي

كان جدّه محمد بن زريق يتولّى أمور الثُّغور من قبل الطّائع، وانتقل ابنه عبد الله إلى الشّام، ولد توفيق بطرابلس، ونشأ بدمشق، وقرأ الأدب، [وَبَرَعَ فيه، وقال الشُّعر الحسن، قال الحافظ ابنُ عساكر، أنشدني لنفسه]^(٣): [من البسيط]

وَجُلُنارٍ كأعرافِ الدُّيوكِ على خُضِرِ تَمِيسُ^(٤) كأذْنا ب الطّواويسِ
مِثْلُ العروسِ تَجَلَّتْ يومَ زينتها حُمِرِ الحُلِيِّ على خُضِرِ الملايسِ
في مجلسٍ لَعِبَتْ أيدي السُّرورِ به لدى عَرِيشِ^(٥) يحاكي عَرشَ بَلْقِيسِ
سقى الحيا أَرْبُعاً تحيا النُّفوسُ بها ما بين مَقَرى إلى بابِ الفراديسِ^(٦)
وتوفي بدمشق في صفر، ودفن بباب الفراديس.

الحسن بن محمد بن إسحاق^(٧)

ابن إبراهيم بن مخلد، أبو علي، الباقرحي^(٨)

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٣/ ٥٥٥ - ٥٥٦، و«معجم الأدباء»: ١٣٨/ ٧ - ١٣٩، و«أخبار الحكماء»: ٧٤، و«إنباه الرواة»: ١/ ٢٥٨ - ٢٥٩ - وفيه وفاته سنة (٥١٠هـ) - و«فوات الوفيات»: ١/ ٢٦٥ - ٢٦٦، ونقل عنه ياقوت وفاته سنة ٥١٦هـ - و«الوافي بالوفيات»: ١٠/ ٤٤٨ - ٤٤٩، و«بغية الوعاة»: ١/ ٤٧٩، وفي مطبوع «معجم الأدباء» ذكر أن وفاته سنة (٥١٠هـ)، وقد نقل عن ياقوت ابن شاعر الكتبي في «الفوات» والصفدي في «الوافي»، وذكرنا عنه أنه توفي سنة (٥١٦هـ).

(٢) في بعض مصادر ترجمته: عبيد الله.

(٣) في (ع) و(ب): وقرأ الأدب ومن شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «تاريخ ابن عساكر»: ٣/ ٥٥٥ - ٥٥٦.

(٤) في (ع) و(ب): غصن يميل، والمثبت من (م) و(ش)، وهو الموافق لرواية ابن عساكر وبقيّة المصادر.

(٥) في (ع) و(ب) لذي عروس، والمثبت من (م) و(ش)، وهو الموافق لرواية ابن عساكر.

(٦) الحيا: المطر، ومقرى: قرية في غوطة دمشق، وباب الفراديس: أحد أبواب دمشق.

(٧) له ترجمة في «المنتظم»: ٩/ ٢٣٨، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٨٤ - ٣٨٥، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٨) نسبة إلى باقرح، وهي قرية من نواحي بغداد. «الأنساب»: ٢/ ٤٨.

ولد سنة سبع وثلاثين وأربع مئة، وهو محدث ابن محدث ابن محدث، [ابن محدث ابن محدث]^(١) خمس مرات، توفي ببغداد في رجب، ودُفِنَ بباب حَرْب، [سمع أبا القاسم التنوخي، وأبا الحسن القزويني والبرمكي والجوهري، وغيرهم]^(٢). وكان ثقةً، صدوقاً.

الحسين بن أبي عاصم^(٢)

أبو عبد الله القرشي كان فاضلاً، أنشد لكشاجم^(٣): [من المنسرح]

ما الذُّلُّ إِلَّا تَحَمُّلُ الْمَنِّ	فَكُنْ عَزِيزاً إِنْ شِئْتَ أَوْ فَهْنِ
إِذَا اقْتَصَرْنَا عَلَى الْيَسِيرِ فَمَا	الْعِلَّةُ فِي عَتَبِنَا عَلَى الزَّمَنِ
مَنْ صَغُرَتْ نَفْسُهُ فَهِمَّتُهُ	أَبْلَغُ فِي قَدَرِهِ مِنَ الْمَحَنِ
مَا كُلُّ مُسْتَحْسِنٍ تَقَابَلِكَ الـ	جِيرَةُ مِنْهُ بِمَخْبِرٍ حَسَنِ
وَلَيْسَ كُلُّ أَمْرٍ تُقَلِّدُهُ	أَمراً عَلَى حِفْظِهِ بِمُؤْتَمَنِ
كَمْ بَعَثْتُ شَكْرِي عَلَى نَفَاسَتِهِ	مِنَ الْأَيَادِي بِأَبْخَسِ الثَّمَنِ ^(٤)

شاهنشاه بن بدر الأرميني^(٥)

أمير الجيوش، الأفضل.

كان قد استولى على مصر، ودبر على قتل الأمر مراراً، فلم يُطَق، وحفظته منه القهرمانه، وأقامت له اثنين بين القصرين، ووعدهما مالاً وإقطاعاً، وكانا فاتكين من

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) لم أهتم إلى مصادر ترجمته.

(٣) هو محمود بن الحسين بن نصر، كان كاتباً شاعراً منجماً، مختلف في سنة وفاته، وهي نحو (٣٦٠هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٢٨٥/١٦ - ٢٨٦، و«الوافي بالوفيات»: ٢٥٨/٢٥ - ٢٦٣، وفيه مصادر ترجمته، وديوانه طبع في بغداد سنة ١٩٧٠ بتحقيق خيرية محمد محفوظ.

(٤) ليست الأبيات لكشاجم، إذ ليست في ديوانه، وقد اختلف في نسبتها، انظر «يتيمة الدهر»: ٣٢٦/١، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر: خ/٤٧٥.

(٥) له ترجمة في «الإشارة إلى من نال الوزارة»: ١٠١ - ١٠٣، و«ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٢٣ - ٣٢٥، و«الكامل»: ٥٨٩/١٠ - ٥٩١، و«وفيات الأعيان»: ٤٤٨/٢ - ٤٥١، و«الوافي بالوفيات»: ٩٢/١٦ - ٩٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٠٧/١٩ - ٥١٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

السُّودان، فاجتاز ليلة عيد الفطر بين القصرين، فوثباً عليه، وأمسك أحدهما بعنان فرسه، وضربه الآخر في رأس فؤاده ثلاث ضربات بسكينٍ مسمومة، فحُمِلَ إلى داره وبه رَمَقٌ، فأوصى ومات، وقتلَ الرجلان في الحال، فكانت وزارته ثمانياً وعشرين سنة، وستة أشهر وأياماً، واستوزر الأمر أبا عبد الله محمد بن فاتك، ويعرف بابن البطائحي. وقيل: إنه هو الذي دَبَّرَ في قتل الأفضل، وإن اللذين قتلاه كانا من الباطنية، وأحسن إليه الأمر، ولقَّبه المأمون، فتجبر وطغى، وعَزَمَ على قتل الأمر، فقتله الأمر في رمضان سنة تسع عشرة [وخمسة مئة]^(١) وقتل معه خمسة أخوة، فكانت وزارته أربع سنين.

وقال أبو يعلى ابنُ القلانسي: كان قتل الأفضل ثاني عيد الفطر سنة خمس عشرة [وخمسة مئة]^(١)، بأمرٍ رُتِّبَ له [ودبِّرَ عليه إلى أن أمكنت الفرصة منه]^(١)، وقد كان على غاية من الاحتراز، والتحفظ بأنواع السلاح والغلمان والخدم والعبيد، بأيديهم الأسلحة الثَّامة، فوثبَ عليه رجلان، فضرباه ضرباتٍ سَقَطَ منها عن جواده إلى الأرض، وحُمِلَ إلى داره وبه رَمَقٌ، فمات من يومه. وادَّعوا أنَّ الباطنية قتلتَه، وليس بصحيح، والسببُ فسادُ ما كان بينه وبين الأمر، وتضييقه عليه.

وكان الأمر قد عَزَمَ على اغتياله إذا دخل إلى قصره أيام الأعياد وغيرها، فخاف من الشَّناعة، وقال له الأمير أبو^(٢) الميمون عبد المجيد: هذا قبيحٌ، وفيه سوء سمعة، وهذا الرَّجل له في خدمتنا منذ خمسين سنة^(٣)، فما عُذَرْنَا عند النَّاسِ وهم لا يعلمون ما في نفوسنا له، وما ننقم عليه بسببه، وإنَّما الصَّواب أن نستميل أبا عبد الله بن البطائحي الغالبَ على أمره، فنُطْمِعُهُ ونُؤمِّنِيهِ، ونَعِدَهُ بمنصبه، فإنَّه يجيبُ إلى ذلك لأمرين: أحدهما لأن مذهبه مذهبنا، والثَّاني: حب الدُّنيا، ويُدبِّرُ هو في قتله، وإذا قُتِلَ أظهرنا كراهة ذلك، وقتلنا قاتله، وأظهرنا التَّأسُّفَ عليه، فَيَعْذِرُنَا الكافَّة.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ب) ابن، وهو خطأ، وأبو الميمون عبد المجيد هو الذي تولى مصر بعد الأمر، ولقب بالحافظ لدين الله، ومات سنة (٥٤٤هـ)، وستأتي ترجمتها في وفياتها من هذا الكتاب.

(٣) في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٢٤، لأن هذا وأباه في خدمتنا منذ خمسين سنة. قلت: وهو الأدق والأصوب.

فراسل ابن البطائحي، وأطمعه في منصبه، فدبّر الأمر في قتله، فُقْتِلَ في رأس السُّيوفيين^(١) يوم الأحد سَلَخَ رمضان سنة خمس عشرة [وخمس مئة]^(٢)، وعمره [إذ ذاك]^(٢) سبع وخمسون سنة، لأنّ مولده بعكا سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، وكان حَسَنَ الاعتقاد، سُنِّيًّا، جميلَ السَّيرة، مؤثراً للعدل، كريمَ الأخلاق، صادقَ الحديث، ولم يأتِ الزمانُ بمثله، ولا حُمِدَ التَّدبير عند فَقْدِهِ، واستولى الأمر على خزائنه، وأمواله، وذخائره وجميع أسبابه، وولّى ابن البطائحي على ما ذكرناه^(٣).

[قلت]^(٢): وكان الأفضل جواداً مُمدّحاً، مدحه خَلَقٌ كثيرٌ، منهم القاضي الرّشيد أحمدُ بنُ قاسم الصَّقْلِي^(٤) قاضي قُضاة مصر؛ دخل عليه [يوماً]^(٢) وبين يديه دواة مُحَلّاة بمرجانٍ، فقال بديها: [من الكامل]

أَلَيْنَ لداودَ الحديدُ بقُدْرَةٍ يُقَدِّرُهُ في السَّرْدِ كيف يُرِيدُ
ولأنّ لك المَرْجانُ وهو حِجارةٌ على أنّه صَعْبُ المَرَامِ شَدِيدُ^(٥)

وكان [الأفضل]^(٢) قد أجرى الماء من النّيل إلى قَرافة مصر، وكان للقاضي الرّشيد بها دارٌ، فكتب إليه [يسأله إجراء الماء إلى داره، فقال]^(٢): [من الوافر]

أيا مولى الأنام بلا احتِشامٍ وسَيِّدَهُم على رَغَمِ الحَسُودِ
لِعَبْدِكَ بالقَرافة دارُ نُزُلٍ لموجودِ الحياة أو الفقيدِ
وفي أرجائها شَجَرٌ ظمَاءٌ عَدِمْنَ الحُسْنَ من وَرَقٍ وعُودِ
فَمُذْ غَدَتِ المصانعُ مُمتِعاتٍ عَدِمْنَ الرِّيَّ في زَمَنِ الوجودِ
يَقْلُنَ إذا سَمِعْنَ شجا السَّواقي مقالة هائمٍ صَبٌّ عميدِ^(٦)

(١) أي سوق السيوفيين، وكان يقع عند المدخل الجنوبي الغربي لميدان بين القصرين. وانظر في مكان مقتله ما ذكره ابن خلكان: ٤٥٠/٢، و«ذيل تاريخ دمشق»: ٣٢٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٢٣ - ٣٢٥.

(٤) ذكره العماد الكاتب في «الخريدة» قسم شعراء المغرب: ٣٣٦/١ - ٣٣٧، وعنه نقل السبط هنا.

(٥) «الخريدة» قسم شعراء المغرب: ٣٣٦/١.

(٦) العميد: الذي هدّه العشق، انظر «اللسان» (عمد).

[أرى ماءً وبى عطشٌ شديدٌ]^(١) [ولكن لا سبيلَ إلى الورود]^(٢)
فأجرى له الماء إلى داره.

وقال: [من البسيط]

إن لم أزرُك ولم أقنَّع برؤياك فلفؤاد طواف حَوْل مَغْنَاكِ
يا ظبيَّة ظلت في أشراكها علقاً يوم الوداع ولم تغلق بأشراكي
رَعيت قلبي وما راعيت حُرمتَه يا هذه كيف ما راعيت مَرعَاكِ
أتَحْرِقُين فؤاداً قد حَلَلتِ بِهِ بنار حُبِّكِ عَمداً وهو مأواكِ
والله والله أيماناً مُغَلَّظَةً ما للمُحِبِّ حياةٌ غير ذِكْرَاكِ^(٣)

وللرَّشيد «ديوان شعر»، وكان قد قَدِمَ من صِقْلِيَّة، فأقام بِمِصر، ومات بعد الأفضل.

عبد الله بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث^(٤)

أبو محمد، السَّمَرَقَنْدِي.

ولد بدمشق في صَفَر سنة أربع وأربعين وأربع مئة، ونشأ ببغداد، وسافر إلى الدنيا في طَلَبِ الحديث، وسَمِعَ بَنِيْسَابُور، وسَرْخَسَ وبَلْخ، ومرو، وإسفرايين، والعراق، والبصرة، والكوفة، والشَّامَ وبيت المقدس، ومِصر، والحجاز، وألَّفَ وجمَعَ، ودَخَلَ بيت المقدس، فأتى إلى أبي عثمان بن ورقاء، فطلَّب منه جُزءاً، فوعده مراراً، ومَطَّلَه فقال ابن السَّمَرَقَنْدِي: أيُّها الشيخ، لا تنظر إليَّ بعين الصُّبوة، فإنَّ الله قد رَزَقني من هذا الفنَّ ما لم يَرِزُق أبا زُرعة الرَّاзи. فقال: الحمد لله. ثم عاد فَطَلَّب منه الجُزء، فقال له ابنُ ورقاء: إني فَتَّشْتُ البارحة الأجزاء فلم أجِد فيها جُزءاً يَصْلُح لأبي زُرعة الرَّاзи. فَحَجَلَ السَّمَرَقَنْدِي، وقام، ولم يَعُدْ إليه.

(١) كتب ناسخ (ع) في هامشها: كذا وجدته، وما بين حاصرتين من (ب) و(م).

(٢) ما بين حاصرتين من «الخريدة» قسم شعراء المغرب: ٣٣٦/١، وبه تمام البيت.

(٣) في «الخريدة»، قسم شعراء المغرب: ٣٣٧/١.

ما نفحة الريح من أرضٍ بها شجني هل للمحب حياة غير ذكراك

(٤) له ترجمة في «منتخب السياق» للصريفيني: ٤٥٦ - ٤٥٧، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٠١٩/٨، و«المنتظم»

٢٣٨/٩ - ٢٣٩، و«الكامل»: ٦٠٥/١٠ - ٦٠٦، و«طبقات علماء الحديث»: ٣٦/٤ - ٣٧، و«سير أعلام النبلاء»

٤٦٥/١٩ - ٤٦٧، وفيهما تنمة مصادر ترجمته. وستأتي ترجمة أخيه أبي القاسم ص ٣٣٤ من هذا الجزء.

وتوفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الآخر، ودُفِنَ بباب حَرْب، وكان صحيح السَّماع، كثير الضَّبْط، والفَهْم، والمعرفة، حسن الاعتقاد، وأجمعوا على عدالته.

عبدُ الله بنُ محمد بن عبد الله^(١)

ابن محمد بن عبد الله بن سليمان، أبو محمد - والد أبي اليُسْرِ شاعر [ابن عبد الله]^(٢) - التنوخي المَعَرِّي

ولد بالمَعَرَّة سنة تسع وسبعين وأربع مئة^(٣)، وقرأ الأدب [وَبَرَعَ فيه، وقال الشعر، قال الحافظ ابن عساكر: أنشدني ابنه شاعر وكنيته أبو اليُسْرِ قال: أنشدني أبي لنفسه هذين البيتين]^(٤): [من الكامل]

يا مَنْ تَنَكَّبَ قَوْسَهُ وَسِهَامَهُ وله مِنَ اللَّحْظِ السَّقِيمِ سُيُوفُ
تُغْنِيكَ عَنْ حَمْلِ السِّلَاحِ إِلَى الْعَدَى أَجْفَانُكَ الْمَرَضَى فَهَنْ حُتُوفُ^(٥)
وكتب إلى ولده من مصر: [من السريع]

يا غَائِباً مَسْكَنُهُ مُهْجَتِي وحاضراً وليس بالحاضِرِ
صَوْرُهُ شَوْقِي إِلَيْهِ فَمَا يَرِيْمُ عَنْ قَلْبِي وَعَنْ نَاطِرِي
وقال من شِعْره: [من الرمل]

قِفْ عَلَى الرَّبْوَةِ يَا حَادِيَ الرُّكَّابِ وَقِفَةً تُذْهِبُ عَنِّي بَعْضَ مَابِي
وَارْجِعِ الْعَيْسَ إِلَى أَكْنَافِهَا نَقْضِ حَقِّ الْوُدِّ مِنْ دَارِ الرَّبَابِ
كَيْفَ لَا أَصْبُو إِلَى أَرْضِكُمْ وَبِهَا صَاحَبْتُ أَيَّامَ الشَّبَابِ
لَجَّ مِنْ فَرْطِ غَرَامِي بِكُمْ دَمْعُ عَيْنِي وَحَنِينِي وَانْتِحَابِي

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٣٣/٢ - ٣٤، و«تعريف القدماء بأبي العلاء» (الإنصاف والتحري) لابن العديم: ٥٠٢، و«الوافي بالوفيات»: ٥٨٥/١١، و«مختصر تاريخ دمشق»: ٢٩٠/١٣ (اختصرته على نهج ابن منظور سكينه الشهابي).

(٢) ولد أبو اليسر في شيزر سنة (٤٩٦هـ)، وتوفي سنة (٥٨١هـ)، وكان تولى كتابة الإنشاء لعماد الدين زنكي، ثم من بعده لابنه نور الدين، انظر «كتاب الروضتين»: ٢٩/٢ بتحقيقي، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ذكر العماد في «الخريدة» أن ولادته سنة (٤٦٧هـ)، وذكر ابن عساكر أنه ولد سنة (٤٧٧هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) البيتان في «الخريدة» قسم الشعراء الشام: ٣٣/٢.

يا نَسِيمَ الرُّوضِ من تلك الرُّبَا وَمَدِيدَ الظِّلِّ من تلك القِبابِ
 ما نَسِينَاكَ وإن شَطَّ بِنَا خَبَبُ الجُرْدِ وإيجافُ الرُّكابِ^(١)
 لا ولا غَيَّرْنَا مِن عَهْدِنَا لك تبديلُ بِعادٍ باقْتِرَابِ
 [قال الحافظ ابن عساكر]^(٢): قدم دمشق سنة أربع عشرة [وخمسة مئة]^(٣)، ثم توجه
 إلى مصر، فتوفي بها يوم الجمعة منتصف ربيع الآخر، ودفن بقرب الشافعي - رحمة
 الله عليه - وشاكر ولده كان مُنْشِئاً لنور الدين محمود بن زُنْكي، رحمة الله عليه.

عبد الله بن يحيى بن البهلول^(٢)

الأندلسي من مدينة سَرَقُسطة، ومن شِعره: [من الطويل]
 ولستُ بمن يبغي على الشُّعْرِ رِشْوَةً أبى ذاك لي جدُّ كريمٍ ووالِدُ
 وإنِّي مِن قومٍ كِرامٍ وَمَجْدُنَا^(٤) تُباعُ عليهم بالألوفِ القصائدُ
 نزل مرو الروذ، وبها توفي، وكان قافلاً.

علي بن [حرب]^(٥) أبو طالب السَّمِيرَمي^(٦)

وزير السلطان محمود، وسَمِيرَم: قريةٌ بأصبهان.
 كان ظالماً، مجاهراً بالظُّلم والفِسق، وأعاد المكوس إلى بغداد لما دَخَلها محمود،
 وكان يقول: [لقد]^(٢) سَنَنْتُ على أهل بغداد السُّننَ الجائرة، وكل ظالمٍ يتبع فعالي وما

(١) الخبب: ضرب من العدو، وقيل: هو مثل الرَّمْل، والجُرْد جمع، مفردها أجرد، وهو من الخيل القصير
 الشعر، وهو من علامات العتق والكرم، والإيجاف: من الوجف: سرعة السير، يقال: وجف الفرس يجف
 وجفاً ووجيفاً: أسرع، انظر «اللسان» (خبب، وجرد، وجف).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب: ٣٠٥/١ - ٣٠٦.

(٤) في «الخريدة»: وإني من قوم قديماً ومحدثاً.

(٥) في (ع) بياض، وما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش)، وهو كذلك في أحد نسخ «المنتظم»، وقد جاء في
 مصادر ترجمته: علي بن أحمد، وعند ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ١٨٩/٢: علي بن أحمد بن حرب،
 فيكون قد نسب إلى جده، والله أعلم.

(٦) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٣٩/٩ - ٢٤١، و«دولة آل سلجوق»: ١٢٧ - ١٢٨، و«الكامل»: ٦٠١/١٠ -

٦٠٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٣٢/١٩ - ٤٣٣.

أَسْلَمَ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ فَرَشْتُ حَصِيرًا فِي جَهَنَّمَ، وَقَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ كَثْرَةِ التَّعْدِي عَلَى النَّاسِ، وَظُلْمِي مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ. وَكَانَ هَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي قُتِلَ فِي صَبَاحِهَا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ جَوَادًا مُمَدِّحًا، مَدَحَهُ أَلْفُ شَاعِرٍ، وَكَانَ يَجِيزُهُمْ جَوَائِزَ كَثِيرَةً، وَكَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى السَّفَرِ إِلَى أَصْبَهَانَ، وَسُرَادِقُهُ مَضْرُوبٌ ظَاهِرٌ بِغَدَادٍ، وَهُوَ يَمْتَنِعُ مِنَ الْمَسِيرِ لِيَأْخُذَ لَهُ الْمُنْجَمُونَ طَالَعَ الْوَقْتَ، فَقَالَ: أَذْخُلُ الْحَمَّامَ وَأُخْرِجُ وَقَدْ اسْتَوَى الطَّالِعُ. فَرَكِبَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْغُلَّامَانِ بِالسُّيُوفِ وَالْأَسْلِحَةِ خَلْقٌ عَظِيمٌ، فَاجْتَازَ بِالْحَضَائِرِ عِنْدَ سَوِّقِ الْمَدْرَسَةِ^(١) قَرِيبًا مِنَ النُّظَامِيَةِ، وَدَخَلَ فِي زُقَاقٍ ضَيِّقٍ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ، فَجَذَبُوهُ مِنَ الْبَغْلَةِ، فَسَقَطَ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ، وَبَرَكَ عَلَى صَدْرِهِ شَيْخٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أَنَا مُسْلِمٌ مُوَحِّدٌ، وَهَذَا كَافِرٌ ظَالِمٌ. وَالْوَزِيرُ يَصِيحُ: أَنَا مُسْلِمٌ، وَرَجَعَ أَصْحَابُ الْوَزِيرِ عَلَى الشَّيْخِ، فَضَرَبُوهُ بِسُيُوفِهِمْ وَهُوَ عَلَى صَدْرِهِ، فَمَا اسْتَرَحَّثَ يَدَاهُ حَتَّى ذَبَحَ الْوَزِيرُ كَمَا تَذْبَحُ الشَّاةُ، وَقَتَلُوا الشَّيْخَ وَأَصْحَابَهُ، وَأَخَذُوا بَارِيَّةً^(٢) مِنْ جَانِبِ الطَّرِيقِ، فَحَمَلُوا عَلَيْهَا الْوَزِيرَ.

وكَانَتْ زَوْجَتُهُ قَدْ خَرَجَتْ بُكْرَةً ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَى بَغْلَةٍ تَسَاوِي ثَلَاثَ مِائَةِ دِينَارٍ، وَفِي عُنُقِهَا طَوْقٌ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهَا الْجَنَائِبُ بِمَرَاقِبِ الذَّهَبِ، وَمَعَهَا مِائَةُ وَصِيفَةٍ بِمَرَاقِبِ الذَّهَبِ الْمُرَصَّعَةِ بِالْجَوَاهِرِ، وَبَيْنَ يَدَيْهَا الْخَدَمُ وَالْغُلَّامَانِ وَالْحَوَاشِي، وَجَاءَتْ إِلَى سُرَادِقِهِ، فَرَأَتْهُ مَمْلُوءًا بِأَنْوَاعِ الْفُرُشِ، وَالصَّنَادِيقِ مَمْلُوءَةً بِالذَّنَانِيرِ، وَرَأَتْ فِي الْخِيَمِ شَيْئًا عَظِيمًا، فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهَا نَعِيُهُ، فَخَرَجَتْ مَعَ جَوَارِيهَا حَاسِرَةً، وَهَنَّ نَاشِرَاتِ شَعُورَهُنَّ يَلْطُمْنَ وَيَصْرُخْنَ، فَكُنَّ كَمَا قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ: [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمْلِ]

رُحْنٌ فِي الْوَشْيِ وَأَصْبَحُ نَ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ
[كُلُّ نَظَّاحٍ مِنَ الدَّهْرِ رِ لَهُ يَوْمٌ نَظُّوْحُ]

وَقَدْ ذَكَرْنَا الْأَبْيَاتَ فِي تَرْجُمَةِ الْمَهْدِيِّ^(٣)

(١) فِي «الْمُنْتَظَمِ»: ٢٤٠/٩: فَقَصَدَ سَوِّقَ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي وَقَفَهَا خَمَارَتُكَيْنِ الشُّشِيِّ.

(٢) الْبَارِيَّةُ: الْحَصِيرُ الْمَنْسُوجُ، فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ، انْظُرْ: «اللِّسَانُ» (بِرِي).

(٣) مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (م) وَ(ش)، وَانْظُرْ «دِيَوَانَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ»: ٩٨.

[قلت]^(١): وهذا هو المشهور في قتله. [وقد رأيتُ في «تاريخ السلجوقية» في مقتلة وجهاً آخر، وذلك أنَّ السُّمَيْرِيَّ]^(٢) لما قَتَلَ الطُّغْرَائِيَّ تَجَرَّدَ لَهُ غِلَامٌ أَسْوَدٌ مِنْ غِلْمَانِ الطُّغْرَائِيَّ، وَرَصَدَهُ مُدَّةً طَوِيلَةً، حَتَّى دَخَلَ الْحَمَّامَ وَغَفَلَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ، فَضْرَبَهُ عِدَّةً سَكَكِينَ، فَحَمَلَ إِلَى دَارِهِ وَهُوَ مُتَخَنٌّ بِالْجِرَاحِ، فَخِيطَتْ وَعُوفِي، ثُمَّ احْتَالَ ذَلِكَ الْأَسْوَدُ حَتَّى تَسَوَّرَ عَلَيْهِ الْحَائِطَ لَيْلَةً، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَحَدٌ فَقَضَى عَلَيْهِ، [والأول أشهر]^(٣).

وكان قتله يوم الثلاثاء سَلَخَ صَفَر، ومُدَّةُ وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر وأياماً.

القاسم بن علي بن محمد بن عثمان^(٢)

أبو محمد، الحريري، البصري، صاحب «المقامات»، كان يسكن مَحَلَّةَ بَنِي حَرَامٍ بِالْبَصْرَةِ.

ولد في حدود سنة ست وأربعين وأربع مئة، وسمع الحديث، وقرأ الأدب واللغة، وفاق أهل زمانه بالذكاء، والفطنة، والفصاحة وحُسن العبارة، وله ديوان شعر ومراسلات [ومكاتبات]^(١)، وكانت وفاته بالبصرة، [وروى عنه شيوخ شيوخنا مثل ابن النُّقُور وغيره، وكان أُوحد أهل زمانه]^(٢).

نُبذة من كلامه:

كتب إلى بعض أصدقائه: الخادِمُ على نأي خِطَّتِهِ^(٤)، وتقاصر خُطُوتِهِ، ممن يُخْلِصُ في الولاء، ويعتكفُ على إقامة وظائف الدُّعاء، ويهدي الثَّناء الذي يُنبِجُ مُحْيَاهُ، وتَتَأَرَّجُ رِيَّاهُ.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ب): وفي تاريخ السلجوقية أنه لما قتل الطغرائي. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ٩٥/٤، ١٢١، و«نزهة الألباء»: ٣٧٩ - ٣٨١، و«خريدة القصر» قسم شعراء

العراق: ج ٤ مج ٢/ ٥٩٩ - ٦٧٤، و«المنتظم»: ٢٤١/٩، «معجم البلدان» ٢/ ٢٣٥، و«معجم الأدباء»:

١٦/ ٢٦١ - ٢٩٣، و«إنباه الرواة» ٢٣/ ٢٧، و«وفيات الأعيان»: ٦٣/ ٤ - ٦٨، و«سير أعلام

النبل» ١٩/ ٤٦٠ - ٤٦٥، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٤) الخطة: الأرض، أو الدار تختطها لنفسك، جمعها خطط.

وكتب: وَرَدَ كِتَابُ فُلَانٍ لَا زَالَتْ مِتْلَالَةٌ لِيَالِيهِ، حَالِيَّةٌ مَعَالِيهِ، مَهْتَزَّةٌ عَوَالِيهِ^(١)، فَتَلَقَّاهُ كَمَا يَتَلَقَّى الْإِنْسَانُ، صُحُفَ الْإِحْسَانِ الْإِحْسَانِ، لَا بَلْ كَمَا يَتَلَقَّى بِأَنَامِلِ الرَّاحِ^(٢)، كَاسَاتِ الرَّاحِ^(٣) مِنْ أَيْدِي الصُّبْحِ، عِنْدَ نَسَمَاتِ الصُّبْحِ، وَهُوَ يَأْمَلُ مِنَ الشَّيْمِ الْحُسْنَى، وَالْمَكَارِمِ الَّتِي تُرَوَّى وَتُرَوَّى أَنْ يُنْزَلَ هَذِهِ الْخِدْمَةُ حِينَ تُقْرَأُ، مَنْزِلَةُ الضَّيْفِ الَّذِي يَسْتَوْجِبُ أَنْ يُقْرَى.

وَقَالَ: فُلَانٌ يَعْتَزِي [إِلَى]^(٤) الْجَنَابِ الْعَزِيزِ، وَيَمُتُّ بِالْإِخْلَاصِ^(٥) الْمُؤَفِّي عَلَى خُلَاصَةِ الْإِبْرِيْزِ.

وَقَالَ يَمْدَحُ الْوَزِيرَ نَصْرَ الدِّينِ^(٦): [مِنْ الْبَسِيطِ]

طَيْفٌ أَلَمَ بِهِ وَهْنًا فَحَيَّاهُ ^(٧)	لَمَّا حَبَاهُ بُرُؤِيَاهُ وَرَيَّاهُ
سَرَى إِلَيْهِ فَسَرَى إِلَيْهِ هَمٌّ عَنْهُ فَمَا	أَبْرَهُ ^(٨) عِنْدَ مَشْرَاهُ وَأَشْرَاهُ
أَعْجَبَ بِهِ كَيْفَ وَافَى غَيْرَ مُخْتَشِمٍ	وَمَنْ هَدَاهُ وَأَهْدَاهُ وَهَدَّاهُ
أَزُورُهُ وَهُوَ مُزُورٌ وَأَنْصَحُهُ	وَيَسْتَرِيْبُ وَأَغْشَاهُ فَأَخْشَاهُ
يَرْعَى الْقُلُوبَ وَلَا يَرْعَى لِعَاشِقِهِ	وَلَوْ أَلَبَّ بِمَغْنَاهُ لِأَغْنَاهُ
وَعُذَّلِي فِيهِ لِي لَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا	كَيْفَ زَانَ اللَّمَى فَاهُ لِمَا فَاهُوا
وَعَيْشِهِ وَهُوَ فِي شَرْعِ الْهَوَى قَسَمٌ	إِنِّي عَلَى بُعْدِ مَهْوَاهُ لِأَهْوَاهُ
وَكَمْ تَعَرَّضَ لِلْقَلْبِ الْمُعَذَّبِ مِنْ	مُسْتَعَذَّبِ الدَّلِّ لَوْلَاهُ لَوَالَاهُ

(١) العوالي جمع، مفردها عالية، وهي من الرماح أَسْتَهَا، «اللسان» (علا).

(٢) الراح جمع، مفردها راحة، وهي الكف، «اللسان» (روح).

(٣) الراح: الخمر، «اللسان» (روح).

(٤) يعتزي، ينتسب، وما بين حاصرتين من «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ٤/ مج ٢/ ٦٥٩.

(٥) في (ع) و(ب): وامت علي بالإخلاص، والمثبت من «الخريدة».

(٦) هو سعد الملك وزير السلطان محمد بن ملكشاه، وقد سلفت ترجمته ص ١٣ من هذا الجزء، وقد صرح باسمه

في أحد أبيات القصيدة مما أورده العماد في «الخريدة» فقال:

سعد الملوك استمع مدحاً أتيت به من خادم لك أنشاه ووشاه

(٧) في «الخريدة»: فأحياه.

(٨) في «الخريدة»: أسره.

يا صاحبي أنهدا بي نحو مَعَهْدِهِ
 واستَغْطَفاه لِمَثْبُولِ الْفُؤَادِ لَقِي
 فَإِنْ سَخَتْ لِي يَدَاهُ فَاشْكُرَا يَدَهُ
 واستَصْرِخَا بنصير الدين تَعْتَلِقَا
 هو المجيبُ دُعا الدَّاعي فكم أَمَلٍ
 وكم إليه لجا مِنْ دَهْرِهِ رَجُلٌ
 طَوَّدَ أَشْمٌ فَأَمَّا حِينَ تَسْأَلُهُ
 وسائلٍ عن معاليه فقلتُ له
 هو النُّضَارُ الْمُصَفَّى سِرُّ جَوْهَرِهِ
 تَوَطَّدَ الْمُلْكُ إِذْ عَانَتْهُ هِمَّتُهُ
 فالدين والعلم والأقوام قاطبةً
 فاسمع مديحاً فصيحاً قد أُتِيَتْ بِهِ
 هذي أياديك عندي، والكريم إذا
 من أبيات^(٢)

فالقَلْبُ صَبٌّ بِمَرَاهِ وَمَرْعَاهِ
 عَسَاهُ يُنْعِشُ مُلْقَاهُ بِمَلْقَاهِ
 وَإِنْ سَطَّتْ بِي كَفَّاهُ فَكُفَّاهُ
 مِنَ الذُّمَامِ بِأَوْفَاهُ وَأَوْفَاهُ
 نَادَى نَدَاهُ فَأَمْضَاهُ وَأَنْضَاهُ
 فَعَمَّه الدَّهْرُ^(١) إِذْ أَلْجَاهُ وَالْجَاهُ
 فَمَا أَرَقَّ مُحْيَاهُ وَأَخْيَاهُ
 قَوْلًا تَحَقَّقَ مَعْنَاهُ وَمَغْنَاهُ
 وَالنَّاسُ مِنْ بَعْدِ أَشْبَاهُ وَأَشْبَاهُ
 واستَبْشَرْتُ حِينَ رَاعَاهُ رَعَايَاهُ
 راضونَ عَنْ سَعْيِهِ وَاللَّهُ، وَاللَّهُ
 مِنْ خَادِمٍ لَكَ أَنْشَاهُ وَوَشَّاهُ
 مَا أَوْدَعَ الْعُرْفَ مَنْ وَالَاهُ وَالَاهُ

السنة السابعة عشر وخمس مئة

فيها في المحرم رحل المسترشد من بغداد، وقرأ عليه في مسيره أبو الفرج محمد بن عمر الأهوازي جزء ابن عرفة^(٣)، وحمل أعلامه خدومه الخواص وكذا الشمسة، وسببه أنه بلغه أن جماعة من الباطنية [قد]^(٤) قدموا بغداد في زي الأتراك، فاخترز، وقال: لا يذنُ مني غير الخدم الخواص. وسار إلى النيل^(٥)، ورثب سنقر البرسقي العساكر

(١) في «الخريدة» الأمن، وهو الأشبه.

(٢) انظر القصيدة مع اختلاف في بعض الألفاظ وترتيب الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ٤/ مج ٢ / ٦٠٨ - ٦١٤.

(٣) هو جزء حديثي للحسن بن عرفة المتوفى سنة (٢٥٧ هـ). وكان قد بلغ علو الإسناد إلى حديثه زمن المسترشد وما بعده، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١١ / ٥٤٧-٥٥١، و«الرسالة المستطرفة»: ٨٧.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) النيل: بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد، «معجم البلدان»: ٥ / ٣٣٤.

صفوفاً، بين كلِّ صَفَيْنِ مجالٍ للخيْل، وأقبل دُبَيْسٌ وقد رَتَّبَ عسكره صَفًّا واحداً، وقد مَنَّاهم ووعدَهم نَهَبَ بغداد ودار الخليفة، وبين يديه البغايا والمخانيث بالدفوف والملاهي والزمور والخمور، وعسكر الخليفة يعجُّ بقراءة القرآن والتسبيح والدُّعاء.

وفي هذه الليلة اجتمع أهلُ بغداد إلى المساجد، وقرؤوا الختمات، وابتهلوا إلى الله تعالى بالأدعية.

ولما تراءى الجمعان، وكان البرُسُقي في الميمنة، وزُنكي بن آق سُنْقُر في الميسرة، ومقدَّم رَجَّالة دُبَيْسٍ عنتر بن أبي العسكر الكردي فحمل، فتتبع الصفَّ الأول، وكان الخليفة، ووزيره أحمد بن نظام المُلْك في آخر الصُّفوف، فقال له الخليفة: ما ترى؟ فقال: يا أمير المؤمنين اصعدِ العتيق، فصعدَ والأعلام على رأسه، والشمسة والمهْدُ بين يديه، وشَهَرَ الخليفةُ سيفه، وكَبَّرَ، وتأخَّرَ عنتر، ويقال: إنه خامَرَ على دُبَيْسٍ، وحمل زُنكي بن آق سُنْقُر، فأَسَرَ عنترًا، وحَمَلَ البرُسُقي والعساكر والخليفة، فانهزم دُبَيْسٌ، وقُتِلَ مُعْظَمُ أصحابه، وأُسرُوا ونُهَبُوا، وغَنِمَهُمُ الخليفة وعسكره، وفاتَهُم دُبَيْسٌ، فجاء إلى الفرات، ومعه نَفَرٌ يسير، فرمى سلاحه، وألقى نفسه في الفرات، وأدركته الخيلُ، وهناك امرأةٌ عجوز تغسلُ الثياب، فعرفت دُبَيْسًا، فقالت: هاه، دُبَيْرُ جِثَّت. فقال: دُبَيْرُ مَنْ لم يجيء. وأتى القتلُ على مُعْظَمِ أصحابه؛ وكان أحدهم إذا قُدِّم ليقْتل يقول: فِداكَ يا دُبَيْس. وقُتِلَ جميعُ الرَجَّالة والمخائنة والبغايا، وأُسرُوا ثلاثة آلاف، ولم يُقتل من عسكر الخليفة سوى عشرين فارساً، وعاد الخليفة إلى بغداد يوم عاشوراء، فكانت غيبته ستة عشر يوماً^(١).

ولما عاد ثار العوام ونهبوا مقابر موسى بن جعفر^(٢)، وقلعوا شباييكه، وما كان فيه من الودائع والذخائر، وبلغ الخليفة، فأنكر ذلك، وبعث نظر الخادم إلى المشهد يتبعُ المُفسدين، وردَّوا بعضَ ما أخذوا^(٣).

(١) انظر «المنتظم»: ٢٤٢/٩ - ٢٤٣، و«الكامل»: ١٠/٦٠٧ - ٦٠٩.

(٢) وتسمى كذلك مقابر قريش، وهو الأشهر، انظر: «معجم البلدان»: ١٦٣/٥.

(٣) انظر «المنتظم»: ٢٤٣/٩، و«الكامل»: ١٠/٦٠٩.

وكان عليُّ بنُ أفلح قد قدم على الخليفة فأكرمه، ولقبه جمال الملوك، فظهر أنه عَيْنٌ لدَّيس، فنَقَضَ دارَه، فهرب^(١).

وفي صفر أُشير على الخليفة بعمل السُّورِ على بغداد، وجبوا العقار وأملاك النَّاسِ، فضَجُّوا، فكتب القاضي أبو العباس بن الرُّطبي إلى الخليفة رُقعةً يقول فيها: الخادم - أدام الله ظلَّ المواقف المقدَّسة - يطالع بما يعتقد أنَّ أداءه حَقُّ النُّعمة عليه، وإنَّ كَتَمَه كان مقصِّراً في تأدية ما يجب عليه، وعالماً أنَّ الله يسأله عنه. فلو قيل لي: يا أحمد بن سلامة، قد خدمتَ العِلْمَ منذ الصُّبا حتى انتهيتَ إلى سنِّ الشيخوخة، وقد علمتَ أنَّ النَّاصح قليل، والمُشفق نادر، وقد خدمتَ إمام العصر خدمةً زال معها الارتباب عنده فيما تنهيه، وهو - أدام الله علوه - لا تُنْهَى إليه حقائق الأحوال إلا من جانبٍ مخصوص، فما عُذْرُكَ يا أحمد عند الله في كِثْمَانِكَ، وليس يراد من مثلك إلا قول الحق، وإيراد الصَّدق؟ وهذه أوقاتُ الأولى فيها استمالةُ القلوب، وإذاعةُ الصَّدقات والأعمال الصالحات، وحَقُّ الله يا مولانا إنَّ الذي يتحدَّث به العوام فيما بينهم [من]^(٢) أنَّ أحدهم كان يعودُ في معيشتِه ويأوي إلى منزله، فيدعو بالنَّصر والحِفْظ للدولة، وقد صاروا^(٣) يجتمعون في المساجد والأماكن شاكين مما قد التمسَ منهم، ويقولون: كُنَّا نسمع أنَّ في البلد الفلاني مصادرة فنعجب، ونحن الآن في كَنَفِ الإمامة المُعظَّمة نشاهد ونرى. وقد أصبح النَّاسُ بين محسنٍ للظَّنِّ ومسيءٍ؛ فالمحسن يقول: ما عند الإمام خبرٌ مما يجري، ولو عَلِمَ لما أقرَّهم عليه. والمسيء يقول: الفاعل لهذا أقل من أن يُقدِّم عليه إلا عن عِلْمِه ورَضَى، وفي هذا اليوم حَضَرَ عند الخادم رجلٌ صالح يُعرف بالأزْموي، فبكى وأنشد: [من الطويل]

لَيْبِكَ عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ كَانَ بَاكِياً

وقال لي: دويراتٌ بالجعفرية أُجْرَتْها في كلِّ شهرٍ دينار وقد طُوبت بسبعةِ دنانير! فيامولانا، الله الله في الدِّين والدَّولة من هذا الفِعْل الذي قد شاع ولا مساغ له في

(١) ستأتي ترجمته (وفيات سنة ٥٣٣هـ)، وانظر قصة داره ثمة.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ع) و(ب): صار، والمثبت من «المنتظم».

الشَّرْع، ولا يخلو أعداء الدولة من أن تكون لهم عيونٌ ترفعُ إليهم مثل هذه الأخبار، فما بَلَغَ الأعداءُ في القَدْح في الدولة بمثل هذا، وماذا يراد من المال إلا إنجاد الأولياء والأنصار، وليس إلا عزمة من العزمات الشريفة تُصلحُ بها ضمائر الرعية، ويؤمر النُّوَّاب بإعادة ما أُخِذَ من الفقراء، وإن كان ما أُخِذَ من الأغنياء باقياً يعاد إليهم، وإن مَسَّت الحاجة يُسْتَقْرَضُ منهم، ويكون ديناً على الخزائن، والخادِمُ وإن كان قد أطل فهو معذور لما في قلبه من هذه الشَّاعات، والرأي أعلى.

فلما وقَفَ الخليفةُ على الرُّقعة ردَّ على النَّاس ما أُخِذَ منهم، وأمرَ بِعمارة السُّور من ماله، وكان ابتداءً عمارته في نصف صفر، وكان أهلُ كل مَحَلَّةٍ يَخْرُجُونَ بالطُّبول والزُّمور يعملون يوماً.

وعَزَمَ الخليفة على خِتان أولاده، وأولاد إخوته وكانوا اثني عشر، فزُيِّنَت بغداد، وعُمِلَت القِباب، وعَمِلَت خاتون قُبَّةً على باب النوبي، وعَلَّقَت عليها من السُّتور الدِّباج والحُلِيِّ والجواهر ما أَذْهَلَ النَّاسَ^(١).

وأما دُيُوس فإنه نجح في البرية، ونزل على غَزِيَّة^(٢). وسألهم أن يحالفوه، فقالوا: نحن بطريق مكة، وما يمكننا معاداة الملوك، وأنت بعيد النَّسبِ منا، وبنو المنتفق أقرب نسباً إليك. فمضى إليهم، فحالفوه، وقصد البصرة في ربيع الأول، ونهب ما في مشهد طلحة والزبير رضي الله عنهما، وقتلَ خَلْقاً كثيراً، وعَزَمَ على قَطْع النَّخيل، فصانعه أهلها على مالٍ، فأخذه وَرَحَلَ^(٣).

وفيها قبضَ محمود على وزيره عثمان بن نظام الملك، وقتلَه، وبعث إلى الخليفة بعزل أخيه أحمد، فبلغه ذلك، فانقطع في داره، وبعث إلى الخليفة يسأله أن يُعْفَى من الحضور في الديوان، فأجابه، ولم يُؤَذَّ بشيء.

وناب أبو القاسم بن طراد في الوزارة، ثم بعث الخليفة إلى عميد الدولة بن صدقة، فأحضره من الحديث، فجاء، ونزل بالحريم الطاهري، فأقام أياماً، وبعث له الخليفة

(١) انظر «المنتظم»: ٢٤٣/٩ - ٢٤٥.

(٢) في «الكامل»: ٦١٠/١٠ أنهم من عرب نجد، وانظر «الأنساب»: ١٤٤/٩ - ١٤٥، و«نهاية الأرب» للقلقشندي: ٣٤٧.

(٣) انظر «المنتظم»: ٢٤٥/٩، و«الكامل»: ٦١٠/١٠.

الزَّبَرَب^(١) وجميع أرباب الدولة، ومع سديد الدولة خَط الخليفة وهو: أَجِبْ يا جلال الدين داعي التوفيق مع مَنْ حَضَرَ من الأصحاب لتعود إلى مستقرِّ عِزِّكَ مُكْرَمًا. فأقبلَ معهم، وجَلَسَ للوزارة في الديوان سادس ربيع الآخر.

[وفي جمادى الآخرة]^(٢) ورد ابنُ الباقرِحي بكُتُبِ سنجر ومحمود بتسليم النظامية إليه، فلم يرضَ به الفقهاء، فألزمهم الخليفة.

ثم وردَ في آخر شعبان أسعد المِيهَنِي، فأخذَ المدرسة والنَّظَر فيها وفي نواحيها، وقلَّل جامكيات الفقهاء، فامتنعوا من الحضور عنده، فخرج إلى السُّلطان ليعرِّفه، واستناب خواجا أبا الفتح بن برهان، فذكر الدَّرْسَ يوماً، فأحضره الوزير ابن صدقة، وأسمعه ما يكره، وتقدَّم إلى القاضي بردُّ شهادته، وألزم بيته، وأمر ابنُ صدقة أبا منصور بن الرِّزَّاز بالنيابة في المدرسة^(٣).

وفيها توفي وزيرُ رضوان صاحب حلب، وهو أبو الفضل بن الموصول، وكان حَسَنَ السَّيْرَةِ، عادلاً، يفعل الخير، ويسكت عن الشرِّ^(٤).

وفيها وَصَلَ الأسطول المصري إلى صُور، وهو مشحَن بالمال والرجال البحرية والعسكرية، وكان في نفس الوالي بصور من قِبَلِ المصريين أن يعمل على سيف الدولة مسعود الوالي من قِبَلِ طُغَتَيْكِينَ، فلما خَرَجَ للسلام على والي الأسطول سأله النزول، فنزل في المركب، فاعتقلوه، وبعثوا به إلى مصر، فأكرم، وأنزل في دارٍ، وأطلق له ما يحتاج إليه. وكان السبب في اعتقاله أنَّ الشكاوى من أهل صور كَثُرَتْ إلى صاحب مصر منه، وأنه يكلفهم ما لم تجر به العادة، وكان قد أضرَّ بهم، فاقتضى التدبيرُ اعتقاله، لكن كان في ضمن خروجه منها أخذُ الفرنج لها^(٥).

(١) ضرب من السفن، «اللسان»، (زيب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) انظر «المنتظم» ٢٤٥/٩ - ٢٤٦.

(٤) انظر: «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٢٩، وقد ذكر ذلك في حوادث سنة (٥١٦هـ).

(٥) انظر المصدر السالف.

وفيها سار الأمير نور الدولة بلك بن أرتق إلى الرها في رجب، فخرج إليه منها جيشٌ كثيف فيه جوسلين وابن خالته كليان، والتقوا على سروج، فهزَمَهُمْ، وأخذ جوسلين وابن خالته وأعيان الفرنج أسارى، وقتل منهم مقتلةً عظيمة^(١).

وفيها توفي الحاجب فيروز شحنة دمشق، وكان صالحاً، وله آثار^(٢).

وفيها سَلَّم صاحب حلب الأثارب إلى الفرنج، وجَرَتْ مَوادعة^(٣).

وفيها سار بغدوين [ملك الإفرنج إلى نور الدولة]^(٤) بلك [بن أرتق]^(٤) وهو على قلعة المنيطرة^(٥)، فكسره [بلك]^(٤) وأسرّه واعتقله مع جوسلين [وكان قد أسر جوسلين في هذه السنة، ونزل بلك بن أرتق]^(٤) على حمص، فأخذها عنوةً، وسار إلى حصن البارة، فملكه، وقتل أسقفَه.

وفيها أعمل الحيلة بغدوين وجوسلين وأصحابه، وهربوا من حبس بلك [وكانوا في قلعة خرتبرت، فوصلوا إلى الرها، وكان بلك بن أرتق مشغولاً بالشام، وكانوا قد]^(٤) غلبوا على خرتبرت، فعاد بلك، فاستنقذها منهم، وعاد بلك إلى حلب، وبها بدر الدولة ابن إيلغازي^(٦)، وهو ابن عمّه، فحصره، وأخذها بالأمان، وكان حسان صاحب منبج بحلب، فاعتقله، وأخوه عيسى بمنبج، فطلب بلك من حسان منبج، فلم يُعطه إياها، فسار، وحاصرها، وقاتل، فجاءه سَهْمٌ من الحصن [فقتله، وقيل: جاءه في نحره]^(٤) فذبحه، فحُمِلَ إلى حلب في تابوت، وكان معه سُكَّمان بن أرتق، فعقد له العسكرُ الإمارة، وأطلق حساناً، فعاد إلى منبج، وأقام سُكَّمان بحلب.

(١) انظر «ذيل تاريخ دمشق» ابن القلانسي: ٣٣٠، وقد ذكر ذلك في حوادث سنة (٥١٦هـ).

(٢) المصدر السالف.

(٣) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٣١، و«الكامل» ١٠/٦١٠، والأثارب: قلعة بينها وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ «معجم البلدان» ٨٩/١.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٥) كذا في النسخ الخطية، وهو خطأ، والصواب ما جاء في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٣٢ - ٣٣٣، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/٦١٣ - والخبر فيهما مغاير لما عند سبط ابن الجوزي - أن بلك كان يحاصر قلعة كركر، وهي حصن بين سميساط وحصن زياد «حصن خرتبرت» يعني غربي الفرات، والبارة: حصن نواحي حلب.

(٦) وهم سبط ابن الجوزي في قوله: ابن إيلغازي، إذ إن بدر الدولة هو سليمان بن عبد الجبار بن أرتق. انظر «معجم الأنساب» لزماور: ٣٤٦، و«ذيل تاريخ دمشق» ٣٣٢.

وفيهما توفي

أحمد بن محمد بن علي^(١)

أبو عبد الله، ابن الخياط التغلبي، الدمشقي، الكاتب الشاعر، المجيد الفصيح. ولد سنة خمسين وأربع مئة، وسافر إلى الشرق، ووصل إلى الرّي، ثم عاد إلى دمشق، ومدح الأعيان والأمراء مثل بني مُنْقِذ وبني عَمَّار، وحَسَّان بن مِسْمار صاحب صَرْخُد، وغيرهم.

ودخل حلب في حداثة سنّه، فقصد دار أبي الفتيان بن حيّوس الشاعر وقد أَسَنَ، قال: فدخلتُ عليه، فقال: مَنْ أين أنت؟ فقلتُ: من دمشق، قال: ما صناعتُك؟ قلت: الشُّعر، قال: فأنشدني من شِعرك. فقلتُ: [من الكامل]

لم يبقَ عِنْدِي ما يُباعُ بِحَبَّةٍ وَكَفَاكَ شَاهِدُ مَنْظَرِي عَنْ مَخْبَرِي
إِلَّا صُبَابَةُ مَاءٍ وَجْهٍ صُنْتُهَا مِنْ أَنْ تُباعَ وَأَيْنَ أَيْنَ الْمُشْتَرِي^(٢)
فقال: نَعَيْتَ إِلَيَّ نَفْسِي، قلتُ: وَلِمَ؟ قال: لَأَنَّ الشَّامَ لَا يَخْلُو مِنْ شَاعِرٍ مُجِيدٍ، وَلَا يَجْتَمِعُ فِيهِ شَاعِرَانِ، [وَأَنْتَ]^(٣) وَارِثِي فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ. ثُمَّ أَعْطَانِي دَنَانِيرَ وَكْسُوةً، فَخَرَجْتَ إِلَى بَنِي عَمَّارٍ، وَمَدَحْتَهُمْ فَأَجَازُونِي، وَأَحْسَنُوا إِلَيَّ، وَأَلْجَأُونِي إِلَى إِجَادَةِ شِعْرِي. ولابن الخياط ديوان شِعْر مشهور، فمنه القصيدة المشهورة التي مدح بها عَضْبَ الدَّوْلَةِ [أَبُق] بن عبد الرزّاق^(٤)، من أمراء دمشق، قال: أَقَمْتُ فِي صَنْعِهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَأَوَّلُهَا: [من الطويل]

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٢٠١/٢ - ٢٠٢، و«خريدة القصر» بداية قسم شعراء الشام: ١٤٢ - ٢٢٥، و«وفيات الأعيان»: ١٤٥/١ - ١٤٧، و«الوافي بالوفيات»: ٦٧/٨ - ٧٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٧٦/١٩ - ٤٨٢، وفيه تنمة مصادر ترجمته، وقد حقق ديوانه الشاعر الأستاذ خليل مردم بك، ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق ضمن مطبوعاته.

(٢) «ديوانه»: ٢٧٨، وانظر «الخريدة»: ١٤٣.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، وقد ذكره ابن القلانسي في «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٦٣ في وفيات سنة (٥٠٢هـ)، وقال فيه: أحد مقامي أمراء دمشق.

خُذَا مِنْ صَبَا نَجِدِ أَمَاناً لِقَلْبِهِ
وإياكما ذاك النَّسِيمَ فَإِنَّهُ
خَلِيلِي لَوْ أَحْبَبْتُمَا لَعَلِمْتُمَا
تَذَكَّرَ وَالذِّكْرَى تَشَوْقُ وَذُو الْهَوَى
غَرَامٌ عَلَى يَأْسِ الْهَوَى وَرَجَائِهِ
وَفِي الرُّكْبِ مَطْوِيٌّ الضُّلُوعِ عَلَى جَوَى
إِذَا خَطَرَتْ مِنْ جَانِبِ الْغَوْرِ^(١) نَفْحَةٌ
وَمُحْتَجِبٍ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ مُعْرِضٍ
أَغَارَ إِذَا آنَسْتُ فِي الْحَيِّ أَنَّهُ
أَهْيَمُ إِلَى مَاءٍ بُبْرَقَةٍ عَاقِلٍ
وَأَسْتَأْفُ حُرَّ الرَّمْلِ شَوْقاً إِلَى الْجَمَى^(٢)
فِيالسَّقَامِي مِنْ هَوَى مُتَجَنِّبٍ
وَمِنْ سَاعَةٍ لِلْبَيْنِ غَيْرَ حَمِيدَةٍ
وَلَسْتُ عَلَى وَجْدِي بِأَوَّلِ عَاشِقٍ
وَقَدْ طَالَمَا هَوَّمْتُ فِي سِنَةِ الْكَرَى
سَأَلَقِي بَعْضَ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ وَاثْقَاً
وَأَسْمُو عَنْ الْأَمَالِ هَمّاً وَهَمَّةً
هُوَ الْمَلِكُ يَدْعُو الْمُزْمِلِينَ سَمَاحَةً
كَأَنِّي إِذَا حَيَّيْتُهُ بِصِفَاتِهِ
أَغْرُ غِيَاثٌ لِلْأَنَامِ وَعِصْمَةٌ
وَلَمْ يُرَ يَوْماً رَاجِياً غَيْرَ سَيْفِهِ
وَتَفْخَرُ دَارٌ حَلَّهَا بِمُقَامِهِ

فَقَدْ كَادَ رِيَّاهَا يَطِيرُ بِلُبِّهِ
إِذَا هَبَّ كَانَ الْوَجْدُ أَيْسَرَ خَطْبِهِ
مَحَلَّ الْهَوَى مِنْ مُغْرَمِ الْقَلْبِ صَبِّهِ
يَتَوَقُّ وَمَنْ يَغْلِقُ بِهِ الْحَبُّ يُصْبِهِ
وَشَوْقٌ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَقُرْبِهِ
مَتَى يَدْعُهُ دَاعِي الْغَرَامِ يُلْبِّهِ
تَضَمَّنَ مِنْهَا دَاءَهُ دُونَ صَاحِبِهِ
وَفِي الْقَلْبِ مِنْ إِغْرَاضِهِ مِثْلُ حُجْبِهِ
حِذَاراً وَخَوْفاً أَنْ تَكُونَ لِحُبِّهِ
ظَمِئْتُ عَلَى طُولِ الْوُرُودِ بِشُرْبِهِ
وَقَدْ أَوْدَعْتَنِي السُّقْمُ قُضْبَانُ كُثْبِهِ
بَكَى عَاذِلَاهُ رَحْمَةً لِمُحِبِّهِ
سَمَحْتُ بَطْلَ الدَّمْعِ فِيهَا وَسَكْبِهِ
أَصَابَتْ سَهَامُ الْحُبِّ حَبَّةَ قَلْبِهِ
وَلَا بُدَّ لِي مِنْ يَقْظَةِ الْمِثْنَبِ
بِأَمْضَى شَبَابٍ مِنْ بَاطِرِ الْحَدِّ عَضْبِهِ
سُمُوَّ جَمَالِ الْمُلْكِ عَنْ كُلِّ مُشْبِهِ
إِلَى وَاسِعِ بَاعِ الْمَكَارِمِ رَحْبِهِ^(٣)
أُمْتُ إِلَى بَذْرِ السَّمَاءِ بِشُهِبِهِ
يُعَاشُ بِنُعْمَاهُ وَيُحْيَا^(٤) بِذَبِّهِ
وَلَمْ يُرَ وَقْتاً خَائِفاً غَيْرَ رَبِّهِ
وَتَشْرُفُ أَرْضٌ مَرَّ فِيهَا بِرُكْبِهِ

(١) في «الديوان»: الرمل.

(٢) في «الديوان»: اللوى.

(٣) من هنا يبدأ خرم في نسخة باريس أتى على بقية الكتاب، وكان الرمز لها بحرف (ب).

(٤) في الديوان: ويحى.

وإنَّ مَحَلًّا^(١) أُوْطِئَتْهُ جِيَادُهُ
وإنَّ زَمَانًا أَنْتَ مِنْ حَسَنَاتِهِ
وقال يمدح أبا النّجم هبة الله الأصفهاني وزير تاج الدولة تَشَّس^(٣): [من الطويل].

أَيَا بَيْنُ مَا سُلِّطْتَ إِلَّا عَلَى ظُلْمِي
فِرَاقُ أَتَى لِي إِثْرَ هَجْرٍ وَمَا أَذَى
لَوْ كَانَ لِي فِي الْوَجْدِ مَا يُقْنِعُ الضَّنَى
أَحِنُّ إِلَى سُقْمِي لَعَلَّكَ عَائِدِي
وَحَيْلُ تَمَطَّطِ بِي وَلَيْلِ كَأَنَّهُ
شَقَقْتُ دُجَاهَ وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا
مَتَى جِئْتَهُ وَالْمُعْتَفُونَ بِبَابِهِ
وَجُودٌ عَلَى الْعَافِي وَذَبُّ عَنِ الْعُلَى
وَيَكْبُرُ قَدْرًا أَنْ يُرَى مَتَكَبِّرًا
وَيَكْرُمُ عَدْلًا أَنْ يَمِيلَ بِهِ الْهَوَى
وَيُورِدُ عَنِ فَضْلٍ وَيُصْدِرُ عَنِ نُهَى
بَدِيهَةٌ رَأَى فِي رَوِيَّةٍ سُؤْدَدٍ
أَضَاءَتْ بِهِ الْأَوْقَاتُ وَالشَّمْسُ لَمْ تُنِرْ
وَشَدَّتْ أَوَاخِي الْمُلْكَ مِنْهُ بِأَوْحَدٍ
هَجَرْتُ إِلَيْكَ الْعَالَمِينَ مَحَبَّةً

وَيَا حُبُّ مَا أَبْقَيْتَ مِنِّي سِوَى الْهَمِّ
بِأَوْقَعٍ مِنْ كَلَمٍ أَصَابَ عَلَى كَلَمٍ
وَفِي الْهَجْرِ مَا يَغْنَى بِهِ الْبَيْنُ عَنْ غَشْمِي
وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَحِنُّ إِلَى السُّقْمِ
تَرَادُفٌ وَفَدِ الْهَمِّ أَوْ زَاخِرُ الْيَمِّ
قَلَائِدُ نَظْمِي أَوْ مَسَاعِي أَبِي النَّجْمِ
شَهِدْتُ بِنُغْمِي كَفَّهُ مَصْرَعُ الْعُدْمِ
وَصَدُّ عَنِ الْوَاشِي وَصَفْحُ عَنِ الْجُرْمِ
وَيَعْظُمُ مَجْدًا أَنْ يَتِيَهُ مَعَ الْعُظْمِ
وَيَشْرُفُ نَفْسًا أَنْ يَلْدَّ مَعَ الْإِثْمِ
وَيَصْمُتُ عَنِ عِلْمٍ وَيَنْطِقُ عَنِ فَهْمٍ
وَإِقْدَامُ عَزْمٍ فِي تَأْيِيدِ ذِي حَزْمٍ
وَرُؤُوسُ السَّاحَاتِ وَالْغَيْثُ لَمْ يَهْمِ
مَدَدْتُ بِهِ الْآرَاءَ بِالرَّأْيِ وَالْعَزْمِ^(٤)
وَمِثْلُكَ مِنْ يُبْتَاعُ بِالْعُرْبِ وَالْعُجْمِ^(٥)

وقال يمدح فخر الملك أبا علي عمّار بن محمد بن عمّار: [من الطويل]

هَبُّوا طَيْفَكُمْ أَعْدَى عَلَى النَّأْيِ مَسْرَاهُ
وَهَلْ يَهْتَدِي طَيْفُ الْخِيَالِ لِنَاحِلِ
فَمَنْ لِمَشُوقٍ أَنْ يُهَوِّمَ جَفْنَاهُ
إِذَا السُّقْمُ عَنِ لَحْظِ الْفَوَائِدِ أَخْفَاهُ

(١) في (ع): ولو أن محلاً، وبه لا يتزن البيت، والمثبت من «الديوان».

(٢) القصيدة بتمامها في «ديوانه»: ١٧٠ - ١٧٧، و«خريدة القصر»: ١٤٥ - ١٥٢.

(٣) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٥٠٢هـ).

(٤) في «الديوان» و«الخريدة»: بعيد غرى العقد الوكيد من الفصم.

(٥) القصيدة بتمامها في «ديوانه»: ١٤٤ - ١٥١، و«الخريدة»: ٢٠١ - ٢٠٨.

هوى كلما عادت من الشرق نفحة
وما شغفي بالريح إلا لأنها
أحب ثرى الوادي الذي بان أهله
فما وجد النضو الطليح بمنزل
كوجدني بأطلال الديار وإن مضى
دوارس عفاها النحول كأنما
ألا حبذا عهد الكثيب وناعم
ليالي عاطتنا الصبابة درها
ولله وادٍ دون رملة عالج^(١)
أنشد أرواح العشيّات كلما
وأكمد محزون وأوجع ممرض
وبالجزع حي كلما عن ذكرهم
تمنيّتهم بالرقمتين ودارهم
سقى الوابل الهطال ما حل ربيعكم
وجرّ عليه ذيله كل خاطر^(٢)
وما كنت لولا أن دمعني من دم
على أن فخر الملك للأرض كافل
أخو الحزم ما فاجاه خطب فكاده
تحامثني الأيام عند لقاءه
إلى الملك الجعد الجزيل عطاؤه

أعاد لي الشوق الذي كان أبداه
تمرّ بحيّ دون رامة مشواه
وأصبو إلى الربيع الذي مَحَّ مغناه
رأى وزده في ساحته ومرعاه
على رسمها كَرَّ العصور فأبلاه
وجدن بكم بعد النوى ما وجدناه
من العيش مجرور الذبول لبسناه
فلم يبق فيها منهل ما وردناه
يصح إذا اغتلّ النسيم خزاماه
نسبن إلى رياء الأحبة رياءه
من الوجد شاك ليس تُسمع دغواه
أما الهوى مني فؤادا وأخياه
بوادي الغضا يا بعد ما أتمناه
ويروحه ما شاء يوما وغاداه^(٣)
إذا ما مشى في عاطل التراب حلاه
لأحمل منّا للسحاب بسقياه
بفيض ندى لا يبلغ القطر مسراه^(٤)
وذو العزم ما عاناه أمر فعناه
كأنّي فيها بأسه وهي أعداه
إلى القمر السعد الجميل مُحياه^(٥)

(١) في «الديوان» و«الخريدة»: ولله وادٍ دون ميثاء جاهز.

(٢) في «الديوان» و«الخريدة».

سقى الوابل الربيعي ما حل ربيعكم

(٣) في بعض نسخ «الديوان»: ماطر.

(٤) في «الديوان» و«الخريدة»: شرواه.

(٥) في (ع):

ورواحه ما شاء روح وغاداه

من القوم يا ما أَمْنَعَ الجارَ بَيْنَهُمْ
لأنتَ الذي أَغْنَيْتَنِي وحملتني^(١)
وسَرَبَلْتَنِي بالعِزُّ حتى تَرَكْتَنِي
فدونكَ ذا الحَمْدَ الذي جَلَّ لَفْظُهُ
فلا طُلَّ إلا من حِبائِكَ رَوْضُهُ
وقال في جوابِ كتابٍ: [من البسيط]
وافى كتابُكَ أَسْنَى ما يعودُ بِهِ
فَظَلْتُ أَطْوِيهِ مِنْ شَوْقٍ وَأَنْشُرُهُ
وأحلى مذاقَ العَيْشِ فيهم وأمرأهُ
ليالي لا مالٌ لديَّ ولا جاءهُ
بحيثُ يراني الدَّهْرُ كُفُوًّا وإيَّاهُ
ودَلَّ^(٢) على الأفهامِ في الفضلِ معناهُ
ولا باتَ إلا في فِنائِكَ مَأْواهُ^(٣)
وفدُ المَسَرَّةِ مِنِّي إذْ يوافيني
والشَّوقُ يَنْشُرُنِي فيه وَيَطْوِينِي^(٤)

عبد المنعم بن حفاظ^(٥)

ابن أحمد بن خلف، أبو البركات الأنصاري الدمشقي، ويعرف بابن البقلي.
كان جَوَاداً مُمَدِّحاً، فاضلاً، سمع الكثير، واستوزره خيرخان بن قراجا صاحب
حمص، ثُمَّ عَثَرَ عليه أَنَّهُ يَكَاتِبُ طُغْتِكِينَ، فَقَبَضَ عليه، وَكَحَلَهُ، وَرَجَعَ إلى دمشق
أعمى. توفي بها في جُمادى الأولى، وكان ثِقَّةً، وفيه يقول أحمد بن عبد العزيز
المقدسي: [من الكامل]

لم يجتمع شَرَفُ الأَصُولِ وطِيبُهَا
والجُودُ كُلُّ الجُودِ أَجْمَعُ والثُّقَى
ومحاسِنُ الأَفْعَالِ والأَلْفَاظِ
إلا لعبدِ المُنْعَمِ بنِ حِفاظٍ

= هو الملك الجعد الجزيل عطاؤه
والبيت غير متزن، والمثبت من «الديوان» و«الخريدة» وفيهما قبله:

وسير كإيماض البروق ومطلب
لبسنا الدجى من دونه وخلعناه

(١) في «الديوان» و«الخريدة»: وحميتني.

(٢) في «الديوان» و«الخريدة»: ودق.

(٣) القصيدة بتمامها في «الديوان»: ٧١-٧٦، و«الخريدة»: ١٥٤-١٥٩.

(٤) «الديوان»: ١٤٣، و«الخريدة»: ٢٢١.

(٥) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» مج ٤٣/٣٠٨، و«النجوم الزاهرة»: ٢٢٧/٥.

عثمان بن نظام المُلْك^(١)

شمس الملك. استوزره السلطان محمود، فطلبه سنجر، فقال أبو نصر المُستوفي لمحمود: متى بَعَثَ به حَيًّا إلى سنجر لم تأمنه، اقتله وابعث إليه برأسه. فبعث عنبر الخادم، فعرف فقال: أمهلني حتى أصلي ركعتين. فقام وصَلَّى، واستسلم لقضاء الله، وقال لعنبر: أرني سَيْفَكَ. فأراه إياه، فقال: سيفي أمضى منه، فلا تقتلني إلا به. فقتله بسيفه، وبعث برأسه إلى محمود، فلما كان بعد قليل بعث السلطان محمود إلى أبي نصر المستوفي مَنْ فَعَلَ به ذلك، وذَبَحَهُ ذَبْحَ شاة.

محمد بن أحمد^(٢)

ابن محمد المهدي، أبو الغنائم، الخطيب المُعَدِّل.

كان محترماً عند الخلفاء، لقَّبه المستظهر شيخ الأسرة، توفي في ربيع الأول، ودُفِنَ بباب حَرْبٍ، قريباً من بِشْرِ الحافي، عن بضع وثمانين سنة^(٣)، ممتعاً بجوارحه، وكان ذا هيئة جميلة، وصلاحٍ وصدقٍ وعفافٍ، رحمة الله عليه.

السنة الثامنة عشر وخمسة مئة

وفيها عَزَمَ دُبَيْسٌ على قَصْدِ بغداد، وكان قد التجأ إلى طُغْريل بن محمد بن ملك شاه، فتأهَّب الخليفةُ للقائهما، وَجَمَعَ الجيوش من كلِّ جانب، وتقدَّم إلى یرنقش الزَّكوي بالاستعداد، فامتنع دُبَيْسٌ من ذلك.

وفي هذه السنة وردت شحنكية بغداد إلى سَعْد الدولة یرنقش الزَّكوي، وتقدَّم إلى البُرْسُقي بالعودِ إلى المَوْصِل، وسُلِّم منصور بن صَدَقَة أخو دُبَيْس إلى الخليفة؛ سَلَّمه یرنقش، فاعتقل في دار الخليفة.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٤٧/٩ - ٢٤٨، و«الكامل»: ٦١٤/١٠ - ٦١٥، و«النجوم الزاهرة»: ٢٢٧/٥.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٤٨/٩، و«الوافي بالوفيات»: ٩٣/٢.

(٣) في «المنتظم»: أنه عاش مئة وثلاثين سنة وكسراً.

وتزوَّج الخليفة ابنة السلطان سنجر، [وتقدَّم في رجب إلى نظر الخادم بالمضيَّ إلى سنجر]^(١) لإحضار الجهة^(٢)، وكان المتولي للعقد القاضي الهروي.

[ورأيتُ في «تاريخ» أبي يعلى بن القلانسي لدمشق أن الهروي قُتِلَ في هذه السنة، فقال: وفي سنة ثمان عشرة وخمس مئة ورد الخبر من العراق بأن قاضي القضاة زين الإسلام أبا سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي^(٣)]، كان قافلاً من ناحية خراسان بجواب السلطان سنجر عما صدر على يده إليه، فدخل جامع همدان، فوثب عليه قوم من الباطنية رُتّبوا له، فضربوه بسكاكينهم حتى قتلوه وهربوا، فلم يُوقَفَ لهم على خبر [ولا بان لهم أثر]^(٤) وسنذكره إن شاء الله تعالى، [ويقال له بِشْكَان]^(٥).

وفي جمادى الأولى تكاملت المثمّنة التي تحت التّاج، وهي قائمة إلى هلمّ جرّاً، وكان الخليفة [قد]^(١) بناها لبنت [السلطان]^(١) سنجر ليبنى بها فيها، وأخذ الدُّور المشرفة على دجلة إلى مقابل مشرعة الرِّباط، ليبنى ذلك كله مسنة واحدة.

وفي شعبان وصلت الأخبار إلى بغداد، بأن قافلةً واصلت من خراسان - وقيل من دمشق - فيها باطنية قد ندبوا لقتل أعيان الدولة، مثل الوزير، ونظر، وغيرهما، وغُمز عليهم، فُصِّلِبَ البعض، وغُرِّقَ البعض، وغُمزُ على [ابن أيوب]^(١) قاضي عُكْبَرَا، فَنُهَبَتْ داره، فَوَجِدَ فيها أجوبة منهم، ووصل الخبر [بأنهم وثبوا]^(٥) في آمد ليملكوها، فظهر عليهم أهلُ البلد، فقتلوا من الباطنية سبع مئة رجل.

وفيها كاتب أهل حلب آق سُنْقَرُ البُرْسُقي إلى المَوْصِل، فسار إلى حلب، فسَلَّمَهَا إليه أهلها، وهَرَبَ سُكْمَانُ بن أَرْتُق، فلحقه البُرْسُقي بمنبج فقتله.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) الجهة لقب يطلق كناية عن زوج الخليفة أو السلطان، انظر: «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى»: ٩٣.

(٣) في (ع): وفيها قتل قاضي القضاة زين الإسلام محمد بن نصر بن مسعود الهروي، كان قافلاً... وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٣٦.

(٥) في (ع): ووصل الخبر منهم وثبوا في آمد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها استولت الفرنج على صور بالأمان، وقال ابن القلانسي: في سنة تسع عشرة وخمسة مئة^(١) ملك الفرنج صور بالأمان، وسببه خروج سيف الدولة مسعود منها، وكان قد حُمِلَ إلى مصر، وأقام الوالي الذي بها في البلد، وعَرَفَ الفرنج، فتأهبوا للنزول عليها، وعَرَفَ الوالي أنه لا قِبَلَ له بهم لِقْلَةَ الجُند والميرة بها، فكتب إلى صاحب مصر يخبره، فكتب إليه: قد رَدَدْتُ أمرها إلى ظهير الدين ليتولى حمايتها، والذَّبَّ عنها. وبعث منشوراً له بها. ونزل الفرنج عليها، وضايقوها بالحصار والقتال، حتى خَفَّتِ الأقوات، وجاء طُغْتِكِين فَتَزَلَ بانياس، وتواترت المكاتبات إلى مصر باستدعاء المؤن، فتمادت الأيام إلى أن أَشْرَفَ أهلها على الهلاك، ولم يكن لأتابك قدرة على دَفْعِ الفرنج، ويُس من مصر، فراسل أهلها الفرنج، وطلبوا الأمان على نفوسهم وأهاليهم وأموالهم، ومن أراد الخروج خَرَجَ، ومن أراد الإقامة أقام. وجاء أتابك في عسكره فوقف بإزاء الفرنج، وركبت الفرنج، ووقفوا بإزائه، وصاروا صَفِّين، وخرج أهل البلد يمرُّون بين الصَّفِّين، ولم يعرض لهم أحد، وحملوا ما أطاقوا، ومن ضَعُفَ منهم أقام، ومضى بعضهم إلى دمشق، وتفرَّقوا في البلاد، وعاد أتابك إلى دمشق، وكان دخول الفرنج [إلى صور في الثالث والعشرين من جمادى الأولى.

قال ابن القلانسي: وفيها اجتمعت الفرنج^(٢)، ونزلوا على حلب وضايقوها، فقلَّتِ الأقوات عندهم، وأشرفوا على الهلاك، فأرسلوا إلى الأمير سيف الدين البرُسُقي، صاحب المَوْصِل، يستنجدون به، [ويشرحون حالهم]^(٢)، فسار إليهم في ذي الحِجَّة بعسكره، وعَلِمَ الفرنج؛ فولَّوا منهزمين، وتبعهم سَرَعَانُ الخيل^(٣) يقتلون ويأسرون إلى أنطاكية. وكانوا قد بنوا على حلب منازل [ومساكن]^(٢) وحانات، وعزَموا على الإقامة صيفاً وشتاءً، فجاء أهل حلب من الله ما لم يكن في الحساب، وفتحوا له الأبواب، وسُرُّوا بقدومه، فَعَدَلَ فيهم، وجَلَبَ إليهم الأقوات، فَرَخُصَتِ الأسعار، وطابت القلوب، [ولم يذكر ابن القلانسي سُكْمَان بن أَرْتُق]^(٤).

(١) في المطبوع من «ذيل تاريخ دمشق» ٣٣٦ ذكر في حوادث سنة (٥١٨هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) سرعان الخيل: أوائلها. «اللسان» (سرع).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٣٦ - ٣٣٨.

وفيهما توفي

أحمد بن علي بن بَرّهان^(١)

أبو الفتح بن الحَمَّامي الفقيه الحنبلي. صَحَبَ أبا الوفاء عَقِيل، وَبَرَعَ في الأصول، والفقه، والذكاء، فَتَقَمَّ عليه الحنابلةُ أشياء لم تحتملها أخلاقهم، فانتقل، فوجد أصحابَ الشافعيِّ على أوفى ما يريده من الإكرام، ثُمَّ^(٢) ترقى حتى جعلوه مدرس النظامية، وشَهِدَ عند الزَّينبي، فقبلَ شهادته، وتوفي في جُمادى الأولى، ودفن بباب أبرز.

عبد الله بن محمد^(٣)

ابن علي بن محمد، أبو جعفر الدَّامَغاني.

شهد عند أبيه، وجعل قاضياً على ربع الكَرْخ من قبل أخيه، ثم ترك ذلك ورمى الطَّيْلَسَان^(٤)، وولي حِجْبَةَ باب النَّوبي، ثم عُزِلَ، وتوفي في جُمادى الأولى، ودُفِنَ بالشُّونِيزِيَّة، وكان كريمَ الأخلاق، حَسَنَ العِشرة، خليقاً بالرياسة.

[فصل : وفيها توفي]

أحمد بن محمد بن أحمد بن سلم^(٥)

أبو العباس بن أبي الفتوح، الخَرَّاساني الأصبهاني. ولد سنة ست وأربعين وأربع مئة، سافرَ وطلب الحديث، وحجَّ حَجَّات، وجاور بمكة سنين، وكان يعظ على مذهب الصُّوفية، ووعظ ببغداد، وَحَصَلَ له بها القَبُولُ التَّام، وعاد إلى أصفهان، وتوفي بها في ربيع

(١) في (ع) ركاب، وفي «المنتظم»: ٢٥٠/٩ - ٢٥١: تركان، وكلاهما تحريف، والمثبت من مصادر ترجمته. وله ترجمه في «الكامل»: ٦٢٥/١٠، و«وفيات الأعيان»: ٩٩/١، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: ٦٢، و«الوافي بالوفيات»: ٢٠٧/٧ - ٢٠٨، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٣٠/٦ - ٣١، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٥٦/١٩ - ٤٥٧، وفيه تنمة مصادر ترجمته، وذكر ابن خلكان أن وفاته سنة (٥٢٠هـ)، وقال الصفدي: وهو فيما أظن الصحيح.

(٢) في (ع): من، والمثبت من «المنتظم»: ٢٥١/٩.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٥١/٩، و«الجواهر المضية»: ٣٣٩/٢ - ٣٤٠، و«النجوم الزاهرة»: ٢٢٨/٥.

(٤) انظر حاشيتنا رقم ٥ ص ٧ من هذا الجزء.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٥٠/٩.

الآخر. سمع بأصبهان من أبي عثمان سعيد بن سعيد العيَّار^(١) الصُّوفي، وعبد الوهَّاب بن أبي عبد الله بن منده، وغيرهما، وبمكة من سعد الزُّنجاني وغيره، وكان صالحاً ثقة. وفيها توفي

المبارك بن جعفر بن مسلم^(٢)

أبو الكرم، الهاشمي، القارئ، قرأ القرآن، وختَمَ عليه خَلْقٌ كثير. قال جدي: وهو أوَّلُ من لقني القرآن وأنا طفلٌ صغير، وتوفي في ذي الحِجَّة عن أربعين سنة، ودفن بباب حرب^(٣).

سمع أبا محمد التَّميمي، وطراد بن محمد الزَّينبي وغيرهما، وكان صدوقاً ثقةً^(٤).

محمَّد بن نصر^(٥)

ابن منصور بن سعد، القاضي الهَرَوِي، [ويقال له بِشْكَان^(٦)]، صاحب الأبيات التي ذكرناها عند أخذ الفرنج للقدس.

وكيف تنام العين وهي قريرة

وذكرناها في سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة في غير هذه النسخة. وذكره العماد في «الخريدة».

(١) في (م) و(ش) القزاز، وهو كذلك في إحدى نسخ «المنتظم»، والصواب ما هو مثبت، وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٨ / ٨٦ - ٨٨.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٥٢ / ٩.

(٣) انظر «المنتظم»: ٢٥٢ / ٩.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

(٥) له ترجمة في «الأنساب»: ٢ / ٢٣١ - ٢٣٢، و«معجم البلدان»: ١ / ٤٢٨، و«اللباب»: ١ / ١٥٧، و«الوافي بالوفيات»: ٥ / ١١١ - ١١٢، و«الجواهر المضية»: ٣ / ٣٧٩ - ٣٨١، و«النجوم الزاهرة»: ٥ / ٢٢٨، و«توضيح المشتبه»: ٥ / ٣٧١.

(٦) كذا في (م) و(ش): وكأنه لقب له، وفي «الأنساب» و«معجم البلدان»: بشكان: قرية من قرى هراة، وينسب إليها أبو سعد، فيقال له البشكاني.

و[^(١) كان في بداية أمره ورّاقاً فقيراً في بعض المدارس، فسار إلى بغداد، وتقلب به الزّمان، واتّصل بالخليفة، وصار سفيراً بينه وبين الملوك، واستشهد هو وولد بهمّذان في شعبان، وكانت له [اليد]^(١) الباسطة في النّثر والنّظم، [حديد الخاطر، سريع الفهم، سافر إلى خراسان فمرّ]^(١) بقرية، فاخفى منه رئيسها، فكتب بديها: [من الطويل]

أقول لركبٍ عائدين إلى الحمى
فأهّدوا لفثيان النّديّ سلامنا
لنا جارة قالت لنا كيف حالكم
رأت حولنا غرثي^(٢) يرومون عندها
فقلت لها أما الجواب فإننا
فعدنا وقلنا علّ ثمّ ضرورة
شفينا قلوباً ضلّة عند ظننا
وقال: [من الوافر]

أودّعكم وأودّعكم جنّاني
وإنّي لا أريد لكم فراقاً
وأنثُر دمعتي نثر الجُمان
ولكن هكذا حكم الزّمان

السّنة التاسعة عشر وخمس مئة

فيها جسر دُبّيس بن صدقة طغريل بن محمد بن ملك شاه على قصد بغداد، وأن يطلب السلطنة، فسار، واستعد له الخليفة، وأمر بفتح باب من داره في الميدان مقابل الحلبة، وسمّاه باب النّصر - وهو باقٍ إلى هلم جرا - وجعل عليه أبواباً من الحديد، وبرز يوم الجمعة خامس صفر، وخرج سُحرة يوم الاثنين ثامنه من باب النّصر، وعليه أبهة الخلافة، وبين يديه وزيره ابن صدقة والنّقيبان، والقضاة وأرباب الدّولة والخدم مُشاة إلى باب الحلبة، ثم ركبوا إلى الشّمسية، فلما عاينوا السّرادق ترجّلوا، وهو في

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)

(٢) غرث جمع، مفردا غرث وغرثان، والأنثى: غرثى وغرثانة، من غرث، اشتد عليه الجوع. «اللسان» (غرث).

أبهة عظيمة، والشمسة على رأسه، والأعلام والكوسات والمهد بين يديه، والأمراء كلهم مشاة، فنزل السُّرادق، ورحل في تاسع صفر، فنزل الخالص، ونزل طغريل ودُبَّيس الزادان، ولما علما بخروج الخليفة عدلا عن طريق خراسان، ونزلا رباط جُلُولاء، ونزل الخليفة الدُّسكُرة، وتوجَّه طغريل ودُبَّيس إلى الهارونية ليكبسا بغداد ليلاً، ويقطعا جسر النهرِوان، فعَبَر دُبَّيس دِيَالِي على أن يتبعه طغريل، فَمَرَضَ طغريل في تلك الليلة، وتوالى مجيء المَطَر، والخليفة لا يعلم ما دَبَّراه، وقَصَدَ دُبَّيس مشرعةً هناك في مئتي فارس جريدةً، فَتَزَلَّ عندها وقد تعب، وجاء المطر عليهم طول الليل، وليس معهم خيمة، ولا زاد، ولا عليق، ووصلت جمالُ الخليفة من بغداد وعليها الزَّادُ والثياب، فأخذها دُبَّيس، ففرَّقها في عسكره، فاكثسوا وشبعوا، وبلغ الخبر إلى بغداد بمجيء دُبَّيس، فانزعج النَّاسُ، وياتوا تحت السِّلَاح، ولازم النَّسَاءُ والصبيان والمشايخ المساجد يدعون ويتضرَّعون، ووصل الخبر إلى الخليفة بأن دُبَّيساً قد دَخَلَ بغداد، فرحل منحدرًا إلى النهرِوان، فلم يشعر دُبَّيس إلاَّ برايات الخليفة قد طلعت، فلما رآها بُهِتَ وَقَبَّلَ الأرض في مكانه، وقال: أنا العبد المطرود ما إن يعفى عن المذنب. فلم يجبه أحد، فأعاد القول، فَرَقَّ له الخليفة وَهَمٌ بالعفو عنه ومصالحته، فصرفه وزيره ابنُ صدقة عن ذلك، وكان بينهما النهر، ولما علم ديبس أن السُّخْط بحاله عاد إلى طغريل، وقال: المصلحة نقصد السلطان سنجر نستجير به؛ أنت من أخيك محمود، وأنا من الخليفة. فساروا، وأما الخليفة فإنه عاد إلى بغداد، فكانت غيبته عنها خمسة وعشرين يوماً، ووصل طغريل إلى سنجر، فأجارهما، فلبَّس عليه. وقال: قد طَرَدْنَا الخليفة، وقال: هذه البلادُ بلادِي. فقبض سنجر على دُبَّيس، وَحَبَسَه في قلعة ليتقرَّب به إلى الخليفة. وخرج يرشق الزُّكوي في رجب إلى محمود، وكثُرَ على الخليفة، وقال: قد طمع في المُلْك، وَخَرَجَ من داره مَرَّتَيْنِ، وَكَسَرَ مَنْ قَصَدَه، وإن لم تَدَبِّرِ الأمرَ في حَسْمِ ذلك، وإلا اتَّسع الخرق، والذي يحمله على ذلك وزيره ابنُ صدقة؛ قد كاتب العرب، وأمراء الأطراف والأكراد. فبقي في نفس محمود من ذلك ما دعاه إلى دخول بغداد^(١).

(١) انظر «المنتظم»: ٢٥٢/٩ - ٢٥٤، و«الكامل»: ٦٢٦/١٠ - ٦٢٨.

وفيها قبضَ الأميرُ صاحبُ مصرَ على وزيره المأمون أبي عبد الله، وأحمد^(١) المؤتمن ابني البطائحي، واستولى على أموالهما وذخائريهما، وقتلهما، وكانا قد دبرا في القبض عليه^(٢).

وفيها جَمَعَ بغدوين صاحبُ القُدس [وحشد]^(٣) وقصدَ حوران [من أعمال دمشق]^(٤)، وشرع في الغارات على الأماكن القريبة من دمشق، فجمع طُغْيَكِينَ التُّرْكَمان، وكاتبَ الأطراف، ووصل إليه من التُّرْكَمان نحو ألفي فارس طالين الجهاد، وخرج من دمشق في خَلْقٍ كثير، فوصل مرج الصُّفَر [وذلك]^(٥) في السَّابع والعشرين من ذي الحِجَّة، وخرج من دمشق أخذائها ورجال الغوطة والمرج وقصر حجاج والعُقَيْبة وغيرها بالسَّلاح التَّام، وقالوا: نلحق المصاف. ولم يشكَّ أحدٌ أنَّ النَّصر في ذلك اليوم للمسلمين. وجاء الفرنج إلى مرج الصُّفَر، والتقت الطَّلائع، فلما شاهد الفرنج ذلك [الجَمْع العظيم]^(٦) علموا أنَّهم لا طاقةَ لهم بهم، فعادوا إلى خيامهم [ومنزلهم]^(٧)، فتبعهم طائفةٌ من التُّرْكَمان والأحداث، وتفرَّق العسكر في نهبِ خيم الفرنج، فلما [رأى الفرنج]^(٨) ذلك عادوا فحملوا على المسلمين، فكسروهم من أواخر مرج الصُّفَر، وهزموهم إلى عَقْبة شحورا، فقتلوا جميع الرِّجَالَة والتُّرْكَمان إلَّا من نجا بفرسه، وانهزم أتابك إلى دمشق، فوصلها آخر النهار، وقد قُتِلَ رجاله، وأُسِرَ أبطاله، وغَنِمَ الفرنج غنيمةً لم يَغْنَمُوا مثْلَها، وباتوا بعقبة شحورا عازمين على مباكرة البلد، واستعد أتابك للحصار، فأصبحوا وقد رَحَلَ الفرنج إلى منزلهم^(٩).

(١) كذا في (ع)، وفي «اتعاظ الحنفا»: حيدرة.

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٣٨ - ٣٣٩، و«الكامل»: ١٠/٦٢٩ - ٦٣٠، و«اتعاظ الحنفا»:
١١٠/٣ - ١١٦.

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

(٤) في (ع): فلما رأوا ذلك، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٣٩ - ٣٤٠.

وفيهما توفي

أحمد بن محمد بن الفضل^(١)

أبو الفضل بن الخازن، الكاتب الفاضل.

قال العماد الكاتب: مات سنة ثمانى عشرة وخمسة مئة، وله سبع وأربعون سنة، وغيره يقول: مات في هذه السنة^(٢).

ومن شعره: [من الطويل]

سُقِيتَ لمعنى حلّ فيك أجبه
فإنك أرض ما وجدت بها رضى
قد اعتلّ فيها كل شيء سوى الصبا
فلو شربوها بالدنان لما سحت
وقلّ بها الإحسان حتى رياضها
يجوز على الأشعار منها معاشر
ولولاه لم أسمح لتربك بالقطر
وضيعة حرّ ما يضيع سوى الحر
ورق سوى الأخلاق والماء والخمر
عليهم حمياها بتغتة السكر
تشح بريّاها على الريح أن تجري
أحقّ بغزل الشعر من غزل الشعر

آق سنقر البرسقي^(٣)

صاحب الموصّل كان شجاعاً جواداً، عادلاً في الرعية [وهو الذي رحّل الفرنج عن حلب]^(٤)، وكان الخلفاء والملوك يحترمونه، [وكان بين يدي الخليفة لما كسر ديساً]^(٥)، وكان قد احترز من الباطنية بالرجال والسلاح والجاندارية^(٥) وغيرهم، فدخل

(١) سلفت ترجمته ص ١١٥ من هذا الجزء.

(٢) يعني سنة (٥١٢هـ)، وقد سلفت ترجمته في وفياتها.

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٤١ - ٣٤٢، و«الكامل» ١٠ / ٦٣٣ - ٦٣٥، و«وفيات الأعيان»: ١ / ٢٤٢ - ٢٤٣، و«معجم الألقاب» ج ٤ / ٣ / ٥٨٨ - ٥٨٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩ / ٥١٠ - ٥١٢، وفيه تنمة مصادر ترجمته، وقد سلفت أخباره على السنين في هذا الكتاب، وانفرد ابن الجوزي في «المنتظم»: ٩ / ٢٥٤ بقوله: قتل هذه السنة، وتابعه على ذلك سبطه، ونقل عنه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٥ / ٢٣٠، وذكر المؤرخون أن قتله كان سنة (٥٢٠هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) الجاندارية: كلمة فارسية مركبة من كلمتين: جان بمعنى روح، ودار بمعنى حافظ، وهي تعني: الحرس، انظر «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى»: ٨٢.

يوم الجمعة جامع المَوْصِل ليصلي، فجاء إلى المقصورة، وفيها جماعة من الصُّوفية لهم عادةٌ يصلُّون فيها، فما استراب بهم، فدخل في الصَّلَاة، وتأخَّر عنه أصحابه، فوثب عليه ثلاثة في زِيِّ الصُّوفية، فضربوه بالسَّكاكين، فلم تعمل في جسده للدُّرْع الذي كان عليه، فصاحوا: رَأْسُهُ وَوَجْهَهُ. فضربوه حتى قتلوه، وَحَزِنَ النَّاسُ عليه، [لأنه كان محسناً إليهم]^(١)، وأقاموا ابنه مسعوداً مقامه.

الحسن بن هبة الله^(٢)

ابن عبد الله، والد الحافظ أبي القاسم علي ابن عساكر [صاحب التاريخ]^(١) ولد سنة ستين وأربع مئة، [وسمع البخاري من الفقيه نصر، وسمع مشايخ الشَّام]^(١) وتوفي في رمضان، ودُفن بالبَابِ الصَّغِير، [وروى عنه ولده الحافظ وغيره]^(١)، وكان صالحاً فاضلاً.

سليمان بن إيلغازي بن أُرْتُق^(٣)

صاحبُ مَيَّافَرِيقين، [قد ذكرنا أنه استولى على ميافارقين عند موت أبيه]^(٤)، كان عادلاً شجاعاً، توفي في رمضان، ودفن عند أبيه، وجاء أخوه تمرتاش من ماريدين، فدخلها، وأحسن إلى أهلها، فأحبَّوه.

عثمان بن علي^(٥)

ابن المُعَمَّر بن أبي عِمَامَة، أبو المعالي، أخو أبي سَعْد الواعظ^(٦). كان ظريفاً، وكان أخوه أبو سَعْد يلقَّب بالذِّيك، وكان عفيف الخادم يتعصَّب له دون عثمان، فما كان عثمان يُلَمُّ بعفيف، فكتب إليه عثمان: [من السريع]

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٦٣٩/٤ - ٦٤٠، و«مختصره» لابن منظور: ٨٥/٧.

(٣) له ترجمة في «النجوم الزاهرة»: ٢٣٠/٥.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) (ش)، وانظر ص ١٥٧ من هذا الجزء.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٤٨/٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٥٣/٩، و«ميزان الاعتدال»: ٤٩/٣ و«لسان

الميزان»: ١٤٨/٤ - ١٤٩، وعندهم وفاته سنة (٥١٧هـ).

(٦) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٥٠٦هـ).

أيا جمال الدَّولة المُرتجى
أجلس في الحَمَّامِ مِنْ شِقْوَتِي
والدَّيْكَ فِي دَارِكِ ذُو بَسْطَةٍ
فكَلَّمِ البَوَّابَ فِي الإِذْنِ لِي
وعش كما تُؤثِّرُ فِي نِعْمَةٍ
فضحك عفيفٌ وقَرَّبَهُ.

لكل خيرٍ كَمُ أناديكا
أغسلُ ثوبِي المُرادِيكا
يروحُ عنها ويُغاديكا
مُقَرَّباً أو كَشِكشِ الدَّيكا
تَكُبُّتُ بِالذُّلِّ أَعاديكا

هلال بن عبد الرحمن^(١)

ابن شَرِيح بن عمر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سليمان بن بلال بن رباح،
مؤدِّن النبي ﷺ.

كان حَسَنَ الصَّوْتِ بالأَذَانِ، وطافَ الدُّنْيَا، وتوفي بِسَمَرْقَنْدَ، وكنيته أبو سعيد.

السَّنة العُشْرُونَ وَخَمْسُ مِئَةٍ

فيها كَتَبَ السُّلْطَانُ محمود إلى الخليفة يشكره على قتال طغريل، ويهتته بالفَتْح،
ويقول: قد عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا فعلتَ هذا لأَجَلِي، وأنا خادِمُكَ، وقد مضى طغريل ودُبَيْسَ
إلى سنجر ليتفقون^(٢) عليَّ وعليك، وأسألُ أن أكون خادِمُكَ، إن قصدونا كُنَّا عليهم.
فأجابه الخليفة، وتعاهدوا، وعلم سنجر، فبعثَ إلى محمود يقول: أنتَ صبيٌّ، والخليفة
يمكر بي وبك، فإذا اتفقتما عليَّ وفرغتما مني عاد إليك، وأنت تعلم أن ليس لي ولدٌ ذكر،
وأنني لما التقيتُكَ كَسَرْتُكَ وَعَفَوْتُ عَنْكَ، وجعلتُكَ وليَّ عهدي، وزوجتُكَ ابنتي، ورأيي
فيكَ رأي الوالد، فإله الله أن تعول على ما قد تقرَّر بينك وبين الخليفة، والواجب أن
تمضي إلى بغداد، وتقبضَ على وزير الخليفة ابنِ صَدَقَةَ، وتقبل الأكراد الذين قد
رديتهم^(٢)، وتأخذ السَّلاح الذي في دار الخليفة وآلة السفر، وتقول أنا خادِمُكَ وسيفُكَ،
فترجع إلى عادتِكَ الأولى، وتقعُد في دارك. فإن قَبِلَ وإلاَّ أَخَذْتُهُ بالعنف، وإن لم يتولى^(٢)
فلا لك معه حكم. فلما سَمِعَ هذه الرسالة انثنى عزمه، وسَمِعَ قول سنجر.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٥٤/٩، و«الكامل» لابن الأثير: ٦٣٠/١٠.

(٢) كذا في النسخ، وقد أبقيتها حفاظاً على لغة الرسالة.

وكتب أصحاب الأخبار إلى الخليفة بذلك، فبعث إليه سديد الدولة يقول: تتأخر عن بغداد هذه السنة لقلة الميرة، والناس في عقيب غلاء. فقال محمود: لا بد له من المجيء. وخرج إليه يرشق الزكوي يشكو من استيلاء الخليفة على بغداد، فأوغر صدره، وحته على المجيء، وحقق في نفسه أن الخليفة يحاربه، ويمنعه من الدخول، فتوجه إلى بغداد، وبعث الخليفة إليه ثانياً ينهاه، فأسمع الرسول كلاماً ثقل على الخليفة، فشرع الخليفة في إعداد المضارب، وجمع العساكر، ونودي ببغداد يوم السبت عاشر ذي القعدة بعبور الناس إلى الجانب الغربي، وتقدم بإخراج سراقه إلى الخليفة، وانزعج الناس، ولقوا شدة، ثم بدا للخليفة، فنادوا في الناس بالعبور إلى الجانب الشرقي إلى منازلهم، لأن الدور بالجانب الغربي ضاقت بالناس، ثم حمل سراق الخليفة إلى الجانب الغربي، فضرب به رابع عشرين ذي القعدة، وعبر الخليفة إلى الجانب الغربي في أبهة الخلافة.

ولما علم السلطان أرسل إليه يرشق الزكوي وأسد الطغرائي، فدخل على الخليفة، وقبلا الأرض، وأديا الرسالة، وخشنا في آخرها، فقال الخليفة ليرشق: أنت الذي أخوجته إلى المجيء، وقد بعثت إليه أقول: يتأخر هذه السنة، وهو يخالفني. وأراد قتل يرشق، فمنعه ابن صدقة، وقال: هو رسول. وعادا إلى السلطان، وهو بقرمسين^(١)، فأخبراه بما قال، وأنه قد عبر إلى الجانب الغربي، فاستشاط غضباً، ورحل إلى بغداد.

ولما كان قبل يوم النحر يوم أمر الخليفة بنصب خيمة كبيرة، وبين يديها خيمة أخرى، ومد بينهما شقين^(٢)، ونصبوا في صدر الخيمة الكبيرة منبراً عالياً، وحضر الخواص والوزير والنقباء والأشراف الهاشميون ووجوه الدولة، وخرج الخليفة ومعه ولده الراشد، وهو ولي عهده، فوقف إلى جانب المنبر، وصلى الخليفة بالناس صلاة العيد، وكان المكبرون خطباء الجوامع ابن الغريق وابن المهتدي وغيرهما، فلما فرغ من صلاة العيد صعد المنبر، ووقف الراشد دونه، وبيده سيف مشهور، فابتدأ الخليفة، فقال: الله أكبر ما سحت الأنواء، وأشرق الضياء، وطلعت ذكاء، وعلت على الأرض السماء. الله أكبر ما همع سحاب، ولمع سراب، وأنجح طلاب، وسر قادم بإياب. الله أكبر ما نبت نجم وأزهر، وأينع غصن وأثمر، وطلع فجر وأسفر، وأضاء هلال وأقمر.

(١) قرمسين: بلد بينه وبين همدان ثلاثون فرسخاً قرب الدينور، انظر «معجم البلدان»: ٤/ ٣٣٠.

(٢) في «المنتظم»: ٩/ ٢٥٦، ومد شقتين من شقاق السراق بغير دهليز.

وسبحان الله الذي جَلَّ عن الأشباه والنظير، وَعَجَزَ عن تكيف ذاته الفِكْرُ والضَّمير، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

والحمد لله ناصر أوليائه، وخاذل أعدائه، الذي لا يخلو عن علمه مكان، ولا يشغله شأن عن شأن، أحمدته على تزايد نِعَمِهِ، وأسأله الزيادة من بَرِّهِ وَكَرَمِهِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أجعلها لنفسي الوقاء، وأتخذها ذخراً ليوم اللقاء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بَعَثَهُ والكُفْرَ ممتدُّ الرُّواق، قد ضَرَبَ بجِرانه^(١) في الآفاق، فشمَّرَ عن ساق، وقَوِّمَ أهلَ الزَّيغ والنِّفاق، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأخيار، وأهل بيته الأطهار، وعلى عَمِّه العَبَّاس ذي الشرف الشَّامخ، والمجد الباذخ، جَدُّ أمير المؤمنين، أبي الخُلَفاء الراشدين، وعلى أزواجه الطَّاهرات أمهات المؤمنين، وَسَلَّم، صلاة تُزَلِّفُهُم بها يوم الدين، وتجعلهم في جواره في أعلى عِلِّيِّين.

عباد الله، قد وَضَحَ السَّيْلُ لطالبيه، وَنَطَقَ الدَّلِيلُ للراغب فيه، وَظَهَرَ الحق كظهور معانيه، فما للنفوس رغبة عن رشادها، مشمرة على فسادها، مفرطة في إصدارها وإيرادها، جاهلة بمعادها، أم هي غَنِيَّة عن استعدادها، هيهات هيهات، كم اخترمت المنيَّة قبلكم، وساقَتْ إلى الأرماس مَنْ كان أشدَّ منكم ومثلكم، سَلَبَتْهُم أرواحهم، وقطعتهم أفراحهم، ولم تَخَفْ جيوشهم وسلاحهم، طالما أفنَتْ أُممًا، واستزلَّتْ قَدَمًا، وأمطرت عليهم من الفناء دِيَمًا، وَرَمَتْهُم من البلايا أَسْهُمًا، وَحَرَمَتْهُم من الآمال مَغْنَمًا، وَحَمَلَتْهُم من الأثقال مَغْرَمًا، ولم تراع فيهم محرماً، ذَلُّوا بعد أن عَزُّوا في دُنْيَاهُمْ، وسادوا وَجَرُّوا الجيوش إلى الأعداء، وقادوا، فعاد مُطْلَقُهُم مأسورا، وقائِدُهُم بالشَّقَاء مقهورا، قد عَدِمُوا نوراً وسروراً، فيا أسفى لهم، ضَيَّعُوا زمناً، وما اكتسبوا حسناً، فكيف بهم إذا نُشِرَتِ الأمم، وأعيدت الحياة إلى الرَّمَم، ونزل بذوي الذنوب الأَلَم، وَظَهَرَ مِنْ أَهْلِ التَّقْصِيرِ الأَسْفُ والنَّدَم، فذلك لا يرحم فيه من شكَا، يوم يشتدُّ فيه الفَرْق، ويتزايد فيه القَلَق، وتثْقُلُ على أهلها الأوزار، وتَلْفَحُ وجوه العُصاة النَّار، وتَذْهَلُ المُرْضعات، وتَعْظُمُ التَّيِّعات، وتُظْهَرُ الآيات، وتُكْشَفُ البَلِيَّات، ولا تُقال فيه عَثْرَةٌ [من]^(٢) نَدِمَ، ولا ينجو من عذابِ الله إلا من رَحِمَ.

(١) أي ثبت واستقر. «اللسان» (جرن).

(٢) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ٢٥٧/٩.

واعلموا عباد الله أَنَّ يومكم هذا شَرَّفه الله بتشريفه القديم، وابتلى فيه خليله إبراهيم بذبح ولده إسماعيل، وفداه بذبح عظيم، وسَنَّ فيه النحر، وجعله شعاراً للسنَّة إلى آخر الدهر. ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ [الحج: الآية ٣٧]. البدنة عن سبعة، والبقر عن سبعة، والجذع من الضأن، والثني من المعز عن واحد ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [سورة الحج: الآية ٣٦] الآية. ثُمَّ جَلَسَ بين الخطبتين، وقام إلى الثانية، فحمد الله وكبر، وصَلَّى على النبي ﷺ يمينا وشمالاً ثُمَّ قال: اللهم أَصْلِحْني وَأَصْلِحْ لي ذُرِّيَّتي، وَأَعِني على ما وَلَّيتني، وَأَوْزِني شُكْرَ نِعْمَتِكَ التي أَنْعَمْتَ عليَّ، وَوَفَّقْني لما أَهَلَّتْني له، وَأَعِني على ما اسْتَخْلَفْتْني فيه، واحْفَظْني فيما اسْتَرْعَيْتْني، ولا تُخْلِني من خفايا لُطْفِكَ التي عَوَّدْتْني ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْني بِالصَّالِحِينَ﴾ [سورة يوسف: الآية ١٠١] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى﴾ [سورة النحل: الآية ٩٠] - الآية -

ولما تحفَّزَ للنزول بادره الشريف أبو المظفر محمد بن أحمد بن علي بن عبد العزيز الهاشمي، فأنشده: [من الطويل]

علي منبرٍ قد حَفَّ أعلامُهُ النَّصْرُ	عليك سلامُ الله يا خَيْرَ مَنْ علا
بسيرته الحُسْنى وكان له الأَمْرُ	وأَفْضَلَ مَنْ أَمَّ الْأَنامَ وَعَمَّهُمُ
وَمَنْ جَدُّهُ مِنْ أَجْلِهِ نَزَلَ الْقَطْرُ ^(١)	وأَشْرَفَ أَهْلِ الْأَرْضِ شَرْقاً وَمَغْرِباً
وموعظةٌ فصلٌ يلينُ لها الصَّخْرُ	لقد شَنَّفَتْ أَسْماءُنا مِنْكَ خُطْبَةً
فقد رَجَفَتْ مِنْ خَوْفٍ تخويفها مِصرُ	مَلَأَتْ بِهَا كُلَّ الْقُلُوبِ مَهَابَةً
وَجَلَّتْ عُلاها أَنْ يُلَمَّ بِها حَصرُ	سما لَفْظُها فَضْلاً على كُلِّ قائلٍ
تقاصرَ عن إدراكها الأَنْجُمُ الزُّهرُ	أَشَدَّتْ بِها سامي المنابرِ رِفْعَةً
فأضحى بها بينَ الْأَنامِ لك الفَخْرُ	وزِدَتْ بِها عدنانَ مَجْداً مُؤَنِّلاً

(١) إشارة إلى استسقاء سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس عم النبي ﷺ، والحديث: أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٠١٠) و(٣٧١٠).

وَسُدَّتْ بَنِي الْعَبَّاسِ حَتَّى لَقَدْ غَدَا
فَلِلَّهِ عَصْرٌ أَنْتَ فِيهِ إِمَامُهُ
بَقِيَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُلْكِ كُلَّمَا
وَأَصْبَحْتَ بِالْعِيدِ السَّعِيدِ مُهَنَّأً
يَبَاهِي بِكَ السَّجَّادُ وَالْعَلَمُ الْحَبِيرُ^(١)
وَلِلَّهِ دِينَ أَنْتَ فِيهِ لَنَا الصَّدْرُ
تَقَادَمَ عَصْرٌ أَنْتَ فِيهِ أَتَى عَصْرُ
يُشَرِّفُنَا فِيهِ صَلَاتُكَ وَالنَّحْرُ^(٢)

فَنَزَلَ، وَنَحَرَ الْبُذْنَ بِيَدِهِ، وَبَكَى النَّاسُ، وَدَعَوْا لَهُ بِالنَّصْرِ، وَدَخَلَ السُّرَادِقُ، وَأَمَرَ
بِجَمْعِ السُّفْنِ، فَعَبَّرَ بِهَا إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، وَانْقَطَعَ عُبُورُ النَّاسِ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ
الْكُلِّيَّةِ، وَأَمَّا السُّلْطَانُ فَإِنَّهُ وَصَلَ حُلُوانَ^(٣)، وَبَعَثَ زَنْكِي بْنَ آقٍ سُنْقُرًا إِلَى وَاسِطٍ،
فَأَزَاحَ عَنْهَا عَفِيفَ الْخَادِمِ، فَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ، وَأَمَرَ الْخَلِيفَةَ بِسَدِّ أَبْوَابِ دَارِهِ إِلَّا دَارَ
النُّوبِيِّ، فَإِنَّهُ أَجْلَسَ عَلَيْهِ حَاجِبَ الْبَابِ لِحِفْظِ الدَّارِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَاشِيَةِ الْخَلِيفَةِ فِي
الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ غَيْرُهُ، وَأَقْبَلَ السُّلْطَانُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَامِنَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ، فَنَزَلَ
السَّمَّاسِيَّةَ، وَدَخَلَ عَسْكَرَهُ إِلَى بَغْدَادَ، فَنَزَلُوا فِي دُورِ النَّاسِ، وَأَمَرَ الْخَلِيفَةَ بِنَقْلِ الْحُرَمِ
وَالْجَوَارِي إِلَى الْحَرِيمِ الطَّاهِرِيِّ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ.

وَلَمْ يَزَلِ السُّلْطَانُ يَرَاوِسُ الْخَلِيفَةَ، وَيَتَلَطَّفُ بِهِ، وَيَدْعُو بِهِ إِلَى الْعَوْدِ إِلَى دَارِهِ
وَالصُّلْحِ، وَلَمْ يُجِبْهُ، وَجَاءَ السُّلْطَانُ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ فِي مَوْقِفٍ بِإِزَاءِ عَسْكَرِ
الْخَلِيفَةِ، وَنَالَ الْعَوَامُ مِنْهُ، وَقَالُوا: يَا بَاطِنَةَ، يَا مَلَا حِدَةَ، عَصَيْتُمْ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،
فَعَقُودَكُمْ بَاطِلَةٌ، وَأَنْكَحْتَكُمْ فَاسِدَةً. ثُمَّ تَرَامُوا بِالنُّشَابِ^(٤).

[قَالَ جَدِّي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ^(٥) حُمِلْتُ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ يَعْلَى
الْعَلَوِيِّ وَأَنَا صَغِيرُ السِّنِّ، فَلَقَّنَنِي كَلِمَاتٍ مِنَ الْوَعْظِ، وَالْبَسْنِي قَمِيصاً مِنَ الْفُوطِ، ثُمَّ
جَلَسَ لُودَاعِ أَهْلِ بَغْدَادَ [عِنْدَ السُّورِ مُسْتَنْدِئاً إِلَى الرِّبَاطِ الَّذِي فِي آخِرِ الْحُلْبَةِ]^(٦)،

(١) العلم الحبر: هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس، والسجاد ابنه علي، وقد ذكر الأوزاعي وغيره أنه كان
يسجد كل يوم ألف سجدة، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٢٥٢/٥ - ٢٥٣.

(٢) انظر الأبيات في «المنتظم»: ٢٥٨/٩ - ٢٥٩، و«عيون التواريخ» (خ) ٤٥٣/١٣.

(٣) حلوان: آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. «معجم البلدان»: ٢٩٠/٢ - ٢٩١.

(٤) انظر «المنتظم»: ٢٥٤/٩ - ٢٥٩.

(٥) في (ع) وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله: وفيها حملت... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ورقاني إلى المنبر، فأوردت الكلمات، [وحُزر الجمع يومئذ فكانوا خمسين ألفاً. وكان يورد الأحاديث بأسانيدها، وينصر] ^(١) أهل السنة، ويقول: أنا علوي بلخي، ما أنا علوي كرخي. [وسمعت منه الحديث وأجازني] ^(١) وأنشدنا يوم وداعه [أبياتاً من الشعر ذكر أنها] ^(١) لأبي القاسم النيسابوري [وأنه سمعها منه] ^(١): [من المتقارب].

سروري من الدهر لُقياءكم
وأنتم مدى أملي ما حييت
جنابكم الرّحْبُ مرعى الكرام
كأنّ بأيديكم جنة
فحياءكم الله كم حشرة
حشا البين يوم افتُرقت حشاي
فياليت شعري ومن لي بأن
إذا ازدحمت في فؤادي الهموم
تودّ جفوني لو أنّها
وأستنشق الرّيح من أرضكم
فلا تنسوا العهد ما بيننا
فها أنتم أولياء النّعيم

ودار سلامي مغناكم
وما طاب عيشي لولاكم
فلا صوّح الدهر مرعاكم ^(٢)
وناراً فأرجو وأخشاكم
أراني فراق محيّاكم
بنار الهموم وحاشاكم
أعيش إلى يوم ألقاكم
أغلّ قلبي بذكراكم
مناخ لبعض مطاياكم
لعلي أخطى برؤياكم
فلسنا مدى الدهر ننساكم
وها أنا بالرزق مولاكم

وخرج العلوي من بغداد في ربيع الآخر [من هذه السنة] ^(٣).

[وفيها استولى أتابك طغتكين على مدينة تدمر، وأخذها من المتغلّين عليها، وجعلها لشهاب الدّين محمود بن تاج الملوك بوري، وسلّمها إليه، فتوجّه إليها، وأقام بها، وبعث صاحب مصر إلى أتابك طغتكين الخلع السّنية، والتّحف المصرية.

وذكر أبو يعلى بن القلانسي: وقال: وفي هذه السنة استفحل أمر بهرام داعي الباطنية، وعظّم خطبُه في حلب والشّام، وهو على غاية من الاستتار والاختفاء، وتغيير

(١) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

(٢) في (ع): مغناكم، وهو خطأ، والمثبت من «المنتظم»: ٢٦٠/٩.

(٣) «المنتظم»: ٢٥٩/٩ - ٢٦٠، وما بين حاصرتين من (م) (ش).

الزِّي والثياب، بحيث إنه كان يطوف في البلاد والمعازل ولا يعرف أحد شخصه، حتى صار في دمشق، وتبعه خلق كثير من الجهال وسفهاء العوام والفلاحين، ووافق الوزير أبو علي^(١) طاهر بن سعد المزدقاني، وساعده على أمره ليكون عوناً له على فعله، وكان طغتكين قد خافه، فداراه لطاعة الناس له، فالتمس من طغتكين معقلاً يأوي إليه، وملجأ يعتمد عليه، فأعطاه بانياس في ذي القعدة، فاجتمع إليه أوباشه ورعاؤه وسفهاؤه، وعظمت بهم المصيبة، وجلت بهم المحنة، وضاحت صدور العلماء وأرباب الدين وأهل السنة، ولم يتجاسروا على الكلام خوفاً من شرهم وقتلهم من يعاندهم، بحيث لا ينكر عليهم سلطان ولا وزير، ولا مقدم ولا أمير، وقال: وكان تسليم طغتكين بانياس إليهم من أكبر سيئاته، محا بها معظم حسناته^(٢).

وفيهما توفي

أحمد بن محمد بن محمد^(٣) أبو الفتح^(٤)

الغزالي، الطوسي، أخو أبي حامد الغزالي.

[ذكره جدي رحمه الله في «المنتظم» فقال: ^(٥) كان متصوفاً متزهداً في أول أمره، ثم وعظ وكان مفوهاً، وقبله العوام، وجلس ببغداد في التاجية [ورباط بهروز]^(٥) وجلس في دار السلطان محمود، فأعطاه ألف دينار، فلما خرج و[كانت]^(٥) فرس الوزير في الدهلز بمركب ذهب، وقلائد، وطوق من ذهب، فركبه ومضى، وأخبر الوزير، فقال: لا يتبعه أحد، ولا يُعاد الفرس إلي.

(١) في (م) و(ش): أبو يعلى، والمثبت من «ذيل تاريخ دمشق»: وستأتي ترجمته ص ٢١٩ من هذا الجزء.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) (ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق» ٣٤٢ - ٣٤٣، والجملة الأخيرة لم أجدها فيه.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٦٠/٩ - ٢٦٢، و«الكامل» ٦٤٠/١٠ - وقد تعقب ابن الجوزي في ترجمته - و«تاريخ إربل»:

٣٨-٣٣/١، و«وفيات الأعيان»: ٩٧/١ - ٩٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٤٣/١٩، و«العبر» ٤٥/٤ - ٤٦، و«ميزان

الاعتدال» ١٥٠/١، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: ١٨٥ - ١٨٧، و«عيون التواريخ» (خ) ٤٥٥/١٣ - ٤٥٨،

و«الوافي بالوفيات»: ١١٥/٨ - ١١٧، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦٠/٦ - ٦٢، و«طبقات الشافعية» للإسنوي:

٢٤٥/٢، و«لسان الميزان» ٢٩٣/١ - ٢٩٤، و«النجوم الزاهرة»: ٢٣٠/٥ - ٢٣١، و«شذرات الذهب»: ٦٠/٤ - ٦١.

(٤) كذا في النسخ، وفي «الكامل»، وأصول «النجوم الزاهرة» - وهو ينقل غالباً عن السبط - وفي بقية المصادر: أبو الفتح.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

وخرج يوماً إلى ناعورة، فَسَمِعَهَا تَبْنُ، فرمى طَيْلَسَانَهُ [عليها]^(١).

وكانت له نُكْتُ لطيفة إلا أَنَّ الغالب على كلامه [كثرة]^(١) التخليط، ورواية الأحاديث الموضوعة، والحكايات الفارغة، والمعاني الفاسدة. فمن ذلك أَنَّهُ قال: لما قال موسى أَرِنِي، وقيل له: لن تراني^(٢) قال: هذا شأنك، تَصْطَفِي آدَمَ، [ثم]^(١) تُسَوِّدُ وجهه، وتُخْرِجُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وتدعوني إلى الطُّورِ، ثم تشمت بي الأعداء، هذا عَمَلُكَ بِالْأَحْبَاءِ، فكيف تصنع بالأعداء؟

وقال: جاء إسرائيل بمفاتيح الكنوز على مُحَمَّدٍ ﷺ، وجبريل جالسٌ عنده، فاصفَّرَ وَجْهَ جبريل، فقال رسولُ الله ﷺ: [يا إسرائيل]^(١)، هل نَقَصَ مما عنده شيء؟ قال: لا. قال: ما لا ينقص الواهب ما أريده.

قال: ودَخَلَ يهوديٌّ إلى الشيخ أبي سعيد، فقال: أريد أن أُسَلِّمَ. فقال: لا تُرِدْ. فقال النَّاسُ: يا شيخ، تمنعه من الإسلام! فقال له: تريد بلا بُدٍّ؟ قال: نَعَمْ. قال: بَرِئْتَ مِنْ نَفْسِكَ ومالك؟ قال: نَعَمْ. قال: هذا هو الإسلام عندي، احملوه الآن إلى الشيخ أبي حامد حتى يَعْلَمَهُ لا. لا المنافقين. يعني لا إله إلا الله.

وقال أحمد المذكور: الذي يقول لا إله إلا الله غير مقبول، ظَنُّوا أَنَّهُ منشور ولايته، [لا]^(٣) ذاك منشور عَزْلِهِ.

[قال: وحكى القاضي أبو يعلى عنه أَنَّهُ]^(١) صَعِدَ المنبر، فقال: معاشرَ المسلمين، كُنْتُ إِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الله، وأنا اليوم أُحَذِّرُكُمْ مِنْهُ، والله ما شُدَّتِ الزَّنايِرُ إِلَّا مِنْ حُبِّهِ^(٤)، ولا أُدِّيتُ الْجِزْيَةُ إِلَّا فِي عِشْقِهِ.

(١) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيَّ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيَّ فَلَمَّا تَبَيَّنَ رَبُّهُ لَئَلَّ الْجَبَلُ يَعْجَلُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

(٤) كان أهل الذمة في بعض الأوقات يلزمون بشد الزنار أو نحوه، تمييزاً لهم عن المسلمين، ويسمونه الغيار، انظر «شفاء الغليل» للخفاجي: ١٩٦.

وكان [أحمد الغزالي]^(١) يتعصَّبُ لإبليس وَيَعْذِرُهُ، حتى قال يوماً: لم يدر ذاك المسكين أنَّ أظافير القضاء إذا حَكَّتْ أَذْمَتْ، وقِسِيَّ القَدَرِ إذا رَمَتْ أَصَمَتْ^(٢). ثُمَّ أنشد يقول: [من الطويل]

وَكُنَّا وَلِيْلَى فِي صَعُودٍ مِنَ الْهَوَى فَلَمَّا تَوَافَيْنَا ثَبَتُ وَزَلَّتِ^(٣)
وقال: التقى موسى وإبليس عند عَقَبَةِ الطُّور، فقال له موسى: لِمَ لم تسجد لآدم؟ فقال: كلا، ما كنتُ لأسجد لبشرٍ يا موسى، أنا أَصْدَقُ منك في التوحيد، أنتَ ادَّعَيْتَ التوحيد، وقيل لك انْظُرْ إِلَى الجبل، فنظرتُ، وأنا قيل لي اسجد لغيري ما سَجَدْتُ.
ثم قال الغزالي: مَنْ لم يتعلَّمِ التوحيدَ من إبليس فهو زَنْدِيق.

[قال جَدِّي: ولقد عجبْتُ من هذا الهَذْيَانِ الصَّادِرِ من هذا الجاهل، فإنَّ إبليس لو كان مُجِبًّا له موْحِداً لما حَرَّضَ النَّاسَ عَلَى المعاصي، وكيف يتفق مثل الهذيان في مثل بغداد وهي دار العلم، ولقد]^(١) حضر مجلسه يوسُفُ الهَمْدَانِي، فقال: هذا مَدَدُ كَلَامِهِ شَيْطَانِي لَا رَبَّانِي، ذهب دينه، والدُّنْيَا لَا تَبْقَى لَهُ.

[قال: وشاع عن الغزالي أنه كان يقول بالشاهد، و]^(١) يجالس المُرْد. [فحدثني]^(٤)
أبو الحسين بن يوسف أنه كتب إليه في حقِّ مملوكٍ له تركي رُقْعَةً، فقرأها وهو على

(١) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

(٢) قِسِيَّ جمع، مفردها قوس: وهي التي يرمى بها، وأصمت: أي رمته فقتلته مكانه. انظر «معجم متن اللغة» ٦٧٦/٤، ٤٩٧/٣.

(٣) البيت لكثير عزة، وهو في «ديوانه» ص ٦٨، وروايته:

وَكُنَّا سَلَكْنَا فِي صَعُودٍ مِنَ الْهَوَى فَلَمَّا تَوَافَيْنَا ثَبَتُ وَزَلَّتِ
وهو من قصيدة مطلعها:

خَلِيلِي هَذَا رُبَّعُ عِزَّةٍ فَاعْقِلَا قَلُوصِيكَمَا ثَمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ

انظر «ديوان كثير عزة» طبعة دار صادر، بيروت ١٩٩٤.

(٤) في (ع): وكان يجالس المرد، وحكى... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) (ش).

المنبر، فصاح باسمه، فقام، فصعد المنبر، فقبل الغزالي ما بين عينيه، وقال: [هذا]^(١) جواب الرقعة.

[هذا صورة ما ذكر جدي في «المنتظم» في ترجمة أحمد الغزالي]^(٢)

وقال أبو سعد بن السمعاني: كان أحمد الغزالي من الكذابين البهاتين، يكذب أفحش الكذب ليتوصل به إلى أخذ الدنيا. وسمعه يقول: رأيت إبليس في هذا الرباط، فسجد لي، فقلت: أمرك الله أن تسجد لآدم فلم تسجد، وسجدت لي! قال: نعم.

قال المصنف رحمه الله^(٣): وهذا هو الكفر الصريح الموجب لسفك الدماء، وإزهاق الأرواح، أفما كان في ذلك [العصر]^(٢) من الأكابر من يتقرب إلى الله بدم هذا الفاجر؟

وأما [قول جدي رحمه الله]^(٢): رمى طيلسانه على ناعورة، فقد سبق إليه، فإن في الصدر الأول اجتاز بعض العلماء على ناعورة أم الحسن بحماة، فوقف يبكي [وقد أزعجه أنينها، وأقلقه حنينها، فرمى]^(٤) عليها طيلسانه وأنشد: [من الكامل]

هذي تحنُّ وما بها وجدي وأحنُّ من وجدٍ إلى نجدٍ
فدموعها تحيا الرياضُ بها ودموعُ عيني أحرقت^(٥) خدي

بهرام بن بهرام^(٦)

أبو شجاع البيّع.

سمع الحديث، وكان كثير الصدقات والخير، بنى لأصحاب الإمام أحمد رحمه الله مدرسة ببغداد عند باب گلواذی، ودفن فيها، ووقف عليها وعلى غيرها من أملاكه، وتوفي ليلة الخميس سادس عشر محرم، وكان جواداً، صحيح السماع، صالحاً.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ٢٦٠-٢٦٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (م) و(ش): قلت.

(٤) من (ع): فوقف يبكي ورمى .. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ع): أقرحت، والمثبت من (م) و(ش).

(٦) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٦٢/٩.

عبد الله بن القاسم^(١)

ابن الْمُظَفَّر بن علي، أبو محمد الْمُرتَضَى الشَّهْرُزُورِي، والد قاضي القضاة كمال الدِّين^(٢).
كان أحد الفضلاء المشهورين والعلماء المذكورين، [ذكره العماد الكاتب في «الخريدة»
وابن السمعاني في «الذيل» وكان^(٣)] إمام الأفاضل، صاحبَ النظم والنثر والرسائل، قال
ابنُ السمعاني: توفي القاضي عبد الله بن الشهرزوري^(٣) بعد سنة عشرين وخمس مئة،
وكان له أولاد منهم يحيى وكمال الدِّين، ومن شِعْرِ الْمُرتَضَى: [من الكامل]

هَبَّتْ رِيَّاحٌ وَصَالِكُكُمْ سَحَرًا	بَحْدَائِقِي لِلشُّوقِ ^(٤) فِي قَلْبِي
فَاهْتَزَّ غُصْنُ الْوَصْلِ ^(٥) مِنْ طَرَبٍ	وَتَنَاثَرَتْ ثَمَرٌ مِنَ الْحُبِّ
وَعَدَتْ خِيُولُ الْهَجْرِ شَارِدَةً	مَطْرُودَةً بِعَسَاكِرِ الْقُرْبِ
وَبَدَتْ شَمُوسُ الْوَصْلِ حَارِقَةً	بَشُعَاعِهَا لِسُرَادِقِ الْحُجْبِ
وَصَفَا لَنَا وَقْتُ ^(٦) أَضَاءَ بِهِ	وَجْهَ الرُّضَى عَنْ ظُلْمَةِ الْعَتَبِ
وَبَقِيَْتُ لَا شَيْءَ أَشَاهِدُهُ	إِلَّا ظَنَنْتُ بِأَنَّهُ حَبِّي ^(٧)

[وقد زعم قوم أنها لابن سينا، وليس كما زعموا، نصَّ عليها العماد في «الخريدة»
وابن السَّمْعَانِي أنها لابن الشهرزوري.

(١) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء الشام: ٣٠٨/٢ - ٣٢١، و«وفيات الأعيان»: ٤٩/٣ - ٥٣،
و«الوافي بالوفيات»: ٤٠٣/١٧ - ٤٠٥، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ١٢٦/٧، و«طبقات الشافعية»
للإسنوي: ٩٧/٢ - ٩٨، و«النجوم الزاهرة»: ٢٣١/٥، و«شذرات الذهب»: ١٢٤/٤، وذكر ابن خلكان
أن العماد نقل عن السمعاني وفاته سنة (٥٢٠هـ)، وفي مطبوع «الخريدة» أنه بعد سنة (٥٢٠هـ)، وذكر
الصفدي أن وفاته سنة (٥٢١هـ) وفي بقية المصادر أن وفاته سنة (٥١١هـ) ما عدا «النجوم الزاهرة» فهو
يتابع السبط، وينقل عنه دون أن يصرح باسمه.

(٢) في (م) و(ش) عبد الله بن القاسم بن المظفر بن محمد بن علي الشهرزوري، ويلقب بالمرتضى، والد القاضي
كمال الدين قاضي الشام في أيام نور الدين وصلاح الدين.

قلت: وستأتي ترجمة كمال الدين في وفيات سنة (٥٧٢هـ) من هذا الكتاب.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

(٤) في (ع) المعشوق، والمثبت من (م) و(ش)، وهو الموافق للخريدة.

(٥) في (ع): العقل، والمثبت من (م) و(ش)، وهو الموافق للخريدة.

(٦) في (ع) قلب، والمثبت من (م) و(ش)، وهو الموافق للخريدة.

(٧) هذا البيت ليس في (م) و(ش)، وفي (ع): بأنه ربي، والمثبت من «الخريدة»، والأبيات فيه: ٣٢١/٢.

وقال أيضاً هذه الأبيات^(١) [من الطويل]

شكوتُ إليها ما بقلبي من الجوى^(٢)
فقلتُ: ^(٣) فلو نَفَسْتُ عَنِّي كُرْبَةً
فقلتُ: انْصِفِي في الحُبِّ قَالَتْ تَعَجُّباً:
فقلتُ: عَذَابِي هل له فيكَ آخِرُ
فقلتُ: فهل لي في وَصَالِكَ مَطْمَعُ
فقلتُ: فهل في زُورَةٍ يَجْتَنِي بها
فقالتُ: إذا ما غَابَ عن كُلِّ شَاهِدٍ
وأصبحَ فينا حَائِراً ذَا ضَلَالَةٍ
فحينئذٍ إنْ فازَ مِنَّا بِنَظَرَةٍ
وقال: [من الدوييت]

يا قلبُ إلامَ لَا يُفِيدُ النُّصْحُ
ما جَارِحَةٌ فيكَ خَلَاها جُرْحُ
وقال: [من البسيط]

قد جاءكُم برداءِ الذُّلِّ مُشْتَمِلاً
أسكنتُموه زماناً أرضَ هَجْرِكُمُ
وظلَّ من وَخْشَةِ الإِعْرَاضِ مُخْتَبِطاً
قَتَلْتُمُونِي وأنتمُ أولياءُ دمي
وقال: [من الطويل]

فقالت: وهل أبقى الفِرَاقُ لنا قُلُوباً
بِقُرْبِكَ قَالَتْ: ذاك يُغْري بك^(٤) الكَرْبُ
وهل يَطْلُبُ الإنصافَ مَنْ يدَّعي الحُبَّ
فقالت: إذا ما صار مقترحاً عَذْباً
فقالت: إذا ما شَمُسْنَا طَلَعَتْ غَرْباً
ثمَارَ المُنَى ظَمَانٌ قد مُنِعَ الشُّرْبُ
وخاضَ حِيَاضَ الموتِ واستَسْهَلَ الصَّعْبُ
يُواصلُنا بُعْداً ونهْجُره قُرْباً
وزار على عِلَاتِهِ زارنا غِبّاً^(٥)

دَعِ مَزْحَكَ كم هَوَى جنَاه المَزْحُ
ما تشعُرُ بالخُمَارِ حتى تَصْحُو^(٦)

عبدٌ لكم ما له من أَسْرِكُم فادي
فَتَّاه فيهَا بلا ماءٍ ولا زادٍ
في ظُلْمَةِ الصَّدِّ من وادٍ إلى وادٍ
فَمَنْ يَطالِبُ والفادي هو العادي^(٧)

(١) في (ع): وقال أيضاً من شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م)، وبنحوه في (ش).

(٢) في (ع): الهوى، والمثبت من (م) و(ش)، وهو الموافق للخريدة.

(٣) في (ع): فهل، والمثبت من (م) و(ش)، وهو الموافق للخريدة.

(٤) في (ع): بها، والمثبت من (م) و(ش)، وهو الموافق للخريدة.

(٥) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٣١٧/٢ - ٣١٨.

(٦) «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٣١٦/٢.

(٧) المصدر السالف.

نَجِيعاً وَكَمْ قَلْبٍ أَعَادُوا إِلَى الْأَسْرِ
عَلَيْهِمْ فَقَدْ أَوْضَحْتُ عِنْدَكُمْ عُذْرِي^(١)

يَجْمَعُنَا يَوْماً بِوَادِي الْغُضَا
مَنْ كَانَ بِالْبَيْنِ عَلَيْنَا قُضِيَ
فِيهِمْ وَقَدْ هَبَّ نَسِيمُ الرِّضَا
وَيَصْبِحُ الْإِعْرَاضُ قَدْ أَغْرَضَا^(٢)

وَلَا حَ صَبَاحُ كَانَ مِنْكَ ظِلَامُهُ
وَلَوْلَاكَ لَمْ يُطْبَعْ عَلَيْهِ^(٣) خِتَامُهُ
عَلَى مَنْكِبِ الْكَشْفِ الْمَصُونِ خِيَامُهُ
شَهِيٍّ إِلَيْنَا نَثْرُهُ وَنِظَامُهُ^(٤)

وَانْقَضَتْ مُدَّةُ الْجَفَا
لَمْ يَنْ الصَّدُّ قَدْ صَفَا^(٥)
وَرِضَاكُمْ هُوَ الشُّفَا
قَدْ سَأَمْنَا التَّعَسُّفَا^(٦)

وَدَمَعِي فِيهِمْ عُلُقُ

وَبَانُوا فَكَمْ دَمْعٍ مِنَ الْأَسْرِ أَطْلَقُوا
فَلَا تُنْكِرُوا خَلْعِي عِذَارِي تَأْسُفَاً
وَقَالَ: [مَنْ السَّرِيع]

يَا قَلْبُ هَلْ يَرْجِعُ دَهْرٌ مَضَى
وَبِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ يَقْضِي لَنَا
فَتَصْبِحُ الْأَمَالُ مُخْضَرَّةً
وَيَرْجِعُ الْوَصْلُ إِلَى وَصْلِنَا
وَقَالَ: [مَنْ الطَّوِيل]

بَدَا لَكَ سِرٌّ طَالَ عَنْكَ اكْتِتَامُهُ
وَأَنْتَ حِجَابُ الْقَلْبِ عَنْ سِرِّ غَيْبِهِ
وَإِنْ غَبَّتْ عَنْهُ حَلٌّ فِيهِ وَطَنَّبَتْ
وَجَاءَ حَدِيثٌ لَا يُمَلُّ سَمَاعُهُ
وَقَالَ: [مَنْ مَجْزُوءُ الْخَفِيف]

قَدْ رَجَعْنَا إِلَى الْوَفَا
وَالَّذِي كَدَّرَ الْوِصَا
سُخْطُكُمْ كَانَ عَلَّتِي
أَرْشِدُونِي بِنَظَرَةٍ
وَقَالَ: [مَنْ مَجْزُوءُ الْوَافِر]

بِقَلْبِي مِنْهُمْ عُلُقُ

(١) «الخريدة» ٣١٠/٢.

(٢) «الخريدة»: ٣١١/٢.

(٣) في (ع): عليك، والمثبت من «الخريدة».

(٤) «الخريدة»: ٣٠٩/٢.

(٥) في (م) و(ش):

وَالَّذِي كَدَّرَ الصُّدُو

وهو الموافق للخريدة.

(٦) «الخريدة»: ٣١٤/٢.

دُ مِنْ الْوَصْلِ قَدْ صَفَا

لَهَا الْأَحْشَاءُ تَحْتَرِقُ
أَذَابَ قُلُوبِنَا الْفَرَقُ
فَلْيَتَّهَمُ لَهُ رَمَقُوا^(١)
وَلَا نَعْمُ وَلَا أَرْقُ
وَلَا صَبْرٌ وَلَا^(٢) قَلَقُ

وَعِنْدِي مِنْهُمْ حُرْقُ
وَنَحْنُ بِبَابِهِمْ فِرْقُ
وَمَا تَرَكُوا سِوَى رَمَقِي
فَلَا وَصَلٌ وَلَا طَمَعُ^(٣)
وَلَا يَأْسٌ وَلَا أَمَلُ^(٤)

وقال: [من مجزوء الكامل]

نَشِطْتُ فَوَادِي مِنْ عِقَالِ
تُهْدِي الذِّكَاءَ إِلَى الْعَوَالِ
فَسَأَلْتُ أَصْحَابِي وَآلِي
بِ مَا شَفَوْا قَرَمَ السُّوَالِ
تُ حَجَابِهِمْ عَمَّا بَدَا لِي
رَ وَهَذِهِ رِيحُ الْوَصَالِ^(٥)

وَافِي النَّسِيمُ بِنَفْحَةٍ
مِسْكِيَّةٌ أَنْفَاسُهَا
وَاسْتَفْجَمَتْ أَنْفَاسُهَا
عَنْهَا فَحَارُوا فِي الْجَوَا
فَسَأَلْتَهُمْ^(٦) لِمَا رَأَيْ
هَمَّ الْحَبِيبُ بَأَنْ يَزُو

[وقال [من الطويل]

بَأَنْكُمْ فِي رُبْعِ قَلْبِي سُكَّانُ^(٧)

أَسْكَانَ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ تَيَقَّنُوا

وقال: [من السريع]

وَلَا أَرَى فِي جُمْلَةِ الظَّاعِنِينَ
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَ الرَّاحِلِينَ

وَاحْشُرْتِي إِذْ رَحَلُوا غُدُوَّةً
قَدْ قُلْتُ لِمَا رَحَّلُوا عَيْسَهُمْ

(١) في (ع): لي رمق، والمثبت من «الخريدة».

(٢) في «الخريدة»: فلا وصل ولا هجر.

(٣) في «الخريدة»: ولا يأس ولا طمع.

(٤) في (ع): يلي، والمثبت من «الخريدة»: ٣١٥/٢.

(٥) في (ع): فما جيتهم، والمثبت من «الخريدة».

(٦) «الخريدة»: ٣١٢/٢ - ٣١٣.

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر تنمة الأبيات في «الخريدة»: ٣١٩/٢، وقد أوردها ابن خلكان في

ترجمة أبي بكر بن الصائغ الأندلسي، وتردد في نسبتها إليه، وقد وجدها كذلك في «ديوان ابن حيوس»

[٦٤٥/٢]، انظر «وفيات الأعيان»: ٤٣٠/٤.

وَإِخْجَلْتِي إِذْ لَمْ أُطَقْ بَعْدَهُمْ تَصَبُّراً مِنْ نَظَرِ الشَّامَتَيْنِ
مَا حِيلْتِي إِذْ حَالَتِي بَعْدَهُمْ حَالُ شِمَالٍ فَارَقَتْهَا يَمِينُ^(١)

يحيى بن علي بن الحسن^(٢)

أبو سعد، الحُلواني، أحدُ أئمة الشَّافعية، [تفقه على أبي إسحاق الشيرازي، ودرس بالنظامية، وذكره ابن السمعاني في «الذيل» فحكى عنه العماد في «الخريدة» قال: خرج أبو سعد]^(٣) من بغداد في رسالة [إلى ما وراء النهر إلى ملكها]^(٣) محمد بن سليمان المعروف بأرسلان خان ملك ما وراء النهر في أواخر رجب [سنة عشرين وخمس مئة]^(٣)، فتوفي هناك، وقد كان فقيراً.

ومن شِعره: [من الطويل]

مَرَرْتُ بِخَبَّازٍ أَحَاوِلُ حَاجَةً مُدِلًّا عَلَيْهِ أَيُّ بَأْنِي عَالِمُ
فَلَمَّا رَأَنِي قَالَ أَهْلًا وَمَرْحَبًا ظَفِرْتُ بِمَا تَهْوَى فَأَيْنَ الدَّرَاهِمُ
فَقُلْتُ مَعِيَ فَضْلٌ وَعِلْمٌ وَخَاطِرِي يَجِيشُ فُصُولًا كُلُّهَا لِي لَوَازِمُ
فَقَالَ وَمَنْ هَذَا الذَّخَائِرُ عِنْدَهُ يَحَاوِلُ عِنْدِي حَاجَةً وَيَسَاوِمُ
لِعَمْرِي لَوْ بَغَتَ الْجَمِيعَ بِلُقْمَةٍ لَمَا كُنْتُ مِمَّنْ فِي الشُّرَاءِ يَخَاصِمُ

السَّنة الحادية والعشرون وخمس مئة^(٤)

فيها في المحرَّم جاء عسكرُ السُّلطان محمود إلى باب النُّوبي ليدخلوا إلى دار الخليفة، فمنعتهم خاتون بنت السُّلطان، فجاؤوا إلى باب الغربة، فكسروه، ودخلوا إلى التَّاج، فنهبوا دار الخليفة، وخرَجَ الجوّاري حاسراتٍ يَلْطُمْنَ، فَدَخَلْنَ دَارَ خَاتُونٍ، وَأُخْبِرَ الخليفة، فخرج من سُرادقه، والوزير ابنُ صدقة بين يديه، وأمر العسكرَ فَعَبَرُوا،

(١) «الخريدة»: ٣١٩/٢.

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ١٩٢/٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٥١٧/١٩، و«طبقات الشافعية» للسبكي:

٣٣٣/٧ - ٣٣٤، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ٤٣٢/١.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) من هنا تبدأ نسخة أحمد الثالث ذات الرقم (٢٩٠٧)، وقد رمزت لها بالحرف (ح).

وَسَبَحَ الْعَيَّارُونَ، وَعَسَكَرَ السُّلْطَانُ مَشْغُولُونَ بِالنَّهْبِ، وَفِي دَارِ الْخَلِيفَةِ مِنْهُمْ نَحْوُ أَلْفِ رَجُلٍ، فَلَمَّا رَأَوْا عَسَكَرَ الْخَلِيفَةِ قَدْ عَبَرُوا إِلَيْهِمْ، ذَلُّوا وَانْهَزَمُوا، وَوَقَعَ فِيهِمُ السِّيفُ، وَاخْتَفَوْا فِي السَّرَادِيبِ، فَقَتَلَ عَسَكَرُ الْخَلِيفَةِ مِنْهُمْ جَمَاعَةً، وَأَسْرَوْا، وَكَانَ فِيهِمْ أُمَرَاءُ، وَنَهَبَ الْعَوَامُ دُورَ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ وَوَزِيرِهِ [وَدَارَ الْعَزِيزِ أَبِي نَصْرِ الْمُسْتَوْفِي، وَأَبِي الْبَرَكَاتِ الطَّيِّبِ] ^(١)، وَكَانَ عِنْدَهُ وَدَائِعُ، فَأَخَذَتْ مِنْ دَارِهِ مَا مَبْلَغُهُ وَقِيمَتُهُ ثَلَاثَ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَهَرَبَ أَصْحَابُ السُّلْطَانِ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ عِدَّةٌ وَافِرَةٌ فِي الدُّرُوبِ وَالْمُضَاقِ، وَالْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرُ مَقِيمَانِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ حَتَّى نَقَلَ الْحُرَمَ مِنَ الْحَرِيمِ الطَّاهِرِيِّ، ثُمَّ عَبَرَ الْخَلِيفَةُ إِلَى دَارِهِ يَوْمَ السَّبْتِ سَابِعَ الْمَحْرَمِ، وَمَعَهُ الْعَسَاكِرُ، وَحَرَسُوا الْمُضَاقِ، وَالْقِتَالُ يَعْمَلُ إِلَى يَوْمٍ عَاشُورَاءَ، وَتَرَدَّدَتِ الرِّسَالُ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَالسُّلْطَانِ، وَقَالَ السُّلْطَانُ: ابْعَثْ مَنْ يُخَلِّفُنِي. فَمَالَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الصُّلْحِ، وَبَعَثَ قَاضِيَ الْقَضَاةِ الرَّيِّنِي نَيْفًا وَثَلَاثِينَ شَاهِدًا، فَجَبَسَهُمُ السُّلْطَانُ عِنْدَهُ سِتَّةَ أَيَّامٍ، فَيُسَّ النَّاسُ مِنَ الصُّلْحِ، وَعَادُوا إِلَى حَفْرِ الْخَنَادِقِ، وَقُسِّمَتِ الْمَحَالُّ عَلَى الْمَقْدَمِينَ، وَأَجْفَلَ أَهْلُ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ خَوْفًا مِمَّا أَسْلَفُوا مِنْ شَتْمِ السُّلْطَانِ، فَإِنَّهُمْ بِالْغَوَا، وَكَانُوا يَقُولُونَ: يَا بَاطِنِي، لِمَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى غَزْوِ الرُّومِ جِئْتَ تَغْزُو الْخَلِيفَةَ وَالْمُسْلِمِينَ!

وَدَخَلَ يَرْنَقُشُ الزَّكُوي عَلَى السُّلْطَانِ، فَأَغْرَاهُ بِالنَّاسِ، فَفَرَّ فِيهِ، وَقَالَ: أَنْتَ قَصْدُكَ هَلَاكُ الْإِسْلَامِ وَنَهْبُ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرِيدُ مِنِّي أَنْ أُغَيِّرَ الْقِبْلَةَ.

ثُمَّ تَقَدَّمَ فِي وَقْتِهِ بِإِحْضَارِ قَاضِي الْقَضَاةِ وَالْعَدُولِ، فَصَلَّى الْقَاضِي بِالسُّلْطَانِ الْمَغْرِبَ، وَسَلَّمْ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ فِي الْجُلُوسِ، وَقُرِئَ عَلَيْهِ مَكْتُوبُ الْخَلِيفَةِ، فَقَامَ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ، وَقَالَ: سَمِعْنَا وَطَاعَةً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَلَمْ يَخَالَفْ فِي شَيْءٍ مِمَّا اقْتَرَحَ عَلَيْهِ، وَحَلَفَ، وَشَرَطَ عَلَى الْخَلِيفَةِ أَنْ لَا يَسْتَخْدِمَ الْعَسَاكِرَ، وَيَعُودَ إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى. فَطَابَتْ قُلُوبُ النَّاسِ، وَفُتِحَتِ الْعُقُودُ، وَطُمَّتِ الْخَنَادِقُ، وَدَخَلَ [أَصْحَابُ] ^(٢) السُّلْطَانِ الْبَلَدَ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ: لَنَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مَا أَكَلْنَا الْخُبْزَ، وَلَوْلَا الصِّلْحُ لَمَتْنَا

(١) مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (ح)، وَلَفْظُ: دَارُ مُبْتَدَأٍ مِنَ «الْمُنْتَظَمِ»: ٢/١٠.

(٢) مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (ح).

جوعاً. وكان الخبز في الحريم رخيصاً، وفي عسكر السلطان غالياً، فما رُوي سُلطاناً حاصر بلداً هو المحصور إلا هذا، وظهر من السُلطان حِلْمٌ وافر عن العوام، وطلب أصحابُ السُلطان من الخليفة ما نُهبَ من دورهم، فقبض على عالم كثير من العوام، واسترجع منهم البعض، ثُمَّ بَعَثَ الخليفة إقبال الخادم وابن الأنباري وابن الصَّاحِبِ إلى السُلطان بخيلٍ كثيرة وبغالٍ وجواشن وتخوت ثياب، وأنزل الوزير ابن صدقة في الزَّبْزَب، والكلُّ بين يديه في السُّفن، وصعدوا إلى دار السُلطان، وكان يوماً عظيماً، فدخلوا إلى السُلطان فقام، وقَبَّلَ الأرض، ودعا للخليفة. وجاء وزير السُلطان إلى الخليفة، فأكرمه كرامةً لم يُكرَّم بها قطُّ وزير.

ومَرَضَ السُلطان مرضاً صَعْباً، فبعث إليه الخليفة بمالٍ وشراب، وأدويةٍ وأطاف، فَصَلَحَ، ثم انتكس وأرجف عليه، وكان الخليفة قد هَيَّأَ له الخَلْعَ، فمنعه المرض، وأشار عليه الطبيب بالخروج من بغداد، فبعث الخليفة إليه بالخَلْع وهو مطروحٌ على جنبه، فأرमित عليه.

وقيل: إنَّ سبب مرضه أنَّه ركب يوماً في ميدان الحلبة، فأصابه غَشْيٌ، فَسَقَطَ من فرسه، وحُمِلَ إلى داره، فأرجف بموته وحُمِلَ في مِحْفَةٍ، وأمرَ أن يُمرَّ به تحت مظلة الخليفة، فلما وَصَلَ إليها أمرَ أن يُحَطَّ هناك، وَبَعَثَ إلى الخليفة يقول: ما أصابني هذا إلا عقوبة لما بدا مني، وأسأل العفو، وأن لا تدعو عليَّ. فأجابه الخليفة، وطَيَّبَ قلبه.

وسار إلى الجبل ثاني عشرة ربيع الآخر، وولَّى شحنكيةً بغداد بهرُوز الخادم، وولى المَوْصِلَ زُنكي بن آق سُتْقُر، فلَمَّا وَصَلَ السُلطان هَمَذَانَ جاءته رسل سنجر تلومه على ما فَعَلَ ببغداد، وتقبَّح عليه ذلك، وَبَعَثَ سنجر إلى الخليفة رسولاً يعتذر إليه مما جرى من محمود^(١).

وفي هذه الواقعة يقول الأَرَجاني^(٢) من قصيدة: [من البسيط]

لقد رأى الله ما أبدى خليفته وما أعادَ من الأمر الذي اشتها
خلافة ورثتها السابقون له وراثته قد نفوا عن صفوها الكدرا

(١) انظر «المنتظم»: ١٠ / ٢ - ٥، و«الكامل»: ١٠ / ٦٣٥ - ٦٣٨.

(٢) هو أحمد بن محمد، أبو بكر الأرجاني، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٤٤ هـ) من هذا الكتاب.

سَفَّاحُهُمْ بَعْدَهُ الْمَنْصُورُ يَتَّبَعُهُ الـ
 ثُمَّ الرَّشِيدُ وَأَبْنَاءُ لَهُ نُجُبٌ
 أَمِينٌ مُلْكٍ وَمَأْمُونٌ وَمُعْتَصِمٌ
 وَمَنْ تَوَكَّلَ فِيهِمَا قَدْ تَقَلَّدَهُ
 وَمُسْتَعِينٌ لَهُ الْمُعْتَزُّ مَرْتَدِفٌ
 وَقَامَ مُعْتَمِدٌ يَتْلُوهُ مُعْتَصِدٌ
 وَالْقَاهِرُ الْقَرَمُ^(١) وَالرَّاضِي وَمَتَقِيَا
 ثُمَّ الْمَطِيعُ يَلِيهِ الطَّائِعُ ارْتَفَعَتْ
 وَقَائِمٌ قَدْ تَلَاهُ مُقْتَدِي سَبَقَا
 عَشْرُونَ يَتَّبَعُهُمْ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ

مهديُّ، ثُمَّ اقْتَفَى الْهَادِي لَهُ الْأَثَرَا
 ثَلَاثَةٌ لِلْهُدَى أَغْرَزَ بِهِمْ نَفَرَا
 وَوَائِقٌ وَكَفَى فَخْرًا بِمَنْ فَخَرَا
 وَمَنْ دَعَا لَأَمْرِ اللَّهِ مُنْتَصِرَا
 وَالْمَهْتَدِي بَعْدَهُمْ أَبْقَى لَهُ سِيرَا
 وَمَكْتَفِي مُعْقِبٌ لِلْمُلْكِ مُقْتَدِرَا
 فَادْكُرْ وَمُسْتَكْفِيًا مِنْ بَعْدِهِ ذُكْرَا
 عَلِيَاهُ بِالْقَادِرِ الْعَالِي إِذَا قَدَرَا
 أَيَّامَ مُسْتَظْهِرٍ بِاللَّهِ قَدْ ظَهَرَا
 كَانُوا الْمَنَازِلَ وَالْمُسْتَرْشِدُ الْقَمَرَا^(٢)

وفيهما عند خروج السلطان من بغداد سار زُنْكِى إِلَى الْمَوْصِلِ، وَقُتِلَ ابْنُ الْبُرْسُقِيِّ،
 لَمَّا قُتِلَ وَلِيُّ ابْنِهِ مَسْعُودُ الْمَوْصِلِ، فَلَمَّا دَخَلَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ بَغْدَادَ اتَّفَقَ الْقَاضِي بِهَاءُ
 الدِّينِ الشَّهْرُزُورِيُّ وَنَصِيرُ الدِّينِ جَقَرٌ^(٣) وَصَلَّاحُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْيَاغْبَسَانِيُّ^(٤) عَلَى النُّزُولِ
 إِلَى بَغْدَادَ، فَأَخَذُوا أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَانْحَدَرُوا لِيَخْدُمُوا بِهَا السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ لِيَقَرَّ مَسْعُودُ
 ابْنُ الْبُرْسُقِيِّ عَلَى وِلَايَةِ الْمَوْصِلِ^(٥)، فَلَمَّا وَصَلُوا ارْتَأَوْا وَقَالُوا: هَذَا صَبِيٌّ، وَرَبِّمَا لَا
 يَقُومُ بِالْأَمْرِ فَيَكُونُ عَيْبًا عَلَيْنَا، فَقَالُوا: حَتَّى نَجْتَمِعَ بِابْنِ قَسِيمِ الدَّوْلَةِ زُنْكِى بْنِ آقِ
 سُنْقَرٍ، وَكَانَ شَحْنَةُ بَغْدَادَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ. فَاجْتَمَعُوا بِهِ، وَاسْتَحْلَفُوهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ
 الْقَاضِي بِهَاءُ الدِّينِ قَاضِي قُضَاةِ الْبِلَادِ وَالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ إِلَيْهِ، وَتَقَدَّمَ الْعَسَاكِرُ لَصَلَّاحِ
 الدِّينِ، وَوِلَايَةِ الْبَلَدِ وَغَيْرِهِ لِنَصِيرِ الدِّينِ، فَحَلَفَ لَهُمْ، وَتَقَرَّرَ الْأَمْرُ، وَقَدَّمُوا الْمَالَ

(١) القرم من الرجال: السيد المعظم. «اللسان» (قرم).

(٢) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء أهل فارس: ٢٥٥-٢٥٦.

(٣) في (ع) و(ح)، جعفر، وهو تحريف، والمثبت من «وفيات الأعيان» ١/ ٣٦٤-٣٦٦، وانظر «كتاب
 الروضتين»: ١١٦/١ بتحقيقي.

(٤) في (ع) و(ح): الثعلباني، وهو تحريف، والمثبت من «كتاب الروضتين»: ١١٥/١.

(٥) في هذا القول وهم، إذ إن مسعوداً ولي بعد مقتل أبيه آق سنقر البرسقي، ثم ما لبث أن توفي، فولي بعده أخ له
 صغير، ومن ثم جرى له ما جرى، انظر تفصيل ذلك في «كتاب الروضتين»: ١١٥/١-١١٦، و«الكامل»
 لابن الأثير: ١٠/ ٦٤٣، وانظر ص ٢٠٨ من هذا الجزء.

للسُّلطان، فأجابهم إلى ذلك، وبعث مع زنكي ابني السُّلطان ألب رسلان والخفاجي، وجعله أتابكهما، فدخل المَوْصِل في هذه السنة. وقيل: في سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة.

وفيها وردت الأخبار أَنَّ السُّلطان محموداً لما وصل هَمَذان قَبَضَ على العزيز وصادره واعتقله، وعلى وزيره أيضاً، وسببه أَنَّ الوزير تكلَّم في العزيز، ويرنقش الزَّكوي تكلَّم في الوزير، وقال للسُّلطان: هذا أَخَذَ الأموالَ من الخليفة، واتفق مع وزيره ابن صَدَقَة على أن يُرَحِّلَاكَ من بغداد، ولا تبلغ غرضاً، فكلُّ ما جرى عليك منه. [قلت: وهذا العزيز هو عم العماد الكاتب الأصفهاني، وسنذكره في سنة ست وعشرين وخمس مئة]^(١).

وفيها بَعَثَ السُّلطان إلى أنوشروان وهو مقيمٌ بالحريم الطَّاهري ببغداد ليستوزره، فلم يكن عنده شيء، فجَهَّزه الوزير ابن صَدَقَة والخليفة بالخيم والدَّواب وغيرها، وسار إلى هَمَذان، فأقام وزيراً عشرة أشهر، ثم استعفى، وعاد إلى بغداد.

وفيها ثارتِ الفِتْنُ ببغداد، وسببه أبو الفتوح^(٢) الإسفراييني، فَإِنَّه كان يعظ ويذكُرُ مذهبَ الأشعري، ويورد أحاديثَ وأشياءَ على مذهب القُصَّاص.

جلس يوماً بالنُّظامية وقال: قيل لرسولِ الله ﷺ: كيف أصبحت؟ فقال: أعمى بين عُميان، ضالًّا بين ضلَّال^(٣). فأحضره الوزير ابنُ صَدَقَة، وأحضر الفقهاء، فأفتوا بقتله، فاستقرَّ أن يُجَدَّدَ إسلامه ويشدَّ الزَّناَر^(٤) ويتوب، ومُنِعَ من الجلوس، وعاد فجلس، فَرُجِمَ.

وكان يركبُ وعليه السَّلاح، ويُسَقِطُ حُرْمَة المُصحف عند العوام، فاجتاز يوماً بسوق الثَّلاثاء، فَرُجِمَ، ورموا عليه الميتات.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص ٢٤٢-٢٤٤ من هذا الجزء.

(٢) في (ع) و(ح): أبو الفرج، وهو تحريف، والمثبت من «المنتظم»: ٦/١٠، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٣٨هـ).

(٣) لم أقف عليه في كتب الموضوعات على نكارة متنه.

(٤) انظر حاشيتنا رقم ٤ ص ١٩٦ من هذا الجزء.

وكان يقول: ليس هذا الذي نتلوه كلام الله إنما هو عبارة عنه. ووجدوا عند بعض أصحابه مُصحفاً وبين كل سطرين بيت شعر، فأمر الخليفة بأن يُخرج الإسفراييني من بغداد، ثم تعصب له قوم على مثل رأيه، فجلس، وظهر الشيخ عبد القادر الجيلي، وجلس في الحلبة، ومال إليه الناس، وانتصر الحنابلة، فزال ما قرّر الإسفراييني من قلوب الناس، ورزق الشيخ عبد القادر القبول التام^(١).

وفيها قتل الباطنية وزير السلطان سنجر، وكان قد أفنى منهم اثني عشرة ألفاً، فبعثوا إليه سائساً يخدمه في إصطبله مدّة إلى أن وجد الفرصة، فدخل الوزير يوماً يفتقد دوابّه، فوثب عليه، فقتله، وقتل بعده^(٢).

وفيها سافر بغدوين صاحب القدس إلى وادي موسى، فذهب أهله، وشرّدهم عنه^(٣). وفيها قيل: مات مسعود بن البرسقي بالرحبة، وكان في عزّمه أخذ دمشق^(٤).

وفيها توفي

أحمد بن [أحمد بن] عبد الواحد^(٥)

ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن المتوكل على الله، أبو السّعادات. سمع الحديث الكثير [ولقي الشيوخ]^(٦)، ووقع ليلة الخميس سابع عشرين رمضان من سَطّحه بمحلة الثّوثة، فمات، ودُفن بمقبرة [باب]^(٦) الدّير عن ثمانين سنة، [سمع أبا الغنائم ابن المأمون، وأبا جعفر بن المسلمة، والخطيب وغيرهم. وذكره جدي في «مشيخته» وقال: ولد سنة إحدى وأربعين وأربعة مئة، وكان صحيح السماع، وسمعت منه]^(٦).

(١) انظر «المنتظم»: ٦/١٠ - ٧.

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٤٤.

(٣) المصدر السالف: ٣٤٧.

(٤) المصدر السالف: ٣٤٤.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ٧/١٠، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٧٢ - ٧٤، و«العبر» للذهبي: ٤٩/٤، و«الوافي بالوفيات»: ٢٢٧/٦ - ٢٢٨، و«عيون التواريخ» وفيات سنة (٥٢١هـ)، و«النجوم الزاهرة»: ٢٣٢/٥، و«شذرات الذهب»: ٤/٦٤، وما بين حاصرتين من مصادر ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المشيخة»: ٧٣ - ٧٤.

[فصل : وفيها توفيت

فاطمة بنت الحسين^(١)

ابن الحسن بن فضلوويه الرازي، كانت واعظة متعبدة، لها رباطٌ تجتمع فيه الزَّاهدات، سمعت الكثير وروت الكثير من الحديث، وكانت صالحةً، توفيت في ربيع الأول، سمعتُ أبا جعفر بن المسلمة، وأبا بكر الخطيب وغيرهما، وذكرها جدي رحمه الله في «مشيخته»، فقال: سمعتُ عليها بقراءة أبي الفضل محمد بن ناصر كتاب «ذم الغيبة» لإبراهيم الحربي، ومن مجالس ابن سمعون بروايتها عن ابن النُّقور [عنه]^(٢)، و«مسند» الشافعي وغير ذلك^(٣).

هبة الله بن علي بن إبراهيم^(٤)

أبو المعالي الشُّيرازي. كان من أكابر الفضلاء، ومن شُعره [ذكره ابن السمعاني]^(٥): [من الوافر]

أَحِنُّ إِلَى أَنْاسٍ قَدْ أَنْسَنَا بِقَرَبِهِمْ زَمَاناً ثُمَّ غَابُوا
وَنَعْلَمُ أَنَّنا لَا بُدَّ يَوْمًا نَتَابِعُهُمْ فَيَجْمَعُنَا الثُّرَابُ
فِيَارِبَ الْوَرَى عَظْفًا عَلَيْنَا فَلَيْسَ إِلَى سِوَاكَ لَنَا مَأْبُ

السَّنة الثَّانية والعشرون وخمسة مئة

فيها وصل عليُّ بن طراد من عند سنجر ومعه رسولٌ، فطلب الرُّسول أن يَخُطِّبَ على منابر بغداد في الجُمُع، فَأَذِنَ لَهُ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فِي جَامِعٍ.

(١) لها ترجمة في «المنتظم»: ١٠/٧-٨، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٢٠٥-٢٠٦، وفي «المشيخة»: فاطمة بنت محمد بن الحسين.

(٢) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/٨.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «مشيخة ابن الجوزي»، و«المنتظم».

(٤) له ترجمة في «الوفاي بالوفيات»: ٢٧/٢٩٣ - وفيه وفاته سنة (٥٢٠هـ) - و«النجوم الزاهرة»: ٥/٢٣٢.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيهما توجه محمود إلى سنجر، واتفقا بعد خشونة كانت بينهما، وسلّم إليه دُبَيْسًا، وقال: تسأل الخليفة أن يرضى عنه، وتعزل زُنكي من المَوْصل، وتسلمها إلى دُبَيْس.

وتقدّم الخليفة إلى نقيب النُقباء وشيخ الشيوخ ليمضيا إلى سنجر في الرّسالة، فبذل النقيب ثلاثين ألف دينار، وشيخ الشيوخ خمسة عشر ألفاً ولا يخرجها، فأخذ المال منهما وأعفيا^(١).

وفيهما توفي

الحسنُ بنُ علي بن صدقة^(٢)

أبو علي، جلال الدين، وزير المُستَرشد.

كان عاقلاً، رئيساً، فاضلاً دِيناً، ناصحاً لمخدومه، حَسَنَ السَّيرة، محمودَ الطَّريقة، محبوباً إلى الخاصّة والعامة، جَوَاداً مُمدِّحاً، توفي ببغداد ليلة الأحد، وحَضَرَ أربابُ الدَّولة، وكان يوماً مشهوداً، وحَزِنَ الخليفةُ عليه، وتطاول للوزارة جماعة، منهم عِزُّ الدولة بن المُطَّلِب، وابن الأنباري وأحمد بن النُّظام وغيرهم، فلم يستوزر أحداً منهم، واستناب نقيب النُقباء علي بن طراد الزَّينبي.

ومن شعر ابن صدقة يمدح المسترشد: [من الطويل]

وَجَدْتُ الْوَرَى كَالْمَاءِ طَغْماً وَرِقَّةً وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زُلَّالُهُ
وَصَوَّرْتُ مَعْنَى الْعَقْلِ شَخْصاً مُصَوَّراً وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِثَالُهُ
فَلَوْلَا مَكَانُ الدِّينِ وَالشَّرْعِ وَالتَّقَى لَقُلْتُ مِنَ الْإِعْظَامِ جَلَّ جَلَالُهُ^(٣)
قال أحمد بن عَمَّار الكوفي^(٤) يمدحه: [من الخفيف]

(١) انظر «المنتظم»: ٩-٨/١٠.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٩-١٠/١٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ٢/ ٩٤-٩٦، و«الكامل»: ١٠/٦٥٢، و«الفخري»: ٣٠٤-٣٠٥، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٥٢-٥٥٣، و«العبر»: ٤/ ٥١، و«الوافي بالوفيات»: ١٢/ ١٤٧-١٤٨، و«عيون التواريخ» في وفيات سنة (٥٢١هـ)، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٣، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٦٦.

(٣) انظر «المنتظم»: ٩-١٠/١٠.

(٤) سترد ترجمته في وفيات سنة (٥٢٧هـ) من هذا الجزء.

خَلَّه تُنْضِ لَيْلَهُ الْأَنْضَاءُ
فَقَدْ اسْتَنْجَدَتْ حَيَاهُ رَبِّي نَجْدَ
وَتَنَّتْ نَحْوَهُ الثَّنِيَّةُ قَلْبًا
عَاطِفَاتٍ إِلَيْهِ أَعْطَافُهَا شَوْ
دَمْنٌ دَامَ لِي بِهَا اللَّهْوُ حِينًا
وَأَسْرَتْ السَّرَاءُ فِيهَا بِقَلْبٍ
فَسَقَتْ عَهْدَهَا الْعِهَادُ وَرَوَّتْ
وَأَرَبَّتْ عَلَى الرَّبِّي مِنْ ثَرَاهَا
زَمَنٌ كَانَ لِي عَلَى الْهَمِّ هَمٌّ
فِي رِيَاضٍ رَاضَتْ خِلَالَ جَلَالِ الدِّ
شِيمِ شَامَهَا النَّسِيمُ فَرَقَّتْ
شَابَ بِالْعُرْفِ عَرْفُهُنَّ وَقَدَّمَا
مَلِكُ خَاطِبِ الْمُلُوكِ بِرَمَزٍ
أَلْمَعِيِّ لَوْ شَامَ لَامَعَ أَمْرٍ
لَكَ مِنْ وَجْهِهِ وَكَفَّيْهِ مَاءُ
رَوْضِ الرُّوضِ وَالنَّادِي نَدَاهُ
بِيدٍ أَيْدَتْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَنَا
وِيرَاعٍ رَاعِ الدَّوَابِلَ بِأَسَاءٍ
كَلَّمَا صَلَّ^(٢) صَالَ مِنْهُ بِصِلٍ
وَإِذَا مَا جَ تَمَّ مَجَّ لُعَابًا
فَعَلِيهِ لِلْسَّائِلِينَ صَلَاتٌ
قَدْ أَصَابُوا لَدَيْهِ صَوْبًا وَصَابًا

فَعَسَاهُ يَشْفِي جَوَاهُ الْخَوَاءُ
بِدِ وَشَامَتْ بُرُوقُهُ شَمَاءُ
قُلُوبًا تَسْتَخِفُّهُ الْأَهْوَاءُ
قَا كَمَا تَلَفَتْ الطَّلَى الْأَظْلَاءُ
وَصَفَا لِي فِيهَا الْهَوَى وَالْهَوَاءُ
أَسْرَتْهُ مِنْ بَعْدِهَا الضَّرَاءُ
مِنْهُ تِلْكَ النَّوَادِي الْأَنْدَاءُ
ثَرَّةٌ لِلرِّيَاضِ مِنْهَا ثَرَاءُ
بِالتَّصَابِي وَبِالْغَوَانِي غَنَاءُ
يَنْ أَرْوَاحُهُنَّ وَالصَّهْبَاءُ
وَجَفَّتْ عَنْ سَمُوهَا الْأَسْمَاءُ
خَامَرَ الْخَمْرَ فِي الرُّجَاجَةِ مَاءُ
خَطَبَتْ عَنْ خُطَابِهِ الْخُطْبَاءُ
لَأَرْثُهُ غَيُوبَهُ الْآرَاءُ
نَ فِهَذَا حَيًّا وَذَاكَ حَيًّا
فَاغْتَفَتْهُ الْأَحْيَاءُ وَالْأَحْيَاءُ^(١)
دَ وَكَانَتْ لَهَا الْيَدُ الْبِيضَاءُ
وَرَعَى الْمَجْدَ حِينَ قَلَّ الرُّعَاءُ
لَا يُرَى لِلرُّقَى إِلَيْهِ ارْتِقَاءُ
كَانَ مِنْهُ الشُّفَاءُ وَالْإِشْقَاءُ
وَلَدِيهِ لِلصَّائِلِينَ صَلَاءُ^(٣)
فِيهِمَا رَاحَةٌ لَهُمْ وَشِقَاءُ

(١) الندي: النادي، اعتفته: طلبت معروفه. الأحياء: الناس والحيوان. والأحياء - الثانية - أحياء العرب.

(٢) في (ع) و(ح): صال، والمثبت من «الخريدة»، وصل: صات، والصل: الحية من أخبث الحيات.

(٣) الصَّلاء: النار، الوقود.

وَرَّثَهُ هَذِي الْجُدُودِ جَدُودٌ
 مَعَشَرٌ عَاشَرُوا الزَّمَانَ وَوَلَّوْا
 يَا أَخَا الْجُودِ وَالسَّمَّاحِ نِدَاءٌ
 رَائِقاً لَا يُرِيقُ فِينَا دَمَ الْـ
 كُلِّ مَا هَزَّهَ السَّمَّاحُ تَثْنَى
 حَازَ شَأْوَ الصُّفَاتِ فَالْعِلْمُ مِنْهُ
 مُسْتَقِلٌّ لِلْمَالِ لَا يَجْتَدِيهِ
 هَمَّةٌ نَالَتْ الثُّرَيَّا عُلوّاً
 لَمْ يَطْلُهَا طَوَّلُ السَّحَابِ وَلَا جَا
 تَسْتَمِيلُ الْأَمَالُ عِظْفِيهِ عَظْفاً
 وَإِذَا الْقَصْدُ أَخْطَأَ ابْنَ عَلِيٍّ
 مِنْ آيَاتِ (١).

وَرَّثَتْهَا أَبَاءُهَا الْآبَاءُ
 وَعَلَيْهِ رِيٌّ بِهِمْ وَرُوءُ
 بَيْنَ سَمْعَيْنِهِ مِنْ نَدَاكَ نِدَاءُ
 أَمْوَالٍ حَتَّى تَحْيَا بِهِ الْعَلْيَاءُ
 بَيْنَ أَثْنَائِهِ عَلَيْكَ الثَّنَاءُ
 عَلَّمُ وَالذِّكَاؤُ فِيهِ ذُكَاؤُ
 إِنَّمَا هَمُّهُ الْعُلَى وَالْعَلَاءُ
 فَاسْتَوَى عِنْدَهَا الثَّرَى وَالثَّرَاءُ
 زَتْ بِمَجْرَى أَفْلَاكِهَا الْجَوَازُ
 وَيَهْزُ الْأَرْجَاءُ مِنْهُ الرَّجَاءُ
 فَعَلَى الْعُرْفِ وَالْعُفَاةِ الْعَفَاءُ

الحسين بن علي بن أبي القاسم (٢)

أبو علي اللامشي السمرقندي، الفقيه الحنفي.

كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي النَّظَرِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ، وَكَانَ صَالِحاً عَلَى طَرِيقَةِ
 السَّلَفِ، مُطَرِّحاً لِلْكُلْفَةِ، بُعِثَ رَسُولاً مِنْ خَاقَانَ مَلِكٍ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ إِلَى بَغْدَادَ، فَاتَّفَقَ
 أَوَانُ الْحَجِّ: فَقِيلَ لَهُ: قَدْ قَطَعْتَ مَسَافَةً بَعِيدَةً، فَلَوْ حَجَّجْتَ، فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُجْعَلَ
 الْحَجَّ تَبْعاً لِرِسَالَةِ هَؤُلَاءِ. وَرَجَعَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ، فَتَوَفَّى بِهَا فِي رَمَضَانَ عَنْ إِحْدَى وَثَمَانِينَ
 سَنَةً.

(١) أورد القصيدة بتمامها العماد الكاتب في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ٤/ ١م/ ٢٢٩ - ٢٣٣، مع

اختلاف في بعض ألفاظها، وأورد بعض أبياتها الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ٢٥٦/ ٧.

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٣٧٦/ ١٢، و«التحبير»: ٢٣٤-٢٣٦، و«المنتظم»: ١٠/ ١٠، و«معجم

البلدان»: ٨/ ٥، و«اللباب»: ٤٠٢/ ٣، و«الجواهر المضية»: ١٢٠-١٢١، و«النجوم الزاهرة»:

٢٣٣/ ٥، و«الفوائد البهية»: ٦٧.

طُغْتِكِين بن عبد الله^(١)

أبو منصور ظهير الدين أتابك صاحب الشام، مملوك تاج الدَّولة تُشش. كان مقدِّماً عنده، زَوْجَه أُمُّ ابْنِه دُقاق، ونَصَّ عليه في أتابكية دُقاق، وقد ذكرنا وقائعه، وكان شجاعاً، شَهِماً، عادلاً، ولما احتَضِرَ أوصى إلى ولده تاج الملوک بوري بحُسْنِ الطَّرِيقَةِ، والتزام العَدْل، وإقامة منار الإسلام، والجهاد والإحسان إلى الرِّعِيَةِ، ومراجعة العلماء وأرباب الخبرة فيما يتجدد.

وتوفي يوم السبت ثامن صفر، ودُفِنَ في تربته التي بناها قبلي دمشق عند المسجد الجديد، وهي قائمة إلى هَلَمَّ جِراء، وحَزَنَ أهلُ دمشق عليه، وعَمِلَ المَأْتَمَ له في كل مَحَلَّة وسوق، لأنه كان حَسَنَ السيرة، ظاهر العَدْل، كثير الإحسان، مُدَبِّراً للممالك، فَحَسُنَتْ آثاره، وعُمِرَتْ البلاد في أيامه، وأقام حاكماً على الشَّام خمساً وثلاثين سنة.

وجَلَسَ بُوري مكانه، فسار سيرته مُدَّة، وأَقَرَّ الولاية على حالهم، ثم تَغَيَّرَتْ نِيَّتُهُ وأَظْهَرَ^(٢) السُّوءَ لأَصْحَابِ أَبِيهِ، وَالظُّلْمَ لِلرِّعِيَةِ، وَقَبَضَ على خواصِّ أَبِيهِ واحداً بعد واحد، فاسترابوا به، ونَفَرَتِ القلوبُ منه، وتمكَّنَ وزيره المَزْدَقَانِي من أهل دمشق، وصادَقَ الباطنية، واستعان بهم.

وقال ابنُ القلانسي: مَرِضَ طُغْتِكِين مَرَضاً أَنهَكَ قُوَّتَهُ، وَأَنَحَلَ جِسْمَهُ، [وأضعف مُتَّه]^(٣)، فأحضر ولده بُوري، وأمراء دولته وخواصَّه، ونَصَّ على بوري، ووَصَّاه، وذكر بمعنى ما تقدم. قال: فَعَدَلَ ولده في الرعية [وعَمَّ إحسانه جميع البرية]^(٣)، وكان بظاهر دمشق أماكن دائرة، [ومواضع غامرة]^(٤) فلما قَصَدَ طُغْتِكِين بغداد، كتب إلى المسترشد يستأذنه في بيعها ليصرف ثمنها في الأجناد [والمريدين الجهاد]^(٣)، فَأَذِنَ له في ذلك، ووقَّع بخطه إِذْناً مُؤَبَّداً، فَعَمَرَتْ ضياع كانت خالية، وعلى عروشها خاوية، وظهرت

(١) سلفت أخباره مفرقة على السنين، وله ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ١٩ / ٥١٩ - ٥٢١، وفيه مصادر ترجمته.

(٢) في (م) و(ش): وأضمِر.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) الغامر من الأرض والدور: الخراب، «معجم متن اللغة»: ٣٢٣ / ٤.

منها الخيرات، وعَمَّتِ البركات.

وأَسَرَّ بُوري في نفسه من أمر الباطنية ما لم يُبْدِه لأحد عندما قويت شوكتُهُمْ، فلما مَكَّنَه الله منهم أوقعَ بهم، وكان بَهْرَام داعيهم في بانياس، قد بَثَّ دُعَاة في سائر الجهات، واستغوى خَلْقاً كثيراً، وشرَعَ في قَتْلِ الأعيان والزُّهَّاد، والوزير يساعده على أغراضه لتكون أيديهما واحدة، وبُوري غير راضٍ بذلك، بل تبعته السِّياسة على الصَّبْر، وكان بنو جندل في وادي التَّيم هم الأعيان، فاحتال على برق بن جندل حتى صار في يده، وكان شاباً شجاعاً، حَسَنَ الصُّورة، فقتله صَبْراً، وكان له أَخٌ يقال له ضَحَّاك، فاتفق مع أهله، وتعاهدوا على قتال بَهْرَام، فحشد وخرَجَ من بانياس قاصداً إليهم، وكانوا مستعدين للقاءه، فنزل قريباً منهم في خيمة، واستعدَّ للزَّحف إليهم، فجاءوا بقضُّهم وقضيضهم، وهَجَمُوا عليه الخيمة، وقَطَّعوه إرباً إرباً، وقتلوا أصحابه، ولم يُفَلت منهم إلا الشَّريد، وقام بعده رفيقه إسماعيل العَجَمي، وجرى المَزْدَقاني معه على عادته مع بَهْرَام لكن قَلُّوا وضعُفوا، فحينئذٍ أخذ بُوري في استئصالهم، وأوقع بالوزير، وسنذكره إن شاء الله تعالى في السَّنة الآتية^(١).

شَرَفُ النِّسَاءِ شَرَفُ خاتون

زوجة طُغْتِكِين والدَةُ بُوري.

كانت صالحة، كثيرة الخيرات، [قال أبو يعلى بن القلانسي: إنها توفيت في هذه السنة]^(٢)، ودُفنت في قُبَّتِها التي بنتها خارجَ بابِ الفراديس.

عبد الله بن طاهر بن محمد بن كاكُوا^(٣)

أبو محمد الواعظ، [ويعرف بابن زينة]^(٤).

(١) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٤٧-٣٥٦، وص ٢١٧، ٢١٩ من هذا الجزء.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) (ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٥٦.

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) و(س): ٩/٤٥٥، و«مختصره» لابن منظور: ٢٨٣/١٢، و«النجوم الزاهرة»: ٥/٢٣٤، ووفاته عند ابن عساكر سنة (٥٢٠هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ولد بصُور، ونشأ بالشَّام، [وذكرَ أنَّه سمع القاضي القُضاعي، وتفقه على أبي إسحاق الشَّيرازي، وسمع منه]^(١) قال: أنشدني أبو إسحاق الشَّيرازي لنفسه: [من البسيط]

لَمَّا أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبْتَسِمًا عَنْ كُلِّ مَعْنَى وَلَفْظٍ غَيْرِ مَحْدُودٍ
حَكَتْ مَعَانِيهِ فِي أَثْنَاءِ أَشْطَرِهِ أَفْعَالُكَ الْبَيْضَ فِي أَحْوَالِي الشُّوْدِ

[وقد ذكرناه في ترجمة أبي إسحاق]^(١).

كافور بن عبد الله^(٢)

أبو المِسْك الحَبْشي الخَصِي، ويعرف بالصُّوري.
[وأصله من مصر، وسكن صور، فنسب إليها]^(١).

طاف الدُّنيا، وسمع الحديث، وعاد إلى بغداد فمات بها، قَدِمَ بَيْهَقَ، فكتب إلى رئيسها محمد بن منصور البيهقي: [من البسيط]

هَلْ مِنْ قَرَى يَا أَبَا سَعْدٍ تَجُودُ بِهِ لَخَادِمٍ قَادِمٍ وَافَاكَ مِنْ صُورٍ
شِعَارُهُ إِنْ دَنَتْ دَارٌ وَإِنْ بَعُدَتْ اللَّهُ يُبْقِي أَبَا سَعْدٍ بِنِ مَنْصُورٍ^(٣)

السَّنة الثَّالِثَةُ والعشرون وخمسة مئة

فيها في المحرَّم عاد السُّلطان محمود إلى بغداد، [وأقام دُبَيْسَ في بعض الطريق، فاجتهد في أن يمكن دُبَيْسَ من دخول بغداد]^(٤) وأن يرضى عنه فلم يمكن، وبعث السُّلطان إلى زُنْكي بأن يسلم المَوْصِلَ إلى دُبَيْسَ، فلم يفعل.

وفيها وكل السُّلطان محمود بقاضي القضاة الزَّيْنَبِي، وسببه أنَّه نُقِلَ إليه أن مغلَّ أوقاف مدرسة أبي حنيفة يغل في كلِّ سنة ثمانين ألف دينار، وما ينفق عشرة آلاف دينار، فطلب السُّلطانُ منه الحساب.

(١) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٤٩٤/١٤، و«خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ٢١٦/٢ -

٢١٧، و«الوافي بالوفيات»: ٣١١/٢٤ - ٣١٢، وعندهم وفاته سنة (٥٢١هـ).

(٣) البيتان في «تاريخ ابن عساكر» و«الخريدة».

(٤) ما بين حاصرتين من (ح).

وفي صفر خلع الخليفة على أبي القاسم علي بن طراد نقيب النقباء خلع الوزارة. وفيها ضمن زنكي للسلطان مئة ألف دينار على أن لا يعزله عن الموصل، وضمن الخليفة للسلطان مثل ذلك ولا يولي دُبَيْساً ولاية، فقبل السلطان. ثم إن دُبَيْساً دخل بغداد وأتى إلى دار السلطان، وركب في طيَّار^(١) للسلطان في دجلة، والنَّاسُ يلعنونه ويسبُّونه، وكان سنجر قد سلَّمه إلى ابنته امرأة محمود، فكانت السبب في دخوله بغداد.

ورحل السلطان من بغداد في جمادى الآخرة، وسلَّم الحِجَّةَ وشحنكية بغداد إلى بهروز الخادم، واتَّفَقَ أن ماتت ابنة سنجر التي كانت تدافع عن دُبَيْس، ومَرَضَ محمود، فأخذ دُبَيْسٌ ولداً صغيراً لمحمود، ومضى إلى الحِجَّة، فدخلها في رمضان، وخرَجَ منها بهروز. وبَعَثَ بهروز كاتبه إلى محمود بذلك، وكان عند محمود نظر الخادم الذي للخليفة ليقيمه من عزاء ابنة سنجر، فأخبر، فقال لمحمود: منعت أمير المؤمنين من أن يستخدم العساكر، وسلَّطت عليه عدوّه. فأحضر محمود الأحمديلي وقزل، وقال: أنتما ضَمِنْتُمَا دُبَيْساً، وما أعرفه إلا منكما. فسار الأحمديلي يطلب العراق، وبَعَثَ دُبَيْسٌ إلى الخليفة يقول: إن رضيت عني ردَدْتُ عليك أضعاف ما غَرِمْتُ من الأموال، وأكون مملوكك. وشرَعَ في بيع الغلال وجمع الأموال، حتى حصَلَ خمس مئة ألف دينار، ودَوَّنَ عشرة آلاف فارس بعد أن وصل في ثلاث مئة، ووصل الأحمديلي بغداد، ودخل على الخليفة، فأعطاه يده فقبَّلَها، ثم عَبَرَ دجلة قاصداً إلى الحِجَّة. ووصلت الأخبار بأن السلطان قد وصل يريد بغداد، فبعث إليه دُبَيْسٌ أموالاً عظيمة وخيلاً وهدايا، وضمن له أنه إذا أصلح بينه وبين الخليفة أعطاه مئتي ألف دينار، وللخليفة ثلاث مئة حصان بأطواق الذهب، وإن لم يرض عنه دخل البرية، فقال السلطان: لا أرضى عنه أبداً. فأخذ الصَّبِيَّ، وخرَجَ من الحِجَّةَ بالجمال والروايا، ولا يدري أين يقصد، فوصل الخبر بأنه دخل البصرة وأخذ منها أموالاً كثيرة، فبعث

(١) الطيار: زورق خفيف سريع الجريان، انظر «معجم متن اللغة»: ٦٤٦/٣.

السُّلْطَانُ إِلَيْهِ قُزِلَ فِي عَشْرَةِ آلَافِ فَارِسٍ، فَدَخَلَ الْبَرِيَّةَ وَانْقَطَعَ خَبْرُهُ. وَخَرَجَ الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ لِلْقَاءِ السُّلْطَانَ، فَأَعْطَاهُ السُّلْطَانُ فَرَسَهُ وَعَلَيْهِ مَا قِيَمَتُهُ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ.

وَفِي رَوَايَةٍ: أَنَّ سَنَجَرَ دَفَعَ دُبَيْسًا إِلَى مُحَمَّدٍ، وَكَانَ مَعْتَقًا عِنْدَهُ بَنِيْسَابُورَ، وَقَالَ لَهُ: ادْخُلْ بِهِ إِلَى بَغْدَادَ، وَاشْفَعْ فِيهِ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ. فَلَمَّا دَخَلَ بِهِ قَبْلَ الْخَلِيفَةِ شَفَاعَتَهُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَعَادَهُ إِلَى الْحِلَّةِ، وَالْأَوَّلَ أَشْهَرَ.

وَفِيهَا كَانَتْ فِتْنَةُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ بِدَمَشَقَ، وَكَانَ ابْنُ مُحَرِّزٍ قَدْ سَلَّمَ إِلَيْهِمْ حِصْنَ الْقَدَمُوسِ لِأَنَّ بُورِيَّ قَصَدَهُ لِيَأْخُذَهُ مِنْهُ، فَسَلَّمَهُ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ الْوَزِيرُ الْمَزْدَقَانِي بِدَمَشَقَ يَكَاتِبُهُمْ وَيَهَادِيهِمْ خَوْفًا مِنْ بَنِي الصُّوفِيِّ، فَشَرَعَ وَجِيهَ الدِّينِ الْمُفَرِّجِ بْنِ الصُّوفِيِّ رَئِيسَ دَمَشَقَ مَعَ بُورِيَّ فِي الْإِغْرَاءِ بِالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَهُوَ عَلَى أَمْرِهِمْ، وَسَاعَدَهُ الْحَاجِبُ فَيْرُوزُ، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى قَتْلِ الْوَزِيرِ الْمَزْدَقَانِي، فَاسْتَدْعَاهُ بُورِيَّ إِلَى الْقَلْعَةِ سَابِعَ رَمَضَانَ، فَجَلَسَ عِنْدَهُ، فَلَمَّا قَامَ لِيَخْرُجَ وَثَبَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَجْنَادِ، فَقَتَلُوهُ فِي دِهْلِيزِ قَلْعَةِ دَمَشَقَ، وَقَطَعُوا رَأْسَهُ، وَأَحْرَقُوا جَسَدَهُ فِي بَابِ الْحَدِيدِ، ثُمَّ مَضُوا إِلَى دَارِ الدَّعْوَةِ، وَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ بِهَا، وَثَارَ عَوَامُ دَمَشَقَ عَلَى الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، فَقَتَلُوهُمْ شَرًّا قَتْلَةً؛ ذَبْحًا وَرَضًا بِالْحِجَارَةِ وَالسُّيُوفِ، وَصَلَبُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً عَلَى سَوْرِ دَمَشَقَ، فَكَانَ عِدَّةٌ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ عَشْرَةُ آلَافٍ عَلَى مَا قِيلَ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِحَرِيمِهِمْ وَلَا لِأَمْوَالِهِمْ، فَقَالَ نَصْرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبَازِيَارُ^(١) يَمْدَحُ ابْنَ الصُّوفِيِّ: [مَنْ الْوَافِر]

مَلَكْنَاكُمْ فَضُنَّا مَنْ وَرَاكُمْ وَلَوْ مُلْكُتُمُونَا لَمْ تَصُونُوا
أَسَلْنَا مِنْ دِمَائِكُمْ بِحُورًا جَسُومَكُمْ لَجَائِشَهَا سَفِينُ
فَقُلْتُ لَذِي النِّفَاقِ بَحِيثُ كَانُوا أَبَادَ حِمَاكُمْ الْأَسْدُ الْحَرُونَ^(٢)

(١) شَاعِرٌ وَلَدَ بِجَلَبَ، وَنَشَأَ بِدَمَشَقَ، كَانَ مُعَلِّمَ كُتَّابَ، ثُمَّ أَصْبَحَ طَبِيبًا، وَتَرَجَمَ لَهُ الْعِمَادُ فِي «الْخَرِيدَةِ» قِسْمَ شِعْرَاءِ الشَّامِ: ١٦٥/٢ - ١٦٨، وَسَاقَ مَقْتَطَفَاتٍ مِنْ شِعْرِهِ، وَذَكَرَ أَنَّ وَفَاتَهُ سَنَةَ (٥٤٢هـ) عَنْ سَبْعِينَ عَامًا، وَتَرَجَمَ لَهُ كَذَلِكَ الصَّفْدِيُّ فِي «الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ»: ٥٠/٢٧ - ٥١، وَالبَازِيَارُ: اسْمٌ يُطْلَقُ لِمَنْ يَحْفَظُ الْبَازَ، وَهُوَ مِنَ الْجَوَارِحِ الَّتِي يَصَادُ بِهَا، انْظُرْ «الْبَابُ» لِابْنِ الْأَثِيرِ: ١٠٩/١.

(٢) الْأَبْيَاتُ مِنْ قَصِيدَةٍ سَاقَ بَعْضُ أَبْيَاتِهَا الْعِمَادُ فِي «الْخَرِيدَةِ»، وَالصَّفْدِيُّ فِي «الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ» مَعَ اخْتِلَافٍ فِي تَرْتِيبِ أَبْيَاتِهَا.

وكان بانياس العَجَمي، فسَلَّمها إلى الفرنج [خوفاً من المسلمين]^(١)، فقويت [نفوس الفرنج]^(٢) على قَصْدِ دمشق، واستعدُّوا لها، وبلغَ بوري فراسل ملوك الأطراف، وبعثَ بالفقيه عبد الوهَّاب بن الحنبلي إلى بغداد رسولاً عنه وعن أهل دمشق بذكر استيلاء الفرنج على بانياس، وأنَّ قَصْدَهم دمشق، [وقد أشرفوا عليها]^(٣)، فخلعَ عليه، ووعد بإنفاذ العساكر، وجاء الفرنج، فنزلوا على جسر الخشب، وأخرج بُوري عَسْكَراً من باب شرقي في اللَّيل على ناحية بُراق^(٤)، فوقعوا على جماعة من الفرنج كانوا قد مضوا إلى حوران يطلبون الميرة، فقتلوهم وأسروا الباقين، وبلغ الفرنج، فرحلوا نحو حوران والمسلمون خلفهم ينهبون ويقتلون حتى وصلوا إلى طبرية^(٥).

وفيها توفي

أسعد بن أبي نصر^(٥)

أبو الفتح الميَّهني، الإمام الشافعي، [صاحب التعليق، تفقه على أبي المظفر السَّمْعاني وغيره، و]^(١)، برعَ في الفقه، وفاقَ أبناءَ جنسه [في النظر]^(٢)، وحصلت له منزلةٌ عند الملوك، وقَدِمَ بغداد، ودَرَّسَ بالنُّظامية، وعَلَّقَ عنه بها جماعةٌ «تعليقته» الخلافية، وخرَجَ من بغداد، فنزل هَمْدَان، فمَرَضَ وكان في بيتٍ، فقال لمن [كان]^(٣) عنده: اخرجوا عني. فخرجوا، فجعل يَلْطُمُ وجهه ويبكي، ويقول: ﴿بَحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] يُرَدِّدُها حتى مات.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): نفوسهم، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) براق: قرية في حوران تبعد ١٨ كم شمال شرق بلدة المسمية في منطقة الصنمين محافظة درعا، انظر «المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري»: ٢٦٧/١.

(٤) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٥٦ - ٣٦٠، و«الكامل»: ٦٥٧/١٠ - ٦٥٨.

(٥) له ترجمة في «تبين كذب المفتري»: ٣٢٠، و«المنتظم»: ١٣/١٠، و«الكامل»: ٦٦٠/١٠، و«وفيات الأعيان»: ٢٠٧/١ - ٢٠٨، و«طبقات الشافعية للسبكي»: ٤٢/٧ - ٤٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٦٣٣/١٩ - ٦٣٤، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

وذكر ابن الجوزي وابن الأثير وفاته في هذه السنة كما عند السبط، وذكر السبكي وفاته بعد العشرين وخمس مئة، أما الباقر فذكروا وفاته سنة (٥٢٧هـ).

حمزة بن هبة الله بن محمد^(١)

ابن الحسين بن داود بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو الغنائم النيسابوري.

ولد سنة تسع وعشرين وأربع مئة، وسمع الحديث الكثير، وحَدَّث بالكثير، وَضَمَّ إلى شَرَفِ النَّسَبِ شَرَفَ التَّقْوَى، وكان زَيْدِيَّ المذهب، توفي في الْمُحَرَّم.

طاهر بن سعد^(٢)

أبو علي الوزير المَزْدَقَانِي.

كان سَمَحًا، جَوَادًا، بنى المسجد على الشَّرَفِ شمالي دمشق عند تُرْبَةِ سِتِّ الشَّامِ، ويسمى مسجد الوزير، وفيه القُرَاءُ، وعليه الوقف، وكان قد عاداه وجيه الدولة [المفرج بن الحسن]^(٣) بن الصُّوفي [رئيس دمشق]^(٣)، فانتفى إلى الإسماعيلية خوفاً منه، فَقُتِلَ كما ذكرنا^(٤).

[فصل : وفيها توفي]

عبد الله بن محمد بن إسماعيل^(٥)

أبو محمد المصري، نزيل مكة، ويُعرف بابن الغَزَالِ، لأنَّ جدَّه كان يُشَبِّهُ الغَزَالِ في عَدُوِّهِ.

أقام بمكة واستوطنها، وذهب بصره بها، وتوفي ودفن في المُعَلَّى.

(١) له ترجمة في «منتخب السياق» للصريفيني: ٣١٧-٣١٨، و«التحبير»: ٢٥٥/١-٢٥٦، و«المنتظم»:

١٣/١٠-١٤، و«الكامل»: ٦٦٠/١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/٥٧٣.

(٢) سلفت أخباره مفرقة على السنين، وله ترجمة في «النجوم الزاهرة»: ٢٣٥/٥.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) انظر ص ٢١٧ من هذا الجزء.

(٥) له ترجمة في «العقد الثمين»: ٢٤٢/٥-٢٤٣، و«مختصر تاريخ ابن عساكر»: ٢٦٨/١٣ (اختصار سكية

الشهابي على نهج ابن منظور)، وفيه وفاته سنة (٥٢٤هـ).

سمع بمكة كريمة بنت أحمد المروزية، وبمصر القاضي القضاعي، وبدمشق أبا القاسم الجنائي، وأبا الحسن^(١) بن صُصْرَى، والخطيب، وغيرهم.
وروى عنه الحافظ ابن عساكر، لم يرو عنه إلا حديثاً واحداً لصمم كان به، وهو قوله عليه السلام: «الأعمال بالنيات»^(٢) [٣].

هبة الله بن أحمد بن محمد^(٤)

أبو محمد الأنصاري، ويعرف بابن الأَكْفَانِي.

دمشقيّ، ولد سنة أربع وأربعين وأربع مئة، ومات بدمشق، سمع الكثير، ولقي الشيوخ، سمع جده لأمه أبا الحسن بن صُصْرَى [والخطيب وغيرهما، وروى عنه غيث ابن علي، وهو من أقرانه، وقال الحافظ ابن عساكر: سمع أباه [وأبا] الحسين وأبا نصر بن طلاب وغيرهم]^(٥) وكان يزكي الشهود إلى أن مات، وكان يُشدد: [من الطويل]

إذا رشوة من باب دارٍ تَقَحَّمَتْ على أهل بيتٍ والأمانة فيه
سَعَتْ هَرَباً منه وولّت كأنها حليمٌ تولّى عن جواب^(٦) سَفِيهِ

السنة الرابعة والعشرون وخمس مئة

فيها في ربيع الأول كانت ببغداد زلزلة عظيمة هدمت دُوراً كثيرة، ومات خلق كثير، ثم حدث عقيبها موتُ السلطان محمود، وحروبٌ عظيمة.

(١) في (م) و(ش) أبا القاسم، والمثبت من «العقد الثمين».

(٢) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب، وهو في «المسند» للإمام أحمد (١٦٨).

(٣) ما بين حاصرتين من (م)، ونحوه في (ش).

(٤) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٦٠، و«مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور: ٢٧ / ٦٥ - ٦٦، و«العبر» للذهبي: ٦٣ / ٤، و«سير أعلام النبلاء» ١٩ / ٥٧٦ - ٥٧٨، وفيه تنمة مصادر ترجمته، ووفاته عندهم سنة (٥٢٤هـ).

(٥) في (ع) و(ح): بن صصري وغيره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في (ع) و(ح) من، والمثبت من «مختصر ابن منظور»، وفي (م) و(ش): جوار.

وفي جمادى الأولى ارتفعت سحابةٌ على بلد المَوْصِل، فأمطرتُ ناراً أحرقت ما مَطَرَتْ عليه.

وَقُتِلَ الأمرُ صاحبِ مصر.

وفيها استَوَزَرَ بُوري المَفَرِّجَ بنَ الصُّوفي، وكان ضعيفَ الكتابة إلا أنَّ رأيه كان سديداً، ومذهبه في النزاهة حميداً، فَعَدَلَ وأحسن، وولَّى في الأعمال الثِّقات والكُفَاة. وفيها وَصَلَ زُنْكي بن آق سُنْقُرٍ إلى حلب من المَوْصِل وقد أَظْهَرَ أَنَّهُ على عَزْمِ الجهاد، وراسل بُوري يلتبس منه المعونة على محاربة الفرنج، فأرسل إليه مَنْ اسْتَحْلَفَهُ الأيمان المَغْلَظَةَ، واستوثق منه لنفسه ولصاحبِ حِمُص وحماة وأصحاب الأَطراف، وكان سونج بن بوري بحماة، فبعث إليه من دمشق خمس مئة فارس، وأمره بالمُضِي إلى خدمة زُنْكي، وكان في عسكر بوري أعيان الأمراء، فسار سونج من حماة إلى حلب، فأحسن زُنْكي لقاءهم وأكرمهم، وغافلهم أياماً وَقَبَضَ عليهم، وسونج في الجُمْلَةِ، ونَهَبَ خيامهم وأثقالهم، وهَرَبَ منهم من قَدَر، وجاء في يومه إلى حماة، فاستولى على ما فيها لخلوِّها من الرِّجال، ورحل إلى حِمُص وكان صاحبها خير خان معه، وهو الذي حَسَنَ له الغَدْر، فحين حصل على حِمُص اعتقله ونَهَبَهُ، وطلبَ منه تسليم حِمُص، فأبى مَنْ في القلعة وقاتلوه، فأقام أياماً ورحل إلى المَوْصِل، ومعه سونج بن بوري، واعتقل الباقيين في حلب، وقَيَّدَهم، والتمس منهم خمسين ألف دينار، فشرع بُوري في تحصيلها، ولما بلغ الملوك فِعْلُ زُنْكي لعنوه وسَبُّوه ونفروا منه، وساءت سيرته، وبلغ السلطان، فَجَهَّزَ إليه [جيشاً]^(١)، فمَرَضَ واشتغل بمرَضِهِ.

وفيها ظهر بالعراق عقاربٌ طيَّارة لها أجنحة، وهي ذاتُ شوكتين، فقتلت من الأطفال خلقاً كثيراً.

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

فصل وفيها توفي

إبراهيم بن عثمان بن محمد^(١)

أبو إسحاق الغزي الكلبى، وقيل أبو القاسم، وقيل أبو مرثد^(٢)، الشاعر.

ولد بغزة سنة إحدى وأربعين وأربع مئة، وكان أحد فضلاء الدَّهر، انتقل إلى العراق، وخرج إلى خراسان، وكرمان وفارس وأصبهان، وامتدح [بها]^(٣) جماعة من الرؤساء [والأعيان]^(٤)، وانتشر شِعْرُهُ هناك.

[وقد ذكره ابنُ السَّمْعاني في «الذيل» والحافظ ابن عساكر في «التاريخ» والعماد في «الخريدة»، وقال ابن عساكر: وقد اختلفوا في كنيته، فقيل أبو القاسم، وقيل أبو إسحاق، وقيل: أبو مَدِين^(٥)، الكَلْبى، شاعرٌ مُخَسِّنٌ مجيدٌ]^(٦).

وأثنى عليه العماد الكاتب، فقال: وكم له من حِكْمَةٍ مُحْكَمَةِ النَّسْجِ، وفِقْرَةٍ واضِحَةِ النَّهْجِ، وكلامٍ أحلى من منطق الحسناء، [وأ]على [من] منطقة الجوزاء، وقصائد كالفرائد، وقلائد كعقود الخرائد، وغرر حسان، ودُرٌّ ومرجان، وذكر كلاماً طويلاً^(٧).

وقال ابنُ السَّمْعاني: خَرَجَ الغَزِّي من مَرَوْ يريد الحج، فتوفي في الطَّرِيق، فَحُمِلَ إلى بَلْخ، فَدُفِنَ بها، وكان يقول: إني لأزجو أن يعفو الله عني لأنى شيخٌ مُسِنٌ قد جاوزتُ الثمانين سنة، وأنا من بَلَدِ الإمام الشافعي، وغريبٌ.

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٢/ ٤٦٩ - ٤٧٠، و«نزهة الألباء»: ٣٨٧، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٣/ ٧٥، و«المنتظم»: ١٥/ ١٦، و«الكامل»: ١٠/ ٦٦٦ - ٦٦٧، و«وفيات الأعيان»: ٥٧/ ٦٢، و«الوافي بالوفيات»: ٥١/ ٥٤، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٥٥، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٥٤ - ٥٥٥، وفيه تنمة مصادر ترجمته، وعند ابن خلكان والذهبي في «السير»: إبراهيم بن يحيى بن عثمان.

(٢) كذا في (ع) و(ح)، وفي «تاريخ ابن عساكر» و«الوافي بالوفيات»: أبو مَدِين، وانظر الاختلاف في كنيته فيما سيأتي.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (م): أبو مزيد، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر»: ٢/ ٤٦٩.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) «الخريدة»: قسم شعراء الشام: ٣/ ١، وما بين حاصرتين منه.

قال العماد: ومن شِعره [من الطويل]

وَحَتَّامٌ أَرْجُو دَوْلَةً وَزَرَائِهَا
سَوَاءٌ لَدَيْهِمْ مَا حَوَى سِلْكُ نَازِمٍ
قَضَتْ غُنَّةُ التَّمْيِيزِ وَالْفَهْمِ فِي الْوَرَى
وَإِنِّي لَتُغْنِيَنِي عَنِ السَّيْفِ عَزَمَتِي
عَسَى بَيْنَ أَحْشَاءِ اللَّيَالِي عَجِيبَةٌ
وَتَهْتَرُ بِالْقَطْرِ الْبَحَارُ^(١) وَإِنَّهَا

يَرُدُّونَ إِنْ حَيَّيْتَهُمْ بِالْحَوَاجِبِ
وَمَاضَمَهُ فِي ظُلْمَةِ حَبْلٍ حَاطِبٍ
بَتَعْنِيسِ أَبْكَارِ الْعُلُومِ الْكَوَاعِبِ
فَهَلْ فِيهِ مَا تُغْنِيهِ عَنْ كَفِّ ضَارِبِ
حُبَالَى اللَّيَالِي أُمَهَاتِ الْعَجَائِبِ
لِمَسْتَغْنِيَاتٍ عَنْ نَوَالِ^(٢) السَّحَابِ^(٣)

وكان الغزي قد نفق على المعين القاشاني وزير سنجر، ف قيل للوزير: إنه قد أسنَّ عن قول الشُّعر. فقال له: أريد أن توازن قصيدة أبي العلاء التي يقول فيها: [من البسيط]

هَاتِ الْحَدِيثَ عَنِ الزُّورَاءِ أَوْ هَيْتَا
فَقَالَ عَلَى الْبَدِيهِ: [من البسيط]

أَمِطْ عَنِ الدَّرَرِ الزُّهْرَ الْيَوَاقِيتَا
جَمَعْتَ ضِدَّيْنِ كَانَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا
وَفَتْيَةً مِنْ كُفَاةِ الثُّرُكِ مَا تَرَكْتُ
قَوْمٌ إِذَا قُوبِلُوا كَانُوا مَلَأَكَةً
مُدَّتْ إِلَى النَّهْبِ أَيْدِيهِمْ وَأَغْيَيْنُهُمْ
بِدَارِ قَارُونَ لَوَمَرُّوا عَلَى عَجَلٍ
بِالْحِرْصِ فَوَتَّنِي دَهْرِي فَوَائِدُهُ
دُنْيَا اللَّئِيمِ يَدُّ فِي كَفِّهَا بَرَصٌ
[وَمِنْهَا يُعَرِّضُ بِشَعْرِ الْمَعْرِي]^(٦):

وَاجْعَلْ لِحَجِّ تَلَاقِينَا مَوَاقِيتَا
لِكُلِّ جَمْعٍ مِنَ الْأَلْبَابِ تَشْتِيتَا
لِلرَّعْدِ كِبَائُهُمْ^(٥) صَوْتًا وَلَا صِيتَا
حُسْنًا وَإِنْ قُوتِلُوا كَانُوا عِفَارِيتَا
فَزَادَهُمْ فَلَقُ الْأَحْشَاءِ تَثْبِيتَا
لِبَاتٍ مِنْ فَاقَةٍ لَا يَمْلِكُ الْقُوتَا
وَكَلَّمَا زِدْتُ حِرْصًا زَادَ تَفْوِيتَا
فَكُلُّ مَا لَمَسَتْهُ كَانَ مَمْقُوتَا

(١) في (ع) و(ح): السحاب، والمثبت من «الخريدة».

(٢) في (ع) و(ح): توالي، والمثبت من «الخريدة».

(٣) «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١٦/١ - ١٨.

(٤) الزوراء: بغداد، ولا تكرر: لا تطفأ، وأصل الكرى النوم، فجعل انطفاء النار نوماً، انظر «شروح سقط

الزند» السفر الثاني: القسم الرابع: ١٥٥٣ - ١٥٥٤.

(٥) الكبة: الحملة في الحرب. «اللسان» (كيب).

(٦) ما بين حاصرتين من (ح).

بديهة ما استعانت عند تَقْفِيَةٍ بذكر هيت ولا مرث بتكريتنا^(١)
وقال أيضاً: [من الكامل]

خُذْ ما صفا لك فالحياة غُرورُ والدَّهْرُ يَعْدِلُ تارةً ويجورُ
لا تَغْتَبَنَّ على الزَّمانِ فإنه فَلَكَ على قُطْبِ اللَّجَاجِ يدورُ
أبداً يُولَّدُ تَرْحَةً من فَرْحَةٍ^(٢) وَيَضُوبُ غَمًّا مِنْتَهاهُ سُورُ
تعفو السُّطورُ إذا تقادمَ عَهْدُها والخَلْقُ في رِقِّ الحياةِ سُطورُ
كلُّ يَفِرُّ من الرَّدَى لِيَفُوتَهُ وله إلى ما فَرَّ مِنْهُ مَصِيرُ
فانْظُرْ لِنَفْسِكَ فالسَّلامَةُ نُزْهَةٌ^(٣) وزمانُها ضافي الجناحِ يطيرُ
مرآةً عَيْشِكَ بالشَّبابِ صقيلةٌ وجَناحُ عُمَرِكَ بالمشيبِ كسيرُ
بادِرْ فإنَّ الوقتَ سَيْفٌ قاطِعُ والعُمُرُ جَيْشٌ والشَّبابُ أميرُ^(٤)
وقال: [من السريع]

طول الحياة ما لها طائلُ نَعَصَ عندي كلُّ ما يُشْتَهَى
أصبحْتُ مِثْلَ الطُّفْلِ في ضَعْفِهِ تَشَابَهَ المَبْدَأُ والمُنْتَهَى
فَلِمَ تَلُمَ سَمْعِي إذا خانني «إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلَّغَتْهَا»^(٥)
قوله «إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلَّغَتْهَا»^(٦) تضمين لعوف بن مُحَلِّم الشَّيبَانِي، أنشده لعبد الله بن
طاهر^(٧).

(١) الأبيات ما عدا البيت الأخير في «خريدة القصر»: ٨/١ - ١١ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) في (ع) أن يولد فرحة في ترحة، وفي (ح) «من» بدلاً من «في»، والمثبت من (م) و(ش).

(٣) في «الخريدة»: نُزْهَةٌ.

(٤) الأبيات في «الخريدة»: ٢١/١ - ٢٣.

(٥) الأبيات في «الخريدة»: ٣٤/١ - ٣٥.

(٦) البيت هو:

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلَّغَتْهَا قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وهو دائر في كتب العربية، انظره في «أمالى القالي»: ٥٠/١، و«أمالى ابن الشجري»: ٣٢٩/١.

(٧) عوف بن مُحَلِّم الشَّيبَانِي، شاعر صاحب أخبار ومعرفة بأيام الناس، وكان نديماً لطاهر بن الحسين والد

عبد الله بن طاهر، ثم بعد وفاة طاهر قرَّبه عبد الله، وأنزله منزله من أبيه، وتوفي نحو سنة (٢٢٠هـ).

وقال: [من الخفيف]

وَصُدُورٌ^(١) لَا يَشْرَحُونَ صُدُوراً
[قلت: وقبله]^(٣):

أَنَا فِي الْحِلَّةِ الْغَدَاةِ كَأَنِّي
بَيْنَ قَوْمٍ لَا يَعْرِفُونَ كَلَاماً
وقال: [من الخفيف]

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ
مَا مَضَى فَاتٍ وَالْمَوْءَلُ غَيْبٌ
وقال: [من الكامل]

لَيْتَ الَّذِي بِالْعِشْقِ دُونَكَ خَصَّنِي
أَلْقَى الْهَزْبَرَ فَلَا أَخَافُ نِيوبَهُ
وكان قد غَسَلَ أَكْثَرَ شِعْرِهِ وَتَرَكَهُ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: [من الكامل]

قَالُوا هَجَرْتَ الشُّعْرَ قَلْتُ ضَرُورَةً
خَلَّتِ الْبِلَادُ^(٦) فَلَا كَرِيمٌ يُرْتَجَى
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ لَا يُشْتَرَى
[وفيها توفي أبو عبد الله البارع الزاهد، شيخ جدِّي رحمه الله، واسمه]^(٨)

= وعبد الله بن طاهر من أشهر الولاة في العصر العباسي، ولي إمرة الشام مدة، وولاه المأمون خراسان، وظهرت فيها كفايته، وكانت وفاته سنة (٢٣٠ هـ)، انظر «فوات الوفيات»: ٣/ ١٦٢ - ١٦٤، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٨٣ - ٨٩.

(١) صدور جمع، مفردا صدر: وهو في القوم رئيسهم، انظر «معجم متن اللغة»: ٣/ ٤٣٠.

(٢) «الخريدة»: ٣٠/ ١.

(٣) ما بين حاصرتين من (ح).

(٤) «الخريدة»: ٣٦/ ١.

(٥) انظر القصيدة في «الخريدة»: ٣٨/ ١ - ٤١.

(٦) في (م) و(ش): الديار.

(٧) «الخريدة»: ٦/ ١.

(٨) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الحسين بن محمد بن عبد الوهّاب^(١)

أبو عبد الله، البارع النّحوي [الشّاعر]^(٢)، وهو أخو أبي الكرم بن فاخر النّحوي لأُمّه^(٣). ولد سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة، [و]^(٢) قرأ القرآن بالروايات [على أبي بكر بن الخياط وغيره]^(٢)، وسمع الحديث [الكثير]^(٢)، واشتغل باللغة والأدب، وقال الشّعْر [المليح]^(٢)، وتوفي يوم الثلاثاء سابع عشرة جمادى الآخرة بعدما أُضرَّ، ودُفِنَ بباب حرب [سمع القاضي أبا يعلى بن الفراء وابن المسلمة وأبا بكر بن الخياط وغيرهم، وروى عنه جدّي في «المشيخة»، وكان جواداً كريماً]^(٢).

قال ابنُ ناصر: كان فيه تساهلٌ في الحديث وضعف.

ومن شِعره: [من مجزوء الرجز]

رَضُوا بِقَتْلِي فَرَضَا	إِنْ كَانَ جِيرَانُ الْغَضَى
يَهْوَى الْحَبِيبُ مُبْغِضَا	وَاللَّهِ لَا كُنْتُ لِمَا
لِلْعَبْدِ أَنْ يَغْتَرِضَا	صَرْتُ لَهُمْ عَبْدًا وَمَا
رَقِيَ عَلَى جَمْرِ الْغَضَى	هُمْ قَلَّبُوا قَلْبِي مِنَ الشَّ
ي بِالنُّحُولِ عَرَضَا	وَهُمْ أَحَالُوا الْجِسْمَ مِنْ
بَيْنُكُمْ فِيمَا مَضَى	أَحْبَابَنَا جَارَ عَلَيَّ
عَلَيْكُمْ مُفْتَرَضَا	إِنْ كَانَ قَتْلِي فِي الْهَوَى
كَانَ خِضَاباً فَنَضَا	وَأَسْفَا عَلَى الصُّبَا
مِنَ الْفِرَاقِ أَبْيَضَا	عَادَ سَوَادُ لِمَّتِي

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج ١ / ج ٣ / ٦١ - ٨٨، و«المنتظم»: ١٠ / ١٦ - ١٩، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٨٠ - ٨٢، و«معجم الأدباء»: ١٠ / ١٤٧ - ١٥٤، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠ / ٦٦٧، و«إنباه الرواة»: ١ / ٣٢٨ - ٣٢٩، و«وفيات الأعيان»: ٢ / ١٨١ - ١٨٤، و«معرفة القراء الكبار»: ٢ / ٩٢٠ - ٩٢٢، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩ / ٥٣٣ - ٥٣٦، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) كان أبو الكرم إماماً في اللغة والنحو، ولد سنة (٤٣١ هـ)، وتوفي سنة (٥٠٠ هـ)، وقيل سنة (٥٠٥ هـ)، وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٩ / ٣٠٢ - ٣٠٣، وفيه مصادر ترجمته.

كَأَنَّمَا عَهْدُ الشُّبَا
 كَمْ نُلْتُ فِيهِ أَمَلًا
 يَا حَاكِمِينَ بِالضُّدِ
 عِنْدِي بِقَايَا كَمَدٍ
 مَنْ لِمَرِيضٍ لَا يَرَى
 أَغْرَضَ عَنْهُ الصَّبْرُ مَذًى
 [وقال]^(٢): [من مجزوء الرجز]

أِهْ لِبَرْقٍ لَمَعَا
 أَيْقَظَ مِنِّي لِلْغَرَا
 فَبِتُّ مِنْ إِيْمَاضِهِ
 يَا بَرْقُ إِمَّا تَرِيَنُ
 فَحَيِّ عَنِّي أَرْبَعَا
 يَا نَاطِرًا^(٣) أَقْسَمَ مِنْ
 كَبَّرَ مَذًى فَارْقُتْهُمْ
 كَانَ عَصِيًّا دَمْعُهُ
 لَوْ يَسْتَطِيعُ لَسَقَى
 تِلْكَ الرُّبَا وَذَلِكَ الـ
 مَصَارِعَ الْعُشَّاقِ فِيـ
 كَمْ كَبِدٍ قَطَّعَهَا
 وَكَمْ دِيَارٍ بِالنَّوَى
 أَحِبَابَنَا عَلَّيْ أَرَى

بِ كَانَ دَيْنًا يُقْتَضَى
 وَكَمْ بَلَّغْتُ غَرَضَا
 دِ جَائِرِينَ فِي الْقَضَا
 يَضِيقُ عَنْهُمْ الْقَضَا
 إِلَّا الطَّبِيبَ الْمُمَرِّضَا
 أَصْبَحَ عَنْهُ مُغَرِّضَا^(١)

مَاذَا بِقَلْبِي صَنَعَا
 مِ مُسْتَهَامًا مُوجَعَا
 أَسْكَبُ دَمْعِي دُقْعَا
 يِ لِلصَّنِيعِ مَوْضَعَا
 أَكْرِمَ بِهِنَّ أَرْبَعَا
 بَعْدَ النَّوَى لَا هَجَعَا
 عَلَى الرُّقَادِ أَرْبَعَا
 بِالنَّوْمِ صَارَ طَيِّعَا^(٤)
 مَاءَ الشُّؤُونِ أَجْمَعَا
 مُصْطَافٍ وَالْمُرْتَبَعَا
 هَا مَصْرَعًا فَمَصْرَعَا
 هَجَرُ الْحَبِيبِ قِطْعَا
 أَضْحَتْ خِلَاءَ بَلْقَعَا
 شَمَلِي بِكُمْ مُجْتَمَعَا

(١) القصيدة بتمامها في «الخريدة»: ٦٦/٣ - ٦٩ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) ما بين حاصرتين من (ح).

(٣) في «الخريدة»: من ناظر.

(٤) في «الخريدة»: فالיום عاد طيِّعا.

يَوْمَ دَعَا فَأَسْمَعَا^(١)

ديار الأحيبة مَغْنَى فَمَغْنَى
فليس لكثمانه الحُبِّ معنى
تذَكَّرَ بِالرَّمْلِ عَهْدًا فَحَنَّا
إِذَا نَاحَ مِنْ طَرَبٍ أَوْ تَغَنَّى
إِلَى جَسَدٍ ظَاهِرِ الضَّرِّ مُضْنَى
أَجَدَّ لَهَا ذَلِكَ الذُّكْرُ حُزْنًا
وَإِنْ كُنَّ بُدْلَنَ بِالسَّكَنِ سَكْنَا
وَإِنْ حَجَبَتْهَا يَدُ الْبَيْنِ عَنَّا^(٢)

وقال: وقد حجَّ سنة ثلاثٍ وتسعين وأربع مئة: [من المديد]

وَالصُّبَا وَالْإِلْفَ وَالسَّكْنَا
مُذْنَفٌ بِالشُّوقِ حِلْفُ ضَنَى
مِنْ خُرَاسَانَ بِهِ الْيَمَنَا
ذَا تُ أَيُّكَ مَيَّلَتْ فَنَنَا
مُسْعِدٌ إِلَّا وَقَلَّتْ أَنَا
لَمْ تُذِيقِي طَرْفَهُ الْوَسَنَا
فَتَعَالَى نُبْدِ مَاكَمَنَا
نُحِتَ شَجْوًا صَحْتُ وَاحَزَنَا
أَنَا لَا أَنْتِ الْغَرِيبُ هُنَا
أَنْتِ وَالْإِلْفُ الْقَرِينُ ثَنَا
وَاسْكُنَا جُنْحَ الدُّجَى غُصْنَا

لَيْتَ الْفِرَاقَ لَمْ يَكُنْ

وقال من جملة قصيدة: [من المتقارب]

كَأَنِّي نَظَرْتُ وَقَدْ شِمْتُهُ
فَبُخْتُ وَمَنْ خَانَهُ صَبْرُهُ
وَمَاذَا عَلَى مُذْنَفٍ بِالْعِرَاقِ
وَإِنِّي لِكُلِّ شَجٍ عَاذِرُ
وَلِي مَهْجَةٌ قُرِنْتُ بِالْأَسَى
إِذَا ذَكَرْتَ عَهْدَ أَلْفِهَا
سَقَى اللَّهَ أَزْبُعَنَا بِالْحِمَى
وَحَيًّا وَجَوْهَاً عَهْدَنَا بِهَا

وقال: وقد حجَّ سنة ثلاثٍ وتسعين وأربع مئة: [من المديد]

ذَكَرَ الْأَحْبَابَ وَالْوَطَنَا
فَبَكَى شَجْوًا وَحُقَّ لَهُ
أَبْعَدَتْ مَرْمَى يَدُ رَجَمَتْ^(٣)
مَنْ لِمَشْتَاقٍ تُمَيَّلُهُ
لَمْ تَعْرِضْ فِي الْحَنِينِ بِمَنْ
لَكَ يَا وَرَقَاءُ أَسْوَةٌ مَنْ
بِكَ أَنْسَى مِثْلُ أَنْسِكَ بِي
نَتَشَاكِي مَا نُجِنُّ فَإِنْ
أَنَا لَا أَنْتِ الْبَعِيدُ هَوَى
أَنَا فَرْدٌ يَا حَمَامُ وَهَا
إِسْرَحَا رَأَدَ النَّهَارِ ضَحَى

(١) القصيدة بتمامها في «الخريدة»: ٧٨/٣ - ٨١.

(٢) انظر أبياتاً من القصيدة في «الخريدة»: ٦٣/٣ - ٦٤.

(٣) في (ع) و(ح): نزحت، والمثبت من «الخريدة».

وَابْكِيَا يَا جَارَتِي لِمَا
 كَمْ تَرَى أَشْكَو الْبِعَادَ وَكَمْ
 أَيْنَ قَلْبِي مَا صَنَعْتَ بِهِ
 كَانَ يَوْمَ النَّفْرِ وَهُوَ مَعِي
 أَبْهَ حَادِي الْفِرَاقِ حَدَا
 رَفَعُوا سُجْفَ الْقَبَابِ فَلَا الـ
 كُمْ أَخِي نُسْكَ وَذِي وَرَعٍ
 أَنْصِفُونَا يَا بَنِي حَسَنِ
 نَحْنُ وَقَدْ أَلَّهْ عِنْدَكُمْ
 ذُبْتُ حَتَّى لَوْ أَخَوَ رَمَدٍ
 لَوْ رَأَى حَاسِدِي لَبَكَى
 لِي عَيْنٌ دَمْعُهَا دِرَرٌ
 وَحَشَا أَنْفَاسُهَا شَرَرٌ
 ضَمَّنَا رَمِي الْجِمَارِ فَمَا
 بَيْنَمَا نَقْضِي مَنَاسِكُنَا
 قَدْ^(١) سَمَحْنَا بِالْقُلُوبِ لَكُمْ
 فَاغْقِرُوهَا بِاللُّحَاظِ إِذَا
 لَمْ يُجِرْنَا مِنْكُمْ حَرَمٌ
 مِنْ آيَاتِ^(٣).

وقال أيضاً: [من البسيط]

رُدِّيَ عَلَيَّ الْكَرَى ثُمَّ اهْجُرِي سَكْنِي

صَنَعْتُ أَيْدِي الْفِرَاقِ بِنَا
 أَنْدُبُ الْأَطْلَالِ وَالْدَّمْنَا
 مَا أَرَى صَدْرِي لَهُ سَكْنَا
 فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَ الْبَدْنَا
 أَمْ بِهِ دَاعِي الشَّيْبَابِ عَنَا
 فَرَضَ أَذَيْنَا وَلَا السُّنْنَا
 جَاءَ يَبْغِي الْحَجَّ فَاغْتَتْنَا
 لَيْسَ هَذَا مِنْكُمْ حَسْنَا
 مَا لَجِيرَانِ الْغَضَى وَلَنَا
 ضَمَّنِي جَفْنَاهُ مَا فَطْنَا
 رَحْمَةً لِي أَوْ عَلَيَّ حَنَا
 خُلِقْتُ أَجْفَانُهَا مُزْنَا
 مُحْرِقَاتٌ مَنْ إِلَيَّ دَنَا
 رَاحَ حَتَّى رُحْتُ مَمْتَحَنَا
 إِذْ لَقِينَا دُونَهَا الْفِتْنَا
 لَيْسَ نَبْغِي مِنْكُمْ^(٢) ثَمْنَا
 شِئْتُمْ أَنْ تَغْقِرُوا الْبُدْنَا
 مَنْ أَتَاهُ خَائِفًا أَمِنَا

فَقَدْ قَنِعْتُ بِطَيْفٍ مِنْكَ فِي الْوَسَنِ

(١) في (ع): كم، والمثبت من (ح).

(٢) في (ع) و(ح): دونها، والمثبت من «الخريدة».

(٣) انظر القصيدة بتمامها في «الخريدة»: ٨٣/٣ - ٨٧ مع اختلاف في بعض الألفاظ، وترتيب الأبيات.

عَلَّمْتُ بِالْهَجْرِ جَنْبِي هَجَرَ مَضْجِعِهِ
 لَا تَحْسَبِي النَّوْمَ قَدْ أَصْبَحْتُ أَظْلُبُهُ
 تَرَكْتَنِي وَالْهَوَى فَرْدًا أَغَالِبُهُ
 سَلِمْتُ مِمَّا عَنَانِي فَاسْتَهْنَتْ بِهِ
 شَتَّانَ بَيْنَ خَلِيٍّ مُطْلَقٍ وَشَجِ
 اللّٰهَ فِي كَيْدِي الْحَرَى عَلَيْكَ وَفِي
 إِنْ كَانَ يَوْجِبُ ضُرِّي رَحْمَتِي فِرْضِي
 يَا هَمْ نَفْسِي فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ
 حُرِمْتُ مِنْكَ الرِّضَى إِنْ كَانَ غَيْرُنِي
 لَوْ قِيلَ لِي نُلْ مِنَ الدُّنْيَا مُنَاكَ لَمَا
 مَنَحْتُكَ الْقَلْبَ لَا أَبْغِي بِهِ ثَمَنًا
 وَبِالرُّقَادِ جُفُونِي صُحْبَةَ الْحَزَنِ
 إِلَّا رَجَاءَ خِيَالٍ مِنْكَ يُؤْنِسُنِي
 وَنَامَ لَيْلُكَ عَنْ هَمْ يُؤَرِّقُنِي
 لَا يَعْرِفُ الشَّجْوَ إِلَّا كُلُّ ذِي شَجَنِ
 فِي رِبْقَةِ الْحُبِّ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرَنِ
 قَلْبِي الْمُعْنَى حَلِيفِ السُّقْمِ وَالْمِخَنِ
 بِسَوْءِ حَالِي وَخَلٍّ لِلضُّنَى بِدَنِي
 وَرَاحَةَ الْقَلْبِ فِي حَلٍّ وَفِي ظَعَنِ
 عَمَّا عَاهَدْتِيهِ شَيْءٌ أَوْ يُغَيِّرُنِي
 جَعَلْتُ غَيْرَكَ لِي حَظًّا مِنَ الزَّمَنِ
 إِلَّا رِضَاكَ وَوَأَقْرِي إِلَى الثَّمَنِ^(١)

منصور^(٢) الأمر بأحكام الله^(٣)

ابن المستعلي، صاحب مصر.

لما كان يوم الثلاثاء ثالث ذي القعدة خرج من القاهرة، وأتى الجزيرة، وعبر بعض الجسر، فوثب عليه قوم، فلعبوا عليه بالسيف - وقيل: كانوا غلمان الأفضل - فحمل في مركب إلى القصر، ومات من ليلته، وعمره أربع وثلاثون سنة، وكانت أيامه أربعاً وعشرين سنة وشهراً^(٤).

(١) الأبيات في «المنتظم»: ١٧/١٠ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) في (ع): منصور أبو محمد، وقوله أبو محمد خطأ، وهو ليس في (ح)، والصواب أبو علي كما في مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٦٨-٣٦٤، و«الكامل»: ١٠/٦٦٤-٦٦٥، و«وفيات الأعيان»:

٢٩٩/٥-٣٠٢، و«سير أعلام النبلاء»: ١٥/١٩٧-١٩٩، و«اتعاظ الحنفا»: ٣/١٣١-١٣٣، وفي

«السير» تنمة مصادر ترجمته.

(٤) كذا قال، وفيه متابعة لما ذكره ابن القلانسي في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٦٢، والذي عند ابن خلكان والذهبي والمقريزي أنه ولي سنة (٤٩٥هـ)، وله خمسة أعوام، فتكون أيام ولايته تسعاً وعشرين سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوماً فيما ذكر المقريزي في «اتعاظ الحنفا» ٣/١٢٩، وانظر «الكامل»: ١٠/٦٦٤-٦٦٥، و«سير أعلام النبلاء»: ١٥/١٩٩، و«النجوم الزاهرة»: ٥/١٧٣.

ومولده سنة تسعين وأربع مئة.

وكانت سيرته قد ساءت بالظلم والعسف والمصادرة، ولما قُتِلَ وَثَبَ غلامٌ له أرمنيٌّ، فاستولى على القاهرة، وفَرَّقَ الأموال في العساكر، وأراد أن يتأمر على الناس، فخالفوه، ومضوا إلى أحمد بن الأفضل فعاهدوه، وجاؤوا به إلى القاهرة، فخرج الغلام الأرمني فقتلوه، وولَّوا أبا الميمون عبد المجيد بن [أبي]^(١) القاسم بن المستنصر، ولي الخلافة ولقبوه بالحافظ، ووَزَرَ له أبو علي أحمد بن الأفضل، وسمَّاه أمير الجيوش، فأحسن إلى الناس، وأعاد إليهم ما صادرهم به الأمر، وأسقط المكوس، فأحبَّه الناس، فحسده مقدَّمو^(٢) الدولة، واغتالوه، وسنذكره إن شاء الله تعالى^(٣).

وقيل: إنَّ الأمر لم يخلف ولداً، وترك امرأة حاملاً، فماج أهل مصر، وقالوا: لا يموت أحدٌ من أهل هذا البيت إلا ويخلف ولداً ذكراً، منصوبة^(٤) عليه الإمامة. وكان قد نصَّ على الحمل قبل موته، فوضعتِ الحاملُ بنتاً، فعدلوا إلى الحافظ، وانقطع النسلُ من الأمر وأولاده. وهذا مذهب طائفة من شيعة المصريين، فإنَّ الإمامة عندهم من المستنصر إلى نزار.

وكان نقشُ خاتم الأمر: «الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين»، وابتهج الناسُ بقتله.

السنة الخامسة والعشرون وخمس مئة

فيها قد ذكرنا أنَّ دُبَيْساً دَخَلَ البرية وانقطع خبره واختلفوا في قصَّته، أما تواريخ البغداديين، فإنهم قالوا: ضلَّ في طريقه، فقبِضَ عليه بحلَّة حسان بن مكتوم^(٥) الكلبي من أعمال دمشق، وتقطَّع عنه أصحابه، فحُمِلَ إلى دمشق، فباعه أميرها ابنُ طُغْتِكِين من زُنْكي بن آق سُنْقُر [صاحب الموصل]^(٦) بخمسين ألف دينار، وكان زُنْكي عدوّه،

(١) ما بين حاصرتين من «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٦٣.

(٢) في (ع) و(ح) مقدمي، والمثبت من «النجوم الزاهرة»: ١٧٤/٥، وهو ينقل عن «المرآة».

(٣) انظر ص ٢٤٩ من هذا الجزء.

(٤) في (ع) و(ح): منصوباً، والمثبت من «النجوم الزاهرة»: ١٧٢/٥.

(٥) في (ع) و(ح): مكرم، والمثبت من (م) و(ش)، وهو الموافق للمتظم: ٢٠/١٠.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فظنَّ أنه سيُهْلِكُهُ، فلما حَصَلَ في قبضته أكرمه وخوَّله المالَ والسَّلاحَ، فلما وَرَدَ الخبر إلى بغداد، بَعَثَ الخليفةُ ابنَ الأنباري ليتوصَّل في أخذه، فلما وصل الرَّحبة قَبَضَ عليه أميرُها بأمرِ زنكي، وحَمَلَ إلى قلعة المَوْصِلِ.

وأما تواريخ أهلِ الشَّامِ وأبو يعلى بن القلانسي فإنهم قالوا: وَصَلَ دبَّيس إلى الشَّامِ، وبلغَ بُوري أنه ببعض حلل العرب بنواحي صَرْخَدَ، وأنه قد ضَلَّ عن الطريق، فأرسل إليه من قَبَضَ عليه، ثم أنزله بدمشق، وأقام له الإقامة، وكتب إلى الخليفة يعرفه، فشكره، وقال: احتفظ به حتَّى أنفذ من يتسلَّمه. وبلغَ زنكي، فبعثَ إلى بُوري يسأله أن يسلمه إليه ويعطيه خمسين ألف دينار، وكان عند زنكي ابنُ بُوري وجماعةٌ من أمرائه الذين غَدَرَ بهم على حلب على خمسين ألف دينار، فقال زنكي: اجعل دُبَيْساً عَوْضَ الخمسين ألف دينار. فمال بُوري إلى ذلك من أجل ابنه سونج وأمرائه، فأرسل إليه بدُبَيْس، وبعثَ إليه بابنه وبالأمراء، ووصل سديدُ الدولة بنُ الأنباري إلى دمشق يطلبُ دُبَيْساً، فاعتذر بُوري بما جرى من المفاداة، فرجع إلى بغداد، فالتقاء عسكر زنكي في الطريق فأوقعوا به وبمن معه، وحَمَلَ إلى قلعة المَوْصِلِ، فلم يخلص إلا بشفاعَةِ السُّلطان مسعود.

وقال ابنُ القلانسي: وفيها وَرَدَ الخبر من حِلَّةٍ مكتوم^(١) بن حسان بن مِسْمار بوصول دُبَيْس إليه في خواصٍّ غُلَّمانه وأصحابه، وأنه ضَلَّ الطريق، ولم يكن معه دليل، ومات معظم أصحابه من العطش، فأرسل بُوري مَنْ أحضره، وأنزله معه في القلعة، وخدمه، وحَمَلَ إليه من الطعام واللباس والفُرُش ما يليق به، وذلك في شعبان، وبعثَ إلى الخليفة يُعرِّفه، فأمره أن يحتفظ به ليرسل من يأخذه، وبلغَ زنكي، فأرسل إلى بُوري بالمفاداة، وذكر بمعنى ما ذكرنا، وأن زنكي بَعَثَ بالمعتقلين إلى قارا في عسكره، وأنَّ بُوري بَعَثَ بدُبَيْس إليه في عسكره، ووقعتِ المفاداة [وذلك في ذي العقدة.

ولما اجتمع بُوري بولده والجماعة سُرَّ بهم، وحينئذٍ خُوطب في الرَّئيس ابن الصوفي فأُطْلِقَ، وخَلَعَ عليه، وأعادَه إلى رياسته، وابن المَزْدَقاني بحاله على وزراته.](^(٢)

(١) في (ع) و(ح): مكرم، والمثبت من (م) و(ش)، وهو الموافق لذيل تاريخ دمشق: ٣٦٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٦٦ - ٣٦٧، وسيأتي نحو هذا الخبر ص ٢٣٣، وأثبت ما في (م) و(ش) لزيادة معنى به.

وفي ربيع الأول وَصَلَ الخبرُ إلى بغداد أَنَّ مسعوداً أخا محمود انفصل من سنجر، وجاء يَطْلُبُ السُّلْطَنَةَ، وقد اجتمع إليه جماعةٌ من العساكر، وكان محمود ببغداد، فَبَعَثَ إلى الخليفة يستأذنه في الرَّحِيلِ إليه، فقال الخليفة: قد عَلِمْتُ ما بيني وبينك من الأيمان، [و] ^(١) أنني لا أستخدم أحداً، ومتى سافرت من العراق عاد دُبَيْسٌ إلى الحِلَّةِ، وأفسد وَعَاثَ، وقصد بغداد. فقال محمود: متى رحلتُ من العراق وخفتَ على نَفْسِكَ والمسلمين، ولم أقدر على نجدتك بنفسي أو بعسكري فقد نَزَلْتُ عن اليمين، وافعلْ ما تراه من المصلحة. وَرَحَلَ عن بغداد، وقصد هَمْدَانَ، فراسله مسعود، وتحالفا واجتمعا، وَحَمَلَ مسعود الغاشية بين يديه، وأعطاه محمود مئة وخمسين ألف دينار والعساكر والبلاد، وافترقا.

وفيها تَغَيَّرَتْ نيةُ محمود على الخليفة، وكان قد عَهِدَ إلى ولده داود، واستحلف له الأمراء والخوَصَّ قبل رحيله من بغداد، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه مالاً للنفقة وأن يخطب لولده، فقال: أما المال فما عندي، والخُطْبَةُ فالأمر فيها إلى سنجر فهو السُّلْطَان. فَغَضِبَ محمود، وَعَزَمَ على تغيير الخلافة، وخرج إلى هَمْدَانَ، فلما استقرَّ بها جاءته رسل سنجر، فاستخفَّ بهم وأهانهم، وقال: أنا السُّلْطَان، وَمَنْ سنجر؟! وَقَبَضَ على أعيان الأمراء، وصادرَ أهل هَمْدَانَ، وأخذَ أموالهم، وظَلَمَ وَعَسَفَ، وأقام الخُطْبَةَ لابنه داود بالجبل وأذَرَبِيجان، وَعَزَمَ على دخول بغداد وتغيير الخليفة، فعاجله الموت بمرضٍ حَدَثَ به، واستقرَّت السُّلْطَنَةُ بعده لأخيه مسعود، وولاية العهد بعده لداود بن محمود، ثم لأخيه طغريل بن محمد ^(٢).

وفيها عَزَلَ بوري وزيره المُفَرِّج بن الصُّوفي، واعتقله وأقاربه اعتقالاً جميلاً، واستوزر كريم الملك أبا الفضائل أحمد بن عبد الرزاق المَزْدَقاني نسيب الوزير ^(٣)،

(١) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ٢٠/١٠، والخبر فيه.

(٢) في (م) و(ش): وفيها ورد الخبر من بغداد بوفاة السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه بن ألب رسلان في شوال بمرض حدث به، واستقرت السلطنة بعده لأخيه مسعود، وولاية العهد بعده لداود بن محمود، ثم لأخيه طغريل بن محمد، وسيأتي كل واحد منهما في موضعه، إن شاء الله تعالى.

(٣) هو ابن عم الوزير أبي علي المزدقاني، وقد سلفت أخبار الوزير، وانظر ص ٢١٣، ٢١٧، ٢١٩ من هذا الجزء.

فاستقامت الأحوال، وكان عارفاً بقوانين الدواوين، فصيحاً بالعربية والعجمية، ثم أطلق ابن الصوفي، وخلع عليه، وأعادته إلى رياسته، والمزْدَقاني بحاله على وزارته.

وفيها جرح بوري؛ وذلك لأنَّ الباطنية الذين في الشرق، لَمَّا عَلِمُوا ما جرى على إخوانهم في الشام ندبوا لقتل بوري رجلين فجاءا إلى دمشق، وتوصَّلا حتى خدما في ركابه، وأقاما يتنهزان الفرصة، وقد أنسَ بهما ظناً منه أنَّهما من غلمانِه، فوثبا عليه يوم الخميس خامس جمادى الآخرة بقلعة دمشق، فضربه أحدهما بالسيف طالباً رأسه، فوقع في رقبتِه، فجرحه، وضربه الآخر بسكين في خاصرته، نفَّذت بين الجلد واللحم، ورمى بنفسه إلى الأرض، وتكاثر أصحابه عليهما، فقطعوهما، وخيَّطت جراحته، فبرأ الذي في عنقه، ونسَر^(١) الذي في خاصرته، فكان سبباً لهلاكه، فجمع الأمراء والمقدِّمين والخواص والأعيان، وقال لهم: إني قد أيست من الحياة بسبب هذا الجرح، ولا بُدَّ من الموت، وهذا ولدي أبو الفتح إسماعيل أكبر ولدي، وقد لاحت لي منه أمانة النجاة، وقد رأيتُ أنْ أجعله وليَّ عهدي، فقالوا: الحكم لك فيما تراه، وطاعتنا لك في حياتك كطاعتنا لولدك بعدك. فسُرَّ بقولهم، وخلع عليه الخلع السَّنية، واستقرَّت فيه ولاية العهد.

فصل: وفيها توفي

أحمد بن محمد بن عبد القاهر^(٢)

أبو نصر الطوسي، كان [يصلي ببغداد في مسجد الشَّاذلي^(٣)]، ثم انتقل إلى الموصل، فتوفي بها يوم السبت حادي عشرين ربيع الأول [سمع ابن المهدي وابن المسلمة وابن النُّقور وغيره، وذكره جدي في «مشيخته» وقال: كان سماعه صحيحاً،

(١) نسر الجرح: نقض. «معجم متن اللغة»: ٤٤٧/٥.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٢١/١٠ - ٢٢، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١١٧ - ١١٨، و«الكامل»: ٦٧١/١٠،

و«العبر» للذهبي: ٦٤/٤، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٥٨/٦ - ٥٩، و«طبقات الشافعية» للإسنوي:

١٦٨/٢ - ١٦٩، و«شذرات الذهب»: ٧٣/٤.

(٣) في (ع) و(ح): كان ببغداد، ثم انتقل إلى بغداد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وتفقّه على أبي إسحاق الشيرازي، وكان شيخاً^(١) لطيفاً على وجهه نور^(٢)، قال جدّي:
وأنشدني أشعاراً حسنة، منها^(٣): [من الطويل]

على كلّ حالٍ فاجعلِ الحَزْمَ عُذَّةً تقدّمه بين النّوائِبِ والدّهْرِ
فإنّ نُلْتَ خيراً نُلْتَهُ بعزيمةٍ وإنّ قَصُرَتْ عند الخطوبِ فمنّ عُذْرٍ
ومنها: [من البسيط]

لَبِستُ ثوبَ الرّجاء والنّاس قد رقدوا وقمتُ أشكو إلى مولاي ما أجْدُ
وقلت يا عُذَّتِي في كلّ نائبةٍ ومَنْ عليه لكشفِ الضّرِّ أغْتَمِدُ
وقد مَدَدْتُ يدي والضّرُّ مُشْتَمِلٌ^(٤) إليك يا خيرَ مَنْ مُدَّتْ إليه يدُ
فلا تَرُدَّنَّها يا ربّ خائبةً فبحرُ جُودِكَ يَروِي كلّ مَنْ يَرِدُ^(٥)
[قلت: وأحمد هذا هو جدّ شيخنا أبي عبد الله أحمد والركن بن عبد الله بن أحمد]^(٦).

حمّاد بن مُسلم الرّحبي الدّباس^(٧)

شيخ الشيخ عبد القادر وغيره، [ذكره جدي رحمه الله في «المنتظم»، وقال: سمع
الحديث من أبي الفضل بن خيرون وغيره إلا أنه كان]^(٨) على طريقة التصوف

(١) في (م): سمحاً.

(٢) «مشيخة ابن الجوزي»: ص ١١٨.

(٣) في (ع) و(ح): فتوفي بها يوم السبت حادي عشرين ربيع الأول، وكان شيخاً لطيفاً على وجهه نور، وينشد
أشعاراً حسنة، منها قوله، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في «المنتظم»: وقد مددت يدي بالذل صاغرة.

(٥) «المنتظم»: ٢١/١٠ - ٢٢، وفي هامش (ح) بخط مغاير: ومنه

أشكو إليك ذنباً أنت تعرفها مالي على حملها صبر ولا جَلْدُ

قلت: والأبيات مشهورة، وهي لأبي إسحاق الشيرازي، انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي: ٢٠٥/٤.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٢/١٠ - ٢٣، و«الكامل»: ٦٧١/١٠، «سير أعلام النبلاء»: ١٩/٥٩٤ - ٥٩٦،

وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٨) في (ع) و(ح): وسمع من أبي الفضل بن خيرون وغيره، وكان على طريقة التصوف، وما بين حاصرتين من

(م) و(ش).

[يدعي]^(١) المعرفة والمكاشفة وعلوم الباطن، [وكان عارياً من علوم الشريعة، ولم ينفق إلا على الجهال]^(٢) وكان ابن عقيل ينفّر الناس عنه، [حتى إنه بلغه أنه]^(٣) يعطي كل من تصيبه الحمى لوزة وزببة ليأكلها فيبرأ، [فبعث إليه ابن عقيل: إن عُدّت إلى مثل هذا ضربت عُنُقك. فكان يقول: ابن عقيل عدوي]^(٤)، وصار الناس يندرون له النذور، فيقبل الأموال، ويفرقها على أصحابه، ثم كره قبول النذور لقول النبي ﷺ: «إن النذر يُستخرج به من البخل»^(٥)، [فصار يأكل بالمنامات، كان يأتي الرجل فيقول: قد رأيت]^(٦) في المنام قائلاً يقول: أعط حمّاداً كذا وكذا. فاجتمع له أصحاب ينفق عليهم مما يفتح له، ومات في رمضان، ودُفِن بالشونيزية.

[هذا صورة ما ذكر جدي رحمه الله في «المنتظم»^(٧).

قلت: أما تعرض ابن عقيل لهذا الرجل الصالح، فلو ستر ابن عقيل نفسه كان أصلح، فإن الرجل كان من الأبدال]^(٨)، وقد أدركت جماعة من الأكابر يحكون عن الشيخ عبد القادر عن حماد من الكرامات ما يشبه المتواتر.

وأما حديث اللوزة والزببة فهذه عادة المشايخ في حسن الظنّ بهم، وقد رأينا جماعة فعلوا ذلك فعوفوا، وأما قوله: إن الناس كانوا يأتون إليه، فيقول الرجل: رأيت إنساناً يقول: احملني إلى حماد كذا وكذا، فهذا شيء لا تعلق له به، ولا كان يدّعيه كرامة ولا وسيلة إلى أخذ أموال الناس، وإنما الله سبحانه كان يلهمهم ذلك في المنام الذي هو من جنس الوحي في حق

(١) في (ع) و(ح): يشير إلى المعرفة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وهو الموافق للمنتظم.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب، وهو عند أحمد في «المسند» (٥٢٧٥). ولفظه عند أحمد: نهى رسول الله ﷺ عن النذر وقال: «إنه لا يرد من القدر شيئاً، وإنما يستخرج به من البخل».

وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة برقم (١٦٤٠).

(٤) في (ع) و(ح): فكان الرجل يجيء فيقول: رأيت في المنام.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) «المنتظم»: ٢٣-٢٢ / ١٠.

(٦) في (ع) و(ح): وكان الرجل من الأبدال. قال المصنف رحمه الله: وقد أدركت جماعة من الأكابر.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الأخيار، فلا يلامُ على أمرٍ ليس فيه إجبار^(١)، و[لو]^(٢) لم يكن لحماة من الفضائل التي اتصف بها في زهادته وطريقته ومكاشفته إلا أنَّ الشيخ عبد القادر أحد تلامذته [لكفاه]^(٣).
[وفيهما توفي]

محمد بن عمر بن عبد العزيز^(٣)

أبو بكر الحنفي المقرئ، البخاري، ويعرف بكأك. سافر إلى البلاد، فسمع بنيسابور وبخارى وسمرقند وهمدان وبغداد، وأقام بها مدة، وعاد إلى سمرقند، فسكن بها مدة، ثم قديم بغداد، وحجَّ وحدث بالحرَمين وغيرهما، وكان أديباً فاضلاً، صالحاً، مُكثرًا، فلما عاد من الحج في هذه السنة توفي بالمحرَّم بالأجفر^(٤).

علي بن المُستظهر، أبو الحسن^(٥)

الذي هرب من التَّاج ومضى إلى دُبَيْس^(٦)، توفي في رجب، وأمر الخليفة بحمل تابوته إلى الرُّصافة^(٧)، وجلس الوزير وأرباب الدولة في بيت النوبة في العزاء ثلاثة أيام.

محمد بن أحمد بن جِيا - بجيم - أبو الفرج^(٨)

شَرَفُ الكُتَّابِ الحَلِّي^(٩)، كان فاضلاً، وهو القائل: [من الكامل]
حَتَّامٌ أَجْرِي فِي مِيَادِينِ الْهَوَى لَا سَابِقاً أَبَداً وَلَا مَسْبُوقُ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٤/١، و«الوافي بالوفيات»: ٢٤٣/٤، و«الجواهر المضية»: ٢٨٣/٣ - ٢٨٤، و«العقد الثمين»: ٢٢٦/٢ - ٢٢٧.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش). والأجفر، بضم الفاء: موضع بين فيد والخزمية، بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخاً نحو مكة. «معجم البلدان»: ١٠٢/١.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٣/١٠، و«الكامل» لابن الأثير: ٦٧٠/١٠.

(٦) انظر ص ١٠٦ من هذا الجزء.

(٧) رصافة بغداد، وكانت بالجانب الشرقي منها، وفيها مقابر الخلفاء من بني العباس، انظر «معجم البلدان»: ٤٦/٣.

(٨) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ٢٧٠/١٧ - ٢٧٧، و«الوافي بالوفيات»: ١١٢/٢ - ١١٣، و«بغية الوعاة»: ٢٣/١، ووفاته عندهم سنة (٥٧٩ هـ)، وقد نيف على الثمانين. وهو الصواب. وضبط الصفدي جِيا، بكسر الجيم.

(٩) في (ع) و(ح): الحلوي، والمثبت من «الوافي بالوفيات»، وقد صرح ياقوت في «معجم الأدباء» أنه من أهل الحلة المزبانية. والنسبة إليها: الحَلِّي، على القياس.

ما هَزَّنِي طَرَبٌ إِلَى رَمْلِ الْحِمَى
شَوْقٌ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ مُفَرِّقٌ
وَمَدَامِعُ كُفِلَتْ بِعَارِضِ مُزْنَةٍ
فَكَأَنَّ جَفْنِي بِالْدُمُوعِ مُوَكَّلٌ
إِنْ عَادَتِ الْأَيَّامُ لِي بِطَوِيلِ
لَأُنَبِّهَنَّ عَلَى الْغَرَامِ بِزَفَرَتِي
إِلَّا تَعَرَّضَ أَجْرَعٌ وَعَقِيْقُ
يَحْوِي شَتِيَتَ الشَّمْلِ مِنْهُ فَرِيْقُ
لَمَعَتْ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ بَرُوقُ
وَكَأَنَّ قَلْبِي لِلْجَوَى مَخْلُوقُ
أَوْ ضَمَّنِي وَالظَّاعِنِينَ طَرِيقُ
وَلَتَظَرِّبَنَّ لِمَا أَبُتَّ النُّوْقُ

محمد بن الحسين بن محمد بن علي^(١)

أبو تمام الزَّيْنَبِي، بيته معروفٌ بالشَّرَفِ وَالْفَضْلِ.

ولد سنة ست وأربعين وأربع مئة، وسمع الحديث الكثير، وكان سيِّداً فاضلاً، توفي في ذي القعدة، وصَلَّى عليه ابنُ عمِّه أبو القاسم علي بن طراد، وحُمِلَ إلى الحَرَبِيَّةِ، فدفِنَ في تربة أبي الحسن القزويني.

محمود بن محمَّد بن مَلِك شاه^(٢)

ابن ألب رسلان، السُّلْطَان.

قد ذكرنا جُمْلَةً من سيرته، وكان قد عَزَمَ على إفساد الأمور على الخليفة، فعاجله الموتُ بهَمْدَان يوم الخميس خامس عشرة شَوَّال، وعمره ثمانٍ وعشرون سنة، ومُدَّة وقوع الملك عليه أربع عشرة سنة، وكان قد عَهِدَ إلى ابنه داود وهو صغيرٌ في حِجْرِ زَوْجِ أُمِّه الأحمديلي صاحب أذَرَبَيْجَان، فجَدَّدَ أبو القاسم وزير محمود على الأمراء العهود، وكتبَ إلى الأحمديلي بذلك.

وكان مسعود ببلاد أَرَانِيَّة^(٣)، فتحرَّك إلى العراق، وطلب السُّلْطَنَةَ، وكتب إلى الخليفة ولم يكتب إلى سنجر، وعَلِمَ سنجر، فسار من خراسان إلى هَمْدَان، وفوَّضَ

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٣/١٠ - ٢٤.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٤/١٠، و«تاريخ دولة آل سلجوق»: ١١٤ - ١٤٤، و«الكامل»: ٦٦٩/١٠ - ٦٧٠، و«وفيات الأعيان»: ١٨٢/٥ - ١٨٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٢٤/١٩ - ٥٢٥، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٣) أَرَانِيَّة لعلها أَرَان، وجاء في «النجوم الزاهرة»: ٢٤٧/٥ أنه كان ببلاد أَرَمِينِيَّة، وقد ذكر ياقوت أن أَرَان أول مملكة أَرَمِينِيَّة، انظر «معجم البلدان»: ١٦١/١.

إلى ابن أخيه طُغْريل ولاية العراق، وأضاف إليه عسكر محمود، وجعل لداود بن محمود من الإقطاع ما يكفيه إلى أن يَبْلُغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ، ويرى فيه رأيه، هذا ومسعود بأرانية، فكتبَ إلى الأحمديلي يقول: أنا ما أريد السُّلْطَنَةَ إلا لابن أخي داود، وأقنعُ بما أفتحه من البلاد. فَطَمَعَ الأحمديلي، وقال لمسعود: تقدّم وأنا على إثرك. وعاد إلى سنجر إلى خراسان، وجاء مسعود إلى هَمَذَانَ ومعه الأحمديلي، فخرج إليهم طُغْريل، فكسرهم، فمضى إلى أرانية والأحمديلي إلى أذربيجان، وتقرر مُلْكُ طغريل بهَمَذَانَ.

هبةُ الله بن محمد بن عبد الواحد^(١)

أبو القاسم بن الحُصَيْنِ الشَّيْبَانِي الكاتب. ولد سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة، وبكرَ به أبوه وبأخيه أبي غالب عبد الواحد، فأسمعهما «المسند»^(٢) وغيره من أبي علي بن المذهب، والتَّخُوخي وأبي طالب بن غِيلَانَ وغيرهم حتى صار أَسْنَدَ أَهْلِ عَصْرِهِ. ورحل إليه الطَّلَبَةُ من البلاد، وكان ثِقَةً صدوقاً، صحيح السَّماع، وكانت وفاته بين الظُّهْرِ والعَصْرِ من يوم الأربعاء رابع عشرة شَوَّال، وأشرف على غسله ابنُ ناصر بوصية [منه]^(٣)، وصلى عليه في جامع [القصر، وحُمِلَ إلى جامع]^(٤) المنصور، فصلى عليه عبد الوهَّاب الأنماطي، ودُفِنَ بباب حَرْبٍ عند بَشْرِ الحافي.

السنة السادسة والعشرون وخمس مئة

فيها وَصَلَ مسعود إلى بغداد في عشرة آلاف، وورد قراجا السَّاقِي صاحب خوزستان وفارس ومعه سَلْجُوق شاه بن محمد، وكلاهما يطلب السُّلْطَنَةَ، وانحدر زُنْكي من

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٢٤/١٠، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٦٠ - ٦١، و«الكامل»: ٦٧١/١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٣٦/١٩ - ٥٣٩، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) وقد تفرد ابن الحصين برواية مسند الإمام أحمد عن أبي علي بن المذهب، عن القطيعي، عن عبد الله بن الإمام أحمد، عن الإمام أحمد، وعن روايته هذه كانت طبعة مؤسسة الرسالة، التي شرفني الله تعالى بالمشاركة في خدمتها مع شيخي الجليل شعيب الأرناؤوط، وصديقي الأثير الشيخ محمد نعيم العرقسوسي.

(٣) ما بين حاصرتين من «المنتظم» و«المشيخة» لابن الجوزي.

(٤) ما بين حاصرتين من (ح).

المَوْصِلَ لينضمَّ إلى مسعود، [فلما بلغ تكريت خَلَفَ قراجا سلجوق شاه في عَدَدٍ يسير، وأمرهم بمدافعة مسعود]^(٢) إلى أن يعود، وأُسرَى في يومٍ وليلةٍ إلى تكريت، فواقع زنكي فهزمه، وأَسَرَ جماعةً من أصحابه، وعاد بهم، ثم دخل السُّفراء بينهم، وَحَصَلَ الاتِّفَاقُ بين مسعود وقراجا وسَلْجُوق، واستحلفهم الخليفة واجتمعوا، وقويت الأراجيف بمجيء سنجر إلى بغداد، فَعَمِلَ السُّورَ وَجُبِي العِراق، وخرجوا بأجمعهم متوجَّهين لقتال سنجر، وألْزَمَ قراجا الخليفة بالخروج، فكرهه، فتوَعَّدَه قراجا، وقال: إِنَّ الذي تخافه من سنجر في آجل الأمر إن لم تخرج نحن نُعَجِّلُهُ لك الآن. وبعث سنجر يقول للخليفة: أنا العبد، مهما أُرِيدَ مني فَعَلْتُ. فلم يقبل منه. وسار الجماعة، وَخَرَجَ الخليفة بعدهم بأيامٍ من باب النَّصر في أَبْهَةِ الخلافة على عادته في سادس عشرة جُمادى الآخرة، وَضَجَّ النَّاسُ له بالدُّعاء، وباتوا يَخْتِمُونَ الختمات، ثم رحل في ثاني رجب، وَقُطِعَتْ خُطْبَةُ سنجر، وأقام الخليفة بخانقين^(١).

وورد سنجر هَمَذَان في مئة وستين ألفاً، وكان مع مسعود وقراجا ثلاثون ألفاً، وكانت الوقعة قريباً من الدَّينور، وكان يوماً لم يكن في الإسلام مثله، أَحْصَى القَتْلَى فكانوا أربعين ألفاً، وَقُتِلَ قراجا، وانهزم مسعود، وأَجْلَسَ سنجر طُغْرُلَ على تخت المُلْكِ بهَمَذَان، وعاد سنجر إلى خُرَاسان، وَكَتَبَ إلى زَنكِي ودُبَيْس [بِقَصْدِ بغداد، وبلغ الخليفة، فعاد من خانقين، وجاء زنكي ودُبَيْس]^(٢) في سبعة آلاف، وَعَبَرَ الخليفة إلى الجانب الغربي في ألفي فارس، والتقوا، فانكسرت ميمنة الخليفة، فرمى الطَّيْلَسَان من على رأسه، وجذب السَّيفَ وعليه البُرْدَةُ، وَحَمَلَ العِسكر معه، فانهزما، وَقُتِلَ من القَوْمِ مقتلةٌ عظيمة، وهرب زنكي إلى تكريت ودُبَيْس إلى الفرات.

وفيهما بعث الخليفة إلى أنوشروان بن خالد صاحب المخزن ابنَ طلحة يأمره أن يجلس في الديوان ليخلع عليه خَلْعَ الوِزارَةِ، فامتنع وقال: إني لما استوزرني السُّلْطَان طلبت الإقالة، وقد قَنِعْتُ من الدُّنْيا بمكاني هذا. فلم يَعْفِهِ، فأجاب، فَعُرِضَ عليه دارُ

(١) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد، انظر «معجم البلدان»: ٣٤٠/٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (ح).

ابن صدقة، فامتنع، وقال: كان له عليّ حقّ - وكان ابن صدقة يصلّه كلّ سنة بمالٍ كثير - فعرض عليه داراً أخرى.

وفيها عاد دُبَيْس إلى بلاده، وجمعَ الجموع، وكان الخليفة قد ولى بالحلّة إقبال المُستَرشدي، وأمدّه بعسكرٍ، فهزَمَ دُبَيْساً، فهرب إلى أجمّة فيها ماء فأقام ثلاثة أيام لا يأكل طعاماً، حتى أخرجه جماسٌ^(١) على ظهره، وخلّصه.

وفيها وصل داود بن محمود والأحمديلي إلى بغداد.

وفي شعبان قبضَ الخليفة على وزيره أبي القاسم شرف الدين^(٢)، وأخذ من داره أموالاً عظيمة، منها البدنة اللؤلؤ التي أخذها دُبَيْس من الأمير أبي الحسن بن المُستظهر لما أسره، ومعضدة قيمتها مئة ألف دينار، ومن أواني الذهب والفضّة ومراكب الذهب والثياب والأثاث ما أقاموا ثلاثة أيام في نقله وما فرغ، وخمس مئة رأس من الخيل والبغال والجَمال، وأخذ خطّ الوزير بعدها بثلاثين ألف دينار.

وفيها^(٣) ما أحسَّ النَّاسُ إلا بآبن دُبَيْس وقد قدِمَ بغداد في خمسين فارساً، ولم يعلم به أحد حتى نزلَ وقبّل عتبة باب النّوبي، وتمرّغ على الصخرة، وقال: قد جئتُ إلى هذه العتبة، فإما أن يعفو عني أمير المؤمنين أو يقتلني. فعفا الخليفة عنه، وأنزله داراً، وأعطاه دنانير.

وفيها تُكَلِّم في خاتون المستظهرية بسبب شابّ يقال له ابن المهر^(٤)، فحلّ الخليفة إقطاعها، وقتل ابن المهر، وأظهر أنّه قد هرب، وطرّد الخليفة خدامها، وأخذ خيلها، وأقام معها في دارها من يحفظها، واشتهر أمرها، فكتبَت إلى سنجر، فيقال: إنّهُ كتبَ إليها أنّه يريد الفتك بالخليفة. فوقع كتابه في يد الخليفة، فهيجّه ذلك على الخروج لقتاله.

(١) وهي كذلك في «المنتظم»: ٢٧/١٠، ولم أهتمد إلى معناها المراد في ذلك العصر.

(٢) يعني علي بن طراد الزينبي، وقد أعيد إلى الوزارة سنة (٥٢٨هـ)، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٣٨هـ).

(٣) في (م) و(ش): في شعبان.

(٤) في (م) و(ش): ابن المهتر، وفي مطبوع «المنتظم»: ٢٧/١٠: ابن المهير.

فصل [قال جدي في «المنتظم»:]^(١)

وفيهما توفي

أحمد بن حامد بن محمد^(٢)

أبو نصر، المُستوفي، المعروف بالعزيز، عمّ العماد الكاتب.
قبض عليه الأنساباذي وزير طغريل، وسُلّم إلى بهروز الخادم، فحمله إلى تكريت،
فقتل فيها، وكان من رؤساء الأعاجم.
[هذا صورة ما ذكره جدي في «المنتظم»]^(٣).

قلت: وهذا العزيز هو [عم] العماد الكاتب الأصبهاني، صاحب «الخريدة»^(٤).
ولد [العزيز]^(١) بأصبهان سنة اثنتين وسبعين وأربع مئة، وهو من بيت الفضل والكتابة،
وكان مُدبّر الممالك، واختصّ بالسُلطان محمود بن محمد [بن ملك شاه]^(١)، ودبّر قوانين
الوزارة مُدة، وقيل: كان صديق الدركزيني وزير محمود، فسعى به، فتأكّدت العداوة
بينهما، وكان محمود صبيّاً يميل إلى جمع المال، فسعى به الدركزيني، فحبسه بقلعة
تكريت، فما زالَ محبوساً حتى مات محمود، وأجلَس الدركزيني أخاه طغريل في
السُلطنة، فقال لطغريل: قد استولى العزيز على الأموال، فأمر بهروز [الخادم]^(٥)
بتقريره، فلم يقرّ بشيء، فخنق، وقيل: سُمّ، وقيل: دخل عليه قومٌ من الباطنية فقتلوه، ثم
أمر طغريل بالوزير الدركزيني، فصُلبَ بعد أربعين يوماً من قتل العزيز لأمرٍ بلغه عنه.
وكان العزيز جواداً مُمدّحاً، مدحه الشعراء، وقد ذكره العماد في «الخريدة»^(٥)،
وكان^(١) شاعراً فصيحاً، كتَبَ إلى بعض أصدقائه: [من الخفيف]

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٨/١٠، و«دولة آل سلجوق»: ١٤٢-١٤٣، ١٥٢-١٥٦، و«وفيات الأعيان»:

١٨٨/١٠-١٩٠، و«الوافي بالوفيات»: ٢٩٩/٦-٣٠٠، و«النجوم الزاهرة»: ٢٤٩/٥، وذكر العماد

وفاته سنة (٥٢٧هـ)، وانظر «كتاب الروضتين»: ١٧/٢.

(٣) «المنتظم»: ٢٨/١٠.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، ولفظ «عم» زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٥) «الخريدة» قسم شعراء أصفهان: ٤٣/١-٦١.

يا أخا الفضلِ لِمَ تَأَخَّرْتَ عَنَّا فأسأنا بحُسنِ عَهْدِكَ ظَنَّا
 كم تمنيتُ لي صديقاً صَدُوقاً فإذا أنتَ ذلك المُتَمَنَّا
 فبُغِصنِ الشُّبابِ لِمَا تُثْنِي وبعهد الصُّبَا وإنْ بَانَ عَنَّا
 كُنْ جوابي إذا قرأتَ كتابي لا تَقُلْ للرَّسُولِ كان وكُنَّا^(١)
 [ذكر واقعه مع ابن القُدوري]^(٢):

قدم على العزيز في أيام السُّلطان محمود - وهو حينئذٍ متولِّي ديوان الاستيفاء - رجلٌ يعرف بابن القُدوري من أهل الشَّام، فمدحه بقصيدة ابن الخياط التي [قالها في مدح أبي النجم هبة الله بن بديع الأصبهاني وزير تاج الدولة تُشش، وكان ابنُ الخياط قد سافر مع الوزير من دمشق إلى العراق، وورد الرِّي، والقصيدة طويلة، وأولها: [من الطويل]

أيا بَيْنُ ما سُلِّطْتَ إلا على ظُلُمي ويا حُبُّ ما أَبْقَيْتَ مِنِّي سوى الوَهْمِ
 وقد ذكرناها في ترجمة ابن الخياط في سنة سبع عشرة^(٣) وخمس مئة، فلما حضر القُدوري بين يدي العزيز امتدحه بها، وأنشده إياها، فاهتزَّ^(٤) العزيز لأولها، فلما بلغ إلى المخلص وقد غيَّره بأبياتٍ ضعيفةٍ [ركيكة]^(٥)، أطرق العزيز [ساعة]^(٥)، ثم قام ودخل، واستدعاه [وأدناه منه]^(٥)، وقال له: اصدُقني، لِمَنْ هذا الشُّعر، وسوف ترى ما أفعل معك؟ فقال له: يا سيدي، والله ما أنا شاعر، وإنما جار عليَّ الزَّمان وافتقرت، فَقَصَدْتُكَ طالباً إحسانك، والقصيدُ لابن الخياط. فاصفَّرَ لونُ العزيز، وقال له: طِبْ نَفْساً وقرَّ عَيْناً. ودَفَعَ إليه مئة دينار، وثوباً أَطْلَسَ، وعِمامةَ قَصَبَ، ونوّه بذكره في المجالس [والمحافل]^(٥). وقال: شاعرٌ مجيد. فأثرى الرجل بعد فقْرٍ، واستغنى.

(١) «الخريدة» قسم شعراء أصفهان: ٤٤ / ١ .

(٢) ما بين حاصرتين من (م) .

(٣) في (م) تسع عشرة، وهو خطأ، والصواب ما هو مثبت، انظر ص ١٧٤-١٧٦ من هذا الجزء.

(٤) في (ع) فمدحه بقصيدة ابن الخياط التي مدح بها وزير تُشش، والقصيد:

أيا بين ما سلطت إلا على ظلمي

وقد ذكر ذلك في ترجمة ابن الخياط قريباً، فلما أنشده إياها اهتز العزيز. قلت: وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[قلت: وهذه الحكاية تدل على مكارم أخلاق العزيز، ولا يوجد مثلها في السمع والأراجيز، وكم له من فضائل وفواضل عديدة، وقد استوفى العماد أخباره في «الخريدة»، وكان الواجب ذكره في أول «الخريدة»^(١).

بُوري بن [أتابك^(٢) طُغْتِكِين [صاحب دمشق^(٢)(٣)

كان حليماً شجاعاً شهماً [وذكره جماعة في تواريخ الشام، منهم الحافظ ابن عساكر، فقال: ^(٢) ولد في رمضان سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مئة، وولي إمرة دمشق بعد موت أبيه سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وكانت سيرته سيرة قريبة، وكان فيه سماحة، وقتل أبا علي بن المزدقاني والإسماعيلية، [ولم يزل والياً على دمشق حتى وثب عليه اثنان من الباطنية يوم الخميس لخمسٍ خلونٍ من جمادى الآخرة، وقيل: يوم الاثنين حادي عشرين رجب من سنة ست وعشرين وخمس مئة]^(٤).

وقال [غير^(٢)] ابن عساكر: بعث إليه الإسماعيلية رجلين، فضرباه بالسكاكين، وقد خرج من الحمام، وهو مُلبس^(٥)، فأثر فيه بعض الأثر. وكان قد اعتقل وجيه الدولة بن الصوفي، فعلم أن الصواب معه في تتبع الباطنية، فأطلقه، وردّه إلى رياسته، وأقام ينتقض عليه الجرح تارة، ويندمل تارة، [فلما كان في رجب من هذه السنة انتقض عليه، فمات]^(٢).

ولما اختُصر أوصى إلى ولده شمس الملوك إسماعيل، فكانت ولايته ثلاث سنين وشهوراً.

وقد مدحه ابنُ الخياط فقال: [من الطويل]

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وقد ذكره في أول شعراء أصفهان.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «ذيل دمشق» لابن القلانسي: ٣٧٠ - ٣٧١، و«تاريخ ابن عساكر»: (خ) (س): ٤٣٣/٣، و«الكامل»: ٦٧١/١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٧٤/١٩ - ٥٧٥، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٤) في (ع) و(ح): وقتل أبا علي بن المزدقاني والإسماعيلية، وقد ذكرنا وثوب الباطنية عليه، وبقي إلى يوم الاثنين حادي عشرين رجب هذه السنة ومات... وما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «تاريخ ابن عساكر»: ٤٣٣/٣.

(٥) أي لابساً الدرع، من اللبوس، وهي الدرع التي تلبس في الحرب. انظر «اللسان» (لبس).

لقد كَرَّمَ الله ابنَ دَهْرٍ تَسُوْدُهُ وَشَرَّفَ يا تاجَ الملوكِ بكِ الدَّهْرَا
وَمَنْ عَلَى هذا الزَّمانِ وأهْلِهِ بأزْوَع^(١) لا يعصي الزَّمانُ له أَمْرَا
إذا قلتُ في تاجِ الملوكِ قصيدةً من الشُّعْرِ قالوا قد مَدَحْتَ به الشُّعْرَى^{(٢)(٣)}
ولما ولي ولده إسماعيل بعده أحسن السِّياسة والسَّيرة، وبَسَطَ العَدْلَ، وأحسن إلى
الأجناد، ورَدَّ التدبير إلى يوسف بن فيروز شِخْنة دمشق حاجب أبيه، وأزال المكوس
والضَّمَّانات والمُؤَن.

وكان أخوه شمس الدولة محمد بن بُوري بَعْلَبَكْ قد تعرَّض لِحصن اللُّبوة والرأس،
واستنزل منهما من كان أبوه قرَّره فيهما، فراسله شمسُ الملوك بإعادتهما إلى مَنْ رَتَبَهُ
أبوه فيهما، فأبى، فخرج من دمشق في ذي القعدة، ومعه آلات القتال، وورَّى بمكانٍ
آخر، ثم سارَ من طريق غير معهود، فنازل الحِصْنَيْنِ، ففتحهما، وجاء إلى بَعْلَبَكْ،
فتحصَّن منه أخوه بالحرامية وغيرهم، فدخل رِبْضَ بعلبك وملكه، وقتل من أهلها مَنْ
قاتله، ونَصَبَ المجانيق على القلعة، فلما أَحَسَّ أخوه بالهلاك بَذَلَ له الطَّاعة، وأن
يقرَّه على ما كان بيده في أيام بُوري، فأجابه، ووفى له^(٤).

عبد الكريم بن حمزة بن الخضر، أبو محمد السُّلَمي^(٥)

دمشقي، سمع الكثير [ولقي الشيوخ]^(٦)، وتوفي بدمشق [سمع أبا بكر الخطيب،
وأبا الحسن بن أبي الحديد وغيرهما، وروى عنه الحافظ ابن عساكر وغيره. وقال
عبد الكريم: أنشدنا الخطيب، عن رضوان بن الدُّيْنَوْرِي، عن أبي حاتم الخزاعي،
قال: أنشدنا أبو القاسم العجْلي لنفسه]^(٧): [من البسيط]

(١) الأروع من الرجال: الذي يعجبك حسنه. «اللسان» (روع).

(٢) الشُّعْرَى: كوكب نير يطلع من الجوزاء. «اللسان» (شعر).

(٣) «ديوان ابن الخطاط»: ٢٣٤، ٢٣٦، دار صادر بيروت ط ١٩٩٤/٢.

(٤) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٧١ - ٣٧٤.

(٥) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٤٢٦/١٠ - ٤٢٧، و«العبر» للذهبي: ٦٩/٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٦٠٠/١٩، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) في (ع) (ح): وتوفي بدمشق، وأنشد لأبي القاسم العجْلي.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) (ش).

الضَّيْفُ مُرْتَحِلٌ وَالْمَالُ عَارِيَةٌ وَإِنَّمَا النَّاسُ فِي الدُّنْيَا أَحَادِيثُ
فَلَا تَغُرَّنَّكَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتُهَا فَإِنَّهَا بَعْدَ أَيَّامٍ مَوَارِيثُ
وَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ خَيْرًا تَلْقَ نَائِلَهُ فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ بَعْدَ الْمَوْتِ مَبْثُوثُ^(١)

محمد بن أحمد بن يحيى، أبو عبد الله العُثماني، المَقْدِسِي^(٢)

من ولد محمد الدِّيَّاج^(٣)، وهو من أهل نابلس، وأصله من مكّة، ونَزَلَ الْقُدْسَ، ولد سنة اثنتين وستين وأربع مئة ببيروت، وسمع الحديث [بمكة والشام وبغداد]^(٤)، وجاور بمكة، وتولّى عمارة الْحَرَمِ، وقَدِمَ بغداد، وجَلَسَ للوعظ بجامع الخليفة، ودَرَسَ بالنُّظامية، وكان له عند الخليفة والنَّاسِ جاهٌ وحُرْمَةٌ، لصيانته وعِفَّتِهِ ولزومه مسجده^(٥).

[قال جَدِّي رحمه الله : وسمعتَه ينشد : [من الخفيف]

دَعْ جُفُونِي يَحِقُّ لِي أَنْ أَنْوَحَا لَمْ تَدَعْ لِي الذُّنُوبُ قَلْبًا صَحِيحَا
أَخْلَقْتَ بَهْجَتِي أَكْفُ الْمَعَاصِي وَنَعَانِي الْمَشِيبُ نَغِيًّا فَصِيحَا
كَلَّمَا قَلْتُ قَدْ بَرَأَ جُرْحُ قَلْبِي عَادَ قَلْبِي مِنَ الذُّنُوبِ جَرِيحَا
إِنَّمَا الْفُوزُ وَالنَّعِيمُ لِعَبْدٍ جَاءَ فِي الْحَشْرِ آمِنًا مُسْتَرِيحَا

وكانت وفاته ببغداد في صفر، ودفن بمقبرة الوردية، وقيل : إنه مات في سنة سبع وعشرين^(٦) وخمس مئة. كذا قال جدي في «المنتظم»^(٧)، وقال : هو محمد بن أحمد

(١) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر» : ٤٢٧/١٠.

(٢) له ترجمة في «الأنساب» : ٣٩٢/٥، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) و(س) : ٧٤١-٧٤٢، و«تبين كذب المفترى» : ٣٢١، و«المنتظم» : ٣٣/١٠، و«الكامل» : ٩/١١، و«سير أعلام النبلاء» : ٤٤/٢٠-٤٦، وفيه تمة مصادر ترجمته، ووفاته عندهم سنة (٥٢٧ هـ).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عمرو بن أمير المؤمنين عثمان، وقد لقب بالديباج لحسنه، قتل سنة (١٤٥ هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» : ٢٢٤/٦-٢٢٥.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ع) و(ح) عقبه : وتوفي ببغداد في صفر بمقبرة الوردية، وقيل : إنه مات سنة تسع وعشرين، وكان قد جمع بين العلم والزهد، والورع وحسن الخلق، وكثرة المروءة، وأنشد - ثم ذكر الأبيات، وقلت : وقد سقت ما في (م) و(ش) بين حاصرتين لما فيهما من الزيادة.

(٦) في (م) و(ش) : تسع وعشرين، وهو تحريف، والمثبت مما يستفاد من «المنتظم» ومصادر ترجمته.

(٧) «المنتظم» : ٣٧/١٠.

من ولد محمد الدِّيباج بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: وهو من أهل نابلس، ويقال له المقدسي، قال: وكان غالباً في مذهب الأشعري. وذكره الحافظ ابن عساكر، وقال: سمع بمكة نصر بن مرزوق الزعفراني^(١)، وبدمشق نصراً المقدسي، وببغداد شيوخ ذلك العصر، قال: وسمعت منه بمكة وبغداد، وكان قد جَمَعَ بين العلم والزهد والورع، وحسن الخلق وكثرة المروءات، وكانت وفاته ببغداد^(٢).

[فصل: وفيها توفي:]

محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن الفرَّاء^(٣)

أبي الحسين بن أبي يعلى.

ولد في شعبان سنة إحدى وخمسين وأربع مئة، وتفقه في مذهب أحمد، وناظر وأفتى، وكان يبيت في داره بباب المراتب وحده، وكان له مالٌ كثير، وعَلِمَ به خُدَّامُه، فدخلوا عليه ليلة، فقتلوه، وأخذوا المال، وذلك ليلة الجمعة عاشر المحرم، ثم إنَّ الله أوقعهم كلَّهم، فقتلوا.

سمع أبا يعلى، والخطيب، وابن النُّقور، وغيرهم، وكان ثقةً^(٤).

السَّنة السَّابِعة والعشرون وخمسة مئة

فيها خُطِبَ لمسعود ببغداد، ومن بعده لابن أخيه داود، وخُلِعَ عليهما، وعلى سُنُقُرُ الأحمديلي بباب الحجرة.

(١) كذا في (م) و(ش)، وهو خطأ، صوابه فيما ذكر ابن عساكر: ٧٤١/١٤ أنه سمع ببغداد أبا الحسن بن مرزوق الزعفراني. قلت: وأبو الحسن هو محمد بن مرزوق، محدث ثبت، ولد سنة (٤٤٢هـ)، ومات في بغداد سنة (٥١٧هـ)، وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٤٧١/١٩ - ٤٧٢.

(٢) «تاريخ ابن عساكر»: ٧٤١/١٤ - ٧٤٢.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ٢٢٩/١٠، و«مناقب الإمام أحمد»: ٦٣٧، و«الكامل» لابن الأثير: ٦٨٣/١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٦٠١/١٩ - ٦٠٢، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

وهو صاحب كتاب «طبقات الحنابلة»، وقد طبع في مصر سنة ١٩٥٢م، بعناية الشيخ محمد حامد الفقي.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وأرسل الخليفة مضاربه فُضِرْتُ بِالرَّمْلَةِ^(١)، وأصبح فنزل في شَبَّارَةِ مُصْعِدًا إِلَى التُّسْتَرِيِّينَ^(٢)، وَفِي صَدْرِ السَّفِينَةِ يَرْنَقُشُ الْبَاذِدَارَ، وَبِيَدِهِ سَيْفٌ مَسْلُوكٌ، وَسُنْقُرُ الْأَحْمَدِيلِيِّ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْخَدَمُ وَالْخَوَاصُّ حَوْلَهُ، وَصَعِدَ مِنَ الشَّبَّارَةِ، وَرَكِبَ وَمَضَى إِلَى الْمَضَارِبِ، وَالنَّاسُ مَشَاةً بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَشَى الْمَلِكُ مَسْعُودٌ وَدَاوُدُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَسَافَةً يَسِيرَةً، وَأَمْرَهُمَا بِالرُّكُوبِ، وَسَيَّرَهُمَا إِلَى هَمْدَانَ، وَضَمَّ إِلَيْهَا نَظَرَ الْخَادِمِ، وَمَعَهُ مَهْدُ الْخَلِيفَةِ، وَخِيْمَةُ سُودَاءَ، وَلَوَاءُ أَسُودَ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ طُغْرَيْلُ، فَهَزَمُوهُ، وَاسْتَقَرَّ مَسْعُودٌ بِهَمْدَانَ، وَوُثِبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ عَلَى الْأَحْمَدِيلِيِّ، فَقَتَلُوهُ. وَاتَّهَمَ مَسْعُودٌ أَنَّهُ وَضَعَهُمْ عَلَيْهِ.

وَفِيهَا عَزَمَ الْمُسْتَرَشِدُ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْمَوْصِلِ، وَعَبَّرَ، وَنَزَلَ فِي الدَّارِ الزَّكُويَّةِ الَّتِي عَلَى الصَّرَاةِ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الرَّمْلَةِ وَمَعَهُ نَيْفٌ وَثَلَاثُونَ أَمِيرًا وَاثْنَا عَشْرَةَ أَلْفَ فَارِسَ، وَكَانَ بِهَرُوزَ بِقَلْعَةِ تَكْرِيتَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ بِالنَّزُولِ عَنْهَا وَتَسْلِيمِهَا وَالْمَالِ الَّذِي فِيهَا، فَأَجَابَ بِأَنِّي رَجُلٌ كَبِيرٌ، وَلَا طَاقَةَ لِي بِالْخِدْمَةِ. وَأَرْسَلَ بِالْمَالِ وَالضِّيَافَاتِ، فَأَعْفَاهُ مِنَ النَّزُولِ.

وَسَارَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْمَوْصِلِ، فَوَصَلَهَا فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، فَأَقَامَ ثَمَانِينَ يَوْمًا عَلَى حِصَارِهَا، وَبَعَثَ إِلَيْهِ زَنْكِي: أَنَا أُعْطِيكَ الْأَمْوَالَ، وَأَدْخُلْ فِي الطَّاعَةِ، وَارْحَلْ عَنِّي. فَلَمْ يَجِبْهُ.

ثُمَّ رَحَلَ عَقِيبَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ مَسْعُودًا غَدَرَ بِالْأَحْمَدِيلِيِّ وَقَتَلَهُ، وَخَلَعَ عَلَى دُبَيْسَ. وَعَادَ الْخَلِيفَةُ إِلَى بَغْدَادَ فِي ذِي الْحِجَّةِ.

وَفِيهَا فَتَحَ شَمْسُ الْمُلُوكِ صَاحِبُ دِمَشْقَ بَانِيَّاسَ، وَكَانَ الْفَرَنْجُ لَمَّا أَخَذُوهَا طَمِعُوا فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَوَّوْهَا بِالرُّجَالِ وَالسَّلَاحِ، وَعَزَمُوا عَلَى نَقْضِ الْهُدْنَةِ، وَبَلَغَ شَمْسُ الْمُلُوكِ، فَسَارَ إِلَيْهَا بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ، وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا أَيَّامًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ غُرَّةَ صَفَرٍ زَحَفَ إِلَيْهَا، وَتَرَجَّلَ وَتَرَجَّلَتِ الْعَسَاكِرُ بِأَسْرَافِهَا، وَطَمُّوا الْخَنْدَقَ، وَهَجَمُوا الْبَلَدَ، وَقَتَلُوا مِنَ الْفَرَنْجِ خَلْقًا كَثِيرًا، وَالتَجَأَ الْخِيَالَةُ وَالْفَرَسَانُ إِلَى الْحِصْنِ، فَحَصَرَهُمْ،

(١) الرملة: محلة كانت نحو شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد. «معجم البلدان»: ٦٩/٣.

(٢) محلة كانت ببغداد في الجانب الغربي بين دجلة وباب البصرة، يسكنها أهل تُسْتَرٍ، وتعمل بها الثياب التسترية.

انظر «معجم البلدان» ٣١/٢.

فصاحوا: الأمان، فأمنهم، ونزلوا، فأسرهم جميعاً، وعادَ إلى دمشق لست [ليالٍ]^(١) خلون من صفر بالغنائم، والأسرى في الحبال، والرؤوس على الرماح والقصب، وكان فتحاً عظيماً [لم ير أهل دمشق مثله]^(١).

وسار شمس الملوك إلى حماة، وبها نواب زنكي، فأقام عليها أياماً، وحصرها، وقاتلوه، ففتحها عنوةً، وقيل: بالأمان في رمضان.

وفيهما توفي كريمُ الملك أبو الفضل أحمد بن عبد الرزاق وزير شمس الملوك في ذي الحجة، فحزن الناس عليه، لأنه كان حسن السيرة، كريم الأخلاق، مُحِبّاً للصالحين وأهل الخير، جواداً، مُمدّحاً.

فصل

وفيهما نزل صاحبُ القدس على الساحل، وجمع الفرنج، وقصد حلب، ووصل [إلى]^(١) قنشرين، فخرج إليه سوار نائب زنكي في العسكر، والتقوا، فقتل من الفريقين نحو مئتين من الأعيان، وانهزم سوار إلى حلب، وتبعهم الفرنج، وجاء من حلب جماعة، فرجع سوار إلى الفرنج، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وانهزموا إلى أنطاكية.

وفيهما توفي

أحمد بن سلامة بن عبيد الله^(٢) بن مَخْلَد^(٣)

أبو العباس بن الرُّطبي [الكرخي]^(١).

تفقّه [على أبي إسحاق الشيرازي وغيره]^(١)، وسمع الحديث، وولي القضاء بحريم دار الخليفة، والحسبة أيضاً، وكان يؤدّب أولاد الخليفة، وكان ثقة، وتوفي في رجب، [وُصِّلِي عليه بجامع القصر]^(١)، ودفن بباب أبرز إلى جانب أبي إسحاق الشيرازي.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في النسخ الخطية: عبد الله، وهو تحريف، والمثبت في أغلب مصادر ترجمته، و«توضيح المشتبه»: ٢٠٢/٤.

(٣) له ترجمة في «تبيين كذب المفتري»: ٣٢١-٣٢٢، و«المنتظم»: ٣١/١٠، و«الكامل»: ٩/١١، و«سير أعلام

النبل»: ٦١٠/١٩-٦١١، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

[وَحكى صاحبه موسى بن غريب بن شبابة قال]^(١): دخلتُ عليه وهو في الموتِ، وهو يأمر بتجهيزه وتكفينه ومَوْضِع قبره، وما على قلبه من الموت، كأنه ينتقل من دار إلى دار. [سمع أبا القاسم البُشري وغيره، وكان ثقة]^(٢).

أحمد بن الأفضل^(٣)

أمير الجيوش، ويلقب بالأكمل.

ولي تدبير أمر مصر كما ينبغي، واستولى على الحافظ، فحسده جماعة، [ودبروا في قتله فقال قوم: ركب]^(٤) يوماً في الميدان ومعه غلمانٌ بغير سلاح، فوثب عليه جماعة، فقتلوه. وقيل: خرج إلى بُستانه، فوثب عليه جماعة من غلمان الخاصة، فقتلوه، وحملوا رأسه إلى الحافظ، فسُرَّ بقتله، لأنَّه كان قد حَجَرَ عليه. واستوزر يانس الكاتب، ولقبه أمير الجيوش، واستصفى أموال الأكمل، فكانت ثلاث مئة ألف دينار. [وفيهما توفي]

عبد الباقي بن عبد الله بن محمد^(٥)

أبو المعالي، العطار الدمشقي، سمع الحديث، وتوفي بدمشق، ودفن بمقبرة الكهف بقاسيون، سمع أبا عبد الله بن أبي الحديد وغيره، وهو من شيوخ الحافظ ابن عساكر، وكان صالحاً، ثقة^(٦).

أحمد بن عَمَّار بن أحمد بن عَمَّار^(٦)

أبو عبد الله، الحسيني، الكوفي، العالم الفاضل، الفصيح.

(١) في (ع) (ح): قال موسى بن غريب: دخلت عليه... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الكامل»: ٦٧٢/١٠ - ٦٧٤، و«الوافي بالوفيات»: ٤١٥/٦، و«اتعاظ الحنفا»: ١٤٣/٣ - ١٤٤،

و«النجوم الزاهرة»: ٢٣٩/٥ - ٢٤٠، وقد ذكروا أنه قتل سنة (٥٢٦هـ). وانظر ص ٣٩٩ من هذا الجزء.

(٤) في (ع) و(ح): فحسده جماعة، فركب يوماً، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) لم أجد له ذكراً في مشيخة ابن عساكر.

(٦) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق ج ٤/م ١/٢٢٧ - ٢٤٦، و«الوافي بالوفيات» ٢٥٦/٧ -

٢٥٧، و«النجوم الزاهرة»: ٢٥١/٥.

قدم بغداد، ومدح الوزير ابن صدقة بقوله:

خَلَّه تَنْضُ لَيْلَهُ الْأَنْضَاءُ

وقد ذكرناها في ترجمة ابن صدقة^(١).

ومن شِعره: [من السريع]

وَشَادِنٍ فِي الشَّرْبِ قَدْ أَشْرِبَتْ

مَا شُبِّهَتْ يَوْمًا أَبَارِيقُهُ

وقال: [من الكامل]

يَا بَانَةَ الْعَلَمَيْنِ كَمْ مِنْ مَعْلَمٍ

سَلَّتْ عَلَيْهِ ظَبَى السُّيُوفِ ظَبَاؤُهُ

يَا لِلْعَلَى أَيْضَلُّ مِثْلِي فِيكُمْ

وَتَحَكُّمِ الْأَعْدَاءِ فِيَّ وَطَالَمَا

وَإِذَا رَكِبْتُ بِجَيْشٍ عَزَمَ مُعْلَمٍ

فِي جَحْفَلٍ مُتَعَاْضِدٍ مُتَعَاْقِدٍ

وَصَوَاهِلٍ وَصَوَائِلٍ وَصَوَافِنٍ

وَإِذَا تَفَاخَرَتِ الرِّجَالُ بِهَاشِمٍ

مِثْلِي تَغْلَغَلَ فِي الْعَلَاءِ وَحَلَّقَتْ

وَرَأَى الْعُلَا بِلِحَازٍ عَاشٍ عَاشِقٍ

وَجَنَّتُهُ مَامَجَّ رَاوُوقُهُ^(٢)

بَرِيقُهُ إِلَّا أَبِي رَيْقُهُ^(٣)

فَتَكَّتْ مَهَاهُ بِالْكَمِيِّ الْمُعْلَمِ

وَقَضَّتْ بِلَا جُرْحٍ دِمَاهُ عَلَى الدِّمِ

مَا بَيْنَ أَطْلَالٍ وَبَيْنَ مَعَالِمِ

أَصْبَحْتُ أَحْكُمُ فِي مَلِيكَ حَاكِمِ

يَبْدُو كَمَوْجِ اللَّجَّةِ الْمُتَلَاْطِمِ

فِي قَسْطَلٍ^(٤) مُتَرَكَبٍ مُتَرَكَمِ

وَصَوَاعِقٍ وَصَوَائِبٍ وَصَوَارِمِ

غُرَّرِ الْأَنَامُ فَنَحْنُ غُرَّةُ هَاشِمِ

بِجَنَاحِهِ فِي الْمَجْدِ عَشْرُ قَوَادِمِ

وَرَمَى الْعِدَى بِشَوَاطِ غَاشٍ غَاشِمِ^(٥)

علي بن عبد الله بن نصر السَّري^(٦)

أبو الحسن، الزَّاغُونِي، الفقيه الحَنْبَلِي.

(١) انظر ص ٢١١ من هذا الجزء.

(٢) الراووق: المصفاة التي يُصَفَّى بها الشراب. «اللسان» (روق).

(٣) «الخريدة»: ج ٤/م ١/٢٣٥.

(٤) القسطل: غبار المعركة.

(٥) ساق العماد في «خريدة القصر» بيتين من القصيدة. وعاش: أي ضعيف البصر، وغاش: ضارب ضرباً شديداً. وغاشم: ظالم.

(٦) له ترجمة في «المنتظم»: ٣٢/١٠، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٨٦-٨٨، و«مناقب الإمام أحمد»: ٦٣٧،

و«سير أعلام النبلاء»: ٦٠٥/١٩-٦٠٧، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

ولد سنة خمس وخمسين وأربعة مئة، وقرأ القرآن والأدب والفرائض والأصول، وتفقه ووعظ، وأنشأ الخطب، وكان له حلقة بجامع المنصور للنظر والوعظ، وتوفي يوم الأحد سابع عشرة المحرم، وصلي عليه بجامع القصر والمنصور، ودُفن بباب حرب، سمع الصريفي، وكان ثقةً.

محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد^(١)

أبو سعيد النيسابوري.

ولد سنة أربع^(٢) وأربعين وأربع مئة، وقدم بغداد، وكان رئيس نيسابور، وقاضياً، وله دنيا واسعة، ومنزلة عالية عند الخاص والعام، وتوفي بنيسابور يوم السبت غرة ذي الحجة^(٣)، وكان نبلاً، ثقةً.

محمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم^(٤)

أبو بكر المزرفي.

ولد سنة تسع وثلاثين^(٥) وأربع مئة، وسمع الكثير، وانفرد بعلم الفرائض. وتوفي في سجوده في المحرم، ودُفن بباب حرب، وكان ثباً صالحاً، متعبداً صدوقاً، ثقةً.

السنة الثامنة والعشرون وخمس مئة

فيها وصلت هدايا زُنكي، واتَّفَق مع الخليفة.

(١) له ترجمة في «التحبير»: ٧٤/٢ - ٧٥، و«المنتظم»: ٣٣/١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٩١/١٩، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع): سبع، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في «التحبير»، و«المنتظم» وغيرهما من المصادر.

(٣) في «التحبير»: ثامن عشر ذي الحجة، وفي «المنتظم»: ثاني عشر ذي الحجة.

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ٣٣/١٠ - ٣٤، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٦٦ - ٦٨، و«معجم البلدان»: ١٢١/٥،

و«معرفة القراء الكبار»: ٩٣٧/٢ - ٩٣٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٦٣١/١٩ - ٦٣٢، وفيه تنمة مصادر

ترجمته. جاء اسمه في «مشيخة ابن الجوزي» و«معجم البلدان»: محمد بن الحسن.

(٥) في (ع) و(ح): تسع وثمانين، ومثله في «المنتظم»، وهو خطأ، والمثبت من «مشيخة ابن الجوزي»، وبقيّة المصادر.

وعُزِلَ أنوشروان من غير أن يُؤذَى، بل نزل في الليل [بنفسه]^(١) في سفينة إلى داره بالحریم الطاهري، وأُعيد أبو القاسم بن طراد إلى الوزارة، وخُلِعَ عليه، وزِيدَ في فُرُشه الطوق، وأُعطِيَ الكوسات والأعلام.

وفيها قَدِمَ رسولٌ من سنجر يَطْلُبُ الخِلْعَ، فبعث له الخليفة خِلْعاً بمئة ألفٍ وعشرين ألف دينار مع ابن الأنباري.

وبَعَثَ الخليفةُ إلى تكريت، فَحَصَرَهَا وفيها بهروز، فصانَعَ بمالٍ، فَقَبِلَ منه.

وفيها قدم البقش السّلاحي؛ من كبار أمراء الأتراك إلى بغداد، وعَرَضَ الخليفةُ العساكر يوم عيد الفطر، وركب الوزير شرف الدّين وقاضي القضاة، والنّقيبان وأربابُ الدّولة، فكانوا خمسة عشرة ألف فارس، ولم يُرَ عيدٌ اجتمع فيه أربابُ الدولة إلا هذا.

وفيها عاد طُغريل إلى هَمْدَان، ومالتِ العساكر إليه، وانحلَّ أمرُ أخيه مسعود، وبَعَثَ الخليفةُ إلى مسعود يطلبه ليرفع منه، فَدَخَلَ بغداد متخفياً في ثلاثين فارساً، فبعث إليه الخليفة بمالٍ وتُحَفَ، ووَقعَ الخليفةُ بُملَطَفَاتٍ من بعض الأمراء إلى طُغريل فطلبهم، فهربوا إلى مسعود، واستجاروا به، فأرسل الخليفةُ يطلبهم منه، فامتنع، وقال: قد استجاروا بي. فقال الخليفة: إنما أفعل هذا لأجلك، وأنصّبُكَ مرةً بعد أخرى وأنت تفعل هذا؟! ووقع الاختلاف، واختلط العسكر، ومدّوا أيديهم إلى المال والحریم. فأرسل الخليفةُ إلى مسعود يقول: انصرف إلى بعض الجهات بالعسكر الذين صاروا إليك. فنزل بدار الغربة رابع عشرين ذي الحِجَّة، وتواترت الأخبار بمجيء طُغريل إلى بغداد، فلمّا كان يوم السبت سلّخ ذي الحجة بعث الخليفة بالخِلْعَ، والتّاج والطّوق، وتخوت الثّياب، وثلاثين ألف دينار إلى مسعود، فأخذ الجميع، ولم يرحل.

وفيها حاصر شمسُ الملوك صاحبُ دمشق شقيف تيرون المطلّ على بيروت وصَيْدا، وكان فيه الضّحّاك بن جندل، فانتزعه منه، وعَوّضه ضياعاً.

وفيها خَرَجَ شمسُ الملوك يتصيّدُ، فانفردَ عن أصحابه، فَوَثَبَ عليه أحدُ مماليك جدّه طُغْتِكِين، ويعرف بإيلبا، فضربه بالسّيف ضربةً هائلةً، أراد قطع رأسه، فانقلب

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

السيف من يده، فرمى بنفسه إلى الأرض، فضربه أخرى، فوقعت في عُنُق الفرس، فأثْلَفَتْهُ وحال بينهما الفرس، [وأدرسته العساكر]^(١) وكانوا بصَيْدَنَيا وجبة عسال^(٢)، وانهزم إيلبا، وعادَ شمسُ الملوك إلى دمشق سالماً، وبثَّ الغلمان في طلبه، فقاتلهم، ثم ظفروا به، فلما جاؤوا به إليه قال [له]^(٣): ما الذي حَمَلَكَ على ما صنعتَ؟ قال: لم أفعله إلا تقرباً إلى الله تعالى لأربح المسلمين منك، لأنَّك قد ظلمت المساكين، وضعفاء النَّاس [من أهل الضَّياع والمتعشين]^(٣)، وإنَّ معي فلاناً وفلاناً، وكلُّنا اتفقنا عليك. فجمع المتهمين، وقتلَ الجميعَ صبراً، وأولُ ما قَتَلَ إيلبا [ولامه النَّاسُ حيث قَتَلَ الغلمان بقولِ هذا الجاني من غير بينة ظهرت]^(٣)، ولم يكفه قَتْلُ المتهمين ظُلماً حتى اتَّهم أخاه سونج، فتركه في بيت، وسدَّ عليه الباب، فمات جوعاً، ثم بالغ في سَفْكِ الدِّماء والظلم والأفعال القبيحة، ولم يقف عند حدٍّ، [وسنذكر قتله في السنة الآتية]^(٣).

وفيهما وقع الخُلْفُ بين ولدي الحافظ أبي علي الحسن ولي العهد وبين أخيه أبي تراب حَيْدَرَة بمصر، وانقسم الجُنْدُ فريقين؛ أحدهما إلى مذهب السُّنَّة، والثاني إلى مذهب الشَّيعة، ووقع القتال، فكان النَّصْرُ لولي العهد، وأباد من تبع أخاه من السُّودان وغيرهم بالقَتْلِ.

وفيهما نَقَضَ الفرنج الهُدنة، ونزلوا حوران، وخرج شمسُ الملوك إليهم في حشده [وجمعه]^(٣)، وخيم بإزائهم، [وكانوا في جَمْعٍ عظيم]^(٣) فلما رأى [شمس الملوك]^(٣) أنه لا طاقة له بهم غافلهم في الليل ورحل نحو طبرية وعكا وصور والسَّاحل، فقتل وسبى، وغَنِمَ غنائم كثيرة، وعاد إلى دمشق على طريق الشَّعراء، ورحل الفرنج إلى بلادهم، فساءهم ما رأوا من الخراب والنَّهب، فذلوا وتفرَّقوا، وذلك في ذي الحِجَّة.

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) صيدنايا: بلدة في القلمون تبعد عن دمشق (٣٠ كم)، وجبة عسال بلدة في القلمون كذلك، وتسمى الآن

عسال الورد، وتبعد عن دمشق (٦١ كم).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فصل : وفيها توفي

أحمد بن إبراهيم، أبو الوفاء، الفيروزابادي^(١)

وفيروزاباد: حَدُّ بلاد فارس.

سمع الحديث، وَخَدَمَ المشايخ الصُّوفِيَّة، وكان حافظاً لِسِيرِهِم وأشعارهم، كَرِيمَ الأخلاق، لطيفاً، جَوَاداً، وَسَكَنَ رِبَاطَ الزُّوزَنِي مقابل جامع المنصور، وكان يسمعُ الغِنَاءَ [على عادتهم، وكان]^(٢) يقول لعبد الوهَّاب الأنماطي: إني لأدعو لك وقت السَّماع. فكان الأنماطي يتعجَّبُ، ويقول: أليس هذا يعتقِدُ أنَّ ذلك وقت إجابة! وتوفي ليلة الاثنين حادي عشرة صَفَر، وَحَضَرَ جِنازَتَهُ خَلْقٌ كثير، منهم أربابُ الدولة، [وقاضي القضاة والنَّقبان وخدم الخاصة]^(٣)، ودُفِنَ على باب الرِّباط، وعُمِلَ له يوم السبت ثامن عشرة صفر دعوة عظيمة، أنفق فيها مالٌ كثير، بين جامع المنصور والرِّباط على عادة الصُّوفِيَّة إذا مات لهم ميت، لم يتخلَّف عنها أحد. [سمع من أبي طاهر الباقلابي، وأبي الحسن الهكَّاري، وغيرهما]^(٢).

حسن بن إبراهيم بن علي^(٣)

ابن بَرّهون، أبو علي، الفارقي.

ولد سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة، وتفقَّه على أبي إسحاق الشِّيرازي وغيره، وولي القضاء بواسط، وأعمالها، فتوفي بها في محرَّم عن ستِّ وتسعين سنة، وهو سليمُ الحواس والعقل، وما زال يكرِّرُ الفِقْهَ إلى أن مات، وكان زاهداً عابداً، وَرِعاً مهيباً، لا يحابي أحداً في الحكومات.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٣٦/١٠ - ٣٧، و«العبر» للذهبي: ٧٤/٤، و«النجوم الزاهرة»: ٢٥٣/٥، و«شذرات الذهب»: ٨٢/٤ - ٨٣، وجاء اسمه في «العبر» و«الشذرات»: أحمد بن علي الشيرازي.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ٣٧/١٠، و«الكامل»: ١٧/١١، و«وفيات الأعيان»: ٧٧/٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٦٠٨/١٩ - ٦٠٩، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

عبد الله بن محمد بن أبي بكر الشَّاشي^(١)

ولد سنة إحدى وثمانين وأربع مئة، وتفقه، وأفتى وناظر [في زمان أبيه]^(٢)، وكان ظريف الشَّمائِل، حَسَنَ العبارة، [وكان]^(٢) يعظ وينشئ الكلام المطابق والمجانس. قال يوماً في مجلس [من مجالس]^(٢) وعظه: أين القدود العالية والحدود الوردية، امتلأت بها العالية والوردية. اسم مقبرتين بنهر مُعلَى.

وجلس يوماً آخر النهار في التَّاجية، وكان في السَّماء غيم، فارتجل في الطَّرِيق أبياتاً قالها في آخر المجلس، وهي: [من الرجز]

قَضِيَّةٌ أَعْجَبُ بِهَا قَضِيَّةٌ	جلوسنا اللَّيلةَ في التَّاجِيَّةِ
والجوُّ في حُلَّةِ الفِضِيَّةِ	صَقَّالُهَا قَعْقَعَةٌ رَعْدِيَّةٌ
أعلامُها شَعَشَعَةٌ بَرْقِيَّةٌ	تَنْثُرُ مِنْ أَرْدَانِهَا العِطْرِيَّةِ
ذَائِبٌ دُرٌّ يَنْشُرُ البَرِّيَّةِ	والشَّمْسُ تبدو تارةً جَلِيَّةِ
ثُمَّ تَراها مرةً خَفِيَّةِ	كَأَنَّهَا جَارِيَّةٌ حَيَّةِ
حتى إذا كانت ^(٣) لنا العَشِيَّةِ	نَضَّتْ لِبَاسَ الغَيْمِ بالكُلِّيَّةِ
وَأَسْفَرَتْ في الجَهِةِ الغَرِيبَةِ	صفراءَ في مِلْحَفَةٍ ورُسِيَّةِ
كرامةٌ أعرفها شاشيَّة	

[قلت: وأعجبُ من ذا أن بعض أشياخنا حكى لي]^(٤) أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلٌ علوي، فجلس في التَّاجية آخر النهار، فذكر حديث رُدَّتِ الشَّمْسُ لعلِّي عليه السَّلام^(٥)، ثُمَّ شَرَعَ في

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٣٧/١٠ - ٣٨، و«الكامل»: ١٨/١١، و«الوافي بالوفيات»: ٤٢٨/١٧ - ٤٢٩، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ١٢٧/٧، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ٨٧/٢، و«النجوم الزاهرة»: ٢٥٣/٥ - ٢٥٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

(٣) وكذلك هي في «المنتظم»: ٣٨/١٠، وفي «الوافي بالوفيات» و«طبقات السبكي»: حانت، وهي الأشبه.

(٤) في (ع) و(ح): وأعجب من هذا أنه قدم.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) حديث ردُّ الشمس لعلِّي، أخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٠٦٧) (١٠٦٨)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (٣٨٢) و(٣٩٠) والعقيلي في «الضعفاء»: ٣/٣٢٧ - ٣٢٨، وابن الجوزي في «الموضوعات»: ٢٦٦/١ - ٢٦٧، وهو حديث منكر، وقد حكم عليه أئمة الحديث بالوضع، وأشبع القول فيه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: ٧٧/٦ - ٨٧، فراجع، فإنه نفيس.

مناقب أهل البيت، فارتفعت سحابة، فغطت الشمس، وأظلمت الدنيا حتى خيل للناس أن الشمس قد غربت، فأومى العلوي إلى جهة المغرب، وارتجل [وقال]^(١):
[من الكامل]

لا تَغْرُبِي يا شمسُ حتى ينتهي مَدْحِي لآلِ الْمُصْطَفَى وَلِنَجْلِهِ
وإثني عَنانِكَ إن أردتِ ثناءَهُمْ أنسيتِ إذ كان الوقوفُ لأجلِهِ
إن كان للمولى وقوفُك فليكن هذا الوقوفُ لخَيْلِهِ وَلرَجْلِهِ
فطلعت الشمس، فلم يبقَ إلا من رمى ثيابه على العلوي.

وتوفي ابنُ الشَّاشي في المحرم، ودُفِنَ عند قبر أبيه في تربة أبي إسحاق الشيرازي
[سمع أباه، وأبا عبد الله بن طلحة النُّعالي، وغيرهما]^(١).

ومن شعره: [من الدوييت]

الدَّمَعُ دماً يسيلُ من أجفاني إن عشتُ مع الفراقِ ما أجفاني
سَجَنِي سَجَنِي وحاكمي سَجَّاني والعاذل بالَمَلَامِ قد سَجَّاني
والذِّكْرُ لهم يزيدُ في أشجاني والنَّوْحُ مع الحَمَامِ قد أشجاني
ضاقت ببعادِ منيتي أعطاني والبينُ يدُ الهمومِ قد أعطاني

وفي ابن الشَّاشي يقول مَعْدَان بن كثير البالسي: [من الكامل]

يا كعبة الفضلِ افْتِنَا لِمَ لَمْ يجب فَرَضاً على قُصَّادِكَ الإحرامُ
ولِمَ تُضَمِّخُ زائريك بطيبِ ما تُلقِيهِ وَهُوَ على الحجيجِ حَرَامُ

عبد الواحد بن شَنْيَف أبو الفرج الحَنْبَلِي^(٢) [الدَّارَقَزِي]^(١)

[سمع الحديث وتفقه وبرع وأفتى وناظر، وكان أميناً للقاضي]^(١).

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٣٩/١٠، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٢٣٨ - ٢٣٩، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: ١٨٥/١ - ١٨٦، و«المقصد الأرشد»: ١٣٩/٢، و«المنهج الأحمد»: ١١٥/٣، و«شذرات الذهب»: ٨٥/٤ - ٨٦.

توفي بعض أصحابه، وأوصى إليه بولده، فكان ينفق عليه مما خلفه أبوه و[وكان]^(١) الصَّبِيُّ [فَطْنًا]^(١) يكتب ما ينفق عليه، فَمَرَضَ الشيخ فقال للصبي: أيش بقي لك عندي؟ فقال: والله مالي عندك شيء، لأن ما ترك أبي أنفقته عليّ، [فقال: بلى، وأخرج]^(١) سبعين ديناراً، وقال: [خذ]^(١) هذه [فهي]^(١) لك، فإني كنتُ أتجر لك بشيء من مالك، وهذه رِبْحُهُ.

وتوفي رجل بدار القَرْ، وأوصى إليه أن يقسم ميراثه، فأعطى زوجته حَقَّها، وأعطى الباقي ذوي أرحامه، وكان ابن الرُّطبي على التَّركات، وعبد الواحد نائبه، فكَتَبَ ابنُ الرُّطبي إلى المسترشد يُخبره بما صنع [وقال: إنه ورث ذوي الأرحام]^(٢) فكَتَبَ الخليفة: نَعَمْ ما فعل إذ عَمِلَ بمذهبه، والدَّئِبُ لمن استعملَ حنبلياً في هذا، وقد عَلِمَ مذهبه.

[وقيل: إنه لم يكن عبد الواحد نائب ابن الرُّطبي، وإنما توفي رجل حَشْرِي^(٢) بدار القَرْ، وكان ابن الرُّطبي يتولى التَّركات، فكَتَبَ إليه ابنُ الرُّطبي بأن يتولى تَرْكَتَهُ، ففَعَلَ فيها ما فعل]^(١).

وتوفي عبدُ الواحد في شعبان، وخَلَفَ مالاَ كثيراً.

عليُّ بنُ محمد، أبو الحسن العنبري^(٣)

ويقال له ابنُ دَوَّاس القنَّا، شاعرٌ فصيح، أصله من البصرة، وسكن واسِطاً، وتوفي بها.

ومن شعره: [من البسيط]

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) الحشري: هو الميت الذي خلف مالاَ، وليس له وارث خاص بقراءة أو نكاح أو ولاء، أو له وارث ذو فرض، ولكنه لا يستغرق جميع المال الذي خلفه ولا عاصب له، فهذا كان ماله يعود لبيت المال، وكان له ديوان خاص به يسمى «الموارث الحشرية»، وقد عمل أبو الفرج الحنبلي بمذهبه فورث ذوي الأرحام، ومن ثم استنكر عليه القاضي ابن الرطبي الشافعي فعله.

وقد تحرفت «حشري» في «المنتظم» و«المنهج الأحمد» إلى حشوي، واعتمدها «محقق؟» المنهج قائلاً في حشري: وهو من آفات الطبع، فتأمل! انظر «صبح الأعشى»: ٤٦٠/٣، و«المصباح المنير» (حشر).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ٤/م ١/٣٦١ - ٣٦٣ و«الوافي بالوفيات»: ٢٢/٨٨ - ٨٩، و«النجوم الزاهرة»: ٢٥٤/٥.

هل أنت مُنْجِزَةٌ بِالْوَصْلِ مِيعَادِي
سَأَلْتُ طَيْفَكَ إِمَاماً فَضَنَ بِهِ
يَا ظَبِيَّةَ الْحَيِّ مَا جِيْدِي بِمَنْعُطٍ
لَوْلَا هَوَاكِ لَمَا اسْتَلَمَعْتُ بَارِقَةً
وَلَا وَقَفْتُ عَلَى الْوَادِي أَسَائِلُهُ
رَحَلْتُمْ وَفَوَادِي فِي رَحَالِكُمْ
إِنْ تَأْسِرُوا فَذُوو عِزٍّ وَمَقْدِرَةٌ
إِذَا سَمَحْتُمْ بِتَقْرِيْبِي وَلَمْ تَصِلُوا
أَمْ أَنْتِ مُشْمِتَةٌ بِالْهَجْرِ حُسَّادِي
وَلَوْ أَلَمَ لِأَرْوَى غُلَّةَ الصَّادِي
إِلَى سِوَاكِ وَلَا حَبْلِي بِمُنْقَادٍ
وَلَا سَأَلْتُ حَمَامَ الدَّوْحِ إِسْعَادِي
بِالدَّمْعِ حَتَّى رَثَى لِي سَاكِنُ الْوَادِي
مَوْزَعٌ بَيْنَ إِثْهَامٍ وَإِنْجَادٍ
أَوْ تُظْلِقُوا فَذُوو مَنْ وَإِرْفَادٍ^(١)
حَبْلِي فَسَيَّانَ تَقْرِيْبِي وَإِبْعَادِي^(٢)

محمد بن عبد الله بن ثومرت المصمودي^(٣)

صاحب المغرب.

كان قد رحل في شببته إلى الإسكندرية ومصر والعراق، وحجَّ وحفظ القرآن، وسمع الحديث، وتنسك، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وهجر لذات الدنيا، وعاد إلى المغرب، فانتهى إلى بجاية، فكسر بها آلات اللّهُو، وأهراق الخمر، وخرج منها إلى قرية يُقال لها: مَلَّالَة، فرأى عبد المؤمن، فتفرَّس فيه، وسأله عن [قبيلته و]^(٤) نسبه، فأخبره أنّه من قَيْس من شعب الشَّريد بن مُسلم^(٥)، فقال محمد بن ثومرت لأصحابه: هذا الذي بشر به النَّبِيُّ ﷺ، فقال: «إِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ هَذَا الدِّينَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ

(١) في (ع) و(ح):

إِنْ تَأْسِرُونَ فَذُو عِزٍّ وَمَقْدِرَةٌ أَوْ تَطْلِقُونَ فَذُو مَنْ وَإِرْفَادٍ

والمثبت من «الخريدة».

(٢) القصيدة في «الخريدة» قسم شعراء العراق: ج ٤ / م ١ / ٣٦٢ - ٣٦٣.

(٣) أخباره في «الكامل» لابن الأثير: ١٠ / ٥٦٩ - ٥٨٢، و«المعجب» ٢٦٢ - ٢٨٧، و«وفيات الأعيان»:

٥ / ٤٥ - ٥٥، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩ / ٥٣٩ - ٥٥٢.

ووفاته على الصحيح سنة (٥٢٤هـ) كما في مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) كذا في النسخ الخطية، ولم أقف عليه.

برجلٍ من قيسٍ سُلَيْمٍ^(١)، واستبشر به ابنُ ثُوَمَرْت، وَعَلِمَ أَنَّهُ وَاَرِثُهُ، وَحَامِلُ أَمَانَتِهِ، وَمَقِيمُ دَعْوَتِهِ، وَتُوفِي ابنُ ثُوَمَرْت بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ تِنْمَل، وَقَبْرُهُ ظَاهِرٌ يُزَارُ^(٢).

وَقَالَ أَبُو يَعْلَى بْنُ الْقَلَانِسِيِّ: حَدَّثَنِي مَنْ أَثَقُّ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، أَنَّ الْفَقِيهَ ابْنَ ثُوَمَرْتٍ مِنْ جَبَلِ الشُّوسِ، وَأَصْلُهُ مَصْمُودِي، وَكَانَ غَايَةً فِي الْفِقْهِ، وَالْدِّينِ، مَشْهُورًا بِالْوَرَعِ وَالزُّهْدِ، وَكَانَ قَدْ سَافَرَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَاجْتَمَعَ بِالْأَثَمَةِ وَالْفُقَهَاءِ، وَأَخَذَ عَنْهُمْ، وَنَظَرَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ، وَقَرَأَ عَلَى عِلْمَائِهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَدَعَا إِلَى مَذْهَبِ الْفِكْرِ، وَابْتَدَأَ ظَهْوَرَهُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ فِي مَدِينَةِ تَعْرِفَ بَدْرَنَ فِي جَبَلٍ أَوَّلِهِ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ وَآخِرِهِ فِي بَحْرِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَغَلَبَ عَلَى جَبَلِ الشُّوسِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ قِبَائِلِ الْمَصَامِدَةِ بِجَبَلِ دَرَنَ^(٣).

وَقِيلَ: إِنَّهُ وَصَلَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ، وَأَمَرَ أَهْلَهَا أَنْ يَبْنُوا قَصْرًا عَلَى نِيَّةِ الْفِكْرَةِ، وَأَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ بِالْفِكْرَةِ، فَاجْتَمَعَ مَشَايِخُ أَهْلِ الْمَهْدِيَّةِ وَفُقَهَاؤُهَا، وَعَزَمُوا عَلَى بَنَائِهِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ، فَقَالَ: نَقِيمُ مَا أَقْمَنَا فِي الْمَهْدِيَّةِ، وَيَجِيءُ إِلَيْكُمْ رَجُلٌ بَرَبْرِي مَصْمُودِي يَأْمُرُكُمْ بِالْعِبَادَةِ بِالْفِكْرَةِ، فَتَجِيبُونَ إِلَى مَا أَمَرَكُمْ بِهِ؟! وَأَنْكَرَ ذَلِكَ إِنْكَارًا شَدِيدًا حَتَّى عَادُوا عَنْهُ، وَأَبْطَلُوهُ، فَخَرَجَ الْمَصْمُودِي مِنَ الْمَهْدِيَّةِ، وَلَمْ يَتِمَّ لَهُ فِيهَا أَمْرٌ، فَجَاءَ إِلَى بَجَايَةِ؛ وَهِيَ فِي يَدِ بَنِي حَمَّادٍ مِنْ صِنْهَاجَةِ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ شُرْبَ الْخَمْرِ، وَكَسَرَ الْأَوَانِي، فَامْتَنَعُوا مِنْ شُرْبِهَا، وَسَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ آلُ حَمْدُونِ^(٤) صَاحِبُ

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (م) و(ش) عقب هذا: وسنذكر سيرة عبد المؤمن في سنة ثمان وخمسين وخمس مئة. قلت: وهذا هو المشهور من سيرة ابن ثومرت. في سنة ثمان وتسعين وأربع مئة (كذا)، وكان شاعراً فصيحاً، ومن شعره من قبل أن يقدم بالمغرب. ثم ذكر البيتين الآتين ص ٢٦٣.

(٣) انظر «الروض المعطار»: ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٤) وهي كذلك في أصل «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٥٥، غيَّرها «محققه» إلى ابن حماد ظناً منه أن المراد بالنص هو حاكمها يحيى بن عبد العزيز بن حماد، وهو آخر ملوكها، والحق أن آل حمدون كانوا المتحكمين في بجاية، وذلك لانشغال أميرها يحيى بالصيد واللهو، وقد بين منزلة آل حمدون ابن الأثير في «الكامل»:

هذا البلد، وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالاً، فلم يقبله، وأظهر الزُّهْدَ والورع، ثم خَرَجَ مِنْ بَجَايَةِ، وقصد أَغْمَاتٍ، وأظهر الزُّهْدَ، ودرَّسَ الفِقهَ، واجتمع إِلَيْهِ أَرْبَعُ مِائَةٍ رَجُلٍ مِنَ المصامدة، ثم ارتفع أمره، وبلغ خبره إِلَى [ابن] ^(١) يوسف بن تاشفين، وأنه يبيع دمه ودمَ أَصْحَابِهِ، فاستدعاه، وأحضر الفقهاء فناظروه، وأشاروا بحبسه، فلم يقبل يوسف، وأطلقه، وحاربه بعد ذلك، وكان يدعى بالخارجي ^(٢).

ذكر عقيدة ابن تومرت:

ذكرَ فِي أَوَّلِهَا حَدِيثَ ابْنِ عَمْرِو بْنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ" ^(٣) الْحَدِيثُ. وَحَدِيثٌ مَعَاذَ لَمَّا بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، وَأَمَرَهُ بِإِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَقَالَ: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ» ^(٤) الْحَدِيثُ.

ثُمَّ قَالَ: فَثَبَّتَ بِهَذَا أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصَحُّ إِلَّا بِالْإِيمَانِ، وَالْإِخْلَاصِ، وَذَلِكَ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، بِالطَّلَبِ وَالطَّلَبِ، بِالْإِرَادَةِ وَالْإِرَادَةِ، بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَبِالْوَعْدِ وَالْوَعْدِ، بِالشَّرْعِ وَالشَّرْعِ، بِصَدَقِ الرَّسُولِ وَصِدْقِ الرَّسُولِ، بِإِظْهَارِ الْمَعْجَزَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ قَالَ: وَبِضَرُورَةِ الْعَقْلِ يُعْرَفُ وَجُودُ الْبَارِي، وَالضَّرُورَةُ مَا لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الشَّكُّ، وَلَا يُمْكِنُ الْعَاقِلُ جَحْدَهُ، وَهَذِهِ الضَّرُورَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: وَاجِبٌ، وَجَائِزٌ، وَمُسْتَحِيلٌ.

فَالوَاجِبُ: لَا بُدَّ مِنْ كَوْنِهِ؛ كَافْتِقَارِ الْفِعْلِ إِلَى الْفَاعِلِ.

وَالْجَائِزُ: مَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَأَنْ لَا يَكُونَ؛ كَنَزُولِ الْمَطَرِ، وَنَحْوِهِ.

(١) ما بين حاصرتين من «ذيل تاريخ دمشق»، وهو علي بن يوسف بن تاشفين، وقد توفي سنة (٥٣٧هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٢٠ / ١٢٤-١٢٥.

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٥٣-٤٥٦.

(٣) حديث صحيح، أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب، وهو في «المسند» (٦٠١٥).

(٤) حديث صحيح، أخرجه البخاري (٢٤٤٨)، ومسلم (١٩)، وهو في «المسند» (٢٠٧١).

والمستحيل : ما لا يمكن كونه ؛ كالجمع بين الضدين.

وهذه الضرورة مستقرة في نفوس العقلاء بأجمعهم ؛ أَنَّ الفعل لا بُدَّ له من فاعل ، وَأَنَّ الفاعل ليس في وجوده شك ، وهذا معنى قوله ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم : ١٠] وما انتفى عنه الشكَّ وَجَبَ كونه معلوماً ، فَثَبَّتَ بهذا أَنَّ الباري يُعَلِّمُ بضرورة العقل ، ويحدث نفسه أيضاً ، لَأَنَّهُ يُعَلِّمُ أَنَّ له صانعاً صنعه ، لقوله تعالى : ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم : ٩] وذكر الآيات التي فيها خَلَقَ الإنسان ، ثم قال : فَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ وَجميعُ الموجودات يُعَلِّمُ بها وجودُ الباري ، وكذا الليل والنهار والحيوانات ، وقد نبّه الله على خَلْقِها في آياتٍ كقوله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة : ١٦٤] الآية.

ثم قال : وإذا كان خالق كلِّ شيء عُلِّمَ أنه لا يشبهه شيء لأنَّه ليس من جنسها ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل : ١٧].

ثم ذكر فصلاً في دَفْعِ التَّشْبِيهِ والتكليف والتعطيل ، وَأَثْبَتَ التَّوْحِيدَ والتَّزْيِيهَ ، ثم قال : عَرَفَهُ الْعَارِفُونَ بِأَفْعَالِهِ ، وَنَفَوْا التَّكْلِيفَ عَنْ عِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ.

ثم قال : وما وَرَدَ من الآيات المتشابهات كآيات النزول ونحوها ، فيجب الإيمانُ بها مع نفي الكيفية ، قال الله تعالى : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران : ٧] الآية. فقد أثنى الله عليهم ، وقالت عائشة رضي الله عنها : إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله ، فاحذروهم. وليس الباري متصلاً بخلقه.

ثم قال : وهو عالمٌ بعِلْمٍ واحد ، قَادِرٌ بِقُدْرَةٍ واحدة.

ثم أَثْبَتَ الْقَدَرَ ، وقال : وَجميعُ المخلوقات صَادِرَةٌ عَنْ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، قَدَرُهَا فِي أَزَلِّيَّتِهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ ، لَا تَبْدِيلَ فِي الْمَقْدُورِ ، وَلَا تَحْوِيلَ فِي الْمَحْتَمِ ، أَوْجَدَهَا بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ وَلَا بَعْلَةٍ ، وَلَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي إِيجَادِهَا ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس : ٨٢]. ثم قال : وَأَسْمَاؤُهُ مَوْقُوفَةٌ عَلَى إِذْنِهِ ، لَا يُسَمَّى إِلَّا

بما سَمَّى به نَفْسَه في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ، ولا مجال للقياس فيها ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وذكر ما يتعلق بها من الآيات.

ثم أثبت رؤية الله تعالى في الجنة، وذكر آيات النظر والأحاديث، ثم قال: من غير تشبيه ولا تجسيم.

ثم قال: والمعجزات حقٌّ، وذكر قلب العصا حيَّةً، ونَبَعَ الماء من بين أصابع نبينا ﷺ، وذكر القرآن الذي هو المعجز الأكبر، وذكر كلاماً طويلاً.

ومن شِعره: [من البسيط]

إِنِّي فِي النَّفْسِ أَشْيَاءٌ مُّخَبَّاءٌ لَا لِبَسَنٍ لَهَا دِرْعاً وَجِلْبَاباً
كَيْمَا أَظْهَرَ دِينَ اللَّهَ مِنْ دَنَسٍ وَأَوْجِبَ الْفَضْلَ لِلْسَّادَاتِ إِجَاباً

محمد بن علي بن عبد الواحد^(١)

أبو رشيد، من أهل أمل طبرستان.

وُلِدَ سنة سبع وثلاثين وأربع مئة، وَحَجَّ، وجاور بمكة سنين، وسمع الحديث، [وحدث بشيء يسير]^(٢)، وكان زاهداً عابداً، منقطعاً، مشغولاً بنفسه، ركب البحر، فلما وَصَلَ إلى بعض الجزائر خَرَجَ من السفينة، وودَّع أصحابه، وقال: أريدُ أَنْ أَقِيمَ هاهنا. فقالوا: هذا مكانٌ منقطع، ولا فيه عمارة، فكيف تصنع؟ فقال: لا بُدَّ. فأقلعوا في البحر، فهاجَتْ عليهم الرِّيحُ، فردَّتْهم إلى الجزيرة، [فسألوه أَنْ يجيء معهم، فأبى، فأقلعوا، فردَّتْهم الرِّيحُ إلى الجزيرة]^(٢) ثانياً وثالثاً ورابعاً، فاجتمع إليه التُّجَّارُ، وقالوا: لا يحلُّ لك أَنْ تسعى في إتلافِ نفوسنا وأموالنا، كلَّما دفعنا رَدَّتْنا الرِّيحُ إليك، فاصحبنا إلى دَرَبُنْد، فإذا رجعنا فأقيم هناك. فأجابهم، وأقام معهم بِدَرَبُنْد أياماً، ثم

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٤٠/١٠، و«الكامل» ١٨/١١ - وفيه: محمد بن علي بن عبد الوهاب - و«طبقات الشافعية» للسبكي: ١٥٤/٦ - ١٥٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

رجع إلى الجزيرة، وأقام بها سنين، وكان فيها عَيْنٌ، فكان يشربُ منها ويتوضأ، ثم رَجَعَ إلى آمل، فسكنها إلى أن توفي في جُمادى الأولى، وقبره بآمل يُتَبَرَّكُ به. وقال بعضُ أصحابه: مضيت إلى تلك الجزيرة، فرأيتُ فيها ثعباناً يبتلع ابنَ آدم، فزرت موضع سجوده، ورجعت.

[فصل: وفيها توفيت والدته المسترشدة^(١)، كانت صالحة متصدقة، توفيت ليلة الاثنين تاسع عشرة شوال، وصلى عليها المسترشد ليلاً، وحملت إلى الرصافة]^(٢).

السَّنة التاسعة والعشرون وخمس مئة

فيها قُتِلَ المسترشد، ودُبِّيَس، [وشمس الملوك صاحب دمشق]^(٣)، ومات طُغْريل السُّلطان.

وفيها أخرج الخليفة سُرادقه إلى رؤوس الحيطان، لأنَّه اطلع على سوء نية مسعود. ووصل الخبر بوفاة طُغْريل بهَمَذان، فسار مسعود جريدة^(٤)، ولحقه عسكره، وأعاد الخليفة سُرادقه إلى داره، وأما مسعود فإنَّه وَصَلَ هَمَذان، واختلف عليه العسكر، فكان ممن انعزل عليه قزل وسُنْقُر والباردار^(٥) وغيرهم، ونزلوا بعيداً من هَمَذان، فأسرى إليهم، وبيَّتهم، فبدَّد شملهم، ونهب أثقالهم، فورد هؤلاء الثلاثة بغداد، وأخبروا بسوء نيَّته في الخِلافة.

وخرَجَ أنوشروان لوزارة السُّلطان مسعود، فَنَهَبَ جميعُ ما كان معه في الطَّرِيق. وفي المحرم وَصَلَ زَنْكي بغداد، فالتقاء الوزير وأرباب الدَّولة، ودَخَلَ، وقَبَّلَ عتبة الباب النَّوبي، وقال: أنا وأبي عبيدُ هذه العتبة، وما زالت العبيد تجني والموالي تعفو.

(١) لها ترجمة في «المنتظم»: ٤١/١٠.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، والرصافة هي رصافة بغداد.

(٣) في (ع) و(ح): بوري، وهو وهم، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) أي لم يكن معه رجالة، انظر «اللسان» (جرد).

(٥) في (ع): البارذاني، وفي (ح) البارذان، والمثبت من «المنتظم»: ٤١/١٠، وسيأتي على الصواب ص ٢٦٥.

وقدّم الهدايا والتّحف، ومفاتيح أبواب الموصل، فأُنزِلَ وأُكْرِمَ، وأقام أياماً، وخُلِعَ عليه، ورَحَلَ إلى الشّام ليأخذ دمشق.

وجاء رسولُ دُبَيْس يستعطف الخليفة، فلم يعطف عليه، فمضى دُبَيْس إلى مسعود. وفي صفر وصل ابنُ الأنباري من عند سنجر، وأخبر أنه تُلْقِي من أربعة فراسخ، وأن سنجر نزل من التّخت مراراً، وقبّل الأرض وحافِرَ فرسِ الخليفة.

وفي ربيع الأول^(١) وردت الأخبارُ بتغيّر مسعود على الخليفة تغيّراً كُليّاً، وأنّه قد جمع العساكر ومقصوده بغداد، ووصلت مقدّمته إلى حُلوان، وفيها دُبَيْس، وأقطع مسعود العساكر العراق، وبلغ الخليفة، فبعث مقدّمته إلى المَرَج، وفيها الجاولي شحنة بغداد، وكعبة، وأرغش، وجماعةً من السّلاحية في ألفين وخمس مئة فارس، وقال: تحفظون الطّريق إلى أن أصل إليكم.

وكان زَنكي على دمشق يحاصرها، فبعث أهلها يقولون للخليفة: رَحّله عنا، ولك في كلّ سنة خمسون ألف دينار. فَبَعَثَ إليه، وقال: ارْحَلْ، واقْدُم علينا لتساعدنا على مسعود، ونَخْطُب لك. فقال: سَمِعاً وطاعة.

وكان سنجر قد كَتَبَ إلى مسعود يقول: ما دام البازدار وابن بُرْسُق وقزل ويرنقش معك ما تُصِيبُ خيراً، فهم الذين أفسدوا أمر أخيك طُغريل، فابعث إليّ برؤوسهم. فأطلعهم مسعودُ على الكتاب، وقال: لو أردتُ بكم سوءاً لفعلت. فقبّلوا الأرض، وقالوا: الآن قد عَلِمْنَا أَنَّكَ صافي القلب لنا، فابْعَثْنَا مع دُبَيْس في المقدّمة. فَبَعَثَ بهم، فقالوا: ما وراء هذا الكلام خير، والواجب خدمة أمير المؤمنين، فله في رقابنا عهود، وهذا عاقبة الغدر. فكتبوا إلى الخليفة: قد انفصلنا عن مسعود، ونحن ببلاد ابن بُرْسُق، فإن كانت لك نيّة في الخروج فاخْرُجْ، فنحن بين يديك، وإلا فاخْطُبْ لبعضِ أولاد السّلطان، ونفّذه إلينا لنكون معه. فكتب إليهم: دوموا على ما أنتم عليه، فأنا صائرٌ إليكم. وبعثَ سديدَ الدولة [إليهم يطيبُ قلوبَهُمْ، ويَعِدُهُم الإقطاع، وبلغ مسعوداً،

(١) في (ح): الآخر.

فرحل إليهم جريدة ليكبسهم، فانهزموا، فأخذ أموالهم، وسبق سديد الدولة^(١) إلى بغداد ليخبر بحالهم، فأعيد إليهم بالخلع والأموال والإقامات.

فلما كان يوم السبت حادي عشرة رجب تقدّم الخليفة بإخراج مضاربه ومضارب أصحابه، وانزعج أهل بغداد، وبعث السلطان دويساً في خمسة آلاف، فكبس المقدمة، وقتل منهم، فدخلوا بغداد غداة سادس عشرة رجب، فأنزلهم الخليفة دار السلطان، وبعث إليهم بالأموال والخيول والإقامات والخلع، وأطلق لهم ثمانين ألف دينار، وقطعت خطبة مسعود، وخطب لسنجر وداود، واستفتى الفقهاء في مسعود، وأنه خالف، فأفتوا بعزله وقتاله، وخرج الخليفة في أبهة الخلافة، والخلائق يمشون بين يديه حتى نزل سرادقه عند رؤوس الحيطان، ودخل الوزير شرف الدين علي بن طراد، وسديد الدولة بن الأنباري، وكمال الدين بن طلحة صاحب المخزن على الخليفة، فقال له الوزير: يا مولانا، في نفسي شيء، فهل يؤذن لي في المقال. فقال: قل. فقال: إلى من نمضي، وبمن نعتصد، وإلى من نلتجئ؟ ومقامنا ببغداد أصلح وأحوط لنا إذا قصدنا [عدو]^(٢) كُنّا مستظهرين، ولما خرج الحسين عليه السلام من الحجاز إلى العراق جرى عليه ما جرى، ولو أقام بمكة ما اختلف عليه اثنان. فقال الخليفة لابن الأنباري: ما تقول أنت يا كاتب؟ فقال: الرأي ما رآه الوزير، والرأي المقام، وليت العراق تبقى علينا. فقال لصاحب المخزن: ما تقول أنت يا وكيل؟ فقال: في نفسي ما في نفس مولانا. وكان هو الذي حمّله على الخروج، فأنشد المسترشد: [من الخفيف]

غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحاتٍ ولا يلاقي الهوانا
وإذا لم يكن من الموت بُدٌّ فمن العجز أن تموت جباناً^(٢)
فاسترجع القوم، وأيقنوا بالهلاك.

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

(٢) البيتان للمتنبي من قصيدة مطلعها:

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانا
وهي في «ديوانه»: ٤ / ٣٧٠-٣٧٢، وفيه: فمن العجز أن تكون جباناً.

ثم رحل يوم الخميس ثامن شعبان في سبعة آلاف فارس، وكان مسعود بهمدان في ألف وخمس مئة فارس، وكان أصحاب الأطراف قد كاتبوا الخليفة، فتوقف في طريقه، فاستصلح مسعود أكثرهم حتى صار في خمسة عشرة ألفاً، وتسَلَّل جماعة من أصحاب الخليفة حتى صار في خمسة آلاف، ونفَّذَ إليه زُنُكي نَجْدَةٍ فلم تلحق، وأرسل داود بن محمود إلى الخليفة وهو بأذريجان، يشير أن الخليفة ينزل الدِّينور حتى يوافيه داود، فلم يقبل، واستعجل في ضرب المصاف.

فلما كان يوم الاثنين عاشر رمضان التقوا، فجعل الخليفة على يمينته البازدار وقزل وغيرهما، وفي يسرته الأمراء السَّلاحية، وكانت الوقعة [قريب]^(١) من جبل بهستون^(٢)، فحملت ميمنة الخليفة فكسرت ميمنة مسعود، فانهزموا ثلاثة فراسخ، ونادى مسعود: المال لكم والدم لي، ومن أقام بعد الوقعة من أصحاب الخليفة ضُربت عُنُقُهُ. فغدرت ميسرة الخليفة، ومالت كُلُّها إلى مسعود، وجاءت ميمنة الخليفة من وراء الميسرة، فوجدت الميسرة قد مالت إلى مسعود، فانهزموا لا يلوون على شيء، وأسر المسترشد وأصحابه، وأخذ ما كان معه من الأموال، وكانت على سبعين بغلاً في صناديق، أربعة آلاف ألف دينار، وكان رَحْلُهُ على خمسة آلاف جمل وأربع مئة بغل، فيها عشرة آلاف عِمامة، وعشرة آلاف قَبَاءَ وَجْبَةٍ وَدُرَّاعَةٍ، وعشرة آلاف قَلَنُوسَةٍ مُذْهَبَةٍ، وثلاثة آلاف ثوب رومي وممزوج ودِيقِي. ومضى من النَّاس ما قَدَّرُوهُ بعشرة آلاف ألف دينار سوى الخيل والأثاث، ولم يُقتل بين الصَّفَّين سوى خمسة أنفس غَلَطاً، ونادى مسعود: مَنْ أَقام مِنْ أصحاب الخليفة بعد الوقعة قَتَلْتُهُ. فهرب الناس، وتفرَّقوا في الجبال، وتخطَّفَهُم الأكراد والتركمان، ووصلَ مَنْ سَلِمَ منهم إلى بغداد عُراةً حُفَاءَ، قد تَقَطَّعَتْ أَرْجُلُهُم مِنَ الصَّخْرِ والحَفَاءِ، ومات أكثرهم، وحَمَلَ مسعود الوزير ابن طراد وابن الأنباري وابن طلحة وقاضي القضاة الزَّيْنِي ونقيب الطَّالِبِينَ إلى القلعة معتقلين، ثُمَّ كَتَبَ مسعود كتاباً مع بكبة، وولَّاه شُحْنَكِيَّةَ بغداد، وفي الكتاب عن لسان الخليفة إلى أستاذ الدَّار: ليعتمد الحسن بن جَهِير مراعاة الرِّعِيَّة، والاشتغال عليهم، وكفَّ

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

(٢) جبل عالٍ مرتفع، قرب قرية بهستون، وهي بين همدان وحلوان، انظر «معجم البلدان»: ٥١٥/١.

الأذى عنهم، فقد ظَهَرَ من الولد غياث الدين^(١) - مَنَّعَ الله به - في الخدمة ما صدَّقَتْ به الظُّنون، فَلْيُجْمَعْ وكاتب الزُّمام والمخزن على إخراج العُمَّال إلى نواحي الخاصِّ لحمايتها، فقد نُدِبَ من الجَنَابِ الغياثي هذا الشُّحنةُ لذلك، وَلِيَهْتَمَّ بِكُسُوةِ الكَعْبَةِ، فنحن في إثر هذا المكتوب واصلون، إن شاء الله تعالى.

فلما كان يومُ عيدِ الفِطْرِ نَفَرَ أَهْلُ بَغْدَادَ، ووثبوا على الخطيب، وكسروا المنبر والشُّبَّاك، ومنعوه من الخُطْبَةِ، وخرجوا إلى الأسواق يحثون على رؤوسهم التراب، ويبكون ويصرخون، واقتتل أصحابُ الشُّحنةِ والعوام، وَخَرَجَ النِّسَاءُ حاسراتٍ يَنْدُبْنَ في الأسواق، وتحت النَّاجِ، وَقُتِلَ من العوامِ مئةٌ وثلاثة وخمسون، وهَرَبَ أبو الكرم الوالي وحاجب الباب إلى دار خاتون، وأشرفت بغداد على النَّهْبِ، فنادى الشُّحنة: لا ينزل أحد في دار أحد، ولا يؤخذ من أحد شيء، فَإِنَّمَا جِئْنَا فِي الصُّلْحِ، والسُّلْطَانِ واصلٌ إلى هاهنا بين يدي أمير المؤمنين، وعلى كتفه الغاشية. فَسَكَنَ النَّاسُ.

وأما حديث الخليفة، فاختلفت الأقوال؛ فقومٌ يقولون: إِنَّ مسعوداً ينتظر جوابَ عمِّه سنجر، وقومٌ يقولون: يصل عن قليل، وقومٌ يقولون: إِنَّ داود قد عَزَمَ على قتال مسعود، واستنقاذ الخليفة منه.

وسار داود لقتال مسعود، وجاء مسعود إلى مَراغة^(٢)، والخليفة معه.

و[فيها]^(٣) زُلْزِلَتْ بَغْدَادُ مراراً [لا تحصى]^(٤)، وكان مبدأ الزَّلَازِلِ يومَ الخميسِ حادي عشر شَوَّالٍ، فزلزلت يومئذٍ ستُّ مَرَّاتٍ ودامت كل يوم ست مرات إلى ليلةِ الجُمُعَةِ سابعِ عشرين شَوَّالٍ، ثم ارتجَّت ليلةُ الثلاثاءِ نصفَ اللَّيْلِ حتى تفرقت السقوف، وانتثرت الحيطان، ولم تزل الأرضُ تميد من نصف الليل إلى الفَجْرِ والناس يستغيثون، وانقطع خبر العسكر [الذي كان قد خرج من بغداد]^(٥).

فلما كان يوم الثلاثاء غُرَّةُ ذي القعدة وصل ركابيةٌ معهم خَطُّ الخليفة إلى وليِّ عهده بوصولِ رسولِ سنجر إلى مسعود، يقول: ساعة وقوف الولد العزيز غياث الدين مسعود

(١) هو لقب السُّلْطَانِ مسعود، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٤٧ هـ).

(٢) مراغة، بالفتح: بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان، انظر «معجم البلدان»: ٩٣/٥.

(٣) ما بين حاصرتين من (ح) و(م) و(ش).

على هذا المكتوب، يدخل على أمير المؤمنين - أعزَّ الله أنصاره - ويقبل الأرض بين يديه، ويقف ويسأله العفو عنه، والصفح عن جرمه، فقد ظهر عندنا من الآثار السَّمائية والأرضية ما لا طاقة لنا بسماع مثلها دون المشاهدة من الرياح العواصف، والبروق الخواطف، وتزلزل الأرض، ودوام^(١) ذلك عشرين يوماً وتشوش العساكر، وانقلاب البلدان، ولقد خفتُ على نفسي من جانب الله تعالى وظهور آياته، وجانب المخلوقين والعساكر، وتغيرهم عليّ، وامتناع الناس من الصلاة في الجوامع، وكسر المنابر، ومنع الخطباء ما لا طاقة لي به، فالله الله تتلافى أمرك، وتحقن دماء المسلمين، وتعيد أمير المؤمنين إلى مُستقرِّ عزِّه، وتسلم إليه دُيَّساً ليرى رأيه فيه، فإنَّه هو الذي أحوج أمير المؤمنين وأحوجنا إلى مثل هذا، وعجل، وانصب له السُّرادق، واضرب له الخيام والتَّخت، واحمل الغاشية بين يديه، أنتَ وجميع الأمراء، كما جرت عادتنا وعادة أهل بيتنا وآبائنا في خدمة هذا البيت.

وكان محالاً^(٢) من سنجر ليدفع عنه التُّهمة.

فلما وقف مسعود على كتاب سنجر بعث بالوزير أنوشروان - وكان قد استوزره ثانياً، وشهد معه هذه الواقعة - وبعث معه بنظر الخادم إلى الخليفة يستأذن في دخوله عليه، فأذن له، فدخل، فقبل الأرض بين يديه ووقف معذراً متصلاً، يسأل العفو والصفح عن جرمه، والخليفة مُطرق ساعة، ثم رفع رأسه، وقال: قد عُفي عن ذنبك، فاسكن إلى ذلك، وطب نفساً.

وكان قد ضرب له التَّخت في سُرادق، فقدَّم له فرساً لم يكُ عند مسعود من خيل الخليفة التي أخذت غيره، وسأله الركوب، فركب، وكان بين الموضعين نصف فرسخ، ومسعود بين يديه، على كتفه الغاشية، ويده في لجام فرس الخليفة، وجميع الأمراء يمشون بين يديه حتى دخل السُّرادق، وجلس على التخت، ووقف السلطان بين يديه زماناً، فأمره بالجلوس، فأبى، ثم سأل الخليفة أن يشفعه في دُيَّس، فأجابه، فجاؤوا به مكتفاً بين أربعة، ومع أحد الموكلين به سيفٌ مجذوب، ومع آخر شقة

(١) في (ع) و(ح): ودام، والمثبت من «المنتظم»: ٤٧/١٠.

(٢) المحال: المكر. انظر «اللسان» (محل).

بيضاء، فرموا به بين يدي السرير، وهو يقول: العفو العفو عند القدرة. فقال مسعود: هذا هو السبب فيما جرى بيننا، فإذا زال السبب زال الخلاف، وهذا الآن بين يديك، فمهما تأمر يفعل به، ودُبِّسَ يبكي ويتضرع بين يدي السرير، فقال الخليفة ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢] وتقدم بحل كتافه^(١)، وسأل السلطان الخليفة أن يُنعم على دُبِّس بتقبيل يده، فأعطاه يده، فقبلها، وأمرها على وجهه وصدره، وأقام الخليفة مكانه حتى قُتِلَ في ذي القعدة، وسنذكره إن شاء الله تعالى^(٢).

وأما بكبة فإنه شرع في نقض سور بغداد، وكلف أهل محال الجانب الغربي بنقضه. وقال: أنتم عمرتموه فانقضوه. واستطال على أهل بغداد.

وقال ابن القلانسي: وفيها هرب الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق إلى تدمر خوفاً من شمس الملوك بن بوري، وكانت تدمر لشهاب الدين محمود بن بوري في زمان أبيه، فسئم من المقام بها، وسأل أباه نقله إلى دمشق، فأجابه، فاستعان يوسف بجماعة من الأمراء على تحصيل تدمر، فخاطبوا بوري، فأعطاه إياها، فشرع في ترميم حصنها، ونقل الغلال والذخائر إليه. فلما تنكر عليه شمس الملوك، وعزم على مصادرتة وهلاكه هرب إلى تدمر، ونديم شمس الملوك على إفلاته من يده، فكاتبه واستماله، وطيب قلبه، فلم يلتفت إليه، وقال: أنا [الغلام] الخادم المقيم على الخدمة. ولم يعد إليه^(٣).

فصل: وفيها توفي

إسماعيل بن بوري بن طغتكين، شمس الملوك، صاحب دمشق^(٤)

وكان قد ساءت سيرته، وصادر الناس، وأخذ أموالهم، وولّى عليهم رجلاً كردياً يقال له بدران الكافر، فشرع في العقوبات، وأنواع العذاب، وظهر من شمس الملوك

(١) الكتاف: الحبل الذي يكتف به الإنسان. انظر «اللسان» (كتف).

(٢) انظر ص ٢٧٨-٢٨٠.

(٣) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٨٦-٣٨٧، وما بين حاصرتين من (ح).

(٤) انظر كذلك في ترجمته «ذيل تاريخ دمشق»، لابن القلانسي: ٣٧٨-٣٩٠، و«الكامل» ١١/٢٠-٢١،

و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/٥٧٥-٥٧٦.

شَحَّ زائد، وَقَتَلَ غُلَّمان أبيه وجَدَّه، وأخذ أموالهم، فكتب أهلُ دمشق إلى زَنكي يسألونه المسير إليهم، فَشَرَعَ في التأهُّب، فكتب إليه إسماعيل: لا تحشُد ولا تجمع، تعال بسرعة وأنا أسلّم إليك البلد بعد أن تمكّنتي من بعض أهله ممن في نفسي منهم. ووالى المكاتبه إليه بخطّه: لئن لم تقدم وإلاّ سلّمتُ دمشق إلى الفرنج. وَشَرَعَ في نقلِ أمواله وذخائره إلى حصن صَرْخَد، وقَبَضَ على جماعةٍ من الأعيان، فاتفقوا على قَتْلِهِ [وقالوا: هذا نوع سوداء، وكلما جاءت يزداد، وما لها إلاّ عدمه، فراسلوا]^(١) أمه زُمُرد خاتون، وقالوا: قد عَزَمَ على قتلنا وقتلك، وغداً يجيء [أتابك]^(٢) زَنكي فيحكم عليك وعلينا. فدخلت عليه ولامته [وعاتبته]^(٢) وقالت: أنت تكون سبب خراب هذا البيت، فارجع إلى سيرة آبائك. فشتمها، وتهدّدها بالقتل، وأسمعها كلاماً قبيحاً، فأرسلت إليهم، وقالت: دونكم وإياه. فَرَتَّبوا له جماعةً من الغُلَّمان باتِّفاقٍ من أمّه، فقتلوه في دَهْلِيز قلعة دمشق في رابع عشر ربيع الأوّل^(٣)، [فكانت ولايته ثلاث سنين، لأنه ولي في رجب سنة ست وعشرين وخمس مئة]^(٢) وأجلست أمّه أخاه، [محمود بن بوري مكانه، ولقبته شهاب الدين، وهو الذي كانت له تدمر]^(٤)، وجاء [أتابك]^(٢) زَنكي إلى حِمص، فبلغه الخبر، فبعث رسولاً إلى دمشق بتسليم البلد، فَرَدَّه شهابُ الدين وخاتون ردّاً جميلاً، فلم يلتفت [زَنكي]^(٢)، وجاء بعساكره، فخيم بين القصير وعذراء^(٥) في جمادى الأولى، وكان يزحف كل يوم، ويقا تل أهل البلد ويقا تلونه، فأقام مُدَّة، فلم يظفر بطائل، واتفق وصولُ رسولِ المسترشد يأمره بالرحيل إلى بغداد، فرحل، وأقامت خاتون تدبّرُ الملك مُدَّة، ثم تزوّجها بعد ذلك زَنكي، ونقلها إلى حلب، فصار تدبير الملك إلى معين الدّين أنر؛ أحد

(١) في (ح) و(ع): فاتفقوا على قتله، وراسلوا أمه...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٩٠، و«الكامل» لابن الأثير: ٢٠/١١: ربيع الآخر.

(٤) في (ع) و(ح): وأجلست أمه أخاه شهاب الدين محمود مكانه، وجاء زَنكي.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) القصير: قرية على التخوم الشمالية لغوطة دمشق الشرقية على طريق حمص القديمة، على بعد ٣ كم إلى الشمال الشرقي من دوما.

وعذراء: قرية في شمال مرج غوطة دمشق الشرقية، تبعد عن دوما ١٢ كم، وعن دمشق ٢٦ كم.

ممالك [جده أتابك]^(١) طغتكين، [ثم قتله جماعة من خدمه في سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة، وأجلسوا أخاه محمداً مكانه، وسذكروه]^(٢).

وكان إسماعيلُ شهماً شجاعاً مقداماً، مهيباً [وهو الذي خلّص بانياس من الفرنج]^(٣)، وكانت سيرته أوّل ولايته من أحسن السير، أسعر بلاد الفرنج بالغارات، وإنما تغيّرت سيرته في آخر أمره ومدّ عينه إلى أموال الرعية، وأرباب الدولة، وتناهى في ارتكاب القبائح والمنكرات، وظهر منه بخلٌ زائد، وميلٌ إلى الدنيا^(٤) بحيث لا يأنف من تناول الخسيس الحقيق بالعدوان.

[وقد ذكر قصته أبو يعلى بن القلانسي، وذكر بمعنى ما ذكرنا، وفيه بأن الكردي بدران سلط الله عليه^(٥) أمراضاً في نحره، فمات بعد أن ربا لسانه، وخرّج على صدره، [وكان قتل إسماعيل في اليوم الذي مات في مثله بدران، ليكونا عبرة لأهل الظلم والعدوان، تقدّمه بدران بثمانية أيام]^(٦).

وكان مولد إسماعيل في جمادى الآخرة سنة ست وخمس مئة، وقيل: في ربيع الآخر [من هذه السنة]^(٦).

[وذكر^(٧) مجيء زنكي ومنازلته لدمشق، فلما يئس منها وكان الخليفة قد استدعاه استقرّ أن يخطبوا لألب رسلان بن السلطان محمود الذي مع زنكي، ورخل]^(٨).

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) أي قتلوا شهاب الدين محمود بن بوري، وما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص ٣١٩-٣٢٠.

(٣) في (ع) الدنيا، والمثبت من (ح).

(٤) في (ع) و(ح): وسلط الله على بدران الكافر أمراضاً في نحره.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ع) و(ح): وخرج على صدره قبل قتل إسماعيل بثمانية أيام...، وما بين حاصرتين من (ش)، والعبارة غير مستقيمة في (م)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٩٠.

(٦) في (ع): الأول، والمثبت من (ح) و(م) و(ش)، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) يعني ابن القلانسي.

(٨) في (ع) و(ح): ولما استدعى الخليفة زنكي ويئس من دمشق استقرّ أن يخطبوا لألب رسلان بن السلطان محمود الذي مع زنكي، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٩٠-٣٩٢.

جعفر ابن شرف، أبو الفضل الأندلسي^(١)

والد محمد بن جعفر^(٢) مصنف كتاب «أبكار الأفكار»، له تصانيف كثيرة، وشعر مليح. عاش خمساً وتسعين سنة، وقيل جاوز المئة. وقيل: مات سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، وله نثر، وهو القائل، [وقيل: إنها لابنه محمد]^(٣): [من الكامل]

صَنَمٌ مِنَ الْكَافُورِ بَاتَ مُعَانِقِي فِي حُلَّتَيْنِ تَعَفُّفٍ وَتَكْرُمٍ
فَكَّرْتُ لَيْلَةَ وَصْلِهِ فِي هَجْرِهِ فَجَرْتُ بَقَايَا أَذْمُعِي كَالْعَنْدَمِ^(٤)
فَطَفِئْتُ أَمْسَحُ مُقْلَتِي بِنَحْرِهِ إِذْ عَادَةُ الْكَافُورِ إِمْسَاكَ الدَّمِ^(٥)
وقال: [من الطويل]

لِيَهْنِكَ شَهْرُ الصَّوْمِ لَا زِلْتَ مُذْرِكَا لَأَمْثَالِهِ يَأْتِي عَلَيْكَ وَيَذْهَبُ
صَلَاتُكَ فِيهِ رَحْمَةٌ وَمَثُوبَةٌ وَصَوْمُكَ رِضْوَانٌ بِهِ يَتَقَرَّبُ
وصمت به عن كل إثم ومَحْرَمٍ صِيَامُ الْوَرَى أَنْ يَأْكُلُوهُ وَيَشْرَبُوا
إِلَى أَنْ لَقِيتَ الْعِيدَ بِالْجِدِّ فِي التُّقَى وَغَيْرُكَ بِالْأَيَّامِ يَلْهُو وَيَلْعَبُ
وقيل: هي لمحمد ابن حمديس^(٦).

(١) له ترجمة في «الذخيرة» لابن بسام: ق ٣/ج ٢/٨٨٦-٨٦٧، و«الصلة» لابن بشكوال: ١٣١، و«الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ١٧١-١٨١، و«بغية الملتبس»: ٢٥٦، و«المغرب»: ٢٣٠-٢٣٢، و«نفح الطيب»: ١٥١/١ و ٣٩٦-٣٩٣، ووفاته في «الصلة» و«البغية» سنة (٥٣٤ هـ)، وذكر العماد في «الخريدة» وفاته سنة (٥٣١ هـ)، وقد أناف على المئة.

(٢) كذا في (ع) و(ح)، وهو خطأ، صوابه: ولد أبي عبد الله محمد مصنف «أبكار الأفكار» كما في «الخريدة» وغيره، ومحمد: هو ابن أبي سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني، شاعر مشهور، كان قرين ابن رشيق صاحب «العمدة»، وتوفي سنة (٤٦٠ هـ). له ترجمة في «الذخيرة» لابن بسام: ق ٤/م ١/١٦٩-٢٤٥. وقد ذكر محققه مظان ترجمته - و«الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢٢٤-٢٣٠، و«معجم الأدباء»: ٣٧-٤٣، و«الوافي بالوفيات»: ٩٧-١٠١.

(٣) ما بين حاصرتين من (ح)، وقوله: لابنه خطأ، صوابه لأبيه، وهو الموافق لما في «الخريدة»: ١٧٢/٢، وانظر حاشيتنا السابقة.

(٤) العندم: صَبَغَ تَحْتَضِبَ بِهِ الْجَوَارِي، انظر «اللسان» (عندم).

(٥) «الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ١٧٢/٢.

(٦) أورد العماد هذه الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢٠٧/٢، في ترجمة محمد ابن حمديس ولد الشاعر المشهور عبد الجبار بن أبي بكر ابن حمديس، وكأنه بذلك يرجع نسبتها إليه، والله أعلم.

دُبَيْسُ بْنُ صَدَقَةَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ دُبَيْسٍ^(١)

ابن علي بن مَزِيد، أبو الأغرّ الأسدي.

أصله من بني أسد، وقيل من بني خَفَاجَة، وأوّل مَنْ نبغ من بيته جدّه الأكبر مَزِيد في أيام بني بُويّه، فَوَضُوا إليه حماية قرية يقال لها سُورَا - أو الوقف^(٢) - من أعمال بغداد، فكان يحمي مرّة، وَيُغَارّ أخرى، ثم مات.

فقام عليّ ولده مقامه، وكان عائناً؛ ما وقعت عينه على شيء إلا هَلَك، نظر يوماً إلى ابنه بَذْرَان، فاستحسنه، فمات، وكان يبغض ابنه منصوراً، فقليل له في ذلك، فقال: رأيتُ في المنام كأنّه بَلَغَ عَنَانَ السَّمَاءِ ويده فأسّ، وهو يقلع الكواكب، ويرمي بها إلى الأرض، ثم وقع بعدها، ولا أشكُّ أنه يبلغ الغاية العليا، ثم يهلك.

ثم مات دُبَيْس، وقام بعده ابنه منصور، فجرى في أيام القائم منه^(٣) ما جرى، فإنه لما أخرج القائم إلى الحديث، عاد ودَخَلَ بغداد، ونَدِمَ حيث لم ينهب دار الخلافة كما فعل قريش، ثم باين البساسيري وقريشاً بهذا السبب.

ثم مات منصور وخَلَفَ ابنه صَدَقَة، فخدم ملك شاه، وكان يتردّد إلى بابه، ويحمل إليه الأموال، فلما قُتِلَ نظامُ الملك ومات ملك شاه أَظْهَرَ الخِلافَ لِبَرْكِيَارُوق، وَعَلِمَ أَنَّ الحِلَّةَ لا تحميه، فبنى مكاناً على تل بالبطيحة، وشقَّ حوله الماء، ونقل إليه أمواله، ثم بنى الحِلَّةَ وخَنَدَقَ عليها، وغَرَسَ فيها البساتين، ثم صار النَّاسُ يستجيرون به، فيجيرهم، ثم أعطي داراً ببغداد، فَعَمَرَهَا وكانت لِبَهْرُوزِ الخادم، ولَقَّبَ نفسه سيفَ الدولة، والتجأ إليه العَرَبُ وقُطَّاعُ الطَّرِيقِ، وطمع في البلاد، فانتدب له العميد أبو جعفر ثقة الملك، فأخذ فتاوي الفقهاء بقتاله، وأنه لا يقام عنده جُمُعة، ولا جماعة، وأنهم يسبّون الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم في بلده، ولا عندهم أذان ولا إقامة، وأنهم

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٥٢/١٠ - ٥٣، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ٤/م ١/١٧٠ - ١٧٢، و«الكامل» ٣٠/١١، و«وفيات الأعيان» ٢٦٣/٢١، و«سير أعلام النبلاء»: ٦١٢/١٩ - ٦١٣. وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع) و(ح) يقال لها سورا وللوقف، وقد استظهرتها هكذا، والله أعلم، انظر «معجم البلدان» ٢٧٨/٣.

(٣) خروج القائم إلى حديثه عانة، ونهب بغداد جرى في أيام دُبَيْس بن علي، وذلك سنة (٤٥٠هـ) لا في أيام منصور، وهذا وهم من سبط ابن الجوزي، والله أعلم، انظر «المنتظم»: ١٩١/٨ - ٢١٢.

يشربون الخمر، ويبيحون الزنا، والتجأ إليه سرخاب الحاجب، وطلبه منه السلطان، فامتنع، فبعث إليه بالعساكر فقتل، وقد ذكرناه^(١).

ثم قام بعده ولده دُبَيْس صاحب هذه الترجمة، وكان شراً أهل بيته، يرتكب الكبائر، ويفعل العظائم أكثر ما كان يفعل آباؤه، ولقي منه الخليفة والمسلمون فنون الأذى، وبشؤمه بطل الحج مراراً، وأباح الفروج في نهار رمضان، وكان يرى رأي الباطنية.

ولما نزل الأمير أبو الحسن بن المستظهر من التاج، والتجأ إليه ظن أنه يحفظ الذمام مثل أبيه، فباعه بيع العبيد، ونهبه، وأخذ منه جوهراً قيمته ثلاث مئة ألف دينار.

وطغا على المسترشد وحاربه، فكسره المسترشد، ومضى إلى الشام، ووقع بيد زُنكي، ومنّ عليه وأطلقه، فمضى إلى مسعود وإلى سنجر، وهو الذي حسن لهما قتل المسترشد، ولم يظفر بطائل، فعزّم على الهرب، ووجد له مسعود مكاتبات إلى زُنكي يقول: الله أن تقع [في يد]^(٢) مسعود، واحفظ رأسك. فبعث إليه مسعود غلاماً أرمنياً من سلاجيتته، فدخل عليه الخيمة وهو مُطَرِّقٌ يَنْكُتُ الأرض بأصبعه، فما أحسّ به حتى ضرب رأسه بالسيف، فأبانه.

ويقال: إنه سُحِبَ إلى بين يدي مسعود، فقام إليه بنفسه فضربه، [فقطع رأسه، وكان ذلك في عشرة ذي الحجة]^(٣)، فكان بين قتله وقتل المسترشد خمسة وثلاثون يوماً، وقيل ثمانية وعشرون يوماً، وما كان بنو سلجوق يتقونه إلا ليكون في وجه الخليفة.

وقال العماد الكاتب: بنو مزيد الأسديون النازلون بالحلّة على الفرات ملوك العرب وأمراؤها، وكانوا ملجأً للاجئين وثمان^(٤) الرّاجين، وموئل المُعْتَفِينَ^(٥)، وكهف

(١) انظر حوادث سنة (٥٠١هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (ح).

(٣) في (ع) و(ح): قطع رأسه في تاريخ حادي عشر ذي الحجة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م)، وفي (ش): عشرين ذي الحجة.

(٤) الثمان: الملجأ والغياث، والمُطْعَم في الشدة. «اللسان» (ثمل).

(٥) المعتفين: أي طلاب المعروف أو الأضياف: عفوت الرجل: إذا طلبت فضله، والعافية والعفاة والعُفَى: الأضياف، وطلاب المعروف، وفلان تعفوه الأضياف وتعفيه الأضياف. «اللسان» (عفا).

المستضعفين ، ومنهم بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دُبَيْس ، توفي أبوه أبو الأغرّ دُبَيْس سنة أربع وسبعين وأربع مئة ، وكانت إمارته سبعا وستين سنة ، وكان منصوراً منصوراً في الأمور ، مقصوراً زمانه على إيواء طالب القرى المقرور ، فارس العرب وشجاعها ، ومجيد العساكر وجماعها .

ثم ذكر دُبَيْساً وقال : قتله مسعود صَبْرًا بعد قَتْلِ المسترشد بشهر ، يوم الأربعاء رابع عشرة ذي الحِجَّة بالمرَاغة ، وكان ينشد كثيراً : [من الكامل]

إِنَّ اللَّيَالِي لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ تُظَوِّي وَتُبْسِطُ بَيْنَهَا الْأَغْمَارُ
فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهَمُومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ الشُّرُورِ قِصَارٌ^(١)

وقال ابن السَّمْعَانِي : وقفتُ على كتاب «الوشاح»^(٢) ، وفيه : كتب بَدْرَانُ بْنُ صَدَقَةَ^(٣) إِلَى دُبَيْسٍ وَإِخْوَتِهِ : [من الطويل]

أَلَا قُلْ لِمَنْصُورٍ وَقُلْ لِمَسِيَّبٍ وَقُلْ لِدُبَيْسٍ إِنَّنِي لَغَرِيبُ
هَنِيئًا لَكُمْ مَاءُ الْفُرَاتِ وَطِيبُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي الْفُرَاتِ نَصِيبُ
فكتب إليه دُبَيْس : [من الطويل]

أَلَا قُلْ لِبَدْرَانَ الَّذِي حَنَّ نَازِعًا إِلَى أَرْضِهِ وَالْحُرُّ لَيْسَ يَخِيبُ
تَمَتَّعَ بِأَيَّامِ الشُّرُورِ فَإِنَّمَا عِذَارُ الْأَمَانِي بِالْهَمُومِ يَشِيبُ
وَلِلَّهِ فِي تِلْكَ الْحَوَادِثِ حِكْمَةٌ وَلِلْأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الْكِرَامِ نَصِيبُ^(٤)

وقال دُبَيْس : [من السريع]

حُبُّ عَلِيٍّ بَنِ أَبِي طَالِبٍ لِلنَّاسِ مِقْيَاسٌ وَمَغْيَارُ
يُخْرِجُ مَا فِي أَصْلِهِمْ مِثْلَمَا يُخْرِجُ غِشَّ الذَّهَبِ النَّارُ^(٥)

(١) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق : ج ٤ / م ١ / ١٧٢ .

(٢) هو «وشاح الدمية» لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي ، وهو ذيل على «دمية القصر وعصرة أهل العصر» ، انظر «وفيات الأعيان» : ٣ / ٣٨٧ .

(٣) ستأتي ترجمته ص ٢٩٨ من هذا الجزء .

(٤) «الخريدة» ج ٤ / م ١ / ١٧٢ - ١٧٣ .

(٥) المصدر السالف .

وقال: [من البسيط]

ما لامني فيك أعدائي وعُدَّالي إلا لِغَفْلَتِهِمْ عَنِّي وعن حالي
لا طيب الله لي عَيْشاً أَلَذُّ بِهِ إنَّ دارَ ذِكْرِ السُّلُوِّ اليومَ في بالي

وقال: [من المتقارب]

ولمَّا رأيتُكَ خَوَّانَةً تَزِينُ القَبِيحَ فعِلاً جَمِيلاً
تَسَلَّيْتُ عَنْكَ بِمَنْ لا أَحِبُّ^(١) فَدَبَّ السُّلُوُّ قَلِيلاً قَلِيلاً

وقيل: إنَّ دُبَيْساً لما قُتِلَ، تزوَّج مسعود بابنته شرف خاتون، وأمها بنت عميد الدولة ابن جَهِير، وحُمِلَ دُبَيْس إلى زوجته كهارخاتون بماردين، فدفن بميافارقين عند [نجم الدين]^(٢) إيلغازي.

عبد الله بن محمد بن عبد الله^(٣)

أبو بكر الدَّمَشْقِي [المؤدَّب، ويعرف بابن النِّيه]^(٢).

قرأ القرآن [علي أبي الوحش بن مُسَلَّم]^(٢)، وسمع الحديث ووعظ، وتوفي في صفر بدمشق، وكان ثِقَّةً، وله قَبُول، وأنشد يوماً على المنبر بجامع دمشق لنفسه: [من المنسرح]

يا قَلْبُ إنَّ الذي كَلِفْتَ بِهِ أَقْسَمَ لا حالَ عن تَغَضُّبِهِ
وأنتَ خَبَّرْتَنِي بِأَنَّكَ لا تَسْطِيعُ صَبْراً على تَجَنُّبِهِ
فكيفَ أرجو البقاءَ بَيْنَكُما قد حَرْتُ والـلهِ في تَطَلُّبِهِ

[سَمِعَ أبا الحسن ابن قيس، وأبا محمد الأكفاني، وغيرهما، وروى عنه الحافظ

ابن عساكر وغيره]^(٢).

(١) في (ح) و(ع): بمن لا أريد، والمثبت من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ترجم له ابن عساكر في «تاريخه»، ولكن لم أقف على ترجمته في النسخة التي بين يدي.

الفضل بن [أحمد بن]^(١) عبد الله أبو منصور المسترشد بالله^(٢)

أمير المؤمنين، وأمه لبابة أم ولد. [وقد ذكرنا أنه]^(٣) ولد في سنة أربع أو خمس أو ست وثمانين وأربع مئة، وكان شهماً، شجاعاً ذا همّة، متشاعلاً بالخير والعبادة، سالكاً سيرة القادر [والقائم]^(٣).

قرأ القرآن، وسمع الحديث [على ابن بيان وأحمد بن السّبي]^(٣)، وروى عنه وزيره عليّ ابن طراد [الزّينبي]^(٣) وغيره، [وقد ذكرنا أنه قرئ عليه الحديث لما سار إلى قتال دُبّيس]^(٣)، وكان له شعر [ذكر منه العماد الكاتب في «الخريدة»]^(٣) فمنه: [من الطويل]

أنا الأشقر الموعود^(٤) بي في الملاحم ومن يملك الدنيا بغير مُزاحم
ستبلغ أرض الروم خيلي وتنتضي بأقصى بلاد الصّين بيض صوامي^(٥)
ذكر مقتله: قد ذكرنا خروجه للقاء مسعود، وخِذْلان العساكر له، وورود كتاب
سنجر على مسعود يلومه [فيما فعل]^(٣)، ويأمره بحمل الغاشية^(٦) بين يديه، وأنه حملها
وضرب له السّرادق وفيه التخت، [وأجلسه عليه]^(٣)، فلما كان في تلك الليلة رأى في
منامه كأن في يده حمامة مطوّقة، وقائلاً يقول له: خلاصك في هذه. فلما أصبح، أخبر
الأمير ابن سُكينة بمنامه، وكان عنده^(٧)، فقال: يا أمير المؤمنين، فما أوّلته؟ فقال:
بيت لأبي تمام [من الكامل]

(١) ما بين حاصرتين مثبت من مصادر ترجمته.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٥٣-٥٤/١٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢٩-٣١/٢، و«الكامل»:
٢٧-٢٨/١١، و«مفرج الكروب»: ٥٨-٦٢/١، و«مختصر التاريخ» لابن الكازروني: ٢١٩-٢٢٣،
و«الفخري»: ٣٠٢-٣٠٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٦١-٥٦٨/١٩، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ع): المدعو، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لرواية «الخريدة».

(٥) «خريدة القصر»: ٣٠/٢.

(٦) الغاشية: هي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب، يخالها الناظر جميعاً مصنوعة من الذهب، تحمل بين يديه
عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها، يحملها الركاب دارية، رافعاً لها على يديه يلقيها
يميناً وشمالاً. «صبح الأعشى»: ٧/٤.

(٧) في (م) و(ش): فلما أصبح وكان عنده الأمير ابن سُكينة الذي قتل معه، فأخبره بمنامه، فقال: يا أمير
المؤمنين.. قلت: وفي «السّير» وغيره أن ابن سُكينة كان إمامه في الصلاة.

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْنَ عِيَاةً حَاءَ الْحَمَامِ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ^(١)
 وخلاصي في حِمامي، فيا ليتني تَخَلَّصْتُ من الأسر والذُّلِّ والحَجَرِ عليَّ بالموت.
 فَقُتِلَ بعد يومين.

ولما كان في اليوم السادس عشر من ذي القعدة وَصَلَ الخبر بأن رسولاً من عند
 سنجر واصل نهار غدٍ يأمر مسعوداً بأن يعيد الخليفة إلى بغداد، ووصل مع الرسول
 سبعة عشرة رجلاً من الباطنية في زِيِّ الغُلَّمان، وادَّعى مسعود بعد ذلك أنه لم يعلم
 بهم، وكَذَبَ بل اتَّفَقَ هو وسنجر على الفَتْكِ بالخليفة، ودليله أَنَّ مسعوداً أفرد لهم خيمةً
 [قريبة من الخليفة]^(٢)، وأكرمهم، ولم يخفَ على النَّاسِ فعله، وإنما قَصَدَ دفع التُّهمة
 عنه، ولم تندفع.

فلما كان يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة ركب مسعود والعساكر لتلقِّي رسول
 سنجر، فلما أَبْعَدَ، هَجَمَتِ الباطنيةُ على الخليفة، فضربوه بالسَّكاكين حتى قتلوه، وقتلوا
 من كان عنده من الخُدَّام، ورمى بنفسه عليه الأمير ابن سُكَيْنة، فقتلوه، ووقع الصُّراخ،
 وجاءتِ العساكر فأحدثت بالسُّرادق، وخرج القومُ والسَّكاكين بأيديهم، عليها الدَّمُ،
 فمالتِ العساكر عليهم، فقتلوه، وأحرقوهم، وُعْطِيَ الخليفة بُسُنْدُسة خضراء لُقُوهُ فيها،
 ودفن على حاله بباب مَرَاغة، [واختلفوا في مقدار عمره، فقال قوم: كان له خمس وأربعون
 سنة، وقد ذكرنا مولده، فيكون الاختلاف بحسبه، وكانت]^(٣) خلافته سبع عشرة سنة،
 وثمانية أشهر وأياماً، وجلس مسعود في العزاء، ووقع النحيب والبكاء.

ووصل الخبر إلى بغداد ليلة السبت سادس عشرين ذي القعدة، فاحترز الرَّاشد،
 وَقَبَضَ على جماعةٍ من أهله وإخوته، وكَثُرَ البُكاءُ والصُّراخ، وأُغْلِقَ البلد، ونقضت

(١) البيت في «ديوان أبي تمام» بشرح التبريزي: ١٥٢/٣ بلفظ:

هن الحمام فإن كسرت عيافة من حائهن فإنهن حِمَامٌ
 وهو من قصيدة يمدح بها المأمون، مطلعها:
 دِمْنُ أَلَمٍ بِهَا فَقَالَ سَلَامٌ كَمَ حَلٍّ عُقْدَةً صَبَّرَهُ الْإِلْمَامُ

(٢) ما بين حاصرتين من (ح) و(م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ح)، وعمره خمس وأربعون سنة، وقد ذكرنا مولده، فتكون خلافته سبع عشرة سنة.. والمثبت ما
 بين حاصرتين من (م) و(ش).

دكاك باب التوبي، وبات أستاذ الدار ابن جهير، وصاحب الديوان أبو الرضى، وصاحب الباب ابن الصاحب في صحن السلام، وأقيم الحرس في الليل على الأبواب، وأصبح الناس حفاة، والنساء منشرات الشعور، يلطمن وينشدن الأشعار التي تُشَدُّ في المآتم، وقعد أرباب الدولة في العزاء ثلاثة أيام [وفي اليوم الثالث]^(١) أقيموا من العزاء، وأمروا أن يحضروا البيعة.

الباب الثلاثون

في خلافة الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد

وأمه خشف أم ولد، وكان أبوه قد نصَّ عليه، فلما قُتل أبوه بمراغة كان هو ببغداد، فكتب مسعود إلى بكبة الشحنة نائبه ببغداد، يأمره بالاجتماع بأرباب الدولة والأعيان، ويبايعوا الراشد، فجاء بكبة ليدخل دار الخليفة فَمُنِعَ، واستقرَّ أن يبايع من وراء الشباك من ناحية الشط، وجلس الراشد في المثمنة التي بناها المقتدي في الشباك، وبايعه بكبة من وراء الشباك يوم الاثنين سابع وعشرين ذي القعدة، وحضر القضاة، والعُدول، والأشراف وأرباب الدولة، وبايعوا على طبقاتهم، وكان أبيض جسيماً، وبين يديه أولاده وإخوته.

ونودي في الناس برفع المظالم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فلما كان بعد ثلاثة أيام أظهر أكياساً فيها حُجَج على الناس ووثائق، وما كتب عليهم ابن الهاروني، فردّها على أربابها، وأشهد عليهم الشهود أنهم قد أبرؤوا أمير المؤمنين مما أخذ منهم، وردّ عليهم الأموال، فكثُر الدُّعاء له، وحضر قاضي بعقوبا فتظلم، وقال: لي وثائق، وما ظلمني أمير المؤمنين، وإنما ظلمني ابن الهاروني. ورفّع قوله إلى الراشد، فأمر بعزله. وقال: هذا قد كذب ففسق، لأن ابن الهاروني ما أخذ شيئاً إلا بأمر المسترشد.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقال سديد الدولة ابنُ الأنباري: لما قُتِلَ الخليفة استدعاني السلطان مسعود، فدخلت عليه أنا والوزير شرف الدين عليُّ بن طراد، وصاحبُ المخزن ابن طلحة، فقال لنا: قد كان ما جَرَتْ به المقادير، فما الذي ترون في أمر الخليفة؟ فقلنا: قد نصحناه أولاً، فلم يقبل. فقال: دعوني من هذا، وخذوا فيما قلتُ لكم. فقال الوزير: الخلافة لولي العهد، وقد بايعه الناسُ قديماً وحديثاً. فقال: ما أقرّه على ذلك، لأنّه يحدثُ نفسه بالخروج عليّ مثل أبيه، وقد عَلِمْتُمْ أَنَّ المسترشد خَرَجَ على أخي محمود مرتين، وكان قصده هلاك بيتنا، وتَمَّ عليه ما تَمَّ، وقد بقيت علينا شناعة عظيمة، وسبّة إلى آخر الدهر، يقول الناس: قتلوا الخليفة، وقد كانوا هم السبب في عود الخلافة إلى هذا البيت، ولا أريد إلا رجلاً ديناً لا يُدْخِلُ نَفْسَه فيما لا يعنيه، ولا يخرج عليّ ولا على أحدٍ من أهلي، وفي الدار جماعة، فاعتمدوا على شيخٍ منهم ذي عقل ورأي وتدبير، يُلْزِمُ نَفْسَه ما يجبُ من طاعتنا، ولا تعرّجوا عن هارون بن المقتدي، فإنّه شيخ كبير لا يرى الفتنه، وقد أشار به عمي سنجر.

قال: وكان في الدار جماعة من أولاد المُقتدي والمستظهر وغيرهما، مقدار نيّف وعشرين، وكان للرّاشد نيّف وعشرون ولداً لما ولي الخلافة، لأنّه بلغ لتسع سنين [مضين من عمره، وسنذكره إن شاء الله تعالى] (١).

ووصل كتابُ سنجر إلى مسعود يقول له: لا تولّي الأمر إلا من يضمّنه الوزير، وابنُ الأنباري، وصاحب المخزن. فقالوا: نرضى الزّاهد العابد الذي ليس في الدار مثله. قال: مَنْ هو؟ قالوا: أبو عبد الله بن المستظهر. يعنون المقتفي - وكان صِهْرَ شَرَفِ الدّين الوزير على ابنته، وكان يوم تزوجها، فُوضَ إلى أبيها نقابة النُّقباء، ودخل بها، وماتت عنده - فقال السلطان: اكنموا هذه الحالة لئلا تتم، فيظهر الخبر، فيُقْتَلُ أبو عبد الله. ثم تجهز السلطان إلى بغداد، وهم معه.

(١) في النسخ الخطية: لسبع سنين، وهو خطأ، صوابه من «مفرج الكروب»: ٦٢/١، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

السنة الثلاثون وخمس مئة

فيها في المحرم وَصَلَ يرنقش الزكوي في أمورٍ صعبة رُفِعَتْ إلى الخليفة؛ منها أَنَّهُ مطالبٌ بخطِّ كتبه المسترشد بسبع مئة ألف دينار ليتخلص من أسرِهِ، ومطالب لأولاد صاحب المخزن بثلاث مئة ألف دينار، وقسط على أهل بغداد خمس مئة ألف دينار وغير ذلك، فاستشار الرَّاشدُ أربابَ دولته، فأشاروا عليه بالمكاشفة، فبعث إلى يرنقش يقول: قد عَلِمْنَا في أيِّ شيءٍ جِئْتَ: أما الأموال المضمونة فإنَّها كانت لإعادة الخليفة إلى داره سالماً، ومستقرَّ عِزِّه آمناً، لا للممالة على قتله، وأما أموال النَّاس فلا سبيلَ إليها، وما لك عندنا إلا السَّيف؛ وأنا مطالبٌ بثأر أبي.

وقطع خطبة سنجر ومسعود، وكاتبَ زُنكي، وأطمعه في المُلْك، وقال: يكون الملك ألب رسلان بن محمود الذي عندك، وأنت أتابكه.

وكاتبَ يرنقش البازدار وإقبال الخادم، وأياز صاحب محمود فَقَدِمُوا عليه، وعليهم ثيابُ العزاء، فحَسَّنُوا للرَّاشد الخروج، واستوزر أبا الرُّضَى ابن صدقة، وجاء داود، فنزل دار المملكة، وَبَعَثَ الرَّاشدُ إليه وإلى زُنكي والجماعة الأموال والهدايا. وخطب لداود في صفر.

ثم إنَّ الرَّاشد بلغه عن إقبال الخادم أَنه كاتبَ مسعوداً، فقبض عليه، فأرسل زُنكي يقول: هذا قد جاء في صحبتي، وهو في ضماني، ولا بُدَّ من الإفراج عنه. فامتنع الرَّاشد، وَشَفَعَ فيه جميعُ الأمراء، فلم يقبل، وكان ذلك سبباً لفساد حال الرَّاشد، فركب زُنكي والبازدار إلى السُّور، وأخربوا منه قطعة، وجاء زُنكي فوقف تحت النَّاج، وسأل في إقبال سؤالاً تحته إلزام، وكان إقبال قد وُكِّلَ به في النَّاج، ففَعَلَ عنه الموكِّلون، فهرب إلى زُنكي، فَصَعَبَ على الخليفة، ووُكِّلَ بأستاذ الدَّار، والبوابين، وقال: كيف جرى مثل هذا؟! وكان إقبال من خُدَّام المسترشد أستاذ داره، فلما قُتِلَ المسترشد هَرَبَ من مَرَاغة إلى زُنكي، فأقام عنده.

وبعث الرّاشد بالوزير محمد بن أحمد بن صدقة إلى زنكي يوبّخه على ما جرى منه، فلامه زنكي، وقال: ما هذا التدبير السيّئ، والأفعال القبيحة؟ فقال الوزير: أنا مستجير بالله وبك لا أعود إليه، فإنه مستبدّ برأيه، وما يسمع مني. فقال: اجلس فأنت آمن.

وبعث الخليفة يطلب الوزير، فامتنع، وقال: أيّ وزير أنا إذا كنتُ أشير عليك بالمصلحة لا تقبل مني، وتفعل ما عاقبته إلى الهلاك، قلت لك: لا تقبض الخادم ما قبلت، وقد وليت ابن الهاروني الملعون النّصراني على المسلمين، وهو يكون سبباً لتغيير الدولة. فقبض الرّاشد على ابن الهاروني، وأخذ منه مئتي ألف دينار، وكان قد فتح على الناس أبواب الظّلم والمكوس؛ وتقدّم إلى أبي الكرم الوالي بقتله، فقتله، وصلبه.

وأما مسعود فإنه أفرج عن أرباب الدولة وهم الوزير وابن طلحة وقاضي القضاة، وابن الأنباري، ونقيب الطالبين ابن المَعمر، فأما النّقيب فتوفي لما نزل من القلعة، وأما قاضي القضاة فانحدر إلى بغداد، وأما الباقر فدخلوا بغداد مع مسعود.

وقبض الرّاشد على أستاذ داره أبي عبد الله بن جهير، وقيل: إنه وُجدت له مكاتبات، وبعث زنكي يقول: أريد مال الخادم، فإنه مال السّلطان، ونحن نحتاج [إلى] ^(١) النفقات. فلم يُعط شيئاً، وأشار زنكي على ابن صدقة أن يكون وزير السّلطان داود، فأجابه. وولى الخليفة أبا العبّاس بن بختيار قضاء واسط. وتواترت الأخبار بمجيء مسعود، فجاء زنكي، فدخل على الخليفة، وقبّل يده، واستوثق منه.

وقرب مسعود من بغداد، وبعث يطلب صلح الخليفة، فلم يُجبه، وأشار زنكي واليرنقش والبازدار بالخروج إلى محاربته، وضرب سُرَادِقَه بباب الحلبة ^(٢)، وردّ ابن صدقة إلى الوزارة. وخرّج الرّاشد من داره سلخ شعبان، وجاءت ملطّفات من مسعود إلى الأمراء، فأحضروها إلى الخليفة وزنكي إلا بكبه الشّحنة فإنه أنكر، فغرّقه زنكي.

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

(٢) الحلبة: محلة كبيرة واسعة، شرقي بغداد، عند باب الأزج. «معجم البلدان»: ٢/٢٩٠.

وفي عاشر رمضان جاء رسول مسعود يطلب الصلح، فقال الأمراء: ماله عندنا إلا السيف. فكاتبهم مسعود، وحلف لزنكي على الموصِل والشَّام، وأن ليرنقش هَمَذان، والبازدار أصبهان، وكتب سراً إلى الأمراء بقتل زنكي، فاستفسد الجميع، وخاف بعضهم من بعض، وأصبح الخليفة وليس معه أحد من العساكر.

وجاء غلمان مسعود إلى ثرب الرصافة، فقلعوا شبايكها، فقال زنكي للخليفة: ما تم مطلوب إلا أنا وأنت، والمصلحة خروجك معي إلى الموصِل. ولما تيقن الراشد مجيء مسعود، وأنه لا بُدَّ له من تولية غيره، جمع الأمراء من أبناء الخلفاء وكانوا زيادةً على العشرين، فجعلهم في سرداب، واستدعى أبا القاسم بن الصَّاحب حاجب الباب، وأعطاه سيفه، وقال: اذهب، فاضرب أعناق الجميع وإلا ضربتُ عنقك. فأخذ السيف، وخرج وتوقف، وقال: كيف أقتل أولاد الخلفاء! وجاء إلى باب السرداب وليس في عزمه شيء. فوقف متحيراً، وإذا بصائح يصيح: وصلت مقدمات مسعود إلى السور. فخرج الراشد من باب البُشْرى، وقد حمل من الجواهر ما قدرَ عليه، ومعه قاضي القضاة الزَّينبي، وابن صدقة وزيره، وإذا زنكي واقفٌ ينتظره، وكان خروجه ليلة السبت رابع عشرة ذي القعدة، وسار يوم السبت، وليس معه شيء من آلة السفر، وسلَّم مفاتيح داره إلى خاتون زوجة المستظهر، وترك في الدار من الأموال والذخائر والجواهر أضعاف ما كان مع المسترشد، فاستدلَّ الناسُ بذلك على إدبار أمره.

وقيل: إن زنكي لما وصلت مقدمات مسعود إلى الرصافة سار إلى الموصِل، ونهَب أصحابه أوانا ودُجَيْل، ولحقه الخليفة.

ودخل مسعود بغداد يوم الأحد خامس عشرة ذي القعدة، وبَعَثَ إلى الراشد يسأله الرجوع إلى داره، واسترضاه، فلم يثق به، ولم يرجع، فجمع مسعودُ القضاة والشهود والأعيان، وأخرجَ لهم نسخة يمينٍ كانت بينه وبين الراشد أخذها عليه بكبه، وفيها بخطه: متى جندتُ أو حاربتُ أو جذبتُ سيفاً في وجه مسعود فقد خلعتُ نفسي من هذا الأمر. وفيها خطوطُ القضاة والشهود، فشهد بذلك، وحكم القضاة بخلعه.

وقال صدقة الحَدَّاد الحَنْبَلِي^(١) في «تاريخه»: إِنَّ الوزير أبا القاسم بن طراد صَدَّر محضراً على الرَّاشد فيه أنواعٌ من الكبائر ارتكبها من الفسق والفجور، ونكاح أمهات أولاد أبيه، وأخذ أموال النَّاس، وسَفَك الدِّمَاء، وأنه فعل أشياء لا يجوز أن يكون معها إماماً، فتوقف الشُّهود، فتهدَّدهم ابنُ طراد، وقال: عَلِمْتُمْ صحة هذا وتيقنتموه، فما المانع من إقامة الشهادة؟ فشهدوا، ومن جُملة من شهد فيه ابن الكرخي، وابن البَيْضاوي، وابن الهَيْتِي، ونقيب الطَّالبيين، وابن الرِّزَّاز^(٢)، وابن شافع الحنبلي، وحكم بخلعه يوم الاثنين ثامن عشرة ذي القعدة، وولَّوا المقتفي.

الباب الحادي والثلاثون

في خلافة المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر، أخو المسترشد، عمَّ الرَّاشد وكنيته أبو عبدالله، ومولده في ربيع الأوَّل سنة تسع وثمانين وأربع مئة. وأمه نسيم أم ولد مولدة صفراء وتلقب بسِتِّ السَّادة، وقيل: اسمها عذار، وكان يضرب بها المثل في الكرم والفضل، وسنُّ المقتفي يومئذ اثنتان وأربعون سنة، واستوزر ابن طراد. وإنَّما لُقِّب بالمقتفي لأنَّه رأى النَّبِيَّ ﷺ في منامه قبل أن يلي الخلافة بستة أيام، وهو يقول له: ستلي هذا الأمر، فاقتفِ بي.

ولما ولي مضت خاتون المستظهرية إلى دار السُّلطان لتسأله في أولاد الرَّاشد وجواريه وحُرِّمه وأمواله، فرجعت وقد بَعَثَ مَنْ أخذ جميع ما في الدَّار من الذهب والفضَّة والجواهر والخيل والثياب والحُصُر، ولم يدع في الإسطبل سوى أربعة أفراس، وثلاث بغال لنقل الماء. وكان قد تقرَّر على المقتفي مال البيعة، فأخذ الجميع عَوْضاً عن ذلك، وطولب المقتفي بمالٍ، فقال: قد أخذتم جميع ما كان في الدَّار حتى الحُصُر، فمن أين لي مال؟ وعَرَضَ عقاره، فلم يتجاسر أحدٌ أن يشتريه.

(١) هو صدقة بن الحسين، وقد توفي سنة (٥٧٣هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.

(٢) في (ع) و(ح): الروان، والمثبت من «المنتظم»: ٦٠/١٠.

وبعث مسعود غُلمانه إلى حظايا الرّاشد، فسلبوهن حُلِيَّهِنَّ، وكشفوا وجوههن،
وأخذوا الحلق من آذانهن، وفضحوهن، وأخذوا حتى ثيابهن.
وأما الرّاشد فإنّه وصل المَوْصل سلخ ذي القعدة، فأنزله زكي دار السّلطنة،
وخدمه.

وفيهما قَدِمَ بغداد الحسن بن يعيش^(١)، أبو علي المَوْصلي، شاعرٌ مجيد، ومن
شعره: [من الرجز]

ما ذَكَرْتُ كُتْبَ^(٢) الصَّريم والنِّقا
وأظْهَرْتُ نَفْساً مَعَ نَفْسِي
رِفْقاً بها يا أيُّها الحادي فما
كم سُقْتُ يَوْمَ بَيْنِهِمْ حُشاشَةً
وقال: [من الرجز]

هَبَّتْ لَنَا نَسِيمَةٌ نَجْدِيَّةٌ
وَاسْتَنْشَقَتْ رِيّاً رُبَاهَا فَغَدَتْ
ارِخَ لَهَا زِمَامَهَا لَوْلَمْ تَكُنْ
وَقُلْ لَهَا جِدِّي السُّرَى لِتَرِدِي
أَشْمَلَهَا نَحْوَ بِلَاغِ رَامَةٍ
فَرَقَعَتْ أَعْنَاقَهَا حَنِينَا
تَسُحُّ مِنْ عَيُونِهَا عَيُونَا
حَزِينَةٌ لَمْ تَجِبِ الْحُزُونَا
مَاءً بِأَرْضِ حَاجِرٍ مَعِينَا
وَشَوْقُهَا يَسُوقُهَا يَمِينَا

وفيهما أخذ شهابُ الدّين محمود بن بوري صاحب دمشق حِمَصَ وقلعتها من
خيرخان بن قراجا^(٣) بسفارة الحاجب يوسف بن فيروز، وكان مقيماً بتدمر على
ما وصّفنا، وأخذ حماة أيضاً، وكان زكي مشغولاً بالخليفة، وكان خليفته بحلب
الأمير سوار، وقد قنع منه بالاسم لا غير.
وحجَّ بالنّاس نظر.

(١) لم أقف على ترجمته في المصادر التي بين يدي.

(٢) كتب جمع، مفردا كتيب، وهي تلال الرمل، وقد سكنت الثاء لضرورة الشعر. «اللسان» (كتب).

(٣) كذا في النسخ الخطية، والصواب: أولاد خيرخان كما في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٩٧.

وفيهما توفي

علي بن أحمد بن منصور^(١)

أبو الحسن ابن قُبَيْس، الغَسَّاني، النُّحوي، الزَّاهد.
كان منقطعاً عن الناس بالمنارة الشرقية بجامع دمشق، وكان عالماً بالفرائض
والأدب والحساب، ثِقَّةً، وَرِعاً، يُفْتِي على مذهب مالك.
توفي يوم عرفة، ودفن بالبَاب الصَّغِير، [سمع الخطيب وغيره، وروى عنه الحافظ
ابن عساكر وغيره]^(٢).

[فصل : وفيها توفي]

علي بن أحمد بن الحسن^(٣)

أبو الحسن المُوَحَّد، ويعرف بابن بَقْشَلان، ويقال بَقْشَلام - بالميم - ذكره جَدِّي في
«مشيخته» ولو تركه كان أُولَى لثلاثة أوجه، إحداها أَنَّهُ قال : إِنما سَمِّي البَقْشَلام، لأن
أباه باتَ ليلةً بقرية من قُرى بغداد يقال لها شلام كثيرة البق، فكان يقول طول الليل : بق
شلام، وهذا كلام لا فائدة فيه. والثاني أَنَّ جدي ذكره في «المشيخة»، وقال : كان
شيخنا ابن ناصر يغمزه بشيئين، أحدهما الميل إلى الأشاعرة، والثاني بخدمة
السلطان، فَظَلَمَ جماعةً من أهل السَّواد. الثالث : أن جدي حكى في «المنتظم» عن ابن
ناصر أنه قال : كان في أيام الفِتْن مع أهل البِدْع، ولم يكن من أهل السنة ولا العارفين
بالحديث، فلا يحتج بروايته.

قلتُ : ومن هذا حاله كيف تجوز الرواية عنه؟ ثم عاد جدي في «المنتظم» وثقه،
وقال : ولد ابن البَقْشَلام في شعبان سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة، وسمع من

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س) : ١١/٨٥٤-٨٥٥ ، و«إنباه الرواة» : ٢/٢٣٢ ، و«العبر»
للذهبي : ٨٢/٤ ، و«سير أعلام النبلاء» : ٢٠/١٨-١٩ ، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «المنتظم» : ١٠/٦٢-٦٣ ، و«مشيخة ابن الجوزي» : ٨٢-٨٤ ، و«الأنساب» :
٢/٢٦٤-٢٦٥ ، و«اللباب» لابن الأثير : ١/١٦٦-١٦٧ ، و«ميزان الاعتدال» : ٣/١١٣ ، و«اللسان
الميزان» : ٤/١٩٧ ، و«توضيح المشتبه» : ٨/٣٠٢-٣٠٣ .

أبي الحسين ابن المهدي، وأبي يعلى الفراء، وأبي جعفر ابن المسلمة، وأبي الحسين ابن النُّقور وغيرهم، وحدَّثنا عنهم، وكان سماعه صحيحاً وظاهره الثقة. ثم ذكر عن ابن ناصر له بما ذكرناه، وتوفي في رمضان، [ودفن]^(١) بباب أبرز]^(٢).

القاسم بن عبد الله بن القاسم^(٣)

ابن الشهرزوري، شمس الدين، أخو القاضي كمال الدين

ولي قضاء الموصِل، وكان يعظُ النَّاسَ، وله قُبُولٌ حَسَنٌ، وهو القائل القصيدة المشهورة^(٤)، وهي: [من الخفيف]

لَمَعَتْ نَارُهُمْ وَقَدْ عَسَعَسَ اللَّيْلُ
فَتَأَمَّلْتُهَا وَقَلْتُ لَصَحْبِي
وفؤادي ذاك الفؤادُ الْمُعَنَّى
فَرَمَوْا نَحْوَهَا لِحَاطِظاً صَحِيحاً
ثم مالوا إلى المَلَامِ وقالوا
فَتَجَنَّبْتُهُمْ وَمَلْتُ إِلَيْهَا
ومعي صاحبٌ^(٥) أتى يقتفي الآ
وَهِيَ تَغْلُو وَنَحْنُ نَدْنُو إِلَى أَنْ
لُ وَحَارَ الْحَادِي وَضَلَّ الدَّلِيلُ
هذه نارُ آلِ لَيْلى فَمِيلُوا^(٥)
وغرامي ذاك الغرامُ الدَّخِيلُ
بِ فَعَادَتْ خَوَاسِئاً وَهِيَ حَوْلُ
خُلْبٍ مَا رَأَيْتَ أَوْ تَخِيلُ
والهوى مَرَكَبِي وَشَوْقِي الزَّمِيلُ
نَارَ وَالْحَبِّ شَرْطُهُ التَّطْفِيلُ
حَجَزَتْ دُونَهَا طُلُوعُ مُحُولُ

(١) ما بين حاصرتين من «المنتظم»

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢٣٨/٢ - وفيه توفي سنة (٥٣٠هـ) - و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٢٦٦/٧، وفيه وفاته سنة (٥٣٣هـ) - و«النجوم الزاهرة»: ٢٥٨/٥.

(٤) نسبها ابن خلكان في «وفياته»: ٤٩/٣ - ٥١ للمرتضى الشهرزوري، والد القاسم المذكور، وقد سلفت ترجمة المرتضى (وفيات سنة ٥٢٠هـ).

(٥) في «وفيات الأعيان»:

من عليل ولحظ عيني كليل
وغرامي ذاك الغرام الدخيل
هذه النار نار ليلي فميلوا

فتأملتها وفكري من البي
وفؤادي ذاك الفؤاد المعنى
ثم قابلتها وقلت لصحبي

(٦) في (ع) حاجب، والمثبت من (ح).

فَدَنَوْنَا مِنَ الطُّلُولِ فَحَالَتْ
 قَلْتُ مَنْ بِالْذِّيارِ قالوا أَسِيرٌ
 ما الذي جئتَ تَبْتَغي قلتُ ضيفٌ
 فأشاروا بِالرَّحْبِ دونك فاعْقِرْ
 من أتاناً ألقى عصا السَّيرِ عنه
 فَحَطَّطْنَا إلى مَنَازِلِ قَوْمٍ
 دَرَسَ الْوَجْدُ مِنْهُمْ كُلَّ رَسْمٍ
 وَمِنَ الْقَوْمِ مَنْ يَشِيرُ إلى وَجْهِ
 قَلْتُ أَهْلَ الْهوى سَلامٌ عَلَيْكُمْ
 لَمْ يَزَلْ حَافِزُ التَّشَوُّقِ يَحْدُو
 جئتُ كي أَصْطَلِي فَهَلْ لي إلى نا
 لا تَروَقَنَّكَ الرِّياضُ الْأَنِيقا
 لَيْسَ إِلَّا الْأَنْفاسُ تُخْبِرُ عَنْهُ

(١) كذا في (ع) و(ح)، وفي «وفيات الأعيان»:

قلت من بالديار قالوا جريح
 وهو الأشبه.

(٢) بعد هذا البيت في (ح). ليس إلا الأنفاس، وهو كذلك في «وفيات الأعيان».

(٣) بعد هذا البيت في (ح):

ولكل رأيت منهم مقاماً، ومثله في «وفيات الأعيان».

(٤) بعد هذا البيت في (ح): وجفوني قد أقرحتها، ومثله في «وفيات الأعيان».

وبعده فيهما:

لم يزل حافز التشوق يحدو
 واعتذاري ذنب فهل عند من يعر
 جئت كي أصطلي فهل إلى نا
 فأجابت شواهد الحال عنهم
 لا تروقنك الرياض الأنيقا
 كم أتاها قوم على غرة من
 بي إليكم والحادثات تحول
 لم عذري في ترك عذري قبول
 ركم هذه الغداة سبيل
 كل حد من دونها مفلول
 ت فممن دونها رباً ومحول
 ها وراموا أمراً فعزَّ الوصول

وقفوا شاخصين... إلخ، ومثله في «وفيات الأعيان» مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وأسير مكبل وقتيل

ولكل رأيت منهم مقاماً
وجفوني قد أقرحتها مع الدّم
واعتذاري ذنب فهل عند من يعد
فأجابت شواهد الحال عنهم
كما أتاهم قوم على غرة من
وقفوا شاخصين حتى إذا ما
وبدت راية الوفا بيد الوج
أين من كان يدّعيننا فهذا الـ
بذلوا أنفساً سحت حين سحت
قذفتهم إلى الرسوم فكل
نارنا هذه تضيء لمن يس
جاءها من علمت يبغي قراها
فتعالت عن المنال وعزت
فوقفنا كما رأيت حيارى
ندفع الوقت بالرجاء وناهي
هذه حالنا وما وصل العلد
من أبيات. وقيل: إنها لغيره^(١).

شرحه في الكتاب ممّا يطول
مع حنيناً إلى لقاءكم سيول
لم عذري في ترك عذري قبول
كل حد من دونها مفلول
ها وراموا أمراً فعز الوصول
لاح للوصل غرة وحجول
د فتودوا أهل الحقائق جولوا
يوم فيه صبغ الدعاوى يحول
بوصال واشتصغر المبدول
دمه في طولها مظلول
ري بليل لكنّها لا تُنيل
وله البسط والمنى والسؤل
عن دئو إليه وهو رسؤل
كل عز من دونها مغلول
ك بقلب غذاؤه التعليل
م إليه وكل حال تحول

محمد بن عبد الله بن أحمد^(٢)

ابن حبيب، أبو بكر العامري، ويعرف بابن الحبّازة.

(١) أوردتها بتمامها ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٤٩-٥١/٣، ونسبها للمرتضى والد المترجم كما ذكرنا،

وقال: وإنما أثبت هذه القصيدة بكاملها لأنها قليلة الوجود، وهي مطلوبة.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٦٤-٦٥/١٠، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٤٩-١٥٢، و«الكامل» لابن الأثير:

٤٦/١١، و«الوافي بالوفيات»: ٣٤٩/٣، و«توضيح المشتبه»: ١٧١/٢.

ولد سنة تسع وستين وأربع مئة، وسافر إلى البلاد، [وسمع الحديث بنيسابور وبلخ وهراة، ودخل مرو وخراسان]^(١)، وشرح كتاب «الشهاب»^(٢)، وكانت له معرفة بالفقه والحديث، وكان يعظ على طريقة الصوفية.

[وذكره جدي في «مشيخته» وقال: كان]^(١) قليل التكلف، وكثيراً ما يصعد المنبر^(٣) [وبيده مروحة يتروّح بها. قال: وسمعتة يوماً ينشد]^(٤): [من البسيط]

كيف احتيالي وهذا في الهوى حالي والشوق أملك بي من عذل عذالي
وكيف أسألو وفي حبي له شغل يحول بين مهمّاتي وأشغالي
[قال]^(١): وبني رباطاً بقراح أبي الشحم^(٥)، واجتمع إليه جماعة من المتزهدين، فلما احتضر، قالوا: أوصنا. فقال: راقبوا الله في الخلوات، واحذروا مثل مصري هذا، فقد عشت إحدى وستين سنة، وما كأني رأيت الدنيا. ثم أنشد: [من الكامل]
ها قد مددت يدي إليك فردّها بالعفو لا بشماتة الأعداء
وهذا البيت لأبي نصر بن القشيري^(٦)، وإنما تمثّل به [ابن الخبّازة عند الموت.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) يعني كتاب «الشهاب» للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، المتوفى سنة (٤٥٤هـ)، وله شروح كثيرة، وقد طبع «الشهاب» بتحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ونشرته مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٥. وشرح العامري لما يصل إلينا، وقد نقل عنه المناوي في «فيض القدير».

(٣) انظر «المشيخة» لابن الجوزي: ١٥١، وفيه: فربما صعد المنبر ومعه مرويّاته (كذا استظهرها محققه)، أما باقي الخبر فهو بنحوه في «المنتظم»: ٦٤/١٠.

(٤) في (ع) و(ح): وكثيراً ما يصعد المنبر أنشد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في «المنتظم» و«المشيخة»: بقراح ظفر، قال ياقوت في «معجم البلدان»: ٣١٥/٤ في القراح: والمراد به هاهنا اصطلاح بغداد، فإنهم يسمون البستان قراحاً، وفي بغداد عدة محال عامرة... يقال لكل واحدة منها قراح إلا أنها تضاف إلى رجل تعرف باسمه، كانت قديماً بساتين، ثم دخلت في عمارة بغداد، وهي متقاربة. قلت: ثم عدّها: قراح ابن رزين، وقراح ظفر، وقراح القاضي، وقراح أبي الشحم، ثم عيّن مواضعها في بغداد بدقة، ثم قال: فهذه أربع محال كبار عامرة أهلة كل واحدة منها تقرب أن تكون مدينة، وفيها أسواق ومساجد ودروب كثيرة.

(٦) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٥١٤هـ).

وكانت وفاته^(١) في رمضان، ودُفِنَ في رباطه، ثم جاء الغرق سنة أربع وخمسين وخمس مئة، فهَدَمَ تلك المَحَلَّةَ والرباط، وعَفَى آثارَ القبر.

[سمع ببغداد أبا محمد التميمي، وأبا الفوارس طراد الزَّيْنِي وغيرهما]^(٢). وكان ابن الخبَّازة صدوقاً ثَقَّةً.

محمد بن حَمُويه بن محمد^(٣)

ابن حَمُويه الجَوِينِي، أحد المشهورين بالزُّهْد والصَّلاح، والفضل والعِلْم، صاحبُ كرامات، وله مريدون بالعراق وخراسان، وكان زاهداً ورِعاً.

قرأ الفقه والأصولين على إمام الحرمين، ثم انجذب إلى الزُّهْد والعبادة، وحجَّ مرَّات، وكان دعاؤه مستجاباً، وكان السُّلطان سنجر والملوك يزورونه، ولا يغشى أبوابهم، ولا يقبل صلاتهم، ولا يأكل من الأوقاف، كان له قطعة أرضٍ من ملكه يزرعها خادمٌ له، ويتقوَّت منها، وبني خانكاه بُحَيْراباذ^(٤) إلى جانب داره، وأوقف عليها أوقافاً.

وصنَّف كتاب «لطائف الأذهان في تفسير القرآن»، و«سلوة الطالبين في سير سيِّد المرسلين»، وكتاب «الأربعين في الحديث»، وطريقة في الفقه في ترتيب الأحاديث، وكتاب في علوم الصُّوفية، وغير ذلك.

وولد في المحرم سنة تسع وأربعين وأربع مئة ببُحَيْراباذ، وتوفي بإسفرايين غُرَّة ربيع الأول، وحُمِلَ إلى بحيراباذ، فدُفِنَ في داره.

وأخذ طريق التصوف عن أبي الفضل بن محمد الفارمَذي، عن أبي القاسم الطُّوسي، عن أبي [عثمان سعيد]^(٥) بن سَلام المَغْرَبِي، عن أبي عمرو الزَّجَاجِي، عن

(١) في (ع) و(ح): وإنما تمثل به، وتوفي في رمضان، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ٢٣٠/٤، و«المنتظم»: ٦٣-٦٤/١٠، و«اللباب»: ٣٩٢/١، و«الوافي بالوفيات»: ٢٨/٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٧٩-٥٩٨، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٤) قال ياقوت في «معجم البلدان»: ٣٥٠/١: بالضم ثم الفتح، من قرى جُوين من نواحي نيسابور.

(٥) في (ع) و(ح): عن أبي سعد بن سلام المغربي، والمثبت ما بين حاصرتين من ترجمته في «سير أعلام النبلاء»:

الجُنَيْد، عن خاله سَرِيٍّ، عن معروف الكُرْخِي، عن داود الطَّائِي، عن حبيب العَجَمِي، عن الحسن البَصْرِي، عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبِيِّ ﷺ. واللُّبْس من الفارْمَزي إلى الزُّجَاجِي، ومن الجنيد صحبة لا خرقه.

[وفيها توفي]

أبو عبد الله المقرئ الفُراوي النيسابوري الصَّاعِدِي^(١)

واسمه^(٢) محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أبي العبَّاس، أبو عبد الله الفُراوي^(٣) النِّيسابوري، وفُراوة بلدٌ من بلاد خراسان.

ولد بنيسابور سنة إحدى وأربعين وأربع مئة، ورحل إلى الأمصار، وسمع الحديث الكثير، وتفقه، وأفتى، ووعظ، وكان كريم الأخلاق، حُلُوَ الكلام، حَسَنَ العبارة، جَوَاداً، يخدم الغرباء بنفسه مع كِبَر السِّنِّ. وتوفي في شوال، ودُفِنَ عند محمد بن إسحاق بن خُزَيْمة، سمع «صحيح البخاري» من سعيد بن أبي سعيد العيَّار، وسمع «صحيح مسلم» على عبد الغافر الفارسي، [وسمع بنيسابور أبا عثمان الصَّابوني، وأبا بكر البيهقي، وأبا القاسم القُشَيْرِي، وأبا المعالي الجويني، وقدم بغداد حاجاً، فسمع بها من الزُّيْنَبِي^(٤) وطبقته^(٢)]، وأملَى أكثر من ألفِ مجلس، وكان على خاتمه مكتوب: الفُراوي [ألف راوي]^(٢)، وآخر ما حُمِلَ في مِحْفَةٍ إلى قبر مُسْلِم بن الحَجَّاج، فُتِّمَ عليه قراءة «الصحيح»، وبكى، وأبكى الحاضرين، وقال: لعل هذا الكتاب لا يُقرأ عليَّ بعد هذا اليوم. فكان كما قال، توفي عقيب ذلك، وأجمعوا على عدالته وفضله، [وكان أوحده عصره]^(٢).

(١) له ترجمة في «تبيين كذب المفتري»: ٣٢٢، و«المنتظم»: ٦٥/١٠-٦٦، و«معجم البلدان»: ٢٤٥/٤ - وفيه وفاته سنة (٥٠٣هـ)، وهو خطأ - و«الكامل» لابن الأثير: ٤٦/١١، و«وفيات الأعيان»: ٢٩٠-٢٩١، و«سير أعلام النبلاء»: ٦١٥/١٩-٦١٩، وفيه تمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ضبطها ابن السمعاني في «الأنساب»: ٢٥٦/٩ بضم الفاء، وكذلك ضبطها ابن خلكان في «وفياته»، وضبطها ياقوت في «معجم البلدان» ٢٤٥/٤ بفتحها.

(٤) في (م) و(ش) الفريقين، وهو تحريف لطيف! وقد صوبناه مما استفاد من ترجمته في «المنتظم»: ٦٥/١٠.

المُظَفَّر بن الحسين بن علي^(١)

أبو الفتح المَرْدُوسِي^(٢) ، أحد حُجَّاب الخليفة.

ولد سنة ست وخمسين وأربع مئة، وأقام مُدَّة في الحجابة، ثم تزهد، ولَبِسَ الفُوطَ، وترك ما كان فيه، وسَمِعَ الحديث.

يوسف بن فيروز، حاجب شمس الملوك

قد ذكرنا هربه إلى تدمر، وسفارته بين قراجا^(٣) وشهاب الدِّين محمود في تسليم حِمَص، وحَلَفَ له شهابُ الدِّين وأمنه، فعاد إلى دمشق ينوب في التَّذِير عن معين الدِّين أنر، وكان في نفس الغُلَّمان الأتابكية عليه حقد، لأنَّ أيلبا لما قَفَزَ على شمس الملوك أشار عليه بقتله^(٤)، وكان بزواش^(٥) أتابك العسكر يحسُّده، ويوسف يهينه ويهين الأتابكية، فاتَّفَقوا على قَتْلِهِ، فالتقاه بزواش عند المسجد الجديد في جُمادى الآخرة، فضربه بالسَّيْفِ على وجهه، فقتله وهرب، وطلبه شهابُ الدِّين محمود، وقال: لا بُدَّ من قتله وقَتْلِ الغُلَّمان الأتابكية، فقليل له: في هذا إفسادُ الدولة، وأعداؤك من كلِّ جانب. فسكت على مَضْضٍ، وعاد بزواش إلى دمشق.

السَّنة الحادية والثلاثون وخمس مئة

فيها طالبَ السُّلْطَانُ المقتفي وحواشيَه بمئة ألف دينار، فبعث إليه المقتفي يقول: ما رأيتُ أعجبَ من أمرِك، أنتَ تعلم أنَّ المسترشد سار إليك بأمواله، فوصل الكُلُّ إليك، ورجع أصحابه عُراة، وولي الرَّاشد، وفعل ما فَعَلَ، ثم رحل وأبقى أمواله

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٦٦/١٠ ، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ١/٢ ق ٤٠٤ ، و«الوافي بالوفيات»: ٦٧٧-٦٧٨/٢٥ ، وفيه وفاته سنة (٥٣٢هـ).

(٢) كذا في (ع) و(ح)، وقد اضطربت المصادر في ضبط هذه النسبة، ففي «الخريدة» المردوشي، وفي «المنتظم»: المردوسي، وفي «الوافي» المردوسي، ولم أقف على ما ينسب إليه.

(٣) انظر ص ٢٧٠ ، ٢٨٦ ، وتعليقنا على الخبر.

(٤) كذا في (ع) و(ح)، والصواب: بقتلهم، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٩٩-٤٠١ .

(٥) رسم في «ذيل تاريخ دمشق»: بزواج.

وأثاثه في الدار، فأخذت الجميع، وأما الناس فقد عاهدت الله أني لا آخذ لأحد درهماً واحداً وقد أخذت الجوالي^(١) والتركات، فمن أي وجه أقيم لك هذا المال؟ ما بقي إلا أن أخرج من الدار وأسلمها إليك! ووقف رجل للسلطان، وقال له: أنت المطالب بما يجري على المسلمين، فما جوابك غداً عند الله، ولا تكن ممن تأخذه العزة بالإثم. فأسقط المال، ثم شرع بعد ذلك في مصادرات الناس.

وفيها وصل خادم من عند سنجر يقال له يُمن بيعة سنجر، فدخل مسعود على المقتفي، فبايعه عن عمه سنجر، وخرج إلى الموصل، فطلب الراشد، فقال زنكي: قد أجرته، ولا أقدر على تسليمه. وتوجه الراشد نحو أذربيجان.

وفي شعبان عقد المقتفي على فاطمة بنت محمد بن ملك شاه؛ أخت مسعود، وحضر مسعود والأكابر، وتولى العقد [وزير الخليفة]^(٢)، ونثر اللؤلؤ والجوهر، وتماثيل الكافور والعنبر.

وتوجه السلطان إلى الجبل، وخلف نائبه بالعراق البقش الكبير^(٣) السلاحي، فورد سلجوق شاه بن محمد إلى واسط والحلة، وطمع في السلطنة، فطرده البقش، وكان مُستضعفاً.

وسار الملك داود وعساكر أذربيجان إلى مسعود، وجرت بينهم حروب عظيمة، ثم قصد مسعود أذربيجان، وقصد داود همذان، ووصلهما الراشد يوم الواقعة، وكان زنكي بالموصل، فكتب إليه المقتفي، وأعطاه بلاداً عيَّنها، وبعث خطوط القضاة والشهود بخلع الراشد، فقرأ بالموصل، وأجاب زنكي، وخلع الراشد^(٤)، وخطب للمقتفي ومسعود، وقطع خطبة الراشد وداود، فبعث الراشد إليه يقول: غدرت يا زنكي! فقال: ما لي بالخليفة ومسعود طاقة، والمصلحة أن تمضي إلى داود. فمضى في نفر قليل، وتخلَّى عنه وزيره ابن صدقة ودخل الموصل، ولم يبق معه صاحب عِمامة

(١) الجوالي جمع، مفردا جالية، وهي الجزية، انظر «اللسان» (جلا).

(٢) في (ع) و(ح): وزير السلطان، وفي (م) و(ش) وزير الخليفة ووزير السلطان، وما أثبتناه بين حاصرتين هو الموافق لما في «المنتظم»: ٦٧/١٠.

(٣) في (ع) الصغير، والمثبت من (ح)، وهو الموافق للمنتظم.

(٤) في (ع) وخلع الراشد يوم الواقعة، بزيادة: يوم الواقعة، وهي ليست في (ح)، وهو الصواب.

سوى أبي الفتوح الواعظ، وكان مسعود قد بعث ألفي فارس للقبض عليه، ففاتهم، ومضى إلى مَرَاغَة، وجاء إلى قبر أبيه، وحثا التراب على رأسه، وخرج [إلى] ^(١) أهل مَرَاغَة، وكان يوماً مشهوداً، وحملوا إليه الأموال.

وقوي داود، والتقى بمسعود قريباً من هَمَذَان، فكسر داود مسعوداً أقبح كسرة، وقتل أمراءه، ونهب خزائنه، وأخذ منه جميع ما كان أخذه من خزائن المسترشد والراشد، وانهزم مسعود في نَقَرٍ يسير إلى أصبهان، وأسر أصحابه: سنقرجاه صاحب زَنْجَان، وأرغان صاحب مَرَاغَة، ومحمد بن آق سُنْقُر، وهؤلاء كانوا بطانة مسعود وأعوانه، وهم الذين أشاروا عليه بقتل المسترشد، فقال له الأمير قراجا: اضرب أعناقهم. فقتلهم صبراً، ومثل بهم كل مثلة.

وسار داود والراشد خلف مسعود إلى أصبهان، فانهزم إلى بغداد في نَقَرٍ يسير على أقبح حال، ووصل جميع ما أخذه من الخليفتين إلى داود، وبوزابا وعسكرهما، ونزل مسعود في دار المملكة ذليلاً حقيراً، وطمع العوام فيه وفي أصحابه، وشرع في مصادرات الناس، فما كان ميت يُقْبَرُ إلا برقعة من نواب مسعود يأخذون ما شاؤوا، وكتبوا على الحفارين، وأشهدوا أن لا يدفنوا أحداً حتى يخبروهم به.

وفيها جلس أبو النجيب ^(٢) في دار رئيس الرؤساء بالقصر للتدريس، وجعلت الدار مدرسة.

وفيها تتبّع المقتفي القوم الذين أفتوا بفسق الراشد وكتبوا المحضر، وعاقب من استحق العقوبة، وعزل من يستحق العزل، ونكّب الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي، وكان سبب ذلك. وقال المقتفي: إذا فعلوا هذا مع غيري فهم يفعلونه معي. وعزل ابن طراد أقبح عزل، واستصفى أمواله، واستوزر سديد الدولة بن الأنباري، وكان كاتب الإنشاء.

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

(٢) أبو النجيب هو عبد القاهر بن عبد الله السهروردي، من أئمة الشافعية والصوفية في بغداد، توفي سنة (٥٦٣هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.

وفيها ملك صاحبُ ماردين قلعة الهتّاخ^(١)، ولم يكن بقي في أيدي بني مروان من ديار بكر سواها.

وفيها خرَجَ ملكُ الروم^(٢) من القُسطنطينية في مئة ألف، فنزل على أنطاكية، فصالحه صاحبُها على مالٍ، فرحل عنها إلى بزاعة من أعمال حلب، فافتتحها بالسيف، وقتلَ مَنْ كان فيها، [وقطع زُنكي الفُرات]^(٣)، فنزل على بَعْرين^(٤) وهي للفرنج، فلم يقدر عليها، فسار إلى بَعْلَبَك، فَحَصَرَهَا، فَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ كُشْتَكِينُ الْخَادِمِ^(٥).
وَحَجَّ بِالنَّاسِ نَظَرَ الْخَادِمِ.

وفيها توفي

أحمد بن عبد العزيز بن محمد^(٦)

أبو الطَّيِّبِ المقدسي، إمام جامع الرَّافِقة^(٧)، سافر إلى البلاد، وسمع الحديث [بمكة والشام والمغرب]^(٨)، وكان يعظ [روى عن الفقيه نصر بالشام، وبمكة أبا عبد الله الطبري، قال الحافظ]^(٨) ابن عساكر: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

يا واقفاً بين الفُراتِ ودِجَلَةٍ عطشانَ يَظْلُبُ شَرْبَةً مِنْ ماءٍ
إنَّ البلادَ كثيرةٌ أنهارُها وسحابُها فغزيرةٌ الأنواءِ

(١) قلعة حصينة في ديار بكر قرب ميفارقين. «معجم البلدان»: ٣٩٢/٥.

(٢) هو يوحنا كومنين، وقد ولي ما بين (٥١٢هـ - ٥٣٨هـ)، وهو المعروف عند المؤرخين المسلمين بـ«كالياني»، تعريب Kaloioannes وتعني الرحيم، وقد تعثر بها ناشر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي فقال مستكراً لها، وذلك في الحاشية: (١) ص ٤٠٦: كذا، وهذا التعريف فيه بعض البعد عن الأصل «جون - يوحنا». قلت: فتأمل! وانظر «كتاب الروضتين»: ١٢٢/١، وما بعدها، بتحقيقي.

(٣) في (ع): وأقبل زنكي إلى الفرات، وفي (ح): وقتل زنكي الفرات! والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) بعْرين: بليد بين حمص والساحل، قال ياقوت: هكذا تلتفظ به العامة، وهو خطأ، وإنما هو بارين. «معجم البلدان»: ٤٥٢/١.

(٥) ذكر ذلك ابن القلانسي في «ذيل تاريخ دمشق» ص ٤٢٢-٤٢٣، وابن الأثير في «الكامل» ٦٨/١١-٧٠.

(٦) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٧٢/٧، و«مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور: ١٥٧/٣.

(٧) الرافقة: بلد متصل البناء بالركة، وهما على ضفة الفرات، انظر «معجم البلدان»: ١٥/٣.

(٨) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ما اخْتَلَّتِ الدُّنْيَا وَلَا عَدِمَ النَّدَى فِيهَا وَلَا ضَاقَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ
أَرْضٌ بِأَرْضٍ وَالَّذِي خَلَقَ الْوَرَى قَدْ قَسَّمَ الْأَرْزَاقَ فِي الْأَحْيَاءِ

أحمد بن عقيل بن محمد^(١)

أبو الفتح الفارسي، ويعرف بابن أبي الحوافر، من أبناء الأئمة، أصله من بعلبك،
قدم بغداد حاجاً سنة عشرين وخمس مئة، وكان ثقةً.

أحمد بن محمد بن ثابت^(٢)

ابن الحسن أبو سعد، الخجندي، الإمام الفاضل، ولد أبي بكر الخجندي^(٣).
ولد سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة، وتفقه على والده، وهم رؤساء أصبهان، وبيتهم
مشهور، قدم بغداد، ودرس بالنظامية، وسمع الحديث، وعاد إلى أصبهان، فمات بها
في شعبان، وكان جليلاً، نبلاً.

بدران بن صدقة^(٤)

ابن منصور، من بني مزيد، ولقبه شمس الدولة^(٥).
لما فعل [دُبَيْسَ مَا فَعَلَ]^(٦)، وتغيّرت أحوالهم بالعراق خرج إلى مصر، فأقام بها،
فأكرمه صاحبها.

ومن شِعره في أبيه صدقة بن منصور: [من الطويل]

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) و(س): ٨/٢، و«مختصره لابن منظور»: ١٧١/٣، و«الوافي بالوفيات»: ١٨٥/٧.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٧٠/١٠، و«الكامل» لابن الأثير: ٥٤/١١، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٥١/٦، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ٤٧٨/١.

(٣) توفي أبو بكر سنة (٤٨٣هـ)، وانظر ترجمته في «طبقات الشافعية» للسبكي: ١٢٣/٤-١٢٥.

(٤) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ٤/م ١٧٧-١٨٢، و«وفيات الأعيان»: ٢٦٤/٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٦١٣/١٩، و«النجوم الزاهرة»: ٢٦٠/٥، وعندهم وفاته سنة (٥٣٠هـ) ما عدا ابن تغري بردي، فإنه يتابع سبط ابن الجوزي في جمهور تراجمه.

(٥) اختلف في لقبه، فقد لقبه ابن خلكان تاج الملوك، ولقبه الذهبي بتاج الملوك سيف الدولة.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ولما التقى الجمعان والنَّعْ ثائرٌ حَسِبْتُ الدُّجَى غَطَّاهُمْ بِجَنَاحِهِ
وَكَشَفَ عَنْهُمْ سُذْفَةً^(١) النَّعْ فِي الْوَعَى أَبُو حَسَنِ بِسُمْرِهِ وَصِفَاحِهِ
فَلَمْ يَسْتَضُوا إِلَّا بَبْرِقِ سَيُوفِهِ وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَّا بِشُھْبِ رِمَاحِهِ^(٢)
وقال وهو بمصر، وقد غنى له مَغْنٌ يُقال له الكُمَيْتُ: [من الخفيف]

اشرب اليومَ من عُقَارِ كُمَيْتِ^(٣) واشقنيها على غناء الكُمَيْتِ
ثُمَّ سَقَّ النَّدِيمَ حَتَّى تَرَاهُ وَهُوَ حَيٌّ مِنَ الْعُقَارِ كُمَيْتِ^(٤)
وقال العماد الكاتب: مات سنة ثلاثين وخمس مئة^(٥).

سُلْطَانُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ^(٦)

ابن عبد العزيز، أبو المكارم، القاضي، خال الحافظ أبي القاسم بن عساكر.
قرأ القرآن، وسمع الحديث، وكان يعظ، ولما قَدِمَ أبو بكر محمد بن القاسم بن
المُظَفَّرُ الشَّهْرُزُورِيُّ^(٧) من عند المسترشد رسولا إلى دمشق قال: قد اشتقت إلى وَعْظِ
القاضي أبي المكارم، لأنني كنتُ سَمِعْتُهُ بالعراق مرة. فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ، فَجَلَسَ فِي السُّبُعِ
الكبير^(٨)، وكان مجلساً عظيماً، وكان قد جلس بالنُّظَامِيَّةِ ببغداد، وَخُلِعَ عَلَيْهِ بِهَا،
وناب بدمشق في الحكم عن والده يحيى بن علي^(٩).

قال ابنُ عساكر: توفي سنة ثلاثين وخمس مئة، ودُفِنَ بِمَشْهَدِ الْقَدَمِ^(١٠).

(١) السُّذْفَةُ: الظُّلْمَةُ. «اللسان» (سدف).

(٢) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ٤/م ١/١٧٧-١٧٨.

(٣) العُقَار: الخمر، والكميت: لونها، وهو بين السواد والحمرة، «اللسان» (عقر، كمت).

(٤) «الخريدة» ج ٤/م ١/١٧٩.

(٥) المصدر السالف: ج ٤/م ١/١٧٧.

(٦) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٣٨٨/٧، و«العبر» للذهبي: ٨٢/٤، و«شذرات الذهب»: ٩٥/٤، وعندهم وفاته سنة (٥٣٠هـ).

(٧) توفي سنة (٥٣٨هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.

(٨) السُّبُع الكبير: موضع في الجهة الشرقية في جامع دمشق، كان يجتمع فيه القراء كل يوم عقب صلاة الفجر لقراءة سُبُع من القرآن الكريم، ليختموه في كل أسبوع مرة. انظر «رحلة ابن جبير»: ص ٣٤١.

(٩) توفي سنة (٥٣٤هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.

(١٠) القدم: قرية جنوبي دمشق بعد حي الميدان، وانظر «تاريخ ابن عساكر»: ٣٨٨/٧، و«ثمار المقاصد» الذيل ص ٢٤٤-٢٤٥.

عبد الغني بن محمد بن عبد الغني^(١)

أبو القاسم الباجسري، وباجسري قرية من أعمال طريق خراسان^(٢).

كان فاضلاً، شاعراً، توفي ببغداد في شعبان، ومن شعره: [من الرمل]

إنْ تَحَاوَلْ عِلْمَ مَا أَضْمِرُهُ مِنْ صَفَاءٍ لَكَ أَوْ مِنْ دَخَلِ^(٣)
فَاغْتَبِرُهُ مِنْكَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَكَ عِنْدِي مِثْلُ مَا عِنْدَكَ لِي^(٤)
وقال أيضاً من شعره: [من السريع]

لَا تَكُ مَا بَيْنَ الْوَرَى مُغْلِنَاً بِالْأَمْرِ إِلَّا بَعْدَ إِبْرَامِهِ
فَمَنْ وَهَا الْأَمْرَ وَإِفْسَادِهِ إِعْلَامُهُ^(٥) مِنْ قَبْلِ إِحْكَامِهِ

مُرشد بن علي بن الْمُقَلَّد^(٦)

ابن نصر بن مُنْقِذ، أبو سلامة الأمير، صَاحِبُ شَيْزُر^(٧).

كان عالماً بفنون العلوم والآداب، صالحاً كثير التلاوة للقرآن، وكان أخوه نصر بن علي قد ولاه شيزر، فقال: واللّه لا أدخل في الدنيا. وولّاها أخاه سُلْطَان بن علي.

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ١٨/٢، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ٤/م ١/١٢٣-١٢٦، و«معجم البلدان»: ٣١٣/١، و«اللباب»: ٨٢/١، و«الوافي بالوفيات»: ٣٣-٣٢/١٩.

(٢) باجسري: هي قرية كبيرة بنواحي بغداد على عشرة فراسخ منها، انظر «معجم البلدان»: ٣١٣/١.

(٣) الدَّخَل، بالتحريك: الغدر والخيانة، والخديعة والغش. «معجم متن اللغة»: ٣٨٨/٢.

(٤) «الخريدة»: ج ٤/م ١/١٢٥.

(٥) في «الخريدة»: إعلانه.

(٦) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٣٣٣-٣٣٥/١٦، و«الأنساب»: ٤٦٩/٧، و«الاعتبار»

لأسامة ابن منقذ (في مواضع متفرقة منه)، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٥٥٨-٥٦٣/١، و«معجم

الأدباء»: ٢٢٨-٢٣٤/٥، و«كتاب الروضتين»: ٣٥٢-٣٥٥/١، و«وفيات الأعيان»: ١٩٩/١،

و«فوات الوفيات»: ١٣٠-١٣١/٤، و«الوافي بالوفيات»: ٤٦٣-٤٦٤/٢٥، و«النجوم الزاهرة»:

٢٦٠/٥.

(٧) قلعة قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم، إلى الشمال الغربي منها، وهي بجانب لنهر العاصي، انظر «معجم

البلدان»: ٣٨٣/٣، و«القلاع أيام الحروب الصليبية»: ٦٩-٧٠.

وحسده سُُلطان علي أولاده، ومات مُرشد في هذه السنة، ثم أخرج سُُلطان أولاده مِنْ شِيزَر، وسنذكر القصة إن شاء الله تعالى في سنة اثنتين وخمسين وخمسة مئة^(١).

[وذكره^(٢) العماد الكاتب في «الخريدة»، فقال: ولد أبو سلامة مرشد بن علي في سنة ستين وأربع مئة، وتوفي في سنة إحدى وثلاثين وخمسة مئة، وأثنى عليه كثيراً^(٣)].

وذكره الحافظ ابنُ عساكر، وقال: ولد أبو سلامة في سنة ستين وأربع مئة، ودخل طرابلس غير مرة، وسافر إلى بغداد، وأصبهان، وكانت له يدٌ طولى في علم العربية والكتابة والشعر، [وكان حافظاً للقرآن، حسن التلاوة]^(٤)، كثير الصوم، شديد البأس والنجدة في الحرب، حسن الخط، كتب بخطه سبعين ختمة^(٥). وكذا ابنه الأمير محمد بن مرشد.

قال ابنُ عساكر: حدثني أبو عبد الله محمد بن مُرشد، قال: لما مات عمي أبو المُرهف نصر بن علي بشِيزَر، وأوصى إلى والدي، فقال: والله الذي لا إله إلا هو لا وليتها، ولا أخرجن من الدنيا كما دخلت إليها. وولاها أخاه أبا العشائر سُُلطان بن علي، وكان صبياً، فاضطجبا أجمل صحبة مُدة من الزمان، قال: وكنا قد نشأنا، ولم يكن لعمي أبي العشائر ولدٌ، فلحقه الحسدُ على كون أخيه له عدَّة من الولد، ولم يكن له سوى بنات، ثم رزق أولاداً صغاراً، فكان كلما رأى صغيرهم^(٦)، ورأى أولاد أخيه كباراً قد [سدوا مكان أبيهم] اشتد حسده، فكتب إلى والدي شِعراً، فأجابه أبي بقوله: [من الطويل]

ظُلُومٌ أَبَتْ فِي الظُّلَمِ إِلَّا تَمَادِيَا	وَفِي الصَّدِّ وَالْهَجْرَانِ إِلَّا تَنَاهِيَا
شَكْتُ هَجْرَنَا وَالذَّنْبُ فِي ذَاكَ ذَنْبُهَا	فِيَا عَجَبَا مِنْ ظَالِمٍ جَاءَ شَاكِيَا
وَطَاوَعَتِ الْوَاشِينَ فِيَّ وَطَالَمَا	عَصَيْتُ عَذُولاً فِي هَوَاهَا وَوَاشِيَا
وَمَالَ بِهَا تِيَهُ الْجَمَالِ إِلَى الْقَلَى	وَهِيَهَاتَ أَنْ أُمْسِي لَهَا الدَّهْرَ قَالِيَا
وَلَا نَاسِيَا مَا اسْتَوْدَعْتَ مِنْ عُهودِهَا	وَأَنْ هِيَ أَبَدَتْ جَفْوَةً وَتَعَالِيَا

(١) انظر ص ٤٧٢-٤٧٣ من هذا الجزء.

(٢) في (ع) و(ح): ومولد مرشد سنة ستين وأربع مئة، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) هذا الموضع مما خرم من «الخريدة»، انظر حاشية محققه الدكتور شكري فيصل: ٥٥٧/١-٥٥٨.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٣٣٣-٣٣٤.

(٦) في (ع): صغيرهم، والمثبت من (ح).

ولما أتاني من قريضك جوهرٌ
وقلتُ أخي يرعى بنيَّ وأسرتي
فمالكَ لَمَّا أن حنى الدهرُ صعدتي^(١)
تنكرتُ حتى صار بركُ قسوةً
فأصبحتُ صفر الكفِّ مما رجوتُه
على أنني ما حُلْتُ عمَّا عهدتُه
فلا غرؤ عند الحادثات فإنني
وقال ولده محمد بن مُرشد^(٢): كان أبي يكتبُ مُصحفاً، فتذاكروا بين يديه خروجَ
الرُّوم، فرفع المُصحف، وقال: اللهم بحقِّ مَنْ أنزلته عليه إن كنت قضيتَ بخروج
الرُّوم، فخذُ روحي ولا أراهم. فماتَ عقيب ذلك في رمضان، ودُفِنَ بشيْزَر، وخرجت الرُّوم
بعد ذلك في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، فحاصروا شيْزَر أربعةً وعشرين يوماً،
ونصبوا عليها ثمانية عشرة منجنيقاً، ثم رحلوا عنها يوم السبت تاسع عشرة رمضان.

المُفَرِّج بن الحسن بن [الحسين بن] أبي محمد^(٥)

أبو الذَّوَاد، محيي الدِّين ابن الصُّوفي، الكِلَابي، رئيس دمشق، وكان أبوه رئيسَ
دمشق أيضاً.

وكان يتعاهد المستورين، وله الصَّدقات والبر الكثير، واستوزره بُوري بعد قتلِ
المَزْدَقاني^(٦)، وكان شهابُ الدِّين محمود صاحب دمشق يحسده لحشمته، وكثرة ماله،
فاتَّفَق مع بزواش على قتله، فركب يوماً يسير قبلي دمشق، فالتقاه بزواش عند قبر

(١) الصعدة: القناة المستوية، يشبه بها القامة المستقيمة. انظر «اللسان» (صعد).

(٢) في (ع) و(ح):

تنكرت حتى صار برك جفوة وقربك منهم قسوة وتنائيا
والمثبت من «تاريخ ابن عساكر».

(٣) «تاريخ دمشق» لابن عساكر: ٣٣٤/١٦، وما بين حاصرتين منه.

(٤) في «تاريخ ابن عساكر»: ٣٣٥/١٦: حكى لي أبو المغيث منقذ بن مرشد الكتاني قال: فذكر نحو هذه القصة.

(٥) ذكر خبر مقتله في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٠٤-٤٠٥، وترجمته في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س):

١٠٣/١٧-١٠٤، وما بين حاصرتين منه، وفيهما مقتله سنة (٥٣٠هـ)، وانظر ص ٣٠٨ من هذا الجزء.

(٦) انظر ص ٢١٧ من هذا الجزء.

طُعْتِكَيْنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَقَتَلَهُ، وَحُمِلَ إِلَى مَقَابِرِ الْبَابِ الصَّغِيرِ فِدْفَنَ بِهَا، وَاسْتَوْلَى شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ عَلَى أَمْوَالِهِ، وَذَهَبَتْ رِيَاةُ بَنِي الصُّوفِيِّ.

سمع نصر بن إبراهيم المقدسي، وغيره، وروى عنه ابنُ عساكر وغيره.

هبة الله بن أحمد بن عمر، أبو القاسم الحريري^(١)

ولد يوم الخميس يوم عاشوراء سنة خمسٍ وثلاثين وأربع مئة ببغداد، وقرأ القرآن بالروايات وأقرأ، وسمع الحديث الكثير.

وتوفي يوم الخميس ثاني جمادى الأولى عن ستٍّ وتسعين سنة وشهور مُمْتَعًا بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْأَنْمَاطِيُّ، وَدُفِنَ بِالشُّونِيزِيَّةِ فِي تُرْبَةِ الْأَنْمَاطِيِّ. وَكَانَ صَحِيحَ السَّمَاعِ، صَالِحًا دِينًا، ثَبَتًا، كَثِيرَ تَلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنْ ابْنِ زَوْجِ الْحُرَّةِ أَبِي الْحَسَنِ، [فحدث عن أبي الحسن هذا أبو بكر الخطيب وأبو القاسم هذا]^(٢)، وَبَيْنَ وَفَاتِهِمَا ثَمَانِ وَسِتُونَ سَنَةً.

السنة الثانية والثلاثون وخمس مئة

فِيهَا بَعَثَ السُّلْطَانُ مَسْعُودٌ مِنْ هَمْدَانَ إِلَى بَغْدَادٍ كَأْسًا مَخْتُومًا إِلَى الْبَقْشِ السَّلَاحِيِّ لِشُرْبِهِ، فَأَقَامَ الْكَأْسُ مَخْتُومًا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ لَمْ يَشْرَبْهُ، ثُمَّ جَمَعَ الْمَغَانِي، وَأَوْقَدَ الشُّمُوعَ وَالْقَنَادِيلَ وَالسُّرُجَ فِي جَمِيعِ مَحَالِّ بَغْدَادِ [لَيْلًا]^(٣) ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَظَهَرَتِ الْمَعَازِفُ وَالْمُنْكَرَاتُ [وَالْفَضَائِحُ]^(٢) حَتَّى شَرِبَهُ، فَلَمْ يَضُرَّهُ. فَلَمَّا دَخَلَ السُّلْطَانُ بَغْدَادَ قَبِضَ عَلَيْهِ، وَكَانَ نَائِبُهُ بِالْعِرَاقِ، وَوَلَّى بَغْدَادَ بِهَرُوزِ الْخَادِمِ.

وَفِيهَا قَدِمَ أَهْلُ حَلَبَ وَبِزَاعَةَ؛ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانَ، فَكَسَرُوا الْمَنَابِرَ، وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْجَوَامِعِ بِسَبَبِ مَا جَرَى عَلَيْهِمْ بِبِزَاعَةَ مِنَ الرُّومِ.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٧١/١٠، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٦٨-٦٩، و«الكامل» لابن الأثير: ٥٤/١١، و«معرفه القراء» للذهبي: ٩٣٨-٩٣٩/٢، و«الوافي بالوفيات»: ٢٢٦/٢٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٩٣-٥٩٤، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) في العبارة سقط أثبتناه ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ٧١/١٠، وانظر «مشيخة ابن الجوزي»: ٧٠، و«الكامل»: ٥٤/١١.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيهما تزوج مسعود امرأتين إحداهما سفري خاتون بنت دُبَيْس بن صَدَقَة، وأمها بنت عميد الدولة بن جَهِير، وكانت في غاية الحُسْن؛ جاءت إلى خاتون المستظهرية تشكو ما أصابها وما أخذ منها، وبلغه حُسْنُها، فتزوَّجها. والثانية: ابنة عمه قاروت بك، وكانت في غاية الحُسْن أيضاً، وغلَّق البلد أياماً، فظهرت المنكرات.

وفيهما جمع الرَّاشد العساكر، وقوي أمره، وقُتِلَ.

وفيهما جاء ملك الرُّوم إلى حلب، وخرج إليه الأحداث، فقاتلوه، فرجع، وجاء إلى المَعْرَة، فنهَب وقَتَلَ وأَسْر، وجاء إلى شَيْزَر، فنَصَبَ عليها المجانيق، وقاتلها أياماً، ولم يظفر بطائل، وأقام في أطراف حلب، وجاء زَنْكي وقد رجع ملك الرُّوم، فنازل حصن المجدل بالبِقاع، ففتحه، وعاد إلى الشَّرْق خوفاً من الفرنج بعد أن جعل طريقه على حِمَص وحماة، فلم يظفر منها بطائل.

وفيهما استوحش بزواش من الأمير شهاب الدِّين محمود [صاحب دمشق]^(١) فخرج بزواش عن دمشق، وكان شريراً مُفْسِداً، جاهلاً ظالماً فاتكاً، فأقام بظاهر البلد أياماً، ثُمَّ صَلَحَ أمره، وعاد إلى البلد، فما زال شهاب الدِّين يعمل عليه حتى قتله بقلعة دمشق بأيدي الشمسية في شعبان في قُبَّة الورد، فقتلوه، وأخرج ملفوفاً في كِساء إلى القُبَّة التي بالعُقيبة، وتُعرف بقُبَّة بزواش، فدفن فيها.

وخلَعَ شهابُ الدِّين على الأمير معين الدِّين أنَر، وفَوَّضَ إليه الأمور، ولقبه أتابك، ورد إليه أمر العساكر، و[رَدَّ أمر]^(٢) الحِجْبة إلى أسد الدِّين أكر.

وفيهما توفي القاضي بهاء الدِّين بن الشَّهْرزُوري بحلب، فحمل إلى مشهد صِفِّين، فدفن فيه، وكان صاحبَ هِمَّةٍ عالية، وعزيمةٍ ماضية. وكانت الفرنج قد ضاقت حلب، فرحلوا عنها بعد أن أنكى فيهم الأمير سوار وأحداث حلب.

وفيهما تزوج أتابك زَنْكي بأُمِّ شهاب الدِّين محمود؛ وهي الخاتون صفوة الملك زَمُرْد ابنة الأمير جاولي، وكان قد طلبها في السَّنة الماضية، فامتنع بزواش، وقال: وما

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤١٥.

السَّبب في أَنَّا نَزِيل دولة موالينا بأيدينا! فلما قُتِلَ بزواش راسل زَنُكي في هذا المعنى وهو مقيمٌ على حِمَص، فَأُجِيب، فَعُقِدَ العَقْد بِحِمَص يوم الاثنين سابع عشرة رمضان، وتقرَّر الحال في تسليم حِمَص إليه، فتسلَّمها مع القلعة، وعَوَّض معين الدين أنر ببارين. وتوجَّهت خاتون من دمشق في عسكر أتابك إليه في آخر شهر رمضان. وقيل: إنها سارت إليه في المحرم أول السنة الآتية، واجتمعا على حِمَص.

وفيهما توفي

أحمد بن محمد بن أحمد^(١)

أبو بكر الدِّينوري الحنبلي.

تفقه على أبي الخطاب الكلَّوذاني، وبرع في المناظرة، وكان أسعد الميَّهني يقول: ما اعترض أبو بكر الدِّينوري على دليلٍ أحدٍ إلا ثلَّم فيه ثُلْمَةً. توفي في جُمادى الأولى، ودُفِنَ قريباً من الإمام أحمد، رحمة الله عليه.

سمع الحديث، وكان صالحاً ثَقَّةً، أنشد: [من الطويل]

تمنيت أن تُمسي فقيهاً مناظراً بغير عَناءٍ فالجنونُ فنونُ
وليسَ اكتسابُ المالِ دونَ مَشَقَّةٍ تَلَقَّيْتُهَا، فالعِلْمُ كيف يكونُ

أنوشروان بن خالد^(٢)

ابن محمد، أبو نصر، القاشاني، الفيني^(٣)، وفين من قرى قاشان.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٧٣/١٠، و«الكامل»: ٦٦/١١، و«العبر» للذهبي: ٨٧/٤، و«الوافي بالوفيات»: ٣٢٣/٧، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: ١٩٠-١٩١/١، و«النجوم الزاهرة»: ٢٦١/٥، و«المنهج الأحمد»: ١١٨-١١٩/٣، و«شذرات الذهب»: ٩٨-٩٩/٤.

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٣٦٥-٣٦٦/٩، و«المنتظم»: ٧٨-٧٧/١٠، و«الكامل»: ٧١-٧٠/١١، و«تاريخ دولة آل سلجوق»: ١٠٤-١٠٥ و ١٤٠-١٤٢، و«وفيات الأعيان»: ٦٧/٤، و«الفخري»: ٣٠٦-٣٠٧، و«الوافي بالوفيات»: ٤٢٧-٤٢٨/٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٥-١٦/٢٠، وفيه تنمة

مصادر ترجمته، وفي «الكامل» و«الوافي بالوفيات» وفاته سنة (٥٣٣هـ).

(٣) تصحفت في بعض المصادر إلى: القيني - بالقاف.

وزر للمسترشد ولمسعود، وكان مهيباً عاقلاً، فاضلاً، جواداً، وهو كان السبب في عمل الحريري للمقامات التي أنشأها، فحكى أبو القاسم عبد الله بن أبي محمد الحريري: أنَّ والده كان جالساً في مسجده ببني حرام - محلة من محالِّ البصرة - إذ دَخَلَ شيخٌ ذو طَمْرَيْن^(١)، عليه أهبَةُ السَّفَر، رَثُ الثَّياب، فاستنطقه فإذا هو فصيحُ اللَّهجة، حسنُ العبارة، فسأله: مَنْ أين الشيخ؟ فقال: من سَرُوج، فقال: وما الكُنية؟ قال: أبو زيد. قال: فَعَمِلَ والدي المقامة الحَرَامية بعد قيامه من ذلك المجلس، واشتَهَرَ حديثُها، وبلغ أنوشروان، فطلبها، ووقَفَ عليها، وأمر أبي أن يضمَّ إليها أخرى، فعمل «المقامات».

قال: وغاب أبي عن أنوشروان مُدَّة، فاستبطأه، فكتبَ إليه أبي: [من الطويل]

ألا لَيْتَ شِغري والأمانِي تَعِلَّةُ
أَتَدْرُونَ أَنِّي مُذْ تَنَاءَتْ دِيَارُكُمْ
أَكَابِدُ شَوْقاً مَا يَزَالُ^(٢) أَوَارُهُ^(٣)
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ التَّلَاقِي فَأَنْشَنِي
وَلِي حَنَّةٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ إِلَيْكُمْ
فَوَاللَّهِ لَوْ أَنِّي كَتَمْتُ هَوَاكُمْ
وَمِمَّا شَجَا قَلْبِي الْمُعَنَّى وَشَفَّهُ
وَقَدْ كُنْتُ لَا أَخْشَى مَعَ الذَّنْبِ جَفْوَةً
وَلَمَّا سَرَى الرِّكْبُ الْعِرَاقِي نَحْوَكُمْ
جَعَلْتُ كِتَابِي نَائِباً عَنْ صِبَابَتِي

وإنْ كَانَ فِيهَا رَاحَةٌ لِأَخِي الْكَرْبِ
وَشَطَّ اقْتِرَابِي عَنْ جَنَابِكُمُ الرَّحْبِ
يُقَلِّبُنِي بِاللَّيْلِ جَنْباً عَلَى جَنْبٍ
لَتَذْكَارِهَا بَادِي الْأَسَى طَائِرَ اللَّبِّ
وَلَا حَنَّةَ الصَّادِي إِلَى الْبَارِدِ الْعَذْبِ
لَمَّا كَانَ مَكْتُوماً بِشَرْقٍ وَلَا غَرْبِ
رِضَاكُمْ بِإِهْمَالِ الْإِجَابَةِ عَنْ كُتْبِي
فَقَدْ صَرْتُ أَخْشَاهَا وَمَا لِي مِنْ ذَنْبٍ
وَأَعُوزَنِي الْمَسْرَى إِلَيْكُمْ مَعَ الرِّكْبِ
وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً تَيْمَّمُ بِالتُّرْبِ^(٤)

(١) الطمر: الثوب الخلق البالي. «اللسان» (طمر).

(٢) في (ع) و(ج): لا أزال، والمثبت من «المنتظم» و«الخريدة».

(٣) أي حرّه.

(٤) انظر الأبيات في «المنتظم»: ٧٧-٧٨، وفي «الخريدة» قسم شعراء العراق: ج ٤/م ٢/٦٠٤-٦٠٦، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وكان أنوشروان كريماً؛ سأله رجل^(١) خيمةً ولم يكن عنده، فبعث إليه بمئة دينار، فقال الرجل: [من المنسرح]

لله دُرُّ ابنِ خَالِدٍ رَجُلًا أحيا لنا الجُودَ بعدما ذَهَبَا
سألتُهُ خِيمَةً أُلُوذُ بِهَا فجاد لي مِلاءَ خِيمَةٍ ذَهَبَا^(٢)
توفي في رمضان، ودُفِنَ في داره بالحريم الطَّاهري، ثم نُقِلَ بعد ذلك إلى الكوفة إلى
مشهد أمير المؤمنين عليه السَّلام.

بَدْر بن عبد الله، أبو النَّجْم^(٣)

سمع الحديث الكثير. وتوفي في رمضان عن ثمانين سنة، ودُفِنَ بباب حرب.
وكان سليمَ الصَّدْرِ؛ طَلَبَ منه أصحابُ الحديث إجازةً، فقال: كم تستجيزون!
ما بقي عندي إجازة أجيزها لكم.

البقش السَّلاحي^(٤)

كان أميراً كبيراً، ناب عن السُّلطان في المملكة، ثم توهَّم منه، فَقَبَضَ عليه، وَحَبَسَهُ بقلعة
تكريت، ثم أمر بقتله، فغَرَّقَ نفسه في دِجْلَةٍ، فأخرج من الماء، وَقُطِعَ رأسه، وَحُمِلَ إليه.

الحسن بن يحيى بن زُوبيل^(٥)

أبو محمد الأَبَّار، الدَّمَشَقِي.

(١) هو الشاعر أحمد بن محمد بن الحسين، أبو بكر الأرجاني، كما جاء مصرحاً به في «الفخري»: ٣٠٦،
و«الوافي بالوفيات»: ٤٢٨/٩، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٤٤هـ).

(٢) في (ع) و(ح): فجاد لي بل بخيمة ذهباً، ومثله في «المنتظم»: ٧٧/١٠، والمثبت من «الفخري»، و«الوافي
بالوفيات».

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ٤٤٢/٧-٤٤٣، و«المنتظم»: ٧٤/١٠، و«اللباب»: ٢٢١/٢، و«سير أعلام
النبل»: ٤٨/٢٠، و«النجوم الزاهرة»: ٢٦٢/٥، ونسبته الشَّيْخِي، نسبةً إلى شيعة، وهي قرية من قرى
حلب، وقد تصحَّف في «المنتظم»: إلى الشَّيْخِي - بالخاء.

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ٧٤/١٠، و«النجوم الزاهرة»: ٢٦٢/٥، وقد سلفت أخباره على السنين.

(٥) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢٦١-٢٦٣، و«الوافي بالوفيات»: ٣٠٣/١٢،
و«شذرات الذهب»: ٩٧/٤، وفيه وفاته سنة (٥٣١هـ).

كان يبيع الإبر بدمشق، وكان ابنُ الخياط الشاعر يقعد عنده^(١)، ويتناشدان [الأشعار]^(٢)، ومن شعره في محيي الدين ابن الصوفي^(٣)، رئيس دمشق: [من المنسرح]

يا محيي الدين بعدما دثرا ومُشِبِّهاً في زمانه عَمَرا
وَمَنْ إذا ما ذَكَرْتَ سَيَّرْتَهُ سَمِعْتَ ذِكْراً يُجَمِّلُ السَّيْرا
انْظُرْ إلى عَبْدِكَ الْفَقِيرِ فَقَدْ جَارَ عَلَيْهِ الزَّمَانُ واقتَدرا
وخانه سَمْعُهُ وناظِرُهُ مَنْ بَعْدِ ما كان يَثْقُبُ الإبرا
وصار في الشُّوقِ كالأجير وهل يُفْلِحُ مَنْ سارَ سَيِّرةَ الأَجْرا
وماله مَوَيْلٌ يُلُوذُ بِهِ سِوَاكَ يا مَنْ يُجَمِّلُ الوُزْرا^(٤)

وكان يسكن بَدْرَب صامت بدمشق، وتوفي بها، وذكر له العمادُ الكاتب في «الخريدة» أشعاراً هجا بها زوجته، [وهي شنيعة]، منها قوله: [من الخفيف]

أَغْرَيْتُ زَوْجَتِي بِشُرْبِ الْعُقَارِ أَسْكَنْتَنِي بِجَنْبِ دَارِ الْقِمَارِ
أَطْعَمْتَنِي مَخَّ الْحَمَارِ فَلَمَّا أَبْصَرْتَنِي قَدْ صَرْتُ مِثْلَ الْحَمَارِ
بَذَلْتُ [فَرْجَهَا] وَصَاحَتْ^(٥) إِلَى النَّا سِ هَلُمُّوا يا مَعْشَرَ الْفُجَّارِ
[وذكر أشياء من جنس شعر ابن الحجاج]^(٦).

الحسين بن تلمش بن يزدمر^(٧)

أبو الفوارس، التُّركي، الصُّوفي، البغدادي.

(١) قال العماد الكاتب في «الخريدة»: ٢٦١/١: وله دكان في سوق الأبارين يبيع الإبر، قال: ورأيت ابن الخياط جالسا على دكانه.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) هو المفرج بن الحسن، وقد سلفت ترجمته ص ٣٠٢، وقد توارى عن الدكتور شكري فيصل وكاد يلامسه وهو يحاول تعيين ابن الصوفي في تعليقه على «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٢٦١/١ حاشية رقم (٩).

(٤) الأبيات في «الخريدة»: ٢٦٢/١.

(٥) في (ع): بذلت فصاحت، وفي (ح): بذلت [ثم بياض] فصاح، والمثبت من «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٢٦٢/١، وما بين حاصرتين منه.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وابن الحجاج: هو الحسين بن أحمد بن محمد، شاعر ماجن، توفي سنة (٣٩١هـ)، وانظر ترجمته في «وفيات الأعيان»: ١٦٨/٢-١٧٢.

(٧) له ترجمة في «النجوم الزاهرة»: ٢٦٢/٥.

شاعرٌ فاضل، [ذكره ابنُ السَّمْعَانِي فِي «الذَّيْل»، وَذَكَرَ مَقْطَعَاتٍ مِنْ شَعْرِهِ،
مِنْهَا] ^(١): [مِنْ الْخَفِيفِ]

أَتَمْنِي بِأَنْ أَكُونَ مَرِيضاً عَلَّهَا أَنْ تَعُودَ فِي الْعُودِ
فَتَرَاهَا عَيْنِي فَيَذْهَبَ عَنِّي مَا أَقَاسِيهِ مِنْ جَوَى فِي فُؤَادِي

وَهَذَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْخَيَّاطِ الدَّمَشْقِيِّ: [مِنْ الطَّوِيلِ]

أَحِنُّ إِلَى سُقْمِي لَعَلَّكَ عَائِدِي وَمِنْ كَلَفِي أَنِّي أَحِنُّ إِلَى السُّقْمِ ^(٢)

وَأَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: [مِنْ الطَّوِيلِ]

يَوَدُّ بِأَنْ يُمْسِيَ مَرِيضاً لَعَلَّهَا إِذَا سَمِعَتْ يَوْمًا بِشَكْوَى تُرَاسِلُهُ

عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عُبَيْدٍ ^(٣) اللَّهُ، أَبُو مَنْصُورٍ ^(٤)

أَمِينُ الْأَمْنَاءِ، [وَيُعرف] ^(٥) بِابْنِ سُكَيْنَةَ.

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ [وَكَانَ أَمِينُ الْحَكَمِ عَلَى أَمْوَالِ الْيَتَامَى، وَيَلْقَبُ
أَمِينُ الْأَمْنَاءِ] ^(٥)، وَتَوَفَّى لَيْلَةَ السَّبْتِ سَادِسَ ذِي الْقَعْدَةِ [عَنْ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً] ^(٥)
وُدُفِنَ بِالشُّونِيزِيَّةِ، وَسَمِعَ [أَبَا مُحَمَّدٍ الصَّرِيفِيَّ وَابْنَ السَّرَّاجِ وَابْنَ الْعَلَّافِ وَغَيْرَهُمْ] ^(٥)
وَحَدَّثَ، وَكَانَ سَمَاعُهُ صَحِيحاً، [قَالَ جَدِّي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ] ^(٦): مَنْ مَنَعَ
مَالَهُ الْفُقَرَاءَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْأَمْرَاءَ.

(١) فِي (ع) وَ(ح): شَاعِرٌ فَاضِلٌ، وَمِنْ شَعْرِهِ، وَمَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (م) وَ(ش).

(٢) «دِيَوَانُ ابْنِ الْخَيَّاطِ»: ص ١٤٦.

(٣) فِي (ع) وَ(ح): عَبْدُ اللَّهِ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ (م) وَ(ش).

(٤) لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «الْمُنْتَظَمِ»: ٧٥/١٠، وَ«الْعَبْرُ» لِلذَّهَبِيِّ: ٨٨-٨٩/٤، وَ«شَذَرَاتُ الذَّهَبِ»: ١٠٠/٤.

وَابْنُهُ هُوَ شَيْخُ الْعِرَاقِ الْإِمَامُ عَبْدُ الْوَهَّابِ ابْنُ سُكَيْنَةَ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٦٠٧هـ)، انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي «السَّيَرِ»

٥٠٥-٥٠٢/٢١.

(٥) مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (م) وَ(ش).

(٦) فِي (ح) وَ(ع): وَكَانَ سَمَاعُهُ صَحِيحاً، وَقَالَ: مَنْ مَنَعَ... وَالْمَثْبُوتُ مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (م) وَ(ش)،

وَانْظُرْ «الْمُنْتَظَمِ»: ٧٥/١٠.

عمر بن محمد بن عَمُويَّة^(١)

أبو حفص، الشُّهْرَوَزْدِي، عَمُّ أَبِي النَّجِيب الواعظ، شيخ الصُّوفية في الرُّبَاط المعروف بسعادة الخادم.

توفي في ربيع الأول، ودُفِن بالشونيزية عند قبر رُوَيْم^(٢).

سمع أبا محمد التميمي وغيره، وكان صالحاً.

محمد بن عبد الملك^(٣)

ابن محمد، أبو الحسن، الكَرَجِي^(٤).

ولد سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، وسمع [بالكرج - بجيم - و]^(٥) بهَمَذَان وأصبهان وبغداد، وكان محدثاً فقيهاً، شاعراً أديباً، [وكان]^(٥) شافعيّاً، إلا أنه ما كان يَقتُ في الفجر، وكان يقول: قد صَحَّ عن إمامنا الشَّافعي رحمه الله أنه قال: إذا صَحَّ عندكم الحديث، وقلْتُ قولاً يخالفه، فدعوا قولِي. وقد صَحَّ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه تَرَكَ القنوت في صلاة الفجر. وكان كريم الأخلاق، وصنَّف في المذهب والتفسير.

ومن شِعْره: [من الوافر]

تناءت دائرة عني ولكن خيالُ جماليه في القلب ساكن
إذا امتلأ الفؤادُ به فماذا يضُرُّ إذا خلَّت منه المساكن

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ١٩٧/٧-١٩٨، و«المنتظم»: ٧٥/١٠، و«اللباب»: ٨٥/٢.

(٢) هو شيخ الصوفية في عصره رويم بن أحمد، وقيل: رويم بن محمد بن يزيد بن رويم بن يزيد البغدادي، توفي ببغداد سنة (٣٠٣هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣٤-٢٣٥.

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ٣٨١/١٠، و«المنتظم»: ٧٥-٧٦/١٠، و«الكامل»: ٦٦/١١، و«العبر» للذهبي: ٨٩/٤، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ١٣٧-١٤٧/٦، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ٣٤٨-٣٤٩/٢، و«طبقات الشافعية»، لابن قاضي شهاب: ٣٤٩-٣٥٢/١، و«النجوم الزاهرة»: ٢٦٢/٥، و«شذرات الذهب»: ١٠٠/٤.

(٤) الكرجي: نسبة إلى الكرج - بفتح الكاف والراء والجيم في آخرها - وهي بلدة بين أصبهان وهمدان، انظر «الأنساب»: ٣٧٨/١٠.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقال أيضاً: [من الطويل]

سَرَقْتُ إِلَيْهَا زُورَةً فَتَنَقَّبْتُ فقلتُ اسْفِرِي مَا هَذَا حَقٌّ مَنْ طَرَقُ
فَقَالَتْ حَجَبْتُ الْبَدْرَ عَنْكَ تَعْمُداً لتأمنَ إِنَّ الْبَدْرَ يَفْضَحُ مَنْ سَرَقُ

منصور الرَّاشد أمير المؤمنين^(١)

قد ذكرنا خلافته^(٢)، وخروجه من بغداد إلى المَوْصِل، ومسيره إلى أذربيجان. وكان معه داود بن محمود، وأنه وَصَلَ إلى أصفهان، واستفحل أمره.

وكتبَ إلى سنجر كتاباً مضمونه أَنَّ الذي جرى على المسترشد إنما كان باتِّفاقٍ منه ومن مسعود، وأنه سوف يجد غِبَّ ذلك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦].

فكتب إليه سنجر كتاباً بخط أبي إسحاق البیهقي يعزِّيه في أبيه، ولم يجبه عما أشار إليه، قال: سلام على المجلس الأسمى، والمقرُّ الأعلى الأشرف الرَّاشدي، وصل الكتابُ العزيز الذي أطلعَ مِنْ بروج الشَّرَفِ كواكبَ الإقبال، وفَجَّرَ في فضاء الإفضال ينابيع الآمال، وهيَّأ لبابِ السَّعادة مِفْتَاحاً، وأَوْجَبَ لصدْرِ الخادم انشراحاً، فأما ما أشار إليه من وفاة الشَّهيد التي غَيَّرَتْ بها اللَّيالي أحوالها، وزُلْزَلَتْ الأرضُ زلزالها، وصارتُ بسببها طوالعُ الخلافة آفلة، وغصون الشريعة ذابلة، ففي كلِّ قلبٍ منها لظى وسعير، وفي كلِّ دارٍ أنَّةٌ وزفير، لكنَّ قضاء الله لا يُغَيَّرُ، وأجله إذا جاء لا يُؤَخَّرُ، وله أسوةٌ في احتساءِ كأسِ الشَّهادة، وارتقاء مدارج السَّعادة بالخلفاء الرَّاشدين، والأئمة المَهْدِدين، وذكر كلاماً بمعناه.

فلما قرأ الرَّاشد كتابه يئسَ منه، ومضى إلى أصفهان، فأقام بها، وتوفي سابع عشرين رمضان.

واختلفوا في سبب وفاته على أقوالٍ: أحدها أَنَّهُ سُقِيَ السَّمَّ ثلاث مرَّات. والثاني: أَنَّهُ قتله قوم من الفرَّاشين الذي كانوا في خدمته.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٧٦-٧٧/١٠، و«تاريخ دولة آل سلجوق»: ١٦٦-١٦٨، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٣٣/٢-٣٤، و«الكامل»: ٦٢-٦٣/١١، و«مختصر التاريخ» لابن الكازروني: ٢٢٤-٢٢٧، و«الفخري»: ٣٠٨-٣٠٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٦٨-٥٧٣، وفيه تمة مصادر ترجمته.

(٢) انظر ص ٢٨٠-٢٨٥ من هذا الجزء.

والثالث: أنه قتله قومٌ من الباطنية، وقُتِلوا بعده، وكان قد داسَ بلادهم وأخربها، وبعثهم إليه مسعود وسنجر، فقتلوه كما قتلوا أباه.

وذكر العمادُ الكاتب [في «الخريدة»]^(١) ما يدلُّ على هذا فقال: تنقَّل الرَّاشد في البلاد: ديار بكر وأذربيجان ومازندران، وعاد إلى أصبهان، فأقام مع السلطان داود ابن محمود، والبلد مُحاصر، وهناك قحطٌ عظيم، وضُرٌّ عميمٌ.

قال العماد: أذكر ونحن أطفالٌ، وقد خرجنا من أصبهان وأقمنا بالرُّبط عند المُصلَّى، والعسكر قريبٌ منا، فسمعنا أصواتاً هائلةً وقت القائلة من نهار يوم الثلاثاء سادس عشرين رمضان [من هذه السنة]^(١)، فقلنا: ما الخبر؟ فقل لنا: إنَّ الخليفة قد فتكت به الملاحدة لعنهم الله. وخرج أهلُ أصبهان حُفاةً حاسرين، وشيَّعوا جنازته إلى مدينة جَيٍّ، وبكوا ولطموا، ودفنوه بالجامع، وكان له الحُسْنُ اليُوسفي، والكرم الحاتمي، بل الهاشمي.

[قال]^(١): وكان قد استدعى والدي صفِّي الدين ليوليه الوزارة، فتعلَّل عليه، وكانت الخيرة فيه^(٢).

وبلغ الخبر إلى بغداد، فقعدوا له في العزاء يوماً واحداً، وخلف بغداد نيفاً وعشرين ولداً ذكراً.

[وقال السمعاني: ومما ينسب إلى الرَّاشد]^(٣) من الشعر: [من الطويل]

زمانٌ قد استنَّتْ فِصالُ صروفه^(٤) وأصبح آسادُ الكرامِ لها قرعى^(٥)
أكولته تشكو ضروفَ زمانها فليس لها مأوى وليس لها مرعى
فيا قلبُ لا تأسفْ عليه فربما ترى القومَ في أكناف آفاته صرعى^(٦)

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٣٣-٣٤.

(٣) في (ع) و(ح): ومما ينسب إليه من الشعر، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) استن الفرس في مضماره: إذا جرى في نشاطه ومرحه على سننه في جهة واحدة. «معجم متن اللغة»: ٢٢٨/٣.

(٥) القرعى جمع، مفردا القريع: وهو الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه. «معجم متن اللغة»: ٤١٨/٤، ٥٤١.

(٦) انظر الأبيات بنحو هذا اللفظ في «الخريدة» قسم شعراء العراق: ٣٣-٣٤.

السنة الثالثة والثلاثون وخمسة مئة

فيها زُلْزِلَتْ جَنْزَرَةٌ^(١) عشرة فراسخ في مثلها، فأهلكت مئتي ألف وثلثين ألف إنسان، وَخُسِفَ بِجَنْزَرَةٍ، وصار مكان البلد ماء أسود، وَقَدِمَ التُّجَّارُ مِنْ أَهْلِهَا، فَلَازَمُوا المقابر ليكون على أهلهم وأموالهم.

وقال ابنُ القلانسي: إنها كانت عامَّةً في الدُّنْيَا، وأنها كانت بحلب أعظم؛ جاءت ثمانين مرة، ورمت أسوار البلد وأبراج القلعة، وَهَرَبَ أَهْلُ الْبَلَدِ إِلَى ظَاهِرِهِ^(٢).

ووصل رسولُ ابنِ قاروت بك ملك كَرْمَانَ يخطب خاتون المستظهرية، فزوجه مسعود بها، ونقدها مئة ألف دينار، وَحُمِلَتْ إِلَيْهِ، فماتت عند وصولها.

واستوزر السلطان مسعود محمد بن الخازن من أهل الرِّيِّ، فَنَشَرَ الْعَدْلَ، ورفع المكوس والضرائب، فلم يجد الأعداء طريقاً إلى بلوغ أغراضهم إلا أنهم أوقعوا بينه وبين قراسنقر صاحب أذربيجان، فأقبل بالعساكر، وقال: إما قَتْلُهُ أَوِ الْحَرْبُ. فخوَّفوا مسعوداً منه، فأمر بقتله على كُرْهِهِ مِنْهُ، وبعث برأسه إلى قراسنقر. وقيل: إنه لما أزال المكوس والضرائب وأمر بالمعروف عَزَّ عَلَى مسعود، فَدَسَّ قَرَّاسَنْقَرٌ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ.

[وفيها قتل شهاب الدين محمود صاحب دمشق، وسنذكره]^(٣).

وفيها توفي

إسماعيل بن محمد بن أحمد^(٤)

أبو طاهر الوَثَّابِي، شاعرٌ فصيح، ومترسِّلٌ نجيح، ما زال به اشتغاله بالفنون حتى قيل: به لَمَمٌ أَوْ جَنُونٌ، وهو القائل: [من الطويل]

(١) أعظم مدينة بأَرَّان، وهي بين شروان وأذربيجان، وهي التي تسميها العامة كنجة، انظر «معجم البلدان»: ١٧١/٢.

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٢٠.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص ٣١٩-٣٢٠ من هذا الجزء.

(٤) له ترجمة في «الأنساب»: ٢٢١/١٢-٢٢٢، و«معجم الأدباء»: ٣٦/٧-٤٠، و«الوافي بالوفيات»:

٢٠٥-٢٠٦، و«النجوم الزاهرة»: ٢٦٤/٥.

تَبَصَّرُ خَلِيلِي مِنْ ثَنِيَّةِ بَارِقٍ بَرِيقاً كَسَقَطِ النَّارِ عَالِجَهُ الرُّنْدُ
فَيَقْضِي بِهَا مِنْ ذِكْرِ لَيْلَى لُبَانَةً وَيُظْفِي بِهَا مِنْ نَارٍ وَجَدَ بِهَا وَقْدُ
وَشْمٌ لِنَسِيمِ الرِّيحِ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى فَقَدْ عَبَقَ الْوَادِي وَفَاحَ بِهِ الرُّنْدُ^(١)

زاهر بن طاهر بن محمد^(٢)

أبو القاسم، الشَّحَامِي النِّسَابُورِي.

ولد سنة ست وأربعين وأربع مئة، وسافر في طلب الحديث، وأملَى بجامعة نيسابور قريباً من ألف مجلس^(٣)، وكان يُكْرَمُ الغرباء الواردين عليه، ويُحَسِّنُ إِلَيْهِمْ وَيُدَاوِيهِمْ، وَعَمَّرَ حَتَّى الْحَقِّ الصُّغَارَ بِالْكَبَارِ، وَتَوَفَّى بِنِيسَابُورِ فِي رِيْعِ الْأَوَّلِ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى.

عبد الوهَّاب بن عبد الواحد^(٤)

ابن محمد بن علي، أبو القاسم ابن أبي الفرج، الحَنْبَلِي الْأَنْصَارِي، [جد أولاد الحنبلي]^(٥). كان رئيس الحنابلة بدمشق، وترسَّل إلى بغداد بسبب استيلاء الفرنج على الشام [وقد ذكرناه]^(٦)، وتكلَّم في ديوان المسترشد في الخلاف، وكان يفتي على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله^(٧)، وخَلَفَ أَبَاهُ فِي حَلْقَتِهِ وَأَصْحَابِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَدَرَّسَ، وَحَدَّثَ وَتَوَفَّى بِدِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِالْبَابِ الصَّغِيرِ.

(١) الأبيات مع أبيات آخر من القصيدة بنحو هذا اللفظ في «معجم الأدباء»: ٣٩/٧-٤٠.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٧٩-٨٠/١٠، و«الكامل»: ٧١/١١، و«ميزان الاعتدال»: ٦٤/٢، و«سير أعلام النبلاء»: ١٣-٩/٢٠، وفيه تمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ع) و(ح): مجلد، وهو تحريف، والمثبت من «المنتظم»: ٨٠/١٠.

(٤) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٢٩-٤٣٠، و«الكامل»: ٩٠/١١، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٣٤٩-٣٥١/١، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: ١٩٨-٢٠١/١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٠٣-١٠٤/٢٠، و«المنهج الأحمد»: ١٢٥-١٢٦/٣ وفيهما تمة مصادر ترجمته، وعندهم وفاته سنة (٥٣٦هـ)، وهو الصحيح.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش). قلت: وكان ذلك سنة (٥٢٣هـ)، انظر ص ٢١٨ من هذا الجزء.

(٧) في (م) و(ش): ويدرس ويعظ، وتكلم في ديوان المسترشد لما بعثه بوري رسولاً في الخلاف، ولما رجع إلى دمشق حدث بالإجازة عن أبي طالب بن يوسف، وكان قبل ذلك قد سمع أباه، وخلفه في أصحابه بعد موته، وتوفي بدمشق، ودفن بالبَابِ الصَّغِيرِ، وكان إماماً فاضلاً، وكان يومه مشهوداً.

وكان إماماً فاضلاً على الطريقة المَرْصِيَّة، والأفعال الرّضية من وفور العلم، وحُسن الوعظ، وكثرة الدّين، والتّنزه عما يقع فيه غيره من المتفكّهين، وكان يومه مشهوداً.

عليّ بن أفلح^(١)

أبو القاسم، الكاتب البغدادي.

كان فاضلاً فصيحاً، تقدّم عند المسترشد، ولقّبهُ جمال المُلْك، وأعطاه أربعة أدرٍ في دَرْب الشّاكرية، فاشتري دوراً إلى جانبها، وهَدَمَ الكُلَّ، وأنشأها داراً كبيرة، وأطلق له الخليفة ما يحتاج إليه من الآلات والخشب والآجر، وخمس مئة دينار، ورَتَّبَ له راتباً، وغَرَمَ على الدّار عشرين ألف دينار، وكان طولها ستين ذراعاً في أربعين، وأجراها بالذهب، وصوّر فيها [فنون]^(٢) الصُّور.

وكتَبَ على بابها وجوانب أبوابها أشعاراً، فكتب على جانبي أبوابها: [من مجزوء الكامل]

وَمِنَ المَرْوَةِ لَلْفَتَى مَا عَاشَ دَاراً فَاخِرَةً
فَأَقْنَعُ مِنَ الدُّنْيَا بِهَا وَاعْمَلْ لِدَارِ الْآخِرَةِ
هَاتِيكَ وَافِيَةً بِمَا وَعَدْتُ وَهَذِي سَاخِرَةً
وكتَبَ على الجانب الآخر: [من المتقارب]

وَنَادِ كَأَنَّ جِنَانِ الْخُلُودِ أَعَارَتْهُ مِنْ حُسْنِهَا رَوْنَقَا
وَأَعْطَتْهُ مِنْ حَادِثَاتِ الزَّمَا نِ أَنْ لَا تُلِمْ بِهِ مَوْثِقَا

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٥٢-٦٩، و«المنتظم»: ١٠/ ٨٠-٨٤، و«الكامل»: ١١/ ٨٠، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٣٨٩-٣٩١، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٤ وقد اختلف في سنة وفاته، فهي سنة (٥٣٣هـ) عند ابن الجوزي، وتابعه على ذلك سبطه وابن تغري بردي، وعند ابن الأثير في «كامله» (٥٣٥هـ)، وتردد العماد الكاتب بين سنة (٥٣٦هـ) أو (٥٣٧هـ)، وقال ابن خلكان: وتوفي يوم الخميس ثاني شعبان سنة خمس، وقيل سنة ست، وقيل سنة سبع وثلاثين وخمس مئة، وعمره أربع وستون سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً.

وقد تعقبه العلامة محمد بهجة الأثري في تعليقه على «الخريدة» فقال: وهذا التحديد لعمر الشاعر لا يستقيم للمؤرخ الكبير مع روايته الاختلاف في سنة الوفاة، وجهالة يوم الولادة والشهر والسنة.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فأضحى يَتِيه على كلِّ ما
وكتب على الباب: [من السريع]

إِنْ عَجِبَ الرَّأْوُونَ مِنْ ظَاهِرِي
شَيِّدْنِي مَنْ كَفَّهُ مُزْنَةً
وَدَبَّجَتْ^(٢) رَوْضَةً أَخْلَاقِهِ
فبِاطْنِي لَوْ عَلِمُوا أَعْجَبُ
يَحْمِلُ مِنْهَا الْعَارِضُ الصَّيِّبُ
فِي رِيَاضاً^(٣) نَوْرُهَا مُذْهَبُ

ثم إنَّ المسترشد اَظْلَعَ عليه أَنَّهُ يَكَاتِبُ دُيَّسَا، فَأَمَرَ بِنَقْضِ الدَّارِ، فَفُقِضَتْ، وَهَرَبَ
إِلَى تَكْرِيتِ^(٤)، فَاسْتَجَارَ بِبَهْرُوزِ الْخَادِمِ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً، ثُمَّ شَفَعَ فِيهِ، فَعَفَا الْخَلِيفَةُ
عَنْهُ، وَهُوَ الْقَائِلُ: [من البسيط]

دَعِ الْهَوَى لَأَنَاسٍ يَعْرِفُونَ بِهِ
بَلَوْتَ نَفْسَكَ فِيمَا لَسْتَ تَخْبِرُهُ
أَفْنَى^(٥) اصْطِبَاراً وَإِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ جَلْداً
أَحْنُو الضُّلُوعَ عَلَى قَلْبٍ يَحِيرُنِي
تَنَاوَحُ الرِّيحُ مِنْ نَجْدٍ يُهَيِّجُهُ
وَقَالَ أَيْضاً: [من الرَّمْل]

هَذِهِ الْخَيْفُ وَهَاتِيكَ مِنِّي
وَاحْبِسِ الرُّكْبَ عَلَيْنَا سَاعَةً
فَلِذَا الْمَوْقِفَ أَعْدَدْنَا الْبُكَاءَ
زَمَنًا كَانُوا وَكُنَّا جِيرَةً
بَيْنُنَا يَوْمَ أَثِيلَاتِ النَّقَا
فَتَرَفَّقْ أَيُّهَا الْحَادِي بِنَا
نَنْدُبُ الرَّبْعَ وَنَبْكِي الدَّمْنَاءَ
وَلِذَا الْيَوْمَ الدُّمُوعُ تُقْتَنِي
يَا أَعَادَ اللَّهُ ذَاكَ الزَّمْنَاءَ
كَانَ عَنْ غَيْرِ تَرَاضٍ بَيْنُنَا

(١) في (ع) و(ح): بنى مغرباً وبنى مشرقاً، والمثبت ما بين حاصرتين من (م)، وهو الموافق لرواية «المنتظم»: ٨١/١٠.

(٢) أي زينت. «معجم متن اللغة»: ٣٧٠ / ٢.

(٣) في (ع) و(ح) و(ش) في رياض، والمثبت من (م).

(٤) سلف خبر ذلك ص ١٧٠.

(٥) في (ع) و(ح): أين، و(ش): أقر، والمثبت من (م).

(٦) نعمان: وإد بين مكة والطائف. «معجم البلدان»: ٢٩٣ / ٥.

ومن رسائله أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ ابْنِ التَّلْمِيزِ^(١) كِتَاباً يَقُولُ فِيهِ: كِتَابِي - أَطَالَ
اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِنَا - طَوَّلَ اشْتِيَاقِي إِلَيْهِ، وَأَدَامَ تَمَكِينَهُ دَوَامُ ثَنَائِي عَلَيْهِ، وَحَرَسَ نِعْمَتَهُ
حِرَاسَةً ضَمِيرِهِ لِلْأَسْرَارِ، وَكَبَتَ أَعْدَاءَهُ كَبَتَ صَبْرِي يَوْمَ تَنَاءَتْ بِهِ الدَّارُ، عَنْ سَلَامَةٍ
انْتَقَلْتُ بِبُعْدِهِ مِنْ جَسَمِي عَلَى وَدِّي، وَعَافِيَةٍ كَانَ يَبْنِي بِهَا آخِرَ عَهْدِي، وَأَنَا أَحْمَدُ اللَّهَ
الْعَلِيِّ عَلَى مَا يَسُوءُ وَيُسْرُ، وَأَدِيمُ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْمُحَجَّجِينَ الْغُرَّ،
وَبَعْدُ:

فَإِنِّي أَذْكَرُ عَهْدَ التَّزَاوُرِ ذِكْرَ الْهَائِمِ الْوَلُوعِ، وَأَجِنُّ إِلَى عَصْرِ التَّجَاوُرِ حَنِينَ الْحَائِمِ
إِلَى الشُّرُوعِ^(٢)، وَأَقُولُ: [مِنَ الْمُتَقَارِبِ]

وَإِنِّي وَحَقُّكَ مِنْذُ ارْتَحَلْتَ نَهَارِي حَنِينٌ وَلَيْلِي أُنِينُ
وَمَا كُنْتُ أَعْرِفُ قَبْلُ أَمْرًا بِجَسَمٍ مَقِيمٍ وَقَلْبٍ يَبِينُ
وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى سَلُوتِي وَحُزْنِي وَفِيَّ وَصَبْرِي خَوْوُنُ
وَكَيْفَ لَا أَكُونُ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا أَخَذْتُ حُسْنَ الْوَفَاءِ عَنْهُ، وَاكْتَسَبْتُ خُلُوصَ الصَّفَاءِ
مِنْهُ، وَقَدْ فَتَنَنِي مِنْهُ دِمَائُهُ تِلْكَ الشَّمَائِلُ، الَّتِي شَغَلَتْ كَلْفِي بِهَا عَنْ كُلِّ شَاعِلٍ، وَأَنَا
أُثْنِي عَلَيْهِ ثَنَاءً تَنَاقَلَهُ الرُّوَاةُ، وَغَنَى طَرِباً بِذِكْرِهِ الْحُدَاةُ، وَلَمْ أَزَلْ نَاشِراً مِنْ فَضْلِهِ
مَا نَسُوهُ، وَذَاكَرَ مِنْ مَحَاسِنِهِ مَا لَمْ يَذْكُرُوهُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ التَّلْمِيزِ فِي الْجَوَابِ: وَصَلَ كِتَابُهُ مَدَّ اللَّهُ فِي عَمْرِهِ امْتِدَادَ أَمَلِي فِيهِ،
وَأَدَامَ عُلوَّهُ دَوَامَ بَرِّهِ لِمَعْتَفِيهِ، وَحَرَسَ نِعْمَاءَهُ حِرَاسَةَ الْأَدَبِ بِنَادِيهِ، عَنْ سَلَامَةٍ شَمِلَتْ
بِتَأْمِيلِ إِيَابِهِ، وَعَافِيَةٍ عَفَتْ لَوْلَا قِرَاءَةُ كِتَابِهِ: [مِنَ الْمُتَقَارِبِ]

وَإِنِّي وَحُبُّكَ مُذْ بِنْتُ عَنْ لَكَ قَلْبِي حَزِينٌ وَدَمْعِي هَثُونُ

(١) فِي (ع) وَ(ح): الْحَسَنِ بْنُ التَّلْمِيزِ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ «الْمُنْتَظَمِ»: ٨٢/١٠.

وَأَبُو الْحَسَنِ هُوَ هَبَةُ اللَّهِ بْنِ صَاعِدِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ التَّلْمِيزِ، الطَّبِيبُ النَّصْرَانِيُّ الْمُلَقَّبُ أَمِينُ الدَّوْلَةِ
الْبَغْدَادِي، كَانَ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ فِي الطَّبِّ وَالْأَدَبِ، وَلَهُ شَعْرٌ وَتَرْسُلٌ جَيِّدٌ، تَوَفَّى سَنَةَ (٥٦٠هـ) عَنْ
مِائَةِ سَنَةٍ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَفْلَحٍ مَكَاتِبَاتٌ، وَكَانَ يَعالِجُهُ إِذَا مَرَضَ، انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي «طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ»
لِابْنِ أَبِي أَصْيَبَةَ: ٣٤٩-٣٧١، وَ«وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ»: ٦/٦٩-٧٧.

(٢) الْحَائِمُ: الْعَطْشَانُ. وَالشُّرُوعُ: الْوُرُودُ إِلَى الْمَاءِ. انْظُرْ «مَعْجَمُ مَتْنِ اللُّغَةِ»: ٢/٢٠٧ وَ ٣/٣٠٥.

وَأَخْلَفَ ظَنِّي صَبْرُ مُعِينٍ وشاهدُ شكوايَ دمعٌ مَعِينٌ^(١)
 فَلِلَّهِ أَيَّامُنَا الْخَالِيَا تُ لَوَرَدٌ سَالَفَ دَهْرٍ حَنِينُ
 وَإِنِّي لَأَرعى عَهْدَ الصَّفَاءِ ويكلؤها لك سِرٌّ مَصُونُ
 وَلَمْ لَا وَنَحْنُ كَمِثْلِ الْيَدَيْنِ وَأَنْتَ بِفَضْلِكَ مِنْهَا الْيَمِينُ
 إِذَا قُلْتُ أَسْلُوكَ قَالَ الْغَرَا مُ هِيَهَاتَ ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ
 وَهَلْ فِي سُلُوكِهِ مَظْمَعٌ وَصَبْرِي خَوْونٌ وَوَدِّي أَمِينُ

علي بن المُسَلَّم، أبو الحسن، الدَّمَشْقِي السَّلَمِي^(٢)

[ذكره الحافظ ابنُ عساكر، وقال]^(٣): كان عالماً بمذهب الشافعي، والفرائض^(٤).

ومولده سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة، وتفقه على أبي المُظَفَّر المَرْوَزِي، وجالس أبا حامد الغَزَّالِي، ودرَّس بحلقته بجامع دمشق، وتُعرف بحلقة جمال الإسلام مقابل باب البرادة، واشتهرَ ذِكْرُهُ، فكانت تأتيه الفتاوى من العراق، وصنَّف المُصَنَّفَات في الفقه، والتفسير، والفرائض، وغيرها.

وتوفي في ذي القعدة في السَّجدة الأخيرة من صلاة الصُّبْح، وكان قد صَلَّى وِرْدَهُ في تلك الليلة.

[سمع نصرأ المقدسي، وأبا الحسن بن أبي الحديد، وأبا العبَّاس بن قُبَيْس وغيرهم، وروى عنه الحافظ ابنُ عساكر، وغيره]^(٣)، وأجمعوا على فضله وثقته.

محمد بن حمزة بن إسماعيل^(٥)

ابن الحسن بن علي ابن الحسين، أبو المناقب، الحسيني الهمداني.

(١) معين: أي جار. «اللسان» (معن).

(٢) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٢٤، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٢/٥٤٥-٥٤٦، و«تبيين كذب المفتري»: ٣٢٦-٣٢٧، و«الوافي بالوفيات»: ٢٢/١٩٥، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/٢٣٥-٢٣٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/٣١-٣٤، وفيه تمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) «تاريخ ابن عساكر»: ١٢/٥٤٥.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/٨٤، و«الوافي بالوفيات»: ٣/٢٥.

رحل إلى البلاد، وكتبَ الحديثَ الكثير، وكان يروي عن جَدِّه علي بن الحسين أشعاراً، منها: [من الطويل]

وما لك من دُنْيَاكَ إِلَّا بُلِيغَةٌ تُزَجِّي بها يوماً وتقضي بها ليلاً
وما دونها مِمَّا جَمَعْتَ فَإِنَّهُ لزيدٍ وعمرو أو لأختهما ليلي

محمد بن عبد المتكبر^(١)

ابن الحسن بن عبد الودود بن عبد المتكبر بن هارون بن محمد بن عبد الله بن المهتدي بالله، أبو جعفر، الهاشمي، الخطيب.

قاضي باب البصرة ببغداد، سمع ابن البري وغيره، وكان صالحاً، ثقةً.

محمود بن بُوري^(٢)

ابن [أتابك]^(٣) طُغْتِكِين، [ولقبه]^(٣) شهاب الدين، صاحب دمشق.

قد ذكرنا ولايته^(٤)، وما جرى له، وساءت سيرته، فاستوحش منه جماعة من أمرائه، واتَّفَقُوا على قَتْلِهِ، فدسُّوا عليه يوسف الخادم والبقس^(٥) الأرمني. وكانا ينامان حول سريريه، وهما أمردان، وساعدهما عنبر الفَرَّاش [ويعرف]^(٣) بالخركاوي، وكان ينام عنده أيضاً. فلما كان ليلة الجمعة ثالثَ عشرين شَوَّال ذبحوه في فراشه، وخرجوا هارين. فأخذ عنبر والخادم فُصْلَبَا، وَهَرَبَ البقس الأرمني. وَنُهِبَتْ دمشق، وكتبَ الأمراء إلى أخي محمود محمد بن بوري، وهو ببغلبك، وكان صبياً لم يبلغ^(٦)، فجاء

(١) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٢٥/٤.

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: (خ) (س): ٢٨٦/١٦، و«الكامل»: ٦٨/١١، و«وفيات الأعيان»: ٢٩٦/١، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٠/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) انظر ص ٢٧١ من هذا الجزء.

(٥) في مطبوع «ذيل تاريخ دمشق»، و«وفيات الأعيان»: البقس - بالغين.

(٦) كذا قال، ولا يصح، إذ ولي محمد بعد أخيه، وتوفي سنة (٥٣٤هـ)، ثم ولي بعد محمد ابنه أبق كما سيأتي في حوادث سنة (٥٣٤هـ)، وذكر الذهبي في «السير»: ٥١/٢٠ أن أبق كان مراهقاً حين ولي.

مسرعاً، ودخل قلعة دمشق، فملكوه، ولقبوه جمال الدين، وتولى معين الدين أنر تدبير الجيوش.

[وقد ذكر القصة أبو يعلى ابن القلانسي، فقال: وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من شوال هذه السنة ظهرت هذه الحادثة المذبذبة على الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بُوري بن أتابك طغتكين، قتل في فراشه بيد غلمانته، وذكر بمعنى ما ذكرنا، ووصول أخيه محمد بن بُوري إلى دمشق وجلوسه، قال: ^(١)] وانتهى الخبر إلى الخاتون صفوة الملك؛ والده الأمير محمود المقتول، فراسلت عماد الدين زنكي، وهو بالموصل تعلمه صورة الحال، وتحته على النهوض لطلب الثأر - وكانت بحمص - فجاء أتابك إلى الشام، ونزل على بعلبك يوم الخميس العشرين من ذي الحجة في عسكر كثيف، فنصب عليها أربعة عشرة منجنيقاً ترمي ليلاً ونهاراً، فكتبوا إلى دمشق، فلم تأتهم نجدة، فأرسلوا إلى زنكي، وسألوه الأمان، فأمنهم، وحلف لهم، فسلموها إليه، فدخلها، وغدر بهم، وكان خيقاً على من قاتله، فأمر بقتلهم وصلبهم، فاستقبح الناس ذلك منه، ومقتوه ^(٢).

أبو بكر بن الصائغ الأندلسي ^(٣)

ويعرف بابن باجه ^(٤)، العالم الفاضل، له تصانيف في الرياضيات والمنطق والهندسة، [وذكره ^(٥) ابنُ بشرون المهدوي في كتابه الموسوم «بالمختار من النظم والنثر لأفاضل أهل العصر»، ووصفه بالتفرد بالعلوم التي ذكرناها، وأنه] وزر ليحيى بن

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٢١-٤٢٣.

(٣) له ترجمة في «قلائد العقيان»: ٣٠٠-٣٠٦، و«الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٣٣٢-٣٣٤/٢، و«أخبار الحكماء» للقفطي: ٢٦٥، و«طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة: ٥١٥-٥١٧، و«المغرب في حلّ المغرب»: ١١٩/٢، و«وفيات الأعيان»: ٤٢٩-٤٣١، و«سير أعلام النبلاء»: ٩٣-٩٤، و«الوافي بالوفيات»: ٢٤٠-٢٤٢، و«نفح الطيب»: ١٧-٢٥/٧، و«شذرات الذهب»: ١٠٣/٤.

(٤) هكذا ضبطها ابنُ خلكان.

(٥) في (ع) و(ح): قال ابن بشرون المهدوي: وزر ليحيى بن يوسف، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

يوسف بن تاشفين^(١) عشرين سنة، وكانت سيرته حسنة؛ صلحت به الأحوال ونجحت
الآمال، حسده أطباء البلد وكادوه، ونالوا بقتله مسموماً ما أرادوه.

[وذكر وفاته في هذه السنة، وأنه]^(٢) قال عند الموت: [من الخفيف]

آه مِنْ حَادِثَاتِ صَرْفِ اللَّيَالِي فَلِحَالِي انْظُرْ أَعْظَمَكَ بِحَالِي
أَمْسٍ أَبْكَيْتُ حَاسِدِي شَرْقاً بِي وَهُوَ الْيَوْمَ رَحْمَةً قَدْ بَكَى لِي
وقال أيضاً: [من الطويل]

هُمْ رَحَلُوا يَوْمَ الْخَمِيسِ عَشِيَّةً فَوَدَّعْتُهُمْ لَمَّا اسْتَقَلُّوا وَوَدَّعُوا
وَلَمَّا تَوَلَّوْا وَلَّتِ النَّفْسُ^(٣) مَعَهُمْ فَقُلْتُ ارْجِعِي قَالَتْ إِلَى أَيْنَ ارْجِعُ
إِلَى جَسَدٍ مَا فِيهِ لَحْمٌ وَلَا دَمٌ وَلَا هُوَ إِلَّا أَغْظَمُ تَتَقَعَّقُ
وَعَيْنَيْنِ قَدْ أَعْمَاهُمَا كَثْرَةُ الْبُكَاءِ وَأُذُنٍ عَصَتْ عُذَّالَهَا لَيْسَ تَسْمَعُ^(٤)

السَّنة الرابعة والثلاثون وخمسة مئة

فيها ولد لمسعود ولد ذكر من بنت قاروت بك، فغلقت بغداد سبعة أيام، وفشت
المنكرات، فجاء ابن الكواز الزاهد إلى [باب]^(٥) بنت قاروت بك، وقال: إن أزلتم
هذه المنكرات، وإلا لزمنا المساجد والجوامع، وشكوناكم إلى الله تعالى. فحطوا
التعاليق، ومات الولد.

وفيه دخلت خاتون بنت محمد زوجة المقتفي بغداد في تجملٍ عظيم، وكانت قد
وصلت مع أخيها مسعود، وأقامت عنده بدار المملكة، ثم زُفَّت إلى الخليفة وبين يديها

(١) كذا في النسخ الخطية، وهو الموافق لما في «الخريدة»، وعنه ينقل المصنف، وفي «المغرب»: أن الذي استوزره هو
أبو بكر بن تيفلويت صاحب سرقسطة، وذكر محققه الدكتور شوقي ضيف في حاشيته أن ابن ذاكور قال في شرحه
لقلائد العقيان: إنه وزير لعل بن يوسف بن تاشفين، ونقل المقرئ في «نفح الطيب»: ٢٨/٧-٣٠. عن ركن الدين
بيبرس أنه وزير لأبي بكر صاحب سرقسطة، ووزير أيضاً ليحيى بن يوسف بن تاشفين، والله أعلم.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (م) و(ش): الروح.

(٤) انظر «الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢/٣٣٢-٣٣٣.

(٥) ما بين حاصرتين من (ح) و(م) و(ش).

زوجة السلطان مسعود بنت دُبَيْس، وبنت قاروت بك، والوزير شرف الدين يحجبها، والمهْدُ بين يديها، ومراكبُ الخليفة، وكان ذلك في جمادى الأولى.

وفي رجب تزوج مسعود ببنت المقتفي، وحضر الوزراء والقضاة والشهود والأشراف، وتمكن ابن طراد الوزير من الدولتين، ثم جرت بينه وبين الخليفة وخشة، فالتجأ إلى دار المملكة، واستتاب الخليفة في الديوان ابن الأنباري، وقيل: إن الخليفة استوزر نظام الدين ابن جهير.

وفيها توفي رجل صالح من أهل باب الأزج، واجتمع الناس، ونودي للصلاة عليه، فوضعه على سريره ليغسلوه، فعطس، وقام قائماً [فعجب الناس]^(١)، وحضرت جنازة أخرى، فصلّى ذلك الجمع عليها.

وفيها عاد أتابك زنكي من بعلبك بعد أن أفنى من قاتله بها، ونفرت القلوب منه، ونزل على داريا، وخرج إليه بعض عسكر دمشق وأحداثها، فقاتلوه، فظفر بهم، وأطلق فيهم السيف قتلاً وأسرّاً، وراسل جمال الدين محمد صاحب دمشق، وأن يعطيه حمص وبعلبك وما يختار، فمال إلى الصلح طلباً لحقن الدماء، فما وافقه أمراؤه، وابتدأ به مرض طال، وتوفي في شعبان، وكان نزول أتابك عليها في ربيع الأول، واتفق موت محمد في الوقت الذي أصيب فيه أخوه محمود، وفي تلك الساعة، ودُفن في تربة جدته بباب الفراديس.

وأقاموا ولده عضب الدولة أبو سعيد أبق بن محمد مكانه، وأخذت له الأيمان على الطاعة، وعرف زنكي ذلك، فزحف بعسكره إلى البلد طامعاً فيه، وظن أن الخلف يجري بين المقدّمين، فجاء الأمر بالعكس، وثبت له العسكر وأحداث دمشق، وقاتلوه قتالاً شديداً، وقالوا: هذا كذاب غدار، سفاك للدماء، وقد رأيت ما فعل بأهل بعلبك. وقام بقتاله معين الدين أنر، فضعفت نفس أتابك، ورجع إلى داريا، وكان أنر قد بذل للفرنج مالا ليدفعوا زنكي عنهم، وحمل إليهم المال، والرّهائن من أقارب المقدّمين، فاجتمعوا من الحصون والبلاد ليصدّوه عن دمشق، فلمّا تحقق ذلك رحل عن دمشق في رمضان طالباً حوران، على نية لقاء الفرنج إن جاؤوا، ثم عاد في شوال إلى غوطة

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

دمشق، ونزل بمرج عذراء، فأحرق عِدَّة ضياع من المرج والغوطة، منها حَرَسْتَا، وبلغه نزول الفرنج بالميدان في جموعهم، فرحل إلى بَعْلَبَك.

وخرج أنر في العسكر، وحاصر بانياس، وفتحها في آخر هذه السنة، وسَلَّمَهَا إلى الفرنج، وكان ذلك في صَلْح الفرنج، وأنهم يسلمونها إليهم.

وَبَعَثَ زَنْكِي من بَعْلَبَك يستدعي التركمان من أماكنهم، وخرجت السنة على هذا، ولما عاد أنر إلى دمشق ما رأى في يوم السبت سابع ذي القعدة إلا وزَنْكِي قد صَبَّحَهُمْ جريدة على غِرَّة، وَقَرَّبَ من السُّور، وَعَلِمَ النَّاسُ، فركبوا الأسوار، وفتحوا الأبواب، وخرجوا إليه، فَرَدُّوه، فنزل تل راهط، وساق من الخيل والغنم والجمال والدواب ما لا يحصيه إلا الله تعالى، ورحل نحو الشمال.

وَحَجَّ بالنَّاسَ نَظَر.

وفيهما توفي

أحمد بن جعفر^(١)

ابن الفرج، أبو العبَّاس، الحَرَبِي.

كان من الأبدال، لم يتكلَّم فيما لا يعنيه، حسن السمات، كثير العبادة، رآه بعض أصحابه بعرفات وهو بالحَرَبِيَّة لم يحجَّ في تلك السَّنة.

ودخل عليه بعض أصحابه قبل موته بيوم، فقال له: إذا كان غداً واتفق ما يكون - يعني موته - فاخرج من الحَرَبِيَّة، فإنَّك ترى شيخاً قائماً عند العقد، فقل له: مات أحمد ابن جعفر. فلما مات خَرَجَ الرجل، فإذا بالشيخ قائم، فقال له الشيخ: مات أحمد. قال: نعم. قال: ومشيت خلفه، فغاب عني.

ودُفِنَ بباب حَرَب. [سمع أبا عبد الله الحسين بن أحمد النُّعالي وغيره]^(٢).

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٨٦/١٠، و«الوافي بالوفيات»: ٢٩١/٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

أحمد بن منصور بن المؤمل^(١)

أبو المعالي، الغزّال، مشرف المارستان العُصدي.

جاء رجلٌ ليلة الجمعة ثامن عشرين ربيع الآخر^(٢)، فقال له: رأيتُ البارحة في المنام كأنك قد متّ. وأشار إلى مكان إلى جانب المارستان، فقال لأصحابه: ترحموا عليّ، ثم مضى إلى جامع المنصور، فصلى الجمعة، ثم عاد، فلما وصل إلى ذلك المكان الذي عيّنه الرجل وقع، فمات فجأة، ودُفِنَ بباب حرب. [سمع أبا الحسين بن النّقور وغيره، وكان ثقةً]^(٣).

جوهر خادم السُّلطان سنجر^(٤)

كان حبشياً، [ويلقب بالمقرّب، وكان]^(٣) حاكماً على الدّولة، جاء باطنيّ في صورة امرأة، فاستغاث به، فوقف، فرمى الإزار، ووَثَبَ عليه فقتله، وقُتِلَ، وعَزَّزَ على [السُّلطان]^(٣) سنجر.

[فصل، وفيها توفيت:

فاطمة بنت عبد الله الخبّري الفَرَضِي^(٥)

ولدت في جُمادى الأولى من سنة إحدى وخمسين وأربع مئة، وتوفيت ليلة الاثنين خامس رجب، ودفنت بباب أبرز، وكانت صالحة زاهدة، سمعت الحديث من أبي جعفر بن المُسلمة، وابن النّقور وغيرهم.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٨٧/١٠، وأشار الذهبي إلى وفاته في «سير أعلام النبلاء»: ٦٥/٢٠.

(٢) في (م) و(ش): الأول.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ٨٧/١٠، و«الكامل»: ٧٦-٧٧/١١، و«النجوم الزاهرة»: ٢٦٦/٥.

(٥) لها ترجمة في «الأنساب»: ٤٠-٣٩/٥، و«المنتظم»: ٨٨/١٠، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٢٠٦-٢٠٨،

و«اللباب»: ٤١٨/١ - ٤١٩، وأشار الذهبي إلى وفاتها في «السير»: ٦٥/٢٠ والخبّري، بفتح الخاء

المعجمة، وسكون الباء الموحدة في آخرها الراء، هذه النسبة إلى خَبَر، وهي قرية بنواحي شيراز من فارس.

وذكرها جدِّي في «مشيخته»، فقال: فاطمة بنت عبد الله بن إبراهيم بن حكيم
الخَبْرِي خالة أبي الفضل بن ناصر، وأثنى عليها، رحمها الله تعالى^(١).
وفيها توفي:

محمد بن بُوري صاحب دمشق^(٢)

وكنيته أبو الْمُظَفَّر، ولقبه جمال الدين، كان حسن السيرة^(٣)، وكانت ولايته لدمشق
سنة، وقد ذكرناه^(٤).

فصل: وفيها توفي:

المهدي بن محمد، أبو البركات الواعظ^(٥)

نشأ ببغداد، وكان حسن العبارة، وسمع الشيوخ، وسافر إلى الشرق إلى جَنَزَة،
فَحَسِفَ بها، وهلك من المسلمين خَلْقٌ كثير، وكان مِمَّنْ هلك.
سمع ابن البَطَر، وأبا الخَطَّاب الكلواذاني^(٦) وغيره، وكان صالحاً، ثقة^(٧).

يحيى بن علي بن عبد العزيز^(٨)

أبو الفضل، قاضي دمشق.

(١) انظر «مشيخة ابن الجوزي»: ٢٠٦، ٢٠٨.

(٢) له ترجمة في «الكامل»: ٦٨/١١، ٧٣، و«وفيات الأعيان»: ٢٩٦/١، و«الوافي بالوفيات»: ٢٧٣/٢،
و«سير أعلام النبلاء»: ٥١/٢٠ وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٣) كذا قال، وقال الذهبي والصفدي: إنه كان سيئ السيرة.

(٤) انظر ص ٣١٩، ٣٢٢.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ٨٨/١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٢/٢٠.

(٦) ابن البطر يكنى أبا الخطاب، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٤٩٤هـ)، ولم يذكر من ترجم لمهدي بن محمد
سماعه من أبي الخطاب الكلواذاني، فلعله وهم لتمائل الكنية بين الاثنين، والله أعلم، انظر «المنتظم»:
٨٨/١٠.

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٨) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٦٩/١٨، و«الكامل»: ٧٧/١١، و«طبقات الشافعية»
للسبكي: ٣٣٤-٣٣٥/٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٦٤-٦٣/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

وهو جدُّ الحافظ ابن عساكر لأُمِّه، ولد سنة أربع وأربعين وأربع مئة، وتفقه ببغداد على أبي بكر الشَّاشي، وبدمشق على القاضي المَرْوُزي، وحجَّ على العراق سنة خمس عشرة وخمس مئة، ورأى الخطيبَ ولم يسمع منه، [وسمع من نصر المقدسي وطبقته، وروى عنه سبطه الحافظ ابن عساكر]^(١).

وتوفي بدمشق، ودفن بمشهد القدم، [وكان ثقةً، حافظاً، كثير العلم والحديث]^(١).

السَّنة الخامسة والثلاثون وخمس مئة

فيها نَقَلَ المقتفي المظفر بن محمد بن جَهير من الأستاذ دارية إلى الوزارة. وفيها قدم [بغداد]^(١) رجلٌ من السَّواد، فسكن قريةً على باب بغداد، وأظهر الزُّهد، فقصده الناس [من كل جانب]^(١)، واتفق أنَّه مات لبعض [أهل]^(١) السَّواد ولدً، فدفنه قريباً من قبر السبتي^(٢)، فمضى ذلك المتزهد، فنبَّشه، ودفنه في موضعٍ آخر، ثم أصبح، فجاء إليه زوَّارُه. فقال: رأيتُ البارحة عليَّ بنَ أبي طالب، فقال لي: إنَّ بعض أولادي في المكان الفلاني. فانقلبت بغداد، وجاء النَّاس يُهرعون إليه، وسألوه أن يُريهم المكان، فجاء إلى الموضع الذي دَفَنَ فيه الصَّبِي، فحفر، فظهر الصَّبِي، [وكان أمرد]^(١)، فمن وَصَلَ إلى قطعةٍ من أكفانه فكأنه قد ملك الدُّنيا، وجاؤوا بالبخور والشموع والماء الورد، وأخذوا تراب القبر للتبرك، وجعل النَّاس يقبِّلون يد الزَّاهد، ويبكون ويخشعون، وبقوا أياماً على هذا، والميت مكشوفٌ يراه كلُّ أحد، فتغيَّرت رائحته، وجاء حُذَّاق بغداد، فقالوا: هذا له منذ أربع مئة سنة، وكيف تتغير رائحته! وجاء السَّوادي يزور الزَّاهد، ويتبرَّك بالقبر، فاطَّلَعَ فيه، فعرفه، فصاح وقال: ولدي والله، وكنت دَفَنْتُه عند السبتي، فقوموا معي. فقاموا، وجاؤوا إلى المكان، فنبشوه فلم يروا فيه أحداً، وهَرَبَ الزَّاهد، وتبعوه، فأخذوه وقرَّروه، فاعترف، وقال: إنما عملتُ ذلك حيلةً. فشهرَّوه على جَمَلٍ، وعزَّروه.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) كذا، ولعلها السَّبِي.

وفيهما فُتِحَت المدرسة التي بناها ابنُ طلحة صاحب المخزن ببغداد، وحَضَرَ قاضي القضاة الزَّيْنِي وأربابُ الدولة والفقهاء، ودَرَسَ بها أبو الحسن ابن الخلّ. ووصل رسولٌ من عند سنجر، ومعه البردة والقضيب وكانتا مع المسترشد، فدفعهما إلى المقتفي.

قال ابنُ القلانسي: وفيها ملكت الإسماعيلية حصن مصياث بحيلة دُبِّرَت لهم [فيه، يعني أنّه ما أخذ بقتال]^(١).

وحج بالنَّاسَ نظر الخادم.

فصل: وفيها توفي

إسماعيل بن محمد بن الفضل^(٢)

أبو القاسم، الطَّلحي، الأصبهاني.

ولد سنة تسع وخمسين وأربع مئة^(٣).

وسافر إلى البلاد [وسمع الكثير، وأملَى بجامع أصبهان قريباً من ثلاثة آلاف مجلس]^(٤)، وهو إمامٌ في الحديث والتفسير واللغة، حافظٌ مُتَّقِنٌ، وكانت وفاته ليلة عيد الأضحى بأصبهان. [وَحكى ابنُ ناصر أنَّ غاسله لما أراد أن ينحي]^(٥) الخِرقة عن سوائته وقت الغُسل جَذَبها إسماعيل من يده، وغطَّى بها فرْجه، فقال الغاسل: أحياء بعد الموت؟!]

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٢٨.
 (٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٣٦٨-٣٦٩/٣، و«المنتظم»: ٩٠/١٠، و«اللباب»: ٣٠٩-٣١٠/١، و«طبقات علماء الحديث»: ٥٠-٥٥/٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٨٠-٨٨/٢٠، وفيهما تنمة مصادر ترجمته.
 (٣) وكذلك هو في «المنتظم»، وتابعهما ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٢٦٧/٥، وفي باقي المصادر: سنة سبع وخمسين وأربع مئة.
 (٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
 (٥) في (ع) و(ح): ولما أراد غاسله أن ينحي الخِرقة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

إسماعيل بن فضائل [بن سعيد]^(١) أبو محمد، البَدَلِيسِي^(٢)

[وبَدَلِيس: بلدة قريبة من خِلاط، ذكره الحافظ ابن عساكر^(٣)، وقال]^(١): أقام إماماً بجامع دمشق نيّفاً وثلاثين سنة [يؤمُّ النَّاس ويَتْلُو القرآن، فظهر عليه شيء من اعتقاده من ميله]^(٤) إلى التشبيه، فعزل [عن الإمامة]^(١) في رمضان سنة ثمان وعشرين [وخمس مئة]^(١)، ونُصِبَ مكانه أبو محمد ابن طاوس، وجرى في ذلك [مرافعات و]^(١) تعصّبات، فاستقرَّ الأمر أن لا يبقى في الجامع مَنْ يصلي إماماً غير إمام الشَّافعية والحنفية [لا غير]^(١)، وبَطَلَتْ إمامة المالكية والحنابلة.

[فصل، وفيها توفي:

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد^(٥)

أبو منصور القَزَّاز، ويُعرف بابن زُرَيْق.

كان من أولاد المحدثين، وسمع الكثير، وكان صالحاً خيراً، كثير السكوت، صَبُوراً على العُزلة عن النَّاس، وكانت وفاته في شوال، ودفن بباب حَرْب.

سمع ابن المهدي وأبا الغنائم، وابن الدَّجَاجي، والخطيب، وأبا جعفر ابن المُسلمة، وخلقاً كثيراً، وهو شيخُ جَدِّي أبي الفرج، وشيخ شيخنا تاج الدين الكِندي، ومن رواياته تاريخ الخطيب، عن الخطيب، ورواه عنه، جدي والكندي، وقد ذكرناه، وذكره جَدِّي [في «مشيخته»]^(٦)، وأثنى عليه^(١).

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٢٩.

(٣) ترجمته في القسم المخروم من نسخة «تاريخ ابن عساكر» التي بين يدي.

(٤) في (ع) و(ح): وثلاثين سنة، وظهر عليه يميل إلى التشبيه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) له ترجمة في «الأنساب»: ٢٧٤/٦، ١٣٢/١٠، و«المنتظم»: ٩٠/١٠، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٢٣-

١٢٥، و«اللباب»: ٦٧/٢، ٣٣/٣، و«توضيح المشتبه»: ١٨٢/٤ و٢٣/٨-٢٤، و«سير أعلام

النبلأ»: ٧٠-٦٩/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (ش)، وانظر «المشيخة»: ١٢٣-١٢٥.

محمد بن عبد الباقي، أبو بكر الأنصاري^(١)

من ولد كعب بن مالك، أحد الثلاثة الذين خُلفوا^(٢) [ويعرف بقاضي المارستان، ويعرف أبو بكر أيضاً بابن أبي طاهر.

ولد بالنصرية غربي بغداد، ونشأ بها، وقال جدي: كُنَّا إِذَا سَأَلْنَاهُ عَنْ مَوْلَدِهِ يَقُولُ: أَقْبِلُوا عَلَى شَأْنِكُمْ. ثم أسند هذا اللفظ إلى مالك بن أنس^(٣) أنه كان يقول ذلك. وفي رواية: لا ينبغي لأحد أن يُخبر بمولده، لأنَّه إن كان صغيراً استحقروه، وإن كان كبيراً استهرموه^(٤).

وكان [الأنصاري]^(٥) ينشد: [من الكامل]

أَحْفَظُ لِسَانَكَ لَا تَبُخْ بِثَلَاثَةٍ سَنٌ وَمَالٍ مَا اسْتَطَعْتَ وَمَذْهَبٍ
فَعَلَى الثَّلَاثَةِ تُبْتَلَى بِثَلَاثَةٍ بِمَمَوِّهِ وَمُكْفَرٍ وَمُكَذِّبٍ
وقال: مولدي يوم الثلاثاء عاشر صفر سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة.

[قال]^(٥): وحضر منجّمان عند ولادتي، فأجمعا على أنني أعيش اثنتين وخمسين سنة، وها أنا قد جاوزت التسعين.

وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، [وأول سماعه الحديث من البرمكي في سنة خمس وأربعين وأربع مئة حضوراً]^(٥) وتفقه على [القاضي أبي يعلى]^(٥) ابن الفراء الحنبلي، [وشهد عند قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني]^(٥)، وعمر حتى ألحق

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٩٤/١٢، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٥٨٢/١٥-٥٨٤، و«المنتظم»: ٩٤-٩٢/١٠، و«معجم البلدان»: ٢٨٨/٥، و«اللباب»: ٣١٢-٣١١/٣، و«الكامل»: ٨٠/١١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٨-٢٣/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع) و(ح): أحد الثلاثة الذين خلفوا، كان: إذا سئل عن مولده.. وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (م) و(ش): أنس بن مالك، وهو قلب، صوابه مالك بن أنس كما في «المنتظم»

(٤) بعد هذه العبارة في (م) و(ش): وكان الشافعي إذا سئل عن مولده يقول للسائل: أقبل على شأنك.

قلت: وهذه العبارة ليس موضعها هنا بعد أن اختصر إسناد هذه الحكاية، إذ إن الشافعي يرويها سلسلة عن مالك بن أنس، انظر «المنتظم»: ٩٢/١٠.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الصُّغار بالكبار، وكان كريمَ الأخلاق، حَسَنَ المعاشرة. [قال جدي: وكنت أجلس بجامع المنصور، وأنا صبيٌّ، فيأتي فيقفُ مِن ورائي، فيسلِّمُ عليَّ وأنا على المنبر، وكان يُملِّي الحديثَ في جامع القصر باستملاء أبي الفضل ابن ناصر. قال: وقرأتُ عليه الحديث، وكان^(١) حُجَّةً في علوم كثيرة، وانفرد بعِلْمِ الفرائض. وكان قد خرج في قافلة، فأسر، فقيَّدَ وغلَّ وعُذِّبَ على أن يتنصَّر، فلم يفعل، وتعلَّم عندهم الخطَّ الرُّومي، وأقام في الأسر سنةً ونصفاً، ثم أُطلق. وقال: ما أعلم أنِّي ضيَّعتُ من عُمرِي ساعةً قطُّ^(٢).

[قال جدي: وسمعتَه يقول^(٣): كُنْ على حَذَرٍ من الكريم إذا أهتته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العالم إذا أخرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته، ومن خَدَمَ المحابر خَدَمَتَهُ المناير^(٤).

وكانت وفاته يوم الأربعاء ثاني رجب عن ثلاثٍ وتسعين سنة، وصُلِّيَ عليه بجامع المنصور، وحضره قاضي القضاة الزَّيْنِي، وأربابُ الدولة، وحُمِلَ إلى [مقابر]^(١) باب حرب، فدفن عند أبيه قريباً من [قبر]^(١) بِشْرِ الحافي، ومات وهو صحيح الحواسِّ لم يتغير عليه شيء، وكان يقرأ الخطَّ الدقيق من بعيد، وأوصى أن يكتبَ على قبره ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة ص: ٦٧-٦٨] [سمع خلقاً كثيراً، وكانت له إجازات]^(١)، وأجمعوا على زهده وصِدْقِهِ، وفضله وعدالته.

[قال: وأنشدني^(٤): [من الكامل]

لي مُدَّةٌ لا بُدَّ أبلُغُها فإذا انقَضَتْ وتَصَرَّمَتْ مِتُّ
لو عاندتني الأُسْدُ ضاريةً ما ضَرَّ بي مالم يجي الوقتُ^(٥)

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) انظر «المنتظم»: ٩٣/١٠.

(٣) في (ع) و(ح)، وقال.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ع) و(ح): وكان ينشد.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) انظر «المنتظم»: ٩٤/١.

يوسف بن أيوب بن يوسف^(١)أبو يعقوب^(٢) ، الهمداني.

نزل مَرَوْ، وقَدِمَ بغداد [بعد الستين وأربع مئة]^(٣) ، وتفقه على أبي إسحاق الشَّيرازي وسمع المشايخ، وعاد إلى مَرَوْ، وتشاغل بعلم المعاملات وتربية المريدين، ثم قدم بغداد سنة ست وخمس مئة، وَوَعَظَ بها، فقام إليه ابنُ السَّقَّاء، فأذاه، فقال له: اقعد، فكأنِّي أَشُمُّ من فيك رائحة الكُفْرِ. فاتَّفَق أنَّ ابنَ السَّقَّاء خَرَجَ إلى الرُّوم، فتنصَّر، [وقد ذكرناه]^(٣) ، وكانت وفاته بقرية من قرى هَرَاة، [ولما قدم بغداد سمع الخطيب، وابن المهدي، وغيرهم]^(٣) ، وكان صالحاً ثقة.

قلت^(٤): كان صاحب هذه الترجمة عظيم الشأن، أحد أركان الإسلام، انتهت إليه تربية المريدين بخراسان، واجتمع عنده بخانقاته من العلماء والصلحاء جماعة، وانتفعوا بكلامه، وتخرَّجوا بضخيمته، وكان المشايخ يعظمون قدره، وله كلام حسن على لسان أهل الحقيقة^(٥). وقال إبراهيم بن علي الجويني^(٦): أخبرنا أبي، قال: سمعتُ أبي يقول: كان الهمداني يوماً يتكلَّم على النَّاس، فقال له فقيهان كانا في مجلسه: اسكت، فإنما أنت مُبتدع، فقال لهما: اسكتا لا عشتما. فماتا مكانهما^(٧).

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٣٣٠-٣٣١/٢، و«المنتظم»: ١٧١/٩، و٩٤-٩٥/١٠، و«صفوة الصفوة»: ٨٠-٧٩/٤، و«اللباب»: ١٦٨/١، و«الكامل»: ٨٠/١١، و«وفيات الأعيان»: ٧٨-٨١/٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٦٦-٦٩/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع): أبو يوسف، وفي (م) و(ش): ابن يعقوب، والمثبت من (ح)، وهو الصواب.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) هذا القول حتى نهايته في (ع) و(ح) فحسب، ولم يرد في (م) و(ش)، وقائله هو مختصر «مرآة الزمان» قطب الدين اليونيني.

(٥) ساق الشعراني بعض أقواله في «طبقاته»: ١١٧/١، ويبدو أن المصدر الذي ينقل عنه الشعراني هو المصدر نفسه الذي أخذ منه اليونيني، والله أعلم.

(٦) في «طبقات الشعراني»: ١١٧/١: إبراهيم بن الحوفي، ولم أقف على ترجمته ولا ترجمة أبيه.

(٧) أليست هذه القصة هي تحريف مغالٍ لتلك القصة التي أوردها سبط ابن الجوزي في حوادث سنة (٥٠٦هـ) ناقلاً لها عن جده في «المنتظم»: ١٧١/٩، وهي أن ابني أبي بكر الشاشي قالوا له: إن كنت تتكلم على مذهب الأشعري، وإلا فلا تتكلم. فقال: اجلسا لا متعكما الله بشبابكما. فماتا ولم يبلغا الشيخوخة. وقد أوردها =

وبالإسناد: أَنَّ الفرنج أسروا ولداً لامرأة من أهل هَمَذَان، فجاءت إلى الشيخ يوسف باكية، فصبرها، فلم تصبر، فقال: اللهم فُكَّ أسره، وعَجِّلْ فرجه. ثم قال لها: اذهبي إلى دارك تجديه بها. فذهبت، فإذا ولدها في الدار، فعجبت، وسألته، فقال: إني كنت الآن بالقُسْطَنْطِينِيَّة العُظْمَى، والقيود في رِجْلَيَّ، والحُرَّاس عليَّ، فأتاني شخصٌ ما رأيته قبل، واحتملني وأتى بي إلى هنا كَلَمَحَ البَصَر. فجاءت إلى الشيخ، فقال لها: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: ٧٧] رحمة الله عليه.

السَّنة السادسة والثلاثون وخمس مئة

فيها في المحرَّم كانت وقعةٌ عظيمة بين سنجر وكافر تُرك؛ [أخذ الله للمسترشد بالثار، وأحلَّ به الهلاك والبوار، ﴿إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَمِزَةٌ لِأُولَى الْأَبْصَارِ﴾] [آل عمران: ١٣]^(١) وسببها أَنَّهُ كان بما وراء النهر الغزُّ؛ وهم طائفةٌ من التُّرك بنواحي سَمَرْقَنْد في مروجها ومراعيها، ولهم أموالٌ كثيرة ومواشٍ، وأهل تلك الناحية ينتفعون بهم وهم يَعِفُّون عن مالٍ غيرهم، ولا يطلقون دوابَّهم في زرع النَّاس، ولا يُؤذون أحداً. وبلغ سنجر خبرهم، فجهَّز إليهم العساكر، فأوقعوا بهم، ونهبوا أموالهم، وسبَّوا نساءهم، وهتكوا البنات، وقتلوا منهم طائفةً، وانحازوا إلى ناحية أروجند^(٢)، وبعثوا مشايخهم إلى سنجر، وقالوا: نحن قومٌ أهلُ صحارى وبراري وخراب، لا نُؤذي أحداً، ولا نخيف السَّبِيل، فكُفَّ عنا ونحن نجعل لك في كلِّ سنة خمسة آلاف فرس، وثلاثين ألف رأس من الغنم، وكذا وكذا من المال. فلم يلتفت إليهم، وأطمعه أمراؤه فيهم، فعاد مشايخهم وأخبروهم، فقصدوا خاقان ملك الخطا مستصرخين به، وأطمعوه في بلاد الإسلام، فجمع، وسار معهم في سبع مئة ألف مقاتل، وكان سنجر قد قتل أخا خوارزم شاه، وبين خوارزم شاه وخاقان هُدْنَةٌ ومصاهرة، فانضمَّ إلى خاقان

= كذلك السمعاني فيما نقله عنه الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ٦٨/٢٠. وقد أورد هذه القصة بلفظها هذا مع خبر المرأة الآتي الشعراني في «طبقاته»: ١١٧/١، وعنه النبهاني في «جامع كرامات الأولياء»: ٢٨٩/٢.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) أورصد، وفي (ح) أروجند، ولم أقف عليها.

في خمسين ألفاً، وبلغ سنجر، فجمع، وقطع النهر في مئة ألف مقاتل، والتقى الفريقان في صحراء سمرقند، وكان يوماً عظيماً لم يُر مثله في جاهلية ولا إسلام، واقتتلوا قتالاً شديداً، وانكشف سنجر وقد قُتلَ عامّة أصحابه، وانهزم في ستة أنفس، وأسرت زوجته وأولاده، وجواريه وابنته، وهُتِك حريمه، وقُتلَ عامّة أمراءه، وقتل معه اثنا عشرة ألف عِمامة كلهم رؤساء وفقهاء؛ فيهم الحسام بن مازة^(١)، وأسر أبو الفضل الكرمانى؛ صاحب «الجامع الكبير».

وعبر خوارزم شاه واسمه أنزاك^(٢) بلخ، ونزل فيها مراغمة لسنجر، فنهب وقتل وسبى خلقاً لا يحصون، ومضى سنجر إلى ترمذ، فلما دخلها افتقد أهله، فلم ير أحداً، فسأل عن الأمراء، فقيل: قُتلوا، وأخذ من خزائنه، وأمواله وذخائره وخيله، ولم يُقتل إلا في ستة أنفس، وأقام أياماً لم يجد ما يأكل. وكانت هذه الواقعة سبب بواره.

ووصل الخبر إلى بغداد، فانكسرت همّة مسعود، وذلل.

وعاد صاحب خوارزم إليها، ونزل خاقان في مروج سمرقند، وجمع إليه الغز، واقتسموا الأموال والغنائم، وأحصي من قُتل من أصحاب سنجر، فكانوا سبعين ألفاً، وأخذوا من النساء عشرة آلاف امرأة، وقتل أربعة آلاف.

وكان المقتفي قد غضب على وزيره ابن طراد، وعزله، فدخل على مسعود، وسأله أن يشفع فيه إلى الخليفة، ويُعيده إلى داره، فقال مسعود لوزيره: خذه، واذهب به إلى الخليفة، وقُل له: إن سنجر ومسعوداً يسألان أمير المؤمنين فيه. فدخل وزير مسعود على الخليفة، وقبل الأرض، وأدى الرسالة، وقال له: خذه، وإن كان قد بدا منه سيئة فأمر المؤمنين أهل العفو عنه، وما زالت العبيد تجني والموالي تعفو. فشرع الخليفة يُعِدُّ سيئاته، والوزير يقول: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] فقال الخليفة: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥] قد عفونا عنه بشفاعة السلطانين.

(١) في (ع) و(ح): ابن مامه، وهو خطأ، وسيأتي اسمه على الصواب في ترجمته ص ٣٣٥ من هذا الجزء.

(٢) كذا في (ع) و(ح)، ولم أتبينها.

وحجَّ بالناس نظر الخادم.

[فصل : وفيها توفي

أحمد بن محمد بن علي^(١)

ابن محمود، أبو سعد، الصوفي، الزَّوْزَنِي.

ولد في ذي الحِجَّة سنة تسع وأربعين وأربع مئة، وسمع الحديث الكثير، وتوفي يوم الخميس تاسع عشرة شعبان، ودفن يوم الجمعة عند رباط جده أبي الحسين الزَّوْزَنِي حذاء جامع المنصور.

سمع القاضي أبا يعلى بن الفراء، وغيره. وقد تكلم فيه أبو سعد بن السَّمْعَانِي، فقال : كان يشرب.

قال جدي : ولا أدري من أين كان له ذلك، ولا يلتفت إلى ابن السمعاني، فإن أبا الفضل بن ناصر قال : رأيت في المنام وعليه ثياب حسنة، فقلت له : ما فعل الله بك؟ فقال : غفر لي. فقلت : وأين أنت؟ فقال : مع أبي في الجنة^(٢).

فصل : وفيها توفي

إسماعيل بن أحمد^(٣)

ابن عمر بن أبي الأشعث، أبو القاسم، السَّمَرْقَنْدِي.

ولد بدمشق في رمضان سنة أربع وخمسين وأربع مئة [وسمع شيوخ دمشق، ثم قدم بغداد فسمع شيوخها، وكان دلالاً يبيع الكُتُب]^(٤)، وكان فيه يقظة، وله معرفة بالحديث. وقال أبو العلاء الهَمَذَانِي : ما أعدلُّ به أحداً من شيوخ خراسان ولا العراق.

(١) له ترجمة في «الأنساب» : ٣٢٢/٦ ، و«المنتظم» : ٩٧-٩٨/١٠ ، و«مشيخة ابن الجوزي» : ٩٩-١٠٠ ، و«سير أعلام النبلاء» : ٥٧-٥٨/٢٠ ، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم» : ٩٧-٩٨/١٠ ، و«مشيخة ابن الجوزي» : ١٠٠ .

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س) : ٨١٩/٢ ، و«المنتظم» : ٩٨-٩٩/١٠ ، و«الكامل» : ٩٠/١١ ،

و«سير أعلام النبلاء» : ٢٨-٣١/٢٠ ، وفيه تنمة مصادر ترجمته، وقد سلفت ترجمة أخيه أبي محمد ص ١٦٢.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقال: رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ في المنام، وهو مريضٌ، وقد مدَّ رجله، فجعلتُ أُقْبِلُ أخمصَ قَدَمَيْهِ وأمرُّغ وجهي عليهما، فحكيت هذا المنام لأبي بكر بن الخاضبة، فقال: أبشِّرْ يا أبا القاسم بطول البقاء، وانتشار الرواية عنك لأحاديث رسول الله ﷺ، فإنَّ تقبيل قدميه اتِّباعٌ لأثره، وأما مَرَضُهُ ﷺ، فَوَهْنٌ يحدثُ في الإسلام. فما أتى على هذا إلا قليلٌ حتى استولى الفرنج على بيت المقدس.

وكانت وفاته ليلة الثلاثاء سادس عشرين ذي القعدة عن اثنتين وثمانين سنة وثلاثة أشهر، ودفن بباب حَرْب [في مقام الشهداء]^(١)، غربي بَشْرِ الحافي [وهذه المقبرة يسميها أهل بغداد مقابر الشهداء، يزعمون أن فيها قبور قوم شهدوا مع عليٍّ عليه السَّلام قتل الخوارج بالنَّهروان وارتثوا]^(٢) في الوقعة، فلما رجعوا أدركهم الموت في هذه المقبرة. قال الخطيب: كان حمزة بن محمد بن طاهر ينكر هذا ويقول: لا أصل له^(٣).

سمع ابنُ السَّمَرَقَنْدِي من ابن النُّقُور^(٤) وغيره^(١)، وكان يُنشد: [من الطويل]
وَأَعْجَبُ ما في الأَمْرِ أَنْ عِشْتُ بَعْدَهُمْ على أَنَّهُم ما خَلَّفُوا فيَّ مِنْ بَطْشِ
الحسام [عمر بن]^(٥) عبد العزيز ابن مازة^(٦)

إمام الحنفية ببخارى، وصَدْرُ الإسلام.

كانت له الحُرمة العظيمة، والنَّعمة الجليلة، والمال الكثير، والتَّصانيف المشهورة، وكان الملوك يَصْدُرُون عن رأيه.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ارتث فلان: حل من المعركة جريحاً وبه رمق. «معجم متن اللغة»: ٥٤٦/٢.

(٣) «تاريخ بغداد»: ١٢٦/١-١٢٧، وانظر «المنتظم»: ٩٩/١٠، وحمزة بن محمد بن طاهر هو الدقاق، محدث، صدوق، توفي سنة (٤٢٤هـ)، وانظر ترجمته في «تاريخ بغداد»: ١٨٤-١٨٥.

(٤) قال ابن عساكر في «تاريخه»: ٨١٩/٢: سمعته مرّة يقول: أنا أبو هريرة في ابن النُّقُور. يعني لكثرة ملازمته له وسماعه منه، فقلَّ جزء قرئ على ابن النُّقُور إلا وقد سمعه منه مراراً.

(٥) ما بين حاصرتين ليس في (ع) و(ح)، واستدركناه من مصادر ترجمته، وقد جاء اسمه على الصواب عند ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٢٦٨/٥، وهو كثير النقل عن سبط ابن الجوزي في «المرآة».

(٦) له ترجمة في «الكامل»: ٨٦/١١، و«الجواهر المضية»: ٦٤٩-٦٥٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٩٧/٢٠،

و«تاج التراجم»: ١٦١-١٦٢، وفيهما تنمة مصادر ترجمته.

ولما عَزَمَ سنجر على لقاء الخطا أخرجه معه، وفي صُحْبته من الفقهاء والخطباء والوعاظ والمُطَوِّعة ما يزيد على عشرة آلاف، فَقُتِلُوا عن آخرهم، وأسروا الحسام وأعيان الفقهاء، فلما فَرَّغَ المصافُ أحضرهم ملكُ الخطا، وقال: ما الذي دعاكم إلى قتالِ مَنْ لم يقاتلكم، والإضرار بمن لم يضرَّكم؟ فأنتم سببُ الفساد؛ لأنكم تحرِّضون على قتال من لا آذاكم. فضرب أعناق الجميع، رحمهم الله تعالى.

محمد بن محمد بن أبي الوفاء^(١)

القاضي الأصبهاني، ولي القضاء بعسكر مكرم^(٢)، ودرَّس بالنظامية، وكان حَسَنَ السَّيرة، فاضلاً، وقيل: تأخَّرت وفاته إلى سنة سبع وثلاثين، ومن شِعره: [من المتقارب]
إذا لآخَ مِنْ أَرْضِكُمْ بُرْقَةٌ شَمَمْتُ الْوِصَالَ بِإِقْبَالِهَا
ولو حَمَلْتَنِي الصَّبَا نَحْوَكُمْ تَعَلَّقُ رُوحِي بِأَذْيَالِهَا

هبة الله بن أحمد بن عبد الله^(٣)

ابن علي بن طاوس، [أبو محمد، المقرئ، البغدادي.

انتقل والده إلى دمشق، فأقام بها، فولد هبة الله في سنة اثنتين وستين وأربع مئة، وكان فاضلاً، قارئاً، حسن التلاوة، وختم القرآن عليه خلق كثير، وأملى الحديث و[^(٤) توفي في المحرم، ودفن بباب الفراديس، وحَضَرَهُ خَلْقٌ عَظِيمٌ. [هذا صورة ما ذكره جدي في «المنتظم»^(٥).

(١) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ١٤٤/١.

(٢) مدينة اختطها العرب قرب رستقباد في خوزستان، وتنسب إلى مكرم بن معزاء الحارث صاحب الحجاج بن يوسف الثقفي، وخوزستان هي المعروفة الآن بعرب ستان، أي إقليم العرب، وقد زال اسم عسكر مكرم من الخارطة، ولكن موضعها تشير إليه الخرائب المعروفة باسم بندقير أي (سد القير) حيث يلتقي آب كركر بنهر كارون، انظر «معجم البلدان»: ١٢٣/٤، و«بلدان الخلافة الشرقية»: ٢٦٧، ٢٧١ - ٢٧٢.

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ٤١٠-٤١١/٣، و«المنتظم»: ١٠١/١٠، و«معجم البلدان»: ١٩٩/٢، و«الكامل»: ٩٠/١١، و«اللباب»: ٣٢٢-٣٢٣/١، و«مختصر ابن عساكر» لابن منظور: ٦٥/٢٧، و«معرفة القراء الكبار»: ٩٤٥-٩٤٦/٢١، و«سير أعلام النبلاء»: ٩٨-٩٩، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) «المنتظم»: ١٠١/١٠.

وذكره الحافظ ابن عساكر، وقال: ابن طاوس^(١) كان إمام جامع دمشق [سمع أباه وأبا العباس ابن قُبَيْس، وقيل: لم يلحقه، وكان قد قرأ القرآن بالسبعة على أبيه، وكان يؤدِّب الصبيان بسوق الأحد، فلما انتصب لإمامة جامع دمشق ترك ذلك، وكان ثقة، حسن الصَّوت بالقرآن، صحيح الاعتقاد]^(٢).

قال ابن عساكر: أنشدنا لعلِّي بن أحمد النُّعَيمي البَصَري^(٣): [من المتقارب]

إِذَا أَظْمَأْتُكَ أَكْفُ اللَّئَامِ	كَفْتُكَ الْقِنَاعَةَ شُبْعاً وَرِيّاً
فَكُنْ رَجُلاً رَجُلُهُ فِي الثَّرَى	وهِمَّةُ هَامَتِهِ فِي الثُّرَيَّا
أَبِيَّ النَّائِلِ ذِي ثُرْوَةٍ	تَرَاهُ بِمَا فِي يَدَيْهِ أَبِيّاً
فَإِنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ الْحَيَا	ةً دُونَ إِرَاقَةِ مَاءِ الْمُحَيَّا

السَّنة السَّابعة والثلاثون وخمس مئة

فيها بعث سنجر إلى مسعود يأمره بالتَّصَرُّف في الرِّي والمقام بها بحيث إن دَعَتْهُ حاجةٌ استدعاه؛ لأجل ما نَكِبَ به من الخطأ.

وأمر الخليفة أن لا يُخاطب أحدٌ بمولانا الوزير.

وولى القاضي الزَّيْنَبِي أبا يعلى محمد بن محمد بن الفَرَّاء قضاء واسط، وخرج إليها.

وفيها جمع سنجر العساكر، وعَزَمَ على قصد خوارزم شاه، وكان ملك الخطا قد

عاد إلى بلاده، وجاء سنجر، فنزل على جيحون، وقال: لا بُدَّ من العبور إلى خوارزم

شاه. وجاء خوارزم شاه إلى جانب جيحون، وبعث إلى سنجر الأموال التي أخذها من

بَلُخ، وصناديق الجَوْهر، وَضَمِنَ له مالا، وقال للرسول: قُلْ له احقن الدِّماء، فَإِنَّ عَوْدَ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) كان النعيمي حافظاً عارفاً، متكلماً شاعراً، توفي سنة (٤٢٣هـ)، له ترجمة في «تاريخ بغداد»:

١١ / ٣٣١-٣٣٢ - والأبيات فيه - و«سير أعلام النبلاء»: ١٧ / ٤٤٥-٤٤٧ ، و«طبقات علماء الحديث»

لابن عبد الهادي: ٣ / ٣٠٥-٣٠٦ ، وفيهما تنمة مصادر ترجمته.

ملك الخطأ أسهل من كل شيء. فقال سنجر: لا بُدَّ من العبور إليه. فركب سنجر في عساكره، وحوارزم في عسكره، وتقابلا^(١) على جيحون، فانفرد خوارزم شاه من عسكره، ونزل، فقَبِلَ الأرض لسنجر، فانصرف عنه إلى مَرُو.

وفيها ملك زَنَكِي قلعة الحديثة التي على الفرات، ونقل ما كان بها من آل مُهَارِش إلى المَوْصل، ورَتَّبَ فيها نوابه.

وفيها استولى مسعود بن قليج رسلان على بلاد الرُّوم؛ أخذها من محمد بن غازي، ويعرف بالدَّانْشَمَنْد^(٢)، وكان مقامه بِمَلْطِيَّة، فأخرجه منها^(٣).

وحج بالنَّاسَ نَظَرَ الخادم.

فصل: وفيها توفي

الحسن بن محمد بن علي بن أبي الضَّوء^(٤)

أبو محمد، الشَّريف الحُسَيْنِي، نقيب مشهد موسى بن جعفر عليهما السلام ببغداد، ومن شِعره مَرثِيَّة في النَّقِيب الطَّاهِر، منها: [من الخفيف]

قَرَّبَانِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَقْفُ رُ [إِلَى جَنْبِ]^(٥) قَبْرِهِ فَاغْقِرَانِي
وَانْضَحَا مِنْ دَمِي عَلَيْهِ فَقَدْ كَا نَ دَمِي مِنْ نَدَاهُ لَوْ تَعْلَمَانِ

(١) في (ح): وتقاتلا.

(٢) الدانشمند: لفظ فارسي بمعنى عالم أو ذكي أو ماهر، وهو يتألف من الكلمة الفارسية «دانش» بمعنى علم، والمقطع «مَنْد» بمعنى ذو أو صاحب، ويطلق هذا اللقب على الفقهاء، وقد أشار ابن الأثير إلى أن الدانشمند كان في أوليته معلماً للتركمان. انظر «الألقاب الإسلامية» د. حسن الباشا: ص ٢٨٧، «الدانشمنديون»: ص ١٦.

(٣) في «الكامل» لابن الأثير: ٩٢/١١ أن محمداً توفي في هذه السنة، واستولى على بلاده مسعود بن قليج رسلان. وانظر «الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول» للدكتور علي بن صالح المحميد: ص ١١١-١١٤.

(٤) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٣٥٦/٥، و«الوافي بالوفيات»، ٢٣٤/١٢، و«النجوم الزاهرة»: ٢٧١/٥، وانظر «وفيات الأعيان»: ٢٣٦/٢ وقد ساق البيهقي في ترجمة خالد الكاتب في قصة طريفة.

(٥) ما بين حاصرتين ليس في (ع) و(ح)، والمثبت من «النجوم الزاهرة».

الملك داود بن السُّلطان محمود^(١)

ابن محمد بن ملك شاه، صاحب أذربيجان الذي كسر مسعوداً^(٢)، وجرت له معه حروبٌ كثيرة، واستولى على تلك النواحي.
ركب يوماً في سوق توريز، فوثبَ عليه قومٌ من الباطنية، فقتلوه غيلةً، وقُتلوا، وقُتلَ معه جماعةٌ، ودُفن بتوريز، وكان شجاعاً، جَوَاداً، عادلاً، يباشر الحروب بنفسه.

عبد المجيد بن إسماعيل بن محمد^(٣)

أبو سعد^(٤)، الهَرَوِي، الحنفي، قاضي بلاد الرُّوم.
له مصنفاتٌ في الأصول، والفروع، وخطبٌ ورسائل، توفي بَقَيْسَارِيَّة في رجب،
ومن شعره: [من الكامل]

وَإِذَا أَتَيْتَ إِلَى الْكَرِيمِ خَدِيعَةً فَرَأَيْتَهُ فِيمَا تَرُومُ مُسَارِعُ
فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَمْ تَخَادِعْ جَاهِلاً إِنَّ الْكَرِيمَ بِفَضْلِهِ يَتَخَادِعُ

محمد بن عبد الله بن أحمد^(٥)

أبو الفضل، [الخطيب]^(٦)، ابن المهدي.
ولد في ذي الحِجَّة سنة تسع وأربعين وأربع مئة، [وسمع الحديث، وقرأ القرآن
بالروايات، وشهد عند القاضي أبي الحسن الدَّامَغَانِي، و]^(٦) رَدَّتْ إِلَيْهِ الْخُطَابَةُ بِجَامِعِ
الْمَنْصُورِ، وَجَامِعِ الْقَصْرِ، وَسَرَدَ الصَّوْمُ نَيْفًا وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا.

(١) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٣٣، و«الوافي بالوفيات» ١٣/٤٩٥، و«السلوك» للمقرئزي: ج ١/١ ق ٥٦، و«النجوم الزاهرة»: ٥/٢٧١-٢٧٢، وقد سلفت أخباره على السنين.
(٢) انظر ص ٢٩٦ من هذا الجزء.

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٠/٤٤٤-٤٤٥، و«مختصره لابن منظور»: ١٥/١٨٥، و«معجم البلدان»: ١/٢٧٦، و«الجواهر المضية»: ٢/٤٦٥-٤٦٦، و«النجوم الزاهرة»: ٥/٢٧٢، و«تاج التراجم»: ١٣٧-١٣٨، و«الفوائد البهية»: ١١٢.

(٤) في «الجواهر» و«النجوم» و«التاج»: أبو سعيد، وإخاله تصحيفاً.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/١٠٥، و«معرفة القراء الكبار»: ٢/٩٤٨-٩٤٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/١١٥-١١٦، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

توفي في جُمادى الأولى، ودفن قريباً من دِكة الإمام أحمد [بن حنبل^(١)]، عند جدّه لأمه أبي الوفاء ابن القوّاس بعد فتنة؛ لأن الحنابلة منعه لكونه شافعيّاً، فأمر المقتفي بذلك، ولم يلتفت إلى العامة. وقيل: إنه أوصى بذلك.

سمع أبا الحسين بن المهدي، وأبا الغنائم بن المأمون، وطراداً، وجدّه لأمه أبا الوفاء، وغيرهم، وكان ثقةً صالحاً.

السنة الثامنة والثلاثون وخمس مئة

فيها قدم السلطان مسعود بغداد في ربيع الآخر، فنزل أصحابه في دور الناس، وكثر فساد العيارين، وكان أبو الكرم الوالي قد عزّل نفسه، وحلق رأسه، وقعد في رباط أبي النّجيب، فأعيد إلى الولاية، [وجعل العيارون لهم]^(٢) عيوناً على [الناس من]^(٣) النساء [والرجال]^(٣)؛ يدخلون البيوت، ويهجمون على الناس، ويكبسون الخانات نهاراً، فيأخذون أمتعة الثّجار، فأغلقت الدّكاكين والخانات، ولبس الناس السلاح، وعزّ على مسعود ذلك، وغلّق الناس أبواب الجوامع، وكسروا المنابر، وظهر في العسكر رجلٌ عيّار من ولد قاروت بك ابن عمّ السلطان مسعود [ومعه جماعة]^(٤)، فأخرجت العملات من داره، وكان نازلاً بدرب صالح، فأمر مسعود بصلبه، وصلب أصحابه، فصلبوا على باب الدّرب، فسكن الناس.

وعزّم السلطان على قصد الموصل، فصانع زنكي بمئة ألف دينار^(٥).

وفيها قدّم مع السلطان [مسعود]^(٦) فقيه كبير القدر، حنفيّ المذهب، اسمه الحسن ابن أبي بكر النّيسابوري، وكان عارفاً بالمذهب واللّغة [والنظر]^(٦) فجلس بجامع

(١) في (ع) و(ح): من دكة الإمام أحمد، رحمة الله عليه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): وجعل لهم العيارين، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠٦/١٠.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في «المنتظم»: ١٠٥/١٠: فمن الحوادث فيها أن السلطان جمع العساكر لقصد الموصل والشام، وترددت

رسل زنكي حتى تم الصلح على مئة ألف دينار تحمل في ثوب [في المطبوع: ثوب!]، فحمل ثلاثين ألفاً، ثم

تقلبت الأحوال، فاحتيج إلى مداراة زنكي، وسقط المال، وقيل: بل خرج ابن الأنباري فقبض المال.

(٦) ما بين حاصرتين من (ح) و(م) و(ش).

المنصور، وجامع القصر، وصرَّح بلعنة أبي الحسن الأشعري على المنابر، وكان يقول: كُنْ شافعيّاً ولا تكن أشعريّاً، وكن حنفيّاً ولا تكن معتزليّاً، وكن حنبليّاً ولا تكن مشبهيّاً. وكان يقول: ما رأيتُ مثل أصحاب الشافعي يتركون الأصل ويتعلّقون بالفرع. ومدَح الأئمة، وذمَّ الأشعري. وقال: زاد في الشُّطرنج بغلاً، والبغل مختلِط النِّسب، وليس له أصل [صحيح]^(١). فقام أبو محمد بن الباطوخ^(٢)، فأنشده قصيدةً في هذا المعنى، وهي: [من مجزوء الكامل]

صَرَفُ الْعَيُونِ إِلَيْكَ يَحْلُو
وَالنَّاسُ لَوْ مَتَّعْتَهُمْ
مِنْ أَيْنَ وَجْهٍ مَلَالِهِمْ
لَوْ رَمَتْ بَذَلُ نَفْسِهِمْ
وَأَفِيَتْ فَا بَتَسْمِ الْهَدَى
وَنَهَضَتْ فِي^(٣) نَصْرِ الْكِتَا
لِمَعَانِهِ يَوْمَ التَّنَا
أَنْعَشْتَ خَامِلَ مَعْشَرٍ
وَعَقَدْتَ حِينَ نَصْرَتِهِمْ
وَقَمَعْتَ أَحْدَاثَ^(٤) الضَّلَا
وَقَطَعْتَ شَمْلَهُمْ وَلِي—

وَكثِيرُ لَفْظِكَ لَا يُمَلُّ
بِكَ أَلْفَ عَامٍ لَمْ يُوَلُّوا
وَعَرَامُهُمْ بِكَ لَا يَقِلُّ
بَذَلُوا رِضَى لَكَ وَاسْتَقَلُّوا
وَأَنَارَ دِينَ مُضْمَحِلُّ
بِ بَحْدٍ عَضْبٍ لَا يُفَلُّ
ضَلَّ بِالْأَدْلَةِ يُسْتَهَلُّ
مِنْ بَعْدِ مَا ضَعُفُوا وَقَلُّوا
فِي الدِّينِ عَقْدًا لَا يُحَلُّ
لَ فَهَانَ ذِكْرُهُمْ وَذَلُّوا
سَ لَهُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ شَمْلُ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ترجم العماد في «الخريدة» قسم شعراء العراق: ج ١/ ٣٤٦-٣٤٨، للمعين بن الباطوخ، وأورد له قصيدة في مرثية أبي الفتوح الإسفراييني - وستأتي ص ٣٤٦ - وترجم الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ١/ ١٧١ لابن باطوخ الواعظ، وهو محمد بن محمد بن علي بن طالب أبو عبد الله الحنبلي، وساق له أبياتاً من شعره، وذكر أن وفاته سنة (٥٤٤هـ).

وما أدري إن كان أبو محمد هذا هو المعين بن باطوخ، أو غيره، وكذلك لم يعينه العلامة محمد بهجة الأثري في حاشيته على «الخريدة»، فانظره.

(٣) في (ع) و(ح): عن، والمثبت من «المنتظم».

(٤) في «المنتظم»: أخذان.

كَمْ ذَا التَّحْدِي بِالْدَلِي — ل لُهُمْ وَكَمْ عَجَزُوا وَكَلُّوا
 أَنْذَرُهُمْ فَإِنْ أَنْتَهُوا — عَنْ أَجْرِهِمْ^(١) أَوْ لَا فَقَتُلُ
 مَا تَمَّ غَيْرَ أَبِي حَنِيفٍ — فَةِ وَالْمَدِيحُ لَهُ يَحُلُ
 وَفَقِيهِ طَيِّبَةُ مَالِك — طَوْدُ لَهُ زُهْدٌ وَفَضْلُ
 وَفَتَى ابْنِ حَنْبَلٍ وَالْحَدِيد — تُ عَنْ ابْنِ حَنْبَلٍ لَا يَمَلُ
 وَالشَّافِعِيُّ وَمَالَهُ — فِيمَنْ تَقَدَّمَ قَطُّ مِثْلُ
 فَهُمْ أَدَلُّنَا وَمَنْ — يَهْدِي بِغَيْرِهِمْ يَضِلُ
 كُنَّا نَعِدُّ خِلَافَهُمْ — صَلَحًا وَنَذَرُشُهُ وَنَثَلُوا
 حَتَّى بُلَيْنَا بِالْخِلَا — فِي وَزَادَ فِي الشُّطْرَنْجِ بَغْلُ
 وَالْجِنْسُ يَضْبِطُ فِي الْبَهَا — ثُمَّ أَصْلَحَهَا وَالْبَغْلُ بَغْلُ^(٢)

ثم جلس النيسابوري يوم الجمعة العشرين من رجب في دار السلطان وحضر [السلطان] مسعود [إلى عنده]^(٣)، فوعظه، وبالع. وكانوا قد كتبوا على باب النظامية اسم [أبي الحسن]^(٣) الأشعري، فعرف النيسابوري للسلطان مذهب الأشعري، وقال: هذا يقول ليس له في الأرض كلام^(٤). فتقدم بمحو اسم الأشعري، وكُتب اسم الشافعي مكانه.

وكان أبو الفتوح الإسفراييني يعظ في رباطه، وينصر مذهب الأشعري، وكان أبو الحسن الغزنوي^(٥) يعظ أيضاً، وكان يدخل على السلطان. فقال له [الغزنوي]^(٣): يا سلطان، سبب الفتن التي تجري في بغداد أبو الفتوح الإسفراييني، وقد رُجم مراراً، والصواب إخراجه من البلد. فتقدم السلطان بإخراجه، فأخرج في رمضان، فمات بإسفرايين، [وسنذكره]^(٦).

(١) كذا في (ع) و(ح)، وفي «المنتظم»: عن كفرهم!

(٢) القصيدة في «المنتظم»: ١٠٧/١٠.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) كان الحسن النيسابوري يميل إلى رأي المعتزلة في أن القرآن مخلوق. انظر «المنتظم»: ١٤٣/١٠.

(٥) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٥١هـ).

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وستأتي ترجمته ص ٣٤٥.

وخرج النِّسابوري إلى بلده، فأقام به إلى سنة خمس وأربعين، [فتوفي بها] ^(١)،
وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها توجه مسعود إلى هَمَذَان في شَوَّال. وزُلْزِلَتِ الأرضُ زلزلة عظيمة، وظهر
كوكب الذَّنْب ببغداد، ودام عشرة أيام.

وفيها استولى عمران بن محمد بن سبأ بن زُرَيْع ^(٢) داعية المصريين على اليمن
بأسره: البلاد والقلاع، والرمل والجبل، وكان شاعراً فاضلاً، شجاعاً، مُمدِّحاً، وفيه
يقول عمارة اليمني ^(٣): [من الكامل]

ملكٌ يَشْفُ عليه نورٌ كماله	فيكاد يُلَحَظُ من وراء حجابِه
داني منال الجُودِ من زوَّاره	نائي محلِّ المَجْدِ من طلابِه
صَعْبُ المقاصِدِ ليس يرضى همُّه	أنَّ يرتقي في المَجْدِ غير صِعبِه
وحج بالنَّاسِ نظر الخادم.	

فصل: وفيها توفي

عبد الوهَّاب بنُ المبارك ^(٤)

ابن أحمد بن الحسن، أبو البركات، الحافظ، الأنماطي.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر وفاته سنة (٥٤٥هـ).

(٢) هذا الخبر من أوهام سبط ابن الجوزي، إذ إن أول من استولى على اليمن ولقب بالداعي من الزُّريعيين سبأ بن أبي السعود بن زريع، وتوفي سنة (٥٣٣هـ)، ثم ولي بعده ابنه الداعي محمد بن سبأ، وتوفي على أصح الروايات سنة (٥٥٠هـ)، ثم بعده استولى الداعي عمران بن محمد المذكور هنا على اليمن بأسره، وعظم شأنه، وقصده الشعراء، واستمر يحكم حتى وفاته سنة (٥٦١هـ) بعدن، ثم حمل إلى مكة فدفن فيها، انظر ترجمته في «تاريخ ثغر عدن» لباخرمه: ٢١٤-٢١٨، و«العقد الثمين»: ٤٢٣-٤٢٤/٦، و«طبقات فقهاء اليمن»: ١٦٨-١٦٩.

(٣) وهذا أيضاً من أوهام سبط ابن الجوزي، إذ إن القصيدة لأبي بكر بن أحمد بن محمد العيدي اليمني - وفي اسمه ونسبته اضطراب - وقد أوردها العماد في «الخريدة» في ترجمته، وقد نقلها عن عمارة اليمني من كتابه «المفيد في أخبار زبيد» فظنها لعمارة، والله أعلم. انظر «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١٥٢/٣، ١٥٨، ١٦٤-١٦٧، و«معجم البلدان»: ٨٦/١، و«طبقات فقهاء اليمن»: ١٦٩، و«الأعلام» للزركلي: ٢١٦/١.

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠٨/١٠-١٠٩، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٩٢-٩٣، و«مناقب الإمام أحمد»: ٦٣٨، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٣٨٠-٣٨٤/١، و«طبقات علماء الحديث»: ٥٦/٤-٥٧، و«سير أعلام النبلاء»: ١٣٤-١٣٦/٢٠، وفيهما تنمة مصادر ترجمته.

ولد في رجب سنة اثنتين وستين وأربع مئة، وكان ورعاً، صالحاً، صحيح السماع. قال أبو الفرج بن الجوزي: كنت أقرأ عليه الحديث، وهو يبكي، فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، وانتفعت به مالم أنتفع بغيره. ودخلت عليه في مرضه، وكان قد بلي ونحل جسمه، فبكيت، فقال: إن الله لا يهتم في قضائه^(١).

قال أبو الفرج: كنا ننتظره يوم الجمعة بجامع المنصور، ليأتي من داره بنهر القلائين، فلا يمشي على [قنطرة باب البصرة، وأنا يمرُّ على]^(٢) القنطرة العتيقة، فسألته عن ذلك، فقال: كان موضعها دار ابن معروف القاضي^(٣)، فلما قبض عليه بُنيت قنطرة، وحدثني أبو محمد التميمي أن ابن معروف أحلَّ من يغبرُّ عليها، وأما أنا فلا أعبر عليها. وتوفي يوم الخميس حادي عشرة المحرم، وصلى عليه أبو الحسن الغزنوي، وأجمعوا على دينه، وثقته.

علي بن طراد بن محمد^(٤)

ابن علي بن أبي تمام، أبو القاسم، الزينبي. ولد سنة اثنتين وستين وأربع مئة. ولأه المستظهر نقابة النُّباء، وخلع عليه، ولقبه الرضا ذا الفخرين، وهي ولاية أبيه. وكان يركب مع المستظهر. وهم بيت الرياسة والتقدم؛ وكان طراد نقيب النُّباء، وأبو طراد محمد ولي نقابة النُّباء، وأبوه علي ولي نقابة النُّباء، وأبوه أبو تمام كان قاضياً.

(١) «المنتظم»: ١٠٨/١٠.

(٢) ما بين حاصرتين من «صفة الصفوة»: ٤٩٩/٢، والخبر فيه.

(٣) هو قاضي القضاة، شيخ المعتزلة، أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف البغدادي، وكان من ألباء القضاة، توفي سنة (٣٨١هـ)، له ترجمة في «تاريخ بغداد»: ٣٦٥-٣٦٨/١٠، و«المنتظم» ١٦٦/٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٢٦/١٦-٤٢٧.

(٤) له ترجمة في «الأنساب»: ٣٤٦/٦، و«المنتظم»: ١٠٩/١٠، و«الكامل»: ٩٧/١١، و«الفخري»: ٣٠٥-٣٠٦، و«سير أعلام النبلاء»: ١٤٩/٢٠-١٥١، وفيه تمة مصادر ترجمته.

وتقلّبت بصاحب هذه الترجمة الأحوال، ووزَرَ للمسترشد، ثم للمقتفي، ثم تغيّر عليه، وأقام بداره معزولاً إلى غُرّة رمضان، ومات عن ستّ وسبعين سنة، وأوصى إلى ابن عمّه قاضي القضاة عليّ بن الحسين^(١)، فأمضى المقتفي وصيّته، وبعث له الأكفان والطّيب، ودُفِنَ بداره بباب المراتب، ثم نُقِلَ إلى تربته بالحريّة ليلة الثلاثاء سادس عشرة رجب سنة أربع وأربعين، وبين يديه العلماء، وأرباب الدّولة، والوعاظ، والشموع الزّائدة على الحدّ، وكانت ليلة مشهودة، ومدحه الحَيَصَ يَيَصُ^(٢)، فقال: [من الكامل]

ما أنصفتُ بغدادَ ناشئها الذي كثر الثَّنَاءُ به على بغداد
سَلُ بي^(٣) إذا مدَّ الجدالُ رواقه بصوارم غير السيوف جداد
وذعرت^(٤) ألبابَ الخصوم بخاطر يقظان في الإصدار والإيراد
فتصدّعوا متفرّقين كأنهم مالٌ تُفرّقه يدُ ابنِ طراد^(٥)

محمد بن الفضل بن محمد^(٦)

أبو الفتوح الإسفرايني.

ولد سنة أربع وسبعين وأربع مئة بإسفرايين، وقَدِمَ بغداد، وتكلّم بمذهب الأشعري، وبالغ في التعصّب، فقامت الفتن واللّعان في الأسواق، وأفضى إلى الضّرب والنّهب، واستحلال الأموال والدّماء، ودخل النّيسابوري^(٧) على مسعود، وقَدَح فيه، فقال له: تقلّد دمه حتى أقتله. فقال: لا أتقلّد. فوَكَّلَ السُّلطان بأبي الفتوح في شعبان، فأخرج من بغداد، وحُمِلَ إلى النّهروان، فدخل أبو النّجيب ويوسف الدّمشقي، وأبو منصور بن

(١) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٤٣هـ).

(٢) هو أبو الفوارس سعد بن محمد، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٧٤هـ).

(٣) في (ع) و(ح): سكن، وفي «المنتظم»: ٢٨٨/١٠ شاني، وكلاهما تحريف، والمثبت من «الخريدة».

(٤) في (ع) و(ح): وذكرت، وهو تحريف، والمثبت من «المنتظم»، و«الخريدة».

(٥) الأبيات في «المنتظم»: ٢٨٨/١٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢٢٥/٢.

(٦) له ترجمة في «تبيين كذب المفتري»: ٣٢٨-٣٢٩، و«المنتظم»: ١١٠-١١٢، و«الكامل»:

٩٦-٩٧، و«الوافي بالوفيات»: ٣٢٣-٣٢٤، و«سير أعلام النبلاء»: ١٣٩-١٤٢ وفيه تنمة

مصادر ترجمته.

(٧) هو الحسن بن أبي بكر النيسابوري، وقد سلف ذكره ص ٣٤٠.

الرَّزَّازَ عَلَى السُّلْطَانِ، وَسَأَلُوهُ فِيهِ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ، وَسَارُوا بِهِ نَحْوَ إِسْفَرَايِينَ، فَمَاتَ بِبِسْطَامَ^(١) فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَوَصَلَ الْخَبْرُ بِمَوْتِهِ إِلَى بَغْدَادَ، فَقَعَدُوا لِلْعَزَاءِ بِهِ، فَحَضَرَ الْغَزْنَوي، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْعَامَّةِ: مَا حَضَرْتَ إِلَّا شِمَاتَةً بِهِ. فَقَامَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ، فَأَنشَدَ:
[من الوافر]

خَلَا لَكَ يَا عَدُوَّ الْجَوِّ فَاصْفِرْ وَنَجَّسْ فِي صُعودِكَ كُلَّ عُودٍ
كَذَاكَ الثُّغْلَبَانُ يَجُولُ كِبْرًا وَلَكِنْ عِنْدَ فَقْدَانِ الْأَسْوَدِ
وَقِيلَ لِلْغَزْنَوي: أَنْتَ كُنْتَ هَاجِرَهُ، وَتَذَكَّرَهُ حَالِ حَيَاتِهِ بِمَا لَا يَحْسُنُ، فَكَيْفَ
حَضَرْتَ عَزَاءَهُ، وَأَظْهَرْتَ الْحُزْنَ عَلَيْهِ وَالْبُكَاءَ؟! فَقَالَ: إِنَّمَا بَكَيتُ عَلَى نَفْسِي، كَانَ
يُقَالُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَمَا يُعْدَمُ النَّظِيرُ إِلَّا وَيُنْذَرُ الْآخِرُ بِالرَّحِيلِ، وَأَنشَدَ: [من الكامل]

ذَهَبَ الْمُبَرَّدُ وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُ وَسَيَنْقُضِي بَعْدَ الْمُبَرَّدِ ثَغْلَبُ^(٢)
وَرِثَاهُ الْمَعِينُ^(٣) بَنَ الْبَاطُوخَ الْبَغْدَادِي، فَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ: [من الرَّمْلِ]

أَيُّهَا الرُّكْبُ ابْلُغُوا بُلْغَتُمْ أَنْ سُقْمِي صَدَّنِي عَنْ سَفَرِي
وَإِذَا جِئْتُمْ نَبِيَّاتِ اللَّوَى فَلِجُوا رَبْعَ الْجِمَى فِي خَطَرِ^(٤)
وَصِفُّوا شَوْقِي إِلَى سُكَّانِهِ وَادْكُرُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنْ خَبَرِي
وَحَنِينِي نَحْوَ أَيَّامٍ مَضَتْ بِالْجِمَى لَمْ أَقْضِ مِنْهَا وَطَرِي
فَاتَنِي فِيهَا مُرَادِي وَحَلَا لَتَمَنِّي الْقُرْبُ مِنْهَا سَهْرِي
كُنْتُ أَخْشَى فَوْتَهَا قَبْلَ النَّوَى فَرَمَانِي حَذَرِي فِي حَذَرِي
أَهْ وَاشَوْقِي إِلَى مَنْ بَدَّلُوا صَفُّوْا عَيْشِي بَعْدَهُمْ بِالْكَدَرِ
كَلَّمَا اشْتَقْتُ تَمَنِّيْتُهُمْ ضَاعَ عُمْرِي بِالْمُنَى وَاعْمُرِي^(٥)

(١) بلدة كبيرة بقومس على جادة الطريق إلى نيسابور. «معجم البلدان»: ٤٢١/١.

(٢) هذا البيت من أبيات سائرة قالها أبو بكر الحسن بن علي المعروف بابن العلاف الضرير في رثاء المبرد، وابن العلاف من الشعراء المجيدين، وهو صاحب القصيدة المشهورة في رثاء الهر، توفي سنة (٣١٨هـ) وقيل سنة (٣١٩هـ)، انظر ترجمته في «وفيات الأعيان» ١٠٧/٢-١١١، وانظر الأبيات في «وفيات الأعيان»: ٣١٩/٤.

(٣) في (ع) و(ح) المعنى، ومثله في «الوافي الوفيات»، والمثبت من «الخريدة».

(٤) الخطر: التبخر، ومشية المعجب بنفسه. «اللسان» (خطر).

(٥) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٣٤٧-٣٤٨، و«الوافي بالوفيات»: ٣٢٤/٤.

محمد بن القاسم بن المُظَفَّر^(١)

ابن علي، أبو بكر الشَّهْرُزُورِي، القاضي، المَوْصِلِي.

ولد سنة أربع وخمسين وأربع مئة وولي القضاء بعدة بلدان من الشَّام والجزيرة، ونَزَلَ إلى بغداد، فتوفي بها، ومن شعره: [من الخفيف]

هِمَّتِي دُونَهَا السُّهَاءُ والثُّرَيَّا^(٢) قَدْ عَلَتْ جُهْدَهَا فَمَا تَتَدَانِي
فَأَنَا مُتْعَبٌ مُعَنَّى إِلَى أَنْ تَتَفَانِي الْإَيَّامُ أَوْ أَتَفَانِي^(٣)

محمود بن عمر بن محمد^(٤)

ابن عمر، أبو القاسم، الزَّمَخْشَرِي، وزمخشري: قرية من قرى خوارزم.

ولد في رجب سنة سبع وستين، وقيل: سنة أربع وستين وأربع مئة، ولقي العلماء، واشتغل بالأدب، والتفسير، وغريب الحديث، وأقام بخوارزم، ثم جاور بمكة، وسمي نفسه جار الله، وورد بغداد غير مرة، وكان ينصر مذهب المعتزلة، وصنف «الكشاف» في التفسير بمكة في سنتين ونصف، وصرح فيه بالاعتزال، وقال في أوله: الحمد لله الذي خَلَقَ القرآن، فنفرت قلوب أهل السنة منه، وهجروه، وجرى ذكر هذا التفسير في مجلس عون الدين ابن هبيرة الوزير^(٥)، فقال: عليّ به. فأحضر بخط المصنّف، وهو وقف بمشهد أبي حنيفة، فقال الوزير لمن حضر من العلماء: ما تقولون في هذا؟ فاتفقوا كلهم على غسل الكتاب. فقال أبو الفرج بن الجوزي: هذا كتاب فيه

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٤١٨-٤١٩/٧، و«الخريدة» قسم شعراء الشام: ٣٢٢/٢، و«المنتظم»: ١١٢/١٠، و«اللباب»: ٢١٦-٢١٧/٢، و«تاريخ إربل»: ٢٠٣-٢٠٦/١، و«وفيات الأعيان»: ٦٩-٧٠/٤، و«سير أعلام النبلاء»: ١٣٩/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) في «الخريدة»: والزباني، وهي كواكب من المنازل على شكل زباني العقرب، «معجم متن اللغة»: ١٥/٣.

(٣) البيتان في «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٣٢٢/٢، و«المنتظم»: ١١٢/١٠.

(٤) له ترجمة في «الأنساب»: ٢٩٧-٢٩٨/٦، و«نزهة الألباء»: ٣٩١-٣٩٣، و«المنتظم»: ١١٢/١٠، و«معجم البلدان»: ١٤٧/٣، و«معجم الأدباء»: ١٢٦-١٣٥/١٩، و«اللباب»: ٧٤/٢، و«الكامل»: ٩٧/١١، و«إنباء الرواة»: ٢٦٥-٢٧٢/٣، و«وفيات الأعيان»: ١٦٨-١٧٠/٥، و«إشارة التعيين»: ٣٤٥-٣٤٦، و«الوافي بالوفيات»: ٢٤٧/٢٥، و«سير أعلام النبلاء»: ١٥١-١٥٦/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٥) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٦٠هـ).

علوم من العربية، وما فيه أشنع من قوله في أوله: الحمد لله الذي خلق القرآن، فاكشطوه، واكتبوا موضعه: الحمد لله الذي أنزل القرآن^(١). فصوّبوا رأيه وقوله، وكان هناك ابن حرّكها^(٢) الفقيه الحنفي، فصاح من أطراف الناس: هذا ما يسقط بالشك بل بالدليل، فأمر الوزير بإخراجه. وقال: تردّها جذعة!

وصنّف الزمخشري «الفائق في اللغة»، و«المفصل» في النحو، و«أساس البلاغة»، و«ربيع الأبرار»، وغير ذلك، وعاد إلى خوارزم، فتوفي بها ليلة عرفة. وله شعر، فمنه: [من الطويل]

وكلُّ وفاءٍ كان في قوسٍ حاجِبٍ وأنتَ جمعتَ الغدَرَ في قوسٍ حاجِبٍ
أخذه من قول المَطراني^(٣): [من المنسرح]

تُزهى علينا بقوسٍ حاجِبها زهُوَ^(٤) تميمٍ بقوسٍ حاجِبها
وقال ابنُ السَّمْعاني: كان ممن يضرب به المثل في الأدب، وأقام بالحجاز بُرْهةً إلى أن هَبَّت على كلامه رياحُ البادية، ومن شعره: [من الطويل]

تَغَنَّت على فَرْعِ الأراكِ مُطَوِّقَه فَرَدَّتْ خَلِيَّاتِ القلوبِ مُشَوِّقَه
وأشوقُ منها صوتُ حادٍ مُبَكِّرٍ حداً بِحُدُوجِ المالكِيةِ أَيْنُقَه
فخالَفَ ما بيني وبينَ أَجَبَّتِي فلي عندهم مَقْتُ وعندي لهم مِقَه
وقال: من شعره أيضاً: [من الطويل]

سلامٌ عليكم أذْمُعي قَلَّ ماتِرقاً إذا شِمْتُ^(٥) من تلقاءِ أَرْضِكُمْ بَرَقاً

(١) انظر في هذا التغيير «وفيات الأعيان»: ١٧٠ / ٥ .

(٢) كذا في (ع) و(ح): وهو القاضي زكي الدين أبو السعادات المبارك بن أحمد البغدادي، وعرف بـ«حركها»، له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٥٨-٥٩ / ٣، و«الجواهر المضية»: ٤١٧-٤١٩ .

(٣) المطراني: هو الحسن بن علي بن مطران، أبو محمد المطراني، شاعر من الشاش، ترجم له الثعالبي في «يتيمة الدهر»: ١٣٢-١٤٠ / ٤ . وساق له مقتطفات من شعره، ولم يذكر سنة ولادته ولا وفاته.

(٤) في (ع) و(ح)، تيه، والمثبت من «يتيمة الدهر»: ١٣٨ / ٤، والحاجب الأول هو حاجب العين، والحاجب الثاني: هو حاجب بن زرارة، كان رئيس تميم في الجاهلية.

وقد ساق الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ٢٤٥ / ٢٥ هذا البيت على أنه من شعر الزمخشري، وهو خطأ!

(٥) شمت البرق: إذا نظرت إلى سحابته أين تمطر. «اللسان» (شيم).

ومن عَجَبٍ أَنِّي إِذَا لَاحَ بَارِقُ
وما خِلْتُ هذا الْبَرَقَ إِلَّا ابْتِسَامَةً
تَمَنَّيْتُ لو يُغْنِي التَّمَنِّي لِقَاءَهَا
لقد صَدَّقُوا إِنَّ الشَّقِيَّ أَخُو الْهُوَى
وقول على ما بي من السُّقْمِ والضَّنا
خليلي هل أَيَّامُنَا بِسُوءِيقَةٍ
فيا عَيْشَةَ خُضْرَاءَ لو بَقِيَتْ لَنَا
إِذَا الرِّيحُ مِنْ شَرْقِيٍّ مَرَوْ تَنَفَّسَتْ
وما تُطِيبُنِي أَيْكَةً غَيْرَ أَنَّنِي
بأَرْضِكُمْ اسْتَمَطَرْتُ أَجْفَانِي الْوَدَقَا
لُسُعدَى أَضَاءَتْ عِنْدَ إِيْمَاضِهَا الْأُفُقَا
وَوَقَعُ رِمَاحِ الْخَطِّ مِنْ دُونَ أَنْ تَلْقَى
ولكنَّ مَنْ يَهْوَى سَعَادَةً هُوَ الْأَشْقَى
أَيَا حَبَّذَا سُعدَى وما أَطْيَبَ الْعِشْقَا
رَوَّاجِعُ أُمِّ طَارِثٍ بِأَيَّامِنَا الْعَنْقَا
ولا خَيْرَ فِي عَيْشٍ إِذَا هُوَ لَا يَبْقَى
فيا بَرْدَ صَدْرِي حِينَ أَنْشَقُّهَا نَشْقَا
أُسَاعِدْ فِي شَجْوِ الْحَمَامِ بِهَا الْوَرْقَا

السنة التاسعة والثلاثون وخمسة مئة

فيها فَتَحَ زَنْكِي الرُّهَا.

كان في قلبه منها أمرٌ عظيم؛ لكونها وسط بلاد الإسلام، ومَعْقِلُ منبع الكُفَّار، فطرح
العيون على جوسلين صاحبها، فاتفق أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا بِعَسَاكِرِهِ نَحْوَ حِصْنِ مَنْصُورٍ، فحال
زَنْكِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، وَحَصَرَهَا وَضَرَبَهَا بِالنَّارِ، وَبِالْمِجَانِيْقِ، وَحَشَدَ التُّرْكَمَانَ وَالنَّقَابِينَ
الْحَلَبِيِّينَ وَغَيْرَهُمْ، وَنُقِبَ سَوْرُهَا، وَعُلِقَ بِالْأَخْشَابِ، وَضَرَبُوا فِيهِ النَّارَ، فَوَقَعَتْ مِنْهُ
قِطْعَةٌ، فَدَخَلَهَا عَنُودٌ بِالسَّيْفِ، فَقَتَلَ وَأَسْرَ، وَأَخَذَ مِنْهَا أَمْوَالاً عَظِيمَةً، وَكَانَ بِهَا مِنْ
أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ أَلْفٌ وَخَمْسُ مِئَةٍ، فَخُلِّصُوا، وَقِيلَ: كَانُوا خَمْسَ مِئَةٍ، ثُمَّ رَمَّ السُّورَ^(١)،
وَكَتَبَ لِلنَّصَارَى أَمَاناً، وَأَحْسَنَ إِلَى الرِّعْيَةِ، وَأَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا جَامِعاً، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ:
اجْعَلِ الْكَنِيسَةَ جَامِعاً. فَقَالَ: نَعَمْ. وَشَرَعَ فِي إِصْلَاحِ الْكَنِيسَةِ، وَهَيَّأَهَا، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا
مَوْضِعُ الْمَحْرَابِ، فَجَاءَ وَمَعَهُ أَرْبَابُ دَوْلَتِهِ وَالصُّنَّاعُ، وَاتَّفَقُوا عَلَى مَوْضِعِ الْمَحْرَابِ
الْيَوْمَ، فَحَفَرُوا أَسَاساً عَمِيقاً، وَإِذَا بِصَخْرَةٍ ظَهَرَتْ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا سَطْرَانٌ بِالسَّرْيَانِيَّةِ، فَجَاءَ
شَيْخٌ يَهُودِيٌّ، فَحَلَّهَا، وَنَقَلَهَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، وَهَذَا مَا فِيهَا: [من السريع]

(١) رَمَّ السُّورَ: أَصْلَحَهُ. «معجم متن اللغة»: ٦٥٣/٢.

أَصْبَحْتُ خَلُوءاً مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ أَخْتَالُ بِالْأَغْلَامِ وَالْمِنْبَرِ
مُظَهَّرَ الرَّحْبِ عَلَى أَنَّنِي لَوْلَا ابْنُ آقِ سُنْقُرٍ لَمْ أَظْهَرَ^(١)
فَاشْتَدَّ تَعَجُّبُ أَتَابِكَ وَالْجَمَاعَةِ.

وكان عند ملك طَلَيْطَلَةَ^(٢) رجلٌ من علماء المسلمين، وكان الملك يُحِبُّه وَيُكْرِمُهُ، فجهَّز جيشاً إلى جهة إفريقية، فقتلوا وأسروا من المسلمين، وعادوا والعالم عند الملك جالِسٌ وقد نَعَسَ، فأيقظه الملك، وقال: ما ترى ما قد فعل أصحابنا بالمسلمين، وأين دين محمدكم من نصرتهم؟ فقال الرجل: كان قد حضر فتح الرُّها. فعجب الملك والقوم، واستهزؤوا به، فقال الملك: لا تضحكوا، فوالله ما قال شيئاً إلا وأصاب. فوصل الخبر بعد ذلك بأن الرُّها فُتِحَتْ في ذلك التاريخ.

وسار أتابك ففتح سَرُوجَ وما حول الرُّها من الحصون، وجاء إلى حصن البيرة فنازله وضايقه، ولم يبق إلا فتحه، فجاءه الخبر بأن نصير الدين جَقَرُ نائبه بالمَوْصِلِ قد قُتِلَ، فعاد إلى المَوْصِلِ. وحجَّ بالناس نظر الخادم.

فصل: وفيها توفي

جَقَرُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ نَصِيرِ الدِّينِ

نائب أتابك بالمَوْصِلِ وغيرها من بلاده.

كان شجاعاً شهماً مهيباً مدبراً، وسبب قتله أنه كان في كفالة زُنكي رسلان خان، وقيل ترکان شاه ابن السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه^(٣)، وبه كان يحتج على

(١) الشطر الثاني من البيت الثاني غير متزن، وفي «النجوم الزاهرة»: ٢٧٥/٥: لولا ابن سنقر لم أظهر، وكذلك لا يتزن، وقد ساق نحو هذه القصة ابن العديم في «بغية الطلب»: ٧٧/٤، وفي النفس من هذه القصة أشياء.
(٢) في «الباهر» لابن الأثير: ص ٧٠: صقلية، وهو الأشبه، وقد قال ابن الأثير: وحكى لي أيضاً بعض العلماء بالأخبار والأنساب.. ثم ذكر نحو هذه القصة، ونقلها عنه أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ١٤٠-١٤١.

(٣) كذا ورد في (ع) و(ح)، وسماء ابن الأثير في «الباهر»: ٧١، و«الكامل»: ١٠٦/١١ ألب أرسلان المعروف بالخفاجي ولد السلطان محمود بن محمد، وتعبه أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ١٥١/١ بأن الخفاجي غير ألب أرسلان، إذ كان مع زنكي ملكاً من أولاد السلطان محمود، أحدهما يسمى ألب أرسلان، وهو في معقل من معاقل سنجار، والآخر يسمى فرخشاه، ويعرف بالخفاجي، وهو بالموصل. وهذا الأخير هو الذي قتل جقر.

الخلفاء والسلاطين ويقول لمسعود: أنا أحفظ البلاد له. ويصدر الكُتُب باسمه، وبه سمي أتابك، ومعناه الوالد، وكان مقيماً بالموصل، ولما اشتغل زنكي بفتح الرها وسروج والبيرة أشار على رسلان خواصه بالفتك بنصير الدين، وقالوا: تملك الموصل، ولا يقدر أتابك على قصدك، ولا يوافقك أحد. فاستمال جماعة من الغلمان العمادية نحو أربعين رجلاً من وجوههم. وكان جقر على غاية من الاحتراز، ولما تم ما أراد الصبي رتب له جماعة عند دار خاتون، فلما جاء جقر للسلام عليها، ودخل دهلز الدار وثبوا عليه، فقتلوه، ووثب العوام، فقتلوا أصحاب الصبي، وكان نازلاً في دار على الشط، وخيف على الموصل من النهب، فجاء القاضي تاج الدين يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري^(١) إليه فخدعه، وقال له: قد فعلت ما فعلت وأنت في دارك، والساعة تهجم عليك العوام فيقتلوك، فاصعد إلى القلعة وتحصن بها. فقام وطلع القلعة، وتحصن بها، فاحتاط القاضي عليه، ووكل به جماعة.

ولما بلغ أتابك قتل جقر بعث زين الدين علي كوجك - وكان كثير الوثوق به - فأغذ السير حتى دخل الموصل، وسكن الفتنة، واحتاط على الصبي، وأزال ما جدد جقر من المظالم، ولم يزل الصبي محبوساً تحت الحوطة حتى قتل زنكي على قلعة جعبر سنة إحدى وأربعين وخمسة مئة.

عمر بن إبراهيم بن محمد [بن محمد] بن أحمد^(٢)

ابن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو البركات، الكوفي، النحوي.

(١) كان بارعاً في الفقه، ولد سنة (٤٩٥هـ)، وتوفي على الصحيح سنة (٥٥٦هـ)، انظر «وفيات الأعيان»: ٢٤٥/٤، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٣٣٣/٧، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٣٤٠-٣٤٢/٢، وفيه توفي سنة (٥٦٦هـ)، والتاريخ الأول نقله ابن خلكان عن «الخريدة».

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٣٤١-٣٤٢/٦، و«تاريخ ابن عساكر»: (خ) (س): ٦٩٤-٦٩٥، و«نزهة الألباء»: ٣٩٩-٤٠٠، و«المنتظم»: ١١٤/١٠، و«معجم الأدباء»: ٢٥٧-٢٦١، و«اللباب» لابن الأثير: ٨٦/٢، و«إنباه الرواة»: ٣٢٤-٣٢٧/٢، و«ميزان الاعتدال»: ١٨١/٣، و«سير أعلام النبلاء»: ١٤٥/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته، وما بين حاصرتين من المصادر خلا «المنتظم».

ولد سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة بالكوفة، ونشأ بها، ثم قَدِمَ بغداد، ومضى إلى الشَّام، وأقام بدمشق وحلب مُدَّة، وكتبَ الكثير، وسمِعَ وعاد إلى الكوفة، وكان يسكن بمحلة السَّبيع، ويصلي بالنَّاس [في مسجد أبي إسحاق السَّيعي] ^(١). وكان عارفاً بالنَّحو واللُّغة، والتفسير والفقه، وله تصانيف في فنون، وكان خَشِنَ العيش، صابراً على الفقر.

وتوفي يوم الجمعة سابع شعبان بالكوفة، ودُفِنَ بمقبرة العلويين، وصلى عليه نحو ثلاثين ألفاً، وعاش حتى قارب المئة، وكان يفتي ظاهراً بمذهب أبي حنيفة، وباطناً على مذهب زيد بن علي، وقد تكلموا فيه.

محمد بن الحسن بن كامل ^(٢)

القاضي الأندلسي، [ويُعرف بابن الفَخَّار، و] ^(٣) كان فقيهاً، شاعراً، فمن شعره في مرَّأكش: [من الطويل]

وأرضٍ سكنَّها فيا شرَّ مَسْكَنٍ بها العيشُ نكدٌ والجناحُ مَهِيْضُ
نَروُحٌ ونغدو ليس إلا مروَّع عقاربُ سودٌ أو أراقمُ بِيْضُ ^(٤)
ومات بالمغرب.

هبة الله بن الحسين ^(٥)

أبو القاسم البديع الأسطُرلابي، فريد وقته في عمل الأسطُرلابات، وآلات الفلك والظَّلْسمات، وتوفي بعدما فُلج، ومن شعره: [من الكامل]

(١) ما بين حاصرتين مثبت من «المنتظم»: ١١٤/١٠.

(٢) له ترجمة في «بغية الملتبس»: ٧٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٣٣٩-٣٣٤/٢، و«المحمدون من الشعراء»: ٤٠٧-٤٠٨، و«المغرب في حلى المغرب»: ٤٣٢/١، و«الوافي بالوفيات»: ٣٥٧/٢.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) البيتان في «الخريدة»: ٣٣٩/٢.

(٥) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ٢٧٣-٢٧٥، و«أخبار العلماء» للقفطي: ٢٢٢، و«طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة: ٣٧٦-٣٨٠، و«وفيات الأعيان»: ٥٠-٥٣، و«الوافي بالوفيات»: ٢٦٩/٢٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٢-٥٣، وفيه تنمة مصادر ترجمته، وعندهم وفاته سنة (٥٣٤هـ).

أهدي لمجلىسك الشَّريف وإنَّما أهدي له ما حُزْتُ من نَعْمائِه
 كالْبَحْرِ يُمَطِّرُهُ السَّحَابُ وما لَهُ مَنْ عَلَيْهِ لَأَنَّهُ مِنْ مائِه
 [وروي أَنَّهُ مرَّ به رجلٌ ظريف، ويده أسْطُرلاب، وهو ينظر فيه، فقال: [من السريع]
 قامَ إلى الشَّمْسِ بِآلاتِه ينظر بالتخمين والحَدَسِ
 فقلتُ: أينَ الشَّمْسُ قال الفتى في الثور قلتُ الثور في الشَّمْسِ^(١)
 وروي أَن الأسْطُرلابي خرج مع المسترشد في صفر، فوقع الوباء في العسكر، ومعهم
 طيب نصراني، فكان كل من طَبَّه مات، وكنية الطيب أبو الفتح، فقال الأسْطُرلابي:
 يا أبا الفَتْحِ اقْتُلِ القوم برف قِ ومُهْلَةٍ واقتَصَادِ
 قبل أن يصبح المعسكر قاعاً فتمزمز^(٢) بهم إلى بغداد^(٣)
 وكانت وفاته في هذه السنة^(٤).

السنة الأربعون وخمس مئة

فيها دخل السُّلطان مسعود بغداد، وسببه أَنَّ العساكر اجتمعوا بالرِّي على طاعته
 منهم بوزيا وعبَّاس، وكان معهم محمد شاه بن محمود، وكان مسعود بهمَذان،
 فاستشعر من اجتماعهم، فقصد العراق، فجاء بوزيا والعساكر إلى هَمَذان، وجاءهم
 سليمان شاه بن محمد، فقطعوا خُطبة مسعود، وخطبوا لمحمد شاه وبعده لسليمان
 شاه، واتَّفَقوا على حَرْبِ مسعود.

وقيل، وهو الأشهر: إِنَّ مسعوداً إنما دخل بغداد هرباً من أخيه سليمان شاه، وكان
 قد اتَّفَق على محاربة مسعود أعيانُ الأُمراء مثل بوزيا صاحب خوزستان، وعباس
 صاحب الرِّي، وأقبل السِّلَحدار، فجاءوا إليه وهو بهمَذان، فهزموه، فسار إلى بغداد،
 وأقام سليمان شاه في الري، وأكثرُ الأُمراءِ عنده، فجمع مسعود العساكر، وخرج من

(١) البيتان في «معجم الأدباء»: ٢٧٥/١٩، و«طبقات الأطباء»: ٣٧٧، وعجز البيت الأول فيهما: لينظر السَّعْد من النحس.

(٢) لعلها من العامة مزمز، من «مزمز فلان الكأس» أي ترشَّف ما فيه بمهل واستمتاع. انظر «معجم عطية»: ١٤٨.

(٣) البيت الأول غير متزن، والثاني من الخفيف!

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

بغداد إلى مَرَاغَة ليجتمع بجاولي، ويتفق معه، وكان الأمراء قد خطبوا لمحمد شاه وبعده لسليمان شاه.

وكان مسعود قبل خروجه أراد أن يقبض على علي بن دُبَيْس، ويحمله إلى قلعة تكريت، فعلم علي، فانهزم في رمضان إلى توريز، وخرج مسعود في رمضان يريد مَرَاغَة، وصار علي بن دُبَيْس إلى الحِلَّة وفيها أخوه محمد، فملكها، وأخرجه منها، فجَهَّز الخليفة إليه مُهْلَهْل ونَظَرَ الخادم، فخرج إليهما وهَزَمَهُمَا أقبح هزيمة، وعادا مسلوبين إلى بغداد.

وأما مسعود فإنه سار إلى جاولي، وسعى جاولي في إصلاح حال سليمان شاه مع أخيه مسعود، ولم يوافق بوزبا وعبَّاس، ولم يدخل في الصُّلح، وعاد جاولي إلى مسعود ومعه سليمان شاه، فاستحلفه لسليمان شاه، واستوثق له منه، وقال مسعود لجاولي: المصلحة أن نتبعهما ونكسرهما قبل أن يستفحل أمرهما. فقال جاولي: أنا أتبعهما وأكفيك أمرهما. وسار في إثر بوزبا، وكان قد سار إلى بلاده، وبعث ابنه في إثر عبَّاس، ثم بلغ جاولي أن مسعوداً قبض على أخيه سليمان شاه، وأطلعه إلى القلعة واعتقله، فأنكر ذلك، وقال: بالأمس حَلَفَ له واليوم يغدر به! لا يجيء من هذا خير أبداً، ولقد فعل بوزبا وعبَّاس عين المصلحة، إذا كان هذا بأخيه، فما الذي يصنع بنا! ورَجَعَ عن نُصْرته، وأرسل إلى بوزبا وعبَّاس وأخبرهما بفعل مسعود، وقال: كلنا متفقين^(١) على محاربته.

ثم رجع جاولي إلى بلاده، وبلغ مسعوداً، فلم يمكنه مجاهرته لقوته ومهابته، فدس إليه بعد ذلك قوماً من الباطنية، فقتلوه غيلةً.

وفيها جلس يوسف الدَّمَشقي^(٢) في المدرسة التي بناها ابنُ الإبري^(٣) بباب الأزج، وحضر قاضي القضاة وأرباب الدولة.

(١) كذا في (ع) و(ح)، وقد أبقيتها محافظةً على لغة الخبر.

(٢) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٦٣هـ).

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد، ثقة الدولة ابن الدُرَيْني، وكان يخدم أبا نصر أحمد بن الفرّج الإبري، وربّاه حتى قيل له ابن الإبري، وزوّجه ابنته شهدة الكاتبة، وتعرف مدرسته بالثقتية، وقد بناها لأصحاب الشافعي. =

واستشعر المقتفي من أقاربه وأهله ، وضيق على الأمير أبي طالب.

وحجَّ بالناس نظر الخادم.

[وفيها توفي

أحمد بن محمد بن الحسن^(١)

أبو سعد بن أبي الفضل ، بغدادى الأصل ، أصبهانى المولد والمنشأ.

ولد سنة ثلاث وستين وأربع مئة ، وسمع الكثير ، [وحدث بالكثير ، وكان]^(٢) على طريقة السلف ، مُطرحاً للتكلف ، حج إحدى عشرة حجة^(٣) ، وأملى بمكة والمدينة ، وكان يصوم في الحر الشديد.

وذكره جدي في «المشيخة» ، وأثنى عليه ، وقال : رأيت أخلاقه جميلة ، ومحاسنه لطيفة . وكان قد حج ، فرجع يريد أصبهان ، فتوفي في ربيع الأول بنهاوند ، وحمل إلى أصبهان ، فدفن بها^(٤).

فصل : وفيها توفي

بَهْرُوزُ الخادم [ابن عبد الله]^(٥)

أبو الحسن^(٥) ، خادم مسعود.

= وستأتي ترجمته ص ٤٦١ من هذا الجزء .

(١) له ترجمة في «المنتظم» : ١١٦/١٠-١١٧ ، و«مشيخة ابن الجوزي» : ١٠٠-١٠٣ ، و«الكامل» : ١٠٧/١١ ، و«العبر» للذهبي : ١١٠/٤ ، و«النجوم الزاهرة» : ٢٧٨/٥ ، و«شذرات الذهب» : ١٢٥/٤ .

(٢) ما بين حاصرتين من «المنتظم» : ١١٦/١٠ .

(٣) في (ش) : اثنتي عشرة حجة ، والمثبت موافق لما في «المنتظم» .

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش) .

(٥) له ترجمة في «المنتظم» : ١١٧/١٠ ، و«الكامل» : ١٠٦/١١ ، و«كتاب الروضتين» : ٤٠٤/١ ، و«وفيات

الأعيان» : ١٤٢/٧ ، و«المختصر المحتاج إليه» : ٢٦٥/١ ، و«الوافي بالوفيات» : ٣٠٧/١٠-٣٠٨ ،

و«النجوم الزاهرة» : ٢٧٧/٥ .

كان أبيض، ويلقب مجاهد الدين، ولي العراق نيّفاً وثلاثين سنة، وعمّر دار السلطان والجامع، وسدّ البثوق، [وأسكر السكور]^(١)، وغرّم على سكر النّهروان سبعين ألف دينار. وقال علي بن عقيل [في كتاب «الفنون» قال]^(٢): ما رأينا مثل مناقضة بهروز؛ منع الملاحين أن يُغبروا رجلاً مع امرأة في سفينة، وجمّع بينهم في المواخر! وولاه السلطان قلعة تكريت [وقد ذكرناه]^(٣)، وبنى كنيسة رباطاً ببغداد على شاطئ دجلة [ويعرف برباط الخدم]^(٤)، ودُفن فيه - وكانت وفاته في رجب - [وهو قائم إلى الآن]^(٥). وفيها توفي:

كامل بن أحمد بن محمد^(٦)

أبو تمام، المقرئ، الضّير.

قرأ القرآن على أبي الوحش ابن قيراط، وسمع الحديث، وكان ديناً، صالحاً، خرج في هذه السنة حاجاً، فمات في الطريق، فدفن بالمعلّى. سمع أبا طاهر الحنّائي، وأبا الحسن بن الموازيني، وأبا محمد بن الأكفاني، [وغيرهم]^(٧) وهو من شيوخ الحافظ ابن عساكر^(٨).

موهوب بن أحمد^(٩)

ابن محمد بن الخضر، أبو منصور، الجواليقي.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «تاريخ دمشق» لابن عساكر: (خ) (س): ٤٩٦/١٤، و«العقد الثمين»: ٨٥/٧.

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

(٤) له ترجمة في «الأنساب»: ٣٣٧/٣، و«نزهة الألباء»: ٣٩٦-٣٩٨، و«المنتظم»: ١١٨/١٠، و«معجم

الأدباء»: ٢٠٥-٢٠٧/١٩، و«اللباب»: ٣٠١/١، و«الكامل»: ١٠٦-١٠٧/١١، و«إنباه الرواة»:

٣٣٥-٣٣٧/٣، و«وفيات الأعيان»: ٣٤٢-٣٤٤/٥، و«إشارة التعيين»: ٣٥٧-٣٥٨، و«ذيل طبقات

الحنابلة»: ٢٠٤-٢٠٧/١، و«سير أعلام النبلاء»: ٨٩-٩١، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

وذكر السمعاني وابن الأثير في «اللباب»، وابن الأنباري وياقوت والقفطي وابن خلكان وفاته سنة

(٥٣٩هـ)، وهو غلط فيما ذكر الذهبي وابن رجب.

ولد [في ذي الحجة] ^(١) سنة خمس وستين وأربع مئة، ونشأ ببغداد، وسمع الحديث، وقرأ الأدب فأكثر، وانتهى إليه عِلْمُ اللُّغة، ودرّس النحو والعربية بالنّظامية بعد أبي زكريا التّبريزي مُدَّةً، فلما ولي المقتفي الخلافة اختصّ بإمامته، وكان غزير الفضل ^(٢)، طويل الصّمت، لا يقول شيء إلاّ بعد الفكر الطّويل، وكان متواضعاً، مليح الخط، وصنّف الكُتُب ^(٣).

وكان مقتصداً في ملبسه ومطعمه، لا يمنُّ على النّاس بأنّه إمامُ الخليفة، بل كأنّه من آحاد النّاس مع الهيبة العظيمة والدين المتين.

وكانت وفاته منتصف محرّم، وحضّر الصّلاة عليه أربابُ الدولة، ودُفِنَ بباب حرب، وعاش ستاً وسبعين سنة، وكان صالحاً، صدوقاً، ثِقَّةً.

يحيى ابن بقي ^(٤)

الأندلسي الشّاعر القرطبي الفاضل ^(٥).

ومن شِعره يشكو أهل المغرب، ويذمُّ مقامه عندهم: [من البسيط]

أَقَمْتُ فَيْكُمُ عَلَى الْإِقْتَارِ وَالْعَدَمِ	لَوْ كُنْتُ حُرّاً أَبَيَّ النَّفْسِ لَمْ أَقِمِ
وَوَظَلْتُ أَبْكِي بِكُمْ عُذْراً لَعَلَّكُمْ	تَسْتَيْقِظُونَ وَقَدْ نَمْتُمْ عَنِ الْكَرَمِ
فَلَا حَدِيقَتُكُمْ يُجْنَى لَهَا ثَمَرٌ	وَلَا سَمَاؤُكُمْ تَنْهَلُ بِالْدِّيمِ

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) في (ع) و(ح): غزير العقل، ومثله في «ذيل طبقات الحنابلة»: ٢٠٥/١، وفي «المنتظم»: ١١٨/١٠ غزير الفضل، وهو ما أثبتته. وفي «النجوم الزاهرة»: ٢٧٥/٥ غزير العلم.

(٣) من أشهر كتبه «شرح أدب الكاتب» و«المعرب»، وكلاهما مطبوع مشهور، متداول.

(٤) هو أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي الأندلسي القرطبي، له ترجمة في «الذخيرة» لابن بسّام: ق ٢/م ٦١٥-٦٣٦، و«قلائد العقيان»: ٢٧٩، و«خريدة القصر» قسم شعراء المغرب والاندلس: ٢٣٦-٢٤٧، ٥٧٩/٣، و«معجم الأدباء»: ٢٠-٢١/٢٥، و«وفيات الأعيان»: ٢٠٢-٢٠٥، و«المغرب في حلى المغرب»: ١٩-٢١، و«نفح الطيب»: ٤٧١/١، ٥٨٤، ٢٠٨/٣، ٢٠٩، ٣٤٧-٣٤٨، ٤٣٩-٤٤٠، ٤٤٨، ١٣/٤، ١٥٥، ٢٣٦، ٢٤١.

(٥) بعد هذا في (ع): بل مع فضله من الحظ بالحرمان، ولم أثبتين معناها، وهي ليست في (ح)، ولذا أثرت حذفها.

لا رِزْقَ لي عندكم لكن سأطلبه
أنا امرؤ إن نبت بي أرض أندلس
لا يكسر^(١) الله مثن الرُمح إن به
أوغلت بالمغرب الأقصى وأعجزني
وقال أيضاً: [من الكامل]

في الأرض إن كانت الأرزاق بالقسم
جئت العراق فقامت لي على قدم
نيل العلى وأباح الكسر للقلم
نيل المطالب حتى أبت بالندم^(٢)

بأبي غزال غازلته مقلتي
وسألت منه زيارة تشفي الجوى
حتى إذا أخذت به سنة الكرى
أبعذته عن أضلع تشتاقه

بين العذيب وبين شطي بارق
فأجابني فيها بوعد صادق
زحزحته عني وكان معانقي
كيلا ينام على فراش خافق^(٣)

يحيى بن سلطان بن منقذ^(٤)

الأمير أبو الفتح، فخر الدين الشيزري، قُتل ببغلبك، ومن شعره [ما] كتبه [إلى أبيه]
يطلب رُمحاً: [من السريع]

يا خير قوم لم يزل مجدهم
عبدك يبغي أسماً ذكراً
مسدداً والجور من شأنه
فإن تفضلت به عاد عن

في صفحات الدهر مسطورا
ما زال بين الناس مذكورا
إن نال وثراً صار موتورا
صدور أعدائك مكسورا

أبو بكر بن تقي الأندلسي^(٥)

- بناء منقوطة من فوق بنقطتين - شاعر فصيح، ومن شعره: [من الطويل]

(١) في (ع) و(ح) لا نكس، والمثبت من «الخريدة».

(٢) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢٤٥/٢ - ٢٤٦.

(٣) الأبيات في «الخريدة» ٢٣٦/٢ - ٢٣٧، وأورد بعضها ابن بسام في «الذخيرة»: ق ٢/٢م ٦٣٦.

(٤) له ترجمة في «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٥٦٧/١ - والأبيات فيه - وما بين حاصرتين منه.

(٥) كذا ترجمه سبط ابن الجوزي، وتابعه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٢٧٧/٥، وهو نفسه الشاعر

يحيى ابن بقي الذي سلفت ترجمته ص ٣٥٦، ويبدو أن هذا الوهم تسرب من إعادة العماد ترجمته في

«الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٥٧٩/٣، فظنه السبط شاعراً آخر، وفرق بينهما بقوله في ضبط

اسم أبيه تقي - بالتاء - وهو كذلك في إحدى نسخ «الخريدة».

ومشمولة في الكأس تحسب أنها سماء عقيق زينت بكواكب
بنت كعبة اللذات في حرم الصبا فحج إليها اللهو من كل جانب

السنة الحادية والأربعون وخمسة مئة

فيها احترق القصر الذي بناه المسترشد بدار الخلافة [باب الغربة]^(١)، وكان المقتفي نائماً فيه تلك الليلة مع خاتون بنت مسعود؛ وسببه أن جاريته أخذت بيدها شمعة، فعلمت بأطراف خيش، فاحترق القصر، وخرج الخليفة منه بالليل وخاتون، فأصبح فلم ير له أثر، واحترق فيه قماش كثير، وتصدق الخليفة بأموال كثيرة، وأطلق المحبس.

وفيها خلع الخليفة على أبي الوفاء يحيى بن سعيد ويعرف بابن المرخم^(٢) خلعة سوداء وطيلساناً، وقلده القضاء في أي صقع شاء، وليس على يده يد، ثم رمى الطيلسان، وتجرّد لظلم الناس وعقوبتهم وعسفهم، وفتح أبواب الظلم، وصادر الناس، وأخذ الرشا، وأبطل الحقوق، وأساء السيرة^(٣) [فكتب هبة الله بن الفضل الشاعر رقاعاً، وألزمها في المساجد والجوامع والشوارع، وفيها: [مجزوء الخفيف]

يا حزينه الطمي الطمي قد ولي ابن المرخم
وي على الشرع والقضا وعلى كل مسلم
بدواته المفضضة ووكيله المغمس^(٤)

= والظاهر أن إعادة الترجمة في «الخريدة» هي من عمل أحد نساخه، والدليل على ذلك قوله في صدرها «من شعراء الخريدة»، وهذه عبارة لا يقولها العماد في كتابه، بل ربما كانت ورقة طيارة في ترجمة ابن بقي وضعت في غير موضعها، وقد أورد هذين البيتين ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٢٠٤-٢٠٥/٦ نقلاً عن «الخريدة» في ترجمة يحيى بن بقي المذكور، والله أعلم.

(١) في (م) و(ش): باب المعونة، وهو تحريف، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١١٩/١٠، وباب الغربة هو أحد أبواب دار الخلافة ببغداد. انظر «معجم البلدان»: ١٩٢/٤.

(٢) في النسخ الخطية: ابن المخرم أينما وقعت، والمثبت من «المنتظم»: ١١٩/١٠، ٢٠٧، وانظر ترجمته في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ٣/م ٣٣-٣٧، وابن الأثير في «كامله»: ٢٥٨/١١، ٣٦٢، و«معجم الأدباء»: ٢٣٢/٢، و«وفيات الأعيان»: ١٢٥/٣، و«مختصر التاريخ» لابن الكازروني: ٢٣١.

(٣) في (ع) و(ح): وأساء السيرة واستطال، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) لعلها من الكعسم: الحمار الوحشي بالحميرية، انظر «معجم البلدان»: ٧٧/٥.

أُتِرى صاحب الشريـ عة^(١) قد جُنَّ أو عمي
وأرى المقتفي الإمام مَ عن الحق قد عمي^(٢)
وبلغ الخليفة، فعزَّ عليه، ولم يدر من كتبها. واستطال ابن المرَّحم على الناس.
وهبة الله بن الفضل نذكره في سنة ست وخمسين وخمسة مئة].

وفي رجب دَخَلَ السُّلطان مسعود بغداد، وولَّى شحنة البلد مسعود البلالي، وكان
ظالماً عسوفاً، فوقع النَّاسُ في محنة عظيمة من عَسَف الوالي وقضاء القاضي [ابن
المرَّحم]^(٣).

وفيهما قُتِل [أتاكك]^(٣) زُنكي [على قلعة جعبر.

وفيهما]^(٣) ماتت بنت الخليفة.

ولما دخل مسعود بغداد عَمِلَ دارَ الضَّرَب، فَصَعَبَ على الخليفة، وَقَبَضَ على
الضَّرَاب الذي كان سببَ ذلك، فبعث الشُّحنة فقبض على حاجب الباب، وقال:
لا أطلقه حتى يطلق الضَّراب، وكان يوم الجمعة، فبعث المقتفي فأغلق أبواب
الجوامع، وبَطَلَ الجميع، وأغلق أبواب المساجد ثلاثة أيام، وَمَنَعَ القُضاة من
الأحكام، فأطلق حاجب الباب، وكان ابن الصَّاحب.

وفيهما استصلح مسعود عباساً صاحب الري، ثم قتله.

وفيهما بَطَلَتِ المكوس والضَّرائب ببغداد؛ وسببه أَنَّ ابن العَبَّادي^(٤) جَلَسَ بجامع
السُّلطان، وحضر السُّلطان عنده، فوعظه، وذكرَ ما يجري على المُسلمين من الظُّلم،
ثم قال: يا سلطان، أنت تَهَبُ في ليلةٍ لمطرب مثل هذا المأخوذ من النَّاس، فأحسبني
ذاك المطرب، واجعلْ ذلك شكراً لما أنعم الله عليك. فأشار بيده: قد فعلت. فارتفعت

(١) في (ش): الحكم.

(٢) الأبيات في «المنتظم»: ٢٠٧/١٠ ما عدا البيت الأخير.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) ستأتي ترجمته ص ٤٢٨ من هذا الجزء.

الضَّجَّة له بالدُّعاء، ونودي في البلد بإسقاطه، وكُتِبَ به ألواح، ونُصبت في المحالِّ والشوارع، فلم يزل الأمرُ كذلك حتى قَلَعَ الألواح الإمام النَّاصر، وقال: ما لنا حاجة أن يكون عندنا آثار الأعاجم.

وفيها قُتل [بوزبا].

وفيها بنى^(١) حسامُ الدِّين ابن أُرْتُق جسر القرمان في أرض مَيَّافارقين.

وحجَّ بالنَّاس قَيْماز الأُرجواني، وحجَّ الوزير نظام الدين بن جَهير. [قال جدي رحمه الله: وكنتُ في الحجِّ تلك السنة، ومعِي الزوجة والأطفال، وكنتُ أرى الوزير في طريق مكة متواضعاً وقد عادله أبو نصر الكرخي. وهذه أول حجّات جدي، رحمه الله]^(٢).

وفيها توفي

إسماعيل بن أحمد^(٣)

ابن محمود^(٤) ابن دُوسْت، أبو البركات [بن أبي سَعْد]^(٥) الصُّوفي [المعروف]^(٥)، شيخ الشيوخ ببغداد، [وكان أبوه أحمد من أهل نيسابور، فاستوطن بغداد، وولد له بها أبو البركات في]^(٦) سنة خمس وستين وأربع مئة^(٧)، وسمع الحديث [من طراد الزَّينبي

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

(٢) في (ع) و(ح): وحج الوزير نظام الدين ابن جهير، وكان متواضعاً في الطريق، وعادله أبو نصر الكرخي، وما بين حاصرتين مثبت من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٨٢١/٢، و«المنتظم»: ١٢١/١٠، و«الكامل» ١١٨/١١، و«كتاب الروضتين»: ١٧٨/٢، و«وفيات الأعيان»: ٩٣/١، و«الوافي بالوفيات»: ٨٥/٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٦٠-١٦١/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٤) في مصادر ترجمته ما خلا «المنتظم»: محمد.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) ولد سنة خمس.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) في (م) سنة خمس وأربعين وأربع مئة، وفي (ش) في سنة خمس وثلاثين، وكلاهما تحريف، والصواب ما هو مثبت من (ع) و(ح)، وهو الموافق لمصادر ترجمته.

وغیره^(١) ورواه، وتوفي في جمادى الأولى، وعُمِلَ له عُرْسٌ عظيم على مذهب الصُّوفية، وأنفق فيه مالٌ كثير، واجتمع أربابُ الدولة ومشايخ الرُّبُط، رحمه الله تعالى^(٢). وفيها توفي

بوزبه صاحب خوزستان^(٣)

كان قد نَفَرَ من مسعود، فخرج مسعود من بغداد إلى هَمَذَانَ، وكان بوزبه لما قتل مسعود عَبَّاساً قد جمع وحشد، والتقى في مرج قراتكين، واقتل قتالاً عظيماً، وقيل: إنَّ بوزبه جاء في خمسة آلاف جريدةً ليكبس السلطان، وكان السلطان في عشرة آلاف فارس، فحمل بوزبا، فكسر السلطان وتأخر، واشتغل أصحابه بالنَّهْب، وحمل عليهم مسعود فيمن بقي معه، وحمل عليه بوزبه، فعثر به فرسه، فَقُتِلَ، وَبَعَثَ مسعود برأسه إلى بغداد. [فصل: وفيها توفي]^(٤)

جاولي الأمير؛ صاحب آذربيجان^(٥)

كان شجاعاً شهماً، يخافه مسعود وغيره، وهو الذي جَمَعَ على مسعود، فلم يَثْبُتْ له، ثم اتَّفَقَا، ولما حَبَسَ مسعود أخاه سليمان شاه رَجَعَ عنه جاولي، وأقام ببلاده، ولم يلتفت على مسعود.

وسبب وفاته أنَّه افتصد، ثُمَّ ركب، فَعَنَّ له أرنبٌ، فرماه بسهمٍ فانفجر فِصَادُهُ، فَضَعُفَ، ولم يقدر الطَّبيب على حبس الدَّم، فمات.

فقال ابن الندي^(٦) الشَّاعر [هذا البيت]^(٤): [من الكامل]

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش) إلا أنه جاء في آخر الترجمة، فأعدته إلى حاقٍّ موضعه، مستأنساً بما ورد في «المنتظم»: ١٢١/١٠.

(٢) ولي ابنه صدر الدين عبد الرحيم بعده، وقد توفي سنة (٥٨٠هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.

(٣) ذكر ابن الأثير في «كامله»: ١١٩/١١ مقتل بوزبه في حوادث سنة (٥٤٢هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) انظر «تاريخ دولة آل سلجوق»: ١٨٥-١٨٦.

(٦) في (ع): ابن البدوي، وفي (ح) و(م) و(ش): ابن الندي، ولم أقف عليه، ويستبعد أن يكون حسان بن تميم ابن نصر، المتوفى سنة (٥٦٠هـ)، فذاك ابن الندي، وهو دمشقي، وليس بشاعر، وقد جاء في «دولة آل سلجوق»: ١٨٦، وفي ذلك يقول زين الدين المظفر بن سيدي الزنجاني من قصيدة. ثم ذكر هذا البيت.

عشرون ألفاً مُهَنَّدٍ قد أُصَلَّتْ فَلَّتْ مضارِبَها نِكايةً مَبْضَعِ

الْخَصِيبُ ابن سَلَم، أَبُو الْعَلَاءِ الْمُجَاشِعِي^(١)

ولد سنة تسع وخمسين وأربع مئة، ومن شِعره: [من المتقارب]

فَوَاحِشُرتا لِطِلابِ الْمَعَاشِ وَسَعِيي إِلَيْكُمْ بِجَسَمٍ كَدُودِ

وَمَا أَنَا فِي ظِلِّ هَذِي الْحَيَاةِ وَفَرَطِ التَّمَحُّلِ إِلَّا كَدُودِ

وقال أيضاً: [من الطويل]

أَقْضِي زَمَانِي بِاللَّتِيَّاءِ وَبِالَّتِي وَمِنْ دُونِ إِدْرَاكِ الْمُنَى حَدَثٌ يَقْضِي

وَأَمْرُجٌ فِي كَأْسِ الْمَطَامِعِ وَالْمُنَى مُجَاجَةً سُمٍّ مِنْ خُلَاصَتِهِ مَخْضِ

زَنْكِي^(٢) بن آق سُنْقَر^(٣)

أَبُو الْمُظَفَّر، عِمَادُ الدِّينِ أَتَابِكُ^(٤).

كان قسيم الدولة آق سُنْقَر من أصحاب السُّلْطَانِ مَلِكِ شَاه؛ رُبِّي معه، فلما ولي السُّلْطَنَةُ جعله من خواصِّ أمرائه، وخافه نظامُ المُلْكِ، فأراد إبعاده، فأشار بتوليته حلب وأعمالها، وأن يكون في معاملة أنطاكية ودمشق، فأقْطَعَهَا سنة سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وأربع مئة، وَبَعَثَ مَلِكُ شَاه فخر الدولة بن جَهِير إلى ديار بكر، وجعل آق سُنْقَرُ مَقْدَمَ الجِيشِ.

(١) هو الخصيب بن المؤمل بن محمد بن سلم التميمي المجاشعي، له ترجمة في «الأنساب»: ٨٠/٣، و«الوافي بالوفيات»: ٣٢١/١٣، و«لسان الميزان»: ٣٩٨/٢.

(٢) في (م) و(ش): وفيها توفي زنكي بن آق سنقر، أبو المظفر التركي، ولقبه أتابك عماد الدين، وآق سنقر أبوه، ولقبه قسيم الدولة، وكان من أصحاب السلطان ملك شاه، ولما قتل آق سنقر لم يكن له من الأولاد إلا زنكي، وكان ابن عشر سنين، فاجتمع إليه مماليك أبيه، وأقام زنكي إلى سنة (٥١٦هـ)، فأقطع واسطاً والبصرة.

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٤٤٣/٦، و«وفيات الأعيان»: ٣٢٧-٣٢٩/٢، و«سير أعلام النبلاء»: ١٨٩-١٩١، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

وقد توسعت في أخباره تواريخ تلك الفترة مثل «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي، و«الكامل» و«الباهر»، وكلاهما لابن الأثير، و«كتاب الروضتين» لأبي شامة، وقد سلفت أخباره على السنين.

(٤) الأتابك لقب يتألف من كلمتين تركيتين، وهما «أتا» بمعنى أب، و«بك» بمعنى أمير، وأصله أن السلاطين السلاجقة منذ أيام ملكشاه بن ألب رسلان كانوا يطلقون لقب أتابك على كبير أمرائهم، ويولونه الوصاية والرعاية بعدهم على سلطان أو أمير قاصر صغير.

وفي سنة إحدى وثمانين وأربع مئة ملك آق سُنُقُر حِمَص، وأقام إلى سنة سبع وثمانين، وأخذ فامية والرَّحبة وغيرها، ثم قتله تُشش على تل السُّلطان.

ولما قُتِلَ لم يكن له من الأولاد إلا زَنَكِي، وكان ابنَ عشرة سنين، فاجتمع إليه ممالكُ أبيه، وخلص كربوقا من الحبس بِحِمَص^(١)، فعبر الفرات، وأخذ حَرَّان والجزيرة والمَوْصِل من علي بن مُسلم بن قُريش، وعَظَم شأنه، وكان في خدمة بَرَكْيَارُوق، فاستدعى ممالك ابن قسيم الدَّولة وولده زَنَكِي، وقال: أنا أحقُّ به وبكم. وأقطعهم الإقطاعات السَّنيَّة، وأقاموا عنده، ولم يزل زَنَكِي في كَنَفِ كربوقا وتربيته إلى سنة أربع وتسعين، [وفيها توفي] ^(٢) كربوقا.

وملك المَوْصِل بعده موسى التُّركماني، فلم تَظُلْ مُدَّتُهُ^(٣)، وقيل: ملك المَوْصِل بعده شمسُ الدَّولة جكرمش مملوك ملك شاه، فقَرَّبَ زَنَكِي، وأحبَّه، واتَّخذه ولداً لمكان أبيه، وقُتِلَ جكرمش سنة خمس مئة.

وملك المَوْصِل بعده جاولي سقاوه، فاتَّصل به زَنَكِي وقد كَبُرَ وظهرت عليه أمارات السَّعادة، ولم يزل معه حتى عصى جاولي على السُّلطان محمد، وعَبَرَ إلى حلب ليأخذها من رضوان بن تُشش، فأرسل السُّلطان محمد إلى المَوْصِل الأمير مودود، وأقطعه إيَّاهَا سنة اثنتين وخمس مئة، وفارق زَنَكِي والأمرء جاولي، وعادوا إلى المَوْصِل.

واتصل زَنَكِي بمودود، فأكرمه، وسار مودود إلى الشَّام بنية الغَزَاة ومعه زَنَكِي، فظهر من شجاعته ونجابهته ما استُبدِلَ به على عُلُوِّ هِمَّتِهِ، وقُتِلَ مودود في جامع دمشق وزَنَكِي في صُحْبَتِهِ.

= وقد أطلق هذا اللقب على زَنَكِي لما ولاه السلطان محمود الموصل، وسلَّم إليه ولديه ألب أرسلان وفرخشاه المعروف بالخفاجي ليربيهما. انظر «وفيات الأعيان»: ٣٦٥/١، ٣٢٨/٢، و«التعريف بمصطلحات صبح الأعشى»: ١٤.

(١) وذلك سنة (٤٨٩هـ).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا ليستقيم الكلام.

(٣) كان موسى التركماني نائباً عن كربوقا بحصن كيفا، فراسله أعيان الموصل ليسلموها إليه، فسار إليها، فقتل سنقرجه - وكان كربوقا قد عهد إليه بالموصل - ثم قُتِلَ موسى التركماني في السنة نفسها. انظر «الكامل»: ٣٤٣-٣٤٢/١٠.

وأقطع السلطان الموصل لآق سنقر البرسقي^(١)، وأمره بتقديم زنكي والرجوع إليه في المهام، وعاد إلى الموصل، فتلقاه البرسقي، وأحسن إليه، وقدمه، - وكان زنكي في عساكر العجم يُعرف بالشامي - وسار البرسقي إلى الرها، فقاتل أهلها، فأنكى زنكي فيهم، وأبلى بين يديه بلاء حسناً، وعاد البرسقي إلى بغداد، وأقام زنكي بالموصل وقد ظهر له صيتٌ عظيم.

ومات السلطان محمد شاه بن ملك شاه، وولي بعده ابنه محمود، وجرى بينه وبين عمه سنجر وقائع، ثم اصطلحا، وأقام زنكي إلى سنة ست عشرة وخمسة مئة، فأقطع واسطاً والبصرة، وقيل: أُعطي شحنة البصرة، وخافه دُبَيْس، واختلف المسترشد ودُبَيْس، وسار البرسقي مع الخليفة إلى دُبَيْس وكسراه، وكان زنكي مع الخليفة، فأبلى بلاءً حسناً، وأمر السلطان محمود أن يرجع البرسقي إلى الموصل، فأرسل إلى زنكي، وكان بالبصرة يطلبه لیسیر معه، فقال زنكي لأصحابه: قد ضَجِرْنَا مما نحن فيه، كلُّ يومٍ في بلد، اقصدوا بنا باب السلطان محمود.

فسار من البصرة إلى السلطان، فأكرمه، وكان يقف إلى جانب التَّخت^(٢) عن يمينه لا يتقدم عليه أحد، وهو مقامُ والده. ثُمَّ ولّاه شحنة بغداد، وقُتِلَ البرسقي في جامع الموصل، وولّاه مسعود بن البرسقي، فلم يَقم بها^(٣)، فولّاه السلطان زنكي، فقام بها أحسنَ قيام، وفتحَ بلاداً كثيرة: إربل، وجزيرة ابن عمر، وسنجار، والرَّحبة وغيرها، وعَبَرَ الفرات، فأخذ حلب وحماة وحمص وبعلبك، وعاد إلى الشرق، ففتح داراً سنة أربع وعشرين [وخمسة مئة]^(٤)، وفتح العُقر وشوش سنة سبع وعشرين^(٥)

(١) وهم سبط ابن الجوزي، إذ إن السلطان محمداً أقطع الموصل بعد مقتل مودود لجيوش بك، وجَهَّزَ آق سنقر البرسقي في العساكر لقتال الفرنج، ومن ثم قال في آخر الخبر: وعاد البرسقي إلى بغداد، وقد نبهنا على ذلك أيضاً في حاشيتنا رقم ٤ ص ٧٥ من هذا الجزء.

(٢) يعني تحت السلطان.

(٣) لم تطل أيام مسعود بن البرسقي، وقد توفي سنة (٥٢١هـ)، وولي الأمر بعده أخوه الصغير، وقام بتدبير دولتيهما الأمير جاوي مملوك البرسقي، ثم ولي زنكي، انظر «الروضتين»: ١١٥/١.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) كذا في (ع) و(ح)، وفي «الروضتين» ١٢٠/١ تسع وعشرين، وفي «الكامل»: ١٤/١١، و«الباهر»: ٤٨ ثمان وعشرين.

[وخمسة مئة]^(١)، وسار إلى بغداد لنجدة الرّاشد، وخرج به من بغداد سنة ثلاثين وخمسة مئة، [وجرى ما ذكرناه]^(٢)؛ وفي سنة أربع وثلاثين وخمسة مئة أخذ شهرزور [من ابن قفجاق التركماني]^(٣) وحصر دمشق مراراً، وبنى العمادية في الهكاريّة، وكان فساد الأكراد قد عمّ، فانزجروا بها، وفتح الرّها وطرزة والمعدن وحيزان وحاني، وغيرها.

وكان ينهى أصحابه عن شرى الأملاك، ويقول: الإقطاع يُغني عنها، ومتى كانت البلاد لنا فلا حاجة إليها، ومتى ذهبت البلاد منا ذهبت الأملاك معها، ومتى كان لأصحاب السّلطان أملاك تعدّوا على الرّعية وظلموهم.

وكانت له عناية بأخبار البلاد، [ويغرم عليها الأموال، فكان يقف على أخبار الملوك ساعة بساعة، وإذا جاء رسول لا يمكنه من الحديث مع أحد من الرعية لئلا يخبر بأخبار البلاد]^(٤).

وأودع بعض أصحابه خُشكَنانكة^(٥)، فأقامت عنده سنة، ثم طلبها منه، فأحضرها، فعجّب، وقال: مثلك يصلح لحفظ الأموال. وولاه قلعة كواشي [وهي قلعة عظيمة]^(٦).

وكان يفرّق الأموال في القلاع والبلاد ويقول: إذا كانت الأموال في موضع واحد وحدث حادث وأنا في موضع آخر لم أنتفع بها وذهبت، وإذا كانت متفرقة لم يُحلّ بيني وبينها، ورجعت إلى بعضها.

وكان مهيباً، بلغه أنّ بعض الولاة تعرّض لامرأة، فقلع [عينه]^(٧)، وقطع ذكره، [فخاف الولاة وانزجروا]^(٨).

ذِكْرُ مَقْتَلِهِ: كان قد نازل قلعة جعبر، وبها شهاب الدين سالم بن مالك العقيلي - [وكان ملك شاه أعطاه إياها لما أخذ منه حلب وقد ذكرناه^(٩)]^(١٠) - فقاتلها، ونصب عليها

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص ٢٨٢ - ٢٨٣ من هذا الجزء.

(٣) نوع من الفطير المصنوع من الزبد والسكر والجوز أو الفستق، يكون على هيئة الهلال. انظر «المعرب»: ١٣٤، ودوزي: ٣٧٣/١.

(٤) ذكر ذلك سبط ابن الجوزي في حوادث سنة (٤٧٩هـ)، وقد وهم في قوله هنا: وبها شهاب الدين سالم بن مالك العقيلي، لأن سالماً إنما تولاه زمن ملكشاه، ويلقب شمس الدولة، وقد توفي سنة (٥١٩هـ)، وكان =

المناجيق، [وضايقها]^(١) ولم يبق إلا فتُّحها، فلما كان ليلة الثلاثاء سابع عشرة ربيع الآخر^(٢) اتَّفَقَ على قَتْلِهِ ثلاثةٌ من خُدَّامِهِ، وكان مُغَرِّى بخصي أولادِ النَّاسِ، [خصي جماعةً، فلما كان في هذه الليلة ذبحوه]^(٣) في فراشه، وهربوا إلى القلعة ونادوا بالحراس: عَرَّفُوا شهابَ الدِّينِ أَنَّنَا قد جئنا في مهم. فأحضرهم، فأخبروه، فقال للحُرَّاس: صيخوا على عسكريه مَلِّحوه مَلِّحوه. فصاحوا، فدخل أصحابه عليه، فوجدوه مذبحاً، فحملوه في سفينة إلى الرِّقَّة، فدفنوه^(٤) بها. [وقد صار موعظة للعالمين]^(٥).

وقال أبو يعلى ابنُ القلانسي: هَجَمَ على رَبَضِ قلعة جعبر، ونهبه، وأخذ أهله، فعمد أحدُ خدمه ومن كان يهواه ويأُنس به ويُعرف بيرنقش الإفرنجي، ووافقه بعضُ الخدم، فاغتالوه عند نومه ليلة الأحد سادس عشر ربيع الآخر^(٦)، وهو على غايةٍ من الاحتياط بالرجال والحُرَّاس والعُدَد حول سُرادقه، فذبحوه على فراشه بعد ضربات تمكَّنت من مقاتله، وهَرَبَ الخادمُ إلى القلعة، وصاحبُها عَزَّ الدين علي بن مالك بن سالم العقيلي، فبشَّره بهلاكه، فأكرمه وسرَّ. وكان قد أرسل خواصَّه إلى زنكي بما استدعاه منه من آلاتٍ فاخرة وذخائر وافرة، فعند حصوله عليها عَزَمَ على الإساءة إليهم، وغَدَرَ بهم، فجاءه من القضاء ما صار به عبرةً لأولي الأبصار، وتفرَّقت جيوشه أيدي سبا، ونُهَبَتْ أمواله، وقُبِرَ هناك بغير تكفين، ثم نُقِلَ إلى الرِّقَّة^(٧).

= واليها حين حاصرها زنكي هو عز الدين علي بن مالك بن سالم العقيلي، كما سيأتي بعد أسطر، وقد قتل سنة (٥٤٦هـ)، وولي بعده ابنه شهاب الدين مالك بن علي بن مالك العقيلي، وهو الذي أخذ نور الدين محمود بن زنكي منه قلعة جعبر، وذلك سنة (٥٦٤هـ).

وقد أسقط زامباور في «معجم الأنساب»: ٢٠٦ عز الدين من ولاية قلعة جعبر، انظر «الكامل»: ٦٣٠/١٠، و«دولة آل سلجوق»: ٢٠٧، و«كتاب الروضتين»: ٩٦/١، ٤١/٢.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) كذا، وعند ابن الأثير وغيره أنه قتل في خامس ربيع الآخر، انظر «الباهر»: ٧٤، و«وفيات الأعيان»: ٣٢٨/٢، و«السير»: ١٩١/٢٠، وهو الصواب.

(٣) في (ع) و(ح): وكان مغرى بخصي أولاد الناس، فذبحوه في فراشه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) ذكر ابن الأثير أنه دفن في صفين، انظر «الباهر» ٧٥-٧٦، ثم ذكر أبو شامة أنه نقل إلى الرقة فدفن بها، انظر «الروضتين»: ١٥٥/١، وسيأتي بعد أسطر.

(٥) «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٤٤-٤٤٥.

ذِكْرُ ما تَجَدَّدَ [مَنْ الحَوَادِثُ] ^(١) بعد مقتله: [منها أنه] ^(١) كان معه أولاده الثلاثة؛ سيف الدين غازي، ونور الدين محمود، وقُطْبُ الدين مودود، وكان له ولدٌ آخر اسمه أمير أميران نُصْرَة الدين انقرض عقبه، ونور الدين كان له إسماعيل، مات وانقرض عقبه [بعده] ^(١)، والعقب لمودود، فسار غازي إلى المَوْصِل وبها زين الدين [علي] ^(١) كوجك، فامتنع عليه أياماً حتى تَقَرَّرَتِ الأمور، ثُمَّ دخل الموصل، ^(٢) وهذا هو المشهور.

ورأيت في بعض تواريخ المَوْصِل أَنَّ سيف الدين غازي لم يكن مع أبيه لما قُتِلَ، وكان بشَهْرزُور، كان أبوه قد أعطاه إياها، فأرسل إليه زين الدين [علي] ^(١)، وكان زنكي قد عَهِدَ إليه أَنَّ المَوْصِلَ لغازي، فلما جاء استحلفه على أشياء، ثم دخلها. وأما نور الدين [محمود] ^(١)، فَإِنَّ صلاح الدين الياغبساني وسيف الدولة سوار أخذه، ومضيا به إلى حلب، فدخلها.

وكان ألب أرسلان بن السُّلْطَانِ محمود في ^(٣) عسكر زُنْكي لما قُتِلَ، فركب، وأحدث به العساكر، وكان الوزير جمال الدين حاضراً، فأرسل إلى الحاجب صلاح الدين الياغبساني - وكان بينهما منافسة - يقول: المصلحة أَنْ نترك ما بيننا وراء ظهورنا، ونُدَبِّرَ أمراً نُبْقِي المُلْكَ في يد ولد صاحبنا، ونعمر بيته جزاء إحسانه إلينا، ولا ننقله إلى الأعاجم، فنهلك بعد أن نذوق الذُّلَّ والهوان، وألب أرسلان قد طَمِعَ في البلاد، واجتمعت إليه العساكر، وإن لم تتلاف الأمر من أوله وإلا اتَّسع الخرقُ، ولا يمكن رقعته. فأجابه، وتحالفا، وركبا إلى ألب أرسلان وقالوا: إِنَّ أتابك كان نائباً عنك، وأنت السُّلْطَانُ، وباسمك كُنَّا نُطِيعه. وخدعاه، وبعثا إلى زين الدين كوجك فَعَرَّفَاهُ، ثم قال الوزير للملك: المصلحة أَنْ تُسَيِّرَ الصَّلاحَ إلى حلب يكون عند نور الدين، وأبقى أنا عندك. فأجابه، وأخذ الوزير الملك وسار به نحو الرقة، فاشتغل باللهو واللَّعب

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): ثم دخل الموصل، وفي بعض التواريخ أن سيف الدين كان بشهرزور، فأرسل إليه زين الدين.. وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ح): وكان في عسكر زنكي، بزيادة لفظ «وكان»، ولعلها زيادة من الناسخ.

والخمر، فشرع الوزير يحلفُ الأمراء واحداً بعد واحد لأولاد زنكي سرّاً، وكل من حلفه يُسيّره إلى الموصل، وجاء به إلى سنجار، وأرسل سرّاً إلى الدُّردار^(١) أنّه لا يسلمها إليه. فامتنع من تسليمها، فغضب الملك، فقال له الوزير: سنجار قرية، وما مقدارها! لا تسمع الملوك عنك أنّك تحاصر قرية، والمصلحة تتوجّه إلى الموصل، فإنّ غازي مملوكك، ومتى بلغه وصولك خرج إليك، فاقبضه، وتسلم الموصل. فلما قربوا قال له الوزير: أنا أتقدمك لأجل الإقامات، وإنّ توقف غازي عن لقاءك أخرجته إليك. فقال له: سر. فجاء إلى الموصل، وقال لغازي: هذا الملك الذي كنت تخافه قد حملته إلى حضرتك، فاخرج إليه وأكرمه، ثم أنزله في القلعة، ودّعه في أكله وشربه، وقد أمّنته. ففعل غازي ذلك.

وقيل: إنه أنزله بظاهر الموصل، وبعث إليه في الليل عزّ الدين الدُّبّيسي فأخذه وأدخله الموصل ليلاً، فكان آخر العهد به.

وقيل: إنّ الوزير وزين الدين كوجك وافق الملك، وكان غازي ببغداد في خدمة السلطان مسعود وبلغه الخبر، فاستأذن السلطان في المسير إلى الموصل، فأذن له، فلما قرب منها خرج الملك خائفاً على نفسه، ومضى إلى الجزيرة، فبعث إليه غازي وطيب قلبه، فعاد إلى الموصل، فأجلسوه يوماً على سرير الملك، ثم حجبوه. وقيل: إنهم قتلوه، واستقلّ غازي بالملك.

وأما نور الدين فإنّه لما وصل حلب أظهر العدل والإحسان، وأسقط المكوس، وأهراق الخمر، وتصدّق على الفقراء والمساكين، واستمال القلوب، فأطاعوه، ولقّب بالملك العادل.

ولما عرف معين الدين أنر صورة الحال شرّع في التأهب لقصد بعلبك، وانتهاز الفرصة فيها، فنهد إليها وضايقها، وضربها بالمجانيق، فقلّ الماء بالقلعة، فراسله واليها^(٢)، فطلب الصلح والعوض بإقطاع، فأجابه، وسلمها إليه في جمادى الأولى.

(١) الدردار: بضم الدال المهملة، وسكون الزاي، وفتح الدال المهملة، بعد الألف راء، وهو لفظ عجمي معناه حافظ القلعة، وهو الوالي، ودّعه بالعجمي القلعة، ودار: الحافظ، «وفيات الأعيان»: ١٤٢/٧.

(٢) هو نجم الدين أيوب بن شاذي، والد صلاح الدين، انظر «كتاب الروضتين»: ١٧٤-١٧٥.

وأما يرنقش قاتلُ زُنكي فانفصل من قلعة جعبر في جُمادى الآخرة لخوف صاحبها من طلبه، ووصل دمشق ظناً منه أنه قد أمِنَ [، ومدلاً بما فعل] ^(١)، فقبِضَ عليه وبُعث به إلى حلب، فَبَعَثَ به نورُ الدين إلى الموصل، فُقْتِلَ شَرَّ قِتْلَةٍ، ومُثِّلَ به أقبح مُثْلَةٍ.

وأما جوسلين فإنه راسل من كان بالرُّها من الأرمن لَمَّا بلغه قَتْلُ زُنكي، ووعدهم يوماً بعينه يصل إليهم فيه، وجاء فدخل البلد، فامتنت عليه القلعة، وبلغ الخبر نور الدين وهو بحلب، فسار إليها بعساكره، فهرب جوسلين، ودخلها نور الدين، فَقَتَلَ مَنْ كان بها من الأرمن، وَغَنِمَ أموالهم، واستقرت في يد نور الدين، ولم يعارضه أخوه غازي.

ولما مَلَكَ سيفُ الدين الموصل راسل أخاه نور الدين في الاجتماع به، فاعتذر بالفرنج خوفاً على نفسه، فَحَلَفَ له، واتفقا أن يجتمعا في الجزيرة، ومع كل واحدٍ منهما خمس مئة فارس، فخرج سيفُ الدين من الموصل، وقَطَعَ نور الدين الفرات، ووصل الخابور، فالتقيا في الليل، ولم يعرفه نور الدين، فلما عَرَفَهُ ترجَّل، وقَبَّلَ الأرضَ، وترجَّل سيفُ الدين، وتعانقا، وبكيا، وجلسا يتحدثان، فقال له سيفُ الدين: يا أخي، ما الذي مَنَعَكَ من المجيء إلى عندي، أكنتَ تخاف مني؟ والله ما خَطَرَ لي ما تكره، وأنا فلن أريدُ الدنيا، وبمن أنتصر إذا فعلتُ مع أخي وأعزُّ الخلق عليَّ ما يكره! فطاب قلبُ نور الدين، وافترقا، وكان سيفُ الدين الأكبر.

[وفيهما توفي:]

سَعْدُ الْخَيْرِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سَهْلَ بْنِ سَعْدٍ ^(٢)

أبو الحسن، الأندلسي. سافر من بلاد الأندلس إلى بلاد الهند والصين، وركب البحار، وقاسى الأخطار، ثم قَدِمَ بغداد، وتفقَّه على أبي حامد الغزالي، وسمع الحديث، وصنَّف الكتب، وقرأ الأدب على الخطيب التبريزي وغيره، وكانت وفاته

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٢٩٧-٢٩٨، و«المنتظم»: ١٢١/١٠، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٥٧-١٥٩، و«معجم البلدان»: ٤٩١/١، و«اللباب»: ١٧٦/١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٥٨/٢٠-١٦٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

يوم السبت عاشر المحرم، وصلى عليه الغزنوي بجامع القصر، وصلى عليه قاضي القضاة الزينبي والأعيان، ودفن إلى جانب عبد الله بن أحمد بن حنبل بوصية منه. سمع طراد بن محمد الزينبي، وابن البطر، وثابت بن البندار، وخلقا كثيراً، وكان صالحاً ثقة، وأخرج جدِّي رحمه الله عنه في «المشيخة»، وقال: قرأت عليه الكثير. وأثنى^(١) عليه^(٢).

فصل: وفيها قتل

الأمير عباس شحنة الرِّي^(٣)

كان شجاعاً شهماً، جواداً، يباشر الحروب بنفسه، وكان قد تغير على السلطان مسعود، فما زال به حتى أصلحه، فقدم بغداد، فأكرمه وقربه، وكان ينادمه، فقال الأمراء لمسعود: ما بقي لنا عدو غير عباس وما نأمنه. فاستدعاه في ذي القعدة، فلما صار في دهليز الدار وثب عليه جماعة، فقتلوه، ورُمي ببدنه في دجلة، وبرأسه إلى ظاهر الدار، فثار العوام، وبكوا وضجوا، وقالوا: قتلنا عبّاساً الصّائم القائم المصلي الذي ما ارتكب كبيرة قط، وتولي علينا البلالي، وترضى بآبن المُرَحْم^(٤)؟! فوعدهم بعزلهما، فسكنوا، وقيل: إنّه لم يُرْمَ بدنه في الشّطّ، وإنما حُمِلَ إلى المشهد الذي مقابل دار السلطان، فدفن فيه. وكان كثير الصدقات، يُكرّم الوافدين عليه، وحكي أنّه ما شرب خمرًا ولا زنى قط، وأنه قتل من الباطنية ألوفاً، وبنى من رؤوسهم منارة.

[وفيها توفي]

عبد الله بن علي بن أحمد^(٥)

ابن عبد الله، أبو محمد، المقرئ الحنبلي، سبط الشيخ أبي منصور الزاهد.

(١) «مشيخة ابن الجوزي»: ١٥٧-١٥٩.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) انظر «المنتظم»: ١٢٣/١٠، و«الكامل»: ١١٦/١١-١١٧، وقد سلفت أخباره على السنين.

(٤) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٣٥٩.

(٥) له ترجمة في «الأنساب»: ٢٢٥/٥، و«نزهة الألباء»: ٤٠٢-٤٠٣، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢٨-٢٥/٣، و«المنتظم»: ١٢٢/١٠، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٣٦، و«مناقب الإمام أحمد»: ٦٣٩، =

ولد ليلة الثلاثاء السَّابع والعشرين من شعبان سنة أربع وستين وأربع مئة، وقرأ القرآن، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، وصنَّف الكتب في القراءات، وأمَّ النَّاس في المسجد نحواً من ستين سنة، وقرأ عليه القرآن خَلْقاً لا يحصون، منهم جدِّي، وشيخنا أبو اليُمْن الكِنْدِي، وسمعا منه الحديث. وذكره جدي في «مشيخته»، وقال: لم أسمع قارئاً أطيب نغمةً ولا أحسن أداءً منه على كِبَرِ سِنِّهِ^(١)، وكان ظاهر الكياسة والظرافة، حَسَنَ العِشْرَةِ للعوام والخواص، وكانت وفاته يوم الاثنين تاسع عشرين شعبان^(٢)، وصلى عليه الشيخ عبد القادر بجامع القصر وجامع المنصور، وكانت له جنازة عظيمة. قال جدي: ما رأيت مثلها، كان أول الناس عند قبر أحمد، وآخرهم في نهر المعلى، وغُلِّقت أسواق بغداد، ودفن في دكة أحمد ابن حنبل عند جده أبي منصور^(٣)، وسمع خلقاً لا يحصون، وكان صائماً قائماً^(٤).

عبد الرحيم^(٥) بن المُحَسِّن

ابن عبد الباقي، أبو محمد، التَّنُوخي.

كان شاعراً فصيحاً، مات بميَّافارقين سنة اثنتين وأربعين، وقيل: سنة إحدى وأربعين، ومن شعره: [من البسيط]

هَاجَ اشْتِياكَ بَرَقَ خَاطِفٌ لَمَعَا وَهَنَّا وَنَوَّحَ حَمَامِ الْأَيْكَ قَدْ سَجَعَا
أَضَاءَ مِنْهُ الْجَمَى لَمَّا تَأَلَّقَ مِنْ أَكْنَافِ نَجْدٍ فَأَذَكَى الْوَجْدَ وَالْجَزَعَا

= و«الكامل» لابن الأثير: ١١٨/١١، و«إنباه الرواة»: ١٢٢/٢-١٢٣، و«معرفة القراء الكبار»: ٩٦٠-٩٦٣/٢، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: ٢٠٩-٢١٢/١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٣٠-١٣٢/٢٠، و«المنهج الأحمد»: ١٣٣-١٣٧/٣، وفيهما تمة مصادر ترجمته.

(١) «مشيخة ابن الجوزي»: ١٣٩.

(٢) هذا وهم ربما من المصنف أو المختصر اشتبه عليه شهر ولادته بشهر وفاته، والصحيح الذي أجمعت عليه مصادر ترجمته أنه توفي في شهر ربيع الآخر وإن اختلفوا في تحديد يوم وفاته، ففي «المنتظم» ثامن عشر، وفي «إنباه الرواة»: ثامن عشرين، وفي «السير»: في الثاني والعشرين منه، والله أعلم.

(٣) في «المنتظم»: ١٢٢/١٠.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ح) عبد الرحمن، وهو تحريف، وله ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ١٧٨-١٧٩/٤٢ والأبيات فيه، ما عدا البيت الأخير، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

يا بَرَقُ ما العَهْدُ مَنْسِيٌّ لَدَيْكَ ولا
أَقْسَمْتُ بِالْحِجْرِ وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ وَمَنْ
إِنَّ الْأَلَى بَنَوَاحِي الْغُوطَتَيْنِ وَإِنْ
أَشْهَى إِلَى نَاطِرِي مِنْ كُلِّ مَا نَظَرْتُ
ولا تَعَوَّضْتُ عَنْهُمْ بِالْحِمَى عِوَضاً
حَبْلُ الْهُوَى رَثَّ لَمَّا بِنْتُ فَأَنْقَطَعَا
أَهْلٌ مَعْتَمِراً مِنْ أَهْلِهِ^(١) وَسَعَى
شَطَّ الْمَزَارُ بِهِمْ يَوْماً وَإِنْ شَسَعَا
عَيْنِي وَمِنْ^(٢) مَسْمَعِي مِنْ كُلِّ مَا سُمِعَا
نَعَمْ سَقَى اللَّهُ سُكَّانَ الْحِمَى وَرَعَى

محمد بن المبارك^(٣)

ابن علي، أبو عبد الله.

كان شاعراً لبيباً، ومن شعره في مَغْنٍ بارد اسمه محمود: [من الخفيف]

لو أراد الإلهُ بالأَرْضِ خِصْباً ما تَغْنَى مِنْ فَوْقِهَا مَحْمُودُ
كَلِمَا أَنْبَتَتْ يَسِيراً مِنَ الْعُشْبِ بِ وَغْنَى غَطَّى عَلَيْهِ الْجَلِيدُ

مُسلم بن الخَضِر بن مُسلم^(٤)

ابن قسيم، أبو المَجْد الحَمَوِي الشاعر الفاضل، [ذكره العماد في «الخريدة»،

وَمَدَحَ زَنْكِي وولده نور الدين محمود]^(٥). ومن شعره: [من البسيط]

(١) في (ح): من حوله.

(٢) في (ح): وفي.

(٣) له ترجمة في «الوفيات»: ٤/ ٣٨٠-٣٨١، والبيتان فيه.

(٤) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٦/ ٤٦٣-٤٦٥، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام:

١/ ٤٣٣-٤٨٠، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٩١، ١٢٤، ٤٢٥، و«الوفيات»: ٢٥/ ٥٥٥-٥٦٣،

و«فوات الوفيات»: ٤/ ١٣٤-١٣٥.

ولم يذكر ابن عساكر تاريخ وفاته، وذكر العماد في «الخريدة» أنه توفي سنة نيف وأربعين وخمس مئة، ولم يحدد سنة وفاته، وقد ذكرها السبط في وفيات هذه السنة (٥٤١هـ)، وتابعه على ذلك الصفدي في «الوفيات» و«الوفيات»، وابن شاعر الكتبي في «فوات الوفيات»، وفي هذا التحديد نظر، لأن العماد ذكر له قصيدة يمدح فيها معين الدين أنر سنة (٥٤٢هـ)، انظر «الخريدة»: ١/ ٤٥٧.

وقد جمع شعره الدكتور سعود محمود عبد الجابر، ونشر في دار البشير، عمان سنة ١٩٩٥، وهي نشرة تعوزها الدقة.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

أهلاً بطيف خيال زارني^(١) سَحَرًا
أَقْبَلُ الْأَرْضَ إِجْلَالًا لَزُورَتِهِ
ومودع القلب من نار الجوى حرقاً
تكاد من ذكر يوم البين تحرقه
وقال: [من المديد]

مُلِّكُوا حَتَّى إِذَا مَلَكَوْا
مَا عَلَى الْأَحْبَابِ إِنْ تَلِفَتْ
عَاقِبُونِي بِالْجَفَا وَيَدِي
هَتَكُوا سِثْرَ الْوِصَالِ فَوَا
وَطَرِيقُ الْوَصْلِ وَاضِحَةٌ
أَخَذُوا فَوْقَ الَّذِي تَرَكَوْا
مُهْجَتِي فِي حُبِّهِمْ دَرَكُ
بَذِيُولِ الْعَفْوِ تَمْتَسِكُ
حَرَبًا مِنْ عُظْمٍ مَا هَتَكُوا
فَلَمَّاذَا غَيْرَهَا سَلَكَوْا^(٣)

السنة الثانية والأربعون وخمس مئة

فيها ولَّى المقتفي عون الدين يحيى بن محمد بن هُبيرة كتابة الزمام، وعزَل عنها مهديوه^(٤) في المحرم.

وفي ربيع الأول عُزِلَ أبو نصر بن جَهِير من الوزارة، وسكن بالدار التي بناها بباب المراتب [على شاطئ دجلة عند باب الأزج، وهي التي آل أمرها إلى أن]^(٥) اشترتها بنفسها جارية المستضيء، ووقفتها مدرسة للحنابلة، [وسلَّمَتها إلى جَدِّي رحمه الله في سنة سبعين وخمس مئة، فذكرَ بها الدرسَ، وأقام فيها، وهي اليوم تُعرف به]^(٦).

وفي جُمادى الأولى استوزر الخليفة أبا القاسم علي بن صدقة، نقله من المخزن إليها، واستدعاه ومعه قاضي القضاة الزينبي وجماعة من الخواص، فشافه بها، وخلع عليه، ومضى إلى الديوان، وقرأ ابنُ الأنباري كاتبُ الإنشاء عهده.

(١) في (ع) و(ح) و(ش): جاءني، والمثبت من (م).

(٢) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٤٣٤ / ١.

(٣) الأبيات في «الخريدة»: ٤٦٥ / ١.

(٤) في «المنتظم»: ١٢٤ / ١٠ ابن مهديوه.

(٥) في (ع) و(ح): بباب المراتب وهي التي اشترتها.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقَدِمَ ابْنُ الْعَبَّادِي فِي رِسَالَةِ السُّلْطَانِ إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَالتَقَاهُ أَرْبَابُ الدَّوْلَةِ سِوَى الْوَزِيرِ.

وَوَلَّى الْمُقْتَفِي يَحْيَى بْنَ جَعْفَرِ الْمَخْزَنِ، وَلَقَبَهُ زَعِيمَ الدِّينِ.

وَفِي رَمَضَانَ هَرَبَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْمُسْتَظْهَرِ أَخُو الْخَلِيفَةِ مِنَ الدَّارِ، وَخَرَجَ وَعَلَى رَأْسِهِ طَبَقٌ، فَاخْتَبَأَ بِيَابَ الْأَزْجِ يَوْمَئِذٍ، وَقَامَتْ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْقِيَامَةُ، وَوَثِبَ الْخَدَمُ فِي طَلْبِهِ، فَجَاؤُوا بِهِ، فَرَدَّهِ إِلَى الدَّارِ، وَاحْتِيطَ عَلَيْهِ.

وَفِيهَا فَتَحَ نُورُ الدِّينِ حِصْنَ أَرْتَاحٍ وَكَفَرَلَاثًا مِنْ بِلَدِ حَلَبَ.

وَفِيهَا اسْتَوْلَى عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى مَرَّأَكُشَ مَدِينَةِ الْمَغْرِبِ بِالسَّيْفِ، وَقَتَلَ مَنْ بَهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِلرَّعِيَّةِ، وَأَحْضَرَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَقَالَ: إِنَّ الْإِمَامَ الْمَهْدِيَّ أَمَرَنِي أَنْ لَا أُقِرَّ النَّاسَ إِلَّا عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ بَعْدَ الْخَمْسِ مِائَةٍ يَظْهَرُ مَنْ يَنْصُرُ شَرِيعَتَكُمْ، وَقَدْ انْقَضَتْ الْمُدَّةُ، وَأَنَا مَخِيرُكُمْ بَيْنَ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُسَلِّمُوا، وَإِمَّا أَنْ تَلْحَقُوا بِدَارِ الْحَرْبِ، وَإِمَّا [أَنْ] ^(١) أَضْرِبَ رِقَابَكُمْ. فَأَسْلَمَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ، وَلَحِقَ بِدَارِ الْحَرْبِ أُخْرَى.

وَأُخْرِبَ الْكُنَائِسَ وَالْبَيْعَ وَرَدَّهَا مَسَاجِدَ، وَأَبْطَلَ الْجِزْيَةَ، وَفَعَلَ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ وَلَايَاتِهِ، ثُمَّ فَرَّقَ بَيْتَ الْمَالِ وَكَنَسَهُ، وَصَلَّى فِيهِ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْدُّخُولِ إِلَيْهِ وَالصَّلَاةِ [فِيهِ] ^(١) كَمَا فَعَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَصَّدَ حُسْنَ السَّيْرِ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ لَا يُؤْثِرُ جَمْعَ الْمَالِ، وَلَا يَدْخُرُ شَيْئًا.

ثُمَّ أَقَامَ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ وَالْحُدُودَ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ مَعَ السِّيَاسَةِ الْكَامِلَةِ. وَقَالَ: مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَاقْتُلُوهُ. وَشَدَّدَ فِي الْأُمُورِ، فَلَمْ يَدْعُ مِنْكَراً إِلَّا وَأَزَالَهُ، وَكَانَ يُصَلِّيُ بِالنَّاسِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَيَقْرَأُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سُبْعاً مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَيَلْبَسُ الصُّوفَ، وَيَصُومُ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ، وَيَقْسِمُ الْفِيءَ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ، فَأَحْبَبَهُ النَّاسُ، [وَمَالُوا إِلَيْهِ] ^(١) لِنَسْخِهِ أَفْعَالَ مَنْ تَقَدَّمَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ قِيَمَازَ، وَلَمْ يَزُرْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِقَلَّةِ الْمَاءِ فِي الطَّرِيقِ.

(١) مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (م) وَ(ش).

فصل وفيها توفي :

دَعْوَان بن علي بن حَمَّاد^(١)ابن صدقة [الجُبِّي] ^(٢) أبو محمد الضَّرِير.

[ولد سنة ثلاثٍ وستين وأربع مئة بِجُبَّة، وهي قرية عند العَقْرِ في طريق خراسان^(٣).
سمع الحديث الكثير، وقرأ القرآن، وتفقه على أبي سَعْد المَخْرَمي، و]^(٢) كان
صالحاً عفيفاً على مذهب السَّلف، [انتفع به خلق كثير، و]^(٢) توفي في ذي القعدة،
وَدُفِنَ [عند أبي بكر الخلال]^(٢) بباب الأزج.

قال عبد الله الجُبَّائي^(٤): رأيتُه في المنام بعد موته وعليه ثيابٌ بيضٌ، وعِمامة
بيضاء، وهو يمضي إلى الجامع لصلاة الجمعة، فأخذتُ بيده، ومشيت معه، وقلتُ
له: أيش لقيت من الله تعالى؟ فقال لي: عُرِضْتُ عليه خمسين مرة، وقال لي: أيش
عملت؟ قلتُ: قرأتُ القرآن وأقرأته. فقال لي: أنا أتولاك، أنا أتولاك، أنا أتولاك.
قالها ثلاثاً. قال عبد الله: فأصابني الوجد، وصحت وانتبهتُ^(٥).

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٢٧/١٠ - ١٢٨، و«معجم الأدباء»: ١١٢/١١ - ١١٣، و«معجم البلدان»: ٩٧/٢، و«معرفة القراء الكبار»: ٩٧١/٢ - ٩٧٢، و«العبر» للذهبي: ١١٥/٤، و«الوافي بالوفيات»: ١٨/١٤، و«نكت الهميان»: ١٥٠ - ١٥١، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢١٢/١ - ٢١٣، و«غاية النهاية»: ٢٨٠/١ - ٢٨١، و«شذرات الذهب»: ١٣١/٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) الجبة اسم لغير موضع، والتي ينسب إليها دعوان هي قرية من سواد بغداد من أعمال النهروان، انظر «معجم البلدان»: ٩٧/٢، و«التكملة لوفيات النقلة»: ١٥٤/٢، و«معرفة القراء»: ٩٧١/٢.

(٤) في النسخ الخطية: أبو عبد الله، بزيادة «أبو»، وهو خطأ، وسيأتي على الصواب في آخر الخبر، وعبد الله الجبائي هو عبد الله بن أبي الحسن بن أبي الفرج الشامي الجبائي، الإمام القدوة، قدم بغداد سنة (٥٤٠هـ)، وله إحدى وعشرون سنة، فصحب الشيخ عبد القادر، وحصل الأصول. ثم استوطن أصبهان، وتوفي سنة (٦٠٥هـ)، وكان ذا قبول ومنزلة وصدق وتأله، والجبة التي ينسب إليها هي قرية من أعمال طرابلس الشام، وقد خطأ ياقوت في نسبته الجبائي، فقال: كذا كان ينسب نفسه، وهو خطأ، والصواب الجبي، انظر ترجمته في «معجم البلدان»: ١٠٩/٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٨٨/٢١.

(٥) انظر الخبر في «المنتظم»: ١٢٧/١٠، وقد كتب به عبد الله إلى ابن الجوزي.

[سمع أبا محمد التميمي وغيره] ^(١).

رِضْوَانُ بْنُ الْوَلَخْشِيِّ ^(٢)

أمير الجيوش بمصر، كان قد استولى على صاحبها، وحَجَرَ عليه، فَدَسَّ إليه
السُّودَانُ، فوثبوا عليه، فقتلوه، واتفق نزولُ المطر في غير أنواء، فقال ابن الزبير ^(٣)
يرثيه: [من الطويل]

بِنَفْسِي مَنْ أَبْكِي السَّمَوَاتِ فَقْدُهُ بَغِيْثِ ظَنَّنَاهُ نَوَالَ يَمِينِهِ
فَمَا اسْتَعْبَرْتُ إِلَّا أَسَىً وَتَأْسُفًا وَإِلَّا فَمَاذَا الْقَطْرُ فِي غَيْرِ حِينِهِ ^(٤)!

عمر بن أبي الحسن، أبو شجاع البسطامي ^(٥)

وعظ ببغداد، وأنشد لأبي الفرج بن هندو ^(٦): [من الطويل]

تَعَرَّضْتُ الدُّنْيَا بِلَذَّةٍ مَطْعَمٍ وَرَوْنَقَ مَوْشِيٍّ مِنَ اللَّبْسِ رَائِقِ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) انظر أخباره في «الاعتبار» لابن منقذ: ٥٢-٥٦، و«نزهة المقلتين في أخبار الدولتين» لابن الطوير: ٢٨، ٢٩، ٤٤، ٤٦-٥٢، و«الكامل»: ٤٨-٤٩/١١، و«اتعاظ الحنفا»: ١٨٢/٣-١٨٥، و«خطط

المقريزي»: ٣٦/٢، و«النجوم الزاهرة»: ٢٨١/٥، وفي «الكامل» ذكر مقتله سنة (٥٤٣هـ).

(٣) هو المهذب أبو محمد، الحسن بن علي بن الزبير، من شعراء مصر الكبار في عصره، توفي سنة (٥٦١هـ)، انظر ترجمته في «خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ٢٠٤-٢٢٥، و«معجم الأدباء»: ٤٧/٩-٧٠، و«وفيات الأعيان»: ١٦١/١، و«وفات الوفيات»: ١٣٧/١-٣٤١، و«الطالع السعيد»: ١٩٤-٢٠٣.

(٤) البيتان في «الخريدة» قسم شعراء مصر: ٢٢٢/١، و«معجم الأدباء»: ٦٨/٩-٦٩، و«وفات الوفيات»: ٣٣٨/١.

(٥) هو عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد البسطامي، له ترجمة في «الأنساب»، ٢١٤/٢، و«المنتظم»: ١٢٨/١٠، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٤٨-١٤٩، و«إنباه الرواة»: ١٠٢/٢ (في ترجمة ابن الخشاب)،

و«العبر» للذهبي: ١٧٨-١٧٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٥٢-٤٥٤، وفيه تنمة مصادر ترجمته، وعندهم ما خلا ابن الجوزي وفاته سنة (٥٦٢هـ)، ولم يذكر السمعاني وفاته، لأنهما ماتا في العام نفسه.

وقد اضطرب سبط ابن الجوزي في سنة وفاته، فذكره في وفيات هذه السنة متابعاً في ذلك جده في «المنتظم»:

١٢٨/١٠، وسيذكره كذلك في وفيات سنة (٥٧٠هـ)، وتابعه على ذلك الزركلي في «الأعلام»: ٦١/٥.

(٦) في (ع) و(ح) ابن المنذر، وهو تحريف، والمثبت من «مشيخة ابن الجوزي»: ١٤٩. وابن هندو هو علي بن الحسين بن هندو، أبو الفرج، كان كاتباً أديباً شاعراً، متفلسفاً، وهو أحد كُتَّاب الإنشاء في ديوان عضد =

أَرَادَتْ سَفَاهَا أَنْ تُمَوِّهُ قُبْحَهَا عَلَى فِكْرٍ خَاضَتْ بِحَارَ الدَّقَائِقِ
فَلَا تَخْدَعِينَا بِالسَّرَابِ فَإِنَّا قَتَلْنَا نُهَانَا^(١) فِي طِلَابِ الْحَقَائِقِ

فاطمة خاتون^(٢)

بنت السلطان محمد بن ملكشاه، زوجة المقتفي ببغداد في ربيع الأول، وصلى عليها قاضي القضاة الزينبي في صحن السلام، وحملت في الزَّيْزَب إلى الرُّصَافَة، فدفنت قريباً من المستظهر بالله.

محمد بن الْمُظَفَّر بن عَلِيّ بن المُسْلَمَة^(٣)

ولد سنة أربع وثمانين وأربع مئة، وسمع الحديث، وتفرّد وتعبّد، وجعل داره التي في دار الخليفة رباطاً للصّوفية، وتوفي ليلة الجمعة تاسع رجب، وحُملَ إلى جامع القصر، وأزيلت شقّة من شُبَّاك المقصورة التي فيها المحراب ليحصل الثَّابُوت في المحراب، فيصلّي عليه الخليفة، وتقدّم في الصلاة عليه وزير الخليفة ابنُ صَدَقَة، ودُفِنَ عند جامع المنصور قريباً من رباط الزُّوزَنِي.

هبة الله بن علي بن محمد^(٤)

ابن حمزة، أبو السَّعَادَاتِ الْعَلَوِي، النُّحُوي، ويعرف بابن الشَّجَرِي.

= الدولة، وتوفي نحو سنة (٤٢٠هـ)، ترجم له الثعالبي في «يتيمة الدهر»: ٤٥٩-٤٦٢/٣، و«معجم الأدباء»: ١٣٦-١٤٦/١٣، و«فوات الوفيات»: ١٣-١٨/٣. و«الوافي بالوفيات»: ١٣-١٨/٢١، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(١) قتلنا ساقطة من (ع)، وفي (ح): نهانا نهانا، والمثبت من «مشيخة ابن الجوزي»: ١٤٩، و«معجم الأدباء»: ١٣٥/١٣، و«الوافي بالوفيات»: ١٥/٢١.

(٢) لها ترجمة في «المنتظم»: ١٢٨/١٠، و«الكامل»: ١٢٣/١١.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٢٩/١٠، و«الكامل»: ١٢٣/١١، و«الوافي بالوفيات»: ٣٥/٥.

(٤) له ترجمة في «نزهة الألباء»: ٤٠٤-٤٠٦ - وقد ختم به كتابه - و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق:

٣/١م-٥٤، و«المنتظم»: ١٣٠/١٠، و«معجم الأدباء»: ٢٨٢-٢٨٤/١٩، و«إنباه الرواة»:

٣/٣٥٦-٣٥٧، و«وفيات الأعيان»: ٤٥/٩-٥٠، و«إشارة التعيين»: ٣٧٠، و«المستفاد من ذيل تاريخ

بغداد»: ٤١٩-٤٢١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩٤-١٩٦/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته، وقد ترجم له

ترجمة ضافية الدكتور محمود الطناحي في مقدمة تحقيقه لكتاب «أمالى ابن الشجري».

انتهى إليه عِلْمُ النَّحْوِ والعربية ببغداد، وسمع الحديث، وطال عُمُرُهُ، وتمتّع بجوارحه وعقله، وقال: ما سَمِعْتُ في المَدْحِ أبلغ من شعر أبي فراس بن حَمْدان: [من الكامل]
 وأمامك الأعداءُ تَطْلُبُهُمْ ووراءك القُصَّادُ في الطَّلَبِ
 فإذا سَلَبْتَهُمْ وَقَفْتَ لَهُمْ فَسَلَبْتَ ما تحوي من السَّلَبِ^(١)
 وما سمعتُ في الذَّمِّ أبلغ [من بيتٍ لمسكويه]^(٢): [من الطويل]
 وما أنا إلا المِسْكُ ضاعَ وعندكم يضيعُ وعند الأكرمين يَضُوعُ

السنة الثالثة والأربعون وخمسة مئة

فيها فارق جماعةً من الأمراء السُّلطان مسعود، وكان على هَمْدان، بسبب صبيٍّ كان عنده يقال له خاصبك بن البلنكري^(٣) كان قد استولى عليه، وقصدوا ببغداد، ومعهم محمد شاه بن محمود، وهم: البقش وألدكز وقيصر وألطنطاي وعلي بن دُبَيْس وغيرهم، ونزلوا شَهْرَابان^(٤)، فانهزم النَّاسُ من بين أيديهم، وقُطِعَ الجسر ببغداد، [يقال: إِنَّ شحنة مسعود ببغداد قطع الجسر]^(٥)، وكان الغزنوي الواعظ قد تولَّى عمله، وعَمِلَ له درابزينات من الجانبين، فبعث الخليفةُ ابنَ العَبَّادي الواعظ إليهم، يقول: أميرُ المؤمنين يقول لكم في أي شيء جئتم؟ وما مقصودكم؟ فَإِنَّ النَّاسَ قد انزعجوا بسبب مجيئكم. فقالوا: نحن عبيد هذه العتبة الشريفة، وعبيد السُّلطان ومماليكه، وما فارقناه إلا خوفاً من خاصبك، فإنه أفنى الأمراء؛ قَتَلَ عبدَ الرحمن بن طُغَايرِك^(٦) وَعَبَّاساً وبوزبا، وعدُّوا جماعة، وما عَنِ النَّفُوسِ عَوْضٌ، فإِذَا نحن وإِذَا هو، فَإِنَّهُ هو الذي يحمل السُّلطان على قَتْلنا، وما نحن خوارج ولا عصاة.

(١) لم أجد البيتين في «ديوانه» المطبوع بتحقيق د. سامي الدهان، بالمعهد الفرنسي بدمشق، ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م بيروت.

(٢) في (ع) و(ح) غير واضحة، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٣٠/١٠.

(٣) قتل بعد موت مسعود سنة (٥٤٨هـ)، انظر «المنتظم»: ١٥٣/١٠ - ١٥٤، و«الكامل» لابن الأثير:

١١/١٦٠ - ١٦٣، و«تاريخ دولة آل سلجوق»: ٢٠٨ - ٢١٣.

(٤) قرية كبيرة شرقي بغداد. «معجم البلدان»: ٣/٣٧٥.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في (ع) و(ح) طويرك، ومثله في «المنتظم»: ١٣٢/١٠، والصواب مثبت من «الكامل»: ١١٦/١١،

و«تاريخ دولة آل سلجوق»: ١٩٦، ١٩٩.

ثم دخلوا بغداد في ربيع الأوّل، ومدّوا أيديهم إلى ما يختص بالسلطان، وكبسوا خانات باب الأزج، فأخذوا الغلّة منها، فثار العوام عليهم، وقتلوه، فبعث الخليفة إلى مسعود يقول: أما الشُّحنة الذي من قبلك فقد هربَ إلى تكريت هو وأمير الحاج، وقد أحاط القوم بالبلد، ومدّوا أيديهم وأفسدوا، وما يمكنني أن أتخذ عسكرياً لأجل العهد الذي بيننا وبينك. فكتب إليه: قد برئت ذمّة أمير المؤمنين من العهد الذي بيننا، وقد أذنتُ لك أن تتخذ العسكر، وتحتاط لنفسك والمسلمين. فحينئذٍ استعدّ الخليفة، وأمر باستخدام العساكر، وأظهر السُّرادق والخيم، وسدّ العقود، وحفر الخنادق، والقوم ينهبون ما حول البلد من الغلات والأموال، وعبر طائفة منهم إلى الجانب الغربي، فقسّطوا على أهله أموالاً^(١)، وساروا إلى الدجيل^(٢)، وأخذوا بنات^(٣) الناس ونساءهم، وجاؤوا بهم إلى الخيام، وجاءت زواريق فيها غلالٌ فأخذوها، ونشبت الحرب، وقُتل جماعة من الفريقين، فأرسل الخليفة إليهم الغزنوي الواعظ يقبّح عليهم ما فعلوا، وقال: لو جاء الكفار ما فعلوا مثل هذا الذي فعلتم، أيّ ذنب لأهل الرّسائيق والقرى؟ واستنقذ منهم النّساء وبعض المواشي، وجاء أصحابها فمن عرف شيئاً أخذه.

وفي جمادى الأولى جلس الخليفة في منظره الحلبة^(٤)، وعرض العساكر، وأمر العوام بلبس السلاح، والذبّ عن نفوسهم وأموالهم، وكان البقش نازلاً عند دار السلطان، فرحل إلى ظاهر البلد تطيباً لقلب الخليفة، وقطعا الحرب، وبعث الخليفة فسدّ باب السُّوق من ناحية دار السلطان، وكانوا يمتارون من سوق السلطان، فأصبحوا إلى باب البلد، فأرأوه مسدوداً، فجاء منهم ألف فارس إلى ناحية الجعفرية، فثلّموا في السُّور عدّة مواضع، وصعدوا، وبعثوا الرّجال، ففتحوا الباب الذي سدّه الخليفة، ونقضوا البناء، وكسروا الباب، وأخذوا حديدته، وبعث البقش رسولاً إلى الخليفة يقول: لأيّ شيء سدّتم في وجوهنا الباب، وإنما كنّا نسترزق من سوق السلطان؟ فلم

(١) في (ع) الأقساط، والمثبت من (ح).

(٢) الدجيل: نهر مخرجه من أعلى بغداد، بين تكريت وبينها، مقابل القادسية، «معجم البلدان»: ٤٤٣/٢.

(٣) في (ع) بنين، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في «المنتظم»: ١٣٢/١٠.

(٤) الحلبة: محلة كبيرة واسعة في شرقي بغداد عند باب الأزج. «معجم البلدان»: ٢٩٠/٢.

يلتفت إلى قوله، وأصبح العوام، فخرجوا إليهم، فقاتلوهم، فاستجروهم، فأبعدوا عن البلد، وخرج عليهم الكمين، فقتلوا من العوام نحواً من خمس مئة، ولم يتجاسر أحد أن يخرج من أهل المُقتَلين، فنادوهم: تعالوا خذوا قتلاكم.

فلما كان عشية ذلك اليوم، وهو سادس جمادى الآخرة جاء الأمراء إلى الرقة المقابلة للنجار، ورموا أنفسهم، وقالوا: ما عندنا مما جرى علم، وإنما هو فعل أوباش لم نأمرهم به. فلم يلتفت إليهم. فقالوا: نحن قيام على رؤوسنا ما نبرح أو يعفو عنا أمير المؤمنين. فعبر إليهم خادم وقال: قد عفا عنكم، فامضوا واستحلوا من أهل القتل. ثم أمر الخليفة بإصلاح ما هدموا من السور.

ثم اختلف العسكر، فأخذ ألكز الملك محمد شاه، وطلب بلاده، وسار البقش وابن ديس والطرنطاي نحو الحلة، وسكن الناس.

وقبض الخليفة على وزيره ابن صدقة، ومات قاضي القضاة الزينبي، وتقلد القضاء علي بن أحمد بن علي بن محمد الدامغاني.

وفي ربيع الأول نزلت الفرنج على دمشق؛ خرج ملك الألمان^(١) من البحر في جيوش لا تحصى، واجتمع إليه ملوك الساحل [وكنودها]^(٢)، واجتمعوا في البيت المقدس، وصلوا صلاة الموت، وعادوا إلى عكا، وفرقوا سبع مئة ألف دينار في العساكر، ولم يظهروا أنهم يريدون دمشق، وورثوا غيرها، وهرب المسلمون من بين أيديهم، وجمعوا الغلال والأتبان^(٣) وأحرقوها، وكان صاحب دمشق مجير الدين أبق ابن محمد بن بوري بن طغتكين، ومُدبّر الأمور معين الدين أنر، فلما كان يوم [السبت]^(٢) سادس ربيع الأول لم يشعر أهل دمشق إلا وملك الألمان قد ضربت خيمته [على باب دمشق]^(٢) في الميدان الأخضر، وكانوا ستة آلاف فارس وستين ألف راجل، وقيل: كانوا مئة ألف راجل وعشرة آلاف فارس، وقيل: إنهم تفرقوا على البلد، فنزل ملك الألمان في الميدان [الأخضر]^(٢) في ستة آلاف فارس وثلاثين ألف

(١) هو كراد الثالث . Conrad III

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) الأتبان جمع، مفردا تبنة، وهي ما تهشم من سيقان القمح والشعير بعد درسه تعلفه الماشية، ويجمع أيضاً

على تب، انظر «معجم متن اللغة»: ٣٨٧/١، و«المعجم الوسيط»: ٨٢/١.

راجل، ونزل قرواس^(١) ملك الساحل على الشرف الشمالي في ثلاثة آلاف فارس وعشرين ألف راجل، ونزل الكنود والحَيَّالة على الشرف القبلي في مئة ألف راجل، واجتهد المسلمون في إحصائهم فلم يقدرُوا، وخرج إليهم معين الدين ومجير الدين في مئة ألف راجل سوى الفرسان، فقاتلُوهم في اليوم الأول قتالاً شديداً، فقتلَ من المُسلمين نحو مئتين، [منهم الفندلاوي، وسنذكره في موضعه]^(٢)، وكان القتال يعمل ليلاً ونهاراً، وضايقوا البلد حتى نزلوا على أبوابه.

وكان [معين الدين]^(٢) أنر قد كاتب سيف الدين غازي صاحب الموصل قبل [نزول الفرنج على دمشق يستصرخ به، ويخبره بشدة بأس الفرنج، ويقول: أذرْكنا. فسار سيف الدين في]^(٣) عشرين ألفاً، فنزل بحيرة حِمص، وبعث إلى [معين الدين]^(٢) أنر يقول: قد حضرتُ بجندٍ عظيم، ولم أترك ببلادي مَنْ يحمل السلاح، فإن أنا جئتُ ولقينا الفرنج وكانت علينا هزيمة وليست دمشق لي ولا لي بها نائب لم يَسَلِّمْ منا أحد، وأخذتِ الفرنجُ دمشق وغيرها، فإن أحببت أن أقاتلهم، فسَلِّمْ البلدَ إلى مَنْ أثقُ به، وأنا أحلف لك إن كانت النُصرة لنا [عليهم أني]^(٢) لا أدخل دمشق، وأرجعُ إلى بلادي، فَمَطَّلَهُ [معين الدين]^(٢) أنر، وبعث إلى السَّواحلة يقول: هذا ملك الشَّرق نازلٌ على حِمص، وليس لكم به طاقة، فإن رَحَلْتُمْ وإلا سَلَّمْتُ دمشق إليه، وهو يُبيدكم، وأنا أُعطيكم بانياس. فأجابوه، وحَسَّنوا للغرباء الرَّحيل، فاتَّهَمُوهم.

وكان زمان الفواكه، فنزل الفرنج الوادي، فأكلوا منها شيئاً كثيراً، فأنحَلَّت أجوافُهم، ومات منهم خَلْقٌ كثير، ومَرَضَ الباكون.

ولمَّا ضاق بأهل دمشق الحال أخرجوا الصَّدَقَات والأموال على قدر أحوالهم، واجتمع النَّاس في الجامع: الرِّجال والنِّساء والصِّبيان، ونشروا مُصحف عثمان رضوان الله عليه، وحثوا الرَّماد على رؤوسهم، وبكوا وتضرَّعوا، فاستجاب الله لهم،

(١) كذا في (ع) و(ح)، وفي (م) قرواش، وفي (ش) فرويس، والمراد على الأغلب هو ملك بيت المقدس، ويراد بالساحل أي فرنج الشام تمييزاً لهم عن الفرنج القادمين مع الحملة، وقد عبَّر عنهم بالغرباء، وكان ملك بيت المقدس وقتئذ هو بلدوين الثالث، وكان تحت وصاية أمه، انظر «تاريخ الحروب الصليبية» لرنسيمان (الترجمة العربية): ٤٥١/٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ح): قبل نزولهم يستصرخ به، فسار في عشرين ألف، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وكان مع ملك الألمان قيسس^(١)، طويل اللحية يقتدون به، فأصبح في اليوم العاشر من نزولهم على دمشق، فركب حماره، وعلّق في عنقه صليبا، وجعل في يديه صليبين وعلّق في عنق حماره صليبا، وجميع الأقساء بين يديه بالأنجيل والصُّلبان، وركبت الملوك والخيّالة والرّجالة، ولم يتخلّف من الفرنجية أحد إلا من يحفظ الخيام، وقال لهم القيسس: قد وعدني المسيح أنني أفتح اليوم دمشق. وقصدوا البلد، وفتح المسلمون الأبواب واستسلموا للموت، وغاروا للإسلام، وحملوا حملة رجل واحد، وكان يوماً لم يُرَ في الجاهلية والإسلام مثله، وقصد واحد من أحداث دمشق القيسس، وهو في أوّل القوم، فضربه، فأبان رأسه، وقتل حماره، وحمل الباكون، فانهزم الفرنج، وقتلوا منهم عشرة آلاف، وأحرقوا الصُّلبان والخيام بالنّفط، وتبعوهم إلى الخيام، وحال بينهم الليل، فأصبحوا وقد رحلوا، ولم يبق لهم أثر، وبعثوا يطلبون من أنر بانياس، فقال: إنما وعدتكم بها إذا رَحَلْتُم [الفرنج]^(١)، وهذا فعلُ الله تعالى. فقالوا: نحن نعود إلى دمشق، ونقيم عليها فلا نرحل حتى نأخذها. وكانوا قد أحرقوا الربوة، وهدموا القباب، وقطعوا الأشجار، ودرسوا ظاهر دمشق، فرأى أنر أن يفدي دمشق ببانياس^(٢)، وكان سيف الدين قد طمّع فيها، فأعطاهم بانياس، وبقيت في أيديهم حتى فتحها نور الدين [محمود]^(١) رحمه الله^(٣).

وكان قد وقع بدمشق أيام الحصار طاعون، فقال أبو الحَكَم الأندلسي^(٤): [من الكامل].

ولقد حَلَلْتُ من الشَّامِ بِبُقْعَةٍ أَعَزُّ بِسَاكِنِ رُبْعِهَا الْمَسْكُونِ
أَضْحَى مجاورَها العدوُّ فَأَهْلُهَا شهداءُ بين الطَّغْنِ والطَّاعُونِ^(٥)
وعاد سيف الدّين إلى بلاده.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (م): فرأى معين الدين من المصلحة أن يحفظ دمشق ببانياس. وفي (ش): من المصلحة بقاء دمشق ببانياس.

(٣) كان فتحها سنة (٥٦٠هـ).

(٤) هو عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الأندلسي، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٤٩هـ).

(٥) «نفح الطيب»: ٦٣٧/٢ - ٦٣٩.

وفيها أزال نور الدين في حلب من الأذان «حيّ على خير العمل» وسبّ الصحابة عليهم السلام وقال: مَنْ عاد إليه قَتَلْتُهُ.

[وساعده على ذلك الفقيه برهان الدين أبو الحسن علي الحنفي^(١)، وغيره]^(٢).

وفيها ظهر بمصر رجلٌ من ولد نزار يطالب بالخلافة، واجتمع إليه خلقٌ كثير، وجَهَّز إليه الحافظ العساكر، فالتقوا بالصَّعيد^(٣)، فَقُتِلَ من الفريقين جماعةٌ، ثم انهزم النُّزاري، وقُتِلَ ولده.

وفيها أغار نور الدين على بلاد الفرنج، وفتح عدَّة حصون، وأَسَرَ وقَتَلَ، واجتاز بأنطاكية، وبات قريباً منها [آمناً أَنَّهُ في بلده، فبيَّته البرنس صاحبُها ليلاً، وهم غارُّون، فما نجا إلا القليل، وهرب نور الدين إلى حلب، وكان ذلك غَفْلَةً من أصحابه حيث لم يكن لهم يَزَك^(٤)]^(٢).

وحجَّ بالنَّاس قِيَّماز.

فصل: وفيها توفي

عليُّ بنُ الحسين بن محمد بن علي^(٥)

أبو القاسم، قاضي القضاة، الزَّينبي.

(١) هو أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد البُلخي، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٤٨هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ذكر ابن القلانسي في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٦٩ أن مكان الواقعة كان بالقرب من الإسكندرية، وفي «اتعاظ الحنفا»: ١٨٦/٣: وواقعهم على الحمامات. وعلق محققه بقوله: لعل المقصود به ذات الحمام الواقعة في الصحراء الغربية على مسافة يوم من الإسكندرية.

(٤) اليزك: كلمة فارسية تعني طليعة الجيش، وكانت هذه الطليعة تتقدم الجيش لاستكشاف جبهة العدو قبل توجه الجيش نحوه، انظر «الجيش الأيوبي»: ١٧٧-١٨٠.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٣٥-١٣٦، و«الكامل»: ١٤٦/١١، و«الوافي بالوفيات»: ٥١/٢١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠٧/٢٠-٢٠٨ وفيهما تنمة مصادر ترجمته.

والزَّينبي: نسبة إلى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، قال السمعاني: وظني أنها زوجة إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، انظر «الأنساب»: ٣٤٥/٦.

ولد في نصف ربيع الأول سنة سبع وأربعين^(١) وأربع مئة، وسمِعَ الحديث وتفقه، وكان المسترشدُ يحبه، وكان مهيباً وقوراً؛ قلَّ أن تُسمع منه كلمة، وطالت ولايته، فأحكمه الزمان، وخدمَ الرَّاشد، وناب في الوزارة، ثم استوحش من الرَّاشد، فخرج إلى المَوْصِل، ووصلَ الرَّاشد، وبلغه حديثُ المحضر الذي ثبت عليه، فقال له: اكتب خطك بإبطال ما جرى. فامتنع، فتواعده زُنكي، وناله بشيء من العذاب، ثم أمرَ بقتله، فدفعَ الله عنه، ثم بعث المقتفي وطلبه، فبعث به زُنكي إليه فبايعه، ثم ناب في الوزارة، ثم إنَّ المقتفي أغرضَ عنه بالكُلية، وولَّى ابن المُرْخَم، فأبطل أحكامه، ولم يبق له توقيع ينفذ إلا اسم القضاء لا غير، فمريضَ أياماً، وماتَ يوم عيد النَّحر، وصلى عليه ابنُ عمِّه طلحة بن علي^(٢) نقيب النُّقباء، ودُفِنَ إلى جانب أبيه.

وقال ابنُ القلانسي: صلى عليه المقتفي^(٣).

ورآه بعضُ أصحابه في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال له: اذهب إلى [أبي عبد الله يعني ابن البيضاوي القاضي، وهو ابن أخي قاضي القضاة، وأحد أوصيائه]^(٤) وقل له: لِمَ تضيِّق صدرَ غُصن وشهية؟ يعني سراريه. فقال له الرجل: فما فعل الله بك؟ فقال: غفرَ لي. ثم أنشد: [من الطويل]

وإنَّ امرءاً ينجو من النَّار بعدما تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا^(٥) لَسَعِيدٌ

(١) كذا، وهو من أوهام سبط ابن الجوزي، وقد تابعه على ذلك ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٢٨٢/٥، والزركلي في «الأعلام»: ٢٧٩/٤ وقد اختلف في سنة ولادته، فذكر ابن الجوزي في «المنتظم» أنها في سنة (٤٧٠هـ)، ثم ذكر عمره في ترجمته فقال: ست وسبعون سنة، مما يعني أن ولادته سنة (٤٦٧هـ)، وذكر الذهبي والصفدي أن ولادته كانت سنة (٤٧٧هـ)، وذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» ترجمته في وفيات سنة (٥٤٣هـ)، وقال: إنه جاوز الستين. والله أعلم.

(٢) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٥٨هـ).

(٣) «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٧١.

(٤) في (ع) و(ح): اذهب إلى القاضي ابن الأنصاري، وفيها خطأ وتحريف، فالأنصاري صوابها البيضاوي، وهو القاضي أبو الفتح عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد، وهو أخو قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي لأمه، وقد توفي قبله سنة (٥٣٧هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٨٢/٢٠، والمراد بالخبر ابنه أبا عبد الله، وهو ما أثبتته ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٣٦/١٠، والقصة فيه على تقديم وتأخير بها.

(٥) في (ع) و(ح): أعماله، ومثله في «الوافي بالوفيات»، والمثبت من «المنتظم».

وأصبح الرجل، فجاء إلى ابن اليّضاوي، فأخبره بالمنام، فقال: سبحان الله! والله لقد بثّ متفكراً في تقليل ما ينوبهن، أما الآن فلا أُغَيّر عليهن شيئاً. وكان فاضلاً عفيفاً، وإنما نقم عليه المقتفي بسبب المحضر الذي أثبتته على الرّاشد، ولم يكن له فيه ذنب، وإنما ابنُ عمه الوزير [ابن] ^(١) طراد حمله عليه.

يوسف بن دُوناس بن عيسى ^(٢)

أبو الحجاج، الفقيه المالكي، المَغْرِبِي، الفِنْدَلَاوِي. [ذكره الحافظ ابنُ عساكر، وقال: ^(٣) قدم الشام حاجاً، وسكن بانياس مُدَّة، وانتقل إلى دمشق، فاستوطنها، [ودرّس بها مذهب مالك، وحدث بالموطأ وغيره. قال الحافظ: وعلّقت عنه أحاديث يسيرة] ^(٣)، وكان شيخاً، حَسَنَ المفاكهة، حُلُو المناظرة، شديد التَّعَصُّبِ لأهل السُّنَّة، كريمَ النَّفْسِ، مُطَّرِحاً للتَّكَلُّفِ، قويَّ القلب، صاحب كرامات.

[ذكر مقتله] ^(٣): ولما كان اليوم السَّادس من ربيع الأول ^(٤) أول قتال الفرنج لدمشق خرج [الفِنْدَلَاوِي] ^(٣) راجلاً ومعه أصحابه فالتقاه معين الدِّين أنر، فقال [له] ^(٣): يا شيخ، إنَّ الله قد عَذَرَكَ، ليس لك قوةٌ على القتال، ونحن نكفيك، فارجع. فقال: قد بعثُ واشترى، لا أَقِيلُهُ ولا أَسْتَقِيلُهُ، وقرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية [التوبة: ١١١]، ومضى نحو الرِّبوة، فالتقاه طُلُبُّ ^(٥) بين الرِّبوة والنَّيرب، فقتلوه، [فقال] ^(٦) أبو الحكم الأندلسي هذه الأبيات: [من الهزج]

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٢) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٦٤، و«تاريخ ابن عساكر» اختصار أبي شامة (خ) ق ٤١ ب - ٤٢ (نسخة مصورة في مجمع اللغة العربية بدمشق)، ومختصره لابن منظور: ٨٠ / ٢٨، و«معجم البلدان»: ٢٧٧ / ٤ - ٢٧٨، و«اللباب»: ٤٤٢ / ٢، و«كتاب الروضتين»: ١٨٦ / ١ - ١٨٧، ١٩١، و«وفيات الأعيان»: ٤٥٢ / ٢، و«الوافي بالوفيات»: ١٩٥ / ٢٩ - ١٩٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠ / ٢٠٩ - ٢١٠، وفيهما تنمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في النسخ الخطية: شعبان، وهو تحريف، وقد سلف شهر المعركة على الصواب ص ٣٨١.

(٥) الطُّلُب، وجمعها أطلاب، وهي بمنزلة الكتائب، يكون على رأس كل مئتي فارس أو مئة أو سبعين فارساً أمير مقدم. انظر «الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين»: ١٥٣.

(٦) في (ع) و(ج): فقتلوه، وحمل إلى.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

بشَطَّيْ نَهْر دَارِيَا أَمُورُ مَا تَوَاتَيْنَا
 أَتَانَا مِئْتَا أَلْفٍ عَدِيداً أَوْ يَزِيدُونَا
 فَدَاسُوا الْمَرْجَ وَالْغُوطَ أَيَضاً وَالْمِيَادِينَا
 وَرَايَاتٍ وَصُلُبَانَا عَلَى مَسْجِدِ خَاتُونَا
 فَقَلْنَا إِذْ رَأَيْنَاهُمْ لَعَلَّ اللَّهَ يَكْفِينَا
 وَشِيخاً فَنُدْلَاوِيَا فَقِيهَاً يَعُضُّ الدِّينَا
 ومنها :

وَلَكِنْ غَادَرُوا الْقِسِيَّ سَ تَحْتَ الْأَرْضِ مَدْفُونَا
 من أبيات (١).

وقال الحافظ ابن عساكر: وأقام مدة ببانياس خطيباً، وكان شيخاً كبيراً، ودرّس بدمشق في حلقة المالكية، ولما قُتِلَ حُمِلَ [إلى الباب الصغير، فدفن به، وقبره من جانب المصلى قريباً من الحائط، وعليه بلاطة منقورة فيها شرح حاله.
 ورآه بعض أصحابه في المنام في تلك الليلة فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: أنا في جنّاتٍ عذّني مع قومٍ على سررٍ متقابلين.

السَّنة الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ وَخَمْسُ مِئَةٍ

فيها في ربيع الأول استوزر المقتفي أبا المظفر يحيى بن محمد بن هُبيرة، عَوْنُ الدِّينِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ.

وفي رجب عاد البقش، وَجَمَعَ الْجُمُوعَ، وَقَصَدَ الْعِرَاقَ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ مَلِكُ شَاهِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيُّ بْنُ دُبَيْسٍ، وَخَلَقَ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالتُّرْكَمَانِ، فَلَمَّا بَقِيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَغْدَادٍ ثَلَاثَةٌ فَرَاخَ بَعَثُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْخُطْبَةَ لِمَلِكِ شَاهٍ، فَلَمْ يَجِبْهُمْ، وَدَوَّنَ الْعَسْكَرَ، وَحُفِرَتِ الْخَنَادِقُ، وَبَعَثَ إِلَى أَهْلِ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بِأَمْرِهِمْ بِالْعُبُورِ إِلَى حَرِيمِ الْخِلَافَةِ، وَبَعَثَ ابْنَ الْعَبَّادِيِّ إِلَى مَسْعُودٍ يَسْتَحِثُّهُ وَيَعْرِفُهُ بِمَا جَرَى، وَيَقُولُ: عَجَّلْ بِالْمَجِيِّ.

(١) انظر الأبيات وغيرها في «كتاب الروضتين»: ١/ ١٩٢-١٩٣ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وبعث إليه عمه سنجر يقول له: قد أخرجت البلاد، وقتلت العباد في هوى ابن البلنكري، فأبعده عنك، وإلا فما يكون جوابك غيري. فلم يلتفت، فرحل سنجر إلى الرّي، وبعث يقول: قد جئت إليك. فسار مسعود جريدة إلى الرّي، فطيب قلبه، وخلع عليه، ولم يعاتبه في ابن البلنكري، وتأخر البقش عن بغداد، وجاء مسعود، فدخلها في ذي الحجة، فخرج إليه الوزير ابن هبيرة وأرباب الدولة لتلقيه، فأحسن إليهم، وجاء علي بن ديبس، فرمى بنفسه على باب السلطان، فرضي عنه.

[فيها]^(١) خرج نظر الخادم ليحج بالناس، فمرض بالكوفة، فاستناب قيماز الأزجواني، فلما عاد نظر الخادم إلى بغداد توفي.

وفي ذي الحجة زلزلت بغداد زلزلة عظيمة، وبقيت الحيطان تموج عشرة مرات، وامتدت إلى حلوان، فتقطع جبلها، وساخ في الأرض، وانهدمت أماكن، وهلك تحتها خلق كثير.

وفيها جمع الفرنج من الساحل ليقصدوا بلد حلب، فسار إليهم نور الدين بعساكره، وجمع كثير من التركمان، وكتب إلى [معين الدين]^(١) أنر يستنجده، فبعث إليه الأمير بزان^(٢) في عساكر دمشق، وجاءته عساكر أخيه سيف الدين [غازي]^(٣) والجزيرة، وسار إلى أنطاكية، وخرج إليه البرنس^(٤)، فكانت بينهم وقعة عظيمة كسرهم نور الدين الكسرة المشهورة^(٥)، وقتل من كنودهم ألفاً وخمسة مئة وأسر منهم مثلهم، وقتل البرنس، وحمل رأسه إلى نور الدين، فعاد إلى حلب بالغنائم العظيمة والأسارى، فبعث ببعضها إلى أخيه وإلى الخليفة وإلى دمشق وإلى الملوك، وفيها يقول ابن القيسراني: [من السريع]

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو مجاهد الدين بزان بن مامين، أحد مقدمي أمراء الأكراد، وتوفي سنة (٥٥٥هـ)، انظر ترجمته في «كتاب الروضتين»: ٣٨٧-٣٨٨.

(٣) هو ريموند Raymond of Poitou

(٤) هي وقعة إنب، انظر «الروضتين»: ٢٠٤-٢١٧.

وَكَمْ لَهُ مِنْ وَقْعَةٍ يَوْمُهَا عِنْدَ مَلُوكِ الشُّرْكِ مَشْهُودٌ
 حَتَّى إِذَا عَادُوا إِلَى مِثْلِهَا قَالَتْ لَهُمْ هَيْبَتُهُ عُودُوا
 مَنَاقِبُ لَمْ تَكُ مَوْجُودَةً إِلَّا وَنُورُ الدِّينِ مَوْجُودٌ
 وَكَيْفَ لَا نُثْنِي عَلَى عَيْشِنَا الـ مُحَمَّودٍ وَالسُّلْطَانُ مُحَمَّودٌ^(١)
 وفيها فتح نور الدين حصن فامية، وكان على أهل حماة وحمص منه ضررٌ عظيم،
 كانوا يشنون الغارات منه على البلاد.

وكان جوسلين^(٢) صاحب تل باشر، وأغزاز، وعين تاب، والراوندان، ورعبان
 وكفرسود، وكيسون، وبهسنى، والبارة، ومرعش، وكفرلاثا، وحصن منصور،
 وغيرها من الحصون شمالي حلب، وكان على المسلمين منه بلاءٌ عظيم، فجهَّز إليه
 نور الدين سَلَحْدَارَهُ، وظهر عليهم جوسلين، وأَسَرَ السَّلَحْدَارَ، وبعث به هديةً إلى
 صاحب الروم ابن قَلِيج رسلان^(٣)، وقال: نَفَّذْتُ إِلَيْكَ سَلَحْدَارَ صَهْرِكَ، وسأبعث إليك
 بعد هذا غيره. وكان نور الدين قد صاهر ابن قليج رسلان، وبلغ نور الدين قوله، فعزَّ
 عليه، فدرس جماعةً من التركمان وقال: من قدر منكم على جوسلين أعطيته من الأموال
 والبلاد مهما أراد. فجاءت طائفةٌ منهم فنزلوا في بلد عين تاب، وخرج جوسلين ليغار
 عليهم، فاستحسن منهم امرأة، فخلا بها تحت شجرة، وكَمَنَ له التركمان، فأخذه
 أسيراً، وكان نور الدين بِحِمَصَ، فحملوه إليه، فأعطى من جاء به عشرة آلاف دينار،
 وكان أَسْرُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْفَتْوحِ فِي الْإِسْلَامِ، لَأَنَّهُ كَانَ شَجَاعاً مَقْدَاماً غَدَّاراً، [غدر غير
 مرة بالمسلمين]^(٤) ولما حصل بيد نور الدين أخذ منه جميع ما ذكرنا من القلاع والبلاد
 بعد ذلك، وَأَمِنَ النَّاسُ شَرَّهُ.

(١) انظر بعض أبيات القصيدة في «كتاب الروضتين»: ١٩٩/١-٢٠٠

(٢) أورد ابن الأثير في «كامله»: ١١/١٥٤ أسر جوسلين في حوادث سنة (٥٤٦هـ)، وساقه أبو شامة في
 «الروضتين»: ١/٢٤٦-٢٤٧ في حوادث سنة (٥٤٥هـ).

(٣) هو السلطان مسعود بن قليج رسلان السلجوقي ركن الدين، تولى السلطنة ما بين السنة (٥١٠-٥٥١هـ)،
 انظر «معجم الأنساب» لزمايور: ٢١٥.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فصل وفيها توفي

أحمد بن الحسن بن علي^(١)

ابن إسحاق، أبو نصر بن نظام المُلْك.

وَزَرَ للمسترشد، ثم عُزِلَ على أحسن الوجوه، ووزر للسُّلطان محمد شاه، وتقلَّبت به الأحوال والدُّول، فرأى لزوم منزله، فلزمه إلى أن مات في ذي الحِجَّة ببغداد، وكان فاضلاً عاقلاً، سمِعَ الحديث من جماعة.

الحسن بن مسعود بن علي^(٢)

أبو علي الخوارزمي.

جدُّه وزير تاج الدولة تُشش، وتوفي بمرَّو في المحرَّم، ومن شعره: [من الطويل]
أَخْلَايَ إِنْ أَصْبَحْتُمْ فِي دِيَارِكُمْ فَإِنِّي بِمَرَوِ الشَّاهِجَانِ غَرِيبُ
أَمُوتُ اشْتِيَاقاً ثُمَّ أَحْيَا بِذِكْرِكُمْ وَبَيْنَ التَّرَاقِي وَالْفُؤَادِ لَهِيْبُ
فَمَا عَجَبٌ مَوْتُ الْغَرِيبِ صَبَابَةً وَلَكِنْ بَقَاءُهُ فِي الْحَيَاةِ عَجِيبُ^(٣)

أحمد بن محمد بن الحسين^(٤)

أبو بكر الأَرَجَانِي، قاضي تُشتر، وأَرَجَان بَلَدُهُ، منها سافر إلى العراق والشَّام ومِصر، وسمع الحديث، وتفقه بالنُّظامية، ومدح المُستظهر.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٣٨/١٠-١٣٩، و«الكامل»: ١٤٧/١١، و«الفخري»: ٣٠٦، و«الوافي بالوفيات»: ٣٢١/٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٣٦/٢٠.

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٥٩٩/٤، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢٨٤-٢٨٥، و«معجم البلدان»: ١١٤/٥، و«ميزان الاعتدال»: ٥٢٣/١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٧٧/٢٠، و«الوافي بالوفيات»: ٢٦٩-٢٧٠/١٢، و«الجواهر المضية»: ٩١/٢، و«اللسان الميزان»: ٢٥٦/٢، وعندهم وفاته سنة (٥٤٣هـ).

(٣) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»، و«الخريدة»، و«معجم البلدان»، وفيه: وبين التراقي والضلوع لهيبُ.

(٤) له ترجمة في «الأنساب»: ١٧٤/١، و«المنتظم»: ١٣٩-١٤٠، و«معجم البلدان»: ١٤٤/١، و«الكامل»: ١٤٧/١١، و«وفيات الأعيان»: ١٥١-١٥٥/١، و«الوافي بالوفيات»: ٣٧٣-٣٧٨/٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١٠-٢١١، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

وكان شاعراً فصيحاً بليغاً مفوَّهاً، له المعاني الفائقة، والألفاظ الرائقة، وكانت وفاته بشتَر، فمن شعره: [من الطويل]

ولمَّا بلوثُ النَّاسَ أَطْلُبُ مِنْهُمْ
تَحِيرْتُ فِي حَالِي رِخَاءً وَشِدَّةً
فَلَمْ أَرْ فِيمَا سَاءَنِي غَيْرَ شَامِتٍ
تَمَتَّعْتُ مَا يَا نَاطِرِي بِنَظَرَةٍ
أَعَيْنِي كُفًّا عَنِ فَوَادِي فَإِنَّهُ
وَقَالَ أَيْضاً: [من الطويل]

أَرَاقِبُ مِنْ طَيْفِ النُّخَيْلَةِ مَوْعِدَا
أَبِي اللَّيْلِ إِسْعَادِي^(٢) وَقَدْ طَالَ جُنْحُهُ
إِذَا رُمْتُمْ قَتْلِي وَأَنْتُمْ أَحِبَّةٌ
وَأُضْمِرُ فِي الْأَحْشَاءِ مِنْكُمْ تَحْرِقًا
وَأَمْنَعُ عَيْنِي الْيَوْمَ أَنْ تُكْثِرَ الْبَكَاءُ
وَقَالَ أَيْضاً: [من الطويل]

إِذَا أَنْتَ سُدْتَ النَّاسَ فِي ظِلِّ دَوْلَةٍ
فَبِتْ سَاهِرًا وَامْلَأْ عَيُونَهُمْ كَرِي
وَمَا الْمَالُ إِلَّا لِلْمَعَالِي ذَرِيعَةٌ
عُلاكَ سَوَارٌ وَالْمَمَالِكُ مِغْصَمٌ
بَقِيَتْ وَلَا أَبْقِي الرَّدَى لَكَ حَاسِدًا
وَأُورِقَ مِنْهَا بِالْمُنَى لَكَ عُودُ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا وَأَنْتَ حَمِيدُ
وَلَا الذِّكْرُ إِلَّا لِلْكَرَامِ خُلُودُ
وَجُودُكَ طَوْقٌ وَالْبَرِّيَّةُ جِيدُ
فَإِنَّكَ فِي هَذَا الزَّمَانِ فَرِيدُ^(٤)

= وأرجان - بتخفيف الراء وتثقيلها - هي من كور الأهواز من بلاد خوزستان، وقد طبع ديوانه في بيروت أوائل هذا القرن، ثم حققه د. محمد قاسم مصطفى، ونشرته وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية سنة (١٩٨١) في ثلاثة أجزاء.

(١) ديوانه ص ٨٦ .

(٢) الإسعاد: المشاركة في النياحة، انظر «اللسان» (سعد).

(٣) ديوانه: ص ٩٧ .

(٤) ديوانه: ص ١٠٥-١٠٦ ، وهذه الإحالات الثلاث على طبعة بيروت ١٨٩٠م مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وقال يذم مصر: [من الوافر]

تَرَكْنَا أَرْضَ مِصْرَ لِكُلِّ قَدَمٍ^(١)
نفوسٌ لا تليقُ بها المعالي
إذا غَلِطُوا بِإِحْسَانٍ تَلَثُّهُ
أَقَمْتُ بِهَا وَمَنْ نَكَّدَ اللَّيَالِي
وَكَمْ خَلَّفْتُ مِنْ كَرَمٍ مُهَانَ
وَمَنْ مَالٍ مَضُونِ الْعِرْضِ تَحْمَى
وَأَجْسَامٍ مُسَمَّنَةٍ شِبَاعٍ
وَنَقْصٍ فِي أَكْبَرِهَا خَصِيصٍ
إِنْ بَانَتْ سَرَائِرُكُمْ وَكَانَتْ
جَعَلْتُمْ دِينَنَا أَنَا سَمِعْنَا

وقال: [من الطويل]

أَقُولُ لَطَبِيَّ مَرَّبِي وَهُوَ رَاتِعُ
فَقُلْتُ يُقَالُ الْمُسْتَقِيلُ مِنَ الْهَوَى
وقال أيضاً من شعره: [من البسيط]

حَيْثُ انْتَهَيْتُ مِنَ الْهَجْرَانِ بِي فَقَفِ
يَا عَابِثاً بِعِدَاتِ الْوَصْلِ يُخْلِفُهَا
يَسْتَوْصِفُونَ لِسَانِي عَنْ مَحَبَّتِهِمْ
لَيْسَتْ دُمُوعِي لِنَارِ الشَّوْقِ مُظْفِفَةً
لَمْ أَنْسَ يَوْمَ رَحِيلِ الْحَيِّ مَوْقِفَنَا
وَالْعَيْنُ مِنْ لَفْتَةِ الْغَيْرَانِ مَالِحِظَتْ
وَفِي الْحُدُوجِ الْغَوَانِي كُلُّ آنَسَةٍ

لَهُ بَاعٌ يُقَصِّرُ عَنْ ذِرَاعٍ
وَأَخْلَاقٌ تَضِيقُ عَنِ الْمَسَاعِي
عِدَادٌ مِنْ إِسَاءَاتِ تِبَاعٍ
مَقَامُ الْأُسْدِ فِي كَنْفِ الضُّبَاعِ
بَعَرَصَتْهَا وَمِنْ لُؤْمٍ مُطَاعٍ
جَوَانِبُهُ وَمِنْ عِرْضٍ مُضَاعٍ
وَأَعْرَاضٍ مَضْمَرَةٍ جِيَاعٍ
وَجَهْلٍ فِي أَصَاغِرِهَا مُشَاعٍ
مَسَاوِيكُمْ تَقَامُ عَلَى بِقَاعٍ
وَمَا الْأُذْنَانِ إِلَّا لِلْسَّمَاعِ^(٢)

أَنْتَ أَخُو لَيْلَى فَقَالَ يُقَالُ
إِذَا مَسَّهُ ضُرٌّ فَقَالَ يُقَالُ^(٣)

وَمِنْ وَرَاءِ دَمِي بِنِضْ الطُّبَى فَخَفِ
حَتَّى إِذَا جَاءَ مِيعَادُ الْفِرَاقِ يَفِي
وَأَنْتَ أَصْدَقُ يَا دَمْعِي لَهُمْ فَصِفِ
وَكَيْفَ، وَالْمَاءُ بَادٍ وَالْحَرِيقُ خَفِي
وَالْعَيْسُ تَظْلُعُ أَوْلَاهَا عَلَى شَرَفِ
وَالدَّمَعُ مِنْ رِقْبَةِ الْوَاشِينَ لَمْ يَكِفِ
إِنْ يَنْكَشِفُ سَجْفُهَا لِلشَّمْسِ تَنْكِسِفِ

(١) القدم: الغليظ الأحق الجافي، «معجم متن اللغة»: ٣٧٢ / ٤.

(٢) لم أجد الأبيات في «ديوانه».

(٣) لم أجد البيتين في «ديوانه».

فِي ذِمَّةِ اللَّهِ ذَاكَ الرِّكْبُ إِنَّهُمْ
فَإِنْ أَعِشْ بَعْدَهُمْ فَرْدًا فَيَا حَزَنِي
وَقَالَ أَيْضًا: [من البسيط]

هُمْ نَازِلُونَ بِقَلْبِي أَيْةً سَلَكُوا
سَاقُوا فَوَادِي وَأَبَقُوا فِي الْحِشَا حُرَقًا
إِذَا الصُّبَا سَحَبَتْ أَذْيَالَهَا سَحَرًا
قَدْ أَشْعَلَ الشَّيْبُ رَأْسِي لِلْبَلَا عَجَلًا
فَإِنْ يَكُنْ رَاعِهَا مِنْ لَوْنِهِ يَقُقُ^(٣)
حَتَّى مَتَى وَإِلَى كَمْ يَا زَمَانُ أَرَى
أَبْعَدَ عَدْلٍ نِظَامِ الْمُلْكِ تَحْمِيلُ لِي
ثُمَّ خَاطَبَ أَعْدَاءَهُ، فَقَالَ:

يَا مُتَعِبًا نَفْسَهُ فِي أَنْ يُسَاجِلَهُ
دَعُوا الْوِزَارَةَ عَنْكُمْ تَرْبِحُوا نَصَبًا
وَرِثْتُمْ يَا بَنِي إِسْحَاقَ مَنْصِبَهَا
أَنْتُمْ فِرَازِينَ هَذَا الدَّسْتِ نَعْلَمُكُمْ
فَمَا تَفَرِّزْنَ مِنْهُمْ بِيَذُقُ أَبَدًا
فِي دَسْتِهِ قَمَرٌ فِي دِرْعِهِ أَسَدٌ
إِذَا عَدَدْنَا سِنِيهِ فَهُوَ مُقْتَبِلٌ
الْيَوْمَ عَاشَ نِظَامُ الْمُلْكِ ثَانِيَةً

سَارُوا وَفِيهِمْ حَيَاةُ الْمُغْرَمِ الدَّنْفِ
وَإِنْ أَمُتْ هَكَذَا شَوْقًا فَيَا أَسْفِي^(١)

لَوْ أَنَّهُمْ رَفَقُوا يَوْمًا بِمَا مَلَكُوا
لِلَّهِ مَا أَخَذُوا^(٢) مِنِّي وَمَا تَرَكَوا
حَسِبْتُ مِسْكَاً عَلَى الْآفَاقِ يَنْفَرُكُ
وَالشَّمْعُ عِنْدَ اشْتِعَالِ الرَّأْسِ يَنْسَبُكُ
فَطَالَمَا رَاقَهَا مِنْ قَبْلِهَا حَلَكُ
مِنْكَ الْخُطُوبَ بِجَنْبِي وَهِيَ تَنْعَرُكُ
ذَخْلًا وَخَلْفَكَ مِنْهُ ثَائِرٌ مَجْحُكُ

أَيْنَ السَّمَاكِ إِذَا قَايَسَتْ وَالسَّمَكَ
فَالْحَبْلُ فِي الدُّرِّ مِمَّا لَيْسَ يَنْسَلُكُ
فَمَا لْغَيْرُكُمْ فِي إِرْثِكُمْ شَرَكُ
وَهُمْ بِيَاذُقُهُ إِنْ صُفِّ مُعْتَرِكُ
إِلَّا غَدَا رَأْسُهُ فِي الثُّرْبِ يَنْمَعِكُ
فِي حَفْلِهِ^(٤) مَلِكٌ فِي سِرِّهِ مَلَكُ
وَإِنْ ذَكَرْنَا حِجَاهَ فَهُوَ مُحْتَنِكُ
وَكَمْ مَعَاشِرَ عَاشُوا بَعْدَمَا هَلَكُوا^(٥)

(١) القصيدة بتمامها في «ديوانه»: ٩٤٠-٩٤٧.

(٢) في (ع) و(ح): حزني لما أخذوا.. والمثبت من «ديوانه».

(٣) اليقق: الشديد البياض الناصعه. «معجم متن اللغة»: ٨٣٨/٥.

(٤) في (ع) و(ح): خلقه، والمثبت من ديوانه.

(٥) القصيدة بتمامها مع اختلاف في بعض الألفاظ في «ديوانه»: ١٠٢٢-١٠٣٢.

وقال أيضاً من شعره: [من الوافر]

جَعَلْتُ طَلِيعَتِي طَرْفِي سَفَاهَا
وَهَل يُحْمَى حَرِيمٌ مِنْ عَدُوٍّ
وَلِي نَفْسٌ إِذَا مَا اشْتَدَّ شَوْقًا
وَدَمْعٌ يَنْصُرُ الْوَاشِينَ ظُلُمًا
وَمُخْتَكِمٍ عَلَى الْعُشَّاقِ جُورًا
يُرِيكَ بَوَجْنَتَيْهِ الْوَرْدَ غَضًّا
تَأْمَلُ مِنْهُ تَحْتَ الصُّدْغِ خَالًا
خَطَبْتُ نَوَالَهُ الْمَمْنُوعَ حَتَّى
فَارَّقَ مُقْلَتِي شَوْقًا وَوَجْدًا
وهذه الأبيات وازن بها أبيات أبزون العماني^(٣):

نَقُودٌ وَعُودُهَا صَارَتْ نَسَايَا
إِذَا أَنْشَدْتُ فِي التَّعْرِيزِ بَيْتًا
وَرُبَّ قَطِيعَةٍ جَلَبْتُ وَصَالًا
شَكْتُ وَجَدًا إِلَيَّ فَأَنْسَتْنِي
فَلَا مَلْتُ مَعَاتِبَتِي فَإِنِّي
وَلَيْلَةً أَقْبَلْتُ فِي الْقَصْرِ سَكْرَى
ثَنَيْنَا السُّوءَ عَنْ ذَاكَ التَّثَنِّي
كَأَنَّ خَدُودَهَا أَوْرَاقُ نَدٍّ
وَمَا خُلِقَتْ عَيُونُ الْعَيْنِ أَنْتَى
فَمِنْهَا مَا يَتِيحُ لَكَ الْأَمَانِي
وعاد نَوَالُهَا الْمَيْسُورُ وَيَا
تَلْتُ مِنْ سُورَةِ الْإِعْرَاضِ آيَا
وَكَمْ فِي الْحَبِّ مِنْ نُكْتٍ خَفَايَا^(٤)
وَبَعْضُ الْأَنْسِ فِي بَعْضِ الشَّكَايَا
أَعْدُ عِتَابَهَا بَعْضَ الْعَطَايَا
تَهَادَى بَيْنَ أَثْرَابٍ حَظَايَا
وَأَثْنِينَا عَلَى تِلْكَ الثَّنَايَا
عَلَيْهَا مِنْ نَدَى طَلٍّ بِقَايَا
نَظَرْتُ سَوَى ذَهَابٍ لِلْبَرَايَا
وَمِنْهَا مَا يَبِيحُ لَكَ الْمَنَايَا

(١) الربايا جمع، مفردها ربيثة، وهو الطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه. «اللسان» (ربأ).

(٢) القصيدة بتمامها في «ديوانه»: ١٥٥٤-١٥٦٢.

(٣) انظر ترجمته في «دمية القصر»: ١٢٠-١٢٩، وانظر «المنتظم»: ١٣٩/١٠.

(٤) في (ح) استدرك هذا البيت في هامشها، ثم جاء في آخر الأبيات في (ع) و(ح).

وقال الأَرَجَانِي : [من البسيط]

بعد الصَّبَاح الذي فارقْتُكُمْ فيه
قد كان أوَّل صُبْحٍ بعد عَهْدِكُمْ
فالدَّهْرُ بعدُكُمْ ليلٌ أَلْبِسُهُ
قد كِذْتُ أَخْتِمْ طَرْفِي وَخَشَّةً لَكُمْ
قد صَوَّرَ الوَهْمُ^(١) في عيني مثَالَكُمْ
فكلُّ ناظرٍ إنسانٍ أَقَابِلُهُ
يلومني في هوى الأَحْبَابِ كلُّ فتى
يعيبني في الهوى بَغِيًّا وَيَعْذِلُنِي
أَقِلُّ من عَذَلٍ تَلْقَى المشوقَ به
دَعْ عنك قلبي فَإِنَّ الحُبَّ أَمْرُهُ

لم أَلْقَ للدَّهْرِ صُبْحاً في لياليه
مضى ولم تكتحلَّ عيني بثانيه
والعَيْشُ دونَكُمْ هَمٌّ أَقاسيه
عن كلِّ خَلْقٍ من الدُّنْيَا أَلاقيه
من طُولِ ما أنا بالذِّكْرَى أُرَاعِيهِ
أرى خيَالَكُمْ من ناظري فيه
سَهْمُ الصَّبَابَةِ يرميني وَيُصْمِيهِ^(٢)
وإنَّما يبتليني من يُعَافِيهِ
فقلْبُهُ بِسَهَامِ اللُّومِ تَرْمِيهِ
أضعافَ ما أنتَ بالتَّشْرِيبِ^(٣) نَاهِيهِ^(٤)

أَنَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَعِينُ الدِّينِ^(٥)

مملوك أتابك طُغْتِكِينَ ، والي دمشق ، وصاحبُ أمرها نيابةً عن أولاد طُغْتِكِينَ .
كان صالحاً ، عادلاً ، مُحْسِناً ، كافاً للظُّلم ، مجتنباً للمآثم ، محباً للعلماء والفقراء ،
أوقف أوقافاً كثيرة على أبواب البرِّ ، وبذل مجهودَه في حِفْظِ بيت سيِّده طُغْتِكِينَ ، ولما

(١) في (ع) و(ح) : الدهر ، والمثبت من «الديوان» .

(٢) في «الديوان» : يصميني ويخطيه .

(٣) في (ح) : بالتأديب .

(٤) القصيدة بتمامها في «ديوانه» : ١٥١٥-١٥٠٨/٣ .

(٥) أخباره مبثوثة في «تاريخ دمشق» لابن القلانسي : ٤٧٥ ، و«الاعتبار» لأسامة بن منقذ : ٢٨ ، ٥٣ ، ٦٦ ،
١٠٤ وغيرها ، و«الكامل» : ١٤٧/١١ ، و«كتاب الروضتين» : ٢٢٢-٢٢٣/١ ، وله ترجمة في «سير أعلام
النبلاء» : ٢٢٩-٢٣٠/٢٠ ، و«العبر» : ١٢١-١٢٢/٤ ، و«الوافي بالوفيات» : ٤١٠-٤١١/٩ ، و«النجوم
الزاهرة» : ٢٨٦/٥ ، و«مناداة الأطلال» : ٢٠٤-٢٠٥ ، وقد أغفل ذكره ابن عساكر في تاريخه .

وأنر ، بضم الهمزة وفتح النون ، وآخرها راء ، هكذا ضبطه المنذري في «التكملة لوفيات النقلة» : ١٣١/٢ ،
وابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه» ، ١١٩/١ ، وضبطه الصفدي في «الوافي بالوفيات» : بفتح الهمزة
وضم النون ، وفي «النجوم الزاهرة» : ضبط ضبط قلم بضم الهمزة والنون ، وقال محققه : كذا وجدته مضبوطاً
بالقلم في هامش الأصل ، أما في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي ، وفي ابن الأثير ضبط بالقلم بفتح النون .

مات في ثالث عشر^(١) ربيع الآخر شرع الأمير^(٢) مجير الدين أبق في الانحلال، [وآل أمره إلى الاضمحلال]^(٣).

قال أبو يعلى بن القلانسي: كان معين الدين بحوران في عساكر دمشق مقابل الفرنج يحفظ البلاد من غاراتهم، فمَرَضَ بدوز نظاريا، وَضَعَتْ قُوَّتُهُ، وهو مع هذا يركب كلَّ يومٍ في العساكر يُرْعِبُ العدوَّ، فَخِيفَ عليه، فَحُمِلَ في مِحْفَةٍ إلى دمشق، فزاد به المرض، فتوفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر، ودُفِنَ في إيوان الدار التي كان يسكنها، ثم نُقِلَ إلى المدرسة التي عَمَرَهَا. ولَمَّا فُرِغَ من دَفْنِهِ اجتمع حسام الدين بلاق ومؤيد الدين الرئيس ومجاهد الدين بُزَّان وأعيان الأجناد عند مجير الدين، واتَّفَقُوا على إصلاح الأحوال.

ونادى مجير الدين بإبطال المكوس وما يضرُّ الرعية، ثم استوحش مؤيد الدين بن الصوفي من مجير الدين، فجمع الغوغاء والأحداث، وأعطاهم السلاح، وربَّتهم حول داره ودار أخيه زين الدولة حيدرة للاحتماء بهم، وذلك في شهر رجب، فراسلها مجير الدين بما طيَّبَ قلوبهما، فما التفتا، وقصدا باب الحبس وكسراه، وأطلقا مَنْ كان فيه، واستنفرا العوام من أهل الشاغور وقصر حجاج وباب شرقي^(٤)، فعَزَمَ مجير الدين على تفرقة السلاح في العساكر والخروج من القلعة لقتالهم، فأشار جماعة بالتأني، وقالوا: نخافُ على البلد من النهب والحريق. ووقعت المراسلات، فاتفق الحال على أن يكون الرئيس مؤيد الدين ملازماً لداره، وأن يكون ولده وولد أخيه في الخدمة، فأقام، ثم أثار الفِئنة، وَجَمَعَ العوام والفلاحين، وزحفوا إلى القلعة، واقتتلوا إلى أن تقرَّر أنَّ مجير الدين يُبْعَدُ عنه من كره الرئيس مؤيد الدين، وعاد الرئيس إلى وزارته على حاله.

(١) كذا في النسخ الخطية، وسيأتي نقلاً عن ابن القلانسي أنه توفي في الثالث والعشرين من ربيع الآخر، وهو الصواب.

(٢) في (ع) و(ح) أمر، والمثبت من (م) و(ش).

(٣) في (ح) إلى الاضمحلال، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) أحياء في دمشق ما زالت تحمل الأسماء نفسها.

وأُطلقَ أيدي النَّهَابَةِ في نَهْبِ دور السِّلَارية^(١)، ثم سكنتِ الفتنة، واتفق الأمر أن الرئيس لا يشاركه في التَّدبير والوزارة أحد.

ولما تقرر أمر دمشق كتَبَ نورُ الدِّين إلى مجير الدين يَطلبُ منه ألفَ فارسٍ تَصِلُ إليه مع مقدَّمٍ يُعوِّلُ عليه لجهاد الفرنج، وأَنَّهُ عازِمٌ على قصدهم. فغالطوه، وعَلِمَ قَصْدَهُم، فسار حتى نزل بِمَرْجِ يَبُوسَ وبعض عساكره يبعفون، فراسل مجيرُ الدِّين الفرنج، واتفق معهم على نور الدِّين، وكانوا على عَسْقلانٍ وَيَعْمُرُونَ غَزَّةَ، فجاؤوا إلى بانياس، وعَرَفَ نورُ الدِّين خبرهم، فلم يَحْفِلْ بهم، ولا انثنى عن جهادهم، وهو محسنٌ إلى الرِّعايا، كافُّ الجُنْدِ عن أذى الفلاحين، والدُّعاءُ له كثير، وكان الغيثُ قد مُنِعَ، فجاء سَيْلٌ عظيم ورويت البلاد، فقالوا: هذا ببركة حلول ركاب نور الدين. ثُمَّ سار من يعفور، فنزل جسر الخشب^(٢) في ذي الحِجَّة، وراسل مجيرُ الدِّين والرئيس يقول: ما قصدتُ بنزولِ هذا المنزل محاربتكم، ولا أنا طامعٌ في بلادكم، وإنما بلغني فعلُ الفرنج والعرب بأهل حوران من السَّبْيِ والقَتْلِ والنَّهْبِ وذَبْحِ الأطفال مع عدم النَّاصر لهم، وأنتم فلا دينَ لكم ولا مروءة، وقد واطأتم الفرنج عليّ، وقد أوجب الله عليّ وعليكم وعلى النَّاسِ كَافَّةً جهادَ الكُفَّار، فلا عُذْرَ لي عند الله تعالى، فإنَّ عندي المال والرجال، وأنتم فعاجزون عن الذَّبِّ عن المسلمين، وما الذي دعاكم إلى الاستصراخ بالفرنج لمحاربتي، وبذلتهم لهم أموال الضُّعفاء والمساكين من الرِّعية ظُلماً وعُدواناً، وهذا ما يرضي الله ولا المسلمين. فكان الجواب: مالك عندنا سوى السَّيف، وإن نازلتنا استدعينا الفرنج لدفعك عنا. فلما جاءت هذه الرِّسالة عَزَمَ على الزَّحْفِ إلى دمشق، ثم فَكَّرَ في العاقبة، وَحَقَّنَ دماء المسلمين، وأرسل الله أمطاراً كثيرة، فأقامت أياماً، فتأخَّرَ عنها^(٣).

(١) يعني السلارزين الدين حيدرة، وأخاه مؤيد الدين وأصحابهما، وانظر «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/٢٤٢-٢٤٣.

(٢) أي نواحي داريا.

(٣) «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٧٥-٤٨٠، وانظر «كتاب الروضتين»: ١/٢٢٣-٢٢٥ و٢٣٩-٢٤١.

سُلطان بن علي بن مُقَلَّد^(١)

ابن نصر بن مُنْقِذ، أبو العساكر، صاحب شيزر.

ولد بطرابُلُس سنة أربع وستين وأربع مئة، سمع من إبراهيم الحنفي^(٢) «صحيح البخاري» بشيزر، وولي إمرتها بعد أخيه نصر بن علي^(٣)، وكان فاضلاً، وله أشعار كثيرة، فمن شعره يوصي بنيه: [من الكامل]

أَوْصِيكُمْ بِتُقَى الَّذِي أَعْطَاكُمْ مُلْكاً تَذِلُّ لَهُ الْمُلُوكُ وَتَخْضَعُ
وَبِحِفْظِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ مَا غَدَا نَجْمٌ يَغُورُ بِأَفْقِهِ أَوْ يَظْلَعُ
لَا تُشْمِثُوا بِكُمْ الْوَشَاةَ وَحَاذِرُوا أَقْوَالَهُمْ فَهِيَ السَّمَامُ النُّقْعُ^(٤)
مَا قَطَّعَ الْأَرْحَامَ جَاهِلُكُمْ بِمَا أَبْدَاهُ بِلِ كَيْدِي بِذَاكَ يُقَطِّعُ
وَإِذَا يَنْسُتُ مِنَ الصَّلَاحِ لِفِعْلِكُمْ أَمَلْتُ^(٥) أَصْلَكُمْ الزَّكِيَّ فَأَظْمَعُ
فَأَبُوكُمْ مَنْ لَيْسَ يُنْكَرُ أَنَّهُ النَّـ ذُبُ الْكَمِيِّ الْأَلْمَعِيُّ الْأَرْوَعُ^(٦)
ذَاذَ الْجِيُوشِ بِرَأْيِهِ وَبَسَيْفِهِ عَنِ شِيزَرٍ فَتَفَرَّقُوا وَتَصَدَّعُوا^(٧)
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِشِيزَرٍ، وَقِيلَ: مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ^(٨).

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٣٨٧-٣٨٨ / ٧، و«الوافي بالوفيات»: ٢٩٧-٢٩٨ / ١٥ - وذكر وفاته سنة (٥٥٢هـ) وقد ذكر بعض أخباره أسامة ابن منقذ في «الاعتبار»، وانظر «كتاب الروضتين»: ٣٥٣ / ١، و«كتاب أسامة ابن منقذ» لحسن عباس: ٣١ / ١ - ٤٧.

(٢) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن جعفر التنوخي المعري أبو السمح، رحل إلى أصبهان، وسمع الحديث بها وبغيرها، وكان زاهداً، ورعاً، ديناً، وتوفي بشيزر سنة (٥٠٣هـ)، انظر ترجمته في «تاريخ ابن عساكر»: ٤٥٦ / ٢، و«الوافي بالوفيات»: ٤٥-٤٦ / ٦، و«الجواهر المضية»: ٨٧-٨٨ / ١، وفيه: إبراهيم بن عبد الله بن جعفر.

(٣) وذلك سنة (٤٩١هـ).

(٤) السَّمَام جمع، مفردا سم، والنقع جمع كذلك، مفردا ناقع: سم ناقع أي بالغ قاتل.

(٥) في (ع) و(ح): مثلث، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر».

(٦) الندب: الخفيف في الحاجة، والكمي: الشجاع المقدم الجري، والألمعي: الذكي المتوقد، والأروع من الرجال: الذي يعجبك حسنه.

(٧) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر» مع اختلاف في ترتيبها.

(٨) وهو ما اعتمده ابن عساكر.

عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم^(١)

ابن المستنصر، أبو الميمون.

الحافظ صاحب مصر، ولم يكن في المصريين من أبوه غير خليفة سواه والعاقد.
ولي الحافظ سنة سبع^(٢) وعشرين وخمسة مئة، وكانت وفاته ليلة الأحد خامس
جمادى الآخرة، فكانت أيامه تسع عشرة سنة وشهوراً وأياماً، وكانت وفاته بمرض الكبد.
وكان قد اخترع ألقاباً يُخَطَّبُ له بها على المنابر، فكان الخطيب يقول: وأصلح من
شَيِّدَتْ به الدين بعد دُثُوره، وأَعَزَّزَتْ به الإسلامَ بأن جعلته سبباً لظهوره، مولانا
وسيدنا إمامَ العصر والزَّمان أبا الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله، صلى الله عليه
وعلى آبائه الطَّاهرين، حُجِّجَ الله على العالمين.

وسببُ هذا أنه لما استولى عليه أبو علي أحمد بنُ الأفضل أميرُ الجيوش أسقط
اسمَه من المنابر، وخطب للمتظر المهدي، وأسقط من الأذان «حيَّ على خير
العمل»، ودعا إلى نفسه على المنابر: بناصر إمام الحق، هادي العُصاة إلى اتِّباع
الحق، مولى الأُمم^(٣)، ومالك فضيلتي السَّيف والقلم. ولم يزل كذلك حتى قُتِلَ ابنُ
أمير الجيوش، فجَدَّدَ الحافظ هذه الألقاب.

ووزَرَ له جماعةٌ فأساؤوا التَّذِيرَ، منهم: يانس أبو الفتح أمير الجيوش ومات، فوزر له
ابنُه حسن، ثم وَزَرَ له بَهْرَامُ النَّصْرَانِي^(٤)، ثم تولى الحافظ الأمور بنفسه إلى أن مات.

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٠/٦٦٤، ١١/١٤١-١٤٢، و«وفيات الأعيان»: ٣/٢٣٥-٢٣٧، و«سير
أعلام النبلاء»: ١٥/١٩٩-٢٠٢، و«العبر» للذهبي: ٤/١٢٢، و«اتعاظ الحنفا»: ٣/١٣٧-١٩٢،
و«النجوم الزاهرة»: ٥/٢٣٧-٢٤٦.

(٢) كذا في (ع) و(ح)، وفي (م) و(ش): ست وعشرين، وهو الصواب، وكان الحافظ قد بويع بعد مقتل الأمر
سنة (٥٢٤هـ) ليدبر المملكة إلى أن يولد حمل للأمير إن ولد، وكان الغالب على أمره أبو علي بن الأفضل، ثم لما
قتل سنة (٥٢٦هـ) جددت البيعة للحافظ، واستقل بالأمر، انظر ص ٢٥٠، وقد ذكر فيها مقتل الأفضل في
وفيات سنة (٥٢٧هـ)، وانظر «سير أعلام النبلاء»: ١٥/٢٠٠.

(٣) في «اتعاظ الحنفا»: ٣/١٤٤: «هادي القضاة إلى اتباع شرع الحق واعتماده.. مولي النعم، رافع الجور عن
الأمم...»، وانظر «النجوم الزاهرة»: ٥/٢٣٨.

(٤) كذا قال، وهو وهم، إذ قد ولي بعده رضوان بن الوحشي، ولم يستوزر الحافظ أحداً بعد رضوان، انظر
«اتعاظ الحنفا»: ٣/١٨٤، ١٨٩.

ثم ولي بعده ولده أبو المنصور يوسف بن عبد المجيد، ولُقِّب بالظَّافر بالله، وأُمُّه أم ولد تدعى ست الوفاء، ولد في ذي الحِجَّة، وقيل في المحرَّم سنة سبع وعشرين [وخمسة مئة]^(١)، وقُتِلَ ليلة الخميس سَلَخَ المحرَّم سنة تسع وأربعين، فكانت أيامه أربع سنين وثمانية أشهر، وعمره ثماني عشرة سنة^(٢)، وسنذكره إن شاء الله تعالى^(٣).

وقال ابنُ القلانسي: وفي سنة أربع وأربعين وَرَدَ الخبر مِنْ مصر بوفاة الحافظ بأمر الله في الخامس من جُمادى الآخرة، وولي من بعده ولده الأصغر أبو منصور إسماعيل ولقب بالظَّافر بالله - والمشهور يوسف^(٤) - وولي الوزارة أمير الجيوش أبو الفتح بن مَصَال المَغْرَبِي، فأحسن السَّيرة وأجمل السَّياسة، فاستقامت الأحوال، ثم حَدَثَ بعد ذلك من اضطراب الأمور، والخُلْف بين السُّودان والعساكر بحيث قُتِلَ من الفريقين العدد الكثير، وسكنت الفِتنة^(٥).

عثمان بن محمد بن أحمد الرويدشتي^(٦)

من شعره: [من السريع]

والشَّيْبُ لَا تَدْفَعُهُ حِيلَةٌ	كَالظِّلِّ إِنْ جَانَبْتَهُ يَثْبَعُ
وَطَوَّلُ عُمُرِ الْمَرْءِ أَدَى إِلَى	مَا يُبْتَلَى بِالْحَادِثِ الْمُفْطَعِ ^(٧)
لَوْ أَنَّ عَيْشِي يُشْتَرَى بَعَثُهُ	لَأَنَّهُ ضَرٌّ وَلَمْ يَنْفَعِ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) يعني حين بويق، وهذا القول على التجوز، وإلا فقد عاش اثنتين وعشرين سنة، فقد ذكر أن ولادته كانت سنة (٥٢٧هـ).

(٣) انظر ص ٤٥٠ من هذا الجزء.

(٤) سماه في صدر الخبر يوسف، وهو قول سبط ابن الجوزي، ولم يسمه هذا الاسم غيره، انظر «النجوم الزاهرة»: ٢٨٨/٥.

(٥) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٧٨.

(٦) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٥٠٩/١٩، وكان يعلم ببغداد أولاد الأكابر، وكان هاجياً مادحاً.

(٧) المفتح: الشديد الشنيع. «اللسان» (فطع).

عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضٍ^(١)

أبو الفضل المغربي، قاضي سَبْتَة، كان كبير الشأن، غزير البيان^(٢)، وله التَّصَانِيفُ
الفاخرة، منها كتاب «الشِّفا بفضائل المصطفى»^(٣) وغيره، وكانت وفاته بسَبْتَة^(٤)،
وقيل: مات سنة ثلاث وأربعين، ومن شعره: [من السريع]

انظرْ إلى الزَّرْعِ وخاماتِه^(٥) تحكي وقد هَبَّتْ عليها الرِّياحُ
كتيبةٌ خضراءُ مهزومةٌ شقائق النُّعمان فيها جِراحُ^(٦)
وقال عليُّ بنُ هارون^(٧) يمدحه: [من الكامل]

ظلموا عِيَاضاً وهو يحكُمُ عندهم^(٨) والظُّلم بين العالمين قديمٌ
جعلوا مكانَ الرِّاءِ عَيْناً في اسمِه كي يكتُموه وإنَّه مَعْلُومٌ
لولا ما فاحت أباطحُ سَبْتَة والروضُ بين فنائها معدومٌ^(٩)

(١) له ترجمة في «الصلة» لابن بشكوال: ٤٥٣/٢-٤٥٤، و«الخريدة»، قسم شعراء المغرب والأندلس: ٥٠١-٥٠٥، و«بغية الملتبس»: ٤٣٧، و«إنباه الرواة»: ٣٦٣-٣٦٤، و«المعجم في أصحاب أبي علي الصدي» لابن الأبار: ٣٠٦-٣١٠، و«وفيات الأعيان»: ٤٨٣-٤٨٥، و«الإحاطة في أخبار غرناطة»: ٢٢٢-٢٣٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١٢-٢١٨، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع) طمست الترجمة في التصوير، وفي (ح): كان كثير البيان غزير اللسان، وهو تحريف، والصواب ما هو مثبت، وقد استفدناه من «الخريدة»: ٥٠١/٣.

(٣) هو كتاب مشهور مطبوع متداول، وقد قال فيه الإمام الذهبي في «السير»: ٢١٦/٢٠: وتوالياً نفيسة، وأجلها وأشرفها كتاب «الشفا» لولا ما حشاه بالأحاديث المفتعلة عمَلَ إمام لا نقد له في متن الحديث ولا ذوق.. وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان، ونبينا صلوات الله عليه وسلامه غني بمدحة التنزيل عن الأحاديث، وبما تواتر من الأخبار عن الآحاد، وبالأحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات.

(٤) كذا قال، وهو وهم، والصواب أنه توفي بمراكش، دفن فيها كما ذكرت مصادر ترجمته، وقال العماد في «الخريدة»: إنه توفي بفاس.

(٥) الخامة: الغصنة الرطبة من النبات. «اللسان» (خوم).

(٦) البيتان في «الخريدة»: ٥٠٣/٣.

(٧) هو أبو الحسن الشنتمري، له ترجمة في «الذخيرة» لابن بسام: ٢/٢ مج ٢-٦٣٧-٦٣٩، و«الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٥٧٢-٥٧٤، و«المغرب في حلى المغرب»: ٣٩٥-٣٩٦.

(٨) في «وفيات الأعيان»: وهو يحلم عنهم.

(٩) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٥٧٣/٣، و«وفيات الأعيان»: ٤٨٤-٤٨٥.

عيسى بن هبة الله بن عيسى^(١)

أبو عبد الله البغدادي.

ولد سنة سبع وخمسين وأربع مئة، وكان لطيفاً ظريفاً.

قال الشيخ أبو الفرج: كان يحضر مجلسي، فانقطع، فكتبت إليه رقعة فيها نوع احترام، فكتب إليّ: [من مخلص البسيط]

قد زدّتنني في الخطاب حتى
فاجعل خطابي خطاب مثلي
وقال: [من المتقارب]

إذا وجد الشيخ في نفسه
ألسنت ترى أن ضوء السراج
وقال: [من الكامل]

يا من تبدّل بي وأمّكنه
إن كنت حلت فلأني رجّل
لهفي على طمع أصبّت به

وكانت وفاته في جمادى الأولى، ودفن بباب حرب، وكان من محاسن الزمان،
خفيف الروح، كثير النوادر، رقيق الشعر، عاشر الناس، وتخلّق بأخلاق الكرام.

غازي بن زنكي بن آق سنقر^(٥)

سيف الدين صاحب الموصل، [أخو نور الدين، وكان]^(٦) أكبر أولاد زنكي.

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ٣/م ٤٨-٥١، و«المنتظم»: ١٤١/١٠، و«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» ترجمه ابنه مهذب الدين علي: ٦٣٥، و«وفات الوفيات»: ١٦٥-١٦٦.

(٢) «المنتظم»: ١٤١/١٠.

(٣) البيتان في «الخريدة» و«المنتظم».

(٤) الأبيات في «المنتظم».

(٥) أخباره في «الكامل»: ١٣٨-١٣٩، و«الباهر»: ٨٤-٩٤، و«كتاب الروضتين»: ٢٢٧-٢٣٠،

و«وفيات الأعيان»: ٤-٣، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩٢-١٩٣، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

لما عاد من الشام نزل على دارا فملكها، وحاصر ماريدين، وفيها حسام الدين تمرتاش، فراسله واصطلحا، وزوجه ابنته الخاتون بنت تمرتاش، وعاد إلى الموصل مريضاً بعلّة القولنج، وكان يعتره كثيراً، وحملت إليه الخاتون وقد اشتد مرضه، فمات سلخ جمادى الآخرة، ولم يدخل بها، وعاش أربعاً وخمسين سنة [لأنه ولد سنة تسعين وأربع مئة]^(١)، وقيل: [عاش]^(١) أربعاً وأربعين سنة [وأنه ولد سنة خمس مئة]^(١) وأقام والياً ثلاث سنين وشهوراً.

وكان شجاعاً جواداً، حازماً، حسن السيرة والعشرة والصورة، وهو أول من حمل السنجق^(٢) على رأسه من الأتابكية، ولم يحمله أحد قبله لأجل [السلطين]^(١) السلجوقية، وآثاره بالموصل باقية، منها مدرسة الأتابكية، وقفها على الحنفية والشافعية، ودفن بها [والرباط للصوفية، ووقف الوقوف]^(١) ومدحه الحيص بيص^(٣)، وغيره. ولم يترك إلا ولداً ذكراً: فأخذه محمود أخوه، فرباه، وزوجه بابنة عمه قطب الدين، فمات وهو شاب، وانقرض عقبه.

ولما مات سيف الدين كان أخوه قطب الدين بالموصل، فاتفق جمال الدين الوزير وزين الدين عليّ على توليته؛ لأنه كان لئناً بجانب، حسن الأخلاق، حليماً، كريم الطباع، فحلفوه وملكوه، وتزوج خاتون بنت صاحب ماريدين التي لم يدخل بها [أخوه]^(١) سيف الدين، فأولاده الذين ملكوا الموصل منها خاصة^(٤)، وكانت [يحل لها أن تضع]^(٥) خمارها عند خمسة عشرة ملكاً من آبائها [وأجدادها]^(١) وأخوتها [وبني أخوتها]^(١) وأولادهم وأولادها، فقد ضاهت عاتكة بنت يزيد بن معاوية وفاطمة بنت عبد الملك [بن مروان، وقد ذكرناهما]^(١)، وكذا في المتأخرات ربيعة خاتون بنت

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) السنجق: لفظ تركي معناه الرمح، والمراد هنا العلم الذي هو الراية، إلا أنه لما كانت الراية إنما تجعل في أعلى الرمح عُبر بالرمح نفسه عنها، وحامله يسمى السنجقدار، انظر «صبح الأعشى»: ٤٥٨/٥.

(٣) في قصيدته التي مطلعها:

إلام يراك المجد في زي شاعر وقد نحلت شوقاً فروع المنابر

وهي في «ديوانه»: ٣١٦-٣٢٢.

(٤) في (م) و(ش): من خاتون هذه، ولم يملكها أحد من أولاد قطب الدين من غيرها، وهذه خاتون كانت..

(٥) في النسخ الخطية: تحمل، والمثبت من «الباهر» لابن الأثير: ٩٤.

[أيوب]^(١) أخت صلاح الدين [والعادل، وهي أعظم من غيرها في كثرة المحارم، وسنذكرها في سنة إحدى وأربعين وست مئة]^(١).

ولما ملك قُطْب الدِّين المَوْصِل كان أخوه نور الدين بحلب، وكان عبد الملك بن المُقَدَّم في سِنْجَار، ومعه ولده شمس الدِّين محمد، فكاتبه نور الدين وهو دُزْدَار^(٢) في سِنْجَار، فأجابه محمد، وكان أبوه عبد الملك من أمراء الدَّولة، وقيل: إنَّ محمداً كان بسنْجَار وعبد الملك بالمَوْصِل، فسار نور الدِّين من حلب في سبعين فارساً جديدةً، فسَلَّم إليه محمدُ بنُ المُقَدَّم سنْجَار، وجاءته كُتُبُ الأمراء من المَوْصِل، وبلغ الخبر قطب الدين، فخرج من المَوْصِل بالعساكر ومعه زين الدِّين وجمال الدِّين الوزير، فنزلوا تل أعفر^(٣)، وراسلوا نور الدِّين ينكرون عليه، فقال: أنا أكبر الأولاد، وأحقُّ منكم بالبلاد، وما جئتُ حتى كاتبني أمراؤكم يذكرون كراحتهم لكم، فخيْتُ أن يحملهم بُغْضهم لكم على إخراج البلاد من أيدينا، ولا أقاتلكم إلا بمن معكم، ولهذا جئتكم جديدةً. وهربَ إليه أعيانُ العسْكر، فقال لهم الوزير: يا قُطْب الدِّين ويا زين الدِّين نحن نُظْهِر للخليفة والسُّلطان أننا تَبِعْ لنور الدِّين، ونورُ الدِّين يُظْهِر للفرنج أنه تبعُ لنا، ويهدِّدهم بنا، فإن كاشفناه، وظهر علينا طَمِعَ فينا الخليفةُ والسُّلطان، وإن ظهرنا عليه طَمِعَ فيه الفرنج، ولنا بالشَّام حِمَص وهي بعيدةٌ عنا، ونحتاج إلى حِفْظها من العدو، والمصلحة أن نعطيها إياها ونأخذ منه سنْجَار، فقالا له: اخرجْ إليه ودبِّرْ معه هذا. فجاء الوزيرُ إلى نور الدِّين، وقرَّر معه الصُّلح، فرضي وقال للوزير: أريد أن تكون عندي. فقال له: فيك من الكفاية والنَّهْضة ما لا تحتاج معه إلى وزير، وليس لك من الأعادي مثل ما لأخيك، فإنَّ أعداءه مسلمين، فيحتاج إلى من يقوم بأمره ويدفعهم، وأنتَ عدوك كافر، فالنَّاس يدفعونه دِيانَةً، ومتى كنتُ عند أخيك فنفعه عائدٌ إليك. فجعل له نورُ الدِّين في كلِّ سنة إقطاعاً بعشرة آلاف دينار، وكان الوزير يشتري بها أسارى من المسلمين في كلِّ سنة، فيُطْلَقهم، ولا يأخذ منها شيئاً.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) أي مالك القلعة، انظر «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية»: ص ١٨١.

(٣) تل أعفر: قلعة وريض بين سنْجَار والموصل في وسط وادٍ فيه نهر جارٍ، وهي على جبل منفرد حصينة محكمة.

«معجم البلدان»: ٣٩/٢.

وعاد نور الدين إلى الشَّام، وقطب الدين والوزير إلى المَوْصِل، واتَّحدتِ الكلمة.

المحسن بن أحمد بن الحسين القائد^(١)

أبو العلاء الحِمَصي .

ومن شعره: [من المتقارب]

دعا مُهْجَتِي رَهْنًا أَوْصَابِهَا	وَجَلَّفَ هَوَاهَا وَأَطْرَابِهَا
وَكُفًّا فلي عنكما شاغِلٌ	بتسْهِيدِ عَيْنِي وتَشْكِيبِهَا
فيا لِي من ظُبْيَةٍ بِالْحِمَى	تَتِيهُ بِإِفْرَاطٍ إِعْجَابِهَا
مُقَسِّمَةِ الحُسْنِ بَيْنَ القِنَاعِ	وبَيْنَ اللَّثَامِ وجَلْبَابِهَا
فَبَذَرُ الدُّجَى فوق أَطْوَاقِهَا	وحَقَفُ النِّقَاتِ تحت ^(٢) أَثْوَابِهَا

نَظَرُ الخَادِمِ^(٣)

أمير الحاج بالعراق، حَجَّ نيفاً وعشرين سنة أميراً، كان قد خرج في هذه السنة، فلما وصل الكوفة مَرَضَ، فاستناب قيماز الأَرْجَوَانِي، ورجع إلى بغداد فتوفي، وحمل إلى الرُّصَافَةِ، فدفن بها.

[وَجَرَى عَلَى الْحَاجِ بَعْدَهُ شِدَائِدٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، نَذَرَهَا.

سمع الحديث من أَبِي الخَطَّابِ بْنِ البَطْرِ وغيره. وقال جَدِّي رحمه الله: خرجت معه في سنة إحدى وأربعين وخمس مئة حاجًّا، ومعِي شيء من سَمَاعَاتِهِ لأَقْرَأَهُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ظُلْمَهُ وَطَرَحَهُ عَلَى الحَمَّالِينَ لَمْ أَكَلِمَهُ، وَلَمْ أَقْرَأْ عَلَيْهِ شَيْئًا^(٤).

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٤٠٢/١-٤٠٥، و«الوافي بالوفيات»: ١٧٥/٢٥-١٧٦، ووفاته في «الخريدة» سنة (٥٤٣هـ).

(٢) في (ع) و(ح): فوق، والمثبت من «الخريدة» و«الوافي»، وفي «الوافي»: خفق، وهو خطأ.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٤١/١٠-١٤٢، وقد سلفت أخباره على السنين.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ١٤١/١٠.

السَّنة الخامسة والأربعون وخمس مئة

في المحرم جلس يوسف الدَّمَشْقِي^(١) في النُّظامية، وذكر الدرس من جانب الأعاجم، ولم يكن ذلك بإذن الخليفة، وكان ميلُ الخليفة إلى ابن نظام الملك، فلما كان في الأسبوع الثاني مُنع من دخول النُّظامية ودار الخليفة، وأُهين جماعةٌ من أصحابه، فلزم بيته، وجاء السُّلطان مسعود إلى مدرسة أبي النّجيب، وصلى خلفه الصُّبح، وقال له: اذهب إلى النُّظامية، وألقِ بها الدرس، فقال: أحتاجُ إلى إذن أمير المؤمنين. فاستخرج له إذن الخليفة.

وأما الحاجُّ فسار بهم قِيَمَاز إلى مكة، فَطَمَعَ فيهم أميرُها بموتٍ نظر، [واحتقر قِيَمَاز، و]^(٢) جاءت العرب فطلبوا رسومهم، فقال [قِيَمَاز للحاج: اجمعوا لهم ما تدفعون به شرَّهم. فأبوا، فقال]^(٤): إذا لم تفعلوا فدعوا العامَ زيارة قبر النبي ﷺ، فاستغاثوا، وضجُّوا، وخرجوا إلى المدينة، فاجتمعت العرب، ووقفوا في الطُّريق، وقاتلوهم، فظهرت عليهم العرب، فنهبوا الأموال والجمال، وبددوا شَمْلَ الحاج، وأخذوا من خاتون أخت مسعود ما قيمته مئة ألف دينار، ومن الناس ما يزيد على خمس مئة ألف دينار، ومات مُعظم الناس جُوعاً وعطشاً، ووصل قِيَمَاز إلى المدينة في نفرٍ يسير. وفيها مَطَرَتِ اليمن مطراً كلَّه دم، فبقي أثره في الأرض، وفي ثياب النَّاس.

ومرض ابن البلنكري وعوفي، فأطلق مسعود المكوس، وتصدَّق بمالٍ كثيرة، وكان المكَاس ببغداد يسمى مختص الحضره.

[وفيها وقع الصُّلح بين نور الدين ومجير الدين، وقد ذكرنا أنَّ نور الدين تأخر عن دمشق، فلَمَّا سكنتِ الأمطار عاد فنزل عليها وضايقها، ثم إنه أشفق من سفك دماء المسلمين]^(٣)، فراسله مجير الدين، وخرج إليه هو والرئيس ابن الصُّوفي، وبذلا له

(١) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٦٣هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ح): وفيها في المحرم نزل نور الدين على دمشق وضايقها، ثم أشفق من سفك الدماء.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الطّاعة، وأن يُخطب له [على منبر دمشق]^(١) بعد الخليفة والسُّلطان، ويُنقش اسمه على الدِّينار والدِّرهم، فرضي، وخَلَعَ على مجير الدِّين خِلعة السُّلطنة والطُّوق والسُّوارين، وعلى الرئيس خِلعة الوزارة، وطَيَّب قلوبهما، وخرج إليه الأمراء والأعيان، فَخَلَعَ عليهم، وأفاض إحسانه على فقهاء دمشق وقُرَّائها^(٢)، ورحل إلى حلب والقلوب معه [لما غَمَرَ العالم من خيرهِ]^(٣).

ووصل الملك مسعود^(٣) قاصداً أنطاكية، ونزل على تل باشر، وضايقها في المحرّم، ثم رحل بعد أن أشرفت على الأخذ.

[وقال ابنُ القلانسي]^(١): ووصل إلى دمشق جماعةٌ ممن سَلِمَ من الحاجّ، فحكوا ما نَزَلَ بهم من المصيبة [الفادحة التي لم يجر في الإسلام مثلها في السنين الخالية]^(١)، وأنه كان في الحاج من وجوه خراسان وعلمائها [وفقائها]^(١) وخواتين^(٤) أمراء العساكر السُّلطانية والحُرَم والبنات [والنِّساء]^(١) والأموال الجَمَّة، والأمتعة الفاخرة ما لا يمكن وصفه، وأنَّ العرب استولوا على الجميع، ومات أكثرهم بالجُوع والعَطَش، فكسا أهلُ دمشق العُراة منهم، وأطلقوا لهم ما يستعينون به على العُودِ إلى أوطانهم^(٥).

وفيها أُسر ابن جوسلين، وحُمِلَ إلى [قلعة]^(١) حلب، وسار نور الدين فافتتح قلعة أعزاز. وفيها اختلف وزيرُ مصر ابن مَصَال والعاذل بن السَّلَّار، وجمعا العساكر، واقتلوا، فقتلَ الوزير، واستقل ابنُ السَّلَّار بالتَّذبير.

وفيها توفي القاضي أبو الحسين^(٦) فخر الدولة ابن أبي الجن في رجب، ودفن بمقابر جده فخر الدولة، ففُجِعَ النَّاسُ به لخيريته وشرف بيته.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): فقرائها، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) هو الملك مسعود بن قليح أرسلان، صاحب قونية، وكان نور الدين قد تزوج بابنته.

(٤) في (ع) و(ح): وحواشي، وفي (م) خواص، والمثبت من (ش). وهو الموافق لما في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٨١.

(٥) «ذيل تاريخ في دمشق»: ٤٨١.

(٦) في (ع) و(ح): أبو الحسن، والمثبت من (م) و(ش)، وقد جاء خبره فيهما أواخر حوادث هذه السنة، وانظر

«ذيل تاريخ في دمشق»: ٤٨٣، و«كتاب الروضتين»: ٢٥٩/١.

وفيهما توفي

أبو المفاخر الحسن^(١) بن ذي النون^(٢)

النَّيسَابُورِي الواعظ، كان صالحاً فاضلاً يعيد الدرس خمسين مرة، ويقول: إن لم يعاد^(٣) ما يستقر. وكان حنفي المذهب، خرج من بغداد في جُمادى الأولى، فتوفي بدارابجُرد^(٤).

جلس ببغداد، فأنشد: [من البسيط]

أهوى علياً وإيماناً محبته
إن كنتَ ويحك لم تسمع مناقبه
كم مُشرك دمه من سيفه وكفا
فاسمع فضائله من هل أتى^(٥) وكفى
وأنشد أيضاً: [من البسيط]

مات الكرام ومروا وانقضوا ومضوا
وخلّفوني في قوم ذوي سفه
ومات بعدهم تلك الكرامات
لو أبصروا طيف ضيف في الكرى ماتوا

عبد الملك بن عبد الوهاب بن الحنبلي، الدمشقي^(٦)

[وذكره ابن القلانسي، قال]^(٧): ويلقب بالقاضي بهاء الدين، كان إماماً فاضلاً مناظراً، مُفتياً على مذهب الإمامين أحمد وأبي حنيفة رحمهما الله [بحكم ما كان يجري عليه بخراسان عند إقامته لطلب العلم]^(٧)، وكان حسن الحديث في الجِدِّ والهزل، ودُفِنَ بجوار أبيه وجده بالباب الصغير، وكان له يوم مشهود^(٨).

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٤٣/١٠-١٤٤، و«الكامل»: ١٥٣/١١، و«الوافي بالوفيات»: ٨/١٢، و«لسان الميزان»: ٢٠٥/٢، و«النجوم الزاهرة»: ٢٩٨/٥، وقد سلفت أخباره في حوادث سنة (٥٣٨هـ).

(٢) في (ع) و(ح) بن أبي الليوث، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٣) كذا في (ع) و(ح) والجادة: إن لم يُعَد.

(٤) قرية بنيسابور، انظر «المنتظم»: ١٤٤/١٠، و«معجم البلدان»: ٤١٩/٢.

(٥) انظر حاشيتنا رقم ١ ص ٤٩٢ من هذا الجزء.

(٦) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٨٣، و«كتاب الروضتين»: ٢٥٨/١، و«الوافي بالوفيات»: ١٨٠/١٩، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: ٢١٩/١، و«المقصد الأرشد»: ١٤٨/٢، و«المنهج الأحمد»: ١٤١-١٤٢/٣، و«الدارس»: ٦٧/٢، و«شذرات الذهب»: ١٤٣/٤.

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٨) «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٨٣.

[فصل : وفيها توفي]

عبد الملك بن أبي نصر بن عمر^(١)

أبو المعالي الجِيلاني، تفقَّه على أسعد المِهنِي، سمع الحديث، وكان فاضلاً زاهداً، لم يكن له بيت يأوي إليه إلا المساجد الخراب، لا يقبل برّاً أحد، خَرَجَ إلى الحج، فأغارت العرب على الحاج، فانقطع بفيء، وأقام بها حتى مات، وكان أهل فيء يصفونه بالزهد والورع^(٢).

علي بن أحمد بن محمد^(٣)

[المُقَرَّي]^(٢) ويعرف بالأحذب، المُعَلَّم البغدادي، مات ببغداد [وذكره العماد في «الخريدة» وقال]^(٢): وماتت ابنة له فرثاها، فقال: [من الطويل]

ولستُ براضٍ بالبكاءِ بُنِيَّتِي	عليكِ إلى أنْ أُمزَجَ الدَّمْعَ بالدَّمِ
فلو أنْ جَفَنِي دائماً ببكائه	على قَدْرِ حُزْنٍ تستحقينه عَمِي
وإنِّي بِمِثْلِ الكَأْسِ بعدَكَ شاربٌ	كما شَرِبَ الماضون من لَدُ ^(٤) آدَمَ
فلا بَلِيَتْ تلكَ العِظامُ فإنَّها	بقيةُ جسمي لم تدنَّسْ بمأثم ^(٥)

علي بن دُبَيْس، صاحب الحِلَّة^(٦)

كان شجاعاً، جَوَاداً، وكان قد استوحش من السُّلطان، فبعث إليه يتهدَّده [وهو بالحِلَّة]^(٢)، فقال لرسوله: قل له: مثلي ما يُهدَّد؛ لأنَّ قصارى أمري أن تخرجني من جُدران الحِلَّة، وتبعدني عن أوساخها، فأسكن في فيافي بني أسد، وأقنع بخيام

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٤٤/١٠ - ١٤٥، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ١٨٩/٧ - ١٩٠.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج ١/ج ٣ - ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٤) لد، لغة في «لدى»، ظرف زمني ومكاني غير متمكن بمعنى عند إلا أنه أقرب مكاناً من «عند»، وأخص منه. انظر «اللسان» (لدى).

(٥) «الخريدة»: مج ١/ج ٣ - ٣٣٠.

(٦) له ترجمة في «الكامل» لابن الأثير: ١٠٢/١١، و«الوافي بالوفيات»: ١٠٢/٢١، و«النجوم الزاهرة»:

٢٩٩/٥، وقد سلفت أخباره على السنين.

الشعر؛ وتلال الرمل؛ وثماناد المياه؛ وخشن العيش، وهو وأمثاله لو فقد إيقاد الشمع، ودخان النّد، وألوان الأطعمة، وحشايا القز، والحمامات لهلك.

وكانت وفاته بالحلة^(١)، [واختلفوا في سببها على أقوال: أحدها أنه مات بعلة السكتة، والثاني أنه سُم، والثالث بعلة القولنج، واتهم طبيبه محمد بن صالح بأنه قصّر في أمره، فمات طبيبه بعد قليل، وولي بعده ابنه مهلهل بن علي]^(٢).

محفوظ بن أبي محمد الحسن^(٣)

ابن صصري، أبو البركات، ويعرف بالقاضي المكين، كان مشهوراً بالخير والعفاف، وكانت وفاته بدمشق في ذي الحجة، وقد بلغ ثمانين سنة.

السنة السادسة والأربعون وخمس مئة.

فيها دخل السلطان مسعود بغداد، وخرج الوزير ابن هبيرة وأرباب الدولة إلى لقائه، فأكرمهم، [وأحسن إليهم]^(٤).

(١) في (ع) و(ح): عقب هذا قوله: وكانت وفاته بالحلة، فقبض ترشك على ابن الوزير ونجاح ويرنقش إلخ.. وهذا القول وما بعده حتى آخر ترجمة يوسف بن محمد بن فاره الأندلسي، هو من حوادث سنة (٥٤٨هـ)، مما يعني أن اضطراباً وقع في النسختين جعل السنوات (٥٤٦هـ) و(٥٤٧هـ) و(٥٤٨هـ) و(٥٤٩هـ) تتداخل حوادثها ووفياتها تداخلاً عجيباً، وجعل تنمة ترجمة علي بن دُبيس هذا يقذف بها إلى آخر حوادث سنة (٥٤٨هـ)، ويدل ذلك أيضاً أن ثمة خللاً في الأصل الذي نقل عنه ناسخا كل من النسختين، وقد جبرت هذا الخلل، وأعدت الحوادث والوفيات إلى تتابعها على السنين مستأنساً بما ورد في (م) و(ش). ويبدو أن النسخة التي اعتمد عليها ابن تغري بردي من «المرآة» فيها الخلل نفسه، فقد ذكر في وفيات سنة (٥٤٥هـ) حوادث ووفيات سنة (٥٤٨هـ)، وقد نبه محققه إلى ذلك، وإن لم يقف على سبب هذا الخلل، وابن تغري بردي لا يصرح بنقله من «المرآة» في كثير من الأحيان.

(٢) في (ع) فمات بعلة السكتة، وقيل: إنه سُم، وقيل: مات بعلة القولنج، واتهم طبيبه محمد بن صالح أنه قصر في أمره، فمات بعد قليل، وولي الحلة ابنه مهلهل بن علي. قلت: وأثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش): وجاءت في (ع) بعد ترجمة علي بن ديبس ترجمة محفوظ بن أبي محمد الحسن بن صصري.

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٨٤، و«تاريخ ابن عساكر»: (خ) (س): ٢٨٥/١٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٦٧/٢١، و«الوافي بالوفيات»: ١٨٥/٢٥، وقد أخطأ محققه في الإحالة في السير على ترجمته، إذ إنه أحال على ترجمة ابنه أبي البركات هبة الله بن محفوظ!

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وطلب ابنُ العبَّادي الجلوسَ بجامع المنصور، فقبل له: إِنَّ أهل الجانب الغربي لا يَمكُون من الجلوس فيه إلا الحنابلة. فلم يقبل، وَجَمَعَ أرباب الدولة، ومضوا معه، فلما صعد المنبر جاءه الآجُرُّ، وأخذته الزَّعقات، ونفَر النَّاس وأخذت عمائمهم، ولولا أربابُ الدولة جذبوا السيوف وأحدقوا به لَقُتِلَ.

وفيهما نادى السُّلطان بعمارة قُرى العراق، وكان أصحابه قد أخربوها، فكتب إليه رجل: إِنَّ الجِمال إذا حُرث عليها لإثارة الأرض وإصلاحها، طَمَسَتْ بِأَخْفافها ما تحرثه. فقال: عليَّ بكتابِ الورقة. فَحَضَرَ، فقال: ما معنى هذا؟ فقال: أَنْتَ تأمر [بعمارة النواحي، وإصلاح ما أفسده الظلمة] ^(١)، وأصحابُك يخربون المساكن، وينهبون المال، ويهتكون الحريم. فغَضِبَ غَضَباً شديداً، ونادى في عسكره: مَنْ مَدَّ يده إلى ما ليس له قَطَعْتُها كائناً مَنْ كان. فَعَمَرَتِ البلاد، واستقامت الأحوال.

وفيهما في المحرَّم عاد نورُ الدِّين إلى حصار دمشق، [فجاء] ^(٢)، فنزل عيون الفاسريا ^(٣)، وامتدَّت عساكره إلى ما بين عذراء وضمير، وأرسل إلى مجير الدِّين يقول: قد كنتُ اتفقت معكم وحلفتُ لكم، فالآن فقد صَحَّ عندي أنكم ظاهرتم الفرنج، وما قصدتُ إلا الجهاد، فإن رجعتُم عن الفرنج وأعطيتموني عساكركم لأجاهد في سبيل الله تعالى رجعتُ عنكم. فلم يردُّوا عليه جواباً، فرحل [نور الدين، فجاء] ^(٢) ونزل مشهد القدم، وأحدقت عساكره بالبلد وضايقه، ولم يزحف خوفاً من سفك دماء المسلمين، وتواترت الأخبار بمجيء الفرنج لنصرة مجير الدِّين، فضاقت صدور العلماء والزُّهاد [من هذه الحالة] ^(٢)، ولم تزل المناوشات تعمل في كل يوم إلى ثالث عشرة صفر ^(٤)، فرحل إلى دارياً مستعداً للقاء الفرنج، وكان عسكره كل يوم يزداد قوةً وعسكرُ دمشق يَضْعُفُ، ومع هذا ما كان يأذنُ لأحدٍ في قتال المسلمين، وما خَرَجَ عسكر دمشق إلا وعادوا [مفلولين] ^(٢) مكسورين، وقربَ الفرنج من داريا، فأشار على نور الدين خواصُّه بالرحيل، وقالوا: تبقى بين الفرنج و[بين] ^(٢) عسكر دمشق! فارتفع إلى الزَّبداني، ووصل الفرنج [إلى] ^(٢) داريا في جَمْعٍ قليل، وخَرَجَ مجيرُ الدِّين والمؤيَّد إليهم،

(١) في (ع): أَنْتَ تأمر بالعمارة، والمثبت من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) عيون الفاسريا تنبع من سفح الجبل، شمالي دومة، انظر «غوة دمشق»: ٨٩.

(٤) في (م) و(ش): إلى ثالث وعشرين صفر. قلت: وكلا التاريخين وردا عن أبي يعلى في «ذيل تاريخ دمشق»، الأول في النسخة

التي اعتمد عليها أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ٢٦٥/١، والثاني في النسخة المطبوعة منه: ٤٨٥.

واجتمعوا بملكهم، فما صادفوا عنده من القوة ما كانا يظنّانه، فاتّفقوا على نزول الفرنج على بصرى، فإنّها عصّت على مجير الدين، ورحلوا إلى رأس الماء، وبعث نور الدين أربعة آلاف فارس إلى حوران، ومعهم عرب يتخطفون عسكر الفرنج، فتبعوهم إلى لجاة حوران، وبلغ نور الدين، فعاد إلى دمشق. وقيل: بل نزل بعين الجر [من البقاع]^(١).

وضايق الفرنج بصرى، فلم يظفروا منها بطائل، فعادوا إلى بلادهم، وبعثوا يطلبون من مجير الدين ما قرّر لهم من المال [عن ترحيلهم نور الدين عن دمشق، وقالوا: لولانا ما رحل]^(١).

وعرض نور الدين عسكره بالبقاع، وكانوا من عين الجرّ إلى الدّلهمية، فكانوا ثلاثين ألفاً من عسكره والثّرّكمان والعرب وغيرهم، فعاد إلى دمشق، وقد أطمعته نفسه فيها، [وجاء]^(١) فنزل أرض كوكبا غربيّ داريا في ربيع الأوّل، ثم رحل، فنزل جسر الخشب، ثم رحل إلى مسجد القدم، ونودي في دمشق في العسكر والأحداث بالخروج إلى قتاله، فلم يخرج إلا اليسير [لما وقرّ في نفوسهم من استنجاد مجير الدين وابن الصّوفي بالفرنج]^(١).

ووصل لنور الدين كتابُ الأمير حسن المنبجي أنه افتتح مدينة تل بامر بالأمان في ربيع الأوّل، فضربت [البوقات والطبول في عسكر نور الدين بالبشائر]^(٢).

وأقام [نور الدين]^(١) على دمشق من غير قتال ولا زحف [خوفاً على المسلمين، وقال: لا حاجة لي في إراقة دمائهم بأيدي بعضهم بعضاً، وإنما أرفّهُهم لبيدوا نفوسهم في قتال الكفار]^(١)، ثم تردّدت المراسلات بينه وبين مجير الدين وابن الصّوفي على يد الفقيه بُرّهان الدّين [علي]^(١) البلخي^(٣) وأسد الدين شيركوه وأخيه نجم الدّين أيوب، وتقارب الأمر إلى تجديد الأيمان، وعهود وشروط اشترطها عليهم، ورحل عنهم يوم الخميس العاشر من ربيع الآخر.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع): فضربت البشائر في عسكره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ستأتي في ترجمته في وفيات سنة (٥٤٨هـ).

وسار بعض عسكر [نور الدين] ^(١) نحو بُصرى، لأنَّ واليها عصى على المسلمين، واعتضد بالفرنج، فاستدعى نور الدين من دمشق المجانيق وآلة الحصار، وبعث إليه [نور الدين] ^(٢) قطعة من عسكره.

وجاءه الخبر بأن عسكر الرقة أغار على قلعة جعبر، فخرج الأمير عز الدين علي بن مالك صاحبها في أصحابه إليهم [وقد أغاروا على أطراف أعماله] ^(٢) ليخلص ما استاقوا، فالتقى الفريقان، فأصابه سهم من كمين ظهر عليه، فقتله، فرجعوا به إلى قلعة جعبر، وأجلسوا ولده مالك بن علي في منصبه، فاستقام أمره.

وفي رجب توجه مجير الدين في جماعة من خواصه إلى حلب بقصد خدمة نور الدين وطاعته، فالتقاه وأكرمه، وخلع عليه، وبالع في الفعل الجميل في حقه، وقرَّر معه تقارير اقترحها [عليه] ^(٢)، ثم عاد عنه إلى دمشق مسروراً، فدخلها في آخر شعبان ^(٣).

وفيها قصدت الفرنج بقاع بعلبك على غرة من أهلها، فنهبوا ما فيها من المواشي، وسبوا النساء، وأسروا الرجال، ولم يبقوا على أحد، وكان عطاء الخادم ^(٤) بعلبك، فبعث الرجالة في إثرهم، واجتمع إليهم من أهل البقاع خلق عظيم، واتبعوهم فلحقوهم، وقد أرسل الله عليهم من الثلوج المتدركة ما ثبطهم عن الوصول إلى بلادهم، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، واستخلصوا الأسارى والمواشي، ومن سلم من الثلج.

وفيها استوحش علي بن السَّار وزير مصر من الظافر، ولم يدخل القصر خوفاً منه، واستقل بالتَّذبير، [واستوحش الظافر منه].

واستوحش ابن الصوفي من مجير الدين، واستقل بالأمر ^(٢)، ولم يبق لمجير الدين حكم.

(١) في (ح): عسكره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ح).

(٣) في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩١ أنه توجه إلى نور الدين في يوم الخميس الثاني عشر من رجب، وعاد إلى دمشق في يوم الثلاثاء السادس من شعبان، وانظر «كتاب الروضتين»: ٢٧٣/١.

(٤) في (م) و(ش): وكان مجلب عطاء الخادم، فبعث الرجالة.. وهي عبارة لا تستقيم، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٢، وستأتي ترجمة عطاء في وفيات سنة (٥٤٨هـ).

فصل وفيها توفي

ثابت أبو الزُّهر^(١)، المصري الضَّرير^(٢)

كان شاعراً ومن شِعره في رجلٍ ضُربَ بسيفٍ في حَرْبٍ على وجهه، فَقُطِعَ أنفه وجُرحَ وجهه: [من البسيط]

لا صُوحِبَتْ بِبَنانٍ راحةٌ جَدَعَتْ أنفَ الزَّمانِ وجَدَّتْ مارِنَ الكَرَمِ^(٣)
وذَلَّ ما ناله في الحَرْبِ مِنْ قُبُلٍ بأنَّه كان فيها غير مُنْهَزِمٍ

عبد الرحمن بن عبد الله^(٤) بن الحسن بن [أبي] الحسن^(٥)

أبو الحسين بن أبي القاسم ابن أبي الحديد، الدَّمَشْقِي، خطيب دمشق.

(١) في (ع) و(ح): أبو الزهري، والمثبت من «الوافي بالوفيات»، وهو غالباً ما ينقل عن «المرآة» دون أن يسميه.
(٢) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٤٦٩/١٠، وقال: ثابت بن مفرج بن يوسف أبو الزهر الخثعمي، البلسني الشاعر، نزيل مصر، تفقه بها على مذهب الشافعي، وتوفي سنة ست وأربعين وخمس مئة، وشعره جيد، ومن شعره قوله.

قلت: ثم بيض له، ولم يسق شيئاً من أبياته.

(٣) جَدَّ: قطع، والمارن: طرف الأنف، أو ما لان منه منحدرًا عن العظم. «اللسان» (جدد، مرن).
(٤) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٩٠-٤٩١، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) ٤-٣/١٠-٤١ [٣-٢/٤١]، و«مشيخة ابن عساكر»، (خ): الورقة ١٠٧، و«التحبير»: ٣٩١-٣٩٢، و«المنتخب من معجم الشيوخ» للسمعاني: ٩٨١-٩٨٢، ٢/١، و«الروضتين»: ٢٧٢/١.

(٥) اضطربت النسخ في نسبه، ففي (ع) عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن الحسين، وفي (ح) و(ش): عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن الحسين، وفي (م): عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن الحسن. وقد رفع ابن عساكر نسبه وجوَّده، فقال: عبد الرحمن بن عبد الله [أبي القاسم] بن الحسن [أبي عبد الله] بن [أبي الحسن] أحمد بن [أبي الفضل] عبد الواحد بن [أبي بكر] محمد بن أحمد بن عثمان بن الوليد بن الحكم بن سليمان، أبو الحسين بن أبي القاسم بن أبي عبد الله السلمي، المعروف بابن أبي الحديد الخطيب.

قلت: وكذلك أورده في «مشيخته» مع زيادة في كنى بعض أجداده، وقد وضعتها ما بين حاصرتين، وعن مشيخة ابن عساكر نقل السمعي في «التحبير» و«المنتخب».

وأما ابن القلانسي فساق كنيته وما اشتهر به، فقال: أبو الحسين بن أبي الحديد، وعنه نقل أبو شامة في «الروضتين». وقد أثبت من (م) ما اتفق مع ما أورده ابن عساكر، فهو تلميذه، ومن أعرف الناس به، وزدت ما بين حاصرتين من «مشيخته».

ولد سنة اثنتين وستين وأربع مئة^(١)، وسمع الحديث الكثير، وتوفي [في هذه السنة بدمشق، روى عنه الحافظ ابن عساكر وغيره]^(٢)، وكان صالحاً ثقةً، وبيتُ أبي الحديد يتوارثون نعلَ النبي ﷺ، وقد انقرضوا فلم يبق منهم أحد.

وقال ابنُ القلانسي: وفي يوم السبت الثاني من جمادى الآخرة [في هذه السنة]^(٣) توفي القاضي السديد الخطيب أبو الحسين بن أبي الحديد؛ خطيبُ دمشق، وكان [خطيباً]^(٣) بليغاً، صينياً^(٤) عفيفاً، ولم يكن له من يقوم مقامه في منصبه سوى أبي الحسن الفضل [ولد]^(٣) ولده، وهو حديث السن، فنُصِبَ مكانه، وخطبَ وصلى بالناس، واستمر الأمر فيه^(٥).

علي بن مُرشد ابن المُقلد^(٦)

ابن نصر بن مُنقذ، عزُّ الدين.

ولد بشيْز سنة سبع وثمانين وأربع مئة، وكان فاضلاً أديباً، حسنَ الخطِّ، وكانت وفاته على عسقلان شهيداً^(٧)، وكان أكبر إخوته، وكتبَ إلى أخيه أسامة: [من الطويل]
 أسامة ما رمثُ التَّسْلِي لأُنِّي أرى مَغْنَمَ اللَّذَاتِ مَذْغِبَتْ مَغْرَما
 أَجْلُكَ أَنْ أَدْعُوكَ يوماً مَلَقَباً لأنَّ اسْمَكَ المَحْمُودَ ما زالَ أَعْظَما

(١) في «تاريخ ابن عساكر»: سئل أبو الحسين بن أبي الحديد عن مولده، وأنا أسمع، فقال: في جمادى الأولى سنة أربع وستين وأربع مئة، وكان يقول قبل ذلك: إنه ولد سنة اثنتين وستين.

(٢) في (ع) و(ح): وتوفي بدمشق، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ح): صينياً، وفي «ذيل تاريخ دمشق»: متصوناً.

(٥) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٠-٤٩١.

(٦) له ترجمة في «الأنساب»: ٤٦٩/٧-٤٧٠، و«تاريخ ابن عساكر»: ٥٤٦/١٢-٥٤٧، و«الاعتبار»، لأسامة ابن

منقذ: ٣٩، ٤١، ١٢٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٥٤٨/١-٥٥١، ٥٦١-٥٦٣، و«معجم

الأدباء»: ٢١٤/٥-٢٢٠ (ضمن ترجمة أخيه أسامة)، و«اللباب» لابن الأثير: ٢/٢٢٥، و«الروضتين»: ٣٥٣/١،

و«الوافي بالوفيات»: ١٩١/٢٢-١٩٢، و«النجوم الزاهرة»: ٣٠١/٥، وله كتاب في التاريخ مفقود اسمه «البداية

والنهاية»، نشر شذرات منه د. إحسان عباس في «شذرات من كتب مفقودة في التاريخ»: ١٢٥.

(٧) في «معجم الأدباء»: ٢١٨/٥ نقلاً عن أخيه أسامة: وكان استشهد - رحمه الله - على غزة في شهر رمضان

سنة خمس وأربعين وخمس مئة في حرب الفرنج.

قلت: وهو ما ذكره كذلك في «الاعتبار»: ٤١، وقال: وبقي أخي عز الدولة أبو الحسن علي - رحمه الله -

بعسقلان، فخرج عسكرها إلى قتال غزة، فاستشهد رحمه الله، وكان من علماء المسلمين وفرسانهم وعُبادهم.

فَعِشْتَ كَمَا تَهْوَى بَعِيداً وَدَانِياً
وَلَا زِلْتَ هَزَامَ الْجِيُوشِ وَبَانِياً
وَكُتِبَ إِلَيْهِ : [من الطويل]

أَيَا سَاكِنِي قَلْبِي ^(٣) عَلَى خَفَقَانِهِ
فَلَوْ رَامَ قَلْبِي سَلُوءَ عَنْكَ صَدِّهِ
فِيَا هَلْ لَشْتٍ ^(٤) الشَّمْلُ جَمْعٌ وَهَلْ لَنَا
وَقَتْلُكَ الرَّدَى نَفْسِي فَإِنَّكَ ذُخْرُهَا
وَارْتَحِلْ مِنْ شَيْزَرَ إِلَى بَغْلَبَكْ، فَأَقَامَ عِنْدَ مَعِينِ الدِّينِ أَنْرَ، فَقَالَ : [من البسيط]

لَأَشْكُرَنَّ النَّوَى وَالْعَيْسَ إِذْ قَصَدَتْ
فَصَرْتُ فِي وَطَنٍ إِذْ سِرْتُ ^(٦) عَنْ وَطَنِي
بِي مَعْدِنَ الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ
فَمَنْ رَأَى صِحَّةً جَاءَتْ ^(٧) مِنَ السَّقَمِ

علي ابن مُشهر ^(٨) أبو الحسن المَوْصِلِي، الشَّاعِر ^(٩)

قال عبد الرحمن ابن الإخوة البغدادي ^(١٠) : رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ مَنْشِدًا يُنْشِدُ هَذِينَ
الْبَيْتَيْنِ : [من الطويل]

(١) في «تاريخ ابن عساكر» : بفعلك.

(٢) انظر الأبيات مع غيرها في «تاريخ ابن عساكر» : ٥٤٧/١٢ .

(٣) في «تاريخ ابن عساكر» : فَيَا سَاكِنًا قَلْبِي.

(٤) الشَّتْ : أَيِ الْمَتَفَرِّقِ . «اللسان» (شَتَّ).

(٥) في (ع) : الدَّهْرُ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (ح)، وَالْأَبْيَاتُ فِي «تاريخ ابن عساكر» : ٥٤٦-٥٤٧/١٢ ، مَعَ اخْتِلَافٍ فِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ.

(٦) فِي (ع) وَ(ح) : إِذْ صَرْتُ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ «تاريخ ابن عساكر»، وَفِي «الخريدة» وَ«معجم الأدباء» : فَسَرْتُ فِي وَطَنِي إِذْ سَرْتُ عَنْ وَطَنِي، وَمَا فِي «تاريخ ابن عساكر» أَصَحُّ.

(٧) فِي (ع) وَ(ح) : كَانَتْ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ «تاريخ ابن عساكر» ٥٤٧/١٢ ، وَ«الخريدة» : ٥٥١/١ ، وَ«معجم الأدباء» : ٢١٧/٥ .

(٨) فِي (ع) عَلِي بْنُ فَهْرٍ، وَفِي (ح) ابْنُ مَهِيرٍ، وَكِلَاهُمَا تَحْرِيفٌ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُشْهَرٍ.

(٩) لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «خريدة القصر» قِسْمُ شُعَرَاءِ الشَّامِ : ٢٧١-٢٧٨/٢ ، وَ«وفيات الأعيان» : ٣٩١-٣٩٥/٣ ، وَ«سير أعلام النبلاء» : ٢٣٤-٢٣٥/٢٠ ، وَ«الوافي بالوفيات» : ١٢٩-١٣٣/٢١ ، وَعِنْدَهُمْ وَفَاتُهُ - مَا خَلَا الْخَرِيدَةَ - سَنَةَ (٥٤٣هـ).

(١٠) هُوَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الشَّيْبَانِي الْبَيْعِ، أَبُو الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الْغَنَائِمِ، الْكَاتِبُ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْإِخْوَةِ، كَانَ أَحَدَ كُتَّابِ الدِّيْوَانِ، وَتَوَفَّى سَنَةَ (٥٥٩هـ)، انظر ترجمته في «إنباه الرواة» : ١٦٧-١٦٩/٢ ، وَ«الوافي بالوفيات» : ٢٤٥/١٨ .

أَعَاتِبُ فِيكَ الْيَعْمَلَاتِ^(١) عَلَى السُّرَى وَأَسْأَلُ عَنْكَ الرِّيحَ إِنَّ هِيَ هَبَّتْ
وَأُمْسِكُ^(٢) أَحْنَاءَ الضُّلُوعِ عَلَى جَوَى مُقِيمٍ^(٣) وَصَبْرٍ مُسْتَحِيلٍ مُشْتَّتِ
فَلَمَّا انْتَبَهْتُ جَعَلْتُ أَبْحَثُ عَنْ قَائِلِهَا، وَمَضَتْ عِدَّةُ سَنِينَ، فَاجْتَمَعَتْ بَعْلِي ابْنُ
مُسْهَرٍ وَحَدَّثْتُهُ بِالْمَنَامِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهُمَا لِي مِنْ أَيْبَاتٍ، أَوَّلُهَا:
إِذَا مَا لِسَانُ الدَّمْعِ نَمَّ عَلَى الْهَوَى فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي عَشِيَّةً وَدَعَعْتُ
وَأَعْجَبُ مِنْ صَبْرِي الْقُلُوصُ^(٤) الَّتِي سَرْتُ أَعَاتِبُ فِيكَ الْيَعْمَلَاتِ عَلَى السُّرَى^(٥)
فَعَجِبْتُ مِنْ هَذَا الْإِتْفَاقِ^(٦).
فَلَيْسَ بِسِرٍّ مَا الضُّلُوعُ أَجَنَّتِ
أَنَا حَتَّ حَمَامَاتُ اللَّوَى أَمْ تَغَنَّتِ
بَهْوَ دَجِكَ الْمَزْمُومِ حِينَ^(٧) اسْتَقَلَّتِ
وَأَسْأَلُ عَنْكَ الرِّيحَ إِنَّ هِيَ هَبَّتْ

السنة السابعة والأربعون وخمسة مئة

حَكَى جَدِّي فِي «الْمُنْتَظَمِ» عَنِ الْقَاضِي أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ الْمَانْدَائِيِّ الْوَاسِطِيِّ^(٨) قَالَ:
فِي تَاسِعِ الْمَحْرَمِ^(٩) بَاضَ دِيكَ [الرَّجُلُ يَعْرِفُ بَابْنَ عَامِرٍ بِيضَةً]^(١٠)، وَبَاضَ بَازِيٌّ لَعْلِي
ابْنُ حَمَادٍ بِيضَتَيْنِ، وَبَاضَتْ نَعَامَةٌ لَا ذَكَرَ مَعَهَا [بِيضَةً]^(١١)^(١٢). [قُلْتُ: بِيضُ الدِّيكِ
وَالنَّعَامِ مَعْرُوفٌ، أَمَّا الْبَازِيُّ فَغَرِيبٌ جَدًّا]^(١٣).

(١) اليعملات جمع، مفردها اليعملة: وهي الناقة النجبية السريعة، انظر «معجم متن اللغة»: ٢٠٩/٤.

(٢) في «الخريدة»: وأطبق.

(٣) في «الخريدة»: جميع.

(٤) القلوص من الإبل: الشابة حتى تبزل. «معجم متن اللغة»: ٦٣٣/٤.

(٥) في «الخريدة»: أئى.

(٦) في «الخريدة»: اللون، وفي «وفيات الأعيان»: النوى.

(٧) انظر الخبر في «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٢٧٣-٢٧٤/٢، وهو ينقله عن السمعاني، وفيه أنه رأى منشداً ينشد هذين البيتين، أحدهما: وأعجب من صبري، والآخر: وأطبق أحناء الضلوع.

(٨) هو أبو العباس أحمد بن بختيار المندائي، ويقال: الماندائي، قاضي واسط، توفي سنة (٥٥٢هـ)، وله ست

وسبعون سنة، انظر ترجمته في «المنتظم»: ١٧٧-١٧٨/١٠، و«توضيح المشتبه»: ٣١٧-٣١٨/٨.

(٩) في (ع) و(ح): فيها قال أبو العباس الواسطي في تاسع المحرم، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(١٠) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(١١) «المنتظم»: ١٤٦/١٠.

وفيها توفي السلطان مسعود، ووصل الخبر إلى بغداد، فقَبَضَ الخليفةُ على جماعة كانوا ينتمون إلى الأعاجم، ويتسمجون في حقِّ الخلافة بما لا يليق [على المنابر وغيرها] ^(١) مثل أبي النّجيب السُّهْرَوَرْدِي والحيصّ بيص [الشاعر] ^(١)، [وأهينا] ^(١)، فأخرج أبو النّجيب إلى باب النُّوبي، وضُربَ سبع دَرَر، ورُدَّ إلى الحَبَس. وكان في [بعض] ^(١) الليالي قد صَعِدَ على سطح النّظامية وأومى إلى دار الخليفة، وقال: تولى ابن المُرْخَم على المُسلمين، ما بايعناك على ذا!

وهرب مسعود البلالي شحنة بغداد إلى تكريت، وجلس الوزير في بيت النوبة لعزاء مسعود.

وأمر الخليفةُ ابنَ النّظام بأن يذكر الدّرس بالنّظامية، ويُخرج مَنْ فيها من الفقهاء أصحابِ أبي النّجيب، وكانوا يسيئون الأدب، ويستطيلون بالأعاجم.

وبلغ الخليفة أنَّ واسطاً قد عَصَتْ، فخرج إليها بنفسه ووزيره وولي عهده، وسار في [شوال في دَسْتِ الخلافة، ووصل إلى واسط، فأقام بها أياماً، ومضى إلى الحلة والكوفة، وهرب مهلهل بن علي، وزار الخليفة المشهدين، وعاد إلى بغداد] ^(٢).

وغلقت بغداد وضربت القباب، واشتغل النَّاسُ باللَّهْو، وخُطِبَ لولي العهد يوم الجمعة غُرَّةُ ذِي الْحِجَّة.

وفي المحرم فَتَحَ نورُ الدِّين محمود - رحمه الله - حصن أنطرسُوس عَنوةً، فطلبوا الأمان على النُّفوس، فأمنهم، وملك عِدَّةً من الحصون منها المَرْقَب ^(٣)، وكان على الإسلام منه ضررٌ عظيم. وحجَّ بالنَّاس قِيَمَاز الأَرْجَوَانِي.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): وسار في أبهة الخلافة، ووصلها، وأقام بها أياماً، وعاد إلى بغداد في ذي القعدة.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) كذا قال، وهو وهم، إذ لم يذكر أحد ممن أرخ لنور الدين أنه استولى على حصن المرقب، والمعروف أنه بقي في يد الفرنج حتى فتحه السلطان سيف الدين قلاوون، سنة (٦٨٤هـ)، انظر «السلوك» للمقريزي: ج ١/ق ٢/٧٢٧-٧٢٨.

فصل : وفيها توفي

أُمَيَّة بن عبد العزيز بن أبي الصَّلْت الأندلسي^(١)

نزل الإسكندرية، وكان شاعراً فصيحاً، فاضلاً، صنَّف كتاب «الحديقة»^(٢)، ومن شِعْره في الأفضل ابن أمير الجيوش : [من الكامل]

لا غَرَوْا إِنْ سَبَقَتْ لَهَاكَ^(٣) مدائحي وتدَفَّقَتْ جَذْوَاكِ مِلءَ إِنَائِهَا
يُكْسَى الْقَضِيبُ وَلَمْ يَحِنْ إِثْمَارُهُ وَتَطَوَّقُ الْوَزَقَاءُ قَبْلَ غِنَائِهَا^(٤)
وقال : [من الطويل]

إِذَا كَانَ أَصْلِي مِنْ تُرَابٍ فَكُلُّهَا بِلَادِي وَكُلُّ الْعَالَمِينَ أَقَارِبِي
وَلَا بُدَّ لِي أَنْ أَسْأَلَ الْعَيْسَ حَاجَةً تَشْقُ عَلَى شُمِّ الذَّرَى وَالْغَوَارِبِ^{(٥)(٦)}
وقال : [من الطويل]

وَرُبَّ قَرِيبِ الدَّارِ أَبْعَدَهُ الْقَلَى وَرُبَّ بَعِيدِ الدَّارِ وَهُوَ قَرِيبُ
وَمَا ائْتَلَفْتُ أَجْسَامَ قَوْمٍ تَنَاسَرَتْ عَلَى الْقُرْبِ أَرْوَاحُ لَهُمْ وَقُلُوبُ^(٧)

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب والأندلس : ١/ ١٨٩-٢٧٠ ، و«معجم الأدباء» : ٧/ ٥٢-٧٠ ، و«الكامل» : ١١/ ١٨ ، و«تاريخ الحكماء» : ٥٧-٥٨ ، و«طبقات الأطباء» : ٥٠١-٥١٥ ، و«وفيات الأعيان» : ١/ ٢٤٣-٢٤٧ ، و«المغرب» : ١/ ٢٦١-٢٦٢ ، و«سير أعلام النبلاء» : ١٩/ ٦٣٤-٦٣٥ ، وفيه تنمة مصادر ترجمته. وقد اختلف قول العماد في سنة وفاته، فذكر أنه قرأ في آخر «الحديقة» أنه توفي يوم الاثنين الثاني عشر من محرم سنة (٥٤٦هـ) - وتابعه على ذلك سبط ابن الجوزي - وقرأ في موضع آخر أنه توفي سنة (٥٢٩هـ)، وهو الصحيح فيما ذكر ابن خلكان، وأشار إليه السبط آخر الترجمة إلا أنه صدره بصيغة التمریض. وقد ذكر ابن خلكان أن سنة (٥٤٦هـ) هي سنة وفاة ابنه عبد العزيز.

(٢) هو كتاب «الحديقة في المختار من أشعار المحدثين»، وذكره العماد في «الخريدة» وقال : على أسلوب كتاب «اليتيمة»، وقد نقل عنه ابن سعيد في «المغرب».

(٣) اللها جمع، مفردا اللهيّة واللّهوة: العطية، «اللسان» (لها).

(٤) «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب : ١/ ١٩١ .

(٥) الذرى جمع، مفردا ذروة، وهي أعلى سنام البعير. «اللسان» (ذرا)، والغوارب جمع، مفردا غارب، وهو الكاهل : ما بين السنام والعنق، و«اللسان» (غرب).

(٦) «الخريدة» : ١/ ١٩٨ ، و«وفيات الأعيان» : ١/ ٢٤٤ .

(٧) «الخريدة» : ١/ ١٩٨ .

وقال: [من الوافر]

أُيْحِي الدَّهْرُ مِنِّي مَا أَمَاتَا
وَمَا بَلَغَ الْفَتَى الْخَمْسِينَ إِلَّا
بَكَيْتُ عَلَى الْفُرَاتِ غَدَاةً شَطُّوا
أَسْأَلُ عَنْ جُفُونِي كَيْفَ أَضَحْتُ
أَمَا لَوْ عَادَنِي لِأَعَادَ رُوحِي

وقال يمدح يحيى بن تميم بن باديس: [من السريع]

صَبُّ بَرَاهِ السُّقْمِ بَرِّي الْقِدَاخِ
لَمْ يَرِمِ الْوَجْدُ حِشَاهُ وَلَا
لَهُ إِذَا آنَسَ بَرْقَ الْحِمَى
وَأِنْ شَدَّتْ وَرَقَاءُ فِي أَيْكَةٍ
أَصْبَحْتُ فِي حَلْبَةِ أَهْلِ الْهَوَى
وَفِي سَبِيلِ الْحُبِّ لِي مَهْجَةٌ
يَا بَنَ الْمُلُوكِ الصَّيْدِ مِنْ حَمِيرٍ
لِيَهْنِكَ الْجَدُّ الَّذِي نِلْتَهُ
مَزَجْتَ بِالْبَاسِ النَّدَى وَالثُّقَى
كَمْ مِنْهُمْ هَلٍ مُطَّرِدٍ بِالرَّدَى
أُورِدْتَهُ كُلَّ سَلِيمِ الشَّظَى
كَأَنَّمَا سُزِيلَ جُنْحُ الدُّجَى

وقال في الشمعة: [من الطويل]

وَنَاحِلَةٌ صَفْرَاءُ لَمْ تَذِرْ مَا الْهَوَى
حَكْتَنِي نُحُولًا وَاصْفَرَارًا وَحُرْقَةً

وَيُرْجِعُ مِنْ شِبَابِي مَا أَفَاتَا
ذَوَى عُصْنِ الصُّبَا مِنْهُ فَمَاتَا
وَضَنَّ النَّاسُ مِنْ دَمْعِي الْفُرَاتَا
وَعَنْ قَلْبِي الْمُعْنَى كَيْفَ بَاتَا
وَأَحْيَا أَغْظَمِي الرَّقْمَ الرَّفَاتَا^(١)

يَوَدُّ لَوْ ذَاقَ الرَّدَى فَاسْتَرَاخَ
خَلَّتْ لَهُ جَارِحَةٌ مِنْ جِرَاخِ
جَوَانِحُ تَخْفُقُ خَفْقَ الْجَنَاحِ
عَاوَدَهُ ذِكْرُ حَبِيبٍ فَنَاحِ
يَرْكُضُ بِي طَرْفٌ^(٢) شَدِيدُ الْجِمَاحِ
كَانَ لَهَا صَبْرٌ جَمِيلٌ وَطَاخِ
وَوَارِثِ الْمَجْدِ الْقَدِيمِ الصُّرَاخِ
بِالْجَدِّ مِنْ أَمْرِكَ لَا بِالْمُزَاخِ
مِلْحُ أَجَاخٍ وَزُلَالُ قَرَاخِ
فِي مَوْقِفِ مُشْتَجِرٍ بِالرُّمَاحِ
مُنْعَلَّةٌ أَرْبَعُهُ بِالرِّيَاخِ
وَيُرْقِعَتْ غُرَّتُهُ بِالصَّبَاحِ^(٣)

فَتَبْكِي لِهَجْرٍ أَوْ لَطُولِ بَعَادِ
وَفِيضِ دَمْعٍ وَاتِّصَالِ سُهَادِ^(٤)

(١) «الخريدة»: ١٩٨/١ .

(٢) الطَّرْفُ، بالكسر - من الخيل: الكريم والعتيق. «اللسان» (طرف).

(٣) «الخريدة»: ٢٠٨-٢٠٩ .

(٤) «الخريدة»: ٢١٣/١ .

وقال في الرزق: [من الطويل]

وقائلة سرّ وابتغ الرزق طائفاً
فقلت دعيني ربّ ساع مخيّب
وقال: [من الطويل]

رمّثني صروف الدّهر بين معاشر
وما غربة الإنسان في بُعد داره
وقال، وكان قد حبس: [من الطويل]

ولو لم أكن حرّ الخلائق ماجداً
وما مرّ بي كالسّجن فيه ملّمة
أظنّ الليالي مُبقيات لحالة
وإلا فما كانت لتُبقي حُشاشتي
وكم شامت بي أن حُبست وما درى
متى صفت الدنيا لحرّ فابتغي
وهل هي إلا دار كل ملّمة
وأحسن ما قال: [من الطويل]

سكنتك يا دار الفناء مُصدّقاً
وأعظم ما في الأمر أنّي صائر
فيا ليت شعري كيف ألقاه بعدها
فإنّك مجزياً بذنبي فإنني
وإن يك عفوّ ثمّ فضل ورحمة

توفي في سنة ست وأربعين، وقيل: سنة تسع وعشرين وخمسة مئة.

فإنّك فيما لا يفيد لطائف
ولله في كلّ الأمور لطائف^(١)

أصحّهم وداً عدوّ مخاتيل
ولكنّها في قُرب من لا يُشاكل^(٢)

لما كان دهرى ينطوي بي على ضغن
وشرّ من السّجن المصاحب في السّجن
تبدّل فيها حالتي هذه عني
على طول ما ألقى من الذّل والغبن
بأنّ حُساماً صيّن حدّاه بالجفن
بها صفو عيش أو خلواً من الحزن
أمض لأحشاء الكرام من الطّعن^(٣)

بأنّي في دار البقاء أصير
إلى عادلي في الحُكم ليس يجور
وزادي قليل والذنوب كثير
بحرّ عذاب المُذنبين جدير
فثمّ نعيم دائم وسرور^(٤)

(١) «الخريدة»: ٢٣٩/١ .

(٢) «الخريدة»: ٢٤٨/١ .

(٣) «الخريدة»: ٢٥٥/١ .

(٤) «طبقات الأطباء»: ٥٠٣-٥٠٤ ، و«وفيات الأعيان»: ٢٤٦/١ .

حيدر بن محمد بن الحسن، أبو الرضا العلوي^(١)

من أعيان العلماء، وأكابر الفضلاء، عاش تسعين سنة، وكان أشعر أهل زمانه،
فحاز على شعره بألف دينار، ومن شعره: [من السريع]

ليت نسيماً رقّ قد رقّ لي ممّا بقلبي الهائم المغمّر
فأخبر الظّاعن عن قاطن ويبلغ المنجد عن مثم
لا خضلت أزدائه سُخرةً من سيبٍ وادٍ مُثَرّعٍ مُفعم
ولا هفا وهناً على زهرة أو أقحوانٍ طيّب المنسم
إن لم يُبلغ سَهري مُسْهري أو لم يصف سُقْمِي للمُسقم

محمد بن نصر، أبو عبد الله، العكاوي^(٢)

ويقال له ابن صغير، القيسراني الشاعر [ذكره الحافظ ابن عساكر، والعماد الكاتب
في «الخريدة»، وأبو سعد بن السمعاني في «الذيل»]^(٣).

ولد بعكا [في]^(٣) سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مئة، ونشأ بقيسارية الساحل [فلذلك
تسمّى بها]^(٣)، ولما استولت الفرنج على الساحل انتقل إلى حلب ثم [أتى]^(٣) إلى
دمشق [فأخذ الأدب عن توفيق بن محمد]^(٤).

(١) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٢٣٠-٢٣١/١٣، وفيه وفاته سنة (٥٤٨هـ).

(٢) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨، و«الأنساب»: ٢٩١/١٠، و«التحجير»: ٢٤٢-٢٤٤/٢، «تاريخ
ابن عساكر» (خ) (س): ٤٧-٤٨، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٩٦-١٦٠، و«معجم
الأدباء»: ٨١-٦٤/١٩، و«كتاب الروضتين»: ٢٩٣/١ - وقد أورد له أبو شامة مقطعات طويلة من شعره
- و«وفيات الأعيان»: ٤٥٨-٤٦١/٤، و«تكملة إكمال الإكمال» لابن الصابوني: ٢٤١-٢٤٤، و«الوافي
بالوفيات»: ١٢١-١١٢/٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢٤-٢٢٦/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته. ووفاته
على الصحيح سنة (٥٤٨هـ).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) هو توفيق بن محمد بن الحسين ابن زريق الاطرابلسي الدمشقي، كان شاعراً نحوياً، وله معرفة بالحساب
والهندسة، توفي سنة (٥١٦هـ) بدمشق، انظر ترجمته في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٥٥٥-٥٥٦،
و«معجم الأدباء»: ١٣٨-١٣٩/٧، و«إنباء الرواة»: ٢٥٨/١، و«الوافي بالوفيات»: ٤٤٨-٤٤٩،
و«وفات الوفيات»: ٢٦٥-٢٦٦/١.

قال الحافظ ابن عساكر: كان ابن القيسراني يتولى^(١) عمل الساعات التي عند باب جيرون [على]^(٢) الدّرج، وبلغ شمس الملوك أنه هجاه، فتنكر له، فهرب إلى حلب^(٣). ومدح نور الدين محمود، وجمال الدين الوزير [الموصلي]^(٤) ومجير الدين أبق وغيرهم [من الأعيان وغير الأعيان]^(٥)، وديوانه مشهور، وعاد إلى دمشق، فتوفي بها في صفر، ودفن بباب الفراديس.

وقال ابن القلانسي: وصل الشيخ الأديب أبو عبد الله محمد بن صغير القيسراني الشاعر من حلب [يوم الأحد الثاني عشرة من شعبان سنة]^(٦) ثمان وأربعين وخمسة مئة إلى دمشق، فاستدعاه^(٧) مجير الدين، فحضر مجلسه، وأنشده قصيدة حسنة [مقيدة، فأجازه]^(٨)، ووصله أحسن صلة، واتفق له حُمى حادة، وتبعها إسهال مُفرط، فقضى نحبه يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان [هذه السنة، وكان أديباً، فاضلاً، شاعراً، مترسلاً، بليغ النظم، مليح المعاني، وله يد قوية في علم النجوم والأحكام وحفظ التواريخ، وكان بينه وبين أبي الحسين أحمد بن منير مشاحنات على قديم الزمان، فماتا على ذلك، وبينهما في الوفاة مدة يسيرة]^(٩).

ومن شعره يمدح الوزير جمال الدين محمد الموصلي: [من الكامل]

ليذوقَ حرَّ الوجدِ غيرُ الواجدِ	ليَتَ القلوبَ على نظامٍ واحدٍ
حتى صرَفْتُ إلى الكرامِ مقاصدي	ما زالَ صَرَفُ الدَّهرِ يَقْصِدُ هِمَّتِي
فعلى جمالِ الدينِ وفْدُ محامدي	وإذا الوفودُ إلى الملوكِ تبادرتْ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٤٧/١٦.

(٣) في (ع) و(ح): من حلب في سنة ثمان وأربعين وخمسة مئة إلى دمشق يوم الأحد الثاني عشر من شعبان. والعبارة مضطربة قومناها من «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨.

(٤) في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨ باستدعاء مجير الدين له.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨.

يَلْقَاكَ فِي شَرْفِ الْعُلَا متواضعاً
أُمْنِيَّةً لِلْمُغْتَفِي وَمَنْيَّةً
لَا تَحْسِبُوا أَنِّي انْفَرَدْتُ بِحَمْدِهِ
مَجْدٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاكِ وَهَمَّةٌ
أَنَا رَوْضَةٌ تُزْهِى بِكُلِّ عَجِيبَةٍ
إِنْ سَاقَنِي طَلَبُ الْغِنَى أَوْ شَاقَنِي
وَمَتَى عَدَدْتُ إِلَى نَدَاكِ وَسَائِلِي
حَتَّى أَعُودَ مِنْ امْتِدَاكِ حَالِيَاً
مَا كَانَتْ الْأَيَّامُ تُخْلِفُ مَوْعِدِي
وَقَالَ أَيْضاً مِنْ شَعْرِهِ: [من المديد]

حَتَّى يُرَى الْمَقْصُودُ مِثْلَ الْقَاصِدِ
لِلْمُغْتَدِي وَشَرِيعَةً لِلْوَارِدِ
هِيَ هَاتِ كَمْ لِمَحْمَدٍ مِنْ حَامِدِ
تَرْقَى الشُّهَابُ بِجَنَاحٍ جَدُّ صَاعِدِ
أَفَرَائِدِي مَنْ لَمْ يَفُزْ بِفَرَائِدِي؟
حُبُّ الْعُلَا فَلَقَدْ وَرَدْتُ مَوَارِدِي
أَعَدَدْتُ قَصْدِي مِنْ أَجَلٍ قَصَائِدِي
وَكَأَنَّي قُلْدْتُ بَعْضَ قَلَائِدِي
أَبْدَأُ وَحُسْنُ الظَّنِّ عِنْدَكَ رَائِدِي^(١)

مَنْ لِقَلْبٍ يَأْلَفُ الْفِكْرَا
وَلِصَّبٍّ بِالْغَرَامِ قَضَى
وَيَحَ قَلْبِي مِنْ هَوَى قَمَرٍ

أَوْ لَعِينٍ مَا تَذُوقُ كَرَى
مَا قَضَى فِي حُبِّكُمْ وَطَرَا
أَنْكَرْتُ عَيْنِي لَهُ الْقَمَرَا^(٢)

وَقَالَ يَمْدَحُ بَنِي الصُّوفِي [وَقَدْ بَنُوا] بِهَوَاً وَبِرَّكَهَ فِيهَا شَاذِرُوَان^(٣): [من المديد]

يَا بَنِي الصُّوفِي زُرْتُكُمْ
فَرَأَيْتُ الْغَيْثَ مُغْتَرِفَاً
مَنْ رَأَى أَخْلَاقَكُمْ أَنْفَا
ذَاتُ بَهْوٍ مِّنْ أَلَمٍ بِهَا
عَاقِدٌ فِي الْجَوْ مَنْطِقَهُ

طَائِفَاً بِالْبَيْتِ مُغْتَكِفَا
مِنْ أَيَادِيكُمْ وَمُغْتَرِفَا
أَنْ يَرُودَ الرَّوْضَةَ الْأَنْفَا
وَصَفَا تَخْبِيرُهُ وَصَفَا
لَا يَرَى طَرَفٌ لَهَا طَرَفَا

(١) انظر القصيدة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١٠٣-١٠٦.

(٢) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٤٧/١٦.

(٣) الشاذروان: هو ما ترك من عرض الأساس في البناء خارجاً، ويسمى التأخير. انظر «معجم متن اللغة»:

٢٩٤/٣ ، و«شفاء الغليل»: ١٦٣ ، وما بين حاصرتين زيادة من عندنا لتستقيم العبارة.

طال إشرافاً فحين سما
من أنابيب تميس إذا
مُغرمٌ بالبهو فهو متى
وقال: [من الطويل]

ولي زفرا تَسْتَهْلُ صبايةً
ألفتُ الهوى حتى حلت لي صروفه
ألدُّ بما أشكوه من ألم الجوى
وأذهل حتى أحسبُ الصَّدَّ والجفا
فها أنا ذو حالين أما تصبيري
وقال في دمشق: [من البسيط]

أرض تُحاكي الأمانى من محاسنها
إذا شدا الطير في أغصانها وقفت
وقال: [من البسيط]

يا أهل بابل أنتم أصل بلبالي
لا، واعتناق هواكم بعد فرقتكم
وإنما اعترضت بيني وبينكم
لولا مكان هواكم من محافظتي
سلوت عن غيركم لما علقْتُ بكم
فانظروا إلى عبراتي بعد بعدهم
أقول للائم المُهدي ملامته
دعني أفضّ شؤوني من معالمها

توجوها ما به شرفاً
طير شاذروانها هتفا
هف من شوق إليه هفا

عليكم إذا برق العقيق تالفا
ورب نعيم كان جالبه شقا
وأفرق إن قلبي من الوجد أفرقا
بمُعترِك الذكري وصالاً ومُلتقى
فحي وأما سلوتي فلك البقا^(١)

بحيث تجتمع الدنيا وتفترق
على حدائقها الأسماع والحدق

رُدُّوا فؤادي على جثمانى البالي
ما كان صرْفُ النوى منكم على بالي
نوائب أرخصت من دَمعي الغالي
لما صرفت إليكم وجه آمالي
وجداً ألا فاعجبوا للعاشق السالي
إن أنت لم تر حالي بعد ترحالي
ضلالة القلب في أكناف ذي ضال
فالدَّمع دَمعي والأطلال أطلالي^(٢)

(١) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١٢٥/١.

(٢) الأبيات في «الخريدة»: ١٣٤-١٣٥.

وقال أيضاً من شعره: [من الرمل]

وبأكناف المصلى جيرة
شغلوا كل فؤادي بهوى
ما عليهم لو أباحوا في الهوى
وقال في وصف مغني: [من البسيط]

والله لو أنصف الفتيان أنفسهم
ما أنت حين تغني في مجالسهم
وولده الموفق^(٢) فاق أبناء جنسه في حُسن الخط، وتقلد ديوان الاستيفاء^(٣)
نور الدين محمود بن زُنكي، وتقدم عنده تقدماً زائداً بحيث فوّض أموره إليه، وكان
يقف ببابه بعض ممدوحيه أبيه، ويسترفدونه، فيستحي، فيتبع شِعْر أبيه الذي في أيدي
الناس، واجتهد أن يُسقط منه المدائح، فلم يقدر لانتشاره، ومدّحه الحسين بن
عبد الله بن رواحة^(٤)، فقال: [من الطويل]

دَعَوْتُكَ مُشْتاقاً لَنَيْلِ صَنِيعَةٍ
وَكَمْ عُقْدٍ حُلْتُ بِعَزْمِكَ لَمْ تَكُنْ
تَفَاءَلَ نَوْرُ الدِّينِ بِاسْمِكَ مِثْلَمَا
فَأَصْبَحَ نَوْرُ الدِّينِ فِي الْمُلْكِ خَالِداً
فكنت إلى بذل الصنائع أشوقاً
تحل بعزم من سواك ولا رقى
هوى منك نعتاً في الأمور مُحَقَّقاً
كما كان في الرأي السعيد مُوَفَّقاً^(٥)

(١) «الخريدة»: ١١٩/١ .

(٢) له ترجمة في «بغية الطلب»: ٣٠٩٦-٣١٠١/٧، و«العبر» للذهبي: ٢٦٦/٤، و«تكملة إكمال الإكمال»: ٢٤٤-٢٤٦، و«الوافي بالوفيات»: ٢٨٢-٢٨٣/١٣، وقد ساق أبو شامة في «كتاب الروضتين» بعض أخباره مع نور الدين، وقد توفي سنة (٥٨٨هـ).

(٣) في (ع) ديوان الإنشاء، وفي (ح) ديوان الاستيفاء، وفي «بغية الطلب»: ٣٠٩٦/٧: جمع في ولايته بين الإنشاء والاستيفاء.

(٤) شاعر فقيه، ولد بحماة سنة (٥١٥هـ)، ونشأ بها، ثم رحل إلى دمشق، وسمع فيها من ابن عساكر، ثم رحل إلى مصر، وأثناء عودته منها أسره نورمان صقلية، وبقي في أسرهم مدة، ثم عاد إلى حماة، ثم سافر إلى مصر، وأقام بها في ظل صلاح الدين، وقد استشهد في سهل عكا سنة (٥٨٥هـ)، انظر ترجمته في «كتاب الروضتين»: ٩٧/٤، وذكرت ثمة مصادر ترجمته.

(٥) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٤٨٥-٤٨٦/١ .

[فصل : وفيها توفي] ^(١)السُّلْطَانُ مَسْعُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَلِكِ شَاهٍ ^(٢)

[كما ذكرنا، وقد ذكرنا سيرته مفرقة في السنين، و] ^(١) لم ير أحدًا ما رأى من الملوك والسلاطين، فلما كان في هذه السنة مَرَضَ عَلَى هَمْدَانَ بِأَمْرَاضٍ حَادَّةٍ، وَعَسُرَتْ مداوئُهُ، فتوفي [في] ^(١) سَلَخِ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وكانت أيامُه نيفاً وثلاثين سنة، وسمع الحديث [من أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وغيره] ^(١).

ولما مات اجتمع رأي الأمراء على تقرير ملك شاه بن محمود بن محمد ابن أخي مسعود، وكان مقدّم العساكر والمشار إلى خاصبك بن البلنكري، فأجلسوا ملك شاه ثلاثة أشهر، وقيل: خمسة، ثم عَنَّ لخاصبك أن يقبض عليه وعلى أخيه محمد بن محمود، وينفرد بالملك لبعد سنجر عنه، فقال لملك شاه: إني أريد الملك لك من غير منازع، وأخوك ينازعك، والمصلحة أنني أقبض عليك وأكتب إلى أخيك، فإذا وصل قَبَضْتُ عليه، وَسَلَّمْتُهُ إِلَيْكَ. فقال: افعل. فَقَبَضَ عَلَيْهِ، وَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ بِخُورِزْشْتَانِ يَدْعُوهُ إِلَى السُّلْطَنَةِ، فجاء إلى هَمْدَانَ، فجلس على التَّخْتِ، ودَخَلَ النَّاسُ يَهْتَنُونَهُ، ويخاطبونه في أشياء، فقال: مالي في هذا الأمر شيء، حديثكم مع الأمير خاصبك، فهو الوالد، والكلُّ تحت يده. وقَدَّمْ له خاصبك من المال والخيول والمماليك والخدم والجواهر شيئاً كثيراً، وأقام بهَمْدَانَ أَيَّاماً، وبلغه ما في نَفْسِ خاصبك من التَّذْيِيرِ عَلَيْهِ، فاستدعاه وَزَنَكِي الْخَارَزْنَدَارُ ^(٣)، وشملة التُّرْكَمَانِي وهو في أعلى قصر المملكة، فلما صَعِدُوا دَرَجَ الْقَصْرِ أَحْسَسَ شَمْلَةً بِالْشَّرِّ، فقال لخاصبك: ارجع، فما هذه علامة خير. فلم يرجع، فَلَمَّا حَصَلُوا فِي بَعْضِ مَضَائِقِ الْقَصْرِ أَخَذَتْهُمُ السُّيُوفُ،

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٥١/١٠، و«مختصر دولة آل سلجوق»: ١٥٢ و ١٦١ و ١٩٦ و ٢٠٨، و«الكامل» لابن الأثير: ١٦٣-١٦٠/١١، و«كتاب الروضتين»: ٢٨٦-٢٨٧/١، و«وفيات الأعيان»: ٢٠٢-٢٠٠/٥، و«العبر» للذهبي: ١٢٨-١٢٧/٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٨٦-٣٨٤/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٣) كذا في (ع) و(ح)، ومثله في «المنتظم»، وفي «مختصر دولة آل سلجوق»: ٢١٢، و«الكامل»: ١٦٢/١١ الجاندار، وهو الصحيح.

فَقُتِلَ خَاصِبُكُ وَالْخَازَنْدَارُ وَهَرَبَ شَمْلَةُ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَرَمَى بِرَأْسَيْهِمَا، وَأَكَلَتِ الْكَلَابُ لِحُومَهُمَا، وَاسْتَوْلَى مُحَمَّدٌ عَلَى أَمْوَالِهِمَا وَأَسْبَابِهِمَا وَمَمَالِكِهِمَا، وَكَانَ فِيهَا أَخَذَ مِنْ خَاصِبُكُ أَلْفَ أَلْفٍ دِينَارٍ وَسَبْعُونَ أَلْفَ ثَوْبٍ مِنَ الْأَطْلَسِ، وَثَلَاثَ مِئَةِ مَمْلُوكٍ، وَخَمْسَ مِئَةِ فَرَسٍ، وَمِنَ الْبَخَاتِي وَالْخِيَمِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُحْصَى، وَمَعَ هَذَا جَبُّوا لَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ كَفْنًا كَفَّنُوا بِهِ مَا بَقِيَ مِنْ جُثَّتِهِ مِنْ فَضْلَةِ الْكَلَابِ.

وَخَاصِبُكُ أَصْلُهُ تُرْكَمَانِي، كَانَ صَبِيًّا أَمْرَدًا، فَأَحَبَّهُ مَسْعُودٌ حُبًّا شَدِيدًا، وَقَدَّمَهُ عَلَى أَمْرَائِهِ، فَاسْتَوْلَى عَلَى الْمَمْلَكَةِ.

ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا بَعَثَ بِالرَّاسِيِّنَ إِلَى أَتَابِكِ إِيْلْدَكْزِ صَاحِبِ أَذْرَبِيجَانِ، وَإِلَى آقِ سُنْقَرِ صَاحِبِ مَرَاغَةِ، فَارْتَاَعَا، وَنَفَرَا مِنْ مُحَمَّدٍ، وَبَعَثَا إِلَيْهِ يُوْبُخَانَهُ وَيَقُولَانِ: إِذَا كُنْتَ غَدَرْتَ بَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وَمَلَّكَكَ، فَكَيْفَ يَثْقُ بِكَ غَيْرُهُ؟ ثُمَّ بَعَثَا رَسُولًا إِلَى سُلَيْمَانَ شَاهِ ابْنِ مُحَمَّدٍ^(١)، وَكَانَ بَزَنْجَانٍ، وَحَلَفَا لَهُ وَحَلَفَ لَهُمَا، وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى هَمْدَانٍ، فَهَرَبَ مُحَمَّدٌ إِلَى أَصْبَهَانَ، فَأَجْلَسُوا سُلَيْمَانَ شَاهَ عَلَى تَحْتِ الْمُلْكِ، فَأَخَذَ فِي اللَّهْوِ وَالشُّرْبِ، وَسَاعَدَهُ وَزِيرُهُ فَخْرُ الْمُلْكِ أَبُو طَاهِرِ الْقَاشَانِي، وَفَعَلَ كِفْعَلَهُ، فَضَاعَتِ الْمَمْلَكَةُ بَيْنَهُمَا، وَقَبَّحَتِ السَّيْرَةُ، وَنَدِمَ إِيْلْدَكْزِ وَآقِ سُنْقَرُ حَيْثُ كَاتَبَاهُ وَمَلَّكَاهُ، وَشَرَعَا فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِ وَعَلَى وَزِيرِهِ، فَلَمْ يَتِمَّ كُنَّا مِنْ ذَلِكَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

المُظَفَّرُ بْنُ أَرْدَشِيرٍ^(٢)

أَبُو مَنْصُورِ بْنِ الْعَبَّادِيِّ الْوَاعِظِ.

وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَتَسْعِينَ وَأَرْبَعَ مِئَةَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ، وَوَعِظَ بِجَامِعِ الْقَصْرِ وَالنَّظَامِيَةِ، وَكَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا، وَتَرَسَّلَ بَيْنَ السُّلْطَانِ وَالْخَلِيفَةِ، فَتَقَدَّمَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَ مَلِكِ شَاهِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ بَذْرِ الْخُوَيْزَرِيِّ، فَمَضَى وَأَصْلَحَ

(١) فِي (ع) وَ(ح)، مُحَمَّدٌ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ «مُخْتَصَرِ دَوْلَةِ آلِ سَلْجُوقٍ»: ٢١٤، وَ«الْكَامِلُ»: ١١/١٨٠، وَ«مَعْجَمُ الْأَنْسَابِ» لِزَامِبَاوَرٍ: ٣٣٤.

(٢) لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «الْأَنْسَابِ»: ٨/٣٣٧-٣٣٨، وَ«الْمُنْتَظَمُ»: ١٠/١٥٠-١٥١، وَ«الْكَامِلُ»: ١١/١٥٧ - وَفِيهِ وَفَاتِهِ سَنَةَ (٥٤٦هـ) - وَ«الْأَنْسَابِ»: ٢/٣١٠، وَ«سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ»: ٢٠/٢٣١-٢٣٢، وَفِيهِ تَمَتُّةُ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ.

بينهما، وحصل له منهما مالٌ كثير، وتوفي بالحويزة^(١)، وقيل: بعسكر مُكْرَم في ربيع الآخر، ثم حُمِلَ تابوته إلى بغداد، فدفن في دَكَّة الجُنَيْد بالشُّونِيزِيَّة، ورجع ماله إلى السُّلطان؛ لأنَّه خَلَف ولداً صغيراً، فمات الولد، ولم يكن له وارث.

جلس المُظَفَّر يوماً في جامع القصر، فوق مطر، فلجأ الجماعةُ إلى ظلِّ العقود والجُدران، فقال: لا تفرُّوا من رشاشِ ماءِ رحمةِ قُطْرٍ عن مَثْنٍ سحابِ نِعْمة، ولكن فرُّوا من شرارِ اقْتِدَحَتْ من زنادِ الغَضَب.

وقام إليه شاعرٌ يمدحه، فقال له: اجلس. فقال: قد كان حَسَّان يمدح رسولَ الله ﷺ في المسجد. فقال المُظَفَّر: ما كان حَسَّان مستبيحاً عَرَضاً ولا مُسْتَمِيحاً عَرَضاً. وقيل له: لِمَ آمن موسى عليه السَّلام وكفر فرعون، وكلاهما ارتضعا من دِرَّة ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^(٢)؟ فقال: لأنَّ موسى فاء، وفرعون قاء.

السنة الثامنة والأربعون وخمسة مئة

فيها انحَلَّ أمر بني سَلْجُوق باستيلاءِ الغُزِّ على سنجر.

ذكر السبب: لما التقى خاقان ملك التُّرك وخُوَارَزْم شاه والغُزُّ بسنجر وكسروه، وعاد خاقان إلى بلاده وخوارزم شاه إلى خُوَارَزْم نَزَلَ الغُزُّ بنواحي جَيْحُون وَسَمَرْقَنْد بين التُّرك وأعمال خوارزم آمين، وبقي في قَلْب سنجر ما جرى عليه منهم، فالأمر بينهم موقوف، وقد صالَحَ خُوَارَزْم شاه، فجهَّز سنجر إلى الغُزِّ العساكر مع الأمير قماج، فبيَّتَهم، وجاءهم على غِرَّة، فكسروه، وقتلوا ولده، وغَنِمُوا ما كان معه، فعاد إلى سنجر مهزوماً، ثم ورد جماعةٌ من شيوخهم على سنجر، وقالوا: قد بعثت إلينا مرَّتين، ونَصَرَنَا الله عليك، والبغي مَصْرَعك، ونسألك إهدارَ ما جرى ونكون في

(١) موضع بين واسط والبصرة وخوزستان في وسط البطائح. «معجم البلدان»: ٣٢٦/٢.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية: ١٧٢، قلت: وهذا التعليل ليس بشيء.

خِذْمَتِكَ وِطَاعَتِكَ، وَلَا نَرِيدُ مِنْكَ شَيْئاً، بَلْ نَجْعَلُ لَكَ عَلَيْنَا كُلَّ سَنَةٍ قَطِيعَةً خَمْسِينَ أَلْفَ رَأْسٍ مِنَ الْخَيْلِ وَالْبَخَاتِي، وَمِثْلَهَا مِنَ الْغَنَمِ، وَمِئَةُ أَلْفِ دِينَارٍ. فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَعْيَانُ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ بِالصُّلْحِ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ قِمَاجٌ أَنْ لَا يَصَالِحَ، فَمَالَ إِلَى قَوْلِهِ، وَرَدَّ الشُّيُوخَ خَائِبِينَ، فَعَادُوا إِلَى أَصْحَابِهِمْ، وَقَالُوا: اسْتَعِدُّوا، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَصْدِكُمْ. فَجَاؤُوا إِلَى صَحْرَاءٍ وَاسِعَةٍ كَالْحَلْقَةِ الدَّائِرَةِ، وَالْجِبَالُ مُحْدِقَةٌ بِهَا، وَلَيْسَ لَهَا طَرِيقٌ إِلَّا مِنْ مَضِيقٍ وَاحِدٍ، فَضَرَبُوا خَرْكَاوَاتِهِمْ^(١) فِيهَا، وَجَعَلُوا الْأَمْوَالَ وَالْمَوَاشِيَ حَوْلَهَا كَالشُّورِ، وَجَعَلُوا بَيْنَ الْخَرْكَاوَاتِ خِلَالاً مِثْلَ الْأَبْوَابِ، وَجَاءَهُمْ سَنْجَرٌ بِعَسَاكِرِهِ، فَدَخَلَ مِنْ ذَلِكَ الْمَضِيقِ، وَنَشِبَ الْقِتَالُ، فَكَانَتْ سَهَامُ عَسْكَرِ سَنْجَرٍ تَقَعُ فِي الْخَرْكَاوَاتِ وَالْجِبَالِ وَالْخَيْلِ، وَسَهَامُ الْغُرِّ لَا تَقَعُ إِلَّا فِي فَارِسٍ، وَكَانَ سَنْجَرٌ قَدْ وَقَفَ عِنْدَ الْمَضِيقِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلَمْ يَدْخُلْ يَنْتَظِرُ الدَّبْرَةَ^(٢)، وَصَدَقَ الْغُرُّ الْحَمْلَةَ، فَطَرَحُوا الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْغَنَمِ، وَقُتِلَ قِمَاجٌ وَمَعْظَمُ عَسْكَرِ سَنْجَرٍ، وَهَرَبَ مَنْ بَقِيَ إِلَى نَاحِيَةِ الْمَضِيقِ، فَلَحَقَهُمُ الْغُرُّ، فَأَفْنَوْهُمْ مِنْ قَبْلِ وَصُولِهِمْ إِلَى الْمَضِيقِ، وَخَرَجَ الْغُرُّ مِنَ الْمَضِيقِ وَسَنْجَرٌ وَقَفَ فِي بَقَايَا عَسْكَرِهِ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ كِبَرَاؤُهُمْ، وَتَرَجَّلُوا، وَقَبَّلُوا الْأَرْضَ، وَقَالُوا: سَأَلْنَاكَ الصُّلْحَ فَأَيَّتَ وَأَنْتَ سُلْطَانُنَا كُلَّنَا، وَقَدْ قُتِلَ بَعْضُ عِبِيدِكَ وَبَقِيَ الْبَعْضُ؛ يَشِيرُونَ إِلَى نَفْسِهِمْ. ثُمَّ أَفْرَدُوهُ عَنْ أَصْحَابِهِ وَكَأَنَّهُمْ فِي خِذْمَتِهِ، وَهُوَ مِثْلُ الْأَسِيرِ يَجْلِسُونَهُ عَلَى السَّرِيرِ لَا غَيْرَ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ عَسْكَرُهُ، وَجَاؤُوا بِهِ إِلَى خُرَاسَانَ، فَنَزَلُوا بَلْخَ، ثُمَّ انْبَثَوْا فِي خُرَاسَانَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَسْبُونَ، وَهُوَ مَعَهُمْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً، وَعَمَلُوا لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ قَفْصاً مِنْ حَدِيدٍ وَجَعَلُوهُ فِيهِ، وَكَانُوا إِذَا أَتَوْهُ بِطَعَامٍ يَدْخُرُ مِنْهُ لَوْ قَتَلَ يَنْسُونَهُ فِيهِ، وَكَانَ يَخْدُمُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَاقْتَصَّ اللَّهُ مِنْهُ لِلْمُسْتَرَشِدِ وَالرَّاشِدِ.

وفيها: بعث الخليفة ترشك المقتفوي وأبا البدر ظفر بن الوزير يحيى بن هُبيرة، ونجاح الخادم إلى قلعة تكريت، وبها مسعود البِلالي من جهة السلطان مسعود، فجرى

(١) الخركاة: كلمة فارسية تعني الخيمة الكبيرة. «معجم الألفاظ الفارسية المعربة»: ٥٣-٥٤.

(٢) الدبرة: الهزيمة في القتال، «معجم متن اللغة»: ٣٧٢ / ٢.

بين ترشك وبين ظفر بن هبيرة منافسة في الرتبة، وأراد ترشك أن يكون أمره على ابن هبيرة فلم يفعل، وكتب إلى الخليفة يشكوه، فأرسل إلى ابن هبيرة بالقبض عليه، وأحس ترشك بذلك، فكتب إلى القلعة يقول لمسعود: أنا معك، وقد عزمْتُ على قبض ابن الوزير ومن معنا من الأمراء، وأسلمهم إليك. ثم قال للعساكر: اركبوا للزحف، فركبوا، واشتغلوا بالقتال، فقبض^(١) ترشك على ابن الوزير ونجاح ويرنقش، وبعث بهم إلى القلعة، وأخذ أموالهم وسلاحهم وخيولهم، ونزل مسعود من القلعة، وخلع على ترشك الخلعة التي خلع عليه السلطان، وأعطاه الخيل بمراكب الذهب، والأموال، وأضاف إليه التركمان، وقصدوا طريق خراسان، فخرج الخليفة بنفسه ووزيره، فهربوا من بين يديه.

وجاء الخليفة إلى تكريت، وأقام عليها أياماً، ثم رجع إلى بغداد، وبلغه أن ملك شاه استولى على واسط، فخرج إليها، فانهزم ملك شاه، فعاد الخليفة إلى بغداد. وفيها قُتل علي بن السلار، وزير الديار المصرية.

وفيها ضاقت الفرنج عسقلان، فبعثوا إلى نور الدين ومجير الدين أبق [صاحب دمشق]^(٢) يستصرخون بهما، فتوجه مجير الدين إلى حلب بعساكره يوم السبت ثالث عشرة المحرم، واجتمع بنور الدين، وعند نور الدين تركمان كثير، فاتفقوا على النزول على بانياس ليشتغلوا قلوب الفرنج النازلين على عسقلان، فساروا إليها ونزلوا عليها يوم السبت تاسع عشرين صفر، وليس فيها من الفرنج من يحميها، فوقع الخلف بين المسلمين، فعاد مجير الدين إلى دمشق ونور الدين إلى حمص.

وعند عود مجير الدين من بانياس، أخرج الوزير ابن الصوفي من دمشق، وكان قد امتنع من دخول القلعة، وإذا أمر مجير الدين بأمر لا يلتفت إليه، وجرى بينه وبين أخيه زين الدولة مشاجرات، فاتفق مجير الدين مع زين الدولة، ووعدته الرئاسة على أن يساعد على إخراج أخيه من دمشق، وبعث إليه بمال، فأجابه باطناً، وأرسل مجير

(١) انظر حاشيتنا رقم ١ ص ٤١٠ من هذا الجزء.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الدين إلى الرئيس يستدعيه إلى القلعة ليصلح بينه وبين أخيه، فامتنع، وتحصن في داره، وجمع العوام، فأرسل إليه مجير الدين: اخرج من البلد. فاستعان بأخيه وأهله، فلم يجبه أحد، فخرج إلى صرخد في جمادى الأولى وفيها مجاهد الدين بزان الكردي، فتلقاه وأكرمه وأنزله، ولم يتعرض مجير الدين إلى مال الرئيس ولا لداره ولا لبستانه بالنيرب، وقلد أخاه زين الدولة مكانه، وخلع عليه، وأمر ونهى، ولم تكن سيرته مرضية فيما يتعلق بالرشوة مع العجز والتقصير، ثم إن مجير الدين عزله بعد ذلك وقتله. ورأى مجير الدين أن يتوجه إلى عطاء الخادم ببغلبك يستعين به على تدبير المملكة، فتوجه إليها، وعاد وعطاء معه، واستشعر مجاهد الدين بزان، وأقام بصرخد، ولم يعد إلى دمشق بغير يمين، وأرسل [إلى] ^(١) مجير الدين يطلب ذلك، فوعده، وبقي الأمر موقوفاً.

وفيها ملكت الفرنج عسقلان، لأنهم ضايقوها، وقُتل من الفريقين خلق كثير وعجز من فيها، فطلبوا الأمان، فأمنوهم، وكان بها من الذخائر والعُدَد والغلال مالا يحصى، [وبلغني أن سبب تسليم عسقلان إلى الفرنج] ^(٢) أن أهلها كانوا في ضائقة يرتقبون كل يوم الأصطول والنجدة من مصر، فبينما هم في آخر نفس وإذا بمركب صغير قد أقبل من مصر، فاستبشروا، وإذا فيه رجل ومعه كتاب من مصر إلى الوالي يقول: ساعة وقوفك على هذا الكتاب تنفذ لنا من مقصبة عسقلان باقة قصب غلاظاً نجعلها شبات. فقال للرّسول: نعم إلى غداة غد. ثم خرج في الليل إلى الفرنج، وأخذ أماناً لأهل البلد، فلما طلع الفجر فتح الأبواب، ودخل الفرنج البلد، فأحضر القاصد بالكتاب، وقال: هذا هو الجواب.

[وقيل: إن صاحب مصر نقل رأس الحسين عليه السلام من عسقلان إلى مصر، وقد ذكرناه في ترجمته] ^(٣).

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٢) في (ع) و(ح) وقيل: إن أهلها كانوا في ضائقة.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيهما عاد ابنُ الصُّوفي^(١) من صرخد بأيمان مجير الدين وعهوده، وأقام بداره، وطاب قلبه، ثم استوحش منه، وبلغه عنه ما اقتضى أَنَّهُ هَرَبَ نحو صرخد، فبعثَ الخيلَ في طلبه، فأدركوه، فحبسه في القلعة [واعتقل بها]^(٢) اعتقالاً جميلاً، ثم ظهر من أخيه زين الدولة حيدره ما أوجب قَتْلَهُ، فقتله مجيرُ الدين، وقَتَلَ عطاء الخادم. وحجَّ بالنَّاس قِماز الأَرْجواني.

فصل : وفيها توفي

أحمد بن أبي غالب^(٣)

أبو العباس [الورَّاق]^(٤) ابن الطَّلاية^(٥) الزَّاهد، من أهل دار القَرَّ. وُلد بعد الستين وأربع مئة، وقرأ القرآن، وسَمِعَ الحديث وتفقه، ولازم مسجده سبعين سنة، لم يخرج منه إلا يوم الجمعة للصَّلاة، وقرأ عليه القرآن عالمٌ كثير، وكان زاهداً [متقللاً]^(٦) في الدنيا، متعبداً، لا يفتر [من العبادة لا]^(٧) ليلاً ولا نهاراً حتى انطوى طاقين^(٨)، وكان عليه ثوب خام، وعلى رأسه زراغوج^(٩)، وتحتة باريَّة، وعنده

(١) كذا قال، وهو وهم، فالذي عاد إلى دمشق ثم هرب منها هو مجاهد الدين بزان والي صرخد، انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٥٠٠، و«كتاب الروضتين»: ٢٩٠/١.

أما ابن الصوفي فقد عاد إلى دمشق سنة (٥٤٩هـ)، ومات في داره من مرض ألم به، وسيأتي خبره في حوادثها.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ٣٧٧/٨، و«المنتظم»: ١٥٣/١٠، و«مناقب الإمام أحمد»: ٦٤٠، و«الكامل»: ١٩٠/١١، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: ١٦٦-١٦٧، و«الوافي بالوفيات»: ٢٧٧/٧، و«طبقات الحنابلة»: ٢٢٤/١، و«العبر» للذهبي: ١٢٩-١٣٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٦٠-٢٦٣، وفيه ثمة مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في «المستفاد»، ويقال: إن والدته كانت تطلي الكاغد عند عمله بالدقيق المعجون بالماء دقيقاً قبل صقله، فاشتهرت بذلك.

(٦) كذا، وهو تعبير عامي ما زال مستعملاً في الشام، يعني: انحنى ظهره انحناء كبيراً. وفي «المنتظم»: ١٥٣/١٠: وكان قد انطوى من التعب حتى كان إذا قام، فرأسه عند ركبتيه.

(٧) اضطربت النسخ في كتابتها، ففي (ع) و(ح) زرافوخ، وفي (م) زراغوج، وقريباً منها في (ش)، ويبدو أنه نوع من أغطية الرأس، لم أقف على وصف له فيما بين يدي من المصادر.

جرّة فيها كِسْرٌ يابسة ألوان مختلفة، ولم يكن في زمانه أعبدٌ ولا أزهدٌ منه، وتوفي في رمضان، وقد قارب الثمانين، وكان له يوم مشهود^(١) مثل يوم أبي الحسن القزويني الزّاهد^(٢)، وحُمِلَ إلى مقبرة باب حرب، فدفن إلى جانب أبي الحسين ابن سَمْعُون.

ذِكْرُ حكايتِهِ مع السُّلْطَانِ مسعود: سمعتُ مشايخ الحربية يحكون عن آبائهم وعن أجدادهم، قالوا: لما دخل السُّلْطَانُ مسعود بغداد كان يحبُّ زيارة العلماء والصّالحين، فطلب المشايخ، فمضى بعضهم إليه، وبلغه حال ابن الطّلاية، فطلبه، فقيل له: إنه لا يخرج من مسجده. فقال: أرسلوا إليه. فجاءه الرسول، وقال: السُّلْطَانُ يُسَلِّمُ عليك ويعتذر إليك من تأخره عن زيارتك، ويسألك أن تجتمع به. فقال لرسوله: أنا منذ سبعين^(٣) سنة في هذا المسجد أنتظر داعي الله في النّهار خمس مرّات، فإذا دعاني ولم أجبه، فما عذري عند الله؟ فعاد الرّسولُ إلى مسعود، فأخبره، فبكى، وقال: أنا أولى من مشى إلى هذا العبد الصّالح. فلمّا كان في اليوم الثّاني ركب مسعود، وأتى إلى مسجده، فوافاه وهو في صلاة الضّحى، وكان من عادة الشيخ^(٤) أن يصلّيها ثماني ركعات بثمانية أجزاء، فجاء وقد صلّى أربعاً، فدخل المسجد ومعه خادمٌ صغير بين يديه، وأمر العساكر أن يقفوا على خيولهم، فصلّى السُّلْطَانُ ركعتين، وقام، فوقف خلف الشيخ، فصلّى تمام ثماني ركعات وسلّم، وعلم به، وقام ليدخل في تاسعة لثلا يجتمع به، فقال له الخادم: يا شيخ، السُّلْطَانُ قائمٌ على رأسك منذ زمان، وتريد أن لا تكلمه! فقال الشيخ: وأين مسعود؟ فتقدّم إليه، وقال: ها أنا، فقال: يا مسعود اعدل وادعُ لي. الله أكبر؛ ودخل في الصّلاة، فجلس مسعود يبكي، واستحضر دواةً وبياضاً، وكتب بخطّه ورقةً بإزالة المكوس والضّرائب والفساد، ومن نزل داراً أحد

(١) في (ع) و(ح) وقد قارب الثمانين، وكان له يوم مشهود، ودفن بمقبرة باب حرب إلى جانب أبي الحسين بن سمعون، كان السلطان مسعود يحب زيارة العلماء.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو شيخ العراق أبو الحسن علي بن عمر بن محمد، قال الخطيب البغدادي وقد حضر جنازته: لم أجمعاً على جنازة أعظم منه، توفي سنة (٤٤٢هـ)، وقد ترجم له السبط في وفياتها.

(٣) في (ع) و(ح) ستين، والمثبت من (م) و(ش).

(٤) في (ع) و(ح): وكان من عادته، والمثبت من (م) و(ش).

أو تعدّى عليه قتلته، وتاب السلطان توبة صادقة، وخرج من وقته إلى همدان، فتوفي وهو على هذه النية، فاستقامت الأحوال ببركة نفس الشيخ أحمد.

أحمد بن منير [بن أحمد] ^(١)

أبو الحسين، الشاعر الطرابلسي الرفاء ^(٢) [أحد شعراء الشام المتأخرين] ^(١). ولد سنة ثلاث وسبعين وأربع مئة بطرابلس، [وقال الحافظ ابن عساكر: وكان أبوه منير] ^(٣) ينشد أشعار العوني ويتغنّى بها بأسواق طرابلس، ونشأ [ابنه] ^(١) أحمد، فحفظ القرآن، وقرأ العربية واللغة والأدب، [وقال الشعر] ^(١)، وقدم دمشق، فأقام بها، وكان خبيث اللسان كثير الفحش [في شعره، يستعمل الألفاظ العامية في شعره، فلما كثر ذلك منه حبسه بوري بن طغتكين في حبس دمشق] ^(٤)، وعزم على قطع لسانه، فاستوهبه منه الحاجب يوسف بن فيروز، فوهبه له، [فأقام منفياً مدة إمارة بوري] ^(١) فلما مات بوري [وولي إسماعيل بن بوري] ^(٥) عاد إلى دمشق، فبلغه عنه شيء، فطلبه ليصلبه، فهرب واختفى بمسجد الوزير ظاهر دمشق، [ثم هرب إلى حلب، وجاء مع نور الدين في الحصار الثاني، ثم عاد إلى حلب، قال الحافظ: وقد رأيت غير مرة، ولم أسمع منه شيئاً، وأنشدني من شعره الأمير أبو الفضل إسماعيل بن سلطان بن منقذ، قال: أنشدني أحمد ابن منير مقطعات من شعره] ^(٦) وهجا برهان الدين البلخي الزاهد وغيره.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) و(س): ٢٥١-٢٥٢ / ٢، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٩٥-٧٦ / ١، و«بغية الطلب»: ١١٥٤-١١٦٤ - وفيه ولادته سنة (٤٩٣هـ)، وهو خطأ - و«كتاب الروضتين»: ٢٩٣ / ١ - وقد نثر فيه قصائد من شعره - و«وفيات الأعيان»: ١٥٦-١٦٠ / ١، و«الوافي بالوفيات»: ١٩٣-١٩٧ / ٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢٣-٢٢٤ / ٢٠، وفيه تمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ع) و(ح): وكان كثيراً ينشد أشعار المعري (كذا)، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «تاريخ ابن عساكر» ٢٥١ / ٢، و«بغية الطلب»: ١١٥٥ / ٣، والعوني شاعر اشتهر بقصائده في مدح آل البيت.

(٤) في (ع) و(ح): كثير الفحش، حبسه بوري صاحب دمشق، وعزم على قطع لسانه.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) ما بين حاصرتين من «تاريخ ابن عساكر» ليستقيم المعنى.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «تاريخ ابن عساكر»: ٢٥١ / ٢.

[قال] ^(١): ومات بحلب في جمادى الآخرة [من هذه السنة] ^(١).

[قال] ^(٢): وحدثني إبراهيم بن محمد القيسي صديق ابن منير، وعنده اختفى في مسجد الوزير، وفي رواية عن ابن عساكر: رأيت بخط صديقه أبي إسحاق إبراهيم بن محمد القيسي، قال: حدثني الخطيب السديد أبو محمد عبد القاهر بن عبد العزيز خطيب حماة، [قال] ^(١): رأيت أحمد بن منير بعد موته في النوم، وأنا على قُرنة ^(٣) بُيُستان مرتفعة، فسألته عن حاله، وقلت: اصعد إلى عندي. فقال: ما أقدر من رائحتي. قلت: تشرب الخمر؟ قال: شرٌّ من شُرْب الخمر يا خطيب. قلت: وما هو؟ قال: ما جرى على لساني من القصائد التي قُلْتُها في مثالب الناس، ولساني قد ثخن منها وطال، فصار مدَّ البصر، وكلما قرأت منها قصيدة صارت كُلاباً يتعلّق في لساني.

[قال] ^(١): ورأيتُه حافياً عليه ثياب رثة إلى غاية، وسمعتُ قارئاً يقرأ من فوقه ﴿لَهُمْ مِّنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ﴾ [الزمر: ١٦] فانتبهتُ مرعوباً ^(٤).

[وذكره العماد في «الخريدة»، وقال: كان شاعراً مجيداً، هجاء، معارضاً لمحمد ابن القيسراني في زمانه، وكان ابن القيسراني سُنياً متورّعاً، وابن منير متغالياً شيعياً إلا أنه قال: مات ابن منير في سنة خمسين وخمس مئة ^(٥).

قلت: وَهُمْ، والصَّحيح ما ذكره ابنُ عساكر وابنُ القلانسي أن ابن القيسراني مات في سنة [ثمانٍ و ^(٦)] أربعين وخمس مئة. قال ابنُ القلانسي ^(٧): كلاهما ماتا في سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مئة ^(١).

وكان شيعياً متغالياً، وهجا بني الصوفي، فطلبوه، فانتقل إلى شيزر، واستجار ببني مُنْقِذ، والتجأ إلى نور الدين، وكان غيرَ مجيدٍ في المديح، ومن شِعْره: [من المنسرح]

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): ومات بحلب في جمادى الآخرة، وقال الخطيب السديد.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) القرنة: الزاوية. ولعله يريد القرن: وهي صدر رابية مشرفة على وهدة صغيرة، انظر «معجم متن اللغة»: ٥٥٠/٤.

(٤) انظر «تاريخ ابن عساكر»: ٢٥٢/٢.

(٥) «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٧٦/١.

(٦) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٧) «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨.

أحلى الهوى ما تحلّه التهم^(١)
 أغرى المحبّين بالأحبة^(٢) قال
 سَعَوْا بنا لا سَعَتْ بهم قَدَمُ
 ضَرُّوا بِهَجْرَاننا وما انتفعوا
 يا رَبِّ خُذْ لي من الوشاة إذا
 يا قَمَرًا أَصْبَحْتَ مُحاسِنُهُ
 فيك معانٍ لو أَنَّها جُمِعَتْ
 إِنْ يَحْسُدُونِي فلا أَلُومُهُمْ
 وأين كان الموحّدون وقد

وقال: [من الكامل]

وإذا الكريمُ رأى الخُمُولَ نَزِيلَهُ
 كالْبَذْرِ لما أَنْ تضاءَلْ جَدُّ في
 سَفْهاً بِحِلْمِكَ إِنْ رَضِيتَ بِمَشْرِبِ
 سَاهَمْتَ عَيْسَكَ مُرَّ عَيْشِكَ قَاعِداً
 لَلْقَفْرِ لا لَلْفَقْرِ هَبْها إِنَّمَا
 لا تَرْضَ مِنْ دُنْيَاكَ ما أَدْنَاكَ مِنْ
 وَصِلِ الهَجِيرَ بِهِجْرِ قَوْمِ كُلِّما
 طَبِعُوا على لُؤْمِ الطَّبَاعِ فَخَيْرُهُمْ
 فَارِقُ تُرْقُ كالسَّيْفِ سُلَّ فَبانَ في
 لِّلْهِ عِلْمِي بِالزَّمانِ وَأَهْلِيهِ

بأخ به العاشقون أو كتموا
 عَذْل^(٣) كِلَامُ أَسْمَاؤِها كَلِمُ
 فلا لنا أَصْلَحُوا ولا لَهُمْ
 وَصَدَّعُوا شَمْلَنا وما التأموا
 قاموا وقمنا لَدَيْكَ نَخْتَصِمُ
 تَنْهَبُ أَلْبَابَنا وَتَقْتَسِمُ
 لِلشَّمْسِ لَمْ يَغْشَ نورَها ظَلَمُ
 مِثْلُكَ تَسْمُو بِحُبِّهِ الْهِمَمُ
 وَحَدَّ قَلْبِي هَواكَ قَبْلَهُمْ^(٤)

في مَنزِلٍ فَالْحَزْمُ أَنْ يترَحَّلَا
 طَلَبِ الْكَمالِ فَحازَهُ مُتَنَقِّلَا
 رَنَقِ^(٥) وَرَزَقُ اللَّهِ قَدْ مَلَأَ الْمَلَا
 أَفْلا فَلَيْتَ بِهِنَّ ناصيةَ الْفَلا
 مَغْنَاكَ ما أَغْنَاكَ أَنْ تَتَوَسَّلَا
 دَنَسٍ وَكُنْ طيفاً جَلا ثَمَّ انجَلَى
 أَمْطَرَتْهُمُ عَسَلًا جَنَوْا لَكَ حَنْظَلَا
 إِنْ قَلْتَ قال وَإِنْ سَكَّتْ تقوَّلا
 مَثْنِيهِ ما أَخْفَى الْقِرَابُ وَأَخْمَلَا
 ذَنْبُ الْفَضائِلِ عِنْدَهُمْ أَنْ تَكْمَلَا

(١) في (ع) و(ح) الهمم، والمثبت من «الخريدة».

(٢) في «الخريدة»: بالحبّة.

(٣) في (ع) و(ح): بالعذل، والمثبت من «الخريدة».

(٤) انظر بعض أبياتها في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٩٠-٩١ مع اختلاف في ترتيبها، وانظر «ديوان

ابن منير»: ٩٥-٩٦ ط. التدمري.

(٥) الرنق: الكدر. «اللسان» (رنق).

يا بَرِّقْ هل لي في احتمالِ تحيَّةٍ
عَرَضُ بذي المَجْدَيْنِ لي وأَبْنُ له
أنا عَرَسُ نِعْمَتِكَ الذي غَذَّيْتَهُ
فعلامَ تَحْبِسُ عنه ما عَوَّدْتَهُ
أصبحْتُ تَلْفِظُنِي البلادُ كأنني
وأشدُّ ما أشكوه أَنَّكَ مُعْرِضٌ
وقال أيضاً من شِعره: [من المجتث]

ما كان عَهْدُكَ إلا
بل كان زُورَ خِضابٍ
لم أحْظَ مِنْكَ بِسُؤْلِ
أما تعلَّمتَ شيئاً
وقال: [من مخلع البسيط]

عَدِمْتُ دَهْرًا وَلِدْتُ فِيهِ
ما تَغْتَرِينِي الهمومُ إلا
فهل صديقٌ يباعُ حتى
يكونُ في قلبه مثالٌ
وكم عَدُوٌّ رَغِبْتُ عنه

عَذَبْتُ فكانتْ مِثْلَ مائِكَ سَلْسَلَا
جُمَلًا أَبَتْ لي أَنْ أرى متَجَمَّلا
خَطَرَاتِ عَظْفِكَ فارتوى وتهلَّلا
أَمِنْتُ ناضِرَ عُدودِهِ أَنْ يَذْبُلَا
لفظُ البليغِ أَكْنَ معنى مُشْكِلَا
يا ضَيِّعَتِي إِنَّ كانَ ذلِكَ عن قَلِي^(١)

مِثْلُ السُّلُوِّ مُحَالَا
نما وفي الحالِ حَالَا
وقد فَنَيْتُ سَوْالَا
من الكلامِ سَوَى لا^(٢)

كم أَشْرَبُ المُرِّ مِنْ بَنِيهِ
من صاحبٍ كُنْتُ أَصْطَفِيهِ
بمُهْجَتِي كُنْتُ أَشْتَرِيهِ
يُشْبِهُ ما صاغَ لي بِفِيهِ
فَعِشْتُ حتى رَغِبْتُ فِيهِ^(٣)

تِمْرَتاش بن نَجْم الدين إيل غازي^(٤)

حسام الدين، صاحب مارددين وديار بكر.

(١) بعض الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ٢٥١/٢ ، و«خريدة القصر»: ٨٩/١ ، و«وفيات الأعيان»:

١٥٦/١-١٥٧ مع اختلاف في ترتيب بعضها، وانظر «ديوان ابن منير»: ١٠٢-١٠٩ .

(٢) انظر «ديوان ابن منير»: ٨٧ .

(٣) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ٢٥١-٢٥٢/٢ ، و«الوافي بالوفيات»: ١٩٥/٨ .

(٤) له ترجمة في «الكامل»: ١٧٥/١١ ، و«الأعلاق الخطيرة»: ج ٣/٢ ق ٤٣٤-٤٤٢ ، و«الوافي بالوفيات»:

٤٠٤/١٠ ، و«النجوم الزاهرة»: ٣٠٠/٥ - وفيه وفاته سنة (٥٥٤٥هـ) وهو خطأ - و«معجم زامباور»:

٣٤٥ ، وحدد ولايته في مارددين بين سنتي (٥١٦هـ - ٥٤٧هـ) ، ووفاته في «الكامل» و«الوافي» (٥٤٧هـ).

كان شجاعاً عادلاً، جَوَاداً عالماً، يحبُّ العلماء والفضلاء، ويبحث معهم في فنون العلوم، ولا يرى القتل ولا الحبس، وكان له من الذمَّة وحِفْظِ الجِوار مالم يكن للعرب العاربة، وكان ملجأً القاصدين، وملاذ الطَّالِبين، وكانت وفاته يوم الخميس ثاني ذي القعدة، ودفن بالمشهد الذي بناه تحت ماردين، وكان قد نقل إليه أباه [نجم الدين]^(١) وأهله، وأقام والياً نيفاً وثلاثين سنة وقام بعده ولده ألبى [بن حسام الدين، وتمم جسر القرماني]^(٢) سنة تسع وأربعين [وخمسة مئة]^(٣)، وأقام حسن السيرة، عادلاً في الرِّعية.

حَيْدَرَة ابن الصُّوفي^(٢)

الذي أقامه مجيرُ الدِّين مقام أخيه، تجدد منه سعي بالفساد، فاستدعاه مجيرُ الدِّين إلى القلعة على حين غفلة لسوء أفعاله وقبح ظلمه، فضربت عنقه مستهل ذي القعدة، وأخرج رأسه إلى حافة الخندق، ثم طُفِّ به والنَّاس يسبُّونه ويصفون أنواع ظلمه ومقاسمته اللصوص وقطاع الطريق لأموال النَّاس، ونهبت العامة دُوره وأمواله ومتاعه، ورَدَّ مجيرُ الدِّين رياسة البلد إلى رضيِّ الدِّين أبي غالب عبد المنعم بن محمد ابن أسد بن علي التَّميمي، ثم خلع عليه خِلعة الوزارة، ولقَّبه وجيه الدولة سديد الملك، فخر الكفاة، عزَّ الموالي، شرف الرؤساء، وسرَّ النَّاس بولايته لعفته.

عبد القادر بن علي بن محمد^(٣)

أبو الفضل، الشريف الواسطي.

اتصل بمحمد بن بُوري صاحب بعلبك، وكان يُعلم ولده مجير الدِّين، ثم غضب عليه أبق، فنفاه من دمشق، وبعث إليه مَنْ قتلَه في طريقه، ومن شعره: [من الطويل]
غرامٌ وهل بعد المشيبِ غرامٌ وسقمٌ وهل بعد الفناء سقامٌ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو حيدرة بن المفرج بن الحسن زين الدولة، له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٥٠٠-٥٠١، و«تاريخ ابن عساكر»: (خ) (س): ٥٧٩/٢ (ترجمة أبق)، و«الباهر»: ٥٩، ٨٨، ١٠٦، ١٠٨، و«كتاب الروضتين»: ٢٢٣/١، ٢٨٩، ٢٩٠-٢٩١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٤٢/٢٠، و«الوافي بالوفيات»: ٢٢٧/١٣، و«النجوم الزاهرة»: ٣٠٠/٥، وفيه وفاته سنة (٥٤٥هـ)، وهو خطأ.

(٣) له ترجمة في «تاريخ دمشق» لابن عساكر: مج ٤٣ / ٦٥-٦٦.

وما شَعَرَاتُ الشَّيْبِ إِلَّا نَوَابِلُ لها في سُويْداءِ الفُؤادِ سِهَامُ
وبَيْنَ قِبابِ الحَيِّ من آلِ عامِرٍ شَموسُ ضُحَى أَفلاكُ هُنَّ خِيَامُ
لَهَنَ شَرُوقُ في حَشَاها وَمَغْرِبُ ومنها إِلَيها رِحلةٌ ومُقَامُ

عطاء الخادم، والي بَغْلَبَك، مملوك بُوري^(١)

كان مجير الدِّين أحضره من بَغْلَبَك بنفسه، وفَوَّضَ إليه أمور دمشق، فاستبدَّ بالأُمور، ومَدَّ يده إلى الظُّلم، وأَطلق لسانه بالهُجر والفُحش، فقبضَ عليه مجيرُ الدِّين، واستولى على ما في داره، وطالبه بتسليم بَغْلَبَك، وضَرَبَ عُنُقَه في ذي الحِجَّة، وسَرَّ النَّاسُ بَقْتْلَه لظُلْمه، ونهبوا بيوتَ أصحابه. ويقال: إِنَّ نور الدِّين أشار على مجير الدِّين بقتله ليتمكَّنَ منه.

[فصل^(٢): وفيها توفي

بُرْهان الدِّين البَلْخي الرَّاهِد^(٣)

واسمه علي بن محمد^(٤)، وكنيته أبو الحسن الحنفي. ذكره الحافظ ابن عساكر، وقال: تفقَّه بما وراء النهر على البُرْهان بن مازة ببخارى، وعلى جماعة من الأئمة، وسمع الحديث بما وراء النهر وبغداد ومكة، وقدم دمشق في سنة بضع عشرة وخمس مئة، فنزل المدرسة الصادرة بباب البريد، ومدرَّسها يومئذ علي بن مكي^(٥) الكاساني، فعُقِدَ له مجلس المناظرة،

(١) أخبره في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٥٠٢-٥٠٣، و«الباهر»: ١٠٧، و«الكامل»: ١٩٧/١١-١٩٨، و«كتاب الروضتين»: ٢٩١/١، ٣٠٣، ٣٠٤.

(٢) في (ع) (ح): علي بن محمد أبو الحسن، برهان الدين البلخي، الزاهد الحنفي، قدم دمشق، وجلس للوعظ، ولم يكن له فيه يد، بل كان عنده صدق، فوقع له القبول في قلوب الناس، فحسد، فعزفت نفسه عن المقام.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٩-٥٠٠، و«تاريخ ابن عساكر»: (خ) (س): ٢٠/١٢، و«كتاب الروضتين»: ٢٩٢-٢٩٣، و«العبر» للذهبي: ١٣١/٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٧٦/٢٠، و«الجواهر المضية»: ٥٦٠-٥٦٢، وفيهما تنمة مصادر ترجمته.

(٤) هكذا سماه سبط ابن الجوزي، والذي في مصادر ترجمته: علي بن الحسن بن محمد.

(٥) في (م) و(ش) أبو علي، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر».

وجلس للوعظ، وكان عنده صدق، فوقع له القبول في قلوب الناس، فحسده الكاساني، وتعصب عليه الحنابلة، لأنه أظهر خلافهم، فعزفت نفسه عن المقام بدمشق.

فمضى إلى مكة وجاور بها، وكان إمام الحنفية في المسجد الحرام: ثم ^(١) [ندم الكاساني على خروجه من دمشق، فكاتبه بالعود إليها، فخرج من مكة، وجعل طريقه على بغداد، ووصل إلى] دمشق، وسلم إليه الكاساني المدرسة الصّادرية [عن تراض منه.

قال الحافظ ^(٢): وكان صحيح الاعتقاد، حسن السمّت، سخي النفس، زاهداً في الدنيا، وجعلت له دار طرخان مدرسة؛ ودرّس بها وبمسجد خاتون، ووقفت عليه الأوقاف، وكثرت عليه الفتوح، فما التفت [إليها] ^(٣).

وكان قد تزوّج ابنة القاضي الشريف أبي الفضل إسماعيل ^(٤) بن إبراهيم، فادّعى أخوها عدم الكفاءة، فانتسب البلخي إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وثبت نسبه، وعرف الناس صحته، فقال الوأواء أبو الفرج ^(٥): [من المنسرح]

قُلْ لِعَلِّي أَخِي الْمَكَارِمُ سُبُّ	حَانَ إِلَهٍ عَلَى الْعُلَا وَقَفَكَ
كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ مُدَّعٍ شَرْفًا	وَأَنْتَ فِي الْخَلْقِ كَاتِمٌ شَرْفَكَ
تَسْتُرُ فَضْلًا تَحْوِي كَأَنَّكَ لَا	تَعْرِفُهُ سَاعَةً وَقَدْ عَرَفَكَ
حِلْمٌ وَعِلْمٌ وَنَائِلٌ وَحِجَا	يُقَارَنُ الْعِيَّ كُلُّ مَنْ وَصَفَكَ
تَجُودٌ بِالْفَضْلِ لِلْيَتِيمِ وَلِلْ	مِسْكِينٍ جُودًا تَقْفُو بِهِ سَلَفَكَ ^(٦)

(١) في (ع) و(ح): ثم عاد إلى دمشق، فسلم إليه.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «تاريخ ابن عساكر»: ٢٠/١٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «تاريخ ابن عساكر»: ٢٠/١٢.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (م) و(ش): أبو الفضل بن إسماعيل، بزيادة «بن»، وهو خطأ، وهو إسماعيل بن إبراهيم بن العباس بن الحسن الحسيني ابن أبي الجن، ولي القضاء بدمشق، وتوفي سنة (٥٠٣هـ)، انظر ترجمته في «تاريخ ابن عساكر»: ٨٢٥/٢، و«الوافي بالوفيات»: ٦٣/٩، وفيه وفاته سنة (٥٠٢هـ)، وهو خطأ.

(٥) هو الوأواء الحلبي عبد القاهر بن عبد الله بن الحسين، أبو الفرج. وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٥١هـ).

(٦) أورد الأبيات ابن عساكر في «تاريخه»: ٢٠/١٢.

ثم خرج من دمشق إلى حلب، فأزال من الأذان «حيّ على خير العمل»، ثم عاد إلى دمشق، فثقل على معين الدين مكانه، فأخرجه إلى بصرى وبها الأمير سُرخاك فأكرمه، وأقام عنده^(١) وما كان ذنب البلخي عند ابن منير الشاعر إلا أنه غير الأذان في حلب، وأزال منه «حي على خير العمل».

وقال ابن عساكر: ثم عاد إلى دمشق في أول مملكة نور الدين محمود بن زنكي بعد خروج أبق منها، وتوفي في شعبان سنة ثمان وأربعين وخمس مئة، ودفن بالبواب الصغير.
[قلت^(٢): وقول ابن عساكر: ثم عاد إلى دمشق في أول مملكة نور الدين فيه نظر، لأنه قال: توفي البرهان في سنة ثمان وأربعين وخمس مئة، ونور الدين إنما تملك دمشق في سنة تسع وأربعين وخمس مئة، وقد حكى لي جماعة من مشايخ دمشق سنة خمس وست مئة عن آبائهم أنهم يذكرون حضور نور الدين مجلس البلخي] بدمشق في الجامع وما كان يخاطبه إلا بمحمود، وكان القطب النيسابوري بدمشق، فسأل نور الدين أن يحضر مجلسه، فحضر، فشرع يخاطبه بمحمود، فشق على نور الدين، وقال للحاجب: اصعد إليه، وقل له لا يخاطبني باسمي، فلما فرغ [من]^(٣) المجلس سأل الحاجب عن ذلك، فقال [لي]^(٣): إنَّ البلخي إذا قال [لي]^(٣) يا محمود قامت كل شجرة في جسدي هيبة له، ويرق قلبي، والقطب إذا قال يا محمود يقسو قلبي ويضيق صدري، ولو كان صادقاً لأثر في قلبي.

(١) في (ع) و(ح): وأقام عنده، ثم عاد إلى دمشق في أول مملكة نور الدين، وتوفي بها في شعبان.. وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): قال المصنف رحمه الله: ونور الدين إنما ملك دمشق سنة تسع وأربعين، فيكون موت البلخي بها، وحضر نور الدين مجلسه بدمشق في الجامع، وما كان يخاطبه إلا بمحمود، وكان القطب النيسابوري بدمشق.. وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

قلت: وكان سبط ابن الجوزي يرجح وفاة البلخي سنة (٥٤٩هـ)، مستدلاً بما حكاه عن مشايخ دمشق عن آبائهم.. ثم يقول بعد: ويحتمل أن تكون هذه الواقعة كانت بحلب.

وما حكاه السبط عن مشايخ دمشق عن آبائهم لا يصح في دمشق، لأن القطب النيسابوري لم يقدم إليها زمن نور الدين إلا سنة (٥٦٨هـ). فقولهم: وكان القطب النيسابوري بدمشق وهم، فالراجح في وفاة البلخي أنها سنة (٥٤٨هـ)، والله أعلم، انظر «كتاب الروضتين»: ٢٦٣/٢.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[قلتُ]^(١): كان القُطْبُ غريقاً في بحار الدُّنيا، و[كان]^(٢) البلخي مجرداً لا يلتفت [إليها - يعني الدنيا - وكان]^(٢) إذا بلغه ما يكره أخذ سجَّادته على كتفه، وخرج ويقول: أيش على قلب عليّ؟

[قلت: ويحتمل أن تكون هذه الواقعة كانت بحلب]^(٢).

عليُّ بنُ السَّلَّار أمير الجيوش بمِصر^(٣)

ويلقب بالملك العادل.

كان قد استولى على مصر، ولم يبق للظافر معه حُكم، فاتفق الظافر مع عَبَّاس بن أبي الفتوح الصَّنْهَاجي على قتلِه، فدخل عليه عَبَّاس وهو سَكْران، فَقَطَعَ رأسه، وبعث به إلى الظافر. وقال ابنُ القلانسي: إِنَّ عَبَّاساً كان ابنُ امرأة عليِّ بن السَّلَّار، والذي قتل ابنَ السَّلَّار ابنُ عَبَّاس^(٤)، وكان قتلُه في المحرَّم.

محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح^(٥)

أبو علي، الفقيه البغدادي، وأصلُه من بَسْطام^(٦)، وتوفي سلخ رجب.

ومن شعره: [من الوافر]

على تلك العِراض بَجَرَجَرايا^(٧) من الأنواءِ أنواعُ التَّحايا

(١) في (ح) و(ع) قال المصنف رحمه الله، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٥، و«الاعتبار» لأسامة ابن منقذ: ٤١-٤٢ و«الكامل»: ١١/١٨٤-١٨٥، و«كتاب الروضتين»: ١/٢٩٢، و«وفيات الأعيان»: ٣/٤١٦-٤١٩، و«العبر» للذهبي: ٤/١٣١-١٣٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/٢٨١-٢٨٣، و«الوافي بالوفيات»: ٢١/١٣٨-١٣٩، و«اتعاظ الحنفا»: ٣/٢٠٤-٢٠٥، و«النجوم الزاهرة»: ٥/٢٩٩، وفيه وفاته سنة (٥٤٥هـ). وهو خطأ، و«حسن المحاضرة»: ٢/٢٠٥، و«شذرات الذهب»: ٤/١٤٩.

(٤) هو نصر بن عباس، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٥، وهذا هو الصحيح الذي عليه المصادر.

(٥) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٣/٣٣٣.

(٦) بسطام: بلدة كبيرة بقومس، على جادة الطريق على نيسانور، بعد دامغان بمرحلتين. «معجم البلدان»: ١/٤٢١.

(٧) جرجرايا: بلد من أعمال النهروان الأسفل، بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي. «معجم البلدان»: ٢/١٢٣.

ديارُ كنتُ ألفُها وأغشى
فغيرَ آيها صرَفُ اللَّيالي
غَدَتْ أَيامُها سُوداً وكانتُ
وَبَتَّ الذَّهْرُ حَبْلَ الوَصْلِ لَمَّا
وقال أيضاً من شعره: [من السريع]
ما مِحنةٌ إلا لها غايةٌ
فاصبرُ فإنَّ السَّعيَ في دَفْنِها
وفي تنَاهيها تَقْضِيها
قَبْلَ التَّنَاهي زائدٌ فيها

يوسف بن محمد بن فارو^(١)

أبو الحجاج الأندلسي، سافر عن المغرب، ودخل بغداد وخراسان، وتوفي ببلخ في ذي القعدة، ومن شعره في الإجازة: [من الوافر]

أَجَزْتُ لَهُمْ رِوَايَةَ مَا أَحْبُّوا
لأَحْظَى مِنْهُمْ بِدَعَاءٍ خَيْرٍ
وخطَّ المَغْرِبِيُّ لَهُمْ شَهِيدٌ
من المَسْمُوعِ لي والمُسْتَجَارِ
وفي الأخرى من الله المُجَازِي
على وَجْهِ الحَقِيقَةِ لا المَجَازِ

السَّنةُ التَّاسِعَةُ والأربعون وخمس ومئة

فيها بَعَثَ المَقْتَفِي رسولاً إلى تكريت بسبب عزِّ الدِّين ابن الوزير ونجاح ويرنقش، فقبضوا على الرِّسُول، فخرج الخليفة يوم الجمعة غُرَّةَ صفر بعساكره، فنزل على تكريت، فهرب أهلُ البلد، ودخل العسكر البلد، فنهبوه، وشعثوا بعضه، ونصب الخليفة على تكريت ثلاثة عشرَ منجنيقاً، ووقع من سورها عدَّةُ أبراج، وأقام القتال يعمل إلى ثالث عشرة ربيع الأوَّل، فهبَّت ليلة الأربعاء بعد العشاء ريحٌ شديدة أظلمت الدنيا، وظهر في الجوُّ نيرانٌ عظيمة، وتقطَّع سُرادق الخليفة، وأصبحوا، فباكروا

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٣٤٠-٣٤١، و«معجم البلدان»:

١٩٩/١، ١٩٥/٢ - وفيه وفاته سنة (٥٤٥هـ) - و«المشتبه» للذهبي: ٥١٤/٢، و«توضيح المشتبه»:

١٤/٧، ١٣٩-١٤٠.

وقد اختلف في رسم اسم جده. ففي «الخريدة» و«معجم البلدان»: فارو، وفاروا، وفي «المشتبه»: فيره، وفي «التوضيح»: فارّه.

القتال، وأشرفت على الأخذ، ورأى الخليفة الناس يُقتلون، فساءه ذلك، ورفع القتال، ورأى أن الأمر يطول، فرحل إلى بغداد في آخر ربيع الأول.

وبعث صاحب الموصِل إليهم يقول: أطلقوا الأسارى، وأنا أشفع فيكم. فلم يلتفتوا، فجهز الخليفة الوزير، فخرج إلى تكريت، ووصل الخبر أن مسعود بلال والبقرش نزلا شهربان^(١)، وأن السلطان محمداً على قصد بغداد، وقد كاتباه وحثاه على القدوم، فتمكنت الوحشة بين محمد وسنجر والخليفة، واستأذنا محمداً في التقدم إلى بغداد، فأذن لهما، فأنزلا رسلان بن طغرل بك^(٢) من قلعة تكريت ليكون الاسم له - وكان محبوباً بها - والتأم إليهم من التركمان اثنا عشرة ألف خركاة^(٣)، وجاء الخليفة بعساكره، والتقوا، فانهزمت ميسرة الخليفة، وضربوا على خزانته، وتتعق القلب والخليفة والوزير فيه، وعلى رأس الخليفة الشمسة، والمهدد بين يديه، والأعلام خلفه، والكوسات تخفق، وثبتت الخليفة ثباتاً عظيماً، وضعفت الميمنة لما انهزمت الميسرة، فجاء منكوبرس وقويدان - وكانا فارسين عظيمين - فترجلا، وقبلا الأرض للخليفة، وقالوا: بالله يا أمير المؤمنين، اثبت ساعة لنقاتل بين يديك، فإننا إذا رأيناك قويت قلوبنا. فقال: لا والله إلا وأنا معكما. ثم رمى الطيلسان، وجذب السيف، وفعل ولي عهدك، وكذلك، وكبرا، وصاح الخليفة: يا آل مضر، كذب الشيطان ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وحمل وحملت العساكر، فكان يسمع وقع الدبابيس والسيوف على الحديد كوقع المطارق على السنادين، فانهزم القوم لا يلوون على شيء، ونهبت أموال التركمان، فأخذ منهم أربعة آلاف رأس غنم، ومن الخيل خمسون ألفاً، ومن الجمال مالا يحصى، ونهبت نساؤهم وأموالهم وبناتهم، وبيع كل كبش بدانقين، وكل فرس بدرهمين، وكل جمل بخمسة دراهم، وأمر الخليفة برد السبي على أهاليهم، وأخذ البقرش الصبي^(٤) وهرب إلى بلده، ومضى مسعود وترشك إلى تكريت، وعاد الخليفة إلى بغداد في غرة شعبان، وكانت الواقعة في رجب.

(١) شهربان: قرية عظيمة ذات نخل وبساتين من نواحي الخالص شرقي بغداد. «معجم البلدان»: ٣/ ٣٧٥.

(٢) هو رسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه، انظر «تاريخ دولة آل سلجوق»: ٢١٨.

(٣) في (ع) أربعة عشر ألف خركاة، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في «المنتظم»: ١٥٦/ ١٠.

(٤) هو الملك رسلان بن طغرل بك.

ثم نزل مسعود بلال وترشك من تكريت، ومضيا إلى واسط فنهاها، فجهَّز الخليفةُ الوزير إليهما، فانهزما، وغنمَ الوزير أموالهما، وعاد إلى بغداد، فخلع عليه الخليفة، ولقبه سلطانَ الجيوش ملكَ العراق.

وخرج العسكر يوم عيد رمضان في زِيٍّ لم يُر مثله، فلمَّا كان عَشِيَّةً جاء مطرٌ ورعد وبرق، وزلزلت الأرض، ووقعت صواعقٌ، فوقع بعضها في تاج الخليفة الذي بناه المسترشد، فطار شرارها إلى الرِّقَّةِ المقابلة للتَّاج، فأحرقت نخيلاً كثيراً، ودامت النار أياماً.

ولما بلغ محمد شاه هذه الأمور عَزَمَ على قَصْدِ بغداد، وكاتبَ أمراء الأطراف يستنجدهم على الخليفة، فاتفق موت البقش، فَبَطَلَ ذلك، وبقي الصَّبِيُّ في يدي [ابن]^(١) البقش وحسن الخازندار^(٢)، فخافا أن يحمله إلى محمد شاه فيقبض عليه، فذهبا به إلى الجبل، فسَلَّمَاهُ إلى زوج أُمِّهِ إيلدِكِز.

وفيها ضَيِّقَتِ الغُرُّ على سنجر، وتركوه في قَفَصٍ من حديد في خيمة، ووكل به جماعة، وأجروا عليه كل يوم مالا يجري على سائسه، وكان يموت جوعاً، ويبكي ليلاً ونهاراً على نفسه، ويتمنى الموت، والغُرُّ يعيشون في خراسان يَسْبُون ويقتلون وينهبون بغير مانع.

وفيها ملك نور الدين محمود دمشق، وسببه ما ظهر من مجير الدين من الظُّلم ومصادرات أهلها، وسَفَكَ دمائهم، وأخذ أموالهم، وقَبَضَهُ على جماعةٍ من الأعيان، [واستدعى زين الدولة]^(٣) بن الصُّوفي الذي ولاه رياسة دمشق لما أخرج مؤيِّد^(٤) الدولة منها، فقتله في القلعة، ونهب داره، وأحرق دورَ بني الصُّوفي، ونَهَبَ أموالهم^(٥)، وتواترت مكاتبائه إلى الفرنج يستنجد بهم ويطمعهم في البلاد. [و]^(٦) كان مرادُ نور

(١) ما بين حاصرتين من «المنتظم» ١٥٨/١٠.

(٢) في «المنتظم» ١٥٨/١٠، الجاندار، ومثله في «الكامل» ١٩٦/١١.

(٣) في (م) و(ش): سيف الدولة، وهو تحريف، صوابه ما هو مثبت، انظر ص ٤٣٩ من هذا الجزء.

(٤) في (م) و(ش) وجيه الدولة، وهو تحريف، صوابه ما هو مثبت.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في (ع) و(ح): ويطمعهم في البلاد، وكان قد جعل لهم في كل سنة قطيعة على أهل دمشق، وذل الإسلام وأهله في أيامه، وساءت سيرته، فكانت الأمراء... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الدين من أخذ دمشق أنّه كان في عَزْمِهِ خلاصَ القُدس من الفرنج وبلاد الساحل، وكانت دمشق في طريقه. وطمع الفرنج في مجير الدّين، وكان قد أعطاهم بانياس، فكانوا يشنون الغارات إلى باب دمشق، فيقتلون ويأسرون، وكان مجير الدّين قد جعل للفرنج كل سنة قطيعة يأخذها منهم، وذَلَّ الإسلامُ وأهلُه في أيامه، وساءت سيرته، وكثرت إساءته وفساده، فكانت الأمراء وأعيان دمشق [يبعثون إلى] ^(١) نور الدّين يقولون: الغياث الغياث، وقالوا: إن شئتَ حَصَرناه في القلعة.

فراى نور الدّين أخذ [مجير الدّين] باللطف، ^(٢) وقال: إن أخذته بالقوة استغاث بالفرنج، ولا شك أنّه يعطيهم البلاد، فيكون وهناً عظيماً على الإسلام. وكان من أشدّ الأمور على الفرنج أن يأخذ نور الدين دمشق، لأنه كان قد أحرق قلوبهم وأخرب بلادهم وليس له دمشق، فكيف إذا صارت له؟ فإنه يتقوى بها، فعدَل إلى ملاطفته ومكاتبته ومهاداته، فأنس به، وصار يكاتبه ويستشيره، فكان نور الدين يكتب إليه: إن فلاناً يكاتبني وفلاناً يكاتبني، فتارة يقبض مجير الدّين عليهم وتارة ينفهم، فخلت دمشق من الأمراء، ولم يبق عنده غير عطاء بن حفاظ الخادم السُّلمي، وكان صاحب بَعْلَبَك، وقد ردّ مجير الدّين إليه أمر دولته، وكان ظالماً، فكتب نور الدّين إلى مجير الدين يقول: قد نفّر عنك عطاء قلوب الرّعية، فاقبض عليه. لعلم نور الدّين أنّه لا يتم له أمرٌ في دمشق مع وجود عطاء، فقبضه مجير الدّين. وأمر بقتله، فقال له عطاء: لا تقتلني، فإنّ الحيلة قد تمّت عليك، وذهب مُلْكُكَ، وسترى! فلم يلتفت إليه، وقتله، فحينئذ قوي طَمَعُ نور الدين في دمشق، وراسل أحداثها وأعيانها، فأجابوه، فسار إليها، ونزل عليها.

وكتب مجير الدّين إلى الفرنج يستنجد بهم، وبذل لهم بَعْلَبَك وأموالاً كثيرة، وبلغ نور الدين، فأرسل إلى الأحداث، ففتحوا له الباب الشرقي، فدخلها عاشر صفر، وقيل سلخ ذي الحِجّة، وحَصَرَ مجير الدّين في القلعة، وبلغ الفرنج فتوقفوا.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): أخذه باللطف خوفاً من إعطائه البلاد للفرنج، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقال ابنُ القلانسي: وصل أسدُ الدّين شيركوه إلى غوطة دمشق في ألفِ فارس، فنزل على القَصَب في المَرَج على أنّه رسولٌ من نور الدّين، فلم يخرج إليه أحدٌ من دمشق، وذلك في [العشر]^(١) الثاني من المحرم، فلما كان يوم الأحد ثالث صفر وصل نور الدين في عسكره، وخيّم بعيون الفاسريا، ثم رحل من الغد، فنزل بيت الآبار، وزحف إلى البلد من شرقيّه، وزحف إليه من عسكر دمشق وأحداثه الخلقُ الكثير، ووقع الطّرادُ بينهم أياماً، فلما كان يوم الأحد عاشر صفر زحف نور الدين، وظهر إليه العسكر من دمشق على العادة، ووقع الطّراد [بينهم]^(٢)، فدفعهم نورُ الدّين إلى بابِ كَيْسان، ولم يبق على السّور أحدٌ لسوء تدبير مجير الدّين، وجاء واحد من رَجالة نور الدّين إلى السّور وعليه امرأة يهودية، فدلّت إليه حَبلاً، فتسلّق فيه، وتبعه الرّجالة، وأصعدوا علماً، وصاحوا: نور الدين يا منصور. وامتنع الأجناد والرّعية من القتال لما هم عليه من بُغض مجير الدّين وظلمه، [وعسفه للرّعية]^(٣) ومحبّتهم لنور الدين [لعدله وخيره]^(٢)، وبادر بعض [قطاعي الخشب]^(٣) بفأسٍ إلى الباب الشرقي فكسّر أغلاقه وفتّحه، ودخل العسكر، فلم يقف بين أيديهم أحدٌ، ودخل نور الدّين، ودخل مجير الدّين إلى القلعة ومعه خواصّه، وأغلق أبوابها، فأرسل إليه نورُ الدّين، وأمّنه على نفسه وماله، ونادى بأمانِ أهل البلد على نفوسهم ودورهم وأموالهم، وتقرّر الأمر بينه وبين مجير الدّين على حِمص، وكتبَ له منشوراً بها، وخرج إليها بأمواله وأسبابه، وأحسنَ نور الدّين إلى النّاس، وأطلق المَكُوس والضّمانات، [ثم تلا ذلك إبطال حقوق]^(٤) دار البَطِيخ وسوق الخيل^(٥) وما يؤخذ من الأنهار وغير ذلك.

(١) ما بين حاصرتين من «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٣) في (ع) و (ح) بعض الجند، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش)، وهو الموافق لما في «ذيل تاريخ دمشق».

(٤) في النسخ الخطية: والضمانات ودار البطيخ، والمثبت ما بين حاصرتين من «ذيل تاريخ دمشق».

(٥) كذا في النسخ الخطية، وفي «ذيل تاريخ دمشق» سوق البقل.

وكان مجاهد الدين بزان في القلعة محبوساً فأُطلق، ووصل الرئيس مؤيد الدين بن الصوفي إلى داره غير متعرّضٍ لشيء من الولايات، وكان مريضاً، فتوفي في ربيع الأوّل، ودفن في داره، [وكان في نيّته فساد]^(١)، فسُرّ الناس بموته^(٢).

وأقام مجير الدين بحمص، ثم كاتبَ أحداثَ دمشق في إثارة الفتنه، وبلغ نور الدين، فأعطاه بالس^(٣) ليعبد عن دمشق، فلم يرض بها، ومضى إلى بغداد، فبنى بها داراً مقابل النظامية، وأقام بها حتى مات، [وسنذكره]^(٤).

وفيها قتل الظافر صاحب مصر.

وفيها وصلت مراكب الفرنج إلى تيّس، فقتلوا وأسروا ونهبوا وعادوا.

وحجّ بالناس من العراق قيماز.

فصل : وفيها توفي

عبد الرحمن بن عبد الصّمد بن أحمد^(٥)

أبو القاسم النيسابوري، الإمام الفاضل، الزّاهد الورع، قرأ القرآن، وسَمِعَ الحديث، وكان قنوعاً باليسير، أوصى إليه قريبٌ له بأن يفرّق ماله على الفقراء، فلما حَضَرَ بين يديه المال كان فيه مسكٌ، فلَمَّا أراد تفرّقه سدّ أنفه، وقال : إِنَّمَا يُنْتَفَعُ مِنْهُ بِرِيحِهِ.

ولما استولى الغُزُّ على نيسابور قبضوا عليه، وأخرجوه ليعاقبوه، فشفع فيه السلطان سنجر، وقال : هذا رجلٌ صالح، لقد كنتُ أمضي إلى زيارته والتبرُّك به فلا يمكُّني من الدُّخول عليه، فتركوه لأجلي [فإنه له عليّ حق]^(٦)، فتركوه، وكانت وفاته في المحرم بنيسابور، [سمع أبا سعد الحيري، وأبا بكر الشيرازي]^(٦)، واتفقوا عليه^(٧).

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق» : ٥٠٣-٥٠٦ ، و«الروضتين» : ٣٠٥-٣٠٧ .

قلت : ثم يأتي في النسخ الخطية عقب هذا قوله : وفيها قتل الظافر صاحب مصر، وأقام مجير الدين بحمص... الخ، وقد رأيت أن أضع خبر مقتل الظافر بعد خبر مجير الدين حتى يحسن نظم الكلام، والله الموفق.

(٣) بالس : بلدة بين حلب والرقّة، «معجم البلدان» : ٣٢٨/١ .

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و (ش)، وستأتي ترجمته في وفيات (٥٦٤هـ).

(٥) له ترجمة في «المنتظم» : ١٥٩/١٠ ، و«طبقات الشافعية» للسبكي : ١٥١/٧-١٥٢ .

(٦) ما بين حاصرتين من (م).

(٧) في (م) : واتفقوا على صلاحه.

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ الْمُظَفَّرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(١)

أَبُو الْحَكَمِ الْبَاهِلِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ.

وُلِدَ بِالْمَرْيَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، وَحَجَّ طَبِيباً مَعَ أَمِيرِ الْجِيُوشِ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَخَمْسِ مِائَةٍ، وَخَدَمَ السُّلْطَانَ مُحَمَّدَ بْنَ مَلِكِ شَاهٍ، وَأَنْشَأَ لَهُ مَارِسْتَانَ يُحْمَلُ عَلَى الْجَمَالِ مَعَهُ فِي أَسْفَارِهِ.

وَكَانَ شَاعِراً خَلِيعاً، وَلَهُ دِيْوَانٌ سَمَّاهُ «نَهْجُ الْوَضَاعَةِ» ذَكَرَ فِيهِ مِثَالُ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا بِدِمَشْقَ، وَلَهُ دِيْوَانٌ شَعَرَ شَرْحَهُ وَلَدَهُ أَبُو الْمَجْدِ أَفْضَلُ الدِّينِ^(٢).

وَلَمَّا مَاتَ أَبُو الْحَكَمِ رِثَاهُ عِرْقَلَةٌ، فَقَالَ: [مِنْ الْبَسِيطِ]

يَا عَيْنَ سَحْيٍ بَدَمْعٍ سَاكِبٍ وَدَمٍ	عَلَى الْحَكِيمِ الَّذِي يُكْنَى أَبُو الْحَكَمِ
قَدْ كَانَ لَا رَحِمَ الرَّحْمَنِ شَيْبَتُهُ	وَلَا سَقَى قَبْرَهُ مِنْ صَيِّبِ الدَّيَمِ
شَيْخاً يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ نَافِلَةً	وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ ^(٣)

مُحَمَّدُ بْنُ الْمُحْسِنِ بْنِ أَحْمَدَ^(٤)

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيُّ، أَصْلُهُ مِنْ مَلَحَ^(٥) قَرْيَةٍ بِحُورَانَ، وَوَلِيَ أَبُوهُ عَلَى حَلَبَ زَمَاناً، وَكَانَ فَاضِلاً، وَلَهُ نَظْمٌ وَنَثْرٌ، قَالَ يَمْدَحُ الْقَاضِي ابْنَ أَبِي عَقِيلٍ: [مِنْ الْكَامِلِ]

(١) وَمِنْهُمْ مَنْ سَمَّاهُ عَبْدِ اللَّهِ، وَلَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» لِابْنِ عَسَاكِرَ: ٧٤٢-٧٤٣/١٠، وَ«خَرِيدَةُ الْقَصْرِ» قِسْمُ الشُّعْرَاءِ الْمَغْرِبِ: ٢٨٩-٢٩٩/١، وَ«طَبَقَاتُ الْأَطْبَاءِ» لِابْنِ أَبِي أَصْبِيْعَةَ: ٦١٤-٦٢٧، وَ«وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ»: ١٢٣-١٢٥/٣، ٢٨٩-٢٩٩، وَ«ذِيلُ تَارِيخِ بَغْدَادَ» لِابْنِ النُّجَارِ: ١٤٩-١٥١/٢، وَ«الْوَافِي بِالْوَفَيَاتِ»: ٦٢٢-٦٢٥/١٧، ٤١٥/١٩، وَ«نَفْحُ الطَّيْبِ» ٦٣٧-٦٣٩/٢، وَ«شَذَرَاتُ الذَّهَبِ»: ١٥٣/٤. (٢) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ كَانَ طَبِيبَ نَوْرِ الدِّينِ، وَتَوَلَّى الْيِمَارِسْتَانَ النَّوْرِيَّ، تَوَفَّى سَنَةَ (٥٧٠هـ) أَوْ قَبْلَهَا، انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي «طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ»: ٦٢٨، وَ«الْوَافِي بِالْوَفَيَاتِ»: ٣٣٠-٣٣١/٣، وَ«نَفْحُ الطَّيْبِ»: ٦٣٨/٢. (٣) الْأَبْيَاتُ لَيْسَتْ فِي دِيْوَانِهِ الْمَطْبُوعِ. (٤) لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرَ» ٩٣٩-٩٤٠- وَذَكَرَ وَفَاتَهُ سَنَةَ (٥٤٧هـ) - وَ«الْوَافِي بِالْوَفَيَاتِ» ٣٩٠/٤، وَ«تَوْضِيحُ الْمَشْتَبِهِ»: ٧٢/٨. (٥) هِيَ مِنْ أَعْمَالِ صَرْخَدَ، انْظُرْ «تَوْضِيحُ الْمَشْتَبِهِ»: ٢٦٠/٨.

يا هِنْدُ هل وصلَ فَيُرْتَقَبُ
 أنسيتِ مَوقِفَنا بذي سَلَمٍ
 قد زرتُ بَغداداً وطالَ بها
 دارُ الملوِكِ وكلُّ من ضُرِبَتْ
 دَعُ عنكَ هِنْدَ فقد أغارَ على
 واقصِدْ بِمَدْحِكَ ما جَدَّ يَدُهُ
 من أبيات (١).

وقيل : مات سنة سبع وأربعين وخمسة مئة.

المُظَفَّرُ بن علي بن محمد (٢)

ابن جَهِير أبو نَصْر، وزير بن وزير من بيت الوِزارَة، نَقَلَهُ الْمُقْتَفِي من الأَسْتاذ دارية إلى الوِزارَة، وَسَمِعَ الحديث، وَحَجَّ، وتوفي في ذي الحِجَّة، وَصُلِّيَ عليه بجامع القَصْر، ودُفِنَ مقابل جامع المنصور.

يوسف (٣) بن عبد المجيد، أبو المنصور، الظَّافِر بالله (٤)

ولد سنة سبع وعشرين وخمسة مئة، وأُمُّه أُم ولد تُدْعَى سَتَّ الوفاء، وقيل : ست المُنَى.

بويق سنة أربع وأربعين وخمسة مئة، وهو ابنُ سبع عشرة سنة وأشهر، وقُتِلَ سَلَخ المَحَرَّم، وله اثنتان وعشرون سنة، وكانت أيامه أربع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام.

(١) انظر تنمة الأبيات في «تاريخ ابن عساكر» : ٩٣٩/١٥ - ٩٤٠.

(٢) له ترجمة في «المنتظم» : ١٦٠/١٠، و«الفخري» : ٣١١، و«سير أعلام النبلاء» : ٢٨٣/٢٠، و«العبر» للذهبي : ١٣٨/٤، و«الوافي بالوفيات» ٦٨١/٢٥، النجوم الزاهرة : ٣١٨/٥، و«شذرات الذهب» : ١٥٤/٤.

(٣) انفرد سبط ابن الجوزي بتسميته يوسف، والذي في المصادر : إسماعيل.

(٤) له ترجمة في «نزهة المقلتين» لابن الطوير : ٦٧-٦٨، و«الكامل» ١٤١/١١، و«الروضتين» ٣٠٩/١، و«وفيات الأعيان» : ٢٣٧-٢٣٨، و«النجوم الزاهرة» : ٢٨٨-٢٩٧، و«اتعاظ الحنفا» : ٢٠٨-٢٠٩، و«سير أعلام النبلاء» : ٢٠٢/١٥ - ٢٠٤، وفيه تنمة مصادر ترجمته، وقد ساق بعض أخباره أسامة ابن منقذ في كتابه «الاعتبار».

وكانت أيامه مضطربة لحدائث سنّه، واشتغاله باللّهو، وكان عبّاس الصّنهاجي لما قتل ابن السّلال وزرّ له، واستولى عليه، وكان له ولد اسمه نصر، فأطمع نفسه في الأمر، وأراد قتل أبيه، ودسّ إليه سماً ليقتله، فعلم واحترز، وأراد أن يقبض عليه، فما قدر ومنعه مؤيّد الدولة أسامة ابن مُنقذ، وقبّح عليه ذلك وقال: إن فعلت هذا لم يثق بك أحد، ونفّر النَّاسُ عنك. فشرع أبوه يلاطفه، وقال: عوض ما تقتلني فاقتل الظّافر، فعزّمه الغدر بنا، ونولي ولده وهو صبيّ صغير.

وكان نصر ينادم الظّافر ويعاشره، وكان الظّافر يثق به، وينزل في الليل إلى داره متخفياً، فنزل ليلةً إلى داره وكانت بالسيوفيين ومعه خادمٌ له، فشربا ونام، فقام نصر، فقتله ورمى به في بئر، فلما أصبح عبّاس جاء إلى باب القصر يطلب الظّافر، فقال له خدّم القصر: ابنك يعرف أين هو، فسأله. فقال: ما لابني به علم. وأحضر أخوي الظّافر وولد أخيه، فقتلهم صبراً بين يديه، وأحضر أعيان الدّولة، وقال: إنّ الظّافر ركب البارحة في مركب، فانقلب به، فغرق. ثمّ أخرج عيسى ولد الظّافر، فنفروا عن عبّاس وابنه، وثار الجند والعبيد وأهل القاهرة، وطلبوا بثأر الظّافر من عبّاس وابنه نصر، فأخذوا ما قدرا عليه من المال والجواهر، وهربا إلى الشّام، وبلغ الفرنج، فخرجوا إليهما، وقتلوا عبّاساً، وأسروا ابنه نصراً، وقُتِلَ في السنة الآتية، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وذكر ابنُ القلانسي أنّ الظّافر إنما قتله أخواه يوسف وجبريل وابن عمهم صالح بن حسن، وكان الظّافر قد ركنَ إليهم، وأنسَ بهم في وقت مسرّاته، فاتفقوا عليه واغتالوه، وقتلوه، وأخفوا أمره، وذلك في يوم الخميس سلخ صفر، وحضر العادل عباس الوزير وابنه ناصر الدّين، وجماعةٌ من الأمراء والمقدّمين على الرّسم للسلام فقيل لهم: إنّ أمير المؤمنين ملثا الجسم. فطلبوا الدخول إليه، فمُنِعُوا، فلجّوا في الدّخول بسبب العيادة، فلم يمكّنوا، فهجموا، ودخلوا القصر، وانكشف أمره، فقتلوا الثلاثة، وأقاموا ولده عيسى وهو ابنُ ثلاث سنين، ولقبوه بالفائز بنصر الله، وبايعوه وعبّاس الوزير، وإليه تدبير الأمور.

ثم وَرَدَ الخبر بأنَّ طلائع بن رُزَّيْكَ فارس المُسلمين قد امتعض من ذلك، وجمَعَ وحشد، وقصدَ القاهرة، وكان من أكابر الأمراء، وعَلِمَ عَبَّاس أَنَّهُ لا طاقة له به، فجمع أمواله وأسبابه وأهله، وخرج من القاهرة، فلما قَرُبَ من عَسْقلان و غَزَّة خرج إليه جماعةٌ من خيالة الفرنج، فاغترَّ بكثرة من معه، فلما حَمَلَ فَشِلَ أصحابُه وانهزموا، فانهزم هو وابنه الصَّغير، وأسر ابنه الكبير الذي قَتَلَ ابن السَّلاح مع ولده وحُرَّمه وماله وكُراعِه، وصار الجميع إلى الفرنج، ومَنْ هرب مات من الجوع والعَطش^(١).

ووصل طلائع بن رُزَّيْكَ إلى القاهرة، فوضع السيف فيمن بقي من أصحاب عَبَّاس، وجلس في منصب الوزارة.

قال المصريون: وعيسى الفائز كنيته أبو القاسم، ومولده بالقاهرة سنة أربع وأربعين وخمس مئة سَلَخَ ربيع الآخر، وأُمُّه أم ولد يقال لها مهج، بويع في المحرَّم من هذه السنة، وله خمس سنين.

وكان خُذَّام القصر قد كتبوا إلى طلائع بن رُزَّيْكَ، وهو والي قُوص وأسوان والصَّعيد يخبرونه بِقَتْلِ الظَّافر، ويستنجدونه على عَبَّاس وابنه نصر، وكتب إليه القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز ابن الجَبَّاب: [من الطويل]

عَدْتُني^(٢) عن نَظْمِ القريض عوادي
وأَرَقَّ عَيْنِي والعَيونُ هَوَاجِعُ
بمصرع أبناء الوَصِيِّ وعِشرة النَّـ
فأينَ بنور رُزَّيْكَ عنهم ونصرهم
أولئك أنصارُ الهدى وبنو الرَّدَى
لقد هُدَّ ركن الدِّين ليلة قَتْلِهِ
تدارك من الإيمان قبل دُثُورِهِ
فقد كادَ^(٣) أَنْ يُظْفِي تَأْلُقَ نوره
وَشَفَّ فَوَادِي شَجْوِهِ الْمُتَمَادِي
همومٌ أَقْضَتْ مَضْجَعِي ووسادي
بِيِّ وآلِ الذَّارِيَاتِ وَصَادِ
ومالُهُمُ مِنْ مَنَعَةٍ وَذِيَادِ
وسُمُّ العِدَى من حاضرين وبادِ
بخير دليلٍ لِلنَّجاةِ وهَادِ
حُشاشة نَفْسٍ آذَنْتُ بِنَفَادِ
على الحقِّ عادٍ من بقية عادِ

(١) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٥٠٦-٥٠٧.

(٢) عدتني: أي صرفتني وشغلتنني، انظر «معجم متن اللغة»: ٤٩/٤.

(٣) في (ع) و (ح): كان، وأثبت ما هو أشبه بالصواب.

فلو عاينت عيناك بالقصر يومهم
لأبصرت حقاً كزبلاء وعشرة النـ
بني المصطفى كم ذا يروغ سربكم
قضى ابن زياد منكم كل حاجة
فصبراً لعل الدهر يجبر كسركم
فقل للحسام العضب فهو مؤمل
فمزق جموع المارقين فإنها
من أبيات.

فجمع الصالح أهل الصعيد والعرب، وجاء إلى القاهرة، ودخلها في تاسع ربيع الأول،
وأخرج جسد الظافر من البئر التي كان فيها في دار نصر بن عباس، وجعله في تابوت،
ومشى بين يديه حافياً، مكشوف الرأس، وفعل الناس كذلك، وكثر الضجيج والبكاء، فقال
الحسن بن علي ابن أبي جرادة ثقة المملك^(٤) يمدح الصالح من أبيات: [من الرمل]
حامل الأعباء عن أهل العبا^(٥) أخذ بالشار من باغ وعاد

(١) ابن مناد هو عباس الصنهاجي، ومناد هو أحد أجداد قبيلة صنهاجة من حمير، انظر نسبهم في «وفيات الأعيان»: ٣٠٤/١.

(٢) الناد: الداهية. «معجم متن اللغة»: ٣٧٦/٥.

(٣) ساق ابن العماد أربعة أبيات منها في «خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ١٩٠/١، وأورد أبو شامة بعض أبياتها كذلك نقلاً عن «الخريدة» في كتاب «الروضتين»: ٧/٢-٨ إلا أنه زاد بيتاً ليس في «الخريدة»، مما يدل على أن المطبوع من «الخريدة» لم يطبع عن أصل جيد. وانظر «النجوم الزاهرة»: ٢٩٢-٢٩٣ فيه تسعة أبيات منها.

(٤) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٥٥هـ).

(٥) أهل العبا، ويقال أهل الكساء، وهم آل البيت، وفي ذلك إشارة إلى الحديث الصحيح الذي أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٥٠٨) من حديث أم سلمة تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمة، فيها خزيرة، فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك. قالت: فجاء علي والحسين والحسن، فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء خيبري قالت: وأنا أصلي في الحجرة، فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] قالت: فأخذ فضل الكساء، فغشاهم به، ثم أخرج يده، فألوى بها إلى السماء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً». قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال: «إنك إلى خير، إنك إلى خير».

من عُصاة أضَمروا الغَدَرَ فهم^(١)
 قتلوا الظَّافِرَ ظُلْماً وانتَحوا
 واغْتدى عَبَّاسُ فيهمْ وابْنُه
 مِثْلَ سَفَرٍ قتلوا هادِيَهُمْ
 جاءهمْ في مِثْلَ رِيحٍ صرصر
 بَعْدَما غَرَّهُمْ إِملاؤُه

وقال الجليس ابن الجَبَّاب: [من الطويل]

سَقَتْها بأَكْنافِ العميمِ الغمائمُ
 عطاءً مُتَاحاً لِمَ تُعِقُّه عوائِقُ
 وبَذَلُ لُهي يَجْنى بِأيسره الغنى
 إلى مَلِكٍ يعلو الملوِكُ مَحَلُّه
 يَحْفُ به من آلِ رُزِّيكِ صِيْدُها
 له في ذِرا غَسَّانِ بَيْتٍ مُطَنَّبُ
 ولما ترامى البَرَبَرِيُّ بجهلِه
 وجاهرَ بالوُدِّ القديمِ منافقاً
 رَكِبَتْ إليه مَثْنٌ عَزَمْتَكَ التي
 وقُدَّتْ له الجُرْدُ العِتاقُ كأَنَّمَا
 وقمتَ بحقِّ الطالبِيَّينَ طالباً
 أَعَدَّتْ إليهمْ مُلكَهُمْ بَعْدَما لوى
 فما غَالِبٌ إلا بَنَصْرِكَ غَالِبُ
 من أبيات.

أَهْلُ نَصَبٍ ونَفاقٍ وعنادٍ
 لبني الحافظِ بالبِيضِ الجِدادِ
 مِثْلَ عُذْوانِ يَزِيدٍ وزِيادِ
 ثُمَّ ضَلُّوا مالَهُمْ مِنْ بَعْدُ هادِ
 فتولوا مِثْلَ رَجُلٍ من جَرادِ
 ولهيبُ الجَمْرِ من تحت الرَّمادِ^(٢)

رسومٌ لها تبكي المطيُّ الرِّواسمُ
 ومالٌ مباحٌ لِمَ تَصْنُه الخواتِمُ
 هو الجودُ لا ما ظَنَّ كعبٌ وحاتِمُ
 كما تَعْتلي فوق الكعوبِ اللِّهازِمُ
 كما حَفَّ بالبَذْرِ النُّجومُ الهوائِمُ
 فِنا الحَظُّ أوتادُ له ودعائِمُ
 إلى فَشْكَةٍ ما رامها قَطُّ رائِمُ
 وأظهر نُصحاً وهو للغشِّ كاتِمُ
 بأمثالها تُلقى الخطوبُ العِظائِمُ
 قوائِمُها عند الطُّرادِ قوادِمُ
 وغيرُكَ يُغْضي دونه ويُسالِمُ
 به غاصِبٌ حَقَّ الأمانةِ ظالِمُ
 ولا هاشمٌ إلا بِسَيْفِكَ هاشمُ^(٣)

(١) في (ع) و (ح): من عبيد السوء فهم، ولا يستقيم به وزن هذا الشطر، والمثبت من «الخريدة» قسم شعراء الشام: ١٩٩/٢.

(٢) انظر الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام ١٩٩/٢-٢٠٠.

(٣) انظر أبياتاً منها في «خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ١٩٠/١-١٩١.

ثم وزر الصّالح للفائز، فأحسن التّدبير، وضَبَطَ الأمور، وربّتها أحسن ترتيب، وعدَلَ في الرعية، وكان صالحاً كما سُمّي. وماتَ الفائز سنة خمس وخمسين.

وأما عبّاس بن أبي الفتوح الصّنهاجي، فكان أسلافه يحترمون أسلاف الظّافر، ويخطبون لهم ببلاد إفريقية وغيرها، وكان أخو عبّاس حاكماً على إفريقية، فخاف منه عباس، فهرب إلى مصر^(١)، فاستولى عليها، واتفق مع الظّافر على قتل ابن السّار، وكان نصر بن عبّاس ولد امرأة ابن السّار وربيّه^(٢)، وفي حجره رُبّي، فاتفق نصر مع أبيه على قتله، فقتله كما ذكرنا، ووزَرَ عبّاس، ولقب بأمير الجيوش، ثم اتفق مع ابنه نصر على قتل الظّافر فقتله، وخرجوا إلى السّاحل، فقتل عبّاس على عسقلان في صفر، وبقي ابنه نصر عند الفرنج، فبعث أهل القاهرة إلى الفرنج بمالٍ جزيل، وطلبوا نصراً، فبعثوا به إليهم، فخرج أهل القاهرة ومصر، وجردوا السّكاكين والمقاريض، وقرضوا لحمه وشرّحوه، ومثّلوا به أقبح مُثلة، ثم صلبوه على باب داره بالسّيوفيين، وعلّقوا رأسه على باب زويلة، ثم ألقوا جسده إلى الكلاب، فأكلته، وأحرقوا ما بقي منه.

ووصلت الأخبار إلى بغداد بهذا وأنّه لم يبق إلا صبيّ صغير، فكتب المقتفي عهداً لنور الدّين محمود على الشّام والسّواحل ومصر وأعمالها، وبعث إليه الخيل بمراكب الذهب والخلع، وأمره بالمسير إليها، وكان مشغولاً بجهاد الفرنج.

السّنة الخمسون وخمس مئة

فيها قبَضَ الخليفة على صاحب الباب أبي الفتح بن الصّيقل الهاشمي، وكان قد مدّ يده إلى أموال الناس، وولي مكانه أبو القاسم عليّ بن محمد بن هبة الله بن الصّاحب.

(١) كذا قال، وهو وهم، صوابه ما ذكره ابن الأثير في «الكامل»: ١٤٢/١١ من أن علي بن يحيى هو الذي أخرج أخاه أبا الفتوح والد عباس من إفريقية.

(٢) كذا قال، وهو وهم، صوابه أن عباساً هو ولد امرأة ابن السّار، فقد قدم عباس مصر سنة (٥٠٩هـ) مع أبيه وأمه وكان صغيراً يرضع، ونزلوا الإسكندرية، فلما توفي أبوه تزوج ابن السّار أمه - وكان وقتئذٍ والي الإسكندرية - انظر «الكامل»: ١٤٢/١١، «وفيات الأعيان»: ٤١٨/٣، وانظر ص ٤٤٣ من هذا الجزء.

وفيهما دخلت الغُرُّ نيسابور، ونهبوا وسَبَّوا، وقتلوا أعيانها، منهم محمد بن يحيى شيخ الشافعية، وقتلوا بها نحواً من ثلاثين ألف نسمة، وكان سنجر معهم عليه اسم السلطنة وهو معتقل على الوجه الذي ذكرنا.

وفي ربيع الأول نزل الخليفة على دُقُوقاً^(١) فحاصر أهلها، فصعد النساء والصبيان على الأسوار، وصاحوا: يا أمير المؤمنين، ارحمنا لله تعالى. فرحل عنهم.

وفي رجب كانت وقعة بين عسكر الخليفة وشَمْلَةَ التُّركماني، فهزموه، وتبعوه إلى مضيق، فخرج عليهم كمين، فهزمهم وأسر أعيانهم، ثُمَّ أطلقهم وأحسن إليهم، واعتذر إلى الخليفة، فَقَبِلَ عُذْرَهُ، وسار إلى خوزستان، فملكها، وانزاح عنها ملك شاه بن محمود بن محمد بن ملك شاه.

وفي شَوَّال وَصَلَ إلى بغداد سليمان شاه بن محمد، وكان محبوساً بقلعة قَرْوِين، فأخرجه فرج الخادم بعد موت مسعود أخيه وقتل خاصبك، واجتمع إليه أمراء تلك الناحية، وجاؤوا به إلى هَمَذَان، فأجلسوه على التخت، وكان السلطان محمد قد مضى إلى أصبهان، وبلغه الخبر، فقصد همذان، فهرب سليمان شاه في جماعة يسيرة، فلما قَرُبَ من بغداد أرسل الخليفة إليه يوسف الدَّمشقي مدرس النظامية، فقال: في أي شيء جئت؟ فقال: أنا عبد العتبة، ما جئت إلا مستجيراً بها، وملتجئاً إليها. فَشَرَطَ أن لا يترك دار المملكة، ولا يطلب السلطنة عليه، فحلف، وأخرج الخليفة إليه ولد الوزير ابن هُبيرة، وعلى رأسه الشمسة، وخلفه الأعلام السود، فنزل سليمان شاه بباب النوبي، وقَبِلَ العتبة، وحُمِلَ إلى دار خواجه أحمد، وحُمِلَت إليه الإقامة. ثُمَّ جلس له الخليفة واستدعاه، وَخَلَعَ عليه وعلى الأعيان من أصحابه، وبعث إليه بالمال والخيول وغيرها.

[وفيها]^(٢) حَجَّ بالنَّاسَ قِيَمَاز، وَخَرَجَ الْمُقْتَفِي لوداع الحاج، فبلغ الكوفة، وَخَرَقَ أسواقها، وعاد إلى بغداد.

(١) مدينة بين إربل وبغداد. «معجم البلدان»: ٤٥٩/٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفي ربيع الأول تسلّم نور الدين [محمود]^(١) بعلبك من واليها ضحّاك، وعاد إلى حلب، وقصد خدمته قرا رسلان بن سُكّمان بن داود بن أرتُق^(٢)، فالتقاه وأكرمه وأنزله، وأحسن إليه، ووصله، ثم عاد عنه مسروراً.

وفيها وقع الخلف بين أولاد الملك مسعود، فأصلح نور الدين بينهم، ثم عادوا، فسار نور الدين إلى الأعمال المختصة بالملك قليج رسلان بن الملك مسعود بن [قليج رسلان بن]^(٣) سليمان بن قُتلمش ملك قونية وما والاها، فملك عدّة من قلاعها بالأمان، وبعضها عنوة، وكان قليج رسلان وأخواه ذو النون ودولات مشغولين بمحاربة أولاد الدّانشمند، وكانوا قد التقوا على مدينة أقصرا، فظهروا على أولاد الدّانشمند، وأعظم قليج رسلان ما بدا من نور الدين، وكاتبه منكرأ عليه مع ما بينهما من الصّهر والموادعة، فاعتذر نور الدين، وبقي الأمر على حاله.

فصل : وفيها قُتل

أحمد بن محمد الخُويزي^(٤)

[من أهل الحويزة]^(١)، كان عاملاً للمقتفي على نهر الملك، وكان أظلم العالم، يعلق الرّجال بأرجلهم، والنّساء بثديهنّ في السّواد ويعاقبهم بين يديه، ويتنمّس^(٥) بالدين والسّجّادة الرّزقاء تحته، والسّبّحة بيده، وهو يسبّح ويقرأ القرآن والنّاس يعذبون بين يديه، والسّبّحة بيده [ويومئ إلى الجلاد: الرأس والوجه، وما كان مقصوده بإظهار الدّين إلا أنّه يرتقي من مرتبة إلى مرتبة.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) كان صاحب حصن كيفا منذ سنة (٥٣٩هـ) حتى وفاته سنة (٥٦٢هـ) انظر «الكامل» لابن الأثير:

٣٢٩/١١-٣٣٠، و«كتاب الروضتين»: ٢٣٤/١، ٤١٦، ٤١٧-٤١٨، ١٦/٢، و«معجم الأنساب» لزماور: ٣٤٤.

(٣) ما بين حاصرتين من «الكامل»: ٨٧-٨٩.

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٦١-١٦٢.

(٥) في (ع) و (ح) و (ش) يلتمس، والمثبت من (م)، والتمس: الاحتيال. «تاج العروس» (نفس).

قال جدي: واتفق أنني دخلت حماماً وهو في خلوة أخرى، فقرأ نحو جزأين من القرآن مع الظلم المجاوز للحد^(١).

وكان يدعي الكرامات، فدخل الحمام يوماً بقرية في نهر الملك، فدخل عليه ثلاثة، فضربوه بالسيف، وقطعوه، فحُمِلَ إلى بغداد، فمات في شعبان، ودفن بمقبرة جامع المنصور، وحُفِظَ قبره لئلا يُنْبَشَ، فأصبح [الناس]^(٢) وقد خُسِفَ بقبره، فاجتمعت العامة على سبه ولعنه، وأظهر الله فيه عظيم قدرته.

محمد بن إبراهيم بن الحسين^(٣)

أبو جعفر، الجرباذقاني، [وجرباذقان]^(٢) قرية من عمل أصبهان.

[ولد في سنة سبع وخمس مئة، واشتغل بالأدب، وتفقه على مذهب الشافعي، و]^(٢) انقطع إلى العلم والعبادة، وأقام بأصبهان [مدة سمع بها الحديث]^(٢)، وببغداد وصحب أبا الفضل بن ناصر حتى مات في ذي الحجة، [وصلى عليه أبو الفضل ناصر]^(٢) ودفن بالشونيزية^(٤) [عند أصحاب أبي النجيب، سمع بأصبهان من إسماعيل ابن محمد بن الفضل وغيره، وقدم بغداد سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة^(٥)، وسمع خلقاً كثيراً]^(٢)، وقيل: مات سنة تسع وأربعين وخمس مئة.

ومن شعره: [من الطويل]

ألا ليت أسباب المنايا أراحت
وموت الفتى خير له من حياته
أنوح وأبكي كلما ذرَّ شارق
كنوح حمامات على الدَّوح ناحت
فإنني أرى في الموت أرواح راحة
إذا ظهَرَتْ أعلامُ سوءٍ ولاحت

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ١٦٢/١٠.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ويعرف بابن دادا، له ترجمة في «معجم الأدباء»: ١٢٠-١٢١/١٧ و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٩١/٦، و«توضيح

المشبه»: ٩/٤: و«بغية الوعاة»: ١٠/١، و«شذرات الذهب»: ١٥٤/٤، وعندهم وفاته سنة (٥٤٩هـ).

(٤) في (ع) و(ح): ودفن بالشونيزية، وولد سنة سبع وخمس مئة. قلت: وقد أعدت هذه العبارة إلى حاق موضعها كما جاء في: (م) و(ش).

(٥) في «معجم الأدباء»: ١٢٠/١٧ أنه قدم بغداد سنة (٥٤٠هـ).

إذا كان في بحر الهموم سباحتي فأهونُ شيءٍ نِلْتُهُ حَلَّ ساحتِي

محمد بن ناصر بن محمد^(١)

ابن علي بن عمر السَّلامي^(٢) الدَّار، الفارسي الأصل.

ولد ليلة السبت خامس عشرة شعبان سنة سبع وستين وأربع مئة^(٣)، وسمِعَ الحديث الكثير، وكان حافظاً، مُتَقَنّاً، عالماً بالأسانيد والمتون، كثير تلاوة القرآن، سريع الدِّمعة^(٤) [وهو من أكابر شيوخ جدِّي رحمه الله، وبطريقه أخذ علم الحديث، وذكره جدِّي، وأثنى عليه، وقال: كان ثقة من أهل السنة، وقال: سمعت عليه من سنة إحدى وعشرين وخمس مئة]، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء ثامن عشرة من شعبان، وصُلِّي عليه بجامع السُّلطان وجامع المنصور والحربية، ودفن بباب حَرْب [إلى جانب أبي منصور بن الأنباري.

قال جدي: وحدثني أبو بكر الحُصري: قال^(٥): رأيتُه في المنام، فقلتُ له: ما فعلَ الله بك؟ فقال: غفر لي وقال: قد غفرتُ لعشرةٍ من أصحاب الحديث في زمانك، لأنك رئيسهم وسيدهم^(٦).

وقرأ ابنُ ناصر على أبي زكريا كثيراً من اللغة، [وأنشدنا شيخنا عبد العزيز بن محمود البَزَّاز^(٧) ويعرف بابن الأخضر، قال: أنشدنا أبو الفضل بن ناصر لغيره هذه الأبيات^(٨): [من البسيط]

دَعِ المقاديرَ تَجري في أعنتِها واصبرْ فليس لها صبرٌ على حالٍ

(١) له ترجمة في الأنساب: ٢٠٩/٧، و«المنتظم» ١٠/١٦٢-١٦٣، و«مناقب الإمام أحمد»: ٦٣٩: و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٣٣-١٣٦، و«الكامل» لابن الأثير: ١١/٢٠٢، و«اللباب»: ٢/١٦١، و«وفيات الأعيان» ٤/٢٩٣-٢٩٤، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: ١٢٥-١٣١، و«طبقات علماء الحديث»: ٤/٦٣-٦٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/٢٦٥-٢٧١، وفيهما تمة مصادر ترجمته.

(٢) نسبة إلى مدينة السلام بغداد. «الأنساب»: ٢٠٩/٧.

(٣) في النسخ الخطية: سبع وسبعين وأربع مئة، وهو خطأ، والمثبت ما في مصادر ترجمته.

(٤) في (ع) و (ح): سريع الدمعة، كان ثقة من أهل السنة، كانت وفاته ليلة الثلاثاء، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٥) في (ع) و (ح): ودفن بباب حرب، وقال أبو بكر الحُصري، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٦) «مشيخة ابن الجوزي»: ١٣٦.

(٧) هو شيخ السبط، وقد توفي سنة (٦١١هـ)، له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٢/٣١-٣٢.

(٨) (ع) و (ح): وأنشد لغيره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

بَيْنَا تُرِيكَ وَضِيْعَ الْقَوْمِ مُرْتَفِعاً إِلَى السَّمَاءِ وَيَوْمًا تُخْفِضُ الْعَالِي
مَا بَيْنَ رَقْدَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا يَقْلِبُ الدَّهْرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ^(١)

[علي بن]^(٢) محمد، أبو الحسن، ثِقَّةُ الدَّوْلَةِ بن الدَّرِينِي، البَغْدَادِي^(٣)

كَانَ فَاضِلاً جَوَاداً، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ، بَنَى بَغْدَادَ مَدْرَسَةً^(٤)، وَكَانَ لَهُ بَرٌّ دَائِمٌ،
وَمَعْرُوفٌ مُتَوَاصِلٌ، وَتَوَفَّى بِبَغْدَادَ.

وَرثَاهُ دُبَيْسُ الْمَدَائِنِيِّ الضَّرِيرُ، فَقَالَ: [مِنَ الْكَامِلِ]

قَدْ قَلْتُ لِلرَّجُلِ الْمُؤَلَّى غَسْلَهُ هَلَّا أَطَاعَ^(٥) وَكُنْتُ مِنْ نُصَحَائِهِ
جَنَّبَهُ مَاءَكَ ثُمَّ غَسَّلَهُ بِمَا أَبَكَّتْ عَيُونَ الْمَجْدِ مِنْ آلَائِهِ
وَأَزَلَّ أَفَاوِيهِ الْحَنُوطِ وَطَيْبَهُ عَنْهُ وَحَنَظُهُ بِطَيْبِ ثَنَائِهِ
وَمُرِّ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ بِحَمْلِهِ شَرَفًا أَلَسْتُ تَرَاهُمْ بِإِزَائِهِ
لَا تُؤْهِ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ بِحَمْلِهِ يَكْفِيهِ مَا فِيهِنَّ مِنْ نَعْمَائِهِ^(٦)

هَبَةُ اللَّهِ بَنِي عَلِي^(٧)

أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ عَرَّامٍ، [الرَّبَّعِي، مَصْرِي]^(٨) كَانَ فَاضِلاً فَصِيحاً، [وَلَهُ دِيْوَانُ شَعْرٍ،
وَبَيْتُ عَرَّامٍ بَيْتٌ مَعْرُوفٌ بِالْفَضْلِ وَالْأَدَبِ، وَمِنْ شَعْرِ هَبَةِ اللَّهِ^(٩)]: [مِنَ الْمُتَقَارِبِ]
إِذَا حَصَلَ الْقَوْتُ فَاقْنَعْ بِهِ فَإِنَّ الْقَنَاعَةَ لِلْمَرْءِ كَنْزٌ

(١) الأبيات في «معجم البلدان»: ٢٥١/١.

(٢) ما بين حاصرتين من مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٦٠/١٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ٢/١٤٤-١٤٦. و«الكمال»: ٢٠٠/١١، و«وفيات الأعيان»: ٤٧٨/٢، و«توضيح المشتبه»: ٣٢-٣٣/٤ وعندهم وفاته سنة (٥٤٩هـ).

وقال العماد في «الخريدة»: المعروف بابن الإبري.

(٤) هي المدرسة الثقتية، وانظر حاشيتنا رقم ٣ ص ٣٥٤ من هذا الجزء.

(٥) في (ع) و (ح): لو قد أطاع، والمثبت من «الخريدة».

(٦) الأبيات في ترجمة دبيس في «الخريدة» قسم شعراء العراق ج ٤/م ١١٦ - ١١٧.

(٧) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء مصر: ١٨٦/٢، و«الوافي بالوفيات»: ٣٠٤-٣٠٥/٢٧.

(٨) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٩) في (ع) و (ح): كان فاضلاً فصيحاً، ومن شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

وَصُنْ مَاءَ وَجْهِكَ عَنْ بَذْلِهِ فَإِنَّ الصَّيَانَةَ لِلْوَجْهِ ^(١) عِزُّ
وقال: [من السريع]

لَمَّا بَدَا لِي شَرُّ هَذَا الْوَرَى وَكُنْتُ مِنْ خَيْرِهِمْ آيسَا
لَزِمْتُ بَيْتِي رَاحَةً مِنْهُمْ وَصَرْتُ بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنَسَا
وَمَرَضَ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ صَاحِبٌ لَهُ أَيْبَاتًا، فَكُتِبَ [فِي] ^(٢) جَوَابِهَا: [من الوافر]

أَتُثْنِي مِنْكَ أَيْبَاتٌ حِسَانُ هِيَ الدُّرُّ الثَّمِينُ بِغَيْرِ شَكِّ
فَكَانَتْ لَا عَدِمْتُكَ بُرْءَ جِسْمِي مِنْ الْبَلَوَى فَقَدْ زَالَ التَّشْكِي ^(٣)
وقال في ذمِّ إنسان: [من مخلع البسيط]

جَمِيعُ أَقْوَالِهِ دَعَاوِي وَكُلُّ أَفْعَالِهِ مَسَاوِي
مَا زَالَ فِي فَنِّهِ غَرِيبًا لَيْسَ لَهُ فِي الْوَرَى مُسَاوِي ^(٤)

السنة الحادية والخمسون وخمس مئة

في المحرم خلع الخليفة على سليمان شاه خلعة السلطنة: التاج والطوق ومركب الذهب، واستحلفه أن العراق يكون للخليفة ولا يكون لسليمان شاه إلا ما يفتح بسيفه من غير العراق، وخطب له على المنابر بعد سنجر، وبعث إليه بالمال، وقواه بالرجال، وخرج إلى النهروان سلخ المحرم، وبعث إلى الخليفة يقول: ما أرحل حتى أراك فيقوى قلبي. فخرج الخليفة بعساكره من بغداد وهو بين يديه بمرحلة إلى حلوان، وبعث معه العسكر، وعاد.

وفي ربيع الآخر أطلق ابن الوزير من قلعة تكريت، فأقام في الأسر ثلاث سنين وأربعة أشهر.

وجاءت الأخبار بأن ملك شاه ابن أخي سليمان شاه قد انضاف إليه، واتصلوا بإيلدكز، واتفقوا، وبلغ محمد شاه، فسار إليهم، وضرب معهم مصافًا، فانهزموا بين يديه، وتشتت

(١) في (م) و (ش): للمرء، والبيتان في «الخريدة»: ١٩٠/٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (م)، وفي (ش): له.

(٣) البيتان في «الخريدة»: ١٩٣/٢.

(٤) البيتان في «الخريدة»: ١٩٤/٢٠-١٩٥.

العسكر، ووصل بغداد من عسكر الخليفة خمسون فارساً بعد أن كانوا ثلاثة آلاف، ولم يُقتل منهم أحد، وإنما أخذت خيولهم وأموالهم، وجاءوا حُفاة عُراة، وانفصل سليمان شاه عن إيلدكز، وعاد إلى بغداد على طريق الموصل، وكان عاجزاً عن حُسْنِ التَّدير، فهان على أصحابِ الأطراف، وكان زين الدين كُوجك في المَوْصل، فخرج إليه، وقَبَضَ عليه، وأطلعه إلى القلعة، وبعث إلى محمد شاه يقول: تعال تَسَلِّمه، وإن أردت أن تقصد بغداد ساعدتُك. فسار يريد بغداد، ونزل بعقوبا، وبعث إلى كوجك، فتأخَّر عنه، وانزعج أهلُ بغداد، وعَرَضَ الخليفةُ عساكره، وعصى عليه أرغش صاحب البصرة، وبدر بن المُظفَّر صاحب البطيحة، وبعث إلى كُوجك يأمره بإطلاق سليمان شاه، فلم يُطلقه، وأقام محبوساً في المَوْصل، ثم أطلق بعد ذلك. وأما السُّلطان محمد فلما تأخَّر عنه زين الدين خاف أن تكون عليه حيلة، فرجع من بَعْقُوبا إلى هَمْدَان.

وفيهما خَلَصَ سنجر من أَسْرِ الغُرِّ بِحِيلٍ، وَهَرَبَ إلى قلعة تَرْمِذٍ بعد أن أقام عندهم أربع سنين في الذُّلِّ والهوان حتى ضرب به أهلُ بغداد الأمثال، فكان إذا مرَّ على إنسانٍ شداًئد، قالوا: ما اشتفى الغُرُّ من سنجر، وقيل: إنه وعد الموكلين به بالمال العظيم، فأجابوه، ووفى لهم.

وَحَجَّ بالنَّاسِ من العراق قِماز، ومن الشَّام نجم الدِّين أيوب.

فصل وفيها توفي

عبد القاهر بن عبد الله^(١)

ابن الحسين. أبو الفرج، الوأواء الشَّاعر.

أصله من بُزاعة^(٢)، ونشأ بحلب، وتأدَّب بها، وشرح "ديوان المتنبي"، ومَدَحَ

جماعةً من أهل الشَّام، ومن شعره: [من الطويل]

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: مج ٤٣/٦٨-٧٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشَّام: ١٥٥/٢-١٥٧،

و«إنباه الرواة»: ١٨٦/٢٠، و«الوافي بالوفيات»: ١٩/٥٢-٥٣، و«النجوم الزاهرة»: ٣٢٢/٥-٣٢٣،

و«بغية الوعاة»: ١٠٦/٢، و«شذرات الذهب»: ١٥٨/٤.

(٢) بزاعة بضم الباء وكسرهما، ومنهم من يقول: بزاعا: من أعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب. انظر

«معجم البلدان»: ٤٠٩/١.

أَبَى زَمَنِي أَنْ^(١) تَسْتَقَرَّ بِي الدَّارُ
أَخْلَايَ كَيْفَ الْعَدْلُ وَالذَّهْرُ حَاكِمُ
وَمَا غِبْتُمْ عَنْ نَاطِرِي فِيرَاكُمُ
لَنْ عِفْتُمْ نَصْرِي إِذَا حَلَّ حَادِثُ
وَإِنْ غَرَبَتْ شَمْسُ النَّهَارِ فَمِنْكُمْ
وَبِي فَرَقُّ بَادٍ إِذَا مَا تَفَرَّقُوا
عَنَانِي مِنَ الْأَسْرَارِ مَا لَمْ أَبُخْ بِهِ
وَكُنْتُ كَغَصْنٍ بَاتَ يُمْنَعُ رِيَّهُ

وَأَقْسَمَ لَا تُقْضَى^(٢) لِنَفْسِي أَوْطَارُ
وَكَيْفَ دُنُويِ وَالْمُقَدَّرُ أَقْدَارُ
وَلَمْ يَنْسِكُمْ قَلْبِي فَيَحْدُثَ تَذْكَارُ
فَلِي مِنْ دُمُوعِي فِي الْحَوَادِثِ أَنْصَارُ
شَمُوسٌ بِقَلْبِي لَا تَغِيبُ وَأَقْمَارُ
وَلِي مَذْمَعٌ جَارٍ إِذَا مَا هُمْ جَارُوا
فَصَرْتُ كَفِعْلٍ ظَاهِرٍ فِيهِ إِضْمَارُ
وَقَدْ رَوَيْتُ حَوْلِي مِنَ الْمَاءِ أَشْجَارُ^{(٣)(٤)}

عبد السيد بن جكر الواسطي^(٥)

دخل على شمس الدين فاتن، ناظر واسط وقد غمَّ الهلال، فأنشد: [من المتقارب]
أما في البرية من يَنْتَبِهْ يهني بك العيد لا أنت به
وإن وقعت شبهة في الهلال فأنت على العين لا تشته^(٦)

علي بن الحسين الغزنوي الواعظ^(٧)

ويلقب بالبرهان، قدم بغداد سنة ست عشرة، وسمع الحديث، ووعظ، وكان فصيحاً، وله جاهٌ عريض، وكان السلطان مسعود يزوره، وأمرت خاتون زوجة

(١) في (ع) و (ح): لا، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر» و«الخريدة».

(٢) (ع) و (ح): لا أقضي، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر» و«الخريدة».

(٣) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: مج ٤٣/٦٩-٧٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ١٥٦-١٥٧ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) عقب هذه الترجمة في (ح): وفيها قصدت الفرنج بقاع بعلبك.. قلت: وهذا الخبر من حوادث سنة (٥٤٦هـ).

(٥) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج ٤/ ح ١/ ٣٥٨-٣٦٠، و«الوافي بالوفيات» ١٨/ ٤٤٢-٤٤٣، وذكره ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٧/ ٢٢٤، وسماه عبد السلام.

(٦) البيتان في «الخريدة».

(٧) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٦٦-١٦٨، و«الكامل»: ١١/ ٢١٦-٢١٧، و«سير أعلام النبلاء»:

٢٠/ ٣٢٤-٣٢٥، و«الوافي بالوفيات»: ٢١/ ٢٩-٣٠، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٢٣-٣٢٤، و«شذرات

الذهب»: ٤/ ١٥٩، وانظر «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج ١/ ٢٨٢.

المُستظهر أن يُبنى له رباطٌ، ووقفت عليه قريةً اشترتها من المُسترشد، واستعبد خُلُقاً كثيراً من العلماء والفقراء بجاهه وماله.

وقال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: كان محفوظه قليلاً، فيكرّر ما يقول، [وحدثني جماعة من القراء أنه كان يعيّن لهم ما يقرؤون بين يديه، ويتحفّظ الكلام عليه]^(١). وسمِعته يقول على المنبر: الحكمة في معراج النبي ﷺ أنه أرى ما في الجنة والنار ليكون يوم القيامة على سكون لا على انزعاج، ولهذا المعنى قلبت العصا حيّة يوم التّكليم لثلاثين زج موسى عليه السّلام بين يدي فرعون.

وسمعه يُنشد: [من مجزوء الرجز]

كَمَ حَسْرَةٍ لِي فِي الْحَشَا مَن وَلَدَ إِذَا نَشَا
وَكَمَ أَرَدْتُ رُشْدَهُ فَمَا نَشَا كَمَا نَشَا^(٢)

وسمعه يُنشد: [من السريع]

يَحْسُدُنِي قَوْمِي عَلَى صَنْعَتِي لَأَنْنِي فِي صَنْعَتِي فَارِسُ
سَهَرْتُ فِي لَيْلَتِي وَاسْتَنْعَسُوا هَلْ يَسْتَوِي السَّاهِرُ وَالنَّاعِسُ
وَكَانَ يَعْظُمُ السُّلْطَانُ وَلَا يَعْظُمُ الْخَلِيفَةُ كَمَا يَنْبَغِي، وسمِعته يوماً يقول بجامع القصر: يتولى أمورنا ويغفل عنا، [وأنشد]^(٣): [من الهزج]

فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ يَكُ قَتَّالاً
فَغَيْرُ حَلِيَّةِ السَّيْفِ وَضَعَهُ لَكَ خَلْخَالاً^(٤)

وقال: تولى اليهود، فيسبون نبيك يوم السبت، وتجلسهم يوم الأحد عن يمينك، ثم صاح: اللهم هل بلغت؟ فكانت هذه الأشياء تُثقل إلى الخليفة، فمنعه من الجلوس بجامع القصر، فقَدِمَ السُّلْطَانُ مسعود، فأجلسه بجامع السُّلْطَانِ، وحضر مجلسه،

(١) (ع) و (ح): ويعين القراءات تقرأ، ويرتب الكلام عليها، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/١٦٦.

(٢) البيتان ساقهما سبط ابن الجوزي على أنهما من شعر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوزان القشيري في ترجمته انظر حاشيتنا رقم ١ ص ١٤٤.

(٣) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/١٦٧.

(٤) (ع) و (ح): وضع لك منه خلخالاً، والمثبت من «المنتظم».

فقال: يا سُلطان العالم، محمد بن عبد الله أمرني بالجلوس، ومحمد أبو عبد الله منعني من الجلوس. يعني المقتفي.

ولمّا دخل العبادي بغداد [وكانت سوقه انكسرت به]^(١)، فأنشد ابنُ الدّهان: [من السريع]
 لله قُطْبُ الدّين من عالم طَبُّ بأدواء السورى آسٍ
 مُدْ ظَهَرَتْ حُجَّتُهُ للسورى قامَ بها البرهانُ للنّاسِ^(٢)
 فلما مات مسعود أهين الغزنوي، ومُنِعَ من الوعظ، وأخذ كل ما كان بيده، فَشَفِعَ
 إلى الخليفة في ردّ القرية التي وقفت على رباطه، فقال: أما ترضى أن يحقن دمه.
 وكان يتمنى الموت مما لاقى من الذلّ بعد العزّ، وما كان ممن يرضى بالذل، فحمل
 على قلبه، ومَرَضَ، فألقى كَبِدَهُ قِطْعاً، وتوفي في المحرّم، ودُفِنَ بمقابر الخيّران.
 [وفيها توفي]

الشيخ ابو البيان الزاهد^(٣)

واسمه نبا بن محمد^(٤)، ويعرف بابن الحوراني، تشاغل بالزهد، و[ونشأ على]^(٥) الاشتغال
 بالعلم، وصحبة الصّالحين، وحُسن الطريقة والعَفَاف والصّيانة، [وكان]^(٦) محباً للعلم والعلماء.

(١) في (ع) و (ح)، ذكر شوقه، وهو تحريف، وما بين حاصرتين من «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ١/ ٣١٤-٣١٥.

(٢) قطب الدين هو العبادي، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٥٤٧هـ)، وابن الدهان هو محمد بن علي بن شعيب أبو شجاع، وسترّد ترجمته في وفيات سنة (٥٩٢هـ).

ومعنى العبارة أوضحه ابن الجوزي بقوله: كان -أي الغزنوي- إذا نبغ واعظ سعى في قطع مجلسه، ولما مال الناس إلى ابن العبادي قل زبونه، فكان يبالغ في ذمه، فقام بعض أذكاء بغداد في مجلس العبادي فأنشده، ثم ذكر البيتين، ثم قال: وأراد ابن الغزنوي: قد قام للناس، لأنه كان يلقب بالبرهان، وهذا من عجيب ذكاء البغداديين. والبيتان في «الخريدة» مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٥١٢، و«معجم الأدباء»: ٢١٣/١٩-٢١٤، و«كتاب الروضتين»: ٣٣٠/١، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٢٦-٣٢٧، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٤) في (ع) و (ح): محمد أبو البيان الشيخ الزاهد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٥) في (ع) و (ح): تشاغل بالزهد والاشتغال بالعلم.. وما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٦) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

[قال أبو يعلى ابن القلانسي: توفي في هذه السنة]^(١) ودفن بالبَاب الصَّغِير عند قبور الصحابة رضي الله عنهم، وكان له يومٌ مشهود^(٢).

[قلت: وحكى لي بعضُ مشيخة دمشق أنَّ أبا البيان]^(٣) دخل يوماً من باب السَّاعات إلى جامع دمشق، فنظر إلى أقوام في الحائط الشمالي يَثْلُبُونَ أعراضَ النَّاسِ، فاستقبل القبلة، ورفع يديه، وقال: اللهم، كما أنسيتَهُمْ ذِكْرَكَ، فأنسِهِمْ ذِكْرِي.
^(٣) وفيها توفي:]

أبو العزِّ القرشي الصُّوفي^(٤)

ويقال له ابن أبي الدنيا، وليس في الدنيا من يقال له ابن أبي الدنيا غير أبي بكر^(٥)، وهذا، وهو بصري، وكان يسكن المشان^(٦)، وكان أبوه محتسب البصرة، وكان أبو العز شاعراً فاضلاً، ومن شعره: [من الرجز]

وَدَمْعُ عَيْنِي هَاطِلاً غَمَامُهُ	مَا بِالْقَلْبِ زَائِداً غَرَامُهُ
عَلَى الْحِشَالِ لَا يَنْطَفِي ضِرَامُهُ ^(٧)	وَذَلِكَ الْجَمْرُ الَّذِي خَلَّفْتُمُ
عِنْدِي طَرَفٌ خَائَهُ مَنَامُهُ	يَا نَاعِمِينَ بِالرُّقَادِ عَيْشُهُ
لَوْلَا انْفِجَارُ الصُّبْحِ وَابْتِسَامُهُ	مَا أَطْيَبَ اللَّيْلَ الطَّوِيلَ وَالْبُكَاءُ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) «ذيل تاريخ دمشق»: ٥١٢.

(٣) في (ع) و (ح): أبو العز بن أبي الدنيا القرشي الصوفي البصري، وكان أبوه محتسب البصرة، وكان أبو العز شاعراً، من شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٤) هو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن المظفر بن أبي الدنيا القرشي الصوفي. له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج ٢/ج ٤/٧٥٧-٧٥٨، و«النجوم الزاهرة»: ٣٢٤/٥ - وقد أخطأ إذ جعل الشاعر أباه - وورد ذكره في «إنباه الرواة»: ٢٤٣/٢ في ترجمة علي بن الحسن بن إسماعيل العبدى: وفيه أبو المعز.

(٥) هو المحدث المشهور صاحب التصانيف السائرة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي مولاهم، البغدادي المؤدب، المتوفى سنة (٢٨١هـ)، انظر ترجمته في «تاريخ بغداد»: ٩١-٨٩/١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٩٧/١٣-٤٠٤، وفيه مصادر ترجمته.

(٦) المشان بلدة قريبة من البصرة وهي وخة، كان إذا سخط ببغداد على أحد ينفي إليها، انظر «معجم البلدان» ١٣١/٥، و«وفيات الأعيان»: ٦٧/٤.

(٧) في (م) و (ش): غرامه، وهو خطأ.

إِنَّ الْكَرَى بَشَّرَنِي بِوَصْلِكُمْ نِعَمَ الْكَرَى إِنَّ صَدَقْتَ أَحْلَامُهُ
ولست أدري والذي سَنَّ الهوى سِهَامُكُمْ أَقْتُلُ أُمَّ سِهَامُهُ^(١)

السَّنة الثَّانِيَّة والخمسون وخمس مئة

فيها حُوصِرَت بغداد، جَمَعَ مُحَمَّدُ شَاهُ التُّرْكَمَانِ والأكراد، وقُرِبَ من بغداد، وبعث إلى الخليفة يَطْلُبُ الخطبة والسُّلْطَنَةَ، فقليل له: السُّلْطَانُ هو سنجر وأنتم مختلفون. وعَرَضَ الخليفة العساكر، وجاء خطلبرس من واسط، وعصى أرغش صاحب البصرة، وأخذ واسطاً، واستعدَّ الخليفة للحصار، وجَمَعَ السُّفُنَ إلى تحتِ النَّجَاحِ، وذلك في سادس عشرة المحرَّم، ونودي: لا يبقى في الجانب الغربي أحدٌ. فَعَبَرَ النَّاسُ بَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلَهُمْ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ، وجاء مُحَمَّدُ شَاهُ، فَعَبَرَ دِجْلَةَ من فوق حَرَبِي، ونَهَبَ الدُّجَيْلَ وَأَوَانَا وَغَيْرَهَا، وجاءه كُوجُكُ بعساكر المَوْصِلِ والجزيرة، واتفقا، وضرب مُحَمَّدُ شَاهُ خِيَامَهُ بِالرَّمْلَةِ، وقطع الخليفة الجسر، وأخذ زواريقه إلى تحت النَّجَاحِ، وأخرج سبعة آلاف جوشن، ففَرَّقَهَا، ولبس النَّاسُ السِّلَاحَ، ونَصَبَ الخليفة المجانيق والعَرَّادَاتِ فَكَانَتْ مِثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنْجَنِيْقاً وَعَرَّادَةً، فِي كُلِّ مِنْجَنِيْقٍ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، وَكَانَ يُخْرِجُ كُلُّ يَوْمٍ مِنَ الْخَزَانَةِ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ كُرٍّ حَنْطَةٍ يُطْعِمُهُ النَّاسُ، وَأَذِنَ لِلْوَعَّازِ فِي الْجُلُوسِ بَعْدَ مَنَعِهِمْ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ، فَجَعَلُوا يَحْرِضُونَ النَّاسَ عَلَى قِتَالِ الْبَغَاةِ وَالْخَوَارِجِ.

وفي العشرين من المحرَّم ركب عساكر مُحَمَّدُ شَاهُ وَكُوجُكُ، وَجَاؤُوا إِلَى الرَّقَّةِ^(٢)، وَوَقَفُوا بِإِزَاءِ النَّجَاحِ، وَرَمَوْا بِالنُّشَابِ إِلَى النَّجَاحِ، وَرَكِبَ إِلَيْهِمْ صَبِيَّانِ بَغْدَادَ فِي السُّفُنِ، وَرَمَوْا بِالنُّشَابِ وَقَاتَلُوهُمْ، وَضَرَبُوا أَمِيرًا مِنْهُمْ بِالنَّفْطِ فَأَحْرَقُوهُ، وَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ، فَرَجَعُوا.

فلما كان يوم السبت ثالث صفر، ركبوا بجمعهم، وانتشروا على دجلة، وخرج إليهم عسكر الخليفة في السُّفُنِ، وجاءتهم سفن من واسط فيها ميرة وما يحتاجون إليه،

(١) الأبيات في «الخريدة» مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) الرقة هي البستان المقابل للنجاح من دار الخلافة ببغداد، وهي بالجانب الغربي، «معجم البلدان»: ٦٠/٣.

فأقامت في المدائن، وجاءت أكلاك^(١) من الموصِل فيها ميرة وزاد، فأخذها أصحاب الخليفة.

وفي سادس عشرة صفر وصل ركابي من هَمَذان يخبر بدخول ملك شاه إليها، وأنه نهبها، وكَبَسَ دور المخالفين الذين مع محمد شاه.

ولما كان عشية الجمعة سَلَخَ صفر عَبَرَ في السفن جماعة منهم إلى دار السُلطان، فخرج إليهم منكورس الشُّحنة، فَقَتَلَ منهم جماعة، ورمى الباكون نفوسهم في الماء، وفرَّق الخليفة في الأتراك في يوم واحد خمسة وعشرين ألف نُشابة، ومئتين وستين كُرَّ حنطة، ولم يأخذ من أحدٍ من أهل بغداد درهماً، ولا استقرض شيئاً.

ولما كان يوم الخميس العشرين من ربيع الأول جاؤوا بأربع مئة سُلَم، واجتهدوا أن يلصقوها إلى السور فلم يقدرُوا، وأحرقها عوامُ بغداد، وبَطَلَت الصَّلوات يوم الجمعة في الجانب الغربي والرُّصافة، وكان يصلي في جامع القصر نفرٌ يسير، واحتوى محمد شاه على جانبي بغداد، ولم يبق إلا حريم دار الخليفة.

ووصلت امرأة سليمان شاه بنت خوارزم شاه، وكانت قد أَصْلَحَت بين ملك شاه وبين الأمراء بهَمَذان، وخرجت متنكِّرة في زيِّ الصُّوفية للحاج عليها مُرَقعة، وفي رجلها طرسوس^(٢)، كأنها من جُملة الشَّحاذين، فجاءت إلى عسكر محمد، وتوصلت إلى الرِّقَّة مقابل التاج، وقالت لبعض الملاحين: صِخْ لي بقائدٍ من قواد أمير المؤمنين يعرف الوزير أن لي إليه حاجة. فبعث الوزير إليها حاجباً، فعَرَفَتْه نفسها، فَعَبَرَ بها، فدخلت على الوزير، فقام لها قائماً، وأكرمها وعَرَّفَ الخليفة، فأفرد لها داراً قريبة منه، وحَمَلَ إليها ما يصلح، وكان معها ركابي، فأخرج الكتب من ملك شاه بأنَّه دخل هَمَذان، ونَقَضَ الكشك الذي لمحمد شاه، ونقض دور المخالفين ونهبهم.

(١) أكلاك جمع، مفردها الكَلَك: الطوف، وهو قرب ينفخ فيها، ويشد بعضها إلى بعض كهيئة سطح فوق الماء، تحمل عليه الميرة والناس، وربما كان من خشب يشد ويركب عليه، أو يسوى من قصب وعيدان يشد بعضها فوق بعض، ثم يقط حتى يؤمن انحلالها. «معجم متن اللغة»: ٦٤٩/٣، ٩٥/٥.

(٢) كذا في الأصل، وكأنها نوع من الأحذية كان يلبسها الشحاذون، ولم أقف عليها.

والقتال يعمل على بغداد كل يوم إلى سابع ربيع الآخر، فبعث محمد شاه إلى كوجك يقول: أنت وعدتني بأخذ بغداد وما حصّلت، وقد أخذت همّذان، ونُهبت خزائني وأموالي وبيوت أصحابي، وأنا معوّل على الرحيل. فقال كوجك: متى رحلت من غير بلوغ غرض كنت سبباً لقلع بيت السلجوقية وبيوتنا، ولكن اصبر حتى نعبّر غداً إلى القوم، ونرمي هذه الغرائر^(١) في الخندق، وننصب السلالم، ونحمل حملة رجل واحد، فنأخذ البلد.

وجاء ركابي إلى محمد شاه يُخبره بأنّ ملك شاه أخذ له أربعة آلاف بُختية، ونُهبت خزائنه وبيوت أمراءه، وبلغ أمراءه، فاستأمن منهم جماعة إلى الخليفة، وبعث ملك شاه يقول للأمراء: إن لم تنفصلوا عن بغداد وإلا سيّئت نساءكم، وقتلت أولادكم، وأنا منتظر أمر أمير المؤمنين، فإنّ أمرني بقصدكم قصّدتكم، وإنّ أمرني أن أسير إلى الموصل سرت.

واستوحش محمد شاه من كوجك، وقال: أنت أخربت بيتي. وهمّ بالقبض عليه، فاستوحش زين الدين منه وقال له: إن لم آخذ لك بغداد في ثلاثة أيام، وإلا فما أنا كوجك. فلمّا كان يوم الأحد ثاني عشرة ربيع الآخر قال كوجك لمحمد: اعبر أنت اليوم، وأصبح يوم الثلاثاء على القتال حتى أعبر أنا ونحن على تعبئة. قال: نعم. وأصبح محمد شاه، فعبّر أصحابه إلى الجانب الشرقيّ على الجسر، فلما كان وقت العشاء قطع كوجك الجسر، وضرب على خزائن محمد شاه وخيله وخيامه، وسار طالباً الموصل، وأحرق الغلال التي كانت في الأسواق، وبقي محمد شاه في أصحابه لا غير في الجانب الشرقي لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً، فسار ليلة الأربعاء طالباً همّذان، وأمر الخليفة أن لا يتبعوه، وجاءت الرّجالة إلى دار السلطان فنهبوا، وكانت فيها أموال كثيرة حتى قلّعوا الأبواب والسقوف.

وسبب رحيلهم أن الوزير ابن هُبيرة أصلح كوجك، وضمن له مالاً وبلاداً، وقال: ما يحصل لك من محمد شاه شيء، وربما قبض عليك، وقيل: إنّ كتاب نور الدين وصل إلى كوجك يقول: الواجب أن تذهب إلى تحت التّاج، وترمي نفسك وتعتذر،

(١) الغرائر جمع، مفرداها الغرارة: وهي الجوائق، وهو وعاء من أوعية الطعام البرّ، والعامّة تقول: شوال. انظر «معجم متن اللغة»: ٦٠٧/١، ٢٨١/٤، وكانوا قد حشوا هذه الغرائر حصي ورملاً ليسدوا الخندق. انظر «المنتظم»: ١٧٢/١٠.

وإلا قصدت الموصل وأخربتها ونزلت بغداد، وأين ما كنت قصدت. وقيل: إن ابن هُبيرة كان يُنشئ كلَّ يوم مكاتباتٍ على لسان مَنْ بهمذان من الأمراء، ويعطيها للركابية فيوصلونها إليهم بالطف حيلة بأنها قد وردتنا من همذان، وكُتب من الأمراء الذين مع محمد إلى ملك شاه فيوصلونها إليهم، حتى بلغ من أمره أنه أعطى ركباً كُتباً، وقال له: اجعلها في ثيابك، واقرب من عبيدهم، واخلع ثيابك، ودعها على جانب دجلة، واسبح إلى الجانب الشرقي. ففعل، وجاء أصحاب محمد فرأوا الثياب فقالوا: قد غرق صاحبها، نزل يسبح وبقيت هذه. ففتشوها، فظهرت الكتب، فحملوها إلى محمد شاه وهي من ملك شاه إلى أمراء محمد شاه يقول: اعبروا إلى الجانب الشرقي في اليوم الفلاني، فأنا واصل، وأمسكوا محمد شاه. فقال محمد شاه: وأين الذي كانت معه هذه الكتب؟ فقالوا: غرق وبقيت ثيابه. فتخيّل من أمرائه، فرحل.

وفيهما قدم بغداد ابنُ الخُجَندِي الفقيه، ومعه العالم الحنفي صاحب «التعليقة»، وخرَجَ الموكب للقائهما.

وفيهما قدم أبو الوقت بغداد، وأسمع البخاري عن الداودي، وألحق الصغار بالكبار. وفيها كانت زلازلٌ عظيمةٌ بالشَّام وحلب وحمّاة وشيَزر وفامية وكفرطاب والمعرّة وحمص وأنطاكية وطرابلس ودمشق وجميع العواصم، وهلك خلقٌ كثير حتى روي أنَّ معلماً كان بحمّاة في كُتّابٍ، فقام من المكتب يقضي حاجة ثم عاد، وقد وقع المكتب على الصبيان، فماتوا بأسرهم، [وأعجب من هذا أنه لم] ^(١) يأت أحد يسأل عن صبي كان له في المكتب. ووقعت أبراجُ القلاع بحلب وغيرها، وهلك جميع من في شيَزر إلا امرأةً واحدة وخادماً، وساخت ^(٢) قلعة فامية، وانشقَّ تل حرّان نصفين، وظهر فيه بيوتٌ وعمائر [و] نواويس ^(٣)، وانشقَّ في اللاذقية موضع، فظهر فيه صنم قائم في الماء، وخربت صيدا وبيروت وطرابلس وعكا وصور، وجميع قلاع الفرنج، فقال الصّالح بن رُزَيْك يعرضُ بما نال أهل الشَّام والفرنج: [من الخفيف]

(١) في (ع) و (ح): فماتوا بأسرهم، فلم يأت أحد، والمثبت من (م) و (ش).

(٢) أي غاصت. «معجم متن اللغة»: ٢٤٢/٣.

(٣) النواويس جمع، مفردا الناووس: مقابر النصارى، «معجم متن اللغة»: ٥٧٤/٥، وما بين حاصرتين من (م) و (ش).

كره الشَّامُ أَهْلَهُ فَنَفَاهُمْ فحقيقٌ أن لا يقيمَ لبِيبُ
 إن تجلَّتْ عنه الحروبُ قليلاً خلَّفتها زلازلٌ وخُطوبُ
 رَقَصَتْ أَرْضُهُ عَشِيَّةَ غَنَى الرِّ عدُّ في الجوّ والكريمُ طُروبُ
 وتثَنَّتْ حِيطَانُهَا فَأَمَالَتْ ها شَمالٌ بزمِرها وجَنُوبُ
 لا هُبُوبٌ لِنَائِمٍ قَدْ أُنَامَتْ هُ والعاصفاتُ فيها هُبُوبُ
 وأرى البرقَ شامِتاً ضاحِكُ السُّ نَّ والجوّ بالغمامِ قُطُوبُ
 ذكروا آيةً تَذُوبُ بها السُّحُ ب فما للصحُور منها تَذُوبُ^(١)

قال المهدَّب بن الزُّبير^(٢) يخاطب الصَّالح بن رُزِّيك في الزَّلْزلة: [من الكامل]

ما زُلْزِلَتْ أَرْضُ الْعِدَى بِلْ ذَاكَ مَا بقلُوبِ أَهْلِهَا مِنَ الْخَفَقَانِ
 وَأَظُنُّ أَنَّ حَصُونَهُمْ سَجَدَتْ لِمَا أُوتِيَتْ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ سُلْطَانِ
 وَالنَّاسُ أُخْرَى بِالسُّجُودِ إِذَا غَدَا لِعَلَّاكَ يَسْجُدُ شَامِخُ الْجُدْرَانِ^(٣)

وكان الصَّالح بن رُزِّيك قد خرج من مصر بعساكرها إلى السَّاحل، وساعده نور الدين، فالتقوا على غَزَّة، فكانت الدَّبرة^(٤) على الفرنج، فلم يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فقال الجليس يخاطب الصَّالح بن رُزِّيك: [من البسيط]

رُعْتَ الْفَرَنْجَ بِكَسْرِ لَا انْجِبَارَ لَهُ ذَلَّتْ لَهُ بَعْدَمَا عَزَّتْ جِبَابِهَا
 حَاشَتْ جَنُودُكَ بَرَّ الْمَشْرُكِينَ فَمَا يَنْفَكُ مِنْ بَعْدِ مَرْمَاهَا يُغَادِرُهَا
 وقال شاعر دمشقي في الزَّلْزلة^(٥): [من الخفيف]

رَوَّعَثْنَا زَلَازِلَ حَادِثَاتٍ بِقَضَاءٍ قَضَاهُ رَبُّ السَّمَاءِ

(١) القصيدة في «ديوان أسامة ابن منقذ»: ٧ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ٢٩٦ مع اختلاف في بعض ألفاظها، وقد ساقها كذلك أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ٣٣٨-٣٣٩.

(٢) هو أبو محمد الحسن بن علي بن الزبير المتوفى سنة (٥٦١هـ)، انظر ترجمته في «الخريدة» قسم شعراء مصر ٢٠٤-٢٢٥، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٣) انظر الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء مصر: ٢١٠/١، وقد ساق منها مقاطع طويلة، وانظر «الروضتين»: ٢٦-٢٧.

(٤) الدبرة: الهزيمة في القتال. «معجم متن اللغة»: ٣٧٢/٢.

(٥) في (ع): وقال أيضاً، والمثبت من (ح).

هَدَمْتُ حِصْنَ شَيْزَرٍ وَحِمَاةَ
وَبِلَاداً كَثِيرَةً وَحُصُوناً
وَإِذَا مَا رَنْتَ عِيُونَ إِلَيْهَا
وَإِذَا مَا قَضَى مِنَ اللَّهِ أَمْرٌ
حَارَ قَلْبُ اللَّبِيبِ فِيهِ وَمَنْ كَا
جَلَّ رَبِّي فِي مُلْكِهِ وَتَعَالَى
وَفِيهَا مَلِكُ نَوْرِ الدِّينِ [مَحْمُودٌ] ^(٢) حِصْنَ شَيْزَرٍ، وَزَالَ مَلِكُ بَنِي مُنْقِذِ الْكِنَانِيِّينَ.

ذِكْرُ أَيَّامِهِمْ: قَدْ ذَكَرْنَا ^(٣) أَنَّ الْأَمِيرَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ الْمُقَلَّدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مُنْقِذِ مُلْكِهَا
سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعَ مِائَةٍ، وَتَوَفَّى سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ، وَمُلْكُهَا وَلَدُهُ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ،
وَكَانَ حَسَنَ السَّيْرِ، وَلَمَّا احْتَضَرَ أَوْصَى إِلَى أَخِيهِ أَبِي سَلَامَةَ مُرْشِدَ بْنِ عَلِيٍّ فَقَالَ:
وَاللَّهِ لَا وَلِيَّتُهَا، وَلَا خَرَجَنَ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْهَا. وَوَلَاهَا أَخَاهُ أَبَا الْعَسَاكِرِ سُلْطَانَ
ابْنِ عَلِيٍّ، وَكَانَ أَصْغَرَ سِنًا مِنْهُ، فَاتَّفَقَا مَدَّةً عَلَى أَحْسَنِ صُحْبَةٍ، فَوَلَدَ مُرْشِدُ أَوْلَاداً
ذَكَوَرَاءً، فَكَبُرُوا، وَسَادُوا، مِنْهُمْ: عِزُّ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ وَمُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ أَسَامَةُ ابْنَا
مُرْشِدٍ، وَكَانُوا عَلَى مَا قِيلَ عَشْرِينَ وَلِداً، وَلَمْ يُولَدْ لِسُلْطَانَ وَلَدٌ ذَكَرَ إِلَى أَنْ عَلَتْ سِنُهُ،
فَجَاءَهُ أَوْلَادُهُ صُغَارٌ، فَحَسَدَ أَخَاهُ مُرْشِداً عَلَى أَوْلَادِهِ، وَخَافَ عَلَى أَوْلَادِهِ الصُّغَارِ
مِنْهُمْ، وَكَانَا فَاضِلَيْنِ يَقُولَانِ الشُّعْرَ، وَسَعَى الْوِشَاةُ بَيْنَهُمَا، فَتَغَيَّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى
صَاحِبِهِ، وَالْأَمْرُ بَيْنَهُمَا مُسْتَوِّرٌ إِلَى سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، فَمَاتَ مُرْشِدٌ، فَقَوِيَ
أَخُوهُ سُلْطَانُ عَلَى أَوْلَادِ أَخِيهِ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ شَيْزَرٍ.

وَحَكَى مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ أَسَامَةُ بْنُ مُرْشِدٍ سَبَبَ إِخْرَاجِهِمْ، فَقَالَ: كُنْتُ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ
عَلَى مَا قَدْ عَلِمَهُ النَّاسُ، فَأُخْبِرْتُ أَنَّ بَدْخَلَةَ ^(٤) قَرِيبَةً مِنْ شَيْزَرٍ أَسَدَاءَ ضَارِيَاً، فَرَكِبْتُ فَرَسِي،
وَأَخَذْتُ سَيْفِي، وَلَمْ أُخْبِرْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ لئَلَا يَمْنَعُونِي عَنْهُ، فَلَمَّا أَتَيْتُ الدَّخْلَةَ ^(٤) نَزَلْتُ

(١) فِي (ع) وَ (ح): بِالْبُكَاءِ، وَالمُثَبَّتُ مِنْ «ذِيلِ تَارِيخِ دِمَشْقَ»: ٥٢٧، وَ «الرُّوضَتَيْنِ» ١/ ٣٣٣، وَالْأَيَّاتُ فِيهِمَا.

(٢) مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْ (م) وَ (ش).

(٣) فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٤٧٤هـ).

(٤) فِي (ع) وَ (ح): بِدَجَلَةٍ - بِالْجِيمِ - وَإِخَالَهَا دَخْلَةٌ - بِالْخَاءِ - وَكَأَنَّهَا بِمَعْنَى الْأَجْمَةِ، لِأَنَّ الدَّخَلَ: الشَّجَرُ الْمُلْتَفُّ.

«مَعْجَمُ مَتَنِ اللُّغَةِ»: ٢/ ٣٨٨.

عن فرسي، وربطتها، وشهرت سيفي، فلما رأي الأسد حمل عليّ، فضربته بالسيف على رأسه، فقتلته، ثم قطعت رأسه، وتركته في مخلاة وعدت إلى شيزر، فألقيت الرأس بين يدي والدتي، وحدثتها الحديث، فقالت: يا بني، تجهّز للخروج من شيزر، فوالله لا يمكنك عمك من المقام فيها، ولا لأحد من إخوانك وأنتم على هذه الحال من الإقدام والجُرأة. وبلغ عمي، فأمر من الغد بإخراجنا كلنا، ففرقنا في البلاد، وقصدنا نور الدين^(١) لينجدنا على عمنا، فلم يمكنه قصده خوفاً أن يسلم الحصن إلى الفرنج.

ثم توفي سلطان وولي أولاده، فكاتبوا الفرنج، وبلغ نور الدين، فازداد عليهم حنقا، واتفق مجيء الزلازل، فهدمت الحصن، وهرب أولاد عمي سلطان، فجاء نور الدين، فوقف عليها وعمرها أحسن ما كانت، وهي مدينة حصينة على حجر عالٍ، وله طريق منقور في الجبل في طرفه، وله جسر خشب، فإذا قطع تعذر الوصول إليه، والعاصي خنقه.

وقال العماد الكاتب: الأمراء بنو منقذ الكنانيون ملوك شيزر، أهل المجد والحسب، والفضل والأدب، والسماحة والفصاحة، والحماسة والحراسة، والإمارة والرياسة، اجتمعت فيهم أسباب السيادة، ولاحت من سيرتهم أسرار السعادة، وخلفوا المجد أولاً كآخر، وورثوا الفضل أصاغر عن أكابر، فأما الأدب فهم شموه المشرقة، ورياضه المؤنقة، وحياضه المغدقة، وأما النظم فهم فرسان ميدانه، وشجعان فرسانه، وأرواح جثمانه، وما زالوا مالكي شيزر، معتصمين بحصانتها، ممتنعين بممانعتها حتى جاءت الزلزلة في سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة، فخربت حصنها، وأذهب حُسْنها، وتملكها نور الدين، فأعاد بناءها، وهذب أبنائها، وتشعبوا شعباً، وتفرقوا تفرق أيدي سبا^(٢).

وحجّ بالناس من العراق قيمار.

(١) هذه الرواية ساقها ابن الأثير في «الباهر»: ١١٢ وفيها: فقصدوا الملك العادل نور الدين. فقله هنا:

«وقصدنا نور الدين» على أنها من تنمة قول أسامة، فيه لبس، وكلا العبارتين خطأ، لأن أسامة حين خرج

هذه المرة من شيزر وهي سنة (٥٣٢هـ) قصد دمشق، وأقام بها ثمانين سنين، ثم رحل منها إلى مصر سنة

(٥٣٩هـ)، ولم يكن نور الدين قد ملك بعد، وقد اتصل أسامة بنور الدين بعد عوده من مصر سنة

(٥٤٩هـ). انظر «الاعتبار» لأسامة ابن منقذ: (٢٧-٢٩) (طبعة السامرائي)، و«تاريخ دمشق»

لابن عساكر: ٧٠٢/٢، وانظر «الروضتين»: ٣٥٥/١، ٤٣٢/٢

(٢) انظر «سنا البرق الشامي»: ٢٢٦-٢٢٧، و«الروضتين»: ٤٣٢/٢-٤٣٣.

وفيهما توفي

أحمد بن عمر أبو الليث السَّمَرْقَنْدِي الحَنْفِي^(١)

كان حسنَ السَّمت، وصنَّف التَّصانيف الحِسان، وحجَّ وعاد إلى بغداد، وودَّع الناس، وأنشد: [من مخلع البسيط]

يا عالم الغُيب والشَّهادَة منِّي بتوحيذك الشَّهادَة
أسأل في غُربتي وكُربِي منك وفاتي على الشَّهادَة
وخرج في قافلة، فلمَّا كان قريباً من قُومِس، قَطَعَ قومُ الطَّرِيق على القافلة، وقتلوا جماعةً من العلماء، وقتلوه شهيداً، رحمه الله

أحمد بن المبارك بن محمد بن عبد الله^(٢)

ولد سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة، ومن شعره دوبيت:

ساروا وأقام في فُؤادي الكَمَدُ لم يَلَقَ كما لقيت منهم أَحَدُ
شوقٌ وجَوَى ونارٌ وجِدِ تَقَدُّ مالي جَلَدٌ ضَعُفْتُ مالي جَلَدُ^(٣)
وقال: [دوبيت]

هذا ولهي وكم كَتَمْتُ الولها صَوْناً لحديثٍ منْ هوى النَّفس لها
يا آخِرَ محنتي ويا أوَّلها أيامُ عنائي فيك ما أطولها^(٤)

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٧٧/١٠، و«الجواهر المضية»: ٢٢٦-٢٢٨/١، و«النجوم الزاهرة»: ٣٢٦/٥، و«الطبقات السنية»: ٤٨١-٤٨٣/١، و«الفوائد البهية»: ٢٩.

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج ١/ج ٣/٣٨٦-٣٨٣، و«وفيات الأعيان»: ٢٢٧-٢٢٨/٤، و«الوافي بالوفيات»: ٣٠٣-٣٠٤/٧، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ٤٨٨/١، و«النجوم الزاهرة»: ٣٢٦/٥، وقد ذكر العماد وابن خلكان أنه توفي سنة (٥٥٢هـ) أو (٥٥٣هـ). وكان شاعراً ماهراً.

وهو أخو الفقيه الشافعي محمد بن المبارك، وقد ترجم له ابن الجوزي في «المنتظم» ١٧٩-١٨٠/١٠ و«ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٢٢٧/٤، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ١٧٦-١٧٧/٦، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ٤٨٦-٤٨٧/١، و«الوافي بالوفيات» ٣٨١/٤، وذكروا وفاته في سنة (٥٥٢هـ) كذلك.

(٣) «خريدة القصر»: مج ١/ج ٣/٣٨٤.

(٤) «خريدة القصر»: مج ١/ج ٣/٣٨٥، و«وفيات الأعيان» ٢٢٨/٤ مع اختلاف في بعض الألفاظ، وروايته في «الوافي بالوفيات»: ٣٠٣/٧ مثل رواية السبط، والصفدي غالباً ما ينقل عنه دون أن يسميه.

الحسن بن جعفر بن حمزة، البَغْلَبَكِيُّ الأَنْصَارِيُّ^(١)

ويعرف بابن بُرَيْك، من ولد النُّعْمَان بن بشير، نَظَرَ في وقف جامع دمشق، ومن شعره: [من الطويل]

أَحِنُّ إِلَيْكُمْ كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَأَذْكُرُ ذَاكَ الْمَوْرَدَ الْعَذْبَ مِنْكُمْ
وَكَمْ لِي مِنْكُمْ أَنَّنِي بَعْدَ زَفَرَةٍ
كَأَنَّ فُؤَادِي قَدْ تَذَكَّرَ مَا مَضَى
وقال: [من الطويل]

وَأَسْأَلُ عَنْكُمْ كُلَّ غَادٍ وَرَائِحِ
فَيَغْلِبُنِي مَاءُ الْجَفُونِ الْقَرَائِحِ
تُهَيِّجُ وَجْداً كَامِناً فِي الْجَوَانِحِ
بِقُرْبِكُمْ تَغْتَالُهُ^(٢) كَفْتُ جَارِحِ

أَمْرٌ مَذَاقاً مِنْ هُجُومِ الْمَصَائِبِ
لَهَا فِي الْحِشَا وَخُزْ كَلْدَغِ الْعِقَارِبِ
أَبْرَدُ أَشْجَانِي بِهَا وَمِشَارِبِي
جَنَيْتُ فَجَازَانِي بِبُعْدِ الْأَقَارِبِ
وَرَوْعَةً مَصْحُوبٍ لَغِيْبَةٍ صَاحِبِ
وَلَا سِيَّماً كَوْنِ الْحَسُودِ مُنَاصِبِي
فَيَحْمَدُنِي بَعْدَ الْمَذَلَّةِ عَائِبِي
مِنَ الْوَابِلِ الْوَسْمِيِّ أَغْذَبَ صَايِبِ
تَحَدَّرُ سُخْباً مِنْ جُفُونِ السَّحَائِبِ
يَرِقُّ بِهَا لِي كُلُّ مَاشٍ وَرَاكِبِ
وَيَسْعَدُ مُشْتَاقٌ بِرُؤْيَا آيِبِ
وَلَكِنَّهُ لِلْبَيْنِ ضَرْبَةٌ لَا زِبِ
وَجُمَلَتُهَا مَا بَيْنَ مُخِطٍ وَصَائِبِ
وَأَصْبُو إِلَيْكُمْ يَا مُنَى كُلِّ طَالِبِ^(٣)

بِقَلْبِي دَاءٌ مِنْ فِرَاقِ الْحَبَائِبِ
وَفِي كَبْدِي مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ حَرْمَةٌ
فَهَلْ لِفُؤَادِي مِنْ جَوَى الْبَيْنِ رَاحَةٌ
فَمَا لِي وَالذَّهْرَ الْخَوْوْنَ كَأَنَّمَا
أَبَى الذَّهْرُ إِلَّا شَتَّ شَمْلِي وَفُرْقَةً
حَبَانِي مِنْ بَعْدِ الْأَخْلَاءِ جَفْوَةً
سَأَطْلُبُ وَصَلاً أَوْ أَمُوتُ بِحَسْرَةٍ
سَقَى اللَّهُ مَغْنَى مِنْ شَقِيئُ لَبِينِهِمْ
وَقَفْتُ بِهِ أَذْرِي دَمَوْعاً كَأَنَّمَا
وَكَمْ لِي بِهِ مِنْ أَنَّنِي بَعْدَ وَفْقَةٍ
يَقُولُونَ صَبِراً عَلَّ ذَا الْبَيْنِ يَنْقُضِي
لِعَمْرِي مَا صَبْرِي مَفِيدِي رَاحَةٌ
سَهَامُ الرِّزَايَا دَهْرَهَا تَرَشُّقُ الْوَرَى
يَزِيدُ غِرَامِي كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٤/ ٤٢٠-٤٢٢، و«مختصره» لابن منظور: ٦/ ٣٢٣-٣٢٥.

(٢) كذا في (ع)، وهي كذلك في تاريخ «ابن عساكر»، وفي (ح) كتب تحتها بخط دقيق: فاغتاله، إشارة إلى أنها نسخة.

(٣) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر».

وقال أيضاً من شعره: [من مجزوء الرمل]

قَابِلِ الْبَلَوِ إِذَا حَلَّ
فَلْعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَوْ
كَمْ عَهْدُنَا نَكْبَةً حَلَّ
لَنْ يَنَالَ الْحَازِمُ النَّدْ
لَا وَلَا يَذْفَعُ عَنْهُ
كُلَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْ دُنْ
وَاللِّيَالِي نَاتَجَاتُ
وكانت وفاته ببعلبك في المحرم.

ثُ بَصْبِرٍ وَمَسْرَةٍ
لِيكَ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرَةٍ
ثُ فَوَلَّتْ بَعْدَ فَتْرِهِ
بُ^(١) مُنَى نَفْسٍ بِقُدْرَةٍ
مَنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ ذَرَّةُ
يَاكَ بُؤْسٌ وَمَضَرَّةُ
لِلوَرَى هَمًّا وَفِكْرَةً^(٢)

السُّلْطَانُ سَنَجَرُ بْنُ مَلِكٍ شَاهٍ^(٣)

ابن ألب رسلان، أبو الحارث، وقيل اسمه أحمد، ويسمى بسنجر، لأنه ولد بسنجر في رجب سنة تسع وسبعين وأربع مئة حين توجه أبوه إلى غزو الروم^(٤)، ونشأ ببلاد الخزر، وسكن خراسان، واستوطن مرو، وكان قد دخل بغداد مع أخيه محمد على المستظهر بالله، قال سنجر: لما وقفنا بين يديه ظن أنني أنا السلطان، فافتتح كلامه معي، فخدمت وقلت: يا مولانا أمير المؤمنين السلطان هو أخي. وأشرت إلى محمد، ففوض إليه السلطنة، وجعلني ولي عهده.

فلما مات محمد خطب سنجر بالسلطنة، واستقام أمره، وكان عادلاً، وجلس على سرير الملك إحدى وأربعين سنة، وكان قبلها في ملك نحواً من عشرين سنة، وخطب

(١) النذب: الخفيف في الحاجة. «اللسان» (ندب).

(٢) في «تاريخ ابن عساكر»: وحسره، والأبيات فيه.

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» ٥٢٨، و«الأنساب»: ١٥٩/٧، و«المنتظم» ١٧٨/١٠، «مختصر تاريخ دولة

آل سلجوق»: ٢٣٦-٢٥٩، «الكامل»: ١١/٢٢٢-٢٢٣، و«الروضتين»: ١/٣٥٩-٣٦٠، و«وفيات

الأعيان» ٢/٤٢٧-٤٢٨، «الوافي بالوفيات»: ١٥/٤٧١-٤٧٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/٣٦٢-٣٦٥،

وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٤) ذكر السمعي في «الأنساب»: أن العادة عند الأتراك أنهم يسمون أولادهم بأسماء المواضع.

له على عامّة منابر الإسلام، وأسرّه الغُرُّ أربع سنين، ثم خَلَصَ، فَجَمَعَ إليه أطرافه بمرّو، وكاد مُلْكُهُ يرجع إليه، فأدرّكته المنية يوم الاثنين رابع وعشرين ربيع الأول، ودفن بمرّو في قُبَّة بناها لنفسه سماها دار الآخرة.

وقال أبو سعد ابنُ السَّمْعَانِي: دخلنا عليه في مَرَضٍ موته في جماعةٍ من العُلَمَاء والمحدّثين، فصافَحْنَا بكلتا يديه، وسألنا الدُّعاء، وقال كلاماً بالفارسية معناه: ما يفي هذا بذاك. وبكى وبكىنا لبكائه، ودُفِنَ في قُبَّتِهِ بمرّو في مدرسته التي بناها. وقيل: إنّه مات بترمذ.

وروى الحديث عن النبي ﷺ، وأصابه صَمَمٌ في آخر عمره، ولما بلغ خبره إلى بغداد قطعوا خطبته، ولم يقعدوا له في العزاء، فقعدت امرأة سليمان شاه له يوماً، فبعث الخليفة، فعزّاها فيه، وأقامها من العزاء، واستقرّ المُلْك بعده لابن أخيه أبي القاسم محمود بن محمد بن ملك شاه^(١).

عبد القاهر بن عليّ ابن أبي جرادة^(٢)

أبو البركات^(٣)، مخلص الدين الحلبي.

كان فاضلاً أميناً على خزائن نور الدين محمود بن زنكي، وتوفّي بحلب في رمضان.

علي بن مَرَضِي بن علي^(٤)

أبو الحسن، المَعَرِّي التُّوْخِي.

(١) كذا قال، وهو وهم، إذ إن محموداً هذا توفي سنة (٥٢٥هـ)، ولعل المراد هو محمود بن محمد الخان ابن أخت السلطان سنجر، فقد ولي خراسان عقب سنجر، وخلع سنة (٥٥٧هـ)، انظر «مختصر تاريخ دولة آل سلجوق»: ٢٥٩، «الكامل» لابن الأثير: ٢٧٢/١١-٢٧٣.

(٢) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٥٢٨-٥٢٩، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢١٩/٢-٢٢٣، و«معجم الأدباء»: ١٦/١٦-١٩، و«الروضتين»: ٣٦٠/١، و«الوافي بالوفيات»: ٤٩/١٩.

(٣) في (ع) و (ح): أبو المبرد، وهو تحريف، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٤) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٥٤٢-٥٤٤، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٤٩/٢.

سَكَنَ دِمَشْقَ، وَعَادَ إِلَى حِمَاةَ، فَمَاتَ فِي الزَّلْزَلَةِ، وَمِنْ شِعْرِهِ: [من مجزوء الكامل]
 لَا تُقْدِمَنَّ عَلَى الْمَظَا لِمِ وَقَصِّ عَنْكَ الظُّلْمَ بُعْدَا
 فَالْدَّهْرُ قَدْ يُعْدِي عَلَى مَنْ كَانَ فِيهِ قَدْ تَعْدَى^(١)

محمد بن عبد اللطيف بن محمد^(٢)

ابن ثابت، أبو بكر الحُجَنْدِي، صَدْرُ الدِّينِ، مِنْ بَيْتِ الرِّيَاسَةِ وَالْفَضْلِ وَالتَّقْدِمَةِ بِأَصْبَهَانَ.
 قَدِمَ بَغْدَادَ، وَدَرَّسَ بِالنِّظَامِيَّةِ، وَوَعِظَ بِهَا، وَكَانَ يَجْلِسُ وَحَوْلَهُ السُّيُوفُ، وَهُوَ أَشْبَهُ
 بِالْوُزَرَاءِ مِنْهُ بِالْعُلَمَاءِ، وَكَانَ الْمُلُوكُ يَصْدُرُونَ عَنْ رَأْيِهِ.

خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ يَرِيدُ أَصْبَهَانَ، فَبَاتَ بِقَرْيَةٍ، فَأَصْبَحَ مَيِّتًا فِي شَوَّالٍ، وَحُمِلَ إِلَى أَصْبَهَانَ.

محمد بن عبيد الله، أبو بكر ابن الرَّاغُونِي^(٣)

وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَأَرْبَعَ مِئَةٍ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي
 رَبِيعِ الْآخِرِ، وَدُفِنَ عِنْدَ أَخِيهِ^(٤) بِيَابِ حَرْبٍ.

محمد بن أبي الهيجاء الأصبهاني^(٥)

قَدِمَ بَغْدَادَ أَيَّامَ الْمُقْتَفِي، فَوَلَاهُ عَرَضَ الْعَسَاكِرِ، وَكَانَ ذَا دِهَاءٍ، وَمِنْ شِعْرِهِ: [من الطويل]
 إِذَا لَمْ أَنْلُ فِي دَوْلَةِ الْمَرْءِ غِبْطَةً وَلَمْ يَغْشَنِي إِحْسَانُهُ وَرَعَايَتُهُ
 فَسَيَّانَ عِنْدِي مَوْتُهُ وَحَيَاتُهُ وَسَيَّانَ عِنْدِي عَزْلُهُ وَوَلَايَتُهُ^(٦)
 وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِبَغْدَادَ.

(١) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر».

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء أصبهان: ٢٤٢/١ - ٢٤٥، و«المنتظم»: ١٧٩/١٠، و«الكامل»: ٢٢٨/١١، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ١٣٣/٦ - ١٣٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٨٦-٣٨٧/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٧٩/١٠، و«معجم البلدان»: ١٢٧/٣ - وفيه وفاته سنة (٥٥١هـ) - و«سير أعلام النبلاء»: ٢٧٨-٢٩٧/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٤) هو علي بن عبيد الله، المتوفى سنة (٥٢٧هـ)، وقد سلفت ترجمته في وفياتها.

(٥) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء أصفهان: ١٣٩/١ - ١٤٠، و«الوافي بالوفيات»: ١٧٠/٥.

(٦) الأبيات في «الخريدة»: ١٤٠/١.

يحيى بن عيسى بن إدريس، أبو البركات الأنباري^(١)

قرأ القرآن، وسمع الحديث، [وقرأ الأدب على الزبيدي]^(٢)، وتفقه [على القاضي الحراني]^(٢) وكان يعظ، فمن حين يطلع المنبر إلى حين ينزل [الأرض]^(٢) لا يزال يبكي، وتعبّد في زاويته خمسين سنة، وكان ورعاً، عطش يوماً فجيء بماء [بارد]^(٢) من دور بعض القضاة، فلم يشرب.

وكانت له كرامات، ودعاء مستجاب، و[كانت له]^(٢) زوجة صالحة، فكانا يصومان الدهر، ولا يفطران إلى بعد العشاء، وأولدها أربعة أولاد، فسماهم بأسماء الخلفاء: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وكانت وفاته في ذي القعدة، فقالت زوجته: اللهم لا تبقي بعده. فعاشت خمسة عشرة يوماً وماتت، وكانت قارئة للقرآن، وأقراة هي ويحيى لأولادهم، [سمع يحيى من عبد الوهاب الأنماطي وغيره]^(٢).

أبو العلاء بن [أبي]^(٢) الندى المعري^(٣)

كان شاباً فاضلاً، [له مقطعات من الشعر]^(٢)، اخترمته^(٤) المنية، وله خمس وعشرون سنة، في الزلزلة. وقيل: توفي سنة إحدى وخمسين [وخمس مئة]^(٢).

ومن شعره في وصف شريف لقيه بهاء الدين: [من الكامل]

من أين كان لکن يا حديق المہا
أم من أعان البان في مہج الوری
يبدو بوجہ کلما قابلتہ
فلہ علی القمر المنیر فضیلۃ
البذر یقصر أن أشبہہ بہ
أنتم بنی الزہراء أهل الحجة الز
فیلام یجحد فی البریۃ حقکم
علم بنفث السحر فی عقد النہی
فثکاً فأصبح بالقنا متشبہا
أهدی إلیک من المحاسن أوجہا
کفضیلۃ القمر المنیر علی الشہا
والشمس تصغر أن أشبہہ بہا
ہراء إن فطن المعاند أو سہا
قد آن للوسنان أن یتنبہا

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٨٠-١٨١.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٧١-٧٤.

(٤) في (ش) احتوشته.

ماذا أقول ومالوصف علائكم
منكم بدا الشرف الرفيع جميعه

وقال أيضاً : [من البسيط]

لا غرو إن كان من دوني يفوز بكم
يذني الأراك فيمسي وهو ملتئم

وقال في مروحة^(٣) : [من المتقارب]

وقابضة بعنان النسيم
إذا قبل القر كانت عدواً

وأثنى عنكم بالويل والحرب
تغر الفتاة ويلقى العود في اللهب^(٢)

تصرّفه كيف شاءت هبوبا
وإن قبل الصيف كانت حبيباً^(٤)

السَّنة الثالثة والخمسون وخمس مئة

فيها اتفق محمد شاه، وأخوه ملك شاه، وأمدّه بعسكر، فسار إلى خوزستان
ففتحها، وأبعد عنها شملة التركماني.

وخرج الخليفة إلى مشهد الحسين عليه السلام، فزاره، وأحسن إلى المقيمين به، ومضى
إلى واسط، وأزال المكوس عنها، ونظر في أمر الرعية، وعاد إلى بغداد، وخلع على
قويدان، وبعثه إلى بلاد البقش، فوافق، ومضى إلى ملك شاه، وقبض الخليفة على منكورس
نائب السلطان سنجر ببغداد، واستصفى أمواله، وأموال سنجر، وكانت عظيمة.

وفيها نازل نور الدين قلعة حارم، وأقام عليها أياماً، فلم يقدر عليها، فرحل عنها،
ثم عاد بعد ذلك، فحصرها وفتحها، [وسنذكره]^(٥).

وفي سلخ صفر نزلت الفرنج على داريّا، فأحرقوها ونهبوها، وكانوا جاؤوا بغتة، وخرج إليهم
أحداث دمشق فقاتلوهم، فأقاموا إلى الليل ورحلوا، وأحرقوا جامعها، وعادوا على الأقليم.

وحجّ بالناس قيماز.

(١) الأبيات في «الخريدة» : ٧١-٧٢ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) الأبيات في «الخريدة» : ٧٢-٧٣.

(٣) في (م) و (ش) : ومن شعره في مروحة.

(٤) البيتان في «الخريدة» : ٧٣/٢ من جملة أبيات مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٥) ما بين حاصرتين من في (م) و (ش)، وانظر حوادث سنة (٥٥٩هـ).

[قال جدي: كنت في الحج، وتكلمت في مكة والمدينة، ووقفت العرب للحج في الطريق، فسار بنا الدليل على طريق خيبر، فرأيت من الجبال وغيرها العجائب^(١). قلت: رحمه الله، ما رأى جبل لبنان ولا جبل الثلج، ولا عَقَبَة فيق وإبريق وأيلة^(٢) وغيرها]^(٣). وفيها توفي

أحمد بن إسماعيل بن أحمد^(٤)

أبو علي المكين، العارض، الأصبهاني، وزير يرئس الزكوي^(٥)، ثم صار عارض جيش مسعود، وترشح لوزارته، فقصدته وزيره، فلحق بخراسان، وأقام عند سنجر، فلما تم على سنجر ما تم^(٦)، عاد إلى أصفهان، وأقام بها، ووقف كُتُبُه بجامعة، ومن شعره: [من الكامل]
 إِنِّي وَإِنْ شَطَّ الْمَزَارُ وَبَدَّدَتْ أَيْدِي النَّوَائِبِ شَمَلْنَا الْمَنْظُومَا
 لَمْ أَخْلُ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْكُمْ مُذْ غَبْتُ عَنْكُمْ ظَاعِنًا وَمَقِيمًا^(٧)
 وكانت وفاته بأصفهان، وهو شيخ كبير.

ومدحه إسماعيل ابن أبي نصر بن عبدل الأصبهاني^(٨)، فقال: [من المجتث]

لله شَغْبُ الْبِطَاحِ مَغْرُوزًا بِالْأَقَاحِي
 رِیَاضُهُ بِالنُّعَامِي مُعْطَّرَاتُ النَّوَاحِي

(١) انظر «المنتظم»: ١٨٢/١٠.

(٢) جبل لبنان معروف، وجبل الثلج هو جبل حرمون المعروف بجبل الشيخ، وعقبة فيق هي التي يشرف منها على طبرية وبحيرتها، وأيلة هي على البحر الأحمر، وتعرف بإيلات. أما إبريق فلم أقف عليها.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٤) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء أصفهان: ١٤٠-١٤١، و«الوافي بالوفيات»: ٢٥٢-٢٥٣، وفيه وفاته سنة (٥٤١هـ).

(٥) في (ع) التركي، وفي (ح) الركني، وكلاهما تحريف، ويرئس هذا كان صاحب أصفهان، وكان أيضاً شحنة بالعراق، وهو خادم أرمني لبعض التجار، وقد سلفت أخباره فيما سلف، وتوفي سنة (٥٤٠هـ)، وانظر «الكامل» لابن الأثير: ١٠٦/١١.

(٦) يعني انهزام سنجر من الغز، وأخذه أسيراً، وقد سلف ذلك في حوادث سنة (٥٤٨هـ).

(٧) البيتان في «خريدة القصر»: ١٤١/١.

(٨) شاعر أصفهاني، توفي سنة (٥٤٣هـ)، وقد ترجم له العماد الكاتب في «الخريدة» قسم شعراء أصفهان: ١٤١-١٤٤ وقال فيه: كان من أشعر شعراء أصفهان وأفرهم، وعنه نقل الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ٢٣١-٢٣٣.

يسيل في ساحتَيْها
وأيكَةُ الوَرْدِ تُزْهِي
وللْغُصُونِ اختِيَالُ
والنَّرجِسُ الغَضُّ يحكي
عزائِمُ هي أمضى
لَمَّا مدحتُ غِلاه
قد رامَ شأوكَ قومُ
أأغزلُ يتمننى

سَلَسَالُ ماءٍ قَرَّاحٍ
بخطباتِ فصاحٍ
مِثْلُ اختِيَالِ المِلاحِ
أعطافَ سكرانٍ صاحٍ
من القَضَاءِ الْمُتَّاحِ
قَرَعْتُ بابَ النَّجَّاحِ
فما احتفظوا بفلاحٍ
إقدامَ شاكي السُّلاحِ^(١)

عبد الأول بن عيسى^(٢)

ابن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق، أبو الوقت، الهروي المنشأ، السجزي^(٣) الأصل.
ولد سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، وحمله أبوه من هراة إلى بوشنج^(٤) على
[عاقته]^(٥)، فسمع «صحيح البخاري» وغيره. وقدم بغداد، فألحق الصغار بالكبار،
وكان كثير التَّعبد والتهجُّد والبكاء، على سَمَتِ السَّلف، وعَزَمَ على الحج في هذه
السنة، وهياً ما يحتاج إليه، فأصبح ميتاً.

قال أبو عبد الله [محمد بن]^(٦) الحسين التكريتي: أَسْنَدُهُ في مرضه إليّ، فكان آخرَ كلمةٍ
قالها: ﴿يَلَيْتَ قَوِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]
ودُفِنَ بالشُّونِيزية عن نيف وتسعين سنة.

(١) الأبيات في «خريدة القصر»: ١٤٢/١-١٤٣

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٤٧/٧، «المنتظم»: ١٨٢/١٠-١٨٣، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٧٤-٧٦،
و«الكامل» لابن الأثير: ٢٣٩/١١، و«اللباب»: ١٠٥/٢، و«وفيات الأعيان»: ٢٢٦-٢٢٧/٣ : و«سير
الأعلام النبلاء»: ٣٠٣-٣١١، وفيه تنمة مصادر ترجمته.(٣) نسبة إلى سجستان على غير قياس، وهي إحدى البلاد المعروفة بكابل، انظر «الأنساب»: ٤٧/٧، و«بلدان
الخلافة الشرقية»: ٣٧٢.

(٤) بين هراة وبوشنج عشرة فراسخ. انظر «معجم البلدان»: ٥٠٨/١.

(٥) في (ع) و (ح) عنقه. والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم»، وهو الصواب.

(٦) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٨٣/١٠، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٧٥، والخبر فيهما.

عبد الرحمن بن مُدْرِك^(١)

ابن علي، أبو سَهْل التَّنُوخي.

كان فاضلاً، شاعراً، فصيحاً، قَدِمَ دمشق ومصر، وعاد إلى حماة، فأقام بها إلى أن توفي بها في الزَّلْزَلَة، ومن شعره: [من الوافر]

كَأَنَّ دَمَشَقَ أَفْلَاكٍ تَدُورُ تَلُوحُ بِهَا الشُّمُوسُ أَوْ الْبَدُورُ
وَأَيَّ مَحَلَّةٍ قَابَلَتْ مِنْهَا رَأَيْتُ كَوَاكِباً فِيهَا تَدُورُ^(٢)
قال أبو اليُسْر شاعر بن عبد الله^(٣): كَتَبَ إِلَيَّ أَبُو سَهْلٍ مِنْ حِمَاةٍ وَأَنَا بِالْمَعْرَةِ: [من مجزوء الكامل]

لَا بُدَّ أَنْ أَشْكُو الَّذِي لَا قِيْتُ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ
وَأَبْتُ وَجْدِي مَا اسْتَطَعْتُ تَ وَطُولَ وَجْدِي وَاشْتِيَاقِي
فَلْعَلَّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ بِ وَخَالِقِ السَّبْعِ الطُّبَاقِ
يَقْضِي لَنَا بَتَجَمُّعٍ أَبْدَأُ عَلَى الْإَيَّامِ بَاقِ
وَيَعِيدُ أَيَّامَ الْمَسْـ رَّةَ بِالْمَعْرَةِ وَالتَّلَاقِ
وَعَسَاهُ يَأْذُنُ لِي إِلِيْـ هَا عَنْ قَرِيبٍ بِانْطِلَاقِ
مَالِ الْمَعْرَةِ مُشْبِهَةً فِي أَرْضِ مِصْرَ وَلَا الْعِرَاقِ^(٤)

قال أبو اليُسْر: فكتبتُ إليه: وقفتُ - أطال الله بقاء حضرة مولاي القاضي الأجل - على ما سَنَحَ به خاطره الشريف من نفائس دُرَره، وغرائب غُرره، فقلتُ عَجَلاً، وتنهدتُ مرتجلاً، وإن لم تكن مثل أبياته الوافية، ومعانيه الشَّافية، فقد لُزمت الوزن والقافية: [من مجزوء الكامل]

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ١٧٩/١٠-١٨٢، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٤٦/٢-٤٧، و«الوافي بالوفيات»: ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) البيتان في «تاريخ ابن عساكر»: ١٧٩/١٠ مع اختلاف في بعض ألفاظه.

(٣) ولد في شيزر سنة (٤٩٦هـ)، وتولى كتابة الإنشاء لعماد الدين زنكي، ثم لابنه نور الدين، وتوفي في دمشق سنة (٥٨١هـ)، وانظر «الروضتين»: ٢٩/٢.

(٤) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ١٨٠/١٠.

يا شاكياً أَلَمَ الْفِرَاقِ هَيَّجَتْ وَجَدِي وَاشْتِيَاقِي
 وَقَدْ حَتَّ زَنْدَ صَبَابَتِي أَفَمَا اتَّقَيْتَ مِنْ احْتِرَاقِي
 وَأَفْضَتْ مِنْ تَامُور^(١) قَلْبُ بِي كَالْعَقِيقِ مِنَ الْمَاقِي
 قَدْ نَالَ نِي لِلْبَيْنِ مَا نَالَ الْهَيْلَالُ مِنَ الْمُحَاقِ
 فَاحْرِصْ بِأَنْ تُحْيِيَ وَلِيَّ لَكَ عَنْ قَرِيبٍ بِالتَّلَاقِ
 مِنْ أَيْيَاتِ^(٢).

محمد بن يوسف بن عمر^(٣)

أبو عبد الله الكُفَرطابي، نزيل شيزر، ومن شِعره: [من مجزوء الرجز]

يا قوم خَابَ مَظْلَبِي لَا وَاخَذَ اللَّهُ أَبِي
 لِأَنَّهُ دَرَّسَنِي أَصْنَفَ عِلْمِ الْأَدَبِ
 وَعِنْدَهُ أَنِّي بِهَا أَحْوِي جَزِيلَ النَّشَبِ^(٤)
 فَمَا أَفَادْتَنِي سَوَى حِرْفَةٍ^(٥) أَهْلِ الْأَدَبِ
 فَلَيْتَهُ دَرَّبَنِي فِي الطَّيْنِ أَوْ فِي الْحَطَبِ
 وَلَيْتَهُ عَلَّمَنِي صَنْعَتَهُ وَهُوَ صَبِي
 زَكَالِش^(٦) الْحَاكَةِ لَا مَسَائِلَ الْمُقْتَضِبِ^(٧)

(١) التامور: الدم. «معجم متن اللغة»: ٤٠٧/١.

(٢) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ١٨٠-١٨١.

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ١٤٨/١٦، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٥٧٣-٥٧٤:

و«معجم الأدباء»: ١٢٢-١٢٣، و«الوافي بالوفيات»: ٢٤٧-٢٤٨، و«بغية الوعاة»: ٢٨٥/١،

وفي «معجم الأدباء» وفاته سنة (٤٥٣هـ)، وفي البغية (١٥٣هـ)، وكلاهما وهم.

(٤) النشب: المال والعقار. «اللسان» (نشب).

(٥) الحرفة والحرف الاسم من قولك رجل محارف: أي منقوص الحظ، لا ينمو له مال. انظر «اللسان» (حرف).

(٦) هو غناء الحاكاة، وقد استفدت ذلك من ترجمة أبي منصور بن نقطة المزكلكش، المتوفى سنة (٥٩٧هـ)، فقد جاء

في ترجمته أنه كان يزكلكش في الأسواق: يعني ينشد كان وكان، وهو ضرب من المواليا في العامية البغدادية.

انظر «المذيل على الروضتين»: ١١٤-١١٥ بتحقيقي.

(٧) المقتضب هو من كتب أبي العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة (٢٨٥هـ)، وقد طبع بالقاهرة بتحقيق

العلامة محمد عبد الخالق عزيمة سنة ١٩٦٦م، وهو أحد أئمة العربية في زمانه.

تَبَّالْدَهْرٍ أَصْبَحَتْ صَرُوفُهُ تَلْعَبُ بِي
كَأَنَّه وَلِيْدَةٌ لَا عِبَةَ بِاللُّعْبِ^(١)

وقال يهنئ ابن مُنْقِذ صاحب شَيْزَر بمولود: [من البسيط]

يا من هو الليث لولا حُسْنُ صورته وَمَنْ هُوَ الْغَيْثُ إِلَّا أَنَّهُ بَشَرُ
وَمَنْ هُوَ السَّيْفُ إِلَّا أَنَّ مَضْرِبَهُ لَا يَنْثَنِي وَيَكِلُ الصَّارِمُ الذَّكَرُ
وَمَنْ هُوَ الْبَحْرُ إِلَّا أَنَّ نَائِلَهُ سَهْلُ الْمَرَامِ وَهَذَا نَيْلُهُ عَسِرُ
هُنِّيتَ بِالْوَلَدِ الْمِيْمُونِ طَائِرُهُ وَعَاشَ فِي ظِلِّ عَيْشٍ مَالِهِ قِصْرُ
فَقَدْ تَبَاشَرَتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ بِهِ وَالْمَشْرِفِيَّةُ وَالْعَسَّالَةُ السُّمُرُ
عِلْمًا بَأَنَّ سَوْفَ يُولِيهَا بِخِذْمَتِهِ فَخْرًا يُقْصِرُ عَنْهُ الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ
أَلَيْسَ مَوْلَدُهُ فَيَكُكُمْ وَمِنْشَوُهُ مِنْكُمْ وَذَلِكَ فَخْرٌ دُونَهُ مُضَرُ
لَا زَالُ عِزُّكُمْ يَنْمُو وَمَجْدُكُمْ يَسْمُو وَفَضْلُكُمْ فِي النَّاسِ مُشْتَهَرُ^(٢)
وكانت وفاته في رمضان

محمود بن محمد بن مسلم الشروطي البغدادي^(٣)

له ديوان، ومن شعره: [من الرجز]

أَلِفْتُهَا وَلِلْحُدا تَغْرِيدُ عَنْ رَامَةٍ^(٤) إِنْ وَصَلْتَ زُرُودُ^(٥)
وَلَاخَ بَرْقٌ مِنْ ثَنِيَّاتِ الْحِمَى تُشِيْمُهُ لِلْأَغْيُنِ الرُّعُودُ
فَمَالَتْ الْأَعْنَاقُ مِنْهُ طَرَبًا كَمَا يُمِيلُ النَّاشِدُ الْمَنْشُودُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْفِرَاقِ رَوْعَةٌ وَلِلرَّكَابِ سَائِقٌ غَرِيْدُ
هِيَهَاتَ يُخْفِي مَا بِهِ مُتَيِّمٌ دَمَوْعُهُ بِوَجْدِهِ شَهْوُودُ
مَجْتَمِعُ الْأَضْدَادِ مِنْ جُفُونِهِ بَحْرٌ وَمِنْ أَحْشَائِهِ وَقُودُ
عَادَ الْهَوَى فَلَيْتَ أَيَّامَ الصُّبَا مِثْلُ الْهَوَى كَمَا مَضَتْ تَعُودُ

(١) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر».

(٢) الأبيات في المصدر السالف.

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ١/ ٢٩٢-٣٠٧.

(٤) رامة: منزل في طريق مكة، بينه وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة. انظر «معجم البلدان»: ١٨/٣.

(٥) زرود: رمال بالبادية بطريق الحاج من الكوفة. انظر «معجم البلدان»: ١٣٩/٣.

رُدُّوا الصَّبَّاءَ كَرْدَ طَرْفٍ لِحِظَةٍ
وخلَّصُونِي مِنْ تَكَالِيفِ الْهُوَى
أَوْ لَا فَنَادُوا ثُمَّ بَيَّعُوا مُهْجَتِي
وقال في المشيب: [من الطويل]

تَعَمَّمَ رَأْسِي بِالْمَشِيبِ فَسَاءَنِي
وقد أبصرت عيني خطوباً كثيرةً
وكانت وفاة محمود في رجب.

وقال أيضاً: [من الكامل]

أَعَنِ الْعَقِيقِ سَأَلْتَ بَرْقاً أَوْ مِضَا
إِنْ جَاوَزَ الْعَلَمَيْنِ مِنْ سِقْطِ اللَّوَى
وقال أيضاً: [من المديد]

حَيِّ جِيرَاناً لَنَا رَحَلُوا
رَحَلُوا عَنَّا فَكَمْ أَسَرُّوا
مَنْ لَصَبَّ مَاتَ مِنْ كَمَدٍ
فَهُوَ مِنْ شَذْوِ الْهُوَى طَرِبُ
وَاقِفٌ بِالذَّارِ يَسْأَلُهَا
لَوْ تُجِيبُ الذَّارُ مُخْبِرَةً
لِتَشَاكِينَا عَلَى مَضَضٍ
غَرَّدَ الْحَادِي بِبَيْنِهِمْ
يَا شَمُوساً فِي الْقَبَابِ ضَحَى
عُجْنَ بِالصَّبِّ الْمَشُوقِ فَقَدَ

إِنَّ الصَّبَّاءَ زَمَانُهُ حَمِيدُ
إِنَّ الْهُوَى عَذَابُهُ شَدِيدُ
بِنَظَرَةٍ فَيَمْنِ عَسَى يَزِيدُ^(١)

وَمَا سَرَّنِي تَفْتِيحُ نَوْرِ بِيَاضِهِ
فَلَمْ أَرَ خَطْباً أَسْوَدَاً كَبِيَاضِهِ

أَقَامَ حَادٍ بِالرَّكَائِبِ أَوْ مَضَى
بِالْعَيْسِ لَا أَفْضَى إِلَى ذَاكَ الْفَضَا^(٢)

فَعَلُّوا بِالْقَلْبِ مَا فَعَلُّوا
بِالنَّوَى صَبًّا وَكَمْ قَتَلُوا
طَرْفُهُ بِالذَّمْعِ مُنْهَمِلُ
وَهُوَ مِنْ خَمْرِ الْهُوَى ثَمِلُ
سَفَهَا لَوْ يَنْطِقُ الظَّلَلُ
أَيْنَ حَلَّ الْقَوْمُ وَارْتَحَلُوا
نَحْنُ وَالْأَوْطَانُ وَالْإِبِلُ
فَلَهُ يَوْمَ النَّوَى زَجَلُ
حَجَبَتْهَا دُونَنَا الْكِلَلُ^(٣)
شَفَّهَ يَوْمَ النَّوَى خَبَلُ^(٤)

(١) الأبيات في «الخريدة»: ج ١/٢٩٩-٣٠١.

(٢) البيتان في «الخريدة»: ج ١/٢٩٧.

(٣) الكلل جمع، مفرداها الكلة: وهي ستر رقيق يتوق به من البعوض. «معجم متن اللغة»: ٩٦/٥.

(٤) الأبيات في «الخريدة»: ٢٩٨/١ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وكان لمحمود أخٌ يقال له أبو المعالي بن محمد^(١)، مات بعد سنة خمس وأربعين وخمس مئة، وهو القائل: [من الكامل]

نادى منادي البَيْنِ بالترحالِ فلك المعنى تغير حالي
زُمْتُ ركبُهُمْ فلمَّا ودَّعوا رفعوا على الأجمال كلَّ جمالِ
فَجَرَتْ دموعٌ في حدودِ خلَّتْها الـ ياقوتٌ قد نُثِرَتْ عليه لآلي
وتفرَّقَ الشَّمْلُ المَصُونُ وقبلَ ذا لم يخطرِ البَيْنُ المُشْتُّ ببالي^(٢)

نصر بن منصور بن الحسين^(٣)

ابن أحمد، أبو القاسم، الحرَّاني، والد ظهير الدين أستاذ دار المستضيئ. ولد بحرَّان سنة أربع وثمانين [وأربع مئة]^(٤)، وكان تاجراً، كثير المال، غزير النِّوال، قارئاً للقرآن، محافظاً على الجماعات، يكسو العُراة، ويفكُّ الأسارى، ويبرُّ العلماء والفقراء، ويتفقَّد أرباب البيوت، ويسمعُ الحديث، ويزور الصالحين، [وكان خَصِيصاً بجدي رحمه الله، ويحسن إليه]^(٥)، ومات ببغداد.

[وله وقائع ذكر جدي في «المنتظم» منها واقعة، فقال: حدثني^(٥) أبو محمد العُكبري: رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ في المنام: فقلتُ: يا رسولَ الله، امسح بيدك على عيني، فإنَّها تؤلمني. فقال: اذهب إلى نصر بن العطار يمسح على عينك. فقلتُ في نفسي: أدعُ رسولَ الله ﷺ، وأمضي إلى رجلٍ من أبناء الدنيا! وعادته القول، وقلتُ: يا رسولَ الله، امسح على عيني. فقال لي: أما سمِعتَ الحديثَ «إنَّ الصدقةَ لتقع بيد الله قبل أن تقع بيد السَّائل»^(٦) وهذا نصرٌ قد صافحت يده يدَ الحق، فامضِ إليه، [قال]^(٤): فانتبهتُ، ومضيتُ إليه، فلما رأيته قام

(١) له ترجمة في «خريدة القصر»: قسم شعراء العراق: ٣٠٨/١-٣١١.

(٢) الأبيات في «الخريدة»: ٣٠٩/١.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٨٣/١٠، وهو في «المنتظم»: نصر بن منصور بن الحسن.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٥) في (ع) و (ح): ومات ببغداد، قال أبو محمد العكبري... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»: ٨١/٤ عن طريق عمرو بن الحصين العقيلي عن ابن علاثة، عن ثور، عن

وهب بن منبه، عن كعب، عن فضالة بن عبيد مرفوعاً، وقال أبو نعيم: غريب من حديث وهب بن منبه لم

نكتبه إلا من حديث ابن علاثة عن ثور. قلت: عمرو بن الحصين متروك الحديث.

حافياً، وقال: الذي رأيته في المنام قد تقدّم في حقك بشيء. وقرأ على عيني الفاتحة، والمعوذتين، فسكن الألم، ووجدت العافية.

[قلت: وحكى لي جماعة من مشايخنا أن إحدى عيني نصر ذهبت]^(١) قال: فخرجت يوماً إلى جامع السلطان لأصلي الجمعة، فجلست على جانب دجلة لأتوضأ، وإذا بفقير عليه أظمار رثة، وهو جالس على دجلة، فتقدّمتُ إليه، وقلت: امسح على عيني الذاهبة، فمسح على عيني الذاهبة، فعادت صحيحة كما كانت. [قال]^(٢): وفي كُمّي منديل فيه دنانير، فأخرجتُ المنديل، ودفعتهُ إليه، فقال: مالي به من حاجة، إن كان معك رغيف خبز فنعم. [قال]^(٣): فقمْتُ واشتريتُ له خبزاً، ورجعت، فلم أره. فكان نصر بعد ذلك لا يمشي إلا وفي كُمّه الخبز إلى أن مات.

[ومنها أنه]^(٢) كان يأتي إليه في كل سنة فقير في دار القز، فيعطيه من الزكاة خمسة دنانير، ومضت مدة، فلم يذهب إليه، فعبر ذلك الفقير يوماً إلى خان الخشبة وتحت يده منديل فيه ثياب عتّابي^(٣)، ونصر جالس في الخان، فناده: يا فقير، تعال خذ رسمك، فقال له: أنا اليوم لا تجب عليّ الزكاة. قال: وكيف؟ قال: الخمسة دنانير التي أعطيتني اتّجرت بها، فصارت عشرين ديناراً. فبكى نصر، وقال: الحمد لله على هذه النعمة.

[قلت]^(٤): وسمعتُ جماعةً من أهل بغداد يحكون أن نصرأ اشترى مملوكاً بألف دينار، وأعطاه بضاعة بألف دينار، وجهزه إلى بلاد الترك، وكان جدي قد صنف

= وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢١٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٢٥) من طريق شريك بن عبد الله النخعي، عن يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس، مرفوعاً، وشريك، ويزيد ضعيفان. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٤٧) عن سفيان الثوري، عن عبد الله بن السائب، عن عبد الله بن قتادة المحاربي عن ابن مسعود موقوفاً. عبد الله بن قتادة المحاربي ذكره ابن حبان في «ثقافته»، وقال: روى عنه أهل الكوفة.

(١) في (ع) و (ح): ووجدت العافية، وذهبت إحدى عيني نصر، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٣) نسبة إلى العتّابين، إحدى محال بغداد في الجانب الغربي منها، اشتهرت بالنسيج المخطط. انظر «وفيات الأعيان»: ٣٨٩/٤، و«تكملة المعاجم العربية» لدوزي: ١٣٩/٧-١٤٠.

(٤) في (ع) و (ح) قال المصنف رحمه الله، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

«كتاب المُغفَّلين» فكتبَ نصرأً فيه، وبلغَ نصرأً، فعاتبه، وقال: أنا من جُملة المحبِّين والمتعصِّين لك، وأنتَ تلحقني بالمُغفَّلين! فقال له جدِّي: بلغني كذا وكذا، وكيف يعود إليك المملوك، وقد صار يبلاده ومعه ألف دينار! فقال نصر: فإن عاد. فقال جدِّي: أمحو اسمك وأكتبُ اسمَه.

يحيى بن سلامة^(١)

ابن الحسين بن محمد، أبو الفضل الحَصَكْفِي [الشَّاعر الفاضل]^(٢).

ولد بطنزة - مدينة صغيرة بديار بكر - [بعد الستين وأربع مئة]^(٣)، ونشأ بحصن كَيْفَا، وانتقل إلى مَيَّافارقين، وكان إماماً في كلِّ فن، [وكان يفتي]^(٤) في المذاهب، ويقول الشعر [اللطيف]^(٥)، وِترسَل [الرَّسائل البليغة]^(٦)، وله مدائح في أهل البيت عليهم السَّلام، وقَدِمَ بغداد، وقرأ شيئاً من شعره ومقاماته على الخطيب أبي زكريا التُّبريزي، فكتبَ على كتابه: قرأ عليَّ الرَّئيس الفاضل ما يدخل الأذن بلا إذن.

وكانت وفاته في ربيع الأول بميافارقين [من هذه السنة، والله أعلم]^(٧).

ومن شعره يمدحُ أهلَ البيت عليهم السَّلام والرحمة^(٨): [من الرجز]

أَقَوْتُ مَغَانِيَهُمْ فَأَقْوَى الْجَلْدُ	رَبَّعَانِ كُلُّ بَعْدِ سَكْنٍ فَذَفْدُ
أَسْأَلُ عَنْ قَلْبِي وَعَنْ أَحْبَابِهِ	وَمِنْهُمْ كُلُّ مُقَرَّرٍ يَجْحَدُ
فَهَلْ تُجِيبُ أَغْظَمَ بَالِيَةٍ	وَأَرْسَمَ خَالِيَةٍ مَنْ يَنْشُدُ
كَأَنِّي بَيْنَ الظُّلُولِ وَقِفْتُ ^(٩)	أَنْدُبُهُنَّ الْأَشْعَثُ الْمُقَلَّدُ

(١) له ترجمة في: «الأنساب»: ١٥٤/٤، ٢٥٦-٢٥٧/٨، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٤٧١-٥٤٠، و«المنتظم»: ١٨٣-١٨٨، «معجم البلدان»: ٤٤/٤، و«معجم الأدباء»: ١٨-١٩، و«الكامل في التاريخ»: ٢٣٩-٢٤٠، و«وفيات الأعيان»: ٢٠٥-٢١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٢٠-٣٢١، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٣) في (ع): يمدح أهل البيت عليهم الرحمة، والصلاة والسلام عليهم أجمعين، والمثبت من (ح).

(٤) في «الخريدة»: واقفاً.

صاحَ الغُرابُ فكما تحمَّلوا
يَحْجُلُ في آثارهم بَعْدَهُم
لِبِئْسَ ما اِغْتاضَتْ وكان قَبْلَها
لَيْتَ المطايا للنَّوى ما خُلِقَتْ
رُغَاؤُهُم وَحَذْوُهُم ما اجْتَمَعَا
تَقاسموا يومَ الوداعِ كَبِدي
عن^(٢) الجفونِ رَحَلوا وفي الحشا
فأذْمَعِي مسفوحةً وَكَبِدي
وصَبَّوتِي دائمةً ومُقلَّتِي
تَيَّمَنِي منهم غزالُ أَغْيَدُ
حُسَامُهُ مَجَرَّدٌ وَصَرْحُهُ
أَيَقَنْتُ لَمَّا أَنَّ حِدا الحادي بهم
كُنْتُ على القُرْبِ كئيباً مُغْرَماً
هُمُ الحِياةُ أَعْرَقُوا أَمْ أَشَامُوا
لِيَهْنِهِمْ طِيبُ الكرى فَإِنَّه
نَعَمَ تولَّوا بالفؤادِ والكَرى
لولا الضَّنَى جَحَذْتُ وَجَدِي بِهِمْ
ليس على الْمُثْلِفِ غُرْمٌ عِنْدَهُمْ
وسائِلُ عن حُبِّ أَهْلِ البَيْتِ هل
هيهاتَ ممزوجٌ بلحمي ودمي

مشى بها كأنَّه مُقَيَّدُ
بادي السَّماتِ أَبْقَعُ وَأَسْوَدُ
يَرْتَعُ فيها ظَبِياتٌ خُرْدُ
ولا حَدا مِنَ الحُداةِ أَحَدُ
لِلصَّبِّ إِلا وَنَجَاهُ^(١) الكَمَدُ
فليس لي منذ تولَّوا كَبِيدُ
تَقَيَّلُوا^(٣) وماءَ عَيْنِي وَرَدُّوا
مَقروحةً وَغُلَّتِي ما تَبْرُدُ
داميةً وَنَوْمُها مُشَرَّدُ
يا حَبَّذا ذاكَ الغَزالُ الأَغْيَدُ
مُمَرَّدٌ وَخَدُّهُ مُوَرَّدُ
ولم أُمِتْ أَنَّ فؤادي جَلَمَدُ
صَبًّا فما ظَنُّكَ بي إِذْ بَعُدُوا
أَمْ أَيْمَنُوا أَمْ أَتَهَمُوا أَمْ أَنْجَدُوا
حَظُّهُمْ وَحَظُّ عَيْنِي السَّهْدُ
فأين صَبْرِي بَعْدَهُمْ والجَلَدُ
لكن نُحولي بالغَرَامِ يَشْهَدُ
ولا على القاتِلِ عَمْداً قَوْدُ
أَقْرُ إعلانياً به أَمْ أَجَحَدُ
حُبُّهُمْ وَهُوَ الهُدَى والرَّشَدُ

(١) نجاه: أي سارَّه وناجاه، وفي «الخريدة»: شجاه.

(٢) في (ع) و (ح): على، وكذلك في «المنتظم»، والمثبت من «الخريدة».

(٣) في (ع) و (ح): تَقَلَّبُوا، والمثبت من «المنتظم» و«الخريدة».

حَيْدَرَةُ وَالْحَسَنَانِ بَعْدَهُ
 وَجَعْفَرُ الصَّادِقُ وَابْنُ جَعْفَرٍ
 أَعْنِي الرُّضَا، ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ
 وَالْحَسَنُ التَّالِي وَبِتِلْوَةِ
 فَإِنَّهُمْ أُوِّمَّتِي وَسَادَتِي
 هُمْ حُجَجُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ
 قَوْمٌ أَتَى فِي «هَلْ أَتَى»^(١) مَدِيحُهُمْ
 قَوْمٌ لَهُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَشْهُدٌ
 قَوْمٌ مِنِّي وَالْمَشْعِرَانِ لَهُمْ
 قَوْمٌ لَهُمْ مَكَّةُ وَالْأَبْطَحُ وَالـ
 مَا صَدَقَ النَّاسُ وَمَا تَصَدَّقُوا
 لَوْلَا رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ جَدُّهُمْ
 وَمَصْرَعُ الطَّفِّ^(٢) فَلَا أَذْكَرُهُ
 يَرَى الْفَرَاتُ ابْنَ الْبَثُولِ ظَامِئاً
 حَسْبُكَ يَا هَذَا وَحَسْبُ مَنْ بَغَى
 يَا أَهْلَ بَيْتِ الْمُصْطَفَى يَا عُذَّتِي
 أَنْتُمْ إِلَى اللَّهِ غَدَاً وَسِيلَتِي
 وَلِيُكُنْ فِي الْخُلْدِ حَيٌّ خَالِدٌ
 وَلَسْتُ أَهْوَاكُم بِبُغْضٍ غَيْرِكُمْ
 مُحَمَّدٌ وَالْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ

ثُمَّ عَلِيٌّ وَابْنُهُ مُحَمَّدٌ
 مُوسَى وَيَتْلُوهُ عَلِيُّ السَّيِّدُ
 ثُمَّ عَلِيٌّ وَابْنُهُ الْمُسَدَّدُ
 مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمُفْتَقَدُ
 وَإِنْ لِحَانِي مَعْشَرٌ وَفَنَّدُوا
 وَهُمْ إِلَيْهِ مَنْهَجٌ وَمَقْصِدُ
 مَا شَكَّ فِي ذَاكَ إِلَّا مُلْجِدُ
 لَا بَلَّ لَهُمْ فِي كُلِّ قَلْبٍ مَشْهُدُ
 وَالْمَرْوَتَانِ وَالصَّفَا وَالْمَسْجِدُ
 خَيْفٌ وَجَمْعٌ وَالْبَقِيْعُ الْغَرْقَدُ
 مَا نَسَكُوا أَوْ أَفْطَرُوا أَوْ عَيَّدُوا
 وَحَبَّذا الْوَالِدُ ثُمَّ الْوَلَدُ
 فِي الْحِشَا مِنْهُ لَهَيْبٌ يَقْدُ
 يَلْقَى الرَّدَى وَابْنُ الدَّعْيِ يَرْدُ
 عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْمَعَادِ الصَّمَدُ
 وَمَنْ عَلَى حُبِّهِمْ أَغْتَمِدُ
 فَكَيْفَ أَشْقَى وَبِكُمْ أَغْتَضِدُ
 وَالضُّدُّ فِي نَارٍ لَظَى مُخَلَّدُ
 إِنِّي إِذَا أَشْقَى بِكُمْ لَا أَسْعَدُ
 أَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ فِيمَا أَجِدُ

(١) إشارة إلى ما ورد في سورة الإنسان من قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حُبٍّ مَتَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ فقد روي

أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ أجمعين. انظر تفسير «مجمع البيان» للطبرسي: ١٣٨/٦.

(٢) الطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية، فيها مقتل الحسين بن علي ﷺ، «معجم البلدان»: ٣٦/٤.

هُمْ أَسَّسُوا قَوَاعِدَ الدِّينِ لَنَا
وَمَنْ يَخُنْ أَحْمَدَ فِي أَصْحَابِهِ
هَذَا اغْتِقَادِي فَالزَّمُوهُ تُفْلِحُوا
وَالشَّافِعِيُّ مَذْهَبِي مَذْهَبُهُ
أَتْبَعُهُ فِي الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ مَعاً
إِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ نَاجٍ سَابِقٌ

وقال يرثي أبا نصر بن الحسن بن سلامة: [من الكامل]

لَمَّا نَعَى النَّاعِي أَبَا نَصْرٍ
وَجَرَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ سَاجِمَةً
وَلَزِمْتُ قَلْباً كَادَ يَلْفِظُهُ
وَلَّى فَأُضْحَى الْعَصْرُ فِي عَظَلٍ
حَفَرُوا لَهُ قَبِراً وَمَا عَلِمُوا
مَا أَفْرَدُوا فِي التُّرْبِ وَانْصَرَفُوا
تَظْوِيهِ حُفْرَتُهُ فَيَنْشُرُهُ
تَبّاً لِدَارِ كُلِّهَا غُصَصٌ
تُنْسِي مَرَارَتُهَا حَلَاوَتَهَا

وقال: [من البسيط]

وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
مَا كَانَ مِنْ حَقٍّ حُرّاً أَنْ يَذِلَّ لَهَا

وقال: [من المتدارك]

وَهُمْ بَنَوْا أَرْكَانَهُ وَشَيَّدُوا
فَخَصَّمُهُ يَوْمَ الْمَعَادِ أَحْمَدُ
هَذَا طَرِيقِي فَاسْلُكُوهُ تَهْتَدُوا
لَأَنَّهُ فِي قَوْلِهِ مُؤَيَّدُ
فَلْيَتَّبِعْنِي الطَّالِبُ الْمُسْتَرِشِدُ
إِذَا وَنَى الظَّالِمَ وَالْمُقْتَصِدُ^(١)

سُدَّتْ عَلَيَّ مَطَالِعُ الصَّبْرِ
مُنْهَلَّةً كَتَتَابِعِ الْقَطْرِ
صَذْرِي لِفُرْقَةٍ ذَلِكَ الصَّوْدِرِ
مِنْهُ وَكَانَ قِلَادَةَ الْعَصْرِ
مَا خَلَّفُوا فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ
إِلَّا فَرِيدَ النَّاسِ وَالِدَّهْرِ
فِي كُلِّ وَقْتٍ طَيِّبُ النَّشْرِ
يَأْتِي الْوِصَالَ بَنِيَّةَ الْهَجْرِ
وَتُكْرَبُ بَعْدَ الْعُرْفِ بِالنُّكْرِ^(٢)

تُبْقِي عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغْدَا
فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَضْمَجِلُ غَدَا^(٣)

(١) القصيدة بتمامها في «المنتظم»: ١٨٤/١٠-١٨٧، وانظر أبياتاً منها في «الخريدة»: ٤٩٢/٢-٤٩٤ مع اختلاف في بعض ألفاظها.

(٢) الأبيات في «المنتظم»: ١٨٤/١٠.

(٣) البيتان في «الخريدة»: ٤٩٤/٢.

أُتْرَى سَأَلُوا لِمَا رَحَلُوا
 خَدَعُوا بِالْمَيْنِ^(١) قَتِيلَ الْبَيْتِ
 فَمَتَى وَصَلُوا حَتَّى قَطَعُوا
 أَشْكُوا زَمَنًا أَوْلَى مَحَنًا
 الْعِلْمُ يُهَانُ وَلَيْسَ يُصَا
 وَعَدُوا فَظَمِعَتْ غَدَاةٌ سَمِغُ
 أَحْلِيفَ الْيَوْمِ أَقِلَّ اللَّوْ
 وَبَسْمَعِي ثَوْرَ^(٢) سَائِقُهُمْ
 أَذْكَى جَزَعِي لَمْ يَبْقَ مَعِي
 وَقَالَ: [من الطويل]

إِذَا قَلَّ مَالِي لَمْ تَجِدْنِي ضَارِعًا
 وَلَا بَاطِرًا إِنَّ جَدَّ اللَّهَ نِعْمَةً
 وَقَالَ: [من مخرج البسيط]

جُدَّ فَفِي جِدِّكَ الْكَمَالُ
 فَمَا تَنَالُ الْمَرَادَ حَتَّى
 وَقَالَ: [من الطويل]

وَعَثْبِي لَهُ عَثْبُ الْبَرِيِّ وَخِيفَتِي
 فَإِنْ يَكُ لِي ذَنْبٌ فَأَيْنَ وَسَائِلِي
 وَقَالَ: [من الرجز]

مَاذَا فَعَلُوا أَمْ مَنْ قَتَلُوا
 نِ فَسُحِبُ الْعَيْنِ لَهُمْ ذُلُّ
 وَمَتَى سَمَحُوا حَتَّى بَخِلُوا
 وَجَنَى حَزَنًا فَعَفْتُ سُبُلُ
 نُ فَأَيُّ لِسَانٍ يَرْتَجِلُ
 تْ مَتَى وَقِنِعْتُ بِمَا بَذَلُوا
 مَ فَعِنْدِي الْيَوْمَ بِهِمْ شُغْلُ
 وَبَعَيْنِي قُرْبَتِ الْبُزْلُ
 قَلْبًا فَيَعِي مِنْذَ احْتَمَلُوا^(٣)

كَثِيرَ الْأَسَى مُغْرَى بَعْضُ الْأَنَامِ
 وَلَوْ أَنَّ مَا أُوتِيَ جَمِيعُ الْأَنَامِ لِي^(٤)

وَالْهَزْلُ مِثْلُ اسْمِهِ هُزَالُ
 يَكُونُ مَعَكُوسَ مَا تَنَالُ^(٥)

لِحِرْصِي عَلَى عُتْبَاهِ خِيفَةُ جَانِ
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ فَفِيمَ جَفَانِي^(٦)

(١) في (ع) و (ح) البين، والمثبت من «الخريدة».

(٢) ثور سائقهم، أي أنهض البرك، والبرك يقع على ما برك من جميع الجمال والنوق. «معجم متن اللغة»: ١/ ٢٨٠، ٤٥٧.

(٣) الأبيات في «الخريدة»: ٤٩٦/٢ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) البيتان في «المنتظم»: ١٨٨/١٠.

(٥) البيتان في «المنتظم»: ١٨٤/١٠.

(٦) البيتان في «الخريدة»: ٤٨٨/٢.

حَنَنْتُ فَأَذْكَتُ لَوْعَتِي حَنِينَا
 قَدْ عَاثَ فِي أَشْخَاصِهَا طُولُ السُّرَى
 فَخَلَّهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَى طَالَمَا
 وَكَيْفَ لَا نَأْوِي^(٢) لَهَا وَهِيَ الَّتِي
 هَا قَدْ وَجَدْنَا الْبَرَّ بَحْرًا زَاخِرًا
 إِنْ كُنَّ لَمْ يُفْصِحْنَ بِالشُّكْوَى لَنَا
 قَدْ أَقْرَحَتْ مِمَّا تُجِنُّ كَيْدِي
 وَقَدْ تِيَّاسَرْتُ بِهِنَّ جَائِرًا
 نُحْيِي أَظْلَالًا عَفَا آيَاتِهَا
 يَقُولُ صَاحِبِي أَتَرَى آثَارَهُمْ
 لَوْ لَمْ تَجِدْ رُبُوعَهُمْ كَوَجَدْنَا
 مَا قَدَرَ الْحَيُّ عَلَى سَفْكِ دَمِي
 أَكَلَّمَا لَاحَ لَعَيْنِي بَارِقُ
 لَا تَأْخُذُوا قَلْبِي بِذَنْبِ مُقْلَتِي
 أَقْسَمْتُ مَا الرُّوضُ إِذَا مَا بَعَثْتُ
 وَأَذْرَكَتْ ثَمَارُهُ وَعَذَّبْتُ
 وَقَابَلْتُهُ الشَّمْسُ لَمَّا أَشْرَقَتْ
 أَذْكَى وَلَا أَحْلَى وَلَا أَشْهَى وَلَا

أَشْكَو مِنْ الْبَيْنِ وَتَشْكَو الْبَيْنَا^(١)
 بِقَدْرِ مَا عَاثَ الْفِرَاقُ فِينَا
 أَضْحَتْ تَبَارِي الرِّيحِ فِي الْبُرَيْنَا
 بِهَا قَطَعْنَا السَّهْلَ وَالْحَزُونَا
 فَهَلْ وَجَدْنَا غَيْرَهَا سَفِينَا
 فَهِنَّ بِالْإِرْزَامِ^(٣) يَشْتَكِينَا
 إِنَّ الْحَزِينَ يُسْعِدُ الْحَزِينَ
 عَنْ الْحِمَى فَاعْذِلْ بِهَا يَمِينَا
 تَعَاقِبُ الْأَيَّامِ وَالسَّنِينَ
 نَعَمْ وَلَكِنْ لَا أَرَى الْقَطِينَا
 لِلْبَيْنِ لَمْ تَبْلُ كَمَا بَلَيْنَا
 لَوْ لَمْ تَكُنْ أَشْيَافُهُمْ عُيُونَا
 بَكَتْ فَأَبَدَتْ سَرِّي الْمَصُونَا
 وَعَذَّبُوا الْخَائِنَ لَا الْأَمِينَا
 أَرْجَاؤُهُ الْخَيْرِي^(٤) وَالنُّشْرِينَا
 أَنْهَارُهُ وَأَبَدَتْ الْمَكْنُونَا
 وَانْقَطَعَتْ أَفْنَانُهُ فَنُونَا
 أَبْهَى وَلَا أَوْفَى^(٥) بَعَيْنِي لِينَا

(١) البين، بكسر الباء: ارتفاع في غلظ عن الأرض. «معجم متن اللغة»: ٣٧٨/١.

(٢) أي نشفق عليها. «اللسان» (أوا).

(٣) الإرزام من أرزمت الناقة على ولدها: حنت، وهو صوت تخرجه من حلقها لا تفتح به فاهاً. انظر «اللسان» (رزم).

(٤) الخيري: نبات، وهو المنثور الأصفر، تعريب خيرو. «معجم الألفاظ الفارسية المعربة»: ٥٩.

(٥) في (ع) و (ح): أبرأ، والمثبت من «المنتظم».

مِنْ نَشْرَهَا وَتَغْرِهَا وَوَجْهَهَا
 [مَا اسْتَتَرَتْ بِالْوَرَقِ الْوَرَقَاءُ كِي
 هَذَا بُكَاهَا وَالْقَرِينُ حَاضِرٌ
 يَا خَائِفًا عَلَيَّ أَسْبَابَ الرَّدَى
 إِنِّي جَعَلْتُ فِي الْخُطُوبِ مَوْتِي
 أَحَبُّهُ يَاسِينَ وَطَاسِينَ وَمَنْ
 يَا تَائِهِينَ فِي أَضَالِيلِ الْهَوَى
 تَجَاهَكُمْ دَارَ السَّلَامِ فَاذْهَبُوا
 لَجُوا مَعِيَ الْبَابَ وَقُولُوا حِطَّةٌ
 دِينِي الْوَلَاءُ لَسْتُ أَبْغِي غَيْرَهُ
 ظَنُّ بِي الْأَعْدَاءِ إِذْ مَدَحْتُهُمْ
 يَا وَيْحَهُمْ وَمَا الَّذِي يَرِيبُهُمْ
 وَإِنَّمَا أَطْلَبُ مَذْحًا نَافِعًا
 سِجْنُكُمْ سِجِّينَ إِنْ لَمْ تَتَّبِعُوا
 وَقَالَ: [مِنْ الْبَسِيطِ]

على ذوي الحب آيات مترجمة
 عرفت يفوح وأثار تلوح وأشد
 وقال: [مِنْ الْمُتْقَارِبِ]

وَقَدْهَا فَاسْتَمِعِ الْيَقِينَا
 تَصَدَّقْ لِمَا عَلَتِ الْغُصُونَا^(١)
 فَكَيْفَ مَنْ قَدْ فَارَقَ الْقَرِينَا
 أَمَا عَرَفْتَ حِصْنِي الْحَصِينَا
 مُحَمَّدًا وَالْأَنْزَعَ الْبَطِينَا^(٢)
 يَتْلُوهُ فِي طَاسِينَ أَوْ يَاسِينَا
 وَعَنْ سَبِيلِ الرُّشْدِ نَاكِبِينَا
 فِي نَهْجِهَا جَبْرِيلُهَا الْأَمِينَا
 تُغْفِرُ لَنَا الذُّنُوبَ أَجْمَعِينَا
 دِينًا وَحَسْبِي بِالْوَلَاءِ دِينَا
 مَا لَمْ أَكُنْ بِمِثْلِهِ قَوْمِينَا
 مَنِّي حَتَّى رَجَمُوا الظَّنُونَا
 يَوْمَ يَكُونُ غَيْرِي الْمَغْبُونَا
 عَلَيْنَا دَلِيلَ عَلِيِّينَا^(٣)

تُبِينُ مِنْ أَجْلِهِ عَنْ كُلِّ مُشْتَبِهٍ
 رَارَ تَبُوحُ وَأَحْشَاءُ تَنُوحُ بِهِ^(٤)

(١) في (ع) و (ح):

قد استترت للورقاء حرك شجوها لما علت من فرعها غصونا

ولم أتبين معناه، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم» و«الخريدة».

(٢) الأنزع البطين هو الإمام علي بن أبي طالب. انظر «اللسان» (نزع).

(٣) الأبيات مع اختلاف في بعض الألفاظ، وترتيب بعض الأبيات في «المنتظم»: ١٠/ ١٨٧-١٨٨، وقد ساق

العماد بعض الأبيات كذلك في «الخريدة»: ٢/ ٤٩٠-٤٩١.

(٤) البيتان في «الخريدة»: ٢/ ٤٨٨.

غَرِيقَ الذُّنُوبِ أَسِيرَ الْخَطَايَا	تَنْبَهْ فَدُنْيَاكَ دَارُ الدُّنَايَا
تَغُرُّ وَتُعْطِي وَلَكِنَّهَا	مَكْدَرَةٌ تَسْتَرِدُّ الْعَطَايَا
أَمَّا وَعَظْمُكَ بِأَحْدَاثِهَا	وَمَا فَعَلْتَ بِجَمِيعِ الْبَرَايَا
فِيَا رَاحِلًا وَهُوَ يَنْوِي الْمُقَامَ	تَزُوِّدُ فَإِنَّ اللَّيَالِي مَطَايَا
تَرَى الْمَرْءَ فِي أَسْرِ آفَاتِهَا	حَبِيسًا عَلَى الْهَمِّ نُصَبِ الْمَنَايَا ^(١)

(١) الأبيات في «الخريدة»: ٥٢٠-٥٢١ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

فهرس الموضوعات^(١)

٥.....	السنة الخمس مئة
٥.....	مقتل فخر الملك وسعد الملك وابن عطاش
٥.....	غرق قليج رسلان بن سليمان
٥.....	صرف الوزير علي ابن جهير من وزارة الخليفة
٦.....	ما جرى على دار سامة الجيلي
٧.....	تولية الخليفة عبد الله بن الدامغاني حجة الباب
٧.....	كثرة فساد الفرنج في أعمال السواد وحوران
٨.....	إرسال السلطان محمد شاه برأس ابن عطاش وولده
٩.....	بداية أمر ابن عطاش
٢٠.....	السنة الحادية والخمس مئة
٢٠.....	تجديد الخليفة الخلع على وزيره هبة الله بن محمد بن المطلب
٢١.....	دخول السلطان محمد شاه بغداد وتهته الخليفة له
٢٢.....	مقتل صدقة ابن مزيد صاحب الحلة
٢٢.....	تولية الخليفة القاضي ابن الرطبي حسة بغداد
٢٢.....	عزل الوزير ابن المطلب ثم إعادته
٢٢.....	عزل ابن الدامغاني عن حجة الباب واستنابة المؤيدي
٢٢.....	ظهور صبية عمياء تتكلم على أسرار الناس
٢٣.....	مسير بغدوين إلى ظاهر صور
٢٣.....	اشتداد الأمر على فخر الملك صاحب طرابلس من مجيء الفرنج
٢٣.....	مسير فخر الملك إلى بغداد
٢٤.....	عودة ابن عمار إلى دمشق وتاج الملوك بوري
٢٤.....	خروج بغدوين من القدس إلى صور
٢٤.....	إغارة طغتكين على طبرية
٢٧.....	السنة الثانية وخمس مئة
٢٧.....	تفويض السلطان محمد إلى بهروز الخادم عمارة العراق
٢٧.....	تولية الخليفة ابن جهير الوزارة وعزل ابن المطلب
٢٨.....	زواج الخليفة بينت السلطان ملك شاه
٢٨.....	أخذ الفرنج طرابلس
٢٩.....	الهدنة بين بغدوين صاحب القدس وطغتكين صاحب دمشق
٣٥.....	السنة الثالثة وخمس مئة
٣٥.....	هروب الوزير ابن المطلب من دار الخليفة

(١) اقتصرنا في هذا الفهرس على الأحداث السياسية والعامة، أما تراجم الأعلام فمحلها في فهرس الأعلام العام للكتاب كله.

٣٥.....	دخول السلطان محمد بغداد وإصابة وزيره نظام الدين
٣٥.....	نزول الأمير سكمان صاحب خلاط على ميفارقين
٣٦.....	أخذ الفرنج رفية وموادعة طغتكين
٣٦.....	عزم السلطان محمد على غزو الفرنج
٣٧.....	منازلة طغتكين بعلبك بعد عصيان واليها
٣٧.....	أخذ طنكري طرسوس
٣٧.....	نزول بغدوين وابن صنجيل على بيروت ودخولها
٣٨.....	إفساد قوم من كافر ترك في جيحون
٣٨.....	ظهور كوكب الذنب وإقامته شهراً
٣٨.....	مكاتبة محمد شاه سكمان صاحب أرمينية وغيره للاجتماع على جهاد الفرنج
٤٢.....	السنة الرابعة وخمسة مئة
٤٢.....	نزول خاتون زوجة الخليفة بدار المملكة عند أخيها السلطان
٤٢.....	تدريس أبي بكر الشاشي بالنظامية
٤٢.....	قدوم تجار من الشام إلى بغداد واستغاثتهم من الفرنج
٤٣.....	قصد بغدوين عسقلان
٤٣.....	هبوب ريح سوداء بمصر
٤٣.....	غدر بغدوين ونزوله على طبرية
٤٣.....	تجهيز محمد شاه العساكر إلى الشام لقتال الفرنج واختلاف أمرائهم
٤٧.....	السنة الخامسة وخمسة مئة
٤٧.....	عزل السلطان وزيره أحمد بن نظام الملك
٤٧.....	ولادة ابن للخليفة من بنت السلطان
٤٧.....	جمع بغدوين وحشده لقصد صور
٤٨.....	نزول شرف الدولة مودود صاحب الموصل على الرها
٥٧.....	السنة السادسة وخمسة مئة
٥٧.....	قدوم يوسف بن أيوب الهمذاني الواعظ بغداد
٥٨.....	مراسلة أهل صور طغتكين وتخوفهم من الفرنج
٥٨.....	مجيء بغدوين إلى عكا وهزيمته
٥٩.....	إرسال أتابك ومودود إلى السلطان بخبر الفتح ورؤوس الفرنج
٦٤.....	السنة السابعة وخمسة مئة
٦٤.....	وزارة الحسين بن أبي شجاع للمستظهر
٦٤.....	استشهاد الأمير مودود بجامع دمشق
٦٤.....	جواب الأفضل إلى طغتكين وشكره على ما حصل في صور
٦٤.....	مراسلة بغدوين مسعود والي صور يسأله الموادعة
٦٤.....	هروب ابن السلطان تكش إلى مصر
٦٥.....	وفاة رضوان صاحب حلب
٦٥.....	استيلاء جماعة من الباطنية على حصن شيزر
٦٥.....	مقاتلة بني منقذ لهؤلاء الباطنية وفتح الحصن
٦٥.....	تجهيز السلطان ولده مسعود إلى الشام لقتال الفرنج
٧٥.....	السنة الثامنة وخمسة مئة
٧٥.....	وقوع زلزلة بالجزيرة هدمت الدور

- ٧٦.....تواطؤ لؤلؤ خادم رضوان مع جماعة على قتل ألب أرسلان بن رضوان
- ٧٦.....نزول نجم الدين إيل غازي على حمص
- ٧٦.....وفاة بغدوين صاحب القدس
- ٧٦.....وقعة بين البرسقي وإيل غازي بالجزيرة والشام
- ٧٧.....تجهيز السلطان البرسقي وابنه منكلي وغيرهما لقصد صاحب ماردين
- ٧٨.....ما حصل على الفرنج من أتابك دمشق
- ٨٢.....السنة التاسعة وخمس مئة
- ٨٢.....دخول طغتكين بغداد وأسباب ذلك
- ٨٣.....مصالحة بردويل صاحب القدس الأفضل بن أمير الجيوش
- ٨٤.....تكامل عمارة دار السلطان ببغداد
- ٩٥.....السنة العاشرة وخمس مئة
- ٩٥.....ولادة جد المؤلف ابن الجوزي
- ٩٥.....احتراق بغداد من الجانب الشرقي
- ٩٥.....إقامة السلطان ببغداد صيفاً
- ٩٥.....تبليت صاحب طرابلس وصاحب الموصل الفرنج في ناحية البقاع وقتلهم
- ٩٦.....مقتل لؤلؤ
- ٩٦.....ما صنع أمير الجيوش المستظهري في حجته بالناس
- ١٠٢.....السنة الحادية عشرة وخمس مئة
- ١٠٢.....زلزلة بغداد
- ١٠٢.....خروج آق سنقر إلى حلب وعودته إلى الموصل دون طائل
- ١٠٣.....هجوم الفرنج على ربض حماة
- ١٠٣.....وصول الأمير نجم الدين إيل غازي إلى حلب في عسكره
- ١٠٣.....وفاة بختيار السلار شحنة دمشق
- ١٠٥.....السنة الثانية عشرة وخمس مئة
- ١٠٥.....الخطبة لمحمود بن محمد شاه ببغداد
- ١٠٥.....احتراق بغداد من الجانب الشرقي
- ١٠٥.....وفاة المستظهر
- ١٠٦.....خلافة المسترشد بالله وأخذ البيعة له
- ١٠٧.....وزارة أبي شجاع محمد بن أبي منصور
- ١٠٧.....استئصال الخليفة جماعة شغبوا
- ١٠٧.....أخذ المسترشد دار ديبس لإضافتها إلى جامع القصر
- ١٠٧.....إرسال الخليفة إلى ديبس جبة ولواء
- ١٠٧.....تلقب الخليفة نظر أمير الجيوش والخلع عليه
- ١٠٨.....خروج والده السلطان محمود من أصبهان إلى السلطان سنجر
- ١٠٨.....كثرة فساد الفرنج في بلاد المسلمين
- ١١٦.....السنة الثالثة عشرة وخمس مئة
- ١١٦.....انفصال الأمير أبي الحسن بن المستظهر عن الحلة وما صنع الخليفة معه
- ١١٧.....وزارة جلال الدين الحسن بن صدقة للخليفة
- ١١٧.....خطبة الخليفة لولده الراشد بالله
- ١١٧.....امتلاك السلطان سنجر الري والوقعة بينه وبين ابن أخيه محمود

- عزل القاضي الفارقي عن قضاء واسط ١١٨
- وصول القاضي الهروي رسولاً من سنجر إلى الخليفة ١١٨
- إرسال ديس إلى الخليفة كتاباً في أبي الحسن بن المستظهر ١١٨
- تضييق الخليفة على أخيه أبي الحسن ١١٩
- ورود الأخبار بتوجه السلطان محمود إلى عمه سنجر ١١٩
- اجتماع طغتكين وإيلغازي على حرب الفرنج ١١٩
- وفاة خاتون أم دقاق ١١٩
- وفاة بردويل صاحب القدس ١٢٠
- ما صنع كندهري خليفة بردويل ١٢٠
- المباينة بين الأفضل ابن أمير الجيوش والامر صاحب مصر ١٢١
- ظهور قبور الأنبياء في مغارة بيت المقدس ١٢١
- السنة الرابعة عشرة وخمس مئة ١٣١
- الخطبة ببغداد لسنجر وابن أخيه محمود ١٣١
- زواج ديس بنت إيلغازي ١٣١
- الحرب بين محمود وأخيه مسعود ١٣١
- إخرا ب ديس بن صدقة البلاد ١٣٢
- دخول السلطان محمود ببغداد ١٣٣
- مجيء زوجة ديس بن صدقة إلى السلطان مستشفعة لزوجها فلم ير ض ١٣٣
- إعادة وزير محمود المكوس والضرائب ١٣٤
- رفع نجم الدين إيلغازي المكوس عن أهل حلب ١٣٤
- السنة الخامسة عشرة وخمس مئة ١٤٥
- عزم السلطان الخروج من بغداد ١٤٥
- عزل علي بن طراد من النقابة ١٤٦
- تولية السلطان القاضي الهروي القضاء والخلع عليه ١٤٦
- وقوع حريق في دار السلطان ١٤٦
- احتراق جامع أصبهان ١٤٧
- قدوم القاضي إسماعيل البخاري الحنفي من أصبهان ١٤٧
- خلع الخليفة على السلطان ١٤٧
- سقوط ثلج عظيم ببغداد ١٤٧
- كتاب السلطان والخليفة إلى إيلغازي بإبعاد ديس وفسخ نكاحه ١٤٨
- عودة ديس إلى الحلة ١٤٨
- كسر أتابك طغتكين الفرنج على رحو العقبة ١٤٩
- السنة السادسة عشرة وخمس مئة ١٥٢
- استدعاء الخليفة وزير السلطان ومخاطبته في شأن ديس ١٥٢
- قصد ير نقش ومنصور أخي ديس دار الخلافة ١٥٢
- نقل منصور إلى مكان يوثق فيه ١٥٢
- خروج السلطان من بغداد ١٥٢
- استدعاء البرسقي إلى دار الحجرة والخلع عليه ١٥٢
- هزيمة البرسقي أمام ديس ١٥٢
- الصلح بين ديس والخليفة ١٥٣

- ١٥٣..... قدوم أبي سعد الهروي من عند سنجر بهدايا ومال
- ١٥٤..... تخريب ديبس في نواحي بغداد
- ١٥٤..... إخراج الخليفة سرادقه إلى الجانب الغربي والمناداة بالجهاد
- ١٥٥..... وقعة عظيمة بين إيلغازي والكفار على تفليس
- ١٥٥..... بلوغ الخليفة أن ديبساً يسب الصحابة ويفعل المنكر وفتوى العلماء بقتاله
- ١٥٦..... تزلزل مدينة جنزة
- ١٥٦..... أول سماع ابن الجوزي الحديث
- ١٦٨..... السنة السابعة عشرة وخمس مئة
- ١٦٨..... رحيل المسترشد من بغداد إلى قرب الكوفة وأسبابه
- ١٦٩..... وقعة بين الخليفة وديبس
- ١٦٩..... اجتماع أهل بغداد في المساجد
- ١٦٩..... هزيمة ديبس وجيشه
- ١٦٩..... عودة الخليفة إلى بغداد
- ١٧٠..... الإشارة على الخليفة بعمل سور على بغداد
- ١٧١..... عزم الخليفة على ختان أولاده
- ١٧١..... قصد ديبس البصرة وعيئه فيها
- ١٧١..... قبض محمود على وزيره وقتله
- ١٧١..... نيابة أبي القاسم بن طراد في الوزارة
- ١٧٢..... ورود ابن الباقرحي بكتب سنجر ومحمود بتسليم النظامية إليه
- ١٧٢..... ورود أسعد الميهني وأخذ المدرسة والنظر فيها
- ١٧٢..... وفاة وزير رضوان صاحب حلب
- ١٧٢..... وصول الأسطول المصري إلى صور
- ١٧٣..... مسير الأمير نور الدولة بلك إلى الرها
- ١٧٣..... وفاة الحاجب فيروز شحنة دمشق
- ١٧٣..... تسليم صاحب حلب الأثارب إلى الفرنج
- ١٧٣..... مسير بغدوين ملك الفرنج إلى نور الدولة وأسر الأخير له
- ١٧٩..... السنة الثامنة عشرة وخمس مئة
- ١٧٩..... عزم ديبس على قصد بغداد
- ١٧٩..... ورود شحنكية بغداد إلى يرناقش الزكوي
- ١٨٠..... زواج الخليفة ابنة السلطان سنجر
- ١٨٠..... مقتل القاضي الهروي على رواية ابن القلاسي
- ١٨٠..... تكامل المثمثة تحت التاج التي بناها الخليفة
- ١٨٠..... ورود الأخبار إلى بغداد أن قافلة خراسان فيها باطنية ندبوا لقتل أعيان الدولة
- ١٨٠..... مكاتبة أهل حلب آق سنقر البرسقي
- ١٨١..... استيلاء الفرنج على صور بالأمان
- ١٨١..... مضايقة الفرنج حلب
- ١٨٤..... السنة التاسعة عشرة وخمس مئة
- ١٨٤..... إغراء ديبس بن صدقة طغريل بقصد بغداد وطلب السلطنة
- ١٨٦..... قبض صاحب مصر على وزيره
- ١٨٦..... قصد بغدوين حوران

- السنة العشرون وخمس مئة ١٨٩.....
- كتاب السلطان محمود إلى الخليفة يهنته بالفتح ويشكره على قتال طغريل ١٨٩.....
- أمر الخليفة بنصب خيمة كبيرة وصلاته العيد بالناس وخطبته ١٩٠.....
- نزول السلطان الشماسية ودخول عسكره بغداد ١٩٣.....
- حمل ابن الجوزي إلى علي بن يعلى العلوي وتلقنه كلمات من الوعظ ١٩٣.....
- استيلاء أتابك طغتكين على مدينة تدمر ١٩٤.....
- استفحال أمر بهرام داعي الباطنية ١٩٤.....
- السنة الحادية والعشرون وخمس مئة ٢٠٣.....
- منع خاتون عسكر السلطان محمود من دخول باب النوبي ٢٠٣.....
- هزيمة عسكر السلطان من عسكر الخليفة وهروبهم ٢٠٣.....
- مرض السلطان ٢٠٥.....
- خروجه إلى الجبل وما حصل بعد ذلك ٢٠٥.....
- ورود الأخبار أن السلطان قبض على العزيز ووزيره وصادرهما ٢٠٧.....
- إرسال السلطان إلى أنوشروان ليستوزره ٢٠٧.....
- ثوران الفتن ببغداد بسبب الإسفراييني ٢٠٧.....
- قتل الباطنية وزير السلطان سنجر ٢٠٨.....
- نهب بغدوين صاحب القدس وادي موسى ٢٠٨.....
- وفاة مسعود بن البرسقي بالرحبة على أحد الأقوال ٢٠٨.....
- السنة الثانية والعشرون وخمس مئة ٢٠٩.....
- وصول علي بن طراد من عند سنجر مع رسول ٢٠٩.....
- توجه محمود إلى سنجر واتفاقهما ٢١٠.....
- إرسال الخليفة نقيب النقباء وشيخ الشيوخ إلى سنجر ٢١٠.....
- وفاة طغتكين صاحب دمشق، وولاية ابنه بوري ٢١٣.....
- السنة الثالثة والعشرون وخمس مئة ٢١٥.....
- عودة السلطان محمود إلى بغداد ٢١٥.....
- توكيل السلطان بقاضي القضاة الزيني ٢١٥.....
- خلع الخليفة على نقيب النقباء خلع الوزارة ٢١٦.....
- ضمان زنكي للسلطان مئة ألف دينار عن الموصل ٢١٦.....
- دخول دبيس بغداد ٢١٦.....
- رحيل السلطان من بغداد بعد تسليم الحلة والشحنكية إلى بهروز ٢١٦.....
- موت ابنة سنجر ومرض محمود ٢١٦.....
- ما صنع دبيس ٢١٦.....
- فتنة الإسماعيلية بدمشق ٢١٧.....
- تسليم العجمي بانياس إلى الفرنج ٢١٨.....
- السنة الرابعة والعشرون وخمس مئة ٢٢٠.....
- زلزلة بغداد وموت السلطان ٢٢٠.....
- إمطار سحابة ناراً على الموصل ٢٢١.....
- قتل الأمر صاحب مصر ٢٢١.....
- وزارة المفرج بن الصوفي لبوري ٢٢١.....
- وصول زنكي بن آق سنقر إلى حلب من الموصل ٢٢١.....

- ٢٢١..... ظهور عقارب طيارة بالعراق أفنت الأطفال
- ٢٣١..... السنة الخامسة والعشرون وخمس مئة
- ٢٣١..... دخول دبيس البرية وانقطاع خبره
- ٢٣٢..... إطلاق بوري لابن الصوفي والخلع عليه
- ٢٣٣..... وصول الخبر أن مسعوداً أخا محمود جاء يطلب السلطنة
- ٢٣٣..... تغيير نية محمود على الخليفة
- ٢٣٣..... عزل بوري وزيره المفرج بن الصوفي
- ٢٣٣..... وزارة المزدقاني
- ٢٣٤..... جرح الباطنية لبوري
- ٢٣٩..... السنة السادسة والعشرون وخمس مئة
- ورود مسعود إلى بغداد في عشرة آلاف يطلب السلطنة وورود قراجا صاحب خوزستان
- ٢٣٩..... يطلب السلطنة كذلك
- ٢٤٠..... الحرب بين سنجر ومسعود وقراجا
- ٢٤٠..... امتناع أنوشروان بن خالد من الوزارة
- ٢٤١..... عودة دبيس إلى بلاده وجمع الجموع
- ٢٤١..... وصول داود بن محمود والأحمد يلي إلى بغداد
- ٢٤١..... قبض الخليفة على وزيره أبي القاسم الزينبي
- ٢٤١..... قدوم دبيس بغداد وطلبه العفو من الخليفة
- ٢٤١..... تكلم الناس في خاتون المستظهرية
- ٢٤٧..... السنة السابعة والعشرون وخمس مئة
- ٢٤٧..... الخطبة لمسعود ببغداد ولابن أخيه داود بعده
- ٢٤٨..... عزم المسترشد على المسير إلى الموصل
- ٢٤٨..... فتح شمس الملوك صاحب دمشق بانياس وحماة
- ٢٤٩..... وفاة كريم الملك أحمد وزير شمس الملوك
- ٢٤٩..... نزول صاحب القدس على الساحل وجمع الفرنج وقصد حلب
- ٢٥٢..... السنة الثامنة والعشرون وخمس مئة
- ٢٥٢..... وصول هدايا زنكي واتفاقه مع الخليفة
- ٢٥٣..... عزل أنوشروان وإعادة أبي القاسم إلى الوزارة
- ٢٥٣..... قدوم رسول سنجر يطلب الخلع
- ٢٥٣..... حصار تكريت ومصانعة بهروز عنها بالمال
- ٢٥٣..... قدوم البقش السلاحي أمير الأتراك إلى بغداد
- ٢٥٣..... عودة طغريل إلى همذان وانحلال أمر أخيه مسعود
- ٢٥٣..... محاصرة صاحب دمشق شقيف تيرون
- ٢٥٣..... نجاة شمس الملوك صاحب دمشق من محاولة قتله
- ٢٥٤..... الحرب بين ولي عهد مصر وأخيه
- ٢٥٤..... نقض الهدنة من الفرنج وما صنعه شمس الملوك بهم
- ٢٦٤..... السنة التاسعة والعشرون وخمس مئة
- ٢٦٤..... مقتل المسترشد ودبيس وصاحب دمشق وطغريل
- ٢٦٤..... إخراج الخليفة سراقه إلى رؤوس الحيطان
- ٢٦٤..... مسير مسعود بعد بلوغه خبر وفاة طغريل

- وصول زنكي إلى بغداد ٢٦٤
- وصول ابن الأنباري من عند سنجر ٢٦٤
- ورود الأخبار بتغير مسعود على الخليفة والحرب بينهما ٢٦٥
- زلزلة بغداد ٢٦٨
- وصول رسول سنجر إلى مسعود بعد استيلائه على الخليفة برسالة منه ٢٦٨
- هروب الحاجب فيروز شحنة دمشق إلى تدمر خوفاً من شمس الملوك بن بوري ٢٧٠
- ترجمة المسترشد بالله الخليفة ٢٧٨
- خلافة الراشد بالله منصور ٢٨٠
- وصول كتاب سنجر إلى مسعود بتعيين الخليفة ٢٨١
- السنة الثلاثون وخمس مئة ٢٨٢
- وصول يرتقش الزكوي إلى الخليفة في أمور ٢٨٢
- قطع خطبة سنجر ومسعود ومكاتبة زنكي ٢٨٢
- مكاتبة الخليفة يرتقش البازدار وإقبال الخادم وأياز ٢٨٢
- القبض على إقبال لمراسلته مسعوداً ٢٨٢
- طلب مسعود صلح الخليفة ورفض الأخير ٢٨٣
- وصول مقدمات مسعود وهروب الخليفة ٢٨٣
- دخول مسعود بغداد وخلع الخليفة ٢٨٤
- خلافة المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر ٢٨٥
- وصول الراشد إلى الموصل وإكرام زنكي له ٢٨٦
- قدوم الحسن بن يعيش الموصلية إلى بغداد ٢٨٦
- استيلاء محمود بن بوري صاحب دمشق على حمص وحماة ٢٨٦
- السنة الحادية والثلاثون وخمس مئة ٢٩٤
- مطالبة السلطان المقتفي بمئة ألف دينار ٢٩٤
- وصول خادم من عند سنجر لمبايعة الخليفة ٢٩٥
- عقد المقتفي على فاطمة أخت مسعود ٢٩٥
- توجه السلطان إلى الجبل ٢٩٥
- مسير الملك داود وعساكر أذربيجان إلى مسعود ووقوع الحرب بينهما ٢٩٥
- جلوس أبي النجيب في دار رئيس الرؤساء بالقصر للتدريس ٢٩٦
- تبع المقتفي القوم الذين أفتوا بفسق الراشد ٢٩٦
- امتلاك صاحب ماردين قلعة الهتاخ ٢٩٧
- خروج ملك الروم من القسطنطينية في مئة ألف ونزوله على أنطاكية ٢٩٧
- السنة الثانية والثلاثون وخمس مئة ٣٠٣
- إرسال السلطان مسعود من همذان كأساً مختوماً إلى البقش السلاحي ٣٠٣
- قدوم أهل حلب وبزاعة مشكين مما جرى عليهم من الروم ٣٠٣
- زواج مسعود بنت ديبس وبنت عمه قاروت بك ٣٠٤
- جمع الراشد العساكر ثم مقتله ٣٠٤
- مجيء ملك الروم إلى حلب ونهب المعرة ٣٠٤
- استيحاء بزواش من الأمير شهاب الدين محمود صاحب دمشق ٣٠٤
- تفويض محمود الأمور إلى معين الدين أنر ٣٠٤
- وفاة القاضي بهاء الدين بن الشهرزوري ٣٠٤

٣٠٤.....	زواج أتابك زنكي بأمر شهاب الدين محمود
٣١٣.....	السنة الثالثة والثلاثون وخمس مئة
٣١٣.....	زلزلة جنزة وخسفها
٣١٣.....	وصول رسول ابن قاروت بك ملك كرمان يخطب خاتون المستظهرية
٣١٣.....	وزارة محمد بن الخازن للسلطان مسعود
٣١٣.....	مقتل شهاب الدين محمود صاحب دمشق
٣٢١.....	السنة الرابعة والثلاثون وخمس مئة
٣٢١.....	ولادة ابن لمسعود من بنت قاروت بك وما حصل ببغداد بسبب ذلك
٣٢١.....	دخول خاتون زوجة المقتفي ببغداد
٣٢٢.....	زواج مسعود ببنت المقتفي
٣٢٢.....	صحوة رجل من باب الأزج من على مغتسله
٣٢٢.....	عودة زنكي من بعلبك ونزوله على داريا
٣٢٢.....	إقامة ولد محمد صاحب دمشق مقامه بعد وفاته
٣٢٣.....	الحرب بين معين الدين أنر وزنكي
٣٢٦.....	السنة الخامسة والثلاثون وخمس مئة
٣٢٦.....	نقل المقتفي المظفر إلى الوزارة من الأستاذ دارية
٣٢٦.....	قدوم سوادى إلى بغداد وادعاؤه الزهد واحتياله
٣٢٧.....	افتتاح المدرسة التي بناها ابن طلحة صاحب المخزن
٣٢٧.....	وصول رسول سنجر بالبردة والقضيب إلى المقتفي
٣٢٧.....	امتلاك الإسماعيلية حصن مصياث
٣٣٢.....	السنة السادسة والثلاثون وخمس مئة
٣٣٢.....	وقعة بين سنجر وكافر ترك
٣٣٣.....	نهب خوارزم شاه بلخ وبوارسنجر
٣٣٣.....	غضب المقتفي على وزيره ابن طراد وعزله وشفاعة مسعود فيه
٣٣٧.....	السنة السابعة والثلاثون وخمس مئة
٣٣٧.....	إرسال سنجر إلى مسعود يأمره بالتصرف في الري
٣٣٧.....	أمر الخليفة أن لا يخاطب أحد بمولانا الوزير
٣٣٧.....	تولية أبي يعلى ابن الفراء قضاء واسط
٣٣٧.....	جمع سنجر العساكر وعزمه على قصد خوارزم شاه
٣٣٨.....	امتلاك زنكي قلعة الحديثة
٣٣٨.....	استيلاء مسعود على بلاد الروم
٣٤٠.....	السنة الثامنة والثلاثون وخمس مئة
٣٤٠.....	قدوم السلطان مسعود ببغداد
٣٤٠.....	عزم السلطان على قصد الموصل ومصانعة زنكي
٣٤٠.....	قدوم الحسن النيسابوري الحنفي مع السلطان مسعود وما حصل بسببه في بغداد
٣٤٣.....	توجه مسعود إلى همدان
٣٤٣.....	زلزلة الأرض وظهور كوكب الذنب ببغداد
٣٤٣.....	استيلاء عمران داعية المصريين على اليمن
٣٤٩.....	السنة التاسعة والثلاثون وخمس مئة
٣٤٩.....	فتح زنكي الرها

- السنة الأربعون وخمس مئة ٣٥٣
- دخول السلطان مسعود بغداد ٣٥٣
- جلوس يوسف الدمشقي في مدرسة بناها ابن الإبري بباب الأزج ٣٥٤
- تضييق المقتفي على الأمير أبي طالب ٣٥٥
- السنة الحادية والأربعون وخمس مئة ٣٥٩
- احتراق القصر الذي بناه المسترشد بدار الخلافة ٣٥٩
- تقليد ابن المرخم القضاء والخلع عليه ٣٥٩
- تولية السلطان مسعود شحنة بغداد لمسعود البلالي ٣٦٠
- مقتل أتابك زنكي على قلعة جعبر ٣٦٠
- وفاة بنت الخليفة ٣٦٠
- عمل مسعود دار الضرب ٣٦٠
- استصلاح مسعود عباساً صاحب الري ثم قتله ٣٦٠
- إبطال المكوس والضرائب ببغداد ٣٦٠
- بناء حسام الدين بن أرتق جسر القرمات في ميفارقين ٣٦١
- ما تجدد من الحوادث بعد مقتل زنكي ٢٦٨
- السنة الثانية والأربعون وخمس مئة ٣٧٤
- تولية المقتفي عون الدين كتابة الزمام ٣٧٤
- عزل أبي نصر بن جهير من الوزارة ٣٧٤
- وزارة علي بن صدقة للخليفة ٣٧٤
- قدوم ابن العبادي برسالة إلى الخليفة من السلطان ٣٧٥
- تولية المقتفي يحيى بن جعفر المخزن ٣٧٥
- هروب إسماعيل أخي الخليفة من الدار ٣٧٥
- فتح نور الدين حصن أرتاح وكفر لاثا ٣٧٥
- استيلاء عبد المؤمن بن علي على مراکش بالسيف ٣٧٥
- السنة الثالثة وأربعون وخمس مئة ٣٧٩
- مفارقة جماعة من الأمراء السلطان مسعود ودخولهم بغداد وإفسادهم فيها ومحاربة الخليفة لهم ٣٧٩
- قبض الخليفة على وزيره ابن صدقة وتقليد الدامغاني القضاء ٣٨١
- وفاة قاضي القضاة الزينبي ٣٨١
- نزول الفرنج على دمشق ٣٨١
- وقوع طاعون في دمشق أيام الحصار ثم جلاء الفرنج عنها ٣٨٣
- إزالة نور الدين في حلب سب الصحابة ومازید في الأذان ٣٨٤
- ظهور رجل في مصر من ولد نزار يطلب الخلافة ٣٨٤
- إغارة نور الدين على بلاد الفرنج وفتح عدة حصون ٣٨٤
- السنة الرابعة والأربعون وخمس مئة ٣٨٧
- وزارة عون الدين للمقتفي ٣٨٧
- قصد البقش وملك شاه وعلي بن دبیس والترکمان بغداد وطلبهم من الخليفة الخطبة لملك شاه ٣٨٧
- وفاة نظر الخادم ٣٨٨

- ٣٨٨..... زلزلة بغداد وهلاك الناس
- ٣٨٨..... كسر نور الدين الفرنج
- ٣٨٩..... فتح نور الدين حصن فامية
- ٣٨٩..... أخذ نور الدين ما كان بيد جوسلين من الحصون
- ٤٠٦..... السنة الخامسة والأربعون وخمس مئة
- ٤٠٦..... جلوس يوسف الدمشقي في النظامية ثم منعه
- ٤٠٦..... ما جرى على الحاج بعد وفاة نظر الخادم
- ٤٠٦..... مطر اليمن دماً
- ٤٠٦..... الصلح بين نور الدين ومجير الدين
- ٤٠٧..... وصول الملك مسعود إلى أنطاكية ومضايقتها
- ٤٠٧..... وصول جماعة من الحاج إلى دمشق وحكايتهم ما جرى
- ٤٠٧..... أسر ابن جوسلين وفتح نور الدين قلعة أعزاز
- ٤٠٧..... القتال بين وزير مصر وابن السلار
- ٤٠٧..... وفاة القاضي ابن أبي الجن
- ٤١٠..... السنة السادسة والأربعون وخمس مئة
- ٤١٠..... دخول السلطان مسعود بغداد وتلقي الوجوه له
- ٤١١..... ما جرى على ابن العبادي في جامع المنصور
- ٤١١..... مناداة السلطان بعمارة قرى العراق
- ٤١١..... عودة نور الدين إلى حصار دمشق ثم رحيله
- ٤١٣..... مسيره نحو بصرى
- ٤١٣..... توجه مجير الدين في خواصه إلى حلب لخدمة نور الدين
- ٤١٣..... قصد الفرنج قلاع بعلبك ونهبها
- ٤١٣..... استيحاء ابن السلار وزير مصر من الظافر
- ٤١٣..... استيحاء ابن الصوفي من مجير الدين
- ٤١٧..... السنة السابعة والأربعون وخمس مئة
- ٤١٧..... حكاية ابن الجوزي لبعض الغرائب
- ٤١٨..... وفاة السلطان مسعود وما حصل ببغداد لما وصلها الخبر
- ٤١٨..... خروج الخليفة إلى واسط لعصيانها
- ٤١٨..... فتح نور الدين حصن أنطرسوس
- ٤٢٩..... السنة الثامنة والأربعون وخمس مئة
- ٤٢٩..... انحلال أمر بني سلجوق باستيلاء الغز على سنجر
- ٤٣٠..... إرسال الخليفة ترشك المقتفوي وظفر بن الوزير ونجاح الخادم إلى قلعة تكريت
- ٤٣١..... مجيء الخليفة إلى قلعة تكريت وإقامته فيها أياماً
- ٤٣١..... مقتل وزير الديار المصرية علي بن السلار
- ٤٣١..... مضايقة الفرنج عسقلان وامتلاكها
- ٤٣٢..... نقل صاحب مصر رأس الحسين من عسقلان إلى مصر
- ٤٣٣..... عودة ابن الصوفي من صرخد بأيمان مجير الدين وعهوده
- ٤٤٤..... السنة التاسعة والأربعون وخمس مئة
- ٤٤٤..... إرسال المقتفي رسولاً إلى تكريت ثم محاربتها
- ٤٤٦..... نهب مسعود بلال وترشك واسط بعد هربهما من تكريت وتجهيز الخليفة إليهما وزيره

- ٤٤٦..... مجيء المطر والرعود في يوم عيد رمضان وما حصل بسببه
- ٤٤٦..... تضيق الغز على سنجر
- ٤٤٦..... امتلاك نور الدين محمود دمشق
- ٤٤٩..... وفاة ابن الصوفي
- ٤٤٩..... إقامة مجير الدين بحمص ومكاتبته أحداث دمشق لإثارة الفتن
- ٤٤٩..... مقتل الظافر صاحب مصر
- ٤٤٩..... وصول الفرنج إلى تنيس ونهبها
- ٤٥٦..... السنة الخمسون وخمس مئة
- ٤٥٦..... قبض الخليفة على صاحب الباب الهاشمي وتولية ابن صاحب مكانه
- ٤٥٧..... دخول الغز نيسابور
- ٤٥٧..... نزول الخليفة على دقوقا وحصارها ثم رحيله عنها
- ٤٥٧..... وقعة بين عساكر الخليفة وشملة التركماني
- ٤٥٧..... وصول سليمان شاه بن محمد إلى بغداد
- ٤٥٨..... تسلم نور الدين محمود بعلبك من واليها
- ٤٥٨..... الخلاف بين أولاد الملك مسعود
- ٤٦٢..... السنة الحادية والخمسون وخمس مئة
- ٤٦٢..... خلع الخليفة على سليمان شاه خلعة السلطنة
- ٤٦٢..... إطلاق ابن الوزير من قلعة تكريت
- ٤٦٢..... ورود الأخبار باتفاق ملك شاه وسليمان شاه وإيلدكز وانهزمهم بين يدي محمد شاه
- ٤٦٣..... خلاص سنجر من أسر الغز بحيل وهربه
- ٤٦٨..... السنة الثانية والخمسون وخمس مئة
- ٤٦٨..... محاصرة بغداد من محمد شاه
- ٤٦٩..... وصول الخبر بدخول ملك شاه همذان ونهبها
- ٤٧٠..... استيحاء محمد شاه من كوجك
- ٤٧٠..... رحيل المحاصرين عن بغداد
- ٤٧١..... قدوم ابن الخجندي الفقيه وأبي الوقت إلى بغداد
- ٤٧١..... وقوع زلازل بالشام وحلب وحماة وجميع العواصم
- ٤٧٢..... خروج عساكر مصر ومساعدة نور الدين لهم وكسر الفرنج على غزة
- ٤٧٣..... امتلاك نور الدين محمود حصن شيزر وزوال ملك بني منقذ
- ٤٨١..... السنة الثالثة والخمسون وخمس مئة
- ٤٨١..... اتفاق محمد شاه وأخيه ملك شاه وفتح خوزستان
- ٤٨١..... خروج الخليفة إلى مشهد الحسين لزيارته
- ٤٨١..... منازلة نور الدين قلعة حارم وفتحها
- ٤٨١..... نزول الفرنج على داريا وإحراقها ونهبها